

# المِفْتَاحُ فِي خُطَبِ الْجُمُعَةِ وَالْعِيدِ

«مَوْسُوعَةُ خُطَبٍ مُتَّحَفَةٍ وَمُوثِقَةٍ وَتَحْوِيلِيٍّ بِجُودٍ وَمَسَائِلَ  
 فِقْهِيَّةٍ وَعَرَبِيَّةٍ وَلُغَوِيَّةٍ»

تَأَلَّفَ مِنْ  
 د. إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَقِيلِ

الجزء التاسع  
 المجموعتان الثانية والثالثة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المفيدة  
في  
خطب الجمعة والعيادة

(ح) مجلة البيان، ١٤٣٧ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحقيل، إبراهيم محمد

المفيد في خطب الجمعة والعيد - موسوعة خطب مخرجة

وموثوقة وتحوي بحوثاً ومسائل فقهية وحديثية ولُغوية

إبراهيم محمد الحقيل - الرياض، ١٤٣٧ هـ

١٠ مج.

ردمك: ١-٨٤-٨١٠١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٨-٨٥-٨١٠١-٦٠٣-٩٧٨ (ج٩)

١- الخطب الدينية ٢- خطبة الجمعة ٣- خطبة العيد أ. العنوان

١٤٣٧/١٥٥

ديوي ٢١٣

رقم الإيداع: ١٤٣٧/١٥٥

ردمك: ١ - ٨٤ - ٨١٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)

٨ - ٨٥ - ٨١٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج٩)

[www.albayan-magazine.com](http://www.albayan-magazine.com)

الرياض: هاتف : ٤٥٤٦٨٦٨ تحويلة : ٥٠٠ و ٥٠٢ فاكس: ٤٥٣٢١٢١

التوزيع والمبيعات: ٥٠٤٤٧٨٣٢ \_ ٥٠٢٢١٩٢٠ \_ ٥٠٣٤٠٩٨١٦ \_ ٥٠٣٨٩٦٣٦٥ \_ ٥٠٦٤٦١٠٦٥

جدة : ٥٠٦٤٦١٠٥٧ مكة والمدينة : ٥٠٧٢٦٦٢٠ المنطقة الجنوبية : ٥٠٦٤٦١٠٥٨

المنطقة الشرقية : ٥٠٦٢٩٢٦٨٩ منطقة القصيم : ٥٠٢٢٠٦١٦



## السَّيرُ وَالْإِعْلَامُ

- ٣٤٧- خلق آدم ﷺ ووفاته.
- ٣٤٨- في قصة موسى وفرعون.
- ٣٤٩- الكليم ﷺ (١) الولادة والنشأة والهجرة.
- ٣٥٠- الكليم ﷺ (٢) التكليم والرسالة.
- ٣٥١- من صفات الرسول ﷺ.
- ٣٥٢- رحيل النبي ﷺ (١) من ابتداء مرضه إلى وفاته.
- ٣٥٣- رحيل النبي ﷺ (٢) الوفاة والدفن والحزن.
- ٣٥٤- رحيل النبي ﷺ (٣) وصاياه للأمة قبل موته.
- ٣٥٥- توقير السلف للنبي ﷺ (١) من أخبار الصحابة رضي الله عنهم.
- ٣٥٦- توقير السلف للنبي ﷺ (٢) من أخبار التابعين والعلماء.
- ٣٥٧- عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.
- ٣٥٨- حكيم بن حزام رضي الله عنه.
- ٣٥٩- مقتل الشيخ أحمد ياسين.
- ٣٦٠- مقتل حاكم العراق.



## ٣٤٧- خلق آدم ﷺ ووفاته

١٤٢٤/١٢/٢٩ هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، ﴿يَأْتِيَا النَّاسَ أَنْفُؤَا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١]. أَحْمَدُهُ وَأَشْكُرُهُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، غَنِيٌّ عَنْ خَلْقِهِ، وَخَلَقَهُ مُفْتَقِرُونَ إِلَيْهِ، يَسْأَلُونَهُ حَاجَاتِهِمْ فِي جَمِيعِ أَوْقَاتِهِمْ بِلِسَانِ حَالِهِمْ وَمَقَالِهِمْ؛ فَيَجِيبُ دَاعِيًا، وَيَكْشِفُ كَرْبًا، وَيُغِيثُ مُضْطَرًّا، وَيَغْفِرُ ذَنْبًا، لَا يَسْتَغْنِي عَنْهُ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى هَادِيًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، فَأَخْبَرَنَا عَنْ رَبِّنَا، وَكَيْفَ خَلَقْنَا، وَمَا بَدَأَيْتُنَا، وَكَيْفَ تَكُونُ نَهَائِتُنَا، وَمَاذَا يُرِيدُ مِنَّا مَنْ خَلَقْنَا وَكَلَّفْنَا، وَمَا جَزَاؤُنَا إِنْ أَطَعْنَا أَوْ عَصَيْنَا. صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ أُمَمَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى حَقَّ التَّقْوَى، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي لَا تُحْصَى، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ نِعْمَةً أَعْظَمَ مِنْ هِدَايَتِهِمْ لِلْإِسْلَامِ الَّذِي فِيهِ الشِّفَاءُ وَالنَّجَاةُ، وَالْخَيْرُ وَالرَّشَادُ، وَالْجَوَابُ لِكُلِّ سُؤَالٍ، ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمُ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

أَيُّهَا النَّاسُ: فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ هَذَا الْعَامِ الَّذِي مَضَى مِنْ أَعْمَارِنَا، وَاسْتَوْدَعْنَاهُ

أَعْمَلْنَا، تَعَالَوْا نَتَذَكَّرْ أَصْلَ خَلْقِنَا، وَبِدَايَةَ أَصْلِنَا؛ كَيْ نُنْذِرَكَ نِعْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْنَا، وَرَحْمَتَهُ بِنَا، وَلِنَعْرِفَ مَصِيرَنَا وَنَهَايَةَ أَمْرِنَا، فَتِلْكَ الْقَضِيَّةُ هِيَ أَعْظَمُ قَضِيَّةٍ يُفَكَّرُ فِيهَا كُلُّ عَاقِلٍ، وَهِيَ أَكْبَرُ مَسْأَلَةٍ حَيَّرَتْ مَنْ لَمْ يَهْتَدِ بِهُدَى اللَّهِ تَعَالَى، وَحَادَ عَنْ طَرِيقِهِ وَشَرِيعَتِهِ.

اِخْتَلَفَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الْعَظِيمَةِ أُمَّمٌ شَتَّى، وَاضْطَرَبَتْ فِيهَا عُقُولٌ عِدَّةٌ، وَحَارَ فِيهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَاهْتَمَّ بِهَا النَّاسُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ وَالْمَلَلِ، وَالطَّوَائِفِ وَالنَّحْلِ؛ فَاخْتَرَعُوا فِيهَا الْأَسَاطِيرَ، وَنَسَجُوا حَوْلَهَا الْخُرَافَاتِ وَالْأَبَاطِيلَ.

إِنَّهَا مَسْأَلَةٌ خَطِيرَةٌ.. عَلَيْهَا عِمَادُ الْفَهْمِ كُلِّهِ، وَهِيَ مُرْتَكِزُ الْهُدَى أَوْ الضَّلَالِ، وَلَا يَسْتَقِلُّ الْعَقْلُ بِمَعْرِفَتِهَا وَحْدَهُ؛ فَهُوَ أَعْجَزُ مِنْ أَنْ يُدْرِكَ سِرَّ اللَّهِ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ. وَطَرِيقُ الْعِلْمِ بِهَا هُوَ الْوَحْيُ الْمُنَزَّلُ مِنْ لَطِيفِ خَبِيرٍ، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

إِنَّهَا قَضِيَّةٌ خَلَقَكَ أَتُيَا الْإِنْسَانُ، وَبِدَايَةُ أَصْلِكَ، وَلِمَاذَا خَلَقَكَ اللَّهُ تَعَالَى؟ وَكَيْفَ قَدِمْتَ عَلَى هَذِهِ الدُّنْيَا؟ وَكَيْفَ تَنْتَهِي؟ فَهَلْ تَرَوْنَ يَا عِبَادَ اللَّهِ قَضِيَّةَ هِيَ أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ؟!

وَكَيفَ لَا تَكُونُ هَذِهِ الْقَضِيَّةُ أَعْظَمَ الْقَضَايَا عِنْدَ الْإِنْسَانِ وَقَدْ اخْتَصَمَ فِيهَا الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟! وَذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى اخْتِصَامَهُمْ فِي الْقُرْآنِ ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ۝٧ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝٨ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝٩﴾ إِنَّ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝١٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ۝١١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُمْ سَاجِدِينَ﴾ [سورة ص: ٦٧-٧٢].

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ

فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ تُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ [البقرة: ٣٠].

هَذِهِ الْقَضِيَّةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي حَيَّرَتْ عُقُولَ أَهْلِ الْعُقُولِ، وَضَلَّ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الْبَشَرِ، جَاءَ تَفْصِيلُهَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِأَوْضَحِ الْعِبَارَاتِ، وَأَسْهَلِ الْأَسَالِبِ، وَأَجْمَلِ الْقَصَصِ، بَعِيدًا عَنْ سُفْسَاطِ الْفَلَاسِفَةِ وَالنُّظَارِ، وَعَنْ أَسَاطِيرِ الْقُصَاصِ وَالضُّلَالِ؛ فَادَّمُ ﷺ هُوَ أَصْلُ الْبَشَرِ، خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ تُرَابٍ، وَأَنْسَلَ ذُرِّيَّتَهُ مِنْهُ.

أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ بِأَنْ خَلَقَهُ بِيَدَيْهِ الْكَرِيمَتَيْنِ ﴿قَالَ يَتَالَيْلُ مَا مَنَّكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ [سورة ص: ٧٥]، وَفِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَبُوكُمْ آدَمُ فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ<sup>(١)</sup>.

(١) أَخْرَجَهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: الْبُخَارِيُّ فِي أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [نوح: ١] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ (٣١٦٢) وَمُسْلِمٌ فِي الْإِيمَانِ، بَابُ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ فِيهَا (١٩٤).

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ بِيَدِهِ» أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي الْكَبَرِيِّ (١٠٠٨٤)، وَفِي عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ (٢٢٠)، وَالْأَجْرِيِّ فِي الشَّرِيعَةِ (٧٤٩)، وَالطَّبْرِيِّ فِي تَارِيخِهِ (٩٨/١).

وَأَخْرَجَهُ مِنْ حَدِيثِ الْحَارِثِ بْنِ نُوْفَلٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: الدَّارِقُطْنِيُّ فِي الصِّفَاتِ (٢٨)، وَابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ (٢٧/١).

وَجَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ مَوْقُوفًا عِنْدَ: الطَّبْرِيِّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٠١/١).

وَعَنْ عُمَرَ ﷺ عِنْدَ: الطَّبْرِيِّ فِي تَفْسِيرِهِ (١١٤/٩).

وَعَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ عِنْدَ: عَبْدِ الرَّزَاقِ فِي تَفْسِيرِهِ (٤٣/٣)، وَالطَّبْرِيِّ فِي تَفْسِيرِهِ (١/١٨)، وَابْنِ الْمُبَارَكِ فِي الزَّهْدِ (١٤٥٨).

وَعَنْ حَكِيمِ بْنِ جَابِرٍ عِنْدَ: ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ فِي مُصَنَّفِهِ (٢٨/٧)، وَهَنَّادٍ فِي الزَّهْدِ (٤٦). =

وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ مَلَائِكَتَهُ بِالسُّجُودِ لَهُ؛ تَحِيَّةً وَتَشْرِيفًا ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ  
وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُمْ سَاجِدِينَ﴾ [سورة ص: ٧٢].

خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ عَلَى صُورَةٍ حَسَنَةٍ، وَكَانَ ذَلِكَ تَفْضُّلاً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ  
وَعَلَى ذُرِّيَّتِهِ بِأَنْ أَحْسَنَ صُورَهُمْ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]،  
﴿وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ [التغابن: ٣].

وَأَمَّنَ عَلَيْهِ فَرَكَّبَ فِيهِ آلَاتِ تَحْصِيلِ الْعِلْمِ: السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْعَقْلَ، وَعَلَّمَهُ  
الْعِلْمَ، حَتَّى صَارَ عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَيْسَ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا  
ثُمَّ عَرَّضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ  
لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَتَّكِدُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا  
أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْ أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا  
كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣١-٣٣].

وَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ الَّتِي عَلَّمَهَا اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ، وَعَلَّمَهَا آدَمَ الْمَلَائِكَةُ هِيَ أَسْمَاءُ  
كُلِّ شَيْءٍ كَانَ الْمَلَائِكَةُ يَجْهَلُونَهُ؛ كَمَا ثُبِتَ فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ أَنَّ النَّاسَ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ يَأْتُونَ إِلَى آدَمَ فَيَقُولُونَ: «يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ،  
وَأَسَجَدَ لَكَ مَلَائِكَتُهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا  
مِنْ مَكَانِنَا» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ (٢).

= وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «خَلَقَ اللَّهُ بِيَدِهِ الْعَرْشَ وَعَدَنَ وَالْقَلَمَ وَآدَمَ، ثُمَّ قَالَ لِكُلِّ شَيْءٍ:  
كُنْ فَكَانَ» أخرجه الطبري في تفسيره بسنده صحيح (١١٩/٢٣)، وهو وإن كان موقوفاً  
فله حكم الرفع؛ إذ لا يقال بالرأي، والله أعلم.

(٢) أخرجه من حديث أنس رضي الله عنه: البخاري في التفسير، باب قول الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ  
الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] (٤٢٠٦) واللفظ له.

وأخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: البخاري في أحاديث الأنبياء، باب قول الله ﷻ:  
﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ [نوح: ١] (٣١٦٢)، ومسلم في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة  
منزلة فيها (١٩٤).

وَكَانَ مِنْ تَعْلِيمِ اللَّهِ تَعَالَى لِآدَمَ ﷺ أَنْ عَلَّمَهُ حَمْدَهُ؛ كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَمَّا نُفِخَ فِي آدَمَ الرُّوحَ مَارَتْ وَطَارَتْ، فَصَارَتْ فِي رَأْسِهِ فَعَطَسَ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ اللَّهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ» صَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ<sup>(٣)</sup>.

وَعَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى السَّلَامَ تَحِيَّةَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ طُولُهُ سِتُونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أَوْلِيكَ -نَفَرٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ- فَاسْتَمِعَ مَا يُحْيُونَكَ؛ فَإِنَّهَا تَحْيَتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَرَادَوْهُ: وَرَحْمَةُ اللَّهِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ<sup>(٤)</sup>.

ابْتَلَى اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ بِالشَّيْطَانِ فَأَغْوَاهُ وَأَخْرَجَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، فَتَابَ آدَمُ فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَهْبَطَهُ إِلَى الْأَرْضِ، وَجَعَلَ الْإِبْنَائِ عَلَيْهِ وَعَلَى ذُرِّيَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ تَعَالَى الْمِيثَاقَ عَلَى آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ بِأَنْ يَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهَذَا الْمِيثَاقُ جَاءَ ذِكْرُهُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بِنِعْمَانٍ -يَعْنِي: عَرَفَةَ- فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ

(٣) أخرجه ابن حبان مرفوعاً (٦١٦٥)، وأخرجه موقوفاً: الحاكم، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم، وإن كان موقوفاً، فإن إسناده صحيح بمره، وقال الذهبي: صحيح على شرط مسلم (٢٦٣/٤).

وله شاهد من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند: ابن أبي عاصم في السنة (٢٠٥)، وصححه ابن حبان (٦١٦٤).

(٤) أخرجه البخاري في الاستئذان، باب بدء السلام (٥٨٧٣)، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير (٢٨٤١).

ذُرِّيَّةٍ ذَرَأَهَا فَتَثَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالذَّرِّ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ قَبْلًا قَالَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ (٥).

وَهَذَا الْمِيثَاقُ الْعَظِيمُ الَّذِي أَخَذَهُ رَبُّنَا عَلَيْنَا مُنْذُ أَنْ خَلَقَ أَصْلَ الْبَشَرِ: أَبَانَا آدَمَ ﷺ، مَنِ التَّزَمَهُ وَلَمْ يَنْقُضْهُ فَأَطَاعَ رَبَّهُ، وَعَصَى إِبْلِيسَ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَلَهُ النَّعِيمُ الْأَبَدِيُّ الْمُقِيمُ الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ. وَمَنْ نَقَضَهُ فَكَفَرَ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَأَطَاعَ إِبْلِيسَ فِيمَا أَرَادَ، فَجَزَاؤُهُ الْعَذَابُ الْخَالِدُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَلَا يَظْلُمُ رَبُّكَ أَحَدًا.

لَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ طَبِيعَةِ هَذَا الْبَشَرِ الَّذِي خَلَقَهُ: السَّيَّانَ وَالْخَطَأَ وَالْجُحُودَ؛ فَأَبُوهُمْ آدَمُ ﷺ كَانَ يَنْسَى فَنَسُوا، وَأَخْطَأَ فَأَخْطَأُوا، جَاءَ ذَلِكَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ، فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلُّ نَسَمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَجَعَلَ بَيْنَ عَيْنَيِ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ وَبَيْضًا مِنْ نُورٍ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى آدَمَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟

(٥) أخرجه أحمد (٢٧٢/١)، وابن أبي عاصم في السنة (٢٠٢)، والنسائي في الكبرى (١١١٩١)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (٥٤٤/٢)، وقال الهيثمي في الزوائد (٢٥/٧): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، وقال ابن كثير بعد أن أورده في تفسيره (٥٨٤-٥٨٥/٣): «وقد روى هذا الحديث النسائي في كتاب التفسير من سننه عن محمد بن عبد الرحيم -صاعقة- عن حسين بن محمد المروزي به. ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث حسين بن محمد به، إلا أن ابن أبي حاتم جعله موقوفًا، وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث حسين بن محمد وغيره عن جرير بن حازم عن كلثوم بن جبر به، وقال: صحيح». وصحح الحديث الشيخ أحمد شاكر في شرحه على المسند (٢٤٥٥)، وقال تعليقًا على كلام ابن كثير السابق: «وكأن ابن كثير يريد تعليل المرفوع بالموقوف، وما هذا بعلّة، والرفع زيادة من ثقة فهي مقبولة» اهـ.



قَالَ: هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ، فَرَأَى رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَعْجَبَهُ وَبِصُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا رَجُلٌ مِنْ آخِرِ الْأُمَمِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ يُقَالُ لَهُ: دَاوُدُ، فَقَالَ: رَبِّ كَمْ جَعَلْتَ عُمْرَهُ؟ قَالَ: سِتِّينَ سَنَةً، قَالَ: أَيُّ رَبِّ، زِدْهُ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَلَمَّا قُضِيَ عُمْرُ آدَمَ جَاءَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ، فَقَالَ: أَوْلَمْ يَبْقَ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَوْلَمْ تُعْطِهَا ابْنَكَ دَاوُدُ؟ قَالَ: فَجَحَدَ آدَمُ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنُسِيَ آدَمُ فَنُسِيتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَخَطِئَ آدَمُ فَخَطِئَتْ ذُرِّيَّتُهُ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَفِي لَفْظٍ لِأَبِي يَعْلَى: «فَرَأَى آدَمَ فِيهِمُ الْقَوِيَّ وَالضَّعِيفَ، وَالْغَنِيَّ وَالْفَقِيرَ وَالْمُبْتَلَى؟ قَالَ: يَا رَبِّ، أَلَا سَوَّيْتَ بَيْنَهُمْ؟ قَالَ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْكُرَ»<sup>(٦)</sup>.

مَكَثَ آدَمُ ﷺ فِي الْأَرْضِ مَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَمُوتَ، يُحِيطُ بِهِ زَوْجُهُ حَوَاءُ، وَأَوْلَادُهُمَا، يَعْبُدُونَ اللَّهَ ﷻ وَيُقِيمُونَ دِينَهُ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ بَعْدَ أَنْ قَضَى مَا كَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ مِنْ عُمْرٍ اشْتَهَى الْجَنَّةَ وَمَا فِيهَا؛ كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّ آدَمَ ﷺ لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ: أَيُّ بَنِيَّ، إِنِّي أَشْتَهِي مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ، فَذَهَبُوا يَطْلُبُونَ لَهُ، فَاسْتَقْبَلَتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَمَعَهُمْ أَكْفَانُهُ وَحَنَوطُهُ، وَمَعَهُمُ الْقُؤُوسُ، وَالْمَسَاحِي، وَالْمَكَاتِلُ، فَقَالُوا لَهُمْ: يَا بَنِي آدَمَ، مَا تُرِيدُونَ وَمَا تَطْلُبُونَ؟ - أَوْ مَا تُرِيدُونَ وَأَيْنَ تَذْهَبُونَ؟ - قَالُوا: أَبُونَا مَرِيضٌ فَاسْتَهَى مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ، قَالُوا لَهُمْ: ارْجِعُوا فَقَدْ قُضِيَ قَضَاءُ أَيْكُمْ. فَجَاءُوا، فَلَمَّا رَأَتْهُمْ حَوَاءُ عَرَفَتْهُمْ فَلَاذَتْ بِآدَمَ، فَقَالَ: إِلَيْكَ عَنِّي فَإِنِّي إِنَّمَا أَتَيْتُ مِنْ قِبَلِكَ، خَلِي بَيْنِي وَبَيْنَ مَلَائِكَةِ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَقَبْضُوهُ، وَغَسِّلُوهُ، وَكَفِّنُوهُ، وَحَطِّطُوهُ، وَحَفَرُوا

(٦) أخرجه الترمذي في التفسير، باب ومن سورة الأعراف، وقال: حسن صحيح (٣٠٧٦)، واللفظ له، وابن خزيمة في التوحيد (٦٧)، وابن أبي عاصم في السنة (٢٠٦)، وابن سعد في الطبقات (٢٧/١-٢٨)، وصححه ابن حبان (٦١٧٦)، والحاكم، وقال: على شرط مسلم ووافقه الذهبي (٦٤/١)، والرواية الثانية لأبي يعلى في مسنده (٦٣٧٧).

لَهُ، وَالْحَدُّوا لَهُ، وَصَلُّوا عَلَيْهِ، ثُمَّ دَخَلُوا قَبْرَهُ فَوَضَعُوهُ فِي قَبْرِهِ، وَوَضَعُوا عَلَيْهِ  
اللِّبْنِ، ثُمَّ خَرَجُوا مِنَ الْقَبْرِ، ثُمَّ حَثُوا عَلَيْهِ التُّرَابَ، ثُمَّ قَالُوا: يَا بَنِي آدَمَ، هَذِهِ  
سُتْنُكُمْ» أَخْرَجَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ فِي زَوَائِدِ الْمُسْنَدِ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ وَابْنُ كَثِيرٍ (٧).

(٧) أخرجه موقوفًا عبد الله بن أحمد في زياداته على المسند (١٣٦/٥)، والطيالسي (٥٤٩)،  
وابن سعد في الطبقات (٣٣/١)، والبيهقي (٤٠٤/٣)، والضياء المقدسي في المختارة  
(١٢٥٠-١٢٥١)، والدارقطني (٧١/٢)، وهذا اللفظ في زيادات المسند.

وأخرجه مرفوعًا عبد الرزاق (٦٠٨٦)، والطيالسي (٥٤٩)، والطبراني في الأوسط  
(٩٢٥٥)، والدارقطني (٧١/٢)، والحاكم من حديث يونس بن عبيد عن الحسن عن عتي  
عن أبي عن النبي ﷺ وصححه فقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وهو من  
النوع الذي لا يوجد للتابعي إلا الراوي الواحد؛ فإن عتي بن ضمرة السعدي ليس له راو  
غير الحسن، وعندي أن الشيوخين عللاً بعللة أخرى وهو أنه روي عن الحسن عن أبي دون  
ذكر عتي» اهـ وقال الذهبي في التلخيص (١٢٧٥): «رواه هشيم وابن علي عنه، ولم  
يخرجاه؛ لأن عتي بن ضمرة لم يرو عنه غير الحسن، وله علة» اهـ.

ثم رواه الحاكم من حديث يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد عن الحسن عن أبي بن  
كعب ؓ أن رسول الله ﷺ .. فذكره مرفوعًا، دون ذكر عتي بن ضمرة بين الحسن  
وأبي بن كعب ؓ، ثم قال الحاكم: «هذا لا يعلل حديث يونس بن عبيد؛ فإنه أعرف  
بحديث الحسن من أهل المدينة ومصر، والله أعلم» ووافقه الذهبي فيما قال (٣٤٥/١).  
وصححه ابن كثير في البداية والنهاية إلى أبي بن كعب ؓ (٩٨/١)، وقال الهيثمي في  
الزوائد (١٩٩/٨): «رواه عبد الله بن أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير عتي بن ضمرة  
وهو ثقة» اهـ.

قلت: فإن كان موقوفًا فله حكم الرفع؛ إذ لا مجال للرأي فيه، إلا أن يكون من أخبار أهل  
الكتاب، والله أعلم.

ولا يظهر لي تعارض هذا الحديث مع قصة ابني آدم المذكورة في سورة المائدة، وأن  
أحدهما لم يوار سوءة الآخر، أي: يدفنه؛ لاحتمال أن حادثة دفن آدم ؑ بعد حادثة قتل  
ابن آدم لأخيه، قال ابن عطية في تفسير قول الله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ  
لِيُريَهُ كَيْفَ يُؤَدِّي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: ٣١]. «وظاهر هذه الآية أن هابيل هو أول ميت  
من بني آدم؛ ولذلك جهلت سنة المواراة، وكذلك حكى الطبري عن ابن إسحاق عن =

وَقَدْ ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ الْحِكْمَةَ مِنْ اشْتِهَاءِ آدَمَ ثِمَارَ الْجَنَّةِ عِنْدَ مَوْتِهِ حَتَّى يَسْهُلَ عَلَيْهِ الْمَوْتُ، قَالَ السُّنْدِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «فَحِينَ ارَادَ اللَّهُ تَعَالَى نَقْلَهُ إِلَى الْجَنَّةِ بِالْمَوْتِ جَعَلَ فِيهِ اشْتِهَاءَ ثِمَارِهَا تَسْهِيلًا لِلْمَوْتِ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُبَالِي بِالتَّعَبِ فِي تَحْصِيلِ الْمَطْلُوبِ»<sup>(٨)</sup>.

وَلَمَّا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ إِلَى السَّمَاءِ رَأَى أَبَاهُ آدَمَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ ﷺ: «فَلَمَّا فَتَحَ عَلُونَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَإِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ عَلَى يَمِينِهِ أَسْوَدَةٌ، وَعَلَى يَسَارِهِ أَسْوَدَةٌ، إِذَا نَظَرَ قَبْلَ يَمِينِهِ ضَحَكَ، وَإِذَا نَظَرَ قَبْلَ يَسَارِهِ بَكَى، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْإِبْنِ الصَّالِحِ، قُلْتُ لِجَبْرِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا آدَمُ، وَهَذِهِ الْأَسْوَدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ، فَأَهْلُ الْيَمِينِ مِنْهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَالْأَسْوَدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ ضَحَكَ، وَإِذَا نَظَرَ قَبْلَ شِمَالِهِ بَكَى» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي دَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ<sup>(٩)</sup>.

رَحِمَ اللَّهُ أَبَانَا آدَمَ وَرَضِيَ عَنْهُ، وَجَمَعْنَا بِهِ فِي دَارِ التَّعِيمِ مَعَ بَاقِي النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَأَسْأَلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُعَلِّمَنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَأَنْ يَرْزُقَنَا الْعِلْمَ بِمَا

= بعض أهل العلم بما في كتب الأوائل» اهـ من المحرر الوجيز (٨٠/٢) ومثله في الجامع لأحكام القرآن (٩٤/٦)، وتفسير الثعالبي (٤٥٨/١)، وتفسير الجلالين (١٤١)، وتفسير السعدي (٢٢٩).

وقال البغوي في تفسيره: «فلما قتله تركه بالعراء ولم يدر ما يصنع به؛ لأنه كان أول ميت على وجه الأرض من بني آدم» ينظر: معالم التنزيل (٣٠/٢)، وتفسير البيضاوي (٣١٨/٢)، وتفسير الواحدي (٣١٦/١)، وفتح القدير للشوكاني (٣٢/٢). وقد خطأ الطبري في تاريخه من زعم أن آدم ﷺ كان أول ميت في الأرض بأدلة عدة، تنظر في تاريخه (٩٤/١).

(٨) ينظر: حاشية المسند، ط: مؤسسة الرسالة (١٦٥/٣٥).

(٩) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء، باب ذكر إدريس عليه السلام (٣٣٤٢)، ومسلم في الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات (١٦٣).

عَلِمْنَا، وَأَنْ يَتَقَبَّلَ مِنَّا إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ.  
وَأَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.



### الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَأَشْكُرُهُ شُكْرًا يَزِيدُ فِي إِفْضَالِهِ  
وإِنْعَامِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ  
وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهِدَاهُمْ  
إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى وَأَطِيعُوهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا دَارُ عَمَلٍ  
وَاعْتِبَارٍ، وَأَنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ، وَكُلُّ عَامٍ يَمْضِي يُقَرِّبُنَا مِنْ آجَالِنَا، وَيُنْقِصُ  
مِنْ دُنْيَانَا، وَالسَّعِيدُ مَنْ اعْتَبَرَ بِمَا مَضَى مِنْ عُمُرٍ لِمَا يَبْقَى، وَالشَّقِيُّ مَنْ يَأْكُلُ  
وَيَشْرَبُ وَيَتَمَتَّعُ كَمَا تَتَمَتَّعُ الْأَنْعَامُ، وَلَا يَعْمَلُ لِيَوْمِ الْمَعَادِ، وَمَا أَسْرَعَ مُرُورُ  
الْأَعْوَامِ! وَمَا أَقَلُّ مَا يَعْتَبِرُ النَّاسُ! نَعُوذُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْغَفْلَةِ وَطُولِ الْأَمَلِ،  
وَنَسْأَلُهُ الْمُوَافَاةَ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالسُّنَّةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ: تَكْرِيْمُ اللَّهِ تَعَالَى لِأَيِّنَا آدَمَ ﷺ هُوَ تَكْرِيْمٌ لَنَا، وَكَمِنْ مِنَ  
الْكَرَامَاتِ الَّتِي أَكْرَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا أَضْلَ الْبَشَرِ وَأَبَاهُمْ آدَمَ ﷺ.

أَوْجَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْعَدَمِ، وَرَبَّاهُ بِالنَّعَمِ، وَرَكَّبَ فِيهِ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ  
وَالْعَقْلَ، وَعَلَّمَهُ الْعِلْمَ، كَمَا عَلَّمَ سُبْحَانَهُ بَنِي آدَمَ مِنْ بَعْدِ أَبِيهِمْ ﷺ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ  
بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ لَعَلَّكُمْ  
تَشْكُرُونَ ﴿[النحل: ٧٨].

خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ وَذُرِّيَّتَهُ وَهُوَ غَنِيٌّ عَنْهُمْ، وَهُمْ مُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، وَلَوْ لَمْ يَخْلُقْهُمْ لَمَا نَقَصَ ذَلِكَ فِي مُلْكِهِ شَيْئًا؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ غَنِيٌّ عَنْهُمْ، وَمَوْجُودٌ قَبْلَهُمْ، وَدَائِمٌ بَعْدَهُمْ ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ١-٣].

وَمِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، وَكَانَ ﷻ قَادِرًا عَلَى أَنْ يَقُولَ لِآدَمَ: كُنْ، فَيَكُونُ، وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَكْرَمُهُ، فَخَلَقَهُ بِيَدَيْهِ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْجَدَ لَهُ مَلَائِكَتُهُ، فَأَيُّ تَكْرِيمٍ حَظِيَ بِهِ آدَمُ ﷺ مِنْ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ، وَحَظِيَّتْ بِهِ ذُرِّيَّتُهُ؟! وَأَيُّ شُكْرِ يَجِبُ عَلَى بَنِي آدَمَ تَجَاهَ خَالِقِهِمْ، وَرَازِقِهِمْ، وَالْمُتَفَضِّلِ عَلَيْهِمْ جَلٍّ فِي عِلَالِهِ؟!

وَنِعْمَةٌ أُخْرَى عَظِيمَةٌ اخْتَصَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا مَنْ آمَنَ بِالْإِسْلَامِ، وَالتَزَمَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَهِيَ نِعْمَةٌ مَعْرِفَةٌ هَذَا الْغَيْبِ الَّذِي مَا حَضَرْنَاهُ، وَلَا عِشْنَاهُ -أَعْنِي: أَصْلَ الْبَشَرِ، وَخَلَقَ آدَمَ وَمَا جَرَى عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا إِلَى أَنْ مَاتَ، وَمَصِيرُهُ بَعْدَ الْمَوْتِ- وَتِلْكَ وَاللَّهُ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ حُرِمَهَا أَكْثَرُ الْبَشَرِ فِي هَذَا الْعَصْرِ.

فَأَقْوَامٌ مِنْهُمْ يَأْخُذُونَ هَذَا الْأَصْلَ الْعَظِيمَ، وَتِلْكَ الْقَضِيَّةَ الْخَطِيرَةَ مِنْ كُتُبِهِمُ الَّتِي طَالَتْهَا أَيْدِي التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ، حَتَّى كَانَ فِيهَا مِنْ أَخْبَارِ آدَمَ وَالْأَنْبِيَاءِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ مَا لَا يَلِيقُ بِصَالِحِي الْبَشَرِ، فَكَيْفَ بِالْأَنْبِيَاءِ ﷺ؟! بَلْ تَحْوِي طَعْنًا فِي اللَّهِ ﷻ، وَاعْتِدَاءً عَلَى رُبُوبِيَّتِهِ وَالْوَهَيْتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، كَمَا فِي تَوْرَةِ الْيَهُودِ الْمُحَرَّفَةِ!!

وَأَقْوَامٌ آخَرُونَ أَضْنَاهُمْ الْبَحْثُ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ، وَقَلَّبُوا فِيهَا كُتُبَ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ وَالْمُلْحِدِينَ، وَأَضَاعُوا أَعْمَارَهُمْ فِي ذَلِكَ، وَمَا تَوَصَّلُوا إِلَّا إِلَى

الظُّنُونِ الْفَاسِدَةِ، وَالْأَوْهَامِ الْكَاسِدَةِ الَّتِي لَا تُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا، فَحَكُوا أَنَّ  
الْإِنْسَانَ وَجَدَ صُدْقَةً، وَأَنَّهُ مُتَطَوِّرٌ مِنْ طِفْلِيٍّ إِلَى حَشْرَةٍ إِلَى حَيَوَانٍ صَغِيرٍ إِلَى  
أَكْبَرَ مِنْهُ حَتَّى صَارَ قِرْدًا، ثُمَّ إِنْسَانًا سَوِيًّا، وَسَيَظَلُّ فِي تَطَوُّرِهِ إِلَى أَنْ يُصْبِحَ إِنْسَانًا  
طَائِرًا عِنْدَهُ قُدْرَاتٌ خَارِقَةٌ!!

وَمَا يُعْرَضُ عَلَى أَطْفَالِنَا فِي بَعْضِ الرُّسُومِ الْمُتَحَرِّكَةِ يَنْبُعُ مِنْ تِلْكَ النَّظَرِيَّاتِ  
الْإِلْحَادِيَّةِ الَّتِي تُنْكِرُ وُجُودَ الْخَالِقِ ﷻ (١٠).

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ: مَا انْتَشَرَ عِنْدَ دَارِسِي الْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ عَنِ الْإِنْسَانِ الْبَدَائِيِّ  
الَّذِي صَوَّرُوهُ بِأَنَّهُ مُتَوَحِّشٌ لَا يَتَكَلَّمُ، وَلَا يَسْتُرُ أَكْثَرَ جَسَدِهِ، وَيَحْمِلُ عَصًا  
غَلِيظَةً، وَيَعِيشُ مَعَ الْوَحْشِ .. إِلَى آخِرِ ذَلِكَ مِنَ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ، فَهَلْ كَانَ  
أَبُونَا آدَمَ ﷺ وَأَبْنَاؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ كَمَا صَوَّرَ هَؤُلَاءِ الْمَلَاحِدَةُ!؟

إِنَّ أَبَانَا آدَمَ ﷺ قَدْ أَهْبِطَ إِلَى الْأَرْضِ وَهُوَ مُتَكَلِّمٌ عَالِمٌ نَبِيٌّ، أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى  
إِلَيْهِ، وَعَلَّمَهُ عِلْمًا لَا يَعْلَمُهُ الْمَلَائِكَةُ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ لِبَاسًا يُوَارِي جَسَدَهُ،  
وَعَاشَ ﷺ عِيشَةَ الْأَنْبِيَاءِ الْمُكْرَمِينَ، يَعْبُدُ اللَّهُ تَعَالَى لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَيَعْلَمُ  
بِنَبِيِّهِ أَحْكَامَ دِينِهِمْ، وَعَلَاقَتَهُمْ بِرَبِّهِمْ ﷻ.

وَقَدْ عَرَفْنَا فِيمَا مَضَى مِنْ حَدِيثِ قِصَّتِهِ ﷺ مِنْ بَدَايَةِ خَلْقِهِ إِلَى وَفَاتِهِ مِنْ  
خِلَالِ الْكِتَابِ وَصَحِيحِ الشُّنَّةِ، فَهَلْ مَا عَرَفْنَاهُ يَتَوَافَقُ مَعَ مَا يَتَنَاقَلُهُ مَنْ يُسَمُّونَ  
بِعُلَمَاءِ الْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَالْبَاحِثِينَ فِي أَصْلِ الْإِنْسَانِ وَبَدَايَتِهِ وَنَهَايَتِهِ!؟

إِنَّ مَعْرِفَةَ أَصْلِ الْبَشَرِ وَنَهَايَتِهِمْ نِعْمَةٌ أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا عَلَيْنَا؛ فَهَذَا  
لِلْمَصَادِرِ الصَّحِيحَةِ الَّتِي كَشَفَتْ لَنَا عِلْمَ ذَلِكَ، وَقَدْ ضَلَّ عَنْهُ أَكْثَرُ الْبَشَرِ، وَهَذَا  
يُوجِبُ عَلَيْنَا شُكْرَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ، وَالتَّمَسُّكِ بِدِينِنَا، وَتَعْظِيمِ

(١٠) وذلك مثل برامج الأطفال المنقولة إلى العربية وأصلها أجنبية «سبرمان، باتمان» ونحوها.

نُصُوصِنَا، وَالْأَخَذَ بِهَا، وَبِنَاءٍ مَنَاهِجِنَا عَلَيْهَا، وَتَعْلِيمَهَا أَوْلَادَنَا، وَعَدَمَ التَّفْرِيطِ فِيهَا، أَوِ التَّنَازُلِ عَنْ شَيْءٍ مِنْهَا، مَهْمَا قَالَ الْمُحَذِّلُونَ، وَأَرْجَفَ الْمُرْجِفُونَ؛ فَلَا حَقَّ يُعْلَمُ يَقِينًا أَنَّهُ حَقٌّ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَّا مَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، أَوْ وَافَقَهُمَا وَلَمْ يُعَارِضْهُمَا، وَمَا عَارِضُهُمَا فَهُوَ الْبَاطِلُ وَالْجَهْلُ وَالضَّلَالُ، فَهَلْ يَسْتَبْدِلُ عَاقِلٌ الْيَقِينَ بِالْأَوْهَامِ، وَالْعِلْمَ بِالْجَهْلِ، وَالْهُدَى بِالضَّلَالِ؟! لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ طُمِسَتْ بَصِيرَتُهُ، وَزَاغَ قَلْبُهُ، وَعَمِيَ عَنْ سَبِيلِ الْهُدَى وَالرَّشَادِ.

أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - وَخُذُوا مِنْ قِصَّةِ أَبِيكُمْ آدَمَ ﷺ الْعِظَةَ وَالْعِبْرَةَ، وَاشْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى عَلَى نِعَمِهِ، وَتَزَوَّدُوا مِنْ حَيَاتِكُمْ لِمَوْتِكُمْ، وَمِنْ شَبَابِكُمْ لِهَرَمِكُمْ، وَمِنْ صِحَّتِكُمْ لِسَقَمِكُمْ؛ فَإِنَّ الْأَيَّامَ تَمْضِي سِرَاعًا كَمَا قَدْ خَلَتْ الْقُرُونُ الَّتِي كَانَتْ قَبْلَكُمْ، وَمَا بَقِيَ لَهُمْ إِلَّا عَمَلُهُمْ كَمَا لَا يَبْقَى لَكُمْ إِلَّا عَمَلُكُمْ، وَقَدْ عَاشَ أَبُوكُمْ آدَمُ ﷺ أَلْفَ سَنَةٍ<sup>(١١)</sup>، وَمَضَتْ فَمَضَى، وَسَتَمْضِي أَعْمَارُكُمْ كَمَا مَضَتْ أَعْمَارُ مَنْ كَانُوا قَبْلَكُمْ.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[البقرة: ١٤١].

وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ رَبُّكُمْ ...



(١١) دليل ذلك ما جاء في بعض روايات حديث أبي هريرة رضي الله عنه المخرج في حاشية (٦) وفيه: فقال آدم ﷺ لما جاء ملك الموت لقبضه: «قد عجلت قد كتب لي ألف سنة ... الحديث» وهذه الرواية للترمذي (٣٣٦٨)، وصححها ابن حبان (٦١٦٧)، والحاكم، وقال: على شرط مسلم ووافقه الذهبي (٦٤/١).





## ٣٤٨- في قصة موسى وفرعون

٨/١/١٤١٥هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ؛ بِيَدِهِ الْأَمْرُ، وَمِنْ عِنْدِهِ النَّصْرُ، أَحْمَدُهُ وَأَشْكُرُهُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ  
وَأَسْتَغْفِرُهُ، يَنْصُرُ أَوْلِيَاءَهُ، وَيَكْبِتُ أَعْدَاءَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ  
لَا شَرِيكَ لَهُ؛ يُمْلِي لِلظَّالِمِينَ، وَيُمْهِلُ الطَّاعِينَ، حَتَّى إِذَا أَخَذَهُمْ لَمْ يُفْلِتْهُمْ، إِنَّ  
أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، سَعِدْتُ بِبَعْثِهِ الْأُمَمَ،  
وَعَظَّمْتُ بِهِ الْإِيمَانَ، فَكَانَ لِلْبَشَرِيَّةِ أَكْبَرُ نِعْمَةٍ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى  
آلِهِ وَأَصْحَابِهِ؛ أَجَابُوا الدَّاعِيَ، فَنَصَرُوا الدِّينَ، وَجَاهَدُوا حَتَّى أَتَاهُمُ الْيَقِينُ،  
وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ -أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ- حَقَّ التَّقْوَى.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ: كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى نُورٌ وَهُدًى، وَمَوْعِظَةٌ وَشِفَاءٌ، فِيهِ نَبَأُ مَا  
قَبْلَنَا، وَخَبَرُ مَا بَعْدَنَا، وَحُكْمٌ مَا بَيْنَنَا. عَقِيدَةٌ وَتَوْحِيدٌ، وَأَحْكَامٌ وَتَشْرِيعٌ،  
وَقَصَصٌ وَأَخْبَارٌ، وَمَوَاعِظُ وَأَذْكَارٌ ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ  
مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

وَفِي قِصَّةٍ مِنْ أَعْظَمِ الْقَصَصِ، وَمَوْعِظَةٍ مِنْ أَبْلَغِ الْمَوَاعِظِ، تَكَرَّرَتْ فِي كِتَابِ  
اللَّهِ تَعَالَى كَثِيرًا، مُخْتَصِرَةً وَمُفَصَّلَةً، أَفَاضَتْ سُورٌ فِي سَرْدِ أَحْدَاثِهَا، وَاقْتَصَرَتْ  
سُورٌ أُخْرَى عَلَى الْإِشَارَةِ إِلَيْهَا، تَحْكِي تِلْكَ الْقِصَّةَ مَا جَرَى لِنَبِيِّ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ  
تَعَالَى مَعَ طَاغُوتٍ مِنْ طَوَاغِيتِ الْأَرْضِ، وَشَيْطَانٍ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ.

إِنَّهَا قِصَّةُ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ   مَعَ فِرْعَوْنَ -عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مَا يَسْتَحِقُّ-  
فِرْعَوْنُ الَّذِي طَغَى وَتَجَبَّرَ؛ ظَلَمَ الْعِبَادَ، وَكَفَرَ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَادَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ.

فِرْعَوْنُ الَّذِي لَمَّا عَلِمَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام أَخْبَرَ أَنَّ قَتْلَ مَلِكٍ مِصْرَ سَيَكُونُ عَلَى يَدِ وَاحِدٍ مِنْ صُلْبِهِ، أَمَرَ بِقَتْلِ ذُكُورِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كُلِّهِمْ؛ اخْتِرَازًا مِنْ ذَلِكَ<sup>(١)</sup>.

فِرْعَوْنُ الَّذِي كَانَ يُرْسِلُ النِّسَاءَ يَدْرَنَ عَلَى بُيُوتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَمَنْ رَأَيْنَ عَلَيْهَا آثَارَ الْحَمْلِ؛ رَصَدْنَ أَسْمَهَا حَتَّى يَنْظُرْنَ مَاذَا تَضَعُ، فَإِنْ كَانَ ذَكَرًا وَجَبَ ذَبْحُهُ بِأَمْرِ فِرْعَوْنِ<sup>(٢)</sup>، ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْهُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَذِخُّ أُنْيَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصاص: ٤].

فِرْعَوْنُ الَّذِي شَرَّدَ مُوسَى عليه السلام بِسَبَبِهِ، وَاعْتَرَبَ خَوْفًا مِنْ بَطْشِهِ، وَذَاقَ أَلَمَ الْجُوعِ وَالْحَرَمَانِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: «سَارَ مُوسَى مِنْ مِصْرَ إِلَى مَدْيَنَ لَيْسَ لَهُ طَعَامٌ إِلَّا الْبَقْلُ وَوَرَقُ الشَّجَرِ، وَكَانَ حَافِيًا، فَمَا وَصَلَ إِلَى مَدْيَنَ حَتَّى سَقَطَتْ نَعْلُ قَدَمَيْهِ -أَي: جِلْدُ قَدَمَيْهِ- وَجَلَسَ فِي الظِّلِّ وَهُوَ صَفْوَةُ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ خَلْقِهِ، وَإِنَّ بَطْنَهُ لِلْأَصِقِّ بِظَهْرِهِ مِنَ الْجُوعِ، وَإِنَّ خُضْرَةَ الْبَقْلِ لَتَرَى مِنْ دَاخِلِ جَوْفِهِ، وَإِنَّهُ لَمُحْتَاجٌ إِلَى شِقِّ تَمْرَةٍ»<sup>(٣)</sup>.

وَهَكَذَا يَفْعَلُ الطَّغَاةُ الْجَبَّارَةُ الْبَرَابِرَةُ بِعِبَادِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَوْلِيَائِهِ الصَّالِحِينَ. فِرْعَوْنُ الَّذِي سُجِّلَ فِي التَّارِيخِ بِصَفَحَاتٍ سَوْدَاءَ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ صَلَبَ النَّاسَ، وَقَطَعَ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلَ مِنْ خِلَافٍ، فِيمَا ذَكَرَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه<sup>(٤)</sup>، وَهَكَذَا يُسَجَّلُ فِي التَّارِيخِ كُلُّ جَبَّارٍ ظَالِمٍ بِسُوءِ عَمَلِهِ، حَتَّى يُبْغِضَهُ النَّاسُ وَيَذْكُرُوهُ بِسُوءٍ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ تَعَالَى: لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ تعالى أَنْ يُهْلِكَ فِرْعَوْنَ عَلَى يَدِ مُوسَى

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٨١).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٣٨١).

(٣) البداية والنهاية (١/٢٤٣).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٩/٢٣).

فَقَضَىٰ بِحُكْمَتِهِ أَنْ لَا تَظْهَرَ أَعْرَاضُ الْحَمْلِ وَأَنَارُهُ عَلَىٰ أُمِّهِ، حَتَّىٰ وَضَعَتْهُ، وَلَمَّا يَعْلَمُ بِهِ أَحَدٌ رَغَمَ الرَّقَابَةَ وَالتَّقْيِيشَ<sup>(٥)</sup>.

ثُمَّ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَىٰ إِلَيْهَا أَنْ تَجْعَلَهُ فِي تَابُوتٍ وَتُلْقِيَهُ فِي النَّهْرِ، فَفَعَلَتْ، فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ، وَشَفَعَتْ فِيهِ امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ أَلَّا يَقْتُلَهُ وَقَالَتْ: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذُهُ وَلَدًا﴾ [القصص: ٩]، فَقَضَى اللَّهُ تَعَالَىٰ بِحُكْمَتِهِ أَنْ يَتَرَبَّى مُوسَىٰ فِي قَصْرِ عَدُوِّهِ.

اِحْتِاجَ مُوسَىٰ إِلَى الرِّضَاعِ، فَأَحْضَرَتِ الْمَرَاضِعُ، لَكِنَّهُ لَمْ يَلْتَقِمْ ثَدْيَ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾ [القصص: ١٢]؛ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ ﷻ بِأُمِّهِ حَتَّىٰ يُرْجِعَهُ إِلَيْهَا، وَقَدْ تَوَجَّسَتْ خِيفَةً عَلَيْهِ ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَىٰ نَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [١٣] وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَانَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ [القصص: ١٣-١٤].

ثُمَّ خَرَجَ ﷻ مِنَ الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ بَعْدَ مَا قَتَلَ الْقَبِيضِيَّ بِسَبَبِ الْإِسْرَائِيلِيِّ الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ، خَرَجَ يُرَدِّدُ هَذَا الدُّعَاءَ: ﴿عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢].

وَسَقَى لِلْفَتَاتَيْنِ اللَّتَيْنِ تُرِيدَانِ أَنْ تَسْقِيَا وَلَا تَسْتَطِيعَانِ مُزَاحِمَةَ الرِّجَالِ، وَجَلَسَ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ لَا يَدْرِي أَيْنَ يَذْهَبُ، لَكِنَّهُ مُؤْمِنٌ بِرَبِّهِ تَعَالَىٰ، مُصَدِّقٌ بِوَعْدِهِ سُبْحَانَهُ، يُلْهَجُ بِهَذَا الدُّعَاءِ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، صَفْوَةُ الْخَلْقِ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ تَعَالَىٰ وَأَوَّلِيَاؤُهُ يُلَاقُونَ هَذَا فِي الدُّنْيَا؛ لِحَقَارَتِهَا، وَقِلَّةِ وَزْنِهَا عِنْدَ اللَّهِ ﷻ.

وَبَيْنَمَا مُوسَىٰ عَلَىٰ هَذَا الْحَالِ مِنَ الْإِفْتِقَارِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَىٰ جَاءَهُ الْفَرَجُ بِمَجِيءِ

إِحْدَى الْفَتَاتَيْنِ تَدْعُوهُ لِيَذْهَبَ مَعَهَا إِلَى أَبِيهَا لِيُعْطِيَهُ أَجْرَةَ سَقِيهِ لَهُمْ، وَسَارَ عَلَيْهِ  
أَمَامَهَا وَهِيَ تَدُلُّهُ عَلَى الطَّرِيقِ، فَإِذَا أَخْطَأَ حَذَفَتْ إِلَى الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ بِحَصَى  
حَتَّى يَعْلَمَهُ<sup>(٦)</sup>؛ وَذَلِكَ عِفَّةٌ مِنْهُ؛ لِئَلَّا يَنْظُرَ إِلَيْهَا وَهِيَ تَمْشِي، حَتَّى وَصَلَ إِلَى  
أَبِيهَا، فَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ، وَأَخْبَرَهُ بِخَوْفِهِ مِنْ بَطْشِ فِرْعَوْنَ، فَأَمَّنَهُ الرَّجُلُ  
الصَّالِحَ، وَقَالَ: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢٥].

ثُمَّ اسْتَأْجَرَهُ يَزْعَى الْغَنَمَ ثَمَانِيَةَ أَعوَامٍ أَوْ عَشْرَةَ عَلَى أَنْ يُزَوِّجَهُ إِحْدَى ابْنَتَيْهِ،  
فَفَعَلَ، وَقَضَى مُوسَى الْأَجَلَ، وَسَارَ بِأَهْلِهِ إِلَى بِلَادِهِ، وَأَثْنَاءَ مَسِيرِهِ ﴿عَاشَرَ مِنْ  
جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَصُوفٍ  
مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ (٢٦) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ  
الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوَسَّيْ إِنْتِ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٢٩-٣٠].

كَلَّمَهُ رَبُّهُ سُبْحَانَهُ مُبَاشَرَةً، فَأَيَّدَهُ بِالْمُعْجَزَاتِ، وَأُظْهِرَ لَهُ الْآيَاتِ، وَأَمَرَهُ أَنْ  
يَتَّجِهَ إِلَى فِرْعَوْنَ لِيَدْعُوهُ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَكِنَّ فِرْعَوْنَ كَفَرَ، كَمَا  
هِيَ عَادَةُ الطُّغَاةِ الْمُتَجَبِّرِينَ، وَالظُّلَمَةِ الْمُتَكَبِّرِينَ، قَالَ: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾  
[الشعراء: ٢٣] مُسْتَنْكِرًا، وَعَنْ تَوْحِيدِ رَبِّهِ مُسْتَكْبِرًا ﴿وَحَدِّثُوا بِهَا وَأَسْتَفْتِنَهَا أَنْفُسَهُمْ  
ظُلُمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ  
كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ (٢٧) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ (٢٨) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٩)  
قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٣٠) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ  
تَقُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢٤-٢٨].

فَادَّعَى فِرْعَوْنَ الرُّبُوبِيَّةَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﷻ، وَجَنَحَ إِلَى التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ، فَقَالَ  
لِمُوسَى: ﴿لَئِنْ أَخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُودِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩]. وَخَطَبَ

النَّاسَ فَقَالَ: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النارعات: ٢٤]، وَقَالَ مُسْتَهْزِئًا: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَدُنْ عَلَى الْطِينِ فَأَجْعَلَ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطْلُعُ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨].

وَفِي مُحَاوَلَةٍ جَادَةٍ مِنْ مُوسَى ﷺ لِإِقْنَاعِهِ وَإِرْأَالَةِ كِبَرِيَّائِهِ وَتَعْيِيدِهِ لِلَّهِ تَعَالَى قَالَ: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾ ❸٠ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ❸١ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ❸٢ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ﴾ [الشعراء: ٣٠-٣٣]. وَلَكِنَّ عَادَةَ الْمُكَذِّبِينَ الْمُسْتَكْبِرِينَ لَمْ تُخْطِئْ فِرْعَوْنَ؛ فَأَعْرَضَ عَنِ الْآيَاتِ، وَاتَّهَمَ مُوسَى بِالسِّحْرِ، وَنَادَى فِي طُولِ الْبِلَادِ وَعَرْضِهَا يَتَّبِعِي السَّحْرَةَ كُلَّهُمْ لِمُقَارَعَةِ حُجَّةِ مُوسَى ﷺ، وَمِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى الْبَالِغَةِ لِيُظْهِرَ الْحَقُّ أَمَامَ النَّاسِ كُلِّهِمْ قَالُوا لِمُوسَى: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ سِحْرٌ مِثْلُهُ فَأَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾ ❸٣ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحَشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ [طه: ٥٨-٥٩]، فَالْمَوْعِدُ لِلْمُقَارَعَةِ وَالْمُنَاطَرَةِ هُوَ يَوْمُ الزَّيْنَةِ، وَهُوَ يَوْمٌ عِيدٌ عِنْدَهُمْ حَتَّى يَجْتَمِعُوا وَيَنْظُرُوا.

اجْتَمَعَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ؛ لِيَنْظُرُوا الْكَاذِبَ مِنَ الصَّادِقِ، قَالَ السَّحْرَةُ: ﴿يَلْمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ ❸٤ قَالَ أَلْقُوا﴾ [طه: ٦٥-٦٦]، وَإِنَّمَا طَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يُلْقُوا أَوَّلًا؛ حَتَّى يَرَى النَّاسُ صَنِيعَهُمْ وَسِحْرَهُمْ، ثُمَّ يُلْقِي عَصَاهُ لِيَذْخَصَ حُجَّتَهُمْ، وَيُثَبِّتَ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ لَيْسَ سِحْرًا (٧).

﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَهْبَهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦]، عِنْدَ ذَلِكَ أَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى، وَخَشِيَ أَنْ يُفْتَنَ النَّاسُ بِعَمَلِ السَّحْرَةِ،

وَفِي هَذِهِ السَّاعَةِ الْعَصِيَّةِ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى ﴿أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَعُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ [الأعراف: ١١٧-١١٩].

وَلِأَنَّ السَّحْرَةَ يَعْرِفُونَ حَقِيقَةَ السَّحْرِ وَمَاهِيَّتَهُ، وَأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ مُوسَى ﷺ لَيْسَ سِحْرًا، وَإِنَّمَا آيَةٌ بَيِّنَةٌ عَلَى صِدْقِهِ، فَإِنَّهُمْ آمَنُوا بِمُوسَى وَصَدَّقُوهُ ﴿وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ﴾ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا ءَأَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿[الأعراف: ١٢٠-١٢٢].

وَلِأَنَّ فِرْعَوْنَ لَيْسَ طَالِبًا لِلْحَقِّ، وَلَا مُتَحَرِّيًا لِلصِّدْقِ؛ فَقَدْ رَمَى السَّحْرَةَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا قَبْلَ أَنْ يَأْذَنَ لَهُمْ، وَهَكَذَا أَعْدَاءُ الدِّينِ فِي الْحَاضِرِ وَالْعَائِرِ مِنَ الْجَبَابِرَةِ الْمُتَكَبِّرِينَ، يَظُنُّونَ أَنَّهُ لَا بُدَّ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَخْذِ إِذْنِهِمْ، وَالْحُصُولِ عَلَى مُوَافَقَتِهِمْ ﴿قَالَ ءَأَمَنْتُمْ لَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَأْذَنَ لَكُمْ إِنَّهُمْ لَكَايِرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطِعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّحْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ [طه: ٧١].

وَلَكِنَّ الْإِيمَانَ الَّذِي خَالَطَ قُلُوبَهُمْ، وَسَمَتْ بِهِ نَفُوسُهُمْ، وَقَفَّ حَاجِرًا مَتِينًا أَمَامَ هَذِهِ التَّهْدِيدَاتِ، وَقَوَّاهُمْ لِمُوَاجَهَةِ الْإِبْتِلَاءَاتِ ﴿قَالُوا لَا صَبْرٌ لَنَا إِلَى رَبِّنَا مَنِيعُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿[الشعراء: ٥٠-٥١].

وَبَعْدَ ظُهُورِ الْحَقِّ، وَزُهُوقِ الْبَاطِلِ، وَاشْتِدَادِ الْبَلَاءِ بِالْمُؤْمِنِينَ، أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِلَيْكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾ [الشعراء: ٥٢]، فَحَشَدَ فِرْعَوْنَ جُنُودَهُ وَعَسَاكِرَهُ لِلْحَاقِ بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْبَطْشِ بِهِمْ.

إِنَّهَا هِجْرَةُ مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ، وَالْفِرَارُ مِنْ ظُلْمِ فِرْعَوْنَ وَجُنْدِهِ، وَلَكِنَّ الظَّالِمَ يَبْحَثُ عَنْ مَضْرَعِهِ فَأَبَى إِلَّا اللِّحَاقَ بِهِمْ لِاسْتِصْصَالِهِمْ، فَكَانَ الْبَحْرُ حَاجِرًا لِمُوسَى وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ عَنْ مُوَاصَلَةِ الْمَسِيرِ، وَكَانَ مَوْقِفَ شِدَّةِ وَبَلَاءٍ، لَا يَثْبُتُ

فِيهِ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ، يَتَجَلَّى التَّوَكُّلُ فِيهِ فِي أَحْسَنِ صُورِهِ، وَيُظْهَرُ الْيَقِينُ فِي أَبْهَى حُلَلِهِ، فَالْبَحْرُ أَمَامَهُمْ، وَفِرْعَوْنُ وَجُنْدُهُ وَرَاءَهُمْ، وَيَكَادُونَ الْوُصُولَ إِلَيْهِمْ، وَبَلَغَ الْخَوْفُ مِنْ قَوْمِ مُوسَى مَبْلَغَهُ، حَتَّى قَالُوا لِمُوسَى: ﴿إِنَّا لَمَذْكُورُونَ﴾ [الشعراء: ٦١]، فَأَجَابَهُمْ ﷺ: إجابةَ الْمُؤْمِنِ بِرَبِّهِ، الْمُصَدِّقِ بِوَعْدِهِ ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]، فَتَنَزَّلُ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَأْتِيهِمُ الْفَرَجُ بَعْدَ طُولِ صَبْرٍ، وَتَزُولُ الشَّدَّةُ، وَيَذْهَبُ الْكَرْبُ، فَتُحَقِّقُ الْمُعْجِزَةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى يَدِ مُوسَى، وَتَحَقُّ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [١٣] وَآزَلَفْنَا نَمَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ ﴿١٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص: ٦٣-٦٨].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ...



### الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَا وَقَهَرَ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِقَدَرٍ، أَحْمَدُهُ وَأَشْكُرُهُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، كَتَبَ النَّصْرَ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَأَذَالَ عَلَى الْكَافِرِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى وَأَطِيعُوهُ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: خَبَرَ مُوسَى مَعَ فِرْعَوْنَ مَلِيٍّ بِالْعَبْرِ، جَدِيرٍ بِالتَّأْمُلِ، وَالْقُرْآنِ بِعِبَارَتِهِ وَبِلَاغَتِهِ وَأُسْلُوبِهِ فَاقَ كُلَّ عِبَارَةٍ وَبِلَاغَةٍ وَأُسْلُوبٍ، فَهَلْ يَحْصُلُ مِنَّا الْيَقَاتَةُ

تَأْمَلِ وَنَظَرٍ فِي هَذِهِ الْحَادِثَةِ الْعَظِيمَةِ، فَتَقْرَأُهَا بِتَدْبِيرٍ فِي سُورِ: الْأَعْرَافِ، وَيُونُسَ، وَطه، وَالشُّعْرَاءِ، وَالنَّمْلِ، وَالْقَصَصِ، وَغَافِرٍ، وَالزُّحُرْفِ، وَالنَّازِعَاتِ، فَلَنْ نَجِدَ أَجْمَلَ مِنْ عَرْضِ الْقُرْآنِ لِهَذِهِ الْقِصَّةِ الْعَظِيمَةِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُؤْمِنُونَ: وَشُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ حِينَ نَجَّى مُوسَى وَالْمُؤْمِنِينَ، وَأَغْرَقَ فِرْعَوْنَ وَالْكَافِرِينَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَجَدَ الْيَهُودَ تَصُومُ عَاشُورَاءَ، فَسَأَلَهُمْ، فَقَالُوا: هَذَا الْيَوْمَ الَّذِي ظَفَرَ فِيهِ مُوسَى عَلَى فِرْعَوْنَ، فَقَالَ: «نَحْنُ أَوْلَى بِمُوسَى مِنْهُمْ، فَصُومُوهُ» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما (٨).

وَفِي حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه: «وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ» (٩).

فَصُومُوهُ رَحِمَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى؛ تَحْصِيلًا لِلْأَجْرِ، وَشُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى النَّصْرِ، وَصُومُوا التَّاسِعَ مَعَ الْعَاشِرِ؛ مُخَالَفَةً لِلْيَهُودِ، وَمُوَافَقَةً لِلسَّنَةِ. ثُمَّ صَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى الرَّحْمَةِ الْمُهْدَاةِ وَالنِّعْمَةِ الْمُسَدَّاةِ ..



(٨) أخرجه البخاري في التفسير، باب ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِيَادِي فَأَضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ ٧٧ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ يَمْجُودُهُ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ﴿٧٩﴾ [طه: ٧٧-٧٩] (٤٤٦٠)، ومسلم في الصيام، باب صوم يوم عاشوراء (١١٣٠).

(٩) أخرجه مسلم في الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس (١١٦٢).



## ٣٤٩- الكليم ﷺ (١)

## الولادة والنشأة والهجرة

١٤٢٨/١/٧ هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّهُ  
 اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ٧٥-٧٦، نَحْمَدُهُ كَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُحْمَدَ، وَنَشْكُرُهُ فَقَدْ تَأَذَّنَ بِالزِّيَادَةِ لِمَنْ  
 شَكَرَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ عَظِيمٌ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ،  
 حَكِيمٌ فِي أَفْعَالِهِ وَقَضَائِهِ، عَدْلٌ فِي أَحْكَامِهِ وَعُقُوبَاتِهِ، رَحِيمٌ بِعِبَادِهِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ  
 مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ اصْطَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ بَيْنِ الْبَشَرِ، وَجَعَلَهُ إِمَامَ الرُّسُلِ،  
 وَصَرَفَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ شَتَمَ قُرَيْشٍ وَأَذَاهُمْ، قَالَ ﷺ: «أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ  
 يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي شَتَمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ، يَشْتُمُونَ مُذَمَّمًا وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا وَأَنَا  
 مُحَمَّدٌ»<sup>(١)</sup>، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَاتَّبَاعِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.  
 أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى وَأَطِيعُوهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ كُلَّ عَامٍ يَمْضِي إِنَّمَا يَمْضِي  
 مِنْ أَعْمَارِكُمْ، وَأَنَّ كُلَّ عَامٍ يَأْتِي إِنَّمَا يُقَرِّبُكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ، فَاعْمَلُوا فِي دُنْيَاكُمْ  
 لِآخِرَتِكُمْ، وَفِي حَيَاتِكُمْ لِمَوْتِكُمْ ﴿وَتَكْرَدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي  
 الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

أَيُّهَا النَّاسُ: يَتَفَاضَلُ الْبَشَرُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ بِقَدْرِ صَلَاحِ قُلُوبِهِمْ، وَزَكَاءِ  
 أَعْمَالِهِمْ، وَقُرْبِهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَإِخْلَاصِ الدِّينِ لَهُ وَحْدَهُ ﷻ، وَكُلُّ

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة ؓ: البخاري في المناقب، باب ما جاء في أسماء

مَا فِيهِمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْهُدَى، وَالصَّلَاحِ وَالتَّقَى إِنَّمَا هُوَ مَحْضُ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ، فَهُوَ الَّذِي هَدَاهُمْ وَاجْتَبَاهُمْ.

وَقَدْ اخْتَصَّ سُبْحَانَهُ بَعْضَ الْبَشَرِ بِمَنَازِلَ وَمَقَامَاتٍ لَا تُكْتَسَبُ، إِنَّ هِيَ إِلَّا مَحْضُ اضْطِفَاءٍ مِنْهُ سُبْحَانَهُ؛ كَمَا اخْتَصَّ الْأَنْبِيَاءُ بِالنُّبُوَّةِ، وَالرُّسُلَ بِالرِّسَالَةِ، وَفَضَّلَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَأُولُو الْعِزِّ مِنَ الرُّسُلِ ﷺ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ أَفْضَلُ أُولَى الْعِزِّ.

وَالرُّسُلُ ﷺ هُمْ قُدُوةُ الْبَشَرِ، وَهُمْ هِدَايَةُ الْخَلْقِ، وَهُمْ الْوَاسِطَةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، يُنَزَّلُ عَلَيْهِمْ كُتُبُهُ، وَيُشْرَعُ لَهُمْ شَرَائِعُهُ، وَيَهْدِيهِمْ صِرَاطُهُ الْمُسْتَقِيمَ. وَالرُّسُلُ ﷺ يُبَلِّغُونَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى رِسَالَاتِهِ، وَيَهْدُونَ النَّاسَ لِشَرِيعَتِهِ، فَوَجَبَ عَلَى الْبَشَرِ تَضَدِيقُهُمْ وَالْإِيمَانُ بِهِمْ، وَاتِّبَاعُهُمْ وَطَاعَتُهُمْ، وَمَحَبَّتُهُمْ فِي اللَّهِ تَعَالَى.

وَمَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا أُوْذِيَ فِي اللَّهِ تَعَالَى، وَنَالَهُ مِنْ عَظِيمِ الْإِبتِلَاءِ مَا نَالَهُ، وَابْتُلِيَ بِهِ قَوْمُهُ، فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ، وَالْمُؤْمِنُ لَهُ إِيمَانُهُ، وَالْكَافِرُ عَلَيْهِ كُفْرُهُ.

وَمِنْ أَشْهُرِ الرُّسُلِ ذِكْرًا، وَمِنْ أَكْثَرِهِمْ ابْتِلَاءٌ: كَلِيمُ اللَّهِ تَعَالَى مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ ﷺ؛ فَقَدْ ابْتُلِيَ بِأَشْهَرِ طَاغِيَةِ عَبْدَ النَّاسِ لِنَفْسِهِ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى، وَكَانَ ابْتِلَاءُ قَوْمِ مُوسَى بِهَذَا الطَّاغُوتِ قَبْلَ وَلَادَةِ مُوسَى ﷺ؛ إِذْ كَانَ يُقْتَلُ أَبْنَاءُهُمْ، وَيَسْتَبْقَى نِسَاءُهُمْ، بِسَبَبِ مَا عَلِمَهُ مِنْ أَنَّ زَوَالَ مُلْكِ الْفِرَاعِنَةِ سَيَكُونُ عَلَى يَدِ وَاحِدٍ مِمَّنْ يَسْتَضِعُّهُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَمَعَنَ فِي قَتْلِ أَبْنَائِهِمْ حَتَّى كَانَ جُنْدُهُ يُحْصُونَ الْحَوَامِلَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِقَتْلِ مَنْ يُولَدُ مِنَ الْأَبْنَاءِ، وَاسْتِيقَاءِ مَنْ يُولَدُ مِنَ الْبَنَاتِ.

عَظُمَ بِذَلِكَ كَرْبُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَاشْتَدَّتْ مُحِثَّتُهُمْ، وَكَمْ مِنْ أَبَوَيْنِ بَكِيَا ابْنًا أَوْ أَبْنَاءَ لَهُمَا، لَا لِشَيْءٍ إِلَّا اخْتِيَاظًا لِمُلْكِ فِرْعَوْنَ وَجُنْدِهِ ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدْبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانَتْ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الْقَصَصُ: ٤٤].

لَقَدْ كَانَ هَذَا مِنَ الْبَلَاءِ الْعَظِيمِ الَّذِي أُصِيبَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَكَانَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ وَمِنْهُ سُبْحَانَهُ أَنْ نَجَاهُمْ مِنْ ذَلِكَ بِعَنْتَةِ مُوسَى ﷺ ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِمَّنْ رَزَّيْكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٩].

وَكَادَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَنْ تَفْنَى وَهُمْ الْمُسَخَّرُونَ فِي خِدْمَةِ فِرْعَوْنَ وَجُنْدِهِ، فَأَمَرَ فِرْعَوْنَ بِإِبْقَاءِ أَبْنَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَنَةً، وَقَتْلِهِمْ سَنَةً أُخْرَى، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى طُغْيَانِهِ وَعُتُوِّهِ، وَإِلَّا فَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ الْغُلَامَ الَّذِي يُهَدَّدُ مُلْكُهُ قَدْ يُولَدُ فِي عَامِ الْإِسْتِيقَاءِ (٢).

وَيُقَدَّرُ اللَّهُ ﷻ أَنْ يُولَدَ هَارُونُ ﷺ فِي سَنَةِ الْإِسْتِيقَاءِ، وَحَمَلَتْ أُمُّهُ بِمُوسَى ﷺ فِي سَنَةِ الْقَتْلِ، فَعَظُمَ بِهِ كَرْبُهَا، وَازْدَادَ هَمُّهَا، وَعَزَمَتْ عَلَى إِخْفَاءِ حَمْلِهَا، فَاحْتَاطَتْ حَتَّى أَنْ وَضَعَهُ، فَوَضَعَتْهُ عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ مِنْ عُيُونِ فِرْعَوْنَ وَجُنْدِهِ، فَالْقَى اللَّهُ تَعَالَى فِي رُوعِهَا أَنْ تُخْفِيَهُ فِي تَابُوتٍ وَتَضَعَهُ فِي النِّيلِ، وَكَانَتْ دَارَهَا عَلَى سَاحِلِهِ.

فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَمْضِيَ قَضَاؤُهُ، وَأَنْ يَنْفُذَ أَمْرَهُ، وَأَنْ يَتَرَبَّى مُوسَى فِي بَيْتِ عَدُوِّهِ؛ وَضَعَتْهُ فِي التَّابُوتِ، وَأَرْسَلَتْهُ فِي النَّهْرِ، فَمَضَى التَّابُوتُ فِي الْمَاءِ

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١/ ٢٧٣)، وتفسير البغوي (١/ ٧٠)، وتفسير ابن عطية (٤/ ٢٧٦)،

وتفسير ابن كثير (٣/ ٣٨١).

إِلَى حَيْثُ يُرِيدُ اللَّهُ تَعَالَى <sup>(٣)</sup> ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَاعْلَمِيهِ فِي إِلِيمٍ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الْقَصَص: ٧]. فَكَانَ هَذَا الْحِفْظُ وَالرَّعَايَةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِمُوسَى ﷺ مِنْ أَعْظَمِ الْآيَاتِ وَالْمُعْجَزَاتِ، وَأَكْبَرِ الْبَشَارَاتِ لِأُمِّهِ ﷺ، وَلَا بَشَارَةَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا حِينَ بُشِّرَتْ بِأَنَّ ابْنَهَا سَيَكُونُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ.

وَقَدْ ائْتَنَّا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مُوسَى ﷺ بِهَذَا الْحِفْظِ وَالرَّعَايَةِ لَمَّا خَاطَبَهُ بِالرَّسَالَةِ ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ﴾ (٣٧) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي اللَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي إِلِيمٍ فَلْيَلْقِهِ إِلِيمٌ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَكَ﴾ [طه: ٣٨-٣٩].

وَمِنْ عَجِيبِ تَذْيِيرِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّ رِعَايَتَهُ سُبْحَانَهُ وَحِفْظَهُ وَعِنَايَتَهُ قَدْ أَحَاطَتْ بِمُوسَى ﷺ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ؛ فَأُمُّهُ ﷺ لَمَّا أَلْقَتْهُ فِي النَّيْلِ وَفَقَدَتْهُ اشْتَدَّ خَوْفُهَا عَلَيْهِ، وَحَزِنَتْ حُزْنًا شَدِيدًا، وَكَادَتْ أَنْ تَكْشِفَ سِرَّهَا، وَتُظْهِرَ لِعَدُوِّهَا أَمْرَ طِفْلِهَا، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ثَبَّتَهَا، وَرَبَطَ عَلَى قَلْبِهَا، وَهَذَا مِنْ عَظِيمِ رِعَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَهَا وَلَوْلَدِهَا ﷺ ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِحًا إِنْ كَادَتْ لِتُبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الْقَصَص: ١٠].

ثُمَّ إِنَّ مِنْ لُطْفِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَظِيمِ تَذْيِيرِهِ فِي ذَلِكَ: أَنَّ أَلْقَى الْمَحَبَّةَ عَلَى مُوسَى ﷺ وَهُوَ فِي الْمَهْدِ، فَمَا يَرَاهُ أَحَدٌ إِلَّا أَحَبَّهُ رَغْمًا عَنْهُ؛ لِيَقَعَ مَرَادُ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ حِفْظِهِ وَرِعَايَتِهِ فِي بَيْتِ عَدُوِّهِ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ سُبْحَانَهُ لِمُوسَى ﷺ فِي مَعْرِضِ مَنَّتِهِ عَلَيْهِ ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩].

وَكَانَ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ تَعَالَى: أَنْ يَظْفَرَ بِطِفْلِ النَّيْلِ أَفْرَادٌ مِنْ بَيْتِ فِرْعَوْنَ فَيَأْتُونَ بِهِ إِلَى زَوْجِهِ، وَكَانَتْ لَا تُنْجَبُ، وَهَذَا أَيْضًا مِنْ تَهَيِّئَةِ مَكَانٍ لِمُوسَى فِي بَيْتِ

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٣٨١)، وأضواء البيان (٤/ ١٠).

فِرْعَوْنَ، وَفِي قَلْبِ زَوْجَتِهِ؛ وَلَرَبَّمَا لَوْ كَانَ لَهَا وَلَدٌ مَا تَعَلَّقَتْ بِهِ هَذَا التَّعَلُّقَ. إِنَّهَا رَأَتْهُ فَأَحْبَبَتْهُ فَشَفَعَتْ فِيهِ لَدَى فِرْعَوْنَ وَخَاطَبَتْهُ قَائِلَةً: ﴿فُتِرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا نَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذُهُ وَلَدًا﴾ [الْقَصَص: ٩] إِنَّهَا تُجَادِلُ عَنْهُ، وَتَشْفَعُ فِيهِ، وَتُحَاوِرُ فِرْعَوْنَ لِأَجْلِهِ، وَهِيَ وَفِرْعَوْنُ لَا يَعْلَمَانِ إِرَادَةَ اللَّهِ تَعَالَى فِي هَذَا الْغُلَامِ، وَأَنَّ هَلَكَ فِرْعَوْنَ سَيَكُونُ عَلَى يَدَيْهِ، وَأَنَّ مُلْكَ الْفِرَاعِنَةِ سَيُؤْوِلُ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِسَبَبِهِ؛ وَلِلذَلِكَ عَقَّبَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ الْمُحَاوَرَةِ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الْقَصَص: ٩]؛ أَي: لَا يَعْلَمُونَ مَا حُبِّي لَهُمْ فِي هَذَا الْغُلَامِ الَّذِي يَتَحَاوَرَانِ فِيهِ.

وَقَدْ جَاءَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: «أَنَّ امْرَأَةً فِرْعَوْنَ لَمَّا قَالَتْ لَهُ: قُرَّةَ عَيْنٍ لِي وَلَكَ، قَالَ فِرْعَوْنُ: يَكُونُ لَكَ، فَأَمَّا لِي فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهِ، وَلَوْ أَقَرَّ فِرْعَوْنُ أَنَّ يَكُونُ قُرَّةَ عَيْنٍ لَهُ كَمَا أَقَرَّتْ امْرَأَتُهُ لَهْدَاهُ اللَّهُ تَعَالَى كَمَا هَدَاهَا، وَلَكِنْ حُرْمَةُ» (٤).

وَقَدْ انْتَفَعَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ بِمَقُولَتِهَا ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ إِذْ نَفَعَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، وَهَدَاهَا مِنَ الْكُفْرِ إِلَى الْإِيمَانِ عَلَى يَدَيْهِ، وَضَرَبَ سُبْحَانَهُ الْمَثَلَ بِإِيمَانِهَا فِي الْقُرْآنِ ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِخَنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبِخَنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التَّحْرِيم: ١١]. وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى الْعَظِيمِ يُعَلِّقُ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «بِأَنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ» (٥).

(٤) هذا جزء من حديث الفتون، عن ابن عباس رضي الله عنه: أخرجه النسائي في الكبرى (١١٣٢٦)، وأبو يعلى (٢٦١٨)، والطبري في تفسيره (٣٤/٢٠).

(٥) البداية والنهاية (٣٨/٢).

فَيَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ لَا يَنْطِقَ إِلَّا بِخَيْرٍ، وَمَا ضَرَّ فِرْعَوْنَ لَوْ سَكَتَ وَلَمْ يَنْطِقْ  
بِالسُّوءِ، وَلَكِنْ مَنْ كُتِبَ عَلَيْهِ الشَّقَاءُ أَصَابَتْهُ سِهَامُهُ، وَنَالَتهُ أَسَابُهُ.

وَكَمْ مِنْ أَبِي يُقَالُ لَهُ: هَذَا وَلَدُكَ يَنْفَعُكَ غَدًا فِي كِبَرِكَ، فَيَقُولُ: لَا،  
أَوْ لَا أَحْتَاجُ إِلَى نَفْعِهِمْ، فَيَجْري الله تَعَالَى حُكْمَهُ فِيهِمْ عَلَى مَا قَالَ آبُوهُمْ.

وَصَدَقَ اللهُ تَعَالَى وَعْدَهُ، وَمَكَّنَ لِعَبْدِهِ، وَأَوْفَى لِأَمِّ مُوسَى مَا وَعَدَهَا مِنْ رَدِّ  
وَلِيدِهَا عَلَيْهَا بَعْدَ أَنْ أَلْقَتْهُ فِي الْيَمِّ، فَجَاعَ الرَضِيعُ وَلَمْ يَلْتَقِمْ نَذِيًّا، وَلَمْ يَقْبَلْ  
طَعَامًا، وَلَا وَجَدُوا حِيلَةً لِإَرْضَاعِهِ، وَإِسْكَانِ جُوعِهِ، وَإِسْكَاتِ صِيَاحِهِ، وَكَانَ  
مِنْ فَلَاقِ أُمِّهِ عَلَيْهِ أَنْ أَرْسَلَتْ أُخْتَهُ تَلْتَمِسُ خَبْرَهُ، فَرَأَتْهُ يُدَارِ بِهِ عَلَى النِّسَاءِ لَعَلَّهُ  
يَقْبَلُ إِحْدَاهُنَّ فَيَرْضَعُ مِنْهَا، فَأَشَارَتْ عَلَيْهِمْ بِنَيْتِهَا وَأُمِّهَا، فَعَادَ الرَضِيعُ إِلَى  
حُضْنِ أُمِّهِ، وَالتَقَمَ ثَدْيِهَا، وَشَبَعَ مِنْ لَبَنِهَا، ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ  
جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿١١﴾ ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ  
بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا  
تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ١١-١٣].

وَقَدْ ائْتَنَ اللهُ تَعَالَى عَلَى مُوسَى ﷺ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ لَمَّا كَلَّمَهُ سُبْحَانَهُ  
فَقَالَ لَهُ: ﴿إِذْ تَتَذَكَّرُ أَنَّكَ فَتْلُ الْكَلِمَةِ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ  
عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ [طه: ٤٠].

عَاشَ مُوسَى ﷺ فِي قُصُورِ فِرْعَوْنَ يَأْكُلُ أَطْيَبَ الطَّعَامِ، وَيَلْبَسُ أَحْسَنَ  
اللباسِ، وَيَرْكَبُ أَفْضَلَ الْمَرَاقِبِ، وَيَتَمَتَّعُ بِمَا يَتَمَتَّعُ بِهِ أَبْنَاءُ الْمُلُوكِ، مُحْفُوظًا  
بِحِفْظِ اللهِ تَعَالَى وَعِنَايَتِهِ وَرِعَايَتِهِ، وَصَدَقَ سُبْحَانَهُ إِذْ خَاطَبَهُ بِقَوْلِهِ ﷺ: ﴿وَلِنُصْنَعَ  
عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩].

حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْفَتَى مَبْلَغَ الرِّجَالِ، وَاسْتَحْكَمَ خَلْقُهُ وَخُلُقُهُ، وَكَمَّلَ أَرْبَعِينَ

سَنَةً<sup>(٦)</sup>، بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولًا يُوحَى إِلَيْهِ مِنْ أَنْوَارِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالنُّبُوَّةِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الْقَصَص: ١٤]. وَبِذَٰلِكَ تَمَّتْ مَوْعِدَةُ اللَّهِ تَعَالَى لِأُمِّ مُوسَى عليها السلام حِينَ قَالَ لَهَا: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنْ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الْقَصَص: ٧].

وَهَيَّأَ اللَّهُ تَعَالَى لِمُوسَى عليه السلام أَسْبَابَ الْهَجْرَةِ مِنْ مِصْرَ إِلَى مَدْيَنَ بِسَبَبِ قَتْلِهِ لِلْقَبْطِيِّ الَّذِي اعْتَدَى عَلَى الْإِسْرَائِيلِيِّ، وَصَارَ بِسَبَبِهِ مَطْلُوبًا لَدَى فِرْعَوْنَ وَجُنْدِهِ ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَةِ هَٰذَا وَمِنَ عَدُوِّهِ فَاسْتَفْتَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَّىٰ أَرِيدُ أَنْ نَبْتَلِيكَ كَمَا فَنَّلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الْقَصَص: ١٥-١٩].

وَلَا يَزَالُ اللَّهُ تَعَالَى يَحُوطُهُ بِرِعَايَتِهِ وَعِنَايَتِهِ، وَيَحْفَظُهُ مِنْ مَكْرِ عَدُوِّهِ وَبَطْشِهِ؛ إِذْ سَخَّرَ لَهُ مَنْ يُخْبِرُهُ بِمَا عَزَمَ عَلَيْهِ قَوْمُ فِرْعَوْنَ مِنْ قَتْلِهِ، فَكَانَ ذَٰلِكَ سَبَبَ هِجْرَتِهِ ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمْوَسَّىٰ ابْنَ الْاَلَمَلَا يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الْقَصَص: ٢٠-٢١].

هَاجَرَ مُوسَى عليه السلام خَوْفًا مِنْ فِرْعَوْنَ وَبَطْشِهِ، وَلَيْسَ مَعَهُ طَعَامٌ وَلَا مَتَاعٌ،

(٦) تفسير البغوي (٣/٤٣٨)، وتفسير السعدي (١/٦١٣).

وَهَكَذَا الرُّسُلُ ﷺ تُبْتَلَى بِالْجُوعِ وَالسُّدَّةِ، وَالْفِرَاقِ وَالْهَجْرَةِ، كَمَا تُبْتَلَى بِظُلْمِ الظَّالِمِينَ، وَأَذَى الْمُشْرِكِينَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «سَارَ مُوسَى ﷺ مِنْ مِصْرَ إِلَى مَدْيَنَ لَيْسَ لَهُ طَعَامٌ إِلَّا الْبَقْلُ وَوَرَقَ الشَّجَرِ وَكَانَ حَافِيًا، فَمَا وَصَلَ إِلَى مَدْيَنَ حَتَّى سَقَطَتْ نَعْلُ قَدَمَيْهِ، وَجَلَسَ فِي الظِّلِّ وَهُوَ صَفْوَةُ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ، وَإِنَّ بَطْنَهُ لِلْأَصِقِّ بِظَهْرِهِ مِنَ الْجُوعِ، وَإِنَّ خُضْرَةَ الْبَقْلِ لَتَرَى مِنْ دَاخِلِ جَوْفِهِ، وَإِنَّهُ لَمُحْتَاجٌ إِلَى شِقِّ تَمْرَةٍ» (٧).

وَلَكِنَّهُ ﷺ كَانَ قَوِيَّ الْإِيمَانِ، مُتَوَجِّهًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، مُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ، وَاثِقًا بِهِ، لَا يَتَعَلَّقُ بِغَيْرِهِ، وَلَا يَسْأَلُ سِوَاهُ، فَهَيَّا اللَّهُ تَعَالَى لَهُ أَسْبَابَ الرِّعَايَةِ وَالْكَفَايَةِ فِي الْبَلَدِ الَّتِي قَدِمَ عَلَيْهَا، وَسَخَّرَ لَهُ عِبَادَةَ الصَّالِحِينَ، فِي قِصَّةِ الْفَتَاتَيْنِ اللَّتَيْنِ تَسْقِيَانِ ذَوْدَهُمَا فَأَعَانَهُمَا، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ عَمَلِهِ عِنْدَ ذَلِكَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ، وَزَوَاجِهِ مِنْ ابْنَتِهِ، وَهَكَذَا الرُّسُلُ ﷺ يَكْذُبُونَ وَيَكْذُحُونَ، وَيَعْتَرِبُونَ وَيُسْتَأْجِرُونَ؛ لِسَدِّ حَاجَاتِهِمُ الضَّرُورِيَّةَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ؛ كَمَا رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيضٍ لِأَهْلِ مَكَّةَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٨).

فَبَذَلَ الْأَسْبَابَ، وَكَسَبُ الْعَيْشِ، وَالتَّعَفُّفُ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ مِنْ شَيْمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ﷺ، وَكَلِيمُ اللَّهِ مُوسَى ﷺ أَجَرَ نَفْسَهُ لِحَدَمَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ، وَرَعَى غَنَمَهُ عَقْدًا كَامِلًا مِنْ عُمُرِهِ؛ لِيَتَزَوَّجَ الصَّالِحَةُ ابْنَةَ الصَّالِحِ فَيَعِفَّ نَفْسَهُ وَيُحَصِّنَ فَرْجَهُ، وَكَانَ مَا وَقَعَ لَهُ مِنَ التَّيْسِيرِ فِي ذَلِكَ بِبَرَكَاتِ دُعَائِهِ الصَّالِحِ،

(٧) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٨٤).

(٨) أخرجه البخاري في الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط (٢١٤٣).



وَتَوَجَّهَ قَلْبُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَمَّا خَرَجَ مُهَاجِرًا مِنْ بَطْشِ فِرْعَوْنَ وَجُنْدِهِ ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (٢٧) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٨﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٩﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكَ ابْنُ يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٣٠﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَتَأَبَّى اسْتِجْرَاءُ ابْنِ خَيْرٍ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَّاجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٣٣﴾ [الْقَصَصُ: ٢٢-٢٨].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ...



## الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ؛ نَحْمَدُهُ حَمْدًا يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ، وَنَشْكُرُهُ شُكْرًا مَزِيدًا عَلَى آلَائِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى وَأَطِيعُوهُ ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ﴾ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿[التَّوْبَةُ: ٥٢].

أَيُّهَا النَّاسُ: لَمَّا أَكْمَلَ مُوسَى ﷺ أَجَلَهُ، وَأَدَّى الْخِدْمَةَ لِوَالِدِ زَوْجِهِ، فَارَقَهُمْ عَائِدًا إِلَى مِصْرَ، وَكَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْوَادِي الْمَقْدَسِ طُوًى، وَكَلَّفَهُ سُبْحَانَهُ بِتَبْلِيغِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ رِسَالَاتِهِ، وَدَعْوَتِهِمْ إِلَى عِبَادَتِهِ وَخُذَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَجَرَى لِمُوسَى ﷺ مَعَ فِرْعَوْنَ مَا جَرَى مِنَ التَّكْذِيبِ وَالْأَدْيِ، وَالْمُخَاصَمَةِ وَالْمُنَاطَرَةِ؛ مِمَّا بُسِطَ خَبْرُهُ فِي سُورِ الْأَعْرَافِ وَيُونُسَ وَطه وَالشُّعَرَاءِ وَالْقَصَصِ.

فَلَمَّا خَصَّمَهُمْ مُوسَى ﷺ بِالْحُجَّةِ وَالْبَيَانِ، وَأَثَبَتْ صِدْقَهُ بِالْمُعْجَزَةِ وَالْبُرْهَانِ، مَا كَانَتْ حِيلَةُ الْعَاجِزِينَ عَنْ إِبْثَاتِ كُفْرِهِمْ وَعُلُوِّهِمْ إِلَّا الْبُطْشَ وَالظُّلْمَ وَالْقُوَّةَ، وَسَعَوْا جَادِّينَ فِي قَتْلِ مُوسَى وَالْمُؤْمِنِينَ؛ لِيَسْتَمِرُّوا فِي تَعْبِيدِ النَّاسِ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى؛ وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، وَنَافِذٌ فِي الْخَلْقِ حُكْمُهُ، فَأَنْجَى ﷺ مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ، وَأَغْرَقَ فِرْعَوْنَ وَجُنْدَهُ، وَجَعَلَ ذَلِكَ آيَةً لِيَخْلُقَهُ، وَعِبْرَةً فِي مَصِيرِ الظَّالِمِينَ، يَتَذَكَّرُهَا الْبَشَرُ عَبْرَ الْأَجْيَالِ، وَيَنْتَفِعُ بِهَا قُرَاءُ الْقُرْآنِ كُلَّمَا رَتَّلُوا وَقَائِعِ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْعَظِيمَةِ، وَوَقَعَ أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ حِينَ قَالَ: ﴿فَالْقِطْعَةُ أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [الْقَصَص: ٨].

فَهُمُ التَّقْطُوهُ بِأَيْدِيهِمْ، وَرَبَّوهُ فِي قُصُورِهِمْ، وَكَانَ تَحْتَ أَعْيُنِهِمْ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ عَدُوُّهُمْ، وَهَذَا أَبْلَغُ فِي النِّكَايَةِ بِهِمْ، وَأَشَدُّ حَسْرَةً عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ اخْتَارُوا أَخْذَ مَا يَكُونُ هَلَاكُهُمْ عَلَى يَدَيْهِ، بِخِلَافِ مَا لَوْ كَانَ هَلَاكُهُمْ عَلَى يَدِ غَيْرِهِ، فَسُبْحَانَ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ، الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ، الَّذِي أَتَى فِرْعَوْنَ وَجُنْدَهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا، وَبِأَيْدِيهِمْ هُمْ لَا بَغْيَ لَهُمْ! ﴿وَنَرَى فِرْعَوْنَ وَهَلْمَنَ وَخُؤُدَهُمَا مِنْهُمَا مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [الْقَصَص: ٦].

وَهَذِهِ السُّنَّةُ الرَّبَّانِيَّةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي وَقَعَتْ لِمُوسَى مَعَ فِرْعَوْنَ تَتَكَرَّرُ فِي الْبَشَرِ؛ فَكَمْ مِنْ سُلْطَانٍ خَسِرَ سُلْطَانَهُ عَلَى يَدِ أَلْصَقِ النَّاسِ بِهِ، وَأَشَدِّهِمْ إِحْسَانًا إِلَيْهِ،

فَكَانَ هَلَاكُهُ وَزَوَالُ مُلْكِهِ عَلَى أَيْدِيهِمْ سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ بِحَقِّ أَمٍ بِإِطْلٍ، وَلَكِنَّ تَذْيِيرَ اللَّهِ تَعَالَى فِي ذَلِكَ لَطِيفٌ عَجِيبٌ؛ إِذْ يُؤْتِي الْحَذِرُ مِنْ مَأْمَنِهِ، وَلَا يَنْفَعُ الْاِخْتِيَاظَ وَالتَّوْقِي لِرَدِّ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدَرِهِ، وَهَذَا يُوجِبُ عَلَيْنَا أَنْ لَا نَفِرَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا إِلَيْهِ، وَلَا نَحْذَرُ مِنْهُ إِلَّا بِهِ، وَلَا نَتَّقِي قَدْرَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ وَدُعَائِهِ؛ فَإِنَّ الدُّعَاءَ يَرُدُّ الْقَدْرَ، وَيَنْفَعُ فِيمَا نَزَلَ وَمَا لَمْ يَنْزِلْ، فَعَلَّقُوا بِاللَّهِ تَعَالَى قُلُوبَكُمْ، وَفَرُّوا مِنْهُ إِلَيْهِ. وَلَوْ كَانَ الْحَذَرُ رَادًّا لِلْقَدْرِ، وَنَافِعًا لِأَحَدٍ؛ لَنَفَعَ فِرْعَوْنَ الَّذِي قَتَلَ وَلَدَانَ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذَرًا مِنْ هَلَاكِهِ وَزَوَالِ مَمْلَكَتِهِ، وَلِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ: وَلِعَظِيمِ مَا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ ﷺ مِنَ الْأُخُوَّةِ وَالْمَحَبَّةِ فِي اللَّهِ تَعَالَى: شَرَعَ نَبِيُّكُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ صِيَامَ الْيَوْمِ الَّذِي نُجِّي فِيهِ مُوسَى وَالْمُؤْمِنُونَ مَعَهُ، وَأَهْلَكَ فِرْعَوْنَ وَجُنْدَهُ؛ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ، وَفَرَحًا بِنَجَاةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَهَلَاكِ الْمُكْذِبِينَ، رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقَالَ: «قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ فَرَأَى الْيَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ، هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ فَصَامَهُ مُوسَى، قَالَ ﷺ: فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ<sup>(٩)</sup>.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ ﷺ: «صِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ<sup>(١٠)</sup>.

وَلَمَّا أَكْمَلَ اللَّهُ تَعَالَى دِينَهُ، وَاسْتَقَرَّتْ شَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ قَصَدَ النَّبِيُّ ﷺ مُخَالَفَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ يُحِبُّ مُوَافَقَتَهُمْ لِمَا مَعَهُمْ مِنَ الْكِتَابِ، فَأَمَرَ ﷺ

(٩) أخرجه البخاري في الصوم، باب صيام يوم عاشوراء (٢٠٠٤)، ومسلم في الصيام، باب صوم يوم عاشوراء (١١٣٠).

(١٠) أخرجه مسلم في الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس (١١٦٢).

بِمُخَالَفَتِهِمْ فِي صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَذَلِكَ بِصِيَامِ الْيَوْمِ التَّاسِعِ مَعَهُ، وَلَمَّا قَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ عليه السلام عَنْ يَوْمِ عَاشُورَاءَ: «إِنَّهُ يَوْمٌ تُعْظَمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، قَالَ عليه السلام: فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ حَتَّى تُؤْفَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ <sup>(١١)</sup>.

أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - وَاحْرِصُوا عَلَى صِيَامِ هَذَا الْيَوْمِ الْعَظِيمِ، وَخَالِفُوا أَهْلَ الْكِتَابِ فِيهِ بِصِيَامِ التَّاسِعِ مَعَهُ، وَقَدْ كَانَ الزُّهْرِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- يَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فِي السَّفَرِ، وَكَانَ يَأْمُرُ بِفِطْرِ رَمَضَانَ فِي السَّفَرِ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: «رَمَضَانُ لَهُ عِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَاشُورَاءُ يَفُوتُ» <sup>(١٢)</sup>.  
وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى نَبِيِّكُمْ ...



(١١) أخرجه مسلم في الصيام، باب أي يوم يصام في عاشوراء (١١٣٤).

(١٢) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (٢١٥/٧).

## ٣٥٠- الكلم (٢)

## التكلیم والرسالة

١٤٢٨/٧/٢٠هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْحَفِيفِ الْعَلِيمِ؛ أَحَاطَ عِلْمُهُ بِعِبَادِهِ، وَأَسْبَغَ نِعَمَهُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، فَاسْتَخْلَفَهُمْ بَعْدَ الْإِسْتِضْعَافِ، وَمَكَّنَ لَهُمْ بَعْدَ الْإِبْتِلَاءِ ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥-٦]، نَحْمَدُهُ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَمَنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿الْقَصَص: ٥-٦﴾، نَحْمَدُهُ حَمْدًا يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ، وَنَشْكُرُهُ شُكْرًا يَزِيدُ فَضْلَهُ وَإِنْعَامَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ نَصَرَ أَوْلِيَائَهُ، وَكَبَتِ أَعْدَاءَهُ ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ أَرْسَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِدِينِ الْحَقِّ لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَمِنَ الضَّلَالِ إِلَى الْهُدَى، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ؛ أَصْلَحَ هَذِهِ الْأُمَّةَ قُلُوبًا، وَأَزَكَّهُمْ أَعْمَالًا، وَكَثَّرَهُمْ إِخْلَاصًا، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى وَأَطِيعُوهُ، اتَّقُوا مَنْ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ وَيُحْيِيكُمْ وَيُمِيتُكُمْ، وَإِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ، وَعَلَيْهِ حِسَابُكُمْ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣].  
 أَيُّهَا النَّاسُ: قَصَصُ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ، وَمَا جَرَى لَهُمْ مَعَ أَقْوَامِهِمْ فِيهَا تَنْبِيْهُ لِلْغَافِلِينَ، وَعِبْرٌ لِلْمُعْتَبِرِينَ، وَقُدْوَةٌ صَالِحَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ؛ فَهُمْ رُسُلُ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى النَّاسِ، وَهُمْ الْهَادُونَ النَّاصِحُونَ لَهُمْ، الْحَرِصُونَ الْمُشْفِقُونَ عَلَيْهِمْ؛ وَلِذَا قَصَّ

اللَّهُ تَعَالَى أَخْبَارَهُمْ فِي الْقُرْآنِ، وَكَرَّرَ ذَلِكَ وَأَعَادَ، وَأَمَرَنَا بِالْإِزَامِ هَدِيَهُمْ،  
وَالْتَأْسِي بِهِمْ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْهُمْ أَقْدَهُ﴾ [الأنعام: ٩٠] وَفِي آيَةٍ  
أُخْرَى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ  
تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

وَكَلِّمُ اللَّهِ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ أَكْثَرُ رُسُلِ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرًا فِي الْقُرْآنِ،  
وَقَصَصُهُ هِيَ أَشْهُرُ الْقَصَصِ، وَمَا ذُكِرَتْ قِصَّةُ أَحَدٍ فِي الْقُرْآنِ كَمَا ذُكِرَتْ قِصَّتُهُ  
فِي وَلَادَتِهِ وَنَشَأَتِهِ، وَابْتِلَائِهِ وَهَجْرَتِهِ، وَبُؤْعَتِهِ وَرِسَالَتِهِ، وَمُنَاطَرَاتِهِ مَعَ فِرْعَوْنَ،  
وَمُعَالَجَتِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مَبْسُوطٌ فِي الْقُرْآنِ.

لَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى خَلَاصَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى يَدِ هَذَا الْغَلَامِ مِنْهُمْ، فَنَجَّاهُمْ  
سُبْحَانَهُ بِهِ مِنْ ظُلْمِ فِرْعَوْنَ وَجَبْرُوتِهِ، وَمَكَّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ، وَأَظْهَرَ قُدْرَتَهُ ﷻ  
فِي أَنْ يَعِيشَ هَذَا الْغَلَامُ فِي بَيْتِ فِرْعَوْنَ، وَيَتَرَبَّى أَمَامَ عَيْنَيْهِ، وَقَدَّرَ هَلَاكَهُ وَزَوَالَ  
مَمْلَكَتِهِ عَلَى يَدَيْهِ، فَسُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا!

وَلَمَّا بَلَغَ الْفَتَى مَبْلَغَ الرِّجَالِ آتَاهُ اللَّهُ تَعَالَى حُكْمًا وَعِلْمًا، وَاتَّخَمَرَ بِهِ مَلَأُ  
فِرْعَوْنَ لِيَقْتُلُوهُ؛ لِأَنَّهُ قَتَلَ أَحَدَ الظُّلَمَةِ مِنْهُمْ، فَنَجَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ كَيْدِهِمْ بِالْهَجْرَةِ  
إِلَى مَدْيَنَ، وَالْعَمَلِ فِي رَعْيِ الْغَنَمِ عِنْدَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ عَشْرَ سَنَوَاتٍ لِيُزَوِّجَهُ  
ابْنَتَهُ، فَأَتَمَّ مُوسَى عَمَلَهُ، وَقَضَى أَجَلَهُ، وَاشْتَقَّ إِلَى أَهْلِهِ.

وَمَا أُصِيبَ مُوسَى ﷺ بِهَذِهِ الْإِبْتِلَاءَاتِ، وَنَالَهُ الْمَشَقَّةُ، وَتَحَمَّلَ أَعْبَاءَ  
الْمُطَارَدَةِ وَالْعُرْبَةِ وَالْهَجْرَةِ وَالْعَمَلِ إِلَّا إِعْدَادًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى؛ لِيَكُونَ رَسُولًا إِلَى  
أَعْتَى الطُّغَاةِ، وَأَقْوَى الْجَبَابِرَةِ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَصَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ حِينَ خَاطَبَهُ  
﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]، وَفِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿وَأَسْطَعْتُكَ

لَقَدْ أَعَدَّهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلرَّسَالَةِ بَرْعِي الْغَنَمِ، وَطُولِ السَّفَرِ، وَشِدَّةِ الْغُرْبَةِ، وَقُوَّةِ السَّاعِدِ، وَصَفَاءِ النَّفْسِ، وَمَعْرِفَتِهِ عَدُوَّهُ.

وَالنَّبُوَّةُ لَهَا أَثْقَالٌ وَمَوْؤَنَةٌ لَا يَحْمِلُهَا وَلَا يَسْتَضِلُّعُ بِهَا إِلَّا أَهْلُ الْقُوَّةِ وَالْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ بِعَوْنِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَوْفِيقِهِ؛ لِمَا يَلْقَوْنَ مِنَ النَّاسِ، وَمَا يُرَدُّ عَلَيْهِمْ مِمَّا جَاءُوا بِهِ عَنِ اللَّهِ ﷻ<sup>(١)</sup>.

وَأَضْحَى مُوسَى ﷺ بِهَذِهِ التَّرْبِيَةِ وَالشَّدَّةِ مُوَهَّلًا لِلرَّسَالَةِ وَأَعْبَائِهَا وَأَثْقَالِهَا، قَادِرًا عَلَى مُوَاجَهَةِ أَقْوَى الظُّلْمَةِ، وَأَعْتَى الْجَبَّارَةَ، فَكَانَتِ النَّبُوَّةُ وَالرَّسَالَةُ، وَكَانَ الْإِضْطِفَاءُ وَالتَّكْلِيمُ.

عَادَ مُوسَى ﷺ بَعْدَ هَذِهِ الْهَجْرَةِ الطَّوِيلَةِ مِنْ مَدِينِ بَزْوَجِهِ مُتَوَجِّحًا إِلَى مِصْرَ حَيْثُ أُمُّهُ وَإِخْوَانُهُ، وَأَثْنَاءَ طَرِيقِهِ، وَفِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ، كَالِحَةِ الظُّلْمَةِ، شَدِيدَةِ الْبَرْدِ؛ أَبْصَرَ نَارًا تَأْجَّجُ فِي جَانِبِ الطُّورِ، فَذَهَبَ يَلْتَمِسُ لِأَهْلِهِ نَارًا، فَمَا كَانَتْ نَارًا وَلَكِنْ كَانَ نُورًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، نَالَ بِهِ مُوسَى ﷺ أَعْظَمَ كَرَامَةٍ، وَحَظِي بِأَعْلَى مَنَزَلَةٍ؛ إِذْ كَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مُبَاشَرَةً بِلَا وَاسِطَةٍ، فَحَمَلَهُ رِسَالَتَهُ، وَأَمَرَهُ بِأَمَانَتِهِ، فَمَا أَعْظَمَهُ مِنْ تَشْرِيفٍ! وَمَا أَثْقَلَهُ مِنْ تَكْلِيفٍ! ﴿٢٩﴾ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ۖ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَصُورَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْسُحْ إِيَّتِ أَنَا اللَّهُ رَبُّ

الْعَالَمِينَ ﴿٣١﴾ [الْقَصَص: ٢٩، ٣٠].

شَرَّفَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِكَلِمَاتِهِ، وَاصْطَفَاهُ بِرِسَالَاتِهِ، وَرَفَعَ قَدْرَهُ، وَأَعْلَى شَأْنَهُ، وَأَخْبَرَهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ الْعَظِيمِ بِأَنَّهُ ﷻ رَبُّهُ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَمْسُحْ إِيَّتِ أَنَا اللَّهُ

رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿[الْقَصَص: ٣٠]، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعُبُودِيَّةَ لِلَّهِ تَعَالَى هِيَ أَشْرَفُ الْمَقَامَاتِ، وَأَعْلَى الْوُظَائِفِ؛ وَلِذَا تُذَكَّرُ فِي أَجْلِ الْمَوَاضِعِ وَأَعْلَاهَا.

وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ عَظِيمٍ مُبَارَكٍ مِنَ الْقُرْآنِ ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمُوسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ ءَانِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِيُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ [طه: ١١-١٦].

وَفِي مَوْضِعٍ ثَالِثٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَمُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النمل: ٨، ٩]. ثُمَّ أَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْمُعْجَزَاتِ، وَأَجْرَى عَلَى يَدَيْهِ الْآيَاتِ؛ لِيَكُونَ أَثْبَتَ لِكَلَامِهِ، وَأَقْوَى لِحُجَّتِهِ، وَأَدْعَى لِتَصْدِيقِهِ، وَمِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ جَعَلَ هَذِهِ الْمُعْجَزَاتِ مِمَّا مَعَ مُوسَى ﷺ لَا مِنْ غَيْرِ ذَلِكَ؛ لِيَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِيلُهَا عَنْ عَادَتِهَا الَّتِي عَرَفَهَا مُوسَى إِلَى مَا يُرِيدُ اللَّهُ تَعَالَى؛ وَذَلِكَ أَتَيْنُ فِي الْقُدْرَةِ، وَأَقْوَى فِي الْبُرْهَانِ وَالْحُجَّةِ ﴿وَمَا تِلْكَ يَسْمِينَا يَمُوسَى ﴿٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَنُوكَّؤُا عَلَيْهَا وَاهْتَسُّ بِهَا عَلَى عَنَمِي وَلِي فِيهَا مَنَارِبٌ أُخْرَى ﴿٨﴾ قَالَ أَلْقَاهَا يَمُوسَى ﴿٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿١٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ [طه: ١٧-٢١].

وَفِي آيَةِ النَّمْلِ: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَدٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ١٠].

فَهَذِهِ هِيَ الْمُعْجَزَةُ الْأُولَى لِمُوسَى ﷺ، وَمِنْ قَدْرِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ سَيَكُونُ لَهَا شَأْنٌ عَظِيمٌ فِي مُقَارَعَةِ سَحَرَةِ فِرْعَوْنَ، وَسَتَفْضِي عَلَى سِحْرِهِمْ، وَتَكُونُ سَبَبًا فِي إِيْمَانِهِمْ، فَمَا أَجَلُّهَا مِنْ مُعْجَزَةٍ! وَمَا أَعْظَمُهَا مِنْ آيَةٍ! وَمَنْ يَقْلُبْ عَصَى لَا حِرَاكَ



فِيهَا إِلَى حَيَّةٍ حَقِيقِيَّةٍ لَا تَخِيلَ فِيهَا وَلَا خِدَاعَ إِلَّا مَنْ يَخْلُقُ مِنَ الْعَدَمِ، وَيُحْيِي الْأَمْوَاتَ، وَيُمِيتُ الْأَحْيَاءَ ﴿١٥٤﴾ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ [الأعراف: ٥٤].

وَأَمَّا الْمُعْجِزَةُ الثَّانِيَّةُ فَتُورِ آتَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى فِي يَدِهِ مِنْ غَيْرِ بَأْسٍ وَلَا مَرَضٍ، يُظْهِرُهُ لِمَنْ شَاءَ مَتَى شَاءَ ﴿١٥٥﴾ وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ﴿١٥٦﴾ لِنُزُولِكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿١٥٧﴾ [طه: ٢٢، ٢٣]، وَفِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿١٥٨﴾ وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴿١٥٩﴾ [النمل: ١٢].

إِنَّهَا آيَاتٌ كُبْرَى لَا يُكَذِّبُ بِهَا إِلَّا مُعَانِدٌ، وَلَا يَرُدُّهَا إِلَّا مُسْتَكْبِرٌ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ مُوسَى ﷺ خَافَ أَنْ يُكَذِّبَهُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ، وَطَلَبَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَبْعَثَ أَخَاهُ هَارُونَ مَعَهُ، وَشَفَعَ لَهُ عِنْدَهُ، فَقَبِلَ اللَّهُ تَعَالَى شَفَاعَةَ الْكَلِيمِ، وَبَعَثَ مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ رَسُولًا ﴿١٦٠﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قُلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٦١﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٦٢﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَجَعَلْنَا لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا أَنْتُمْ وَمَنْ أَتَّبَعَكُمَا الْفَالِغُونَ ﴿١٦٣﴾ [القصص: ٣٣-٣٥]، وَفِي آيَاتٍ أُخْرَى قَالَ مُوسَى ﷺ: ﴿١٦٤﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿١٦٥﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿١٦٦﴾ أَشَدُّ بِهٖ أَدْرَى ﴿١٦٧﴾ وَأَشْرِكْ فِي أَمْرِي ﴿١٦٨﴾ كَيْ تُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿١٦٩﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿١٧٠﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿١٧١﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى ﴿١٧٢﴾ [طه: ٢٩-٣٦].

وَتِلْكَ هِيَ أَعْظَمُ شَفَاعَةٍ عَرَفَهَا الْبَشَرُ فِي الدُّنْيَا وَأَنْفَعُهَا، حِينَ شَفَعَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ بِالرَّسَالَةِ، فَقَبِلَ اللَّهُ تَعَالَى شَفَاعَتَهُ فِيهِ، وَبَعَثَهُ رَسُولًا مَعَهُ، وَفِي هَذَا يَقُولُ بَعْضُ السَّلَفِ: لَيْسَ أَحَدٌ أَعْظَمَ مِثَّةً عَلَى أَخِيهِ مِنْ مُوسَى عَلَى هَارُونَ ﷺ؛ فَإِنَّهُ شَفَعَ فِيهِ حَتَّى جَعَلَهُ نَبِيًّا وَرَسُولًا مَعَهُ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأَتْهُ (٢).

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ هَارُونُ أَهْلًا لِلشَّفَاعَةِ لَمَا شَفَعَ فِيهِ مُوسَى ﷺ .  
وَهَذَا يَدُلُّ أَيْضًا عَلَى عُلُوِّ مَنْزِلَةِ مُوسَى عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَنَّهُ ذُو وَجَاهَةٍ ؛  
إِذْ قَبِلَ سُبْحَانَهُ شَفَاعَتَهُ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مُوسَى ﷺ : ﴿ وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأخزَاب: ٦٩] .

وَبَلَغَ مُوسَى وَهَارُونُ ﷺ رِسَالَاتِ رَبِّهِمَا ، وَكَذَّبَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ رَسُولَيْهِمْ ،  
فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَنْجَى مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴾ ٣٥ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَرْنَاهُمْ  
نَدْمِيرًا ﴾ [الْقُرْآن: ٣٥ ، ٣٦] .

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ . . .



## الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا يَلِيْقُ بِجَلَالِ رَبَّنَا وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ  
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ  
وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهِدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .  
أَمَّا بَعْدُ : فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى وَأَطِيعُوهُ ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا  
تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢] .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ : فِي هَذَا الْجُزْءِ الْمُبَارَكِ مِنْ قِصَّةِ مُوسَى ﷺ عِبْرٌ وَدُرُوسٌ  
يَنْبَغِي لِمَنْ قَرَأَ الْقِصَّةَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَتَدَبَّرَهَا وَيَنْتَفِعَ بِهَا .  
فَقَدْ دَلَّتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ الْعَظِيمَةُ عَلَى أَنَّ أَعْظَمَ الْأَعْمَالِ الْقَلْبِيَّةِ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ اللَّهِ  
تَعَالَى تَوْحِيدُهُ سُبْحَانَهُ ، وَإِخْلَاصُ الدِّينِ لَهُ ، كَمَا دَلَّتْ عَلَى أَنَّ الصَّلَاةَ أَعْظَمُ

الْعِبَادَاتِ الْعَمَلِيَّةِ، فَمَنْ صَحَّ تَوْحِيدُهُ قُبِلَ عَمَلُهُ، وَمَنْ قُبِلَ عَمَلُهُ نَجَا، وَهَكَذَا الصَّلَاةُ إِذْ هِيَ أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ مِنْ عَمَلِهِ فَإِنْ قُبِلَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ رُدَّتْ رُدَّ عَلَيْهِ سَائِرُ عَمَلِهِ؛ وَلَمَّا كَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى ﴿١٣﴾ أَمَرَهُ بِالتَّوْحِيدِ وَالصَّلَاةِ لِعَظِيمِ مَنْزِلَتِهِمَا، وَفَخَامَةِ شَأْنِهِمَا عِنْدَهُ ﴿١٤﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٥﴾ إِنَّا أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٦﴾ [طه: ١٣، ١٤].

وَفِي شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانَتْ شَهَادَةُ التَّوْحِيدِ أَوَّلَ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، وَكَانَتْ الصَّلَاةُ ثَانِيهَا.

وَتَضَمَّنَ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى لِمُوسَى ﴿١٣﴾ التَّذَكِيرَ بِالسَّاعَةِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، وَبَيَانَ أَنَّ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ النَّاسَ عَنِ التَّصَدِيقِ بِهَا، أَوِ الْعَمَلِ لَهَا، وَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ فِي هَذَا الْعَصْرِ! وَوَاجِبٌ عَلَى أَهْلِ الْإِيمَانِ أَنْ لَا يُطِيعُوهُمْ فِي ذَلِكَ، وَإِلَّا هَلَكُوا؛ ذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ يُوَرِّدُونَ النَّاسَ الْمَهَالِكَ ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ ءَانِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِيُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴿١٦﴾ [طه: ١٥، ١٦].

وَمَنْ يَدْعُو إِلَى الْحَقِّ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْعَى فِي إِكْمَالِ مَا لَدَيْهِ مِنْ نَقْصٍ فِي الْعِلْمِ أَوِ الْحُجَّةِ أَوِ الْبَيَانِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ؛ لِيَكُونَ أَدْعَى لِقَبُولِ الْحَقِّ مِنْهُ، وَلئَلَّا يَتَعَلَّقَ أَهْلُ الْبَاطِلِ فِي صَدِّ النَّاسِ عَنِ الْحَقِّ بِمَا فِيهِ مِنْ نَقْصٍ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِجَنَابِ اللَّهِ تَعَالَى فِي إِكْمَالِ نَقْصِهِ، وَيَسْأَلُهُ الْإِعَانَةَ وَالسَّدَادَ.

وَلَمَّا كَانَ فِي لِسَانِ مُوسَى ﴿١٣﴾ اخْتِبَاسٌ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ فَصِيحِ الْكَلَامِ <sup>(٣)</sup>،

(٣) عامة المفسرين على أن سبب عقدة لسان موسى ﷺ جمرة كوته حين جرّ لحية فرعون فأراد قتله، فقالت امرأته: إنه طفل لا يدري، فاخبره فرعون بجمرة وتمرّة فأخذ الجمرة فلذعت لسانه ونجا من القتل على ما ورد في أخبار بني إسرائيل.

قال الطبري -رحمه الله تعالى-: «وكانت فيه فيما ذكر عجمة عن الكلام الذي كان من =

= إلقائه الجمرة إلى فيه يوم همّ فرعون بقتله. ثم أسند عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿عُقْدَةٌ مِّن لِّسَانِي﴾ قال: عجمة لجمرة نار أدخلها في فيه عن أمر امرأة فرعون، تردّ به عنه عقوبة فرعون، حين أخذ موسى بلحيته وهو لا يعقل، فقال: هذا عدو لي، فقالت له: إنه لا يعقل. وأسند نحوه عن ابن أبي نجيح ومجاهد والسدي (١٨ / ٢٩٩). وجاء أيضًا في حديث «الفتون» عن ابن عباس موقوفًا عليه، رواه الطبري (١٦ / ١٦٦-١٦٧). وينظر: تفسير البغوي (٥ / ٢٧١)، وتفسير ابن عطية (٤ / ٤٢)، وتفسير النسفي (٢ / ٣٦٢)، وتفسير ابن كثير (٥ / ٢٨٢) كلهم ذكروا الجمرة التي لذعت لسانه. وبعض المفسرين ذكر ثقلًا في اللسان ولم يذكر له سببًا كالقاسمي (٧ / ١٢٤) وابن عاشور (١٦ / ٢١١) والسعدي (٤٠٤) والشعراوي (١٥ / ٩٢٥٩). بينما يرى سيد قطب أن هذا الاحتباس في لسان موسى ينشأ عن ضيق صدره وتوتره، يقول:

«والظاهر من حكاية قوله ﷺ أن خوفه ليس من مجرد التكذيب، ولكن من حصوله في وقت يضيق فيه صدره ولا ينطلق لسانه فلا يملك أن يبين، وأن يناقش هذا التكذيب ويفنده. إذ كانت بلسانه حبة هي التي قال عنها في سورة طه: ﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ يَقْفَهُوا قَوْلِي ومن شأن هذه الحبة أن تنشئ حالة من ضيق الصدر، تنشأ من عدم القدرة على تصريف الانفعال بالكلام. وترداد كلما زاد الانفعال، فيزداد الصدر ضيقًا .. وهكذا .. وهي حالة معروفة. فمن هنا خشي موسى أن تقع له هذه الحالة وهو في موقف المواجهة بالرسالة لظالم جبار كفرعون. فشكا إلى ربه ضعفه وما يخشاه على تبليغ رسالته، وطلب إليه أن يوحى إلى هارون أخيه، ويشركه معه في الرسالة اتقاء للتقصير في أداء التكليف، لا نكوصًا ولا اعتذارًا عن التكليف. فهارون أفصح لسانًا ومِنَّم هو أهدأ انفعاليًا فإذا أدركت موسى حبة أو ضيق نهض هارون بالجدل والمحااجة والبيان. ولقد دعا موسى ربه -كما ورد في سورة طه- ليحل هذه العقدة من لسانه، ولكنه زيادة في الاحتياط للنهوض بالتكليف طلب معه أخاه هارون وزيرًا ومعينًا ..» في ظلال القرآن (٥ / ٢٥٨٩).

وقد رد الدكتور صلاح الخالدي كلام جمهور المفسرين في أن سبب عقدة لسان موسى الجمرة، ورد قصة الجمرة والتمرة باعتبار أنها من أخبار بني إسرائيل، وأن حديث الفتون موقوف على ابن عباس رضي الله عنه، وفيه قصة الجمرة والتمرة، وأنه من أخبار بني إسرائيل، وعن ابن عباس أخذ هذه القصة كبار التابعين من المفسرين كابن جبير ومجاهد، وذكر أن =

سَعَى فِي إِكْمَالِ هَذَا النَّقْصِ الَّذِي فِيهِ بَأْنُ طَلَبَ مِنْ رَبِّهِ ﷻ أَنْ يُرْسِلَ أَخَاهُ مَعَهُ لِيُعِينَهُ عَلَى إِظْهَارِ الْحَقِّ وَبَيَانِهِ، فَقَالَ ﷻ: ﴿وَأَخِي هَكَوْتُ هُوَ أَفْصَحَ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [الْقَصَص: ٣٤]، وَفِي آيَاتٍ أُخْرَى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ ﴿٧٧﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَيَّ هَكَوْتُ﴾ [الشُّعْرَاء: ١٢، ١٣].

وَسَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَشْرَحَ صَدْرَهُ، وَيُعِينَهُ عَلَى مُهِمَّتِهِ، وَأَنْ يُطْلِقَ بَعْضَ عُقْدِ لِسَانِهِ؛ لِيَفْهَمُوا مَقَالَهُ، فَقَالَ ﷻ: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ ﴿١٥٠﴾ وَبَيِّرْ لِي أَمْرِي ﴿١٥١﴾

= القرآن يفسر بعضه بعضًا، فأية طه ﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي﴾ [طه: ٢٧] تفسرها آية الشعراء: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَيَّ هَكَوْتُ﴾ [الشُّعْرَاء: ١٣] فسبب حبس لسانه ضيق صدره وتوتره؛ لأنه ينفعل، وأن هارون أفصح لسانًا؛ لأنه أهدأ منه. ينظر: القصص القرآني، د. صلاح الخالدي (٢/ ٢٧٧-٢٨٥).

قلت: ويؤيد ما قرره د. صلاح الخالدي ما ثبت أن موسى شديد الغيرة على محارم الله تعالى، وشديد الغضب حال انتهاكها، ودليل ذلك أنه ألقى ألواح التوراة من شدة الغضب لما عبت بنو إسرائيل العجل قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَيُّفًا قَالَ إِنَّكُمْ تَخْلَعُونَ مِنِّي بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَالْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٠] ثم قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَحَ وَفِي سُجَّتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

ومعلوم أن شدة الغضب تحبس اللسان عن الكلام، فلعل موسى ﷻ خشي أن يقول فرعون كلامًا لا يليق بالله تعالى فيغضب موسى ﷻ غيرة لله تعالى فيحبس لسانه عن الكلام من شدة الغضب، ولا يكاد يتبين قوله.

وهذا التقرير ليس بقاطع بل هو محتمل؛ لأن احتباس لسان موسى ﷻ معروف حتى لدى فرعون؛ فإنه عَيَّرَ به فحكى الله تعالى عنه أنه قال: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢]. وإذا كان ذلك معروفًا حتى لدى فرعون فقد لا يكون احتباسًا في حال الغضب فقط، بل قد يكون صفة ملازمة له؛ ولذا فالتوقف في ذلك أسلم. والله أعلم.

وَأَحْلَلَ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٣٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٣٨﴾ [طه: ٢٥-٢٨].

قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَا سَأَلَ مُوسَى ﷺ أَنْ يَزُولَ ذَلِكَ بِالْكَلِمَةِ، بَلْ بِحَيْثُ يَزُولُ الْعِي، وَيَحْصُلُ فَهْمُ مَا يُلْقَى عَلَيْهِمْ، وَلَوْ سَأَلَ الْجَمِيعَ لَزَالَ، وَلَكِنَّ الْأَنْبِيَاءَ ﷺ لَا يَسْأَلُونَ إِلَّا بِحَسَبِ الْحَاجَةِ (٤).

وَمِنْ عَادَةِ أَهْلِ الْبَاطِلِ أَنَّهُمْ يَتَعَلَّقُونَ بِأَيِّ نَقْصٍ فِي دَاعِيَةِ الْحَقِّ؛ لِيَلْمِزُوهُ بِهِ، وَيُنْفَرُوا النَّاسَ مِنْهُ، وَيَضْرِبُوهُمْ عَنْ دَعْوَتِهِ، وَقَدْ كَانَ فِرْعَوْنُ يُعِيرُ مُوسَى ﷺ بِهَذَا النِّقْصِ فِي لِسَانِهِ فَيَقُولُ لِلنَّاسِ: ﴿أَمْرٌ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الرَّحُوف: ٥٢].

وَدَاعِيَةُ الْحَقِّ قَدْ يُبْتَلَى بِطَاغِيَةٍ مِّنَ الطَّوَاعِيتِ عَبْدَ النَّاسِ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَدْ يَخَافُ مِنْ بَطْشِهِ وَجَبْرُوتِهِ الْخَوْفَ الطَّبِيعِيَّ الَّذِي هُوَ مِنْ جِبَلَةِ الْإِنْسَانِ وَعَادَتِهِ، فَعَلَيْهِ حَيْثُ أَنْ يَسْتَعِينَ بِاللَّهِ تَعَالَى فِي دَعْوَتِهِ، وَالتَّضَرُّعَ عَلَيْهِ، وَإِظْهَارِ الْحَقِّ لَهُ، وَمَنْ أَخْلَصَ فِي ذَلِكَ أَعَانَهُ اللَّهُ تَعَالَى، كَمَا أَعَانَ مُوسَى ﷺ عَلَى فِرْعَوْنَ وَسَطْوَتِهِ وَجَبْرُوتِهِ، وَأَوْصَاهُ بِمَا يُذْهِبُ خَوْفَهُ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ [الْقَصَص: ٣٢] أَيِ: اجْعَلْ يَدَكَ عَلَى فُؤَادِكَ يَسْكُنْ خَوْفَكَ، وَيَذْهَبْ رَهْبُكَ (٥).

وَكُلُّ هَذِهِ الدَّعَوَاتِ وَالْأَعْمَالِ مِنْ مُوسَى ﷺ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ ﷺ يَأْخُذُونَ بِأَسْبَابِ النَّصْرِ، وَإِزَالَةِ الْخَوْفِ، وَقُوَّةِ الْقَلْبِ، وَتَبْلِغِ الْحَقِّ، مَعَ أَنَّهُمْ مُؤَيَّدُونَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَهَذِهِ سُنَّتُهُمُ الَّتِي يَنْبَغِي لِدَاعَةِ الْحَقِّ أَنْ يَلْتَزِمُوهَا.

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ١٤٧، ١٤٨).

(٥) ذهب بعض المفسرين إلى أن المعنى ذهاب خوفه من يده لما صارت بيضاء، واختار ابن كثير العموم، ينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٣٨٩)، وروح المعاني (٢٠/ ٧٥).

وَفِي شَفَاعَةِ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ ﷺ مَشْرُوعِيَّةُ الشَّفَاعَةِ، وَإِصَالُ النَّفْعِ  
لِلْقَرَابَةِ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ، مَا لَمْ يَكُنْ فِي الشَّفَاعَةِ إِضْرَارٌ بِأَحَدٍ،  
أَوْ إِعْطَاءٌ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ وَحِرْمَانٌ مَنْ يَسْتَحِقُّ، كَمَا هُوَ السَّائِدُ فِي أَكْثَرِ شَفَاعَاتِ  
النَّاسِ فِي هَذَا الْعَصْرِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ: وَفِي هَذِهِ الْقِصَّةِ الْعَظِيمَةِ مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْ هَذِهِ الدَّرُوسِ وَالْفَوَائِدِ،  
يَجِدُهَا مَنْ قَرَأَ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى بِحُضُورِ قَلْبٍ وَتَدَبُّرٍ، وَاسْتَعَانَ بِبَعْضِ كُتُبِ  
التَّفْسِيرِ، فَلَا تَحْرِمُوا أَنْفُسَكُمْ هَذَا الْخَيْرَ الْعَظِيمَ؛ فَإِنَّ أَشْرَفَ الْعُلُومِ وَأَجْلَهَا  
الْعِلْمَ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَبِأَحْوَالِ مَا قَصَّ عَلَيْنَا فِيهِ مِنْ أَخْبَارِ رَسُولِهِ ﷺ،  
فَحُذُوا حَظَّكُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا يَشْغَلْكُمْ عَنْهُ شَاغِلٌ.  
وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ...







## ٣٥١- من صفات الرسول ﷺ

١٥/٣/١٤١٦هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]،  
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ الْحَدِيثَ عَنِ الْإِسْلَامِ يَقْتَرِنُ وَلَا بُدَّ بِالْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ. ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي أَكْرَمَهُ رَبُّهُ سُبْحَانَهُ بِالرَّسَالَةِ، وَحَوَّلَ بِهِ الْعَرَبَ مِنَ الضَّلَالِ إِلَى الْهُدَى، وَمِنَ الذُّلِّ إِلَى الْعِزِّ، وَمِنَ أَنْوَاعِ الشَّرِّ وَأَبْوَابِهِ إِلَى أَنْوَاعِ الْخَيْرِ وَأَبْوَابِهِ ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

وَقَضَى اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ هَذَا الرَّسُولُ لِلْبَشَرِ بَشَرًا مِثْلَهُمْ، يَأْكُلُ كَمَا يَأْكُلُونَ، وَيَشْرَبُ كَمَا يَشْرَبُونَ، وَيَمُوتُ كَمَا يَمُوتُونَ. وَابْتَدَأَ دَعْوَتَهُ فِي قَوْمٍ هُوَ مِنْ قَبِيلَتِهِمْ، وَيَتَكَلَّمُ لِسَانَهُمْ، وَيَعْرِفُ عَادَاتِهِمْ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤].

لَكِنَّهُ كَانَ مَعْرُوفًا فِي قَوْمِهِ قَبْلَ بَعَثَتِهِ بِحُسْنِ الْأَخْلَاقِ، وَطِيبِ الْأَفْعَالِ، فَلَمَّا

نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ هَذَبُهُ وَأَدَبُهُ، فَزَادَتْ أَخْلَاقُهُ وَأَفْعَالُهُ حُسْنًا وَجَمَالًا، وَكَانَ فِي وَجْهِهِ مِنَ النُّضْرَةِ وَالْهَيْبَةِ الْمَقْرُونَةِ بِالْحُسْنِ وَالتُّورِ مَا جَعَلَهُ عِنْدَ النَّاسِ مَحْبُوبًا مَهِيْبًا، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي لَيْلَةٍ إِضْحِيَانٍ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِلَى الْقَمَرِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، فَإِذَا هُوَ عِنْدِي أَحْسَنُ مِنَ الْقَمَرِ»<sup>(١)</sup>.

وَسُئِلَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ رضي الله عنه: «أَكَانَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ السَّيْفِ؟ قَالَ: لَا، بَلْ مِثْلَ الْقَمَرِ» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ<sup>(٢)</sup>.

وَأَمَّا جَمَالُ الْأَخْلَاقِ وَالْمَعَانِي فَكَانَ آيَةً مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي صَدَقَتْ نُبُوَّتُهُ، وَجَبَدَتْ خَلْقًا كَثِيرًا إِلَى الْإِيمَانِ بِرِسَالَتِهِ، سُئِلَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: «لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَلَا صَحَابًا فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَصْفَحُ»<sup>(٣)</sup>.

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: «خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ فَمَا قَالَ لِي: أَفٍّ، قَطُّ،

(١) أخرجه الترمذي في الأدب، باب ما جاء في الرخصة في لبس الحمرة للرجال، وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الأشعث، ثم نقل الترمذي تصحيح البخاري لهذا الحديث (٢٨١١)، وأخرجه الدارمي (٥٧)، والنسائي في الكبرى (٩٦٤٠)، وأبو يعلى (٧٤٧٧)، والطبراني في الكبير (٢٠٦/٢) رقم (١٨٤٢)، وأبو الشيخ الأصبهاني في أخلاق النبي (٢٦٦)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٥٤٧/٢)، والبيهقي في الدلائل (١٩٦/١)، والحاكم وصححه (٢٠٧/٤).

(٢) أخرجه البخاري في المناقب، باب صفة النبي ﷺ (٣٥٥٢).

(٣) أخرجه الترمذي في البر والصلة، باب ما جاء في خلق النبي ﷺ، وقال: حسن صحيح (٢٠١٥)، وأحمد (١٧٤/٦)، والطيالسي (١٥٢٠)، والطبراني في مكارم الأخلاق (٥٨)، والبيهقي في الشعب (٨٢٩٧)، والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي (٦١٤/٢).

وَمَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ صَنَعْتُهُ؟ وَلَا لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ: لِمَ تَرَكْتُهُ؟ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، وَلَا مَسِسْتُ خَزَأً قَطُّ وَلَا حَرِيرًا وَلَا شَيْئًا كَانَ أَلَيْنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا شَمَمْتُ مِسْكَ قَطُّ وَلَا عِطْرًا كَانَ أَطْيَبَ مِنْ عَرَقِ النَّبِيِّ ﷺ<sup>(٤)</sup>.

وَكَانَ ﷺ آيَةً فِي الْحِلْمِ وَالصَّفْحِ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ، فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ ﷻ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ<sup>(٥)</sup>.

وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فَقَالَ: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَأَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظْلَتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنَّ شِئْتَ أَنْ أَطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ

(٤) أخرجه مختصرًا البخاري في الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل (٦٠٣٨)، ومسلم في الفضائل: باب كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا (٢٣٠٩)، والترمذي في البر والصلة، باب ما جاء في خلق النبي ﷺ، وقال: حسن صحيح (٢٠١٥) واللفظ بتمامه للترمذي.

(٥) أخرجه مسلم في الفضائل، باب مباحثته ﷺ للأثام واختياره من المباح أسهله، وانتقامه لله عند انتهاك حرمانه (٢٣٢٨).

يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَضْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (٦).  
 وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَذْرَكَهُ أَغْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ أَثَرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَمَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ»، قَالَ الْبُخَارِيُّ: «فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ حُنَيْنٍ آثَرَ النَّبِيُّ ﷺ نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى الْأَفْرَعَ بْنَ حَاسِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أَنَسًا مِنَ الْعَرَبِ وَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ مَا عُذِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لِأَخِيرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: «مَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ» أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ (٧).

وَكَانَ ﷺ شَفِيقًا رَحِيمًا، يُدَارِي النَّاسَ، وَيَهْتَمُّ لِأَمْرِهِمْ . . كَانَ يَقُومُ لِلصَّلَاةِ فَيَرِيدُ أَنْ يُطِيلَهَا، فَيَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَيَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِهِ؛ كَرَاهِيَةً أَنْ يَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ (٨).

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيْنَ أَبِي؟ قَالَ: «فِي النَّارِ»،

(٦) أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين، والملائكة في السماء: آمين، فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه (٣٢٣١)، ومسلم في الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين (١٧٩٥).

(٧) أخرجه البخاري في اللباس، باب البرود والحبرة والشملة (٥٨٠٩)، ومسلم في الزكاة، باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة (١٠٥٧).

(٨) كما في حديث أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه» أخرجه البخاري في الجماعة والإمامة، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي (٧٠٧).

فَلَمَّا قَفَى دَعَاهُ، فَقَالَ: «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ<sup>(٩)</sup>.  
وَكَانَ ﷺ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ حَيَاءً، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعُذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ<sup>(١٠)</sup>.

وَأَمَّا تَوَاضُعُهُ فَقَدْ بَلَغَ مَبْلَغًا جَعَلَ الْغُرَبَاءَ عَنِ الْمَدِينَةِ لَا يَعْرِفُونَهُ مِنْ بَيْنِ جُلَسَائِهِ، كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَا: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْلِسُ بَيْنَ ظَهْرَيَّ أَصْحَابِهِ، فَيَجِيءُ الْغَرِيبُ فَلَا يَدْرِي أَيُّهُمْ هُوَ حَتَّى يَسْأَلَ، فَطَلَبْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَجْعَلَ لَهُ مَجْلِسًا يَعْرِفُهُ الْغَرِيبُ إِذَا أَتَاهُ، قَالَ: فَبَيْنَمَا لَهُ دُكَّانًا مِنْ طِينٍ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ، وَكُنَّا نَجْلِسُ بِجَنْبَيْهِ...»<sup>(١١)</sup>.

وَسُئِلْتُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ عَمَلِهِ فِي بَيْتِهِ، فَقَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَشْرًا مِنَ الْبَشَرِ، يَقْلِي ثَوْبُهُ، وَيَحْلِبُ شَاتُهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ». وَفِي رِوَايَةٍ: «يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَصْنَعُ أَحَدُكُمْ: يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيُرْقِعُ ثَوْبَهُ»<sup>(١٢)</sup>.

(٩) أخرجه مسلم في الإيمان، باب بيان أنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَلَا تَنَالَهُ شَفَاعَةٌ، وَلَا تَنْفَعُهُ قَرَابَةُ الْمُقْرِبِينَ (٢٠٣).

(١٠) أخرجه البخاري في المناقب: باب صفة النبي ﷺ (٣٥٦٢)، ومسلم في الفضائل، باب كثرة حياته ﷺ (٢٣٢٠).

(١١) أخرجه أبو داود في السنة، باب في القدر (٤٦٩٨)، والنسائي في الإيمان وشرائعه، باب صفة الإيمان والإسلام (١٠١/٨)، وأبو الشيخ في أخلاق النبي (١٣٩)، وصححه الألباني في الإرواء (٣٣/١) في ثنایا الحديث عن حديث جبريل الطويل رقم (٣).

(١٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥٤١)، والترمذي في الشمال (٣٣٥)، والبيهقي في شرح السنة (٣٦٧٦)، وصححه ابن حبان (٥٦٧٥).

وهو عند البخاري في الصحيح من حديث الأسود، قال: سألت عائشة: ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: «كان يكون في مهنة أهله -تعني: خدمة أهله- فإذا حضرت =

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْكَبُ الْحِمَارَ، وَيَلْبَسُ الصُّوفَ، وَيَعْتَقِلُ الشَّاةَ، وَيَأْتِي مُرَاعَاةَ الضَّيْفِ» (١٣).

وَكَانَ ﷺ يَكْرَهُ الْإِطْرَاءَ وَالْفَخْرَ وَالتَّبَاهِيَّ، وَيَقُولُ: «لَا تُظَرُونِي كَمَا أَظَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (١٤).  
وَكَانَ ﷺ يَكْرَهُ أَنْ يُصْنَعَ بِهِ مَا يُصْنَعُ بِالْمُلُوكِ وَالْأَكَابِرِ مِنَ الْقِيَامِ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ، قَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَمْ يَكُنْ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانُوا إِذَا رَأَوْهُ لَمْ يَقُومُوا؛ لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ كَرَاهِيَّتِهِ لِذَلِكَ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ (١٥).

وَكَانَ لَيْنَ الْجَانِبِ، حَسَنَ الْعِشْرَةِ، يَأْخُذُ بِيَدِهِ كُلُّ أَحَدٍ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَقَالَ: «يَا أُمَّ فَلَانٍ انْظُرِي أَيَّ السَّكَنِ شِئْتِ، حَتَّى أَقْضِيَ لَكَ حَاجَتَكَ» فَحَلَا

= الصلاة خرج إلى الصلاة» أخرجه البخاري في الأذان، باب من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج (٦٧٦).

والرواية الثانية لأحمد (١٦٧/٦)، وعبد بن حميد (١٤٨٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٥٣٩)، وابن حبان (٥٦٧٦).

(١٣) أخرجه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي (١١٩/١)، قال الألباني في السلسلة الصحيحة: وهو كما قال (١٥٩/٥) في ثانيا كلامه على حديث رقم (٢١٢٥).

(١٤) أخرجه من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: البخاري في الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت (٦٨٣٠)، ومسلم في الحدود، باب رجم الثيب في الزنا (١٦٩١).

(١٥) أخرجه الترمذي في الأدب، باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه (٢٧٥٤)، وأحمد (١٣٢/٣)، وابن أبي شيبه (٢٣٤/٥)، والبخاري في الأدب المفرد (٩٤٦)، وأبو يعلى (٣٧٨٤)، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة: وإسناده صحيح على شرط مسلم (٣٥٨).

مَعَهَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ، حَتَّى فَرَعَتْ مِنْ حَاجَتِهَا<sup>(١٦)</sup>.

وَلَمْ يَكُنْ تَوَاضِعُهُ ﷺ عَنْ ضَعْفٍ، بَلْ كَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ، قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ، وَلَقِيَ الْقَوْمَ الْقَوْمَ، اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمَا يَكُونُ مِنَّا أَحَدٌ أَذْنَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْهُ»<sup>(١٧)</sup>، وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنَّا وَاللَّهِ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ نَنْتَقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لِلَّذِي يُحَازِي بِهِ»<sup>(١٨)</sup>.

وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ كَانَ كَثِيرَ الْعِبَادَةِ، بَغَاءً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى. قَالَ عَطَاءٌ: دَخَلْتُ أَنَا وَعُيَيْنُ بْنُ عُمَيْرٍ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ ابْنُ عُمَيْرٍ: أَخْبَرِينَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَسَكَتَتْ ثُمَّ قَالَتْ: «لَمَّا كَانَ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي، قَالَ: «يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعْبُدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي» قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّ قُرْبَكَ، وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ، قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَ حِجْرُهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَ لِحْيَتَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَ الْأَرْضَ، فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤَذِّنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَأَاهُ يَبْكِي، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟ لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةُ آيَةٌ، وَبِلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخِثَلِيفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]»<sup>(١٩)</sup>.

(١٦) أخرجه مسلم في الفضائل، باب قرب النبي ﷺ من الناس وتبركهم به (٢٣٢٦)، وأبو داود في الأدب، باب في الجلوس على الطرقات (٤٨١٩)، وأحمد (٢٨٥/٣).  
(١٧) أخرجه أحمد (١٥٦/١)، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (١٥٤)، والبخاري (٧٢٢)، وأبو الشيخ في أخلاق النبي (١٠٤)، وصححه الحاكم (١٥٥/٢)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢٥١٥).

(١٨) أخرجه مسلم في الجهاد والسير، باب في غزوة حنين (١٦٦٧).

(١٩) أخرجه أبو الشيخ في أخلاق النبي (٥٦٨)، وصححه ابن حبان (٦٢٠)، وأورده الألباني بإسناده في سلسلة الأحاديث الصحيحة وقال: وهذا إسناد جيد، رجاله كلهم ثقات، =

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.



## الخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ، يَلِيقُ بِجَلَالِ رَبَّنَا وَعَظَمَتِهِ، أَحْمَدُهُ وَأَشْكُرُهُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،

= غير يحيى بن زكريا، قال ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه؟ قال: ليس به بأس، هو صالح الحديث (٦٨).

فائدة: ليس في هذا الحديث حجة لمن أجاز قيام الليل كله، كما حرر ذلك الألباني فقال -رحمه الله تعالى-: «ليس فيه ما يدل على أنه ﷺ قام الليل كله، لأنه لم يقع فيه بيان أن النبي ﷺ ابتدأ القيام من بعد العشاء أو قريبًا من ذلك، بل إن قوله: «قام ليلة من الليالي فقال...» الظاهر أن معناه: قام من نومه...؛ أي: نام أوله ثم قام، فهو على هذا بمعنى حديثها الآخر: «كان ينام أول الليل، ويحيي آخره...» أخرجه مسلم (١٦٧/٢). وإذا تبين هذا فلا يصح حينئذ الاستدلال بالحديث على مشروعية إحياء الليل كله، كما فعل الشيخ عبد الحي اللكنوي في «إقامة الحجة على أن الإكثار من التبعد ليس بدعة» قال (ص ١٣): فدل ذلك على أن نفي عائشة قيام الليل كله محمول على غالب أوقاته ﷺ. قلت: يشير بـ«نفي عائشة» إلى حديثها الآخر: «ولم يقم رسول الله ﷺ ليلة يتمها إلى الصباح، ولم يقرأ القرآن في ليلة قط» أخرجه مسلم (١٦٩/٢-١٧٠)، وأبو داود (١٣٤٢) واللفظ له. قلت: فهذا نص في النفي المذكور لا يقبل التأويل، وحمله على غالب الأوقات إنما يستقيم لو كان حديث الباب صريح الدلالة على أنه ﷺ قام تلك الليلة بتمامها. أما وهو ليس كذلك كما بينا، فالحمل المذكور مردود، ويبقى النفي المذكور سالمًا من التقييد. وبالتالي تبقى دلالته على عدم مشروعية قيام الليل كله قائمة، خلافا لما ذهب إليه الشيخ عبد الحي في كتابه المذكور. وفيه كثير من المؤاخذات التي لا مجال لذكرها الآن» اهـ سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/١٤٨، ١٤٩).



وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.  
أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى، وَعَظِّمُوا أَمْرَهُ وَأَمْرَ رَسُولِهِ ﷺ، ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿[الأنفال: ١]﴾.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُؤْمِنُونَ: فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ يَحْتَفِلُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِمِيلَادِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيُظَنُّونَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ شَعَائِرِ الدِّينِ، وَيَأْتُونَ فِي اخْتِفَالَتِهِمْ بِالْأَعَاجِبِ مِنَ الْمُخَالَفَاتِ وَالْمُنْكَرَاتِ الَّتِي نَهَى عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتَبَرَّأَ مِنْ أَهْلِهَا؛ فَعَجَبًا لِهَذَا التَّنَاقُضِ حِينَ تُنْتَهَكُ أَوَامِرُهُ، وَتُرْتَكَبُ نَوَاهِيهِ فِي الْإِحْتِفَالِ بِمِيلَادِهِ!

وَلَكِنَّ الْعَجَبَ يَزُولُ حِينَمَا تَعْلَمُ -أَيُّهَا الْمُسْلِمُ- أَنَّ هَذِهِ الْإِحْتِفَالَاتِ الَّتِي يَفْعَلُهَا مَنْ يَزْعُمُونَ مَحَبَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا فَعَلَهَا كَثِيرٌ مِنْهُمْ حُبًّا فِيهِ، وَإِنَّمَا فَعَلُوهَا لِأَغْرَاضٍ فِي نَفْسِهِمْ، وَمَنَافِعَ شَخْصِيَّةٍ يَجِدُونَهَا فِي تِلْكَ الْإِحْتِفَالَاتِ، يُسَبِّحُونَ بِهَا شَهَوَاتِهِمْ، وَيُحَقِّقُونَ رَغَبَاتِهِمْ، وَلَوْ صَدَقُوا فِي مَحَبَّتِهِمْ لَهُ؛ لَصَدَقُوا فِي مُتَابَعَتِهِمْ إِيَّاهُ. وَالْمُتَابَعَةُ تَقْتَضِي أَنْ لَا نَحِيدَ عَنْ سُنَّتِهِ قَيْدَ أُنْمَلَةٍ، وَالْإِحْتِفَالُ بِمِيلَادِهِ مُخَالَفٌ لِسُنَّتِهِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ: وَبَزَادُ الْعَجَبِ حِينَمَا تَرَى فِتْنَاتٍ مِنَ الْعُلَمَائِيِّينَ وَالْمُنَافِقِينَ يَهْتَمُّونَ بِتِلْكَ الْإِحْتِفَالَاتِ، وَيُشِيدُونَ بِهَا، وَيَكْتُبُونَ عَنْهَا، بَلْ وَيُشَارِكُونَ أَهْلَهَا فِيهَا بِإِقَامَةِ النَّدَوَاتِ، وَإِلْقَاءِ الْمَحَاضِرَاتِ، وَعَقْدِ الْمُؤْتَمَرَاتِ لِإِحْيَاءِ ذِكْرِ مِيلَادِ الْمُصْطَفَى ﷺ، فَمَتَى عَرَفَ الْعُلَمَائِيُّونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟!

إِنَّهُمْ فِي أَحْزَابِهِمْ مِنَ الْيَمِينِ إِلَى الْيَسَارِ لَمْ يُظْهِرُوا سِوَى الْعَدَاءِ لِدِينِ

النَّبِيِّ ﷺ، وَلِلْمُتَمَسِّكِينَ بِهِ، يَسْتَهْزِئُونَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَيَنَالُونَ مِنْ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ وَدُعَاتِهِ.

إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْإِسْلَامِ شَرِيعَةً يَجِبُ أَنْ تَحْكُمَ النَّاسَ، وَلَا يُصَدِّقُونَ بِالْقُرْآنِ مُهِمِّنًا عَلَى جَمِيعِ الْمَلَلِ وَالْأَفْكَارِ، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ إِسْلَامًا بِالِاسْمِ وَالرَّسْمِ وَالشَّعَائِرِ التَّعَبُّدِيَّةِ فَحَسَبُ. ثُمَّ تَرَاهُمْ يُشْجَعُونَ مِثْلَ تِلْكَ الْإِخْتِفَالَاتِ الْمُبْتَدَعَةِ، زَاعِمِينَ مَحَبَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَيْنَ هُمْ مِنْ أَوَامِرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟!

إِنَّهُمْ مِنْ أَبْعَدِ النَّاسِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَنْ دِينِهِ وَشَرِيعَتِهِ، وَلَكِنَّهُمْ يَقُومُونَ بِذَلِكَ لِتَشْوِيهِهِ الدِّينِ الصَّحِيحِ، وَمَسْخِ السُّنَّةِ الثَّابِتَةِ، كَمَا فَعَلَ أَحْبَارُ الْيَهُودِ وَرُهْبَانُ النَّصَارَى بِتَوَارِيثِهِمْ وَإِنْجِيلِهِمْ. فَمُنَافِقُونَا يُشِيدُونَ بِتِلْكَ الْإِخْتِفَالَاتِ لِكَيْ تَكُونَ أَسَا مِنْ أُسُسِ الْإِسْلَامِ، وَفِي جَانِبِهَا يُعْطَلُ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الدِّينِ حَتَّى يُقْضَى عَلَى الْإِسْلَامِ. فَهُمْ لَا يَزَالُونَ عَاجِزِينَ عَنْ إِنْعَادِ النَّاسِ عَنْ دِينِهِمْ مَا دَامَ صَحِيحًا مَبْنُوثًا بَيْنَ النَّاسِ، فَالَّذِينَ الصَّحِيحُ يَجُرُّ النَّاسَ إِلَيْهِ جَرًّا؛ لِأَنَّهُ يُوَافِقُ فِطْرَهُمْ، بَيْنَا يَنْفِرُ النَّاسُ مِنَ الدِّينِ الْمُحَرَّفِ وَيُفَارِقُونَهُ، كَمَا فَعَلَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى بِأَدْيَانِهِمْ.

إِنَّ مُرَادَ الْعُلَمَائِينَ بِتَشْجِيعِ تِلْكَ الْإِخْتِفَالَاتِ الْبَاطِلَةِ اسْتِجْلَابُ صُورَةٍ مُزَوَّرَةٍ لِلْإِسْلَامِ؛ لِتَكُونَ مَحَلًّا لِلْإِسْلَامِ الصَّحِيحِ، فَتُشْبِعَ بِشَعَائِرِهَا الْبَاطِلَةَ وَزَخَارِفُهَا الْمُزَيَّفَةَ تَدِينُ الْعَامَّةَ، فَلَا يُطَالِبُونَ بِتَحْكِيمِ الْإِسْلَامِ الْحَقِّ.

إِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ الْقَائِمِينَ عَلَى تِلْكَ الْإِخْتِفَالَاتِ، وَالْمُنْظِمِينَ لَهَا مِنْ دَرَاوِشِ الصُّوفِيَّةِ وَضُلَّالِ الْمُبْتَدَعَةِ مِنْ أَقَلِّ النَّاسِ فَقَهَا فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَضْعَفِهِمْ قُدْرَةً عَلَى إِدَارَةِ شُئُونِ النَّاسِ وَتَوْجِيهِهِمْ، وَأَحْرَصِهِمْ عَلَى تَحْقِيقِ شَهَوَاتِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ. وَهَكَذَا هُمْ يُرِيدُونَ مِنْ جَمَاهِيرِ النَّاسِ أَنْ يَتَّبِعُوا هَذِهِ النَّوعِيَّةَ مِنْ

الْمَحْسُوبِينَ عَلَى الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ وَالِدِّينِ، حَتَّى يُسَيِّرُوهَا كَيْفَمَا يُرِيدُونَ لَهُدْمِ  
الْإِسْلَامِ، وَنَقْضِ عُرَاهُ.

وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَلَا عَجَبَ أَنْ يَكْتُبَ مَقَالَةً فِي دَعْوَةِ الرَّسُولِ ﷺ مَنْ  
يُحَارِبُ الْإِسْلَامَ، وَلَا عَجَبَ أَنْ يَنْظُمَ الْحَدَائِثُ قَصِيدَةً فِي مَدْحِ الرَّسُولِ ﷺ  
وَإِطْرَائِهِ، وَلَا عَجَبَ أَنْ يُلقِي الْعُلَمَائِيُّ الْمُلْحَدُ مُحَاضَرَةً فِي سِيرَةِ الرَّسُولِ ﷺ  
وَهُوَ يُحَارِبُ الْإِسْلَامَ جَهَارًا نَهَارًا، وَإِنَّا لَنُشَاهِدُ هَذَا التَّنَاقُضَ فِي اخْتِفَالَاتِ  
الْمَوَالِدِ وَأَمْثَالِهَا، وَيَسُوعُ هَذَا التَّنَاقُضُ إِذَا عَلِمَ أَنَّ الْمَقْصُودَ هُوَ تَشْوِيهِ صُورَةِ  
الْإِسْلَامِ النَّاصِعَةِ بِتِلْكَ الْإِخْتِفَالَاتِ الْبَاطِلَةِ، وَالطُّقُوسِ الْمُبْتَدَعَةِ الْغَرِيبَةِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُؤْمِنُونَ: إِنَّ حُبَّ الرَّسُولِ ﷺ لَا يَكُونُ إِلَّا بِاتِّبَاعِهِ ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ  
تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، وَالْإِخْتِفَالُ  
بِالْمِيلَادِ لَيْسَ مِنْ حُبِّ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا حُبِّ رَسُولِهِ ﷺ، بَلْ فِيهِ مُخَالَفَةٌ أَمْرِهِمَا.  
فَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ، وَلَا يَغُرَّتْكُمْ الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ؛ فَالِدِّينِ الصَّحِيحُ هُوَ فِي  
الِاتِّبَاعِ لَا فِي الْإِبْتِدَاعِ، فَمَهْمَا كَانَ إِعْجَابُكَ -أَيُّهَا الْمُسْلِمُ- بِفِقْرَاتِ تِلْكَ  
الِإِخْتِفَالَاتِ عَظِيمًا، وَمَهْمَا زَيْنَهَا لَكَ الْمُبْتَدِعُونَ وَالْعُلَمَائِيُّونَ فَتَذَكَّرْ قَبْلَ الْإِغْتِرَارِ  
بِهَا أَنَّهَا لَيْسَتْ عَلَى مَنَهِجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا صَحَابَتِهِ الْكَرَامِ، وَلَا التَّابِعِينَ لَهُمْ  
بِإِحْسَانٍ، فَأَيْنَ هُوَ الْخَيْرُ فِيهَا وَهِيَ تُخَالِفُ فِعْلَ أَفْضَلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَأَنْتَقَاهَا  
لِرَبِّهَا؟! فَاحْذَرُوهَا وَحَذِّرُوا النَّاسَ مِنْهَا وَمِنْ أَهْلِهَا وَالْمُعْجِبِينَ بِهَا.

وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ..





## ٣٥٢- رحيل النبي ﷺ (١) من ابتداء مرضه إلى وفاته

١٤٢٧/٣/٩ هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ؛ كَتَبَ الْمَوْتُ عَلَى الْأَحْيَاءِ، وَجَعَلَ الْآخِرَةَ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، نَحْمَدُهُ حَمْدَ الشَّاكِرِينَ، وَنَسْتَغْفِرُهُ اسْتِغْفَارَ الْمُذْنِبِينَ، وَنَسْأَلُهُ مِنْ فَضْلِهِ الْعَظِيمِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ تَفَرَّدَ بِالْخَلْقِ وَالْأَمْرِ، وَبِالتَّوْبَةِ وَالْمُلْكِ، فَلَا رَبَّ لَنَا سِوَاهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَحَبِيبَنَا وَقُرَّةَ أَعْيُنِنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَصَفِيُّهُ وَخَلِيلُهُ؛ لَوْ كُتِبَ الْبَقَاءُ فِي الدُّنْيَا لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ لَكَانَ هُوَ أَوْلَى النَّاسِ بِالْخُلْدِ فِيهَا ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ؛ فَقَدُوا الْأَبَاءَ وَالْأُمَّهَاتِ، وَالْأَوْلَادَ وَالزَّوْجَاتِ، وَالْإِخْوَانَ وَالْأَخَوَاتِ، وَمَا فُجِعُوا بِشَيْءٍ أَعْظَمَ مِنْ فَقْدِهِمْ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَأَوْصِيكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ ﷻ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالْحَذَرِ مِنَ الدُّنْيَا وَفِتْنَتِهَا؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ عَمَلٍ وَلَيْسَتْ دَارَ قَرَارٍ، وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ، فَخُذُوا مِنْ دُنْيَاكُمْ لِأَخْرَاكُمْ ﴿قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧].

أَيُّهَا النَّاسُ: مَوْلِدُ النَّبِيِّ ﷺ، وَبَعَثُهُ لِلنَّاسِ نَبِيًّا وَرَسُولًا، وَهَادِيًّا وَمُعَلِّمًا، ثُمَّ هَجَرَتْهُ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَبَنَاءَ دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ؛ كَانَتْ أَحَدَاتًا هِيَ أَعْظَمُ الْأَحْدَاثِ فِي

تَارِيخِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، بَلْ فِي التَّارِيخِ كُلِّهِ، ثُمَّ كَانَتْ الْفَاجِعَةُ بِوَفَاتِهِ ﷺ أَكْبَرَ فَاجِعَةٍ عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ.

وَقَبْلَ وَفَاتِهِ ﷺ عَلِمَ بِدُنُوِّ أَجَلِهِ، وَافْتِرَابِ رَحِيلِهِ؛ فَوَدَّعَ أَصْحَابَهُ ﷺ فِي حَاجَتِهِ، وَقَالَ: «لَعَلِّي لَا أَرَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا»<sup>(١)</sup>، وَالْمَحَ إِلَى أَصْحَابِهِ بِذَلِكَ فِي خُطْبَةٍ خَطَبَهَا؛ كَمَا رَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ ﷺ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «إِنَّ عَبْدًا خَيْرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ» فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَعَجِبْنَا لَهُ، وَقَالَ النَّاسُ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ يُخْبِرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خَيْرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْمَخِيرَ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمَنَا بِهِ» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ<sup>(٢)</sup>.  
وَأَخْبَرَ بِذَلِكَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ ﷺ لَمَّا بَعَثَهُ لِلْيَمَنِ فَجَعَلَ يُوصِيهِ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ وَصِيَّتِهِ قَالَ: «يَا مُعَاذُ، إِنَّكَ عَسَى أَنْ لَا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا، أَوْ لَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي هَذَا أَوْ قَبْرِي» فَبَكَى مُعَاذٌ جَشَعًا -أَي: فَزَعًا- لِفِرَاقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. رَوَاهُ أَحْمَدُ<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه من حديث جابر ﷺ: مسلم في الحج، باب استحباب رمي جمرَةِ الْعَقْبَةِ يوم النحر رَاكِبًا، وبيان قوله ﷺ: «لتأخذوا مناسككم» (١٢٩٧)، وأبو داود في المناسك، باب في رمي الجمار (١٩٧٠)، والترمذي في الحج، باب ما جاء في الإفاضة من عرفات، وقال: حسن صحيح (٨٨٦)، والنسائي في مناسك الحج، باب الركوب إلى الجمار واستغلال المحرم (٢٧٠/٥)، وابن ماجه في المناسك، باب الوقوف بجمع (٣٠٢٣). وهذا لفظ الترمذي.

(٢) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة واللفظ له (٣٩٠٤)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر ﷺ (٢٣٨٢).

(٣) أخرجه أحمد (٢٣٥/٥)، والطبراني في مسند الشاميين (٩٩١)، وأبو نعيم في معرفة =

وَصَرَّحَ بِهِ لِابْنَتِهِ فَاطِمَةَ عليها السلام فَقَالَ: «إِنَّ جَبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارِضُنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجْلِي، وَإِنَّكَ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لِحَاقًا بِي»<sup>(٤)</sup>.

كَانَ سَبَبَ ذَلِكَ مَرَضٌ شَدِيدٌ أَلَمَ بِهِ، وَبِدَايَتُهُ سَنَةٌ سَبْعٌ فِي فَتْحِ حَيَّيرَ؛ إِذْ سَمَهُ الْيَهُودُ فِي شَاةٍ قَدَّمُوهَا لَهُ هَدِيَّةً، فَأَكَلَ مِنْهَا<sup>(٥)</sup>، وَمَا زَالَ أَثَرُ السُّمِّ فِيهِ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وَأَوَّلُ مَا جَاءَهُ الْوَجَعُ عَلَى إِثْرِ عَوْدَتِهِ مِنْ جَنَازَةِ أَحَدِ الصَّحَابَةِ فِي الْبَقِيعِ؛ كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ عليها السلام: «رَجَعَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ جَنَازَةِ الْبَقِيعِ، وَأَنَا أَجْدُ صُدَاعًا فِي رَأْسِي وَأَنَا أَقُولُ: وَارَأْسَاهُ! قَالَ: بَلْ أَنَا وَارَأْسَاهُ! قَالَ: مَا ضَرَّكَ لَوْ مِتَّ قَبْلِي فَعَسَلْتُكَ وَكَفَفْتُكَ ثُمَّ صَلَّيْتُ عَلَيْكَ وَدَفَنْتُكَ؟، قُلْتُ: لَكِنِّي أَوْلَكَأَنِّي بِكَ وَاللَّهِ لَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ لَقَدْ رَجَعْتَ إِلَى بَيْتِي فَأَعْرَسْتَ فِيهِ بِبَعْضِ نِسَائِكَ، قَالَتْ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ بُدِيَ بِوَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ»<sup>(٦)</sup>.

= الصحابة (٥٩٧٥)، والبيهقي (٨٦/١٠)، وصححه ابن حبان (٦٤٧)، وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد للطبراني وقال: إسناده جيد (٢٣١-٢٣٢/١٠).

(٤) أخرجه من حديث عائشة عليها السلام: البخاري في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٣٦٢٤)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ (٢٤٥٠).

(٥) عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها، فجيء بها فقيل: ألا نقتلها؟ قال: «لا»، فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ، أخرجه البخاري في الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب قبول الهدية من المشركين (٢٦١٧)، ومسلم في السلام، باب السم (٢١٩٠).

(٦) أخرجه أحمد (٢٢٨/٦)، وابن ماجه في الجنائز، باب ما جاء في غسل الرجل امرأته وغسل المرأة زوجها (١٤٦٥)، وصححه ابن حبان (٦٥٨٦)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة: إسناده رجاله ثقات (٩٥/١).

وَلَمَّا أَحَسَّ ﷺ بِقُرْبِ وَفَاتِهِ اسْتَغْفَرَ لِلْأَمْوَاتِ مِنَ الصَّحَابَةِ ﷺ؛ كَمَا رَوَى أَبُو مُوَيْهَبَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ فَقَالَ: يَا أَبَا مُوَيْهَبَةَ ﷺ إِنِّي قَدْ أُمِرْتُ أَنْ أَسْتَغْفَرَ لِأَهْلِ الْبَقِيعِ، فَاَنْطَلِقْ مَعِي. فَاَنْطَلَقْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْمَقَابِرِ، لَيْسَ لَكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ مِمَّا أَصْبَحَ فِيهِ النَّاسُ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا نَجَّاهُ اللَّهُ مِنْهُ، أَقْبَلْتُ الْفِتْنَ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يَتَّبِعُ أَوَّلَهَا آخِرُهَا، الْآخِرَةُ شَرٌّ مِنَ الْأُولَى. قَالَ: ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: يَا أَبَا مُوَيْهَبَةَ، إِنِّي قَدْ أُوتِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا وَالْخُلْدِ فِيهَا ثُمَّ الْجَنَّةَ، وَخَيْرْتُ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّي ﷻ وَالْجَنَّةَ. قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَا مُوَيْهَبَةَ، لَقَدْ فَخَذْتُ مَفَاتِيحَ الدُّنْيَا وَالْخُلْدِ فِيهَا ثُمَّ الْجَنَّةَ، قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا أَبَا مُوَيْهَبَةَ، لَقَدْ اخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي ﷻ وَالْجَنَّةَ. ثُمَّ اسْتَغْفَرَ لِأَهْلِ الْبَقِيعِ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَبَدِئَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي وَجَعِهِ الَّذِي قَبَضَهُ اللَّهُ ﷻ فِيهِ حِينَ أَصْبَحَ»، وَفِي رَوَايَةٍ: «فَمَا لَبِثَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا سَبْعًا أَوْ ثَمَانِيًا حَتَّى قُبِضَ ﷺ» رَوَاهُ أَحْمَدُ<sup>(٧)</sup>.

وَكَمَا اسْتَغْفَرَ ﷺ لِأَهْلِ الْبَقِيعِ اسْتَغْفَرَ كَذَلِكَ لِشُهَدَاءِ أُحُدٍ ﷺ، وَوَدَّعَ الْأَحْيَاءَ وَالْأَمْوَاتَ؛ كَمَا رَوَى عُقْبَةُ بْنُ غَامِرٍ ﷺ فَقَالَ: «صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ كَالْمُودِّعِ لِلْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، ثُمَّ طَلَعَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ، وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْحَوْضُ، وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا، وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوهَا. قَالَ: فَكَانَتْ آخِرَ نَظَرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ<sup>(٨)</sup>.

(٧) أخرجه أحمد (٤٨٩/٣)، وابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (٥٥/٦)، وابن شبة في أخبار المدينة (٢٨١)، وصححه الحاكم وقال: على شرط مسلم ووافقه الذهبي (٥٧/٣)، وتعبه الألباني في السلسلة الضعيفة فضعف الحديث وبين وهم الحاكم فيه (٦٤٤٧).

(٨) أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة أحد (٤٠٤٢)، ومسلم في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته (٢٢٩٦).



وَكَانَ فِي مَرَضِهِ يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ وَيَقُولُ: «أَيْنَ أَنَا عَدَا؟ أَيْنَ أَنَا عَدَا؟» حِرْصًا عَلَى بَيْتِ عَائِشَةَ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي سَكَنَ»، وَفِي رِوَايَةٍ يَقُولُ: «أَيْنَ أَنَا عَدَا؟»؛ اسْتَبْطَاءً لِيَوْمِ عَائِشَةَ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ (٩).

وَلَمَّا ثَقُلَ ﷺ، وَاسْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ، بَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَاجْتَمَعْنَ فَاسْتَأْذَنَهُنَّ أَنْ يُمْرَضَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَقَالَ: إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَدُورَ بَيْنَكُنَّ، فَإِنْ رَأَيْتُنَّ أَنْ تَأْذَنَ لِي فَأَكُونَنَّ عِنْدَ عَائِشَةَ فَعَلْتُنَّ، فَأَذِنَ لَهُ، فَخَرَجَ ﷺ بَيْنَ الْعَبَّاسِ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تَحُطُّ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ مِنْ شِدَّةِ مَرَضِهِ، حَتَّى دَخَلَ بَيْتَ عَائِشَةَ (١٠).

وَقَالَ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ، مَا أَزَالَ أَحَدٌ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْرٍ، فَهَذَا أَوَانُ انْقِطَاعِ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السَّمِّ» (١١)، وَهُوَ شَرِيَانٌ مُتَّصِلٌ بِالْقَلْبِ (١٢).

(٩) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (٣٧٧٤)، ومسلم في فضائل الصحابة - رضي الله تعالى عنهم -، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها (٢٤٤٣).

(١٠) أخرجه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: البخاري في المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته (٤٤٤٢)، ومسلم في الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما من يصلي بالناس، وأن من صلى خلف إمام جالس لعجزه عن القيام لزمه القيام إذا قدر عليه، ونسخ القعود خلف القاعد في حق من قدر على القيام (٤١٨).

(١١) أخرجه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: البخاري معلقاً مجزئاً به في المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته (٤٤٢٨)، ووصله الحاكم وصححه، وقال: على شرط الشيخين ووافقه الذهبي (٦٠/٣).

وقال الحافظ ابن حجر: «وهذا قد وصله البزار والحاكم والإسماعيلي من طريق عنبة بن خالد عن يونس بهذا الإسناد، وقال البزار: تفرد به عنبة عن يونس، أي: بوصله وإلا فقد رواه موسى بن عقبة في المغازي عن الزهري لكنه أرسله، وله شاهدان مرسلان أيضاً أخرجهما إبراهيم الحربي في غرائب الحديث له، أحدهما من طريق يزيد بن رومان، والآخر من رواية أبي جعفر الباقر، وللحاكم موصول من حديث أم مبشر قالت: قلت: يا رسول الله، ما تتهم بنفسك فأني لا أتهم بابني إلا الطعام الذي أكل بخير، وكان ابنها بشر بن البراء بن معرور مات فقال: وأنا لا أتهم غيرها، وهذا أوان انقطاع أبهري» فتح البار (١٣١/٨).

(١٢) قال القاضي عياض: «وَالْأَبْهَرُ عِرْقٌ يَكْتَنِفُ الصَّلْبَ وَالْقَلْبَ مُتَّصِلٌ بِهِ، فَإِذَا انْقَطَعَ فَلَا =

وَاشْتَدَّتْ حَرَارَةُ جَسَدِهِ ﷺ مِنَ الْمَرَضِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ،  
وَدَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ يُوعَكُ قَالَ: «فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَيْهِ،  
فَوَجَدْتُ حَرَّهُ بَيْنَ يَدِي فَوْقَ اللَّحَافِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَشَدَّهَا عَلَيْكَ!»  
قَالَ: «إِنَّا كَذَلِكَ يُضَعَّفُ لَنَا الْبَلَاءُ، وَيُضَعَّفُ لَنَا الْأَجْرُ»<sup>(١٣)</sup>.

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَصِفُ وَجَعَهُ: «مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَشَدَّ عَلَيْهِ الْوَجَعُ مِنْ  
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ<sup>(١٤)</sup>.

وَأَخِرُ صَلَاةٍ أَمَّ النَّاسَ فِيهَا كَانَتْ صَلَاةَ الْمَغْرِبِ؛ كَمَا رَوَتْ أُمُّ الْفَضْلِ بِنْتُ  
الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ: «خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَاصِبٌ رَأْسُهُ فِي مَرَضِهِ،  
فَصَلَّى الْمَغْرِبَ فَقَرَأَ بِالْمُرْسَلَاتِ، قَالَتْ: فَمَا صَلَّاهَا بَعْدُ حَتَّى لَقِيَ اللَّهَ» رَوَاهُ  
الشَّيْخَانِ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ<sup>(١٥)</sup>.

= حَيَاةً لَصَاحِبِهِ «مشارك الأنوار (١/١٠٢)، وينظر الغريب لابن الجوزي (١/٩٢).

وقال ابن الأثير: «الأبهر عرق في الظهر، وهما أبهران. وقيل: هما الأكحلان اللذان في  
الذراعين. وقيل: هو عرق مستبطن القلب، فإذا انقطع لم تبق معه حياة. وقيل: الأبهر عرق  
منشؤه من الرأس ويمتد إلى القدم، وله شرايين تتصل بأكثر الأطراف والبدن، فالذي في  
الرأس منه يسمى النامة، ومنه قولهم: أسكت الله نأتمته، أي: أماته، ويمتد إلى الحلق  
فيسمى فيه الوريد، ويمتد إلى الصدر فيسمى الأبهر، ويمتد إلى الظهر فيسمى الوتين،  
والفؤاد معلق به، ويمتد إلى الفخذ فيسمى النسا، ويمتد إلى الساق فيسمى الصافن» النهاية  
(١/١٨).

(١٣) أخرجه ابن ماجه في الفتن، باب الصبر على البلاء (٤٠٢٤)، وصححه البوصيري في  
مصباح الزجاجة فقال: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات (٤/١٨٨)، والألباني في السلسلة  
الصحيحة (١٤٤).

(١٤) أخرجه البخاري في المرض، باب شدة المرض (٥٦٤٦)، ومسلم في البر والصلة  
والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن، أو نحو ذلك حتى الشوكة  
يشاكها (٢٥٧٠).

(١٥) أخرجه البخاري في المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته (٤٤٢٩)، ومسلم في =

فَلَمَّا حَضَرَتِ الْعِشَاءُ مَا قَدَرَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَيْهِمْ مِنْ شِدَّةِ مَرَضِهِ ﷺ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «أَصَلَّى النَّاسُ؟ قُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ، قَالَ: ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ. قَالَتْ: فَفَعَلْنَا، فَاغْتَسَلَ، فَذَهَبَ لَيْنُوءٍ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ ﷺ: أَصَلَّى النَّاسُ؟ قُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ. قَالَتْ: فَقَعَدَ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ ذَهَبَ لَيْنُوءٍ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ ﷺ: أَصَلَّى النَّاسُ؟ قُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ. فَقَعَدَ، فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ ذَهَبَ لَيْنُوءٍ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: أَصَلَّى النَّاسُ؟ قُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالنَّاسُ عُكُوفٌ فِي الْمَسْجِدِ، يَنْتَظِرُونَ النَّبِيَّ ﷺ لِصَلَاةِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِأَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ . . . فَصَلَّى بِهِمْ أَبُو بَكْرٍ تِلْكَ الْآيَاتِ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ خِفَةً، فَخَرَجَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ -قَالَتْ عَائِشَةُ: كَأَنِّي أَنْظُرُ رَجُلَيْهِ تَحْطَانِ مِنَ الْوَجَعِ- خَرَجَ لِصَلَاةِ الظُّهْرِ وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَلَمَّا رَأَى أَبُو بَكْرٍ ذَهَبَ لِيَتَأَخَّرَ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنْ لَا يَتَأَخَّرَ، قَالَ: أَجْلِسَانِي إِلَى جَنْبِهِ، فَأَجْلَسَاهُ إِلَى جَنْبِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: فَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي وَهُوَ يَأْتُمُ بِصَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالنَّاسُ بِصَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ، وَالنَّبِيُّ ﷺ قَاعِدٌ» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ (١٦).

وَاشْتَدَّ بِهِ ﷺ الْمَرَضُ عَقِبَ ذَلِكَ، فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ، وَظَلَّ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

= الصلاة، باب القراءة في الصبح (٤٦٢)، وأبو داود في الصلاة، باب قدر القراءة في المغرب (٨١٠)، والترمذي في الصلاة، باب ما جاء في القراءة في المغرب (٣٠٨)، والنسائي في الافتتاح، باب القراءة في المغرب بالمرسلات (١٦٨/٢)، وابن ماجه في الإقامة، باب القراءة في صلاة المغرب (٨٣١).

(١٦) أخرجه البخاري في الأذان، باب إنما جعل الإمام ليؤتم به (٦٨٧)، ومسلم في الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما من يصلي بالناس (٤١٨).

يُصَلِّي بِالنَّاسِ، وَمَكَثَ فِي مَرَضِهِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ يَوْمًا<sup>(١٧)</sup>. وَكَانَ عِنْدَهُ بِضْعَةُ دَنَانِيرَ، فَسَأَلَ عَنْهَا عَائِشَةُ، فَقَالَتْ ﷺ: هِيَ عِنْدِي، قَالَ: «تَصَدَّقِي بِهَا». قَالَتْ: فَشُغِلْتُ بِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا عَائِشَةُ مَا فَعَلْتَ تِلْكَ الذَّهَبُ؟ فَقُلْتُ: هِيَ عِنْدِي، فَقَالَ: ائْتِنِي بِهَا. قَالَتْ: فَجِئْتُ بِهَا فَوَضَعَهَا فِي كَفِّهِ، ثُمَّ قَالَ: مَا ظَنُّ مُحَمَّدٍ أَنْ لَوْ لَقِيَ اللَّهَ وَهَذِهِ عِنْدَهُ؟! مَا ظَنُّ مُحَمَّدٍ أَنْ لَوْ لَقِيَ اللَّهَ وَهَذِهِ عِنْدَهُ؟! أَنْفِقِيهَا» رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ ﷺ: «ابْعَثِي بِهَا إِلَى عَلِيٍّ، فَتَصَدَّقْ عَلَيَّ ﷺ بِهَا»<sup>(١٨)</sup>.

وَفِي آخِرِ لَيْلَةٍ لَهُ فِي الدُّنْيَا -وَهِيَ لَيْلَةُ الْاِثْنَيْنِ- أَمْسَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي جَدِيدِ الْمَوْتِ -وَهُوَ أَوَّلُهُ- وَانْتَهَى وَقُودُ سِرَاجِ عَائِشَةَ ﷺ، فَأَرْسَلَتْ بِمُضْبَاحٍ لَهَا إِلَى امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهَا فَقَالَتْ: اهْدِي لَنَا فِي مُضْبَاحِنَا مِنْ عُكَّتِكَ السَّمْنِ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمْسَى فِي جَدِيدِ الْمَوْتِ<sup>(١٩)</sup>.

(١٧) ينظر: دلائل النبوة للبيهقي (٢٣٥/٧)، والأنس الجليل (٢١٨/١).

وقال المحب الطبري: «وكانت مدة مرضه اثني عشر يومًا، وقيل: أربعة عشر، وكان مرضه بالصداع» خلاصة سير سيد البشر (١٧٨).

وقال ابن رجب في فتح الباري: «وكانت مدة مرضه فوق عشرة أيام» (٥٥٣/٢).  
وقال ابن حجر: «واختلف في مدة مرضه؛ فالأكثر على أنها ثلاثة عشر يومًا، وقيل بزيادة يوم، وقيل بنقصه، ... وقيل: عشرة أيام، وبه جزم سليمان التيمي في مغازيه، وأخرجه البيهقي بإسناد صحيح» فتح الباري (١٢٩/٨).

(١٨) أخرجه من حديث عائشة ﷺ: ابن سعد في الطبقات (٢٣٨/٢)، وأحمد (٤٩/٦) و(١٨٢)، وصححه ابن حبان (٧١٥)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: رواه أحمد بأسانيد، ورجال أحدها رجال الصحيح (٢٣٩/١٠-٢٤٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠١٤).

(١٩) أخرجه من حديث عائشة ﷺ: ابن سعد في الطبقات (٢٣٩/٢)، والطبراني في الكبير (١٩٨/٦) رقم (٥٩٩٠)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح (١٢٤/٣). وجديد الموت: أوله كما قال الأخفش والمغافص الباهلي. ينظر: اللسان (١١٢/٣) وتاج العروس (٤٨٢/٧).

وَدَخَلَتْ عَلَيْهِ ابْنَتُهُ فَاطِمَةُ ؓ وَهُوَ يَجِدُ مِنْ كَرْبِ الْمَوْتِ مَا يَجِدُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ ؓ: «وَكَرَبَ أَبْتَاهُ! فَقَالَ ﷺ: لَا كَرْبَ عَلَيَّ أَبْيَكُ بَعْدَ الْيَوْمِ، إِنَّهُ قَدْ حَضَرَ مِنْ أَبْيَكٍ مَا لَيْسَ بِتَارِكٍ مِنْهُ أَحَدًا، الْمُوَافَاةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ (٢٠).

وَعَرَفَ الْعَبَّاسُ ﷺ فِي وَجْهِ النَّبِيِّ ﷺ الْمَوْتَ، وَقَالَ: «إِنِّي وَاللَّهِ لَأَرَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَوْفَ يُتَوَفَّى مِنْ وَجَعِهِ هَذَا، إِنِّي لَأَعْرِفُ وَجُوهَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عِنْدَ الْمَوْتِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢١).

وَلَمَّا أَصْبَحَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَالصَّحَابَةُ ﷺ صُفُوفٌ فِي الصَّلَاةِ، كَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سِتْرَ الْحُجْرَةِ، قَالَ أَنَسٌ ﷺ: «فَنَظَرَ إِلَيْنَا وَهُوَ قَائِمٌ كَأَنَّ وَجْهَهُ وَرَقَةٌ مُضْحَفٍ - أَيُّ: عِبَارَةٌ عَنِ الْجَمَالِ الْبَارِعِ، وَحُسْنِ الْبَشَرَةِ، وَصَفَاءِ الْوَجْهِ وَاسْتِنَارَتِهِ - ثُمَّ تَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ضَاحِكًا، قَالَ: فَبُهِتْنَا وَنَحْنُ فِي الصَّلَاةِ مِنْ فَرَحٍ بِخُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَفِي رِوَايَةٍ: فَهَمَمْنَا أَنْ نَفْتَنَ مِنَ الْفَرَحِ بِرُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ - وَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقْبِيهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ، وَظَنَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَارِجٌ لِلصَّلَاةِ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ أَنْ أَتَمُّوا صَلَاتَكُمْ، قَالَ: ثُمَّ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَرْخَى السِّتْرَ» (٢٢)، وَفِي رِوَايَةٍ: «فَحَمِدَ اللَّهُ عَلَى مَا رَأَى مِنْ حُسْنِ حَالِهِمْ، وَرَجَاءِ أَنْ يَخْلُفَهُ اللَّهُ فِيهِمْ بِالَّذِي رَأَهُمْ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّمَا

(٢٠) أخرجه من حديث أنس بن مالك ﷺ: ابن ماجه في الجناز، باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ (١٦٢٩)، والترمذي في الشمائل (٣٩٨)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٥٦٤)، وابن زبير الربيعي في وصايا العلماء (٢٨)، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة: حسن صحيح (١٧٣٨).

(٢١) أخرجه من حديث ابن عباس عن علي ﷺ: البخاري في المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته (٤٤٤٧)، وأحمد (٢٦٣/١).

(٢٢) أخرجه البخاري في الأذان، باب: أهل العلم والفضل أحق بالإمامة (٦٨٠)، ومسلم في الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر (٤١٩).

أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ أَوْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ فَلْيَتَعَزَّ بِمُصِيبَتِهِ بِي عَنِ الْمُصِيبَةِ الَّتِي تُصِيبُهُ بغيري؛ فَإِنَّ أَحَدًا مِنْ أُمَّتِي لَنْ يُصَابَ بِمُصِيبَةٍ بَعْدِي أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ مُصِيبَتِي» (٢٣).

وَعُشِيَ عَلَيْهِ وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِ عَائِشَةَ رضي الله عنها، فَجَعَلَتْ عَائِشَةُ تَقْرَأُ عَلَيْهِ الْمُعَوِّذَاتِ وَتَتَنَفَّثُ، وَتَدْعُو لَهُ بِالشِّفَاءِ، فَأَفَاقَ وَسَمِعَهَا تَدْعُو بِشِفَائِهِ، فَقَالَ ﷺ: «لَا، بَلْ أَسْأَلُ اللَّهَ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى مَعَ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ»، قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: «وَأَخَذَتْهُ بُحَّةً شَدِيدَةً فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ. فَعَلِمْتُ أَنَّهُ خَيْرٌ» (٢٤).

وَدَخَلَ أَخُوهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهِيَ مُسْنِدَتُهُ إِلَى صَدْرِهَا، وَمَعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ سِوَاكَ رَطْبٍ يَسْتَنْ بِهِ، فَأَبَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَصَرَهُ، قَالَتْ رضي الله عنها: «فَأَخَذْتُ السِّوَاكَ فَقَضَمْتُهُ وَنَفَضْتُهُ وَطَيَّبْتُهُ، ثُمَّ دَفَعْتُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَنْ بِهِ، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَنْ اسْتِنَانًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ، وَكَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ رِكْوَةٌ أَوْ عُلبَةٌ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَهُ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهَا وَجْهَهُ، وَيَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكْرَاتٍ، ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى. حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ» (٢٥). وَفِي رِوَايَةٍ: «فَمَا عَدَا أَنْ فَرَغَ

(٢٣) هذه الرواية من حديث عائشة رضي الله عنها عند: ابن ماجه في الجناز، باب ما جاء في الصبر على المصيبة (١٥٩٩)، وأحمد في فضائل الصحابة (٢١٦)، والطبراني في الأوسط (٤٤٤٨)، وفي الصغير (٦١٢)، والبيهقي في الشعب (١٠١٥٤)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٣٠٠).

(٢٤) أصل الحديث في الصحيحين: البخاري في المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته (٤٤٣٥)، ومسلم في الفضائل، باب في فضل عائشة رضي الله عنها (٢٤٤٤)، وهذا السياق لابن حبان (٦٥٩٠-٦٥٩١-٦٥٩٢).

(٢٥) أخرجه من حديث عائشة رضي الله عنها: البخاري في المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته (٤٤٤٩).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَفَعَ يَدَهُ أَوْ إِصْبَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: «فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى، فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى، فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى. ثُمَّ قَضَى، وَكَانَتْ ﷺ تَقُولُ: مَاتَ بَيْنَ حَاقَتَيْ وَذَاقَتَيْ»<sup>(٢٦)</sup>، قَالَتْ: «فَلَا أَكْرَهُ شِدَّةَ الْمَوْتِ لِأَحَدٍ أَبَدًا بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ»<sup>(٢٧)</sup>، قَالَتْ: «فَخَرَجْتُ مِنْ فِيهِ نُظْفَةً بَارِدَةً فَوَقَعْتُ عَلَى ثَغْرَةٍ نَحْرِي فَافْشَعَرْتُ لَهَا جِلْدِي، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ غُشِي عَلَيْهِ فَسَجَّيْتُهُ ثَوْبًا»<sup>(٢٨)</sup>، قَالَتْ: «فَلَمَّا خَرَجْتُ نَفْسُهُ لَمْ أَجِدْ رِيحًا قَطُّ أَطْيَبَ مِنْهَا»<sup>(٢٩)</sup>، «وَسُجِّي ﷺ بِثَوْبٍ حَبْرَةٍ»<sup>(٣٠)</sup>.

وَمَاتَ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ، وَأَزْكَى الْبَشَرِيَّةِ، خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَكَانَتْ الْمُصِيبَةُ بِهِ أَعْظَمَ الْمُصِيبَةِ عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَقَعَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مِيتٌ وَإِيَّاهُمْ مِتُّنَ﴾ [الزمر: ٣٠] فَصَلَّوْا تُرْبِي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمِينَ مَا تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، اللَّهُمَّ اكْتُبْ أَجْرَنَا وَالْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ فِي الْمُصِيبَةِ بِهِ، وَاخْلُفْ لَنَا خَيْرًا مِنْهَا، وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ، وَأَوْرِدْنَا حَوْضَهُ، وَاسْقِنَا بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ كَأْسًا لَا نَظْمًا بَعْدَهَا أَبَدًا، وَارْزُقْنَا مُرَافَقَتَهُ فِي الْجَنَّةِ، آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

وَأَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ ...



(٢٦) هذه الرواية من حديث عائشة ؓ للبخاري في المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته (٤٤٣٨).

(٢٧) هذه الرواية من حديث عائشة ؓ للبخاري في المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته (٤٤٤٦).

(٢٨) هذه الرواية لأحمد (٢١٩/٦)، وإسحاق بن راهويه (١٣٣٣)، وابن سعد (٢/٢٦١).

(٢٩) هذه الرواية لأحمد (١٢١/٦)، ومن طريقه البيهقي في الدلائل (٢١٣/٧)، قال ابن كثير

في سيرته: «وهذا إسناد صحيح على شرط الصحيحين ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة» (٤٧٨/٤).

(٣٠) أخرجه من حديث عائشة ؓ: مسلم في الجنائز، باب تسجية الميت (٩٤٢).

## الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى إِحْسَانِهِ وَلُطْفِهِ، لَا يَفْضِي قَضَاءَ لِمُؤْمِنٍ إِلَّا وَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَاتَّبَاعِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى وَأَطِيعُوهُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: جَمَعَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ بَيْنَ التَّوْبَةِ وَالشَّهَادَةِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ قَتَلُوهُ بِالسُّمِّ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لِأَنَّهُ أَخْلَفَ تِسْعًا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قُتِلَ قَتْلًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَخْلَفَ وَاحِدَةً أَنَّهُ لَمْ يُقْتَلَ، وَذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ نَبِيًّا وَاتَّخَذَهُ شَهِيدًا» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ (٣١).

وَالْيَهُودِيَّةُ النَّبِيُّ ﷺ مَا فَعَلْتَ ذَلِكَ إِلَّا عَنْ مَلَأٍ مِنْ سَادَتِهَا وَكِبَارِ قَوْمِهَا مِنْ رُؤُوسِ الْيَهُودِ؛ حَسَدًا لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَحَسَدًا لِهَذِهِ الْأُمَّةِ أَنْ بُعِثَ خَاتَمُ الرُّسُلِ مِنْهَا، وَدَلِيلُ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ شَاةٌ فِيهَا سُمٌّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اجْمَعُوا إِلَيَّ مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ يَهُودَ. فَجَمِعُوا لَهُ، فَقَالَ: إِنِّي سَأَلْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ، فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْهُ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ... قَالَ: هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا نَسْتَرِيحُ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٢). وَمَنْ فَعَلُوا ذَلِكَ بِالنَّبِيِّ ﷺ فَلَنْ يَتَوَرَّعُوا عَنْ فِعْلِ أَيِّ شَيْءٍ بِالْمُسْلِمِينَ،

(٣١) أخرجه أحمد (٤٠٨/١)، والطبراني في الكبير (١٠٩/١٠) رقم (١٠١١٩)، وصححه الحاكم وقال: على شرط الشيخين ووافقه الذهبي (٦٠/٣).

(٣٢) أخرجه البخاري في الجزية، باب إذا غدر المشركون بالمسلمين، هل يعفى عنهم (٣١٦٩).



وَشَوَاهِدُ ذَلِكَ مَائِلَةٌ لِلْعِيَانِ فِي فَلَسْطِينَ، فَهُمْ أَعْدَاءُ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ شَايَعَهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ النَّصَارَى فَهُمْ أَعْدَاءُ الْمُسْلِمِينَ أَيْضًا، وَإِنْ أَرَادَ الْمُنَافِقُونَ وَالْجَاهِلُونَ غَيْرَ ذَلِكَ، وَزَعَمُوا صِدَاقَتَهُمْ وَأَخَوَتَهُمْ، وَحَسَّنُوا لَدَى الْمُسْلِمِينَ صُورَتَهُمْ؛ فَإِنَّ الْأَحْدَاثَ تَفْضَحُهُمْ، وَضَعَائِنُهُمْ عَلَيْنَا تَبْدُو مِنْهُمْ، وَمَنْ وَالَى النَّبِيَّ ﷺ وَأَحَبَّهُ عَادَى أَعْدَاءَهُ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمُنَافِقِينَ وَكَرِهَهُمْ، وَامْتَلَأَ قَلْبُهُ بِالْغَيْظِ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ؛ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ، وَقَتْلِهِمْ أَنْبِيََاءَهُمْ، وَمُعَادَاتِهِمْ أَتْبَاعَ الرُّسُلِ ﷺ، وَهَذَا أَضَلُّ عَظِيمٌ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ وَإِنْ كَرِهَهُ مَنْ كَرِهَهُ؛ إِذْ كَيْفَ يُحِبُّ الْمُؤْمِنُ مَنْ كَفَرُوا بِاللَّهِ تَعَالَى، وَقَتَلُوا أَنْبِيََاءَهُ ﷺ.

إِنَّ الْحُزْنَ عَلَى فَقْدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالتَّغْيِيرَ عَنْ مَحَبَّتِهِ لَنْ يَكُونَ فِي الْإِحْتِفَالِ بِمَوْلَاهُ أَوْ بَعَثْتِهِ أَوْ إِسْرَائِهِ أَوْ هِجْرَتِهِ، أَوْ اخْتِرَاعِ بَدْعٍ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ، وَلَكِنَّ التَّغْيِيرَ الصَّادِقَ عَنْ مَحَبَّتِهِ يَكُونُ فِي مُوَالَاتِهِ وَمُوَالَاةِ أَوْلِيَائِهِ، وَمُعَادَاةِ أَعْدَائِهِ.

يَكُونُ فِي افْتِقَاءِ آثَرِهِ، وَتَحْكِيمِ شَرْعِهِ، وَالتَّزَامِ هَدْيِهِ، وَلَكِنْ فَقَدْنَا نَبِيَّنَا ﷺ وَلَمْ نَرَهُ، فَإِنَّ سُنَّتَهُ بَيْنَ أَيْدِينَا، فَمَنْ يَلْتَزِمُهَا؟ مَنْ؟ مَحَبَّةٌ لَهُ وَلَمَّا جَاءَ بِهِ مِنَ الْحَقِّ وَالْهُدَى، وَمَا أَسْهَلَ ادِّعَاءَ مَحَبَّتِهِ ﷺ! وَلَكِنْ عِنْدَ التَّطْيِيقِ لَا يَثْبُتُ إِلَّا الْقَلَائِلُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ الَّذِينَ يُجَانِبُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى وَإِنْ اشْتَهَتْهُ نَفْسُهُمْ، وَوَلَعَ فِيهِ غَيْرُهُمْ؛ مَحَبَّةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَامْتِثَالًا لِأَمْرِهِ، وَاجْتِنَابًا لِنَهْيِهِ. وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿آل عمران: ٣١، ٣٢﴾، وَفِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿وَمَا ءَانَاكُمْ الرَّسُولُ فَحِذُّوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُحِبِّينَ لِلنَّبِيِّ ﷺ هُمْ مَنْ يَسْأَلُونَ عَنْ سُنَّتِهِ وَيَتَعَلَّمُونَهَا، وَيَذَرُسُونَ حَدِيثَهُ وَيَحْفَظُونَهُ؛ لِيَعْمَلُوا بِهَا، وَلِيَعْلَمُوهَا غَيْرَهُمْ، وَيَدْعُوا النَّاسَ إِلَى امْتِثَالِهَا. إِنَّهُمْ مَنْ يُدْمِنُونَ عَلَى قِرَاءَةِ سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَلِّهِ وَتَرْحَالِهِ، وَسَفَرِهِ وَعَزَوَاتِهِ، وَهَدْيِهِ وَعِبَادَاتِهِ، وَأَخْلَاقِهِ وَصِفَاتِهِ، فِي بَيْتِهِ وَمَعَ أُسْرَتِهِ وَمَعَ أَصْحَابِهِ وَمَعَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ؛ لِيَتَلَمَّسُوا السُّنَنَ، وَيَقْتَفُوا الْأَثَرَ؛ وَذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ مَحَبَّتِهِمْ لَهُ، وَشَوْقِهِمْ إِلَيْهِ، فَلَا يَشْغَلُهُمْ عَنْ سِيرَتِهِ وَأَخْبَارِهِ شَاغِلٌ. . لَا تَسْتَغْنِي قُلُوبُهُمْ عَنْهَا، وَلَا يَسْتَبْدِلُونَ غَيْرَهَا بِهَا.

فَانْظُرُوا -يَا عِبَادَ اللَّهِ- هَلْ أَنْتُمْ كَذَلِكَ؟ فَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى مَا أَعْطَاهُ، وَلْيَسْأَلْهُ الثَّباتَ، وَلْيَزِدْ خَيْرًا إِلَى خَيْرِهِ، وَمَنْ كَانَ مُقْصِرًا فَلْيُرَاجِعْ نَفْسَهُ، وَلْيَذَرِكْ مَا بَقِيَ مِنْ أَيَّامِهِ، وَلْيُعَوِّضْ مَا مَضَى مِنْ تَفْرِيطِهِ فِي حَقِّ النَّبِيِّ ﷺ وَسُنَّتِهِ وَسِيرَتِهِ؛ فَالْسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ بِالنَّبِيِّ ﷺ فِي حَيَاتِهِ بِالتَّزَامِ سُنَّتِهِ، وَقِرَاءَةِ سِيرَتِهِ، وَمَعْرِفَةِ أَحْوَالِهِ، وَسَعِدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالشُّرْبِ مِنْ حَوْضِهِ، وَيَمْرَافَقَتِهِ فِي الْجَنَّةِ، وَالسَّقِيُّ مَنْ حُجِزَ عَنْ حَوْضِهِ لِتَقْصِيرِهِ وَإِحْدَاثِهِ وَتَبْدِيلِهِ. وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ...



## ٣٥٣- رحيل النبي ﷺ (٢) الوفاة والدفن والحزن

١١/٣/١٤٢٨هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، الْقَيُّومِ الَّذِي لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ؛ كَتَبَ الْمَوْتَ عَلَى الْأَحْيَاءِ، وَتَقَرَّدَ بِالْعِزِّ وَالْبَقَاءِ، نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الْعَظِيمَةِ، وَالْآلِئَةِ الْجَسِيمَةِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿الرَّحْمَنُ: ٢٧﴾، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ مَا وَثَرَتْ أُمَّتُهُ بِشَيْءٍ أَعْظَمَ مِنْ وَثَرِهَا بِهِ، فَبَكَتْهُ الْقُلُوبُ قَبْلَ الْعُيُونِ، وَفَقَدَهُ أَرْوَاجُهُ وَأَصْحَابُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ، فَبَابَائِنَا هُوَ وَأُمَّهَاتِنَا، كَمْ مِنْ خَيْرٍ نَالَهُ الْمُؤْمِنُونَ بِدَعْوَتِهِ؟! وَكَمْ مِنْ عَذَابٍ رُفِعَ عَنْهُمْ بِاسْتِغْفَارِهِ وَمَسْأَلَتِهِ؟! فَهُوَ أَمَانُهُمْ مَا دَامَ فِيهِمْ، فَلَمَّا قَبَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ بَقِيَ فِيهِمْ مَا عَلَّمَهُمْ مِنَ الْهُدَى وَالْقُرْآنِ ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣] صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ؛ مَا فَرِحُوا بِشَيْءٍ أَعْظَمَ مِنْ فَرَحِهِمْ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَمَا حَزَنُوا عَلَى شَيْءٍ أَشَدَّ مِنْ حُزْنِهِمْ لِمَا فَقَدُوهُ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى وَأَطِيعُوهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَوْ كَانَ لَهَا وَزْنٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى لَأَنَالَهَا أَحَبُّ خَلْقِهِ إِلَيْهِ، وَأَخْلَصَهُمْ لَهُ، النَّسِيبُ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَهَا دَارَ امْتِحَانٍ وَبَلَاءٍ، وَمَهْمَا طَالَ عُمْرُ الْوَاحِدِ فِيهَا فَهُوَ مُفَارِقُهَا إِلَى دَارِ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، وَلَا نَجَاةَ لَهُ إِلَّا بِعَمَلِهِ الصَّالِحِ، وَقَدْ خَاطَبَ اللَّهُ تَعَالَى خَيْرَةَ خَلْقِهِ وَأَفْضَلَ رُسُلِهِ ﷺ بِذَلِكَ ﴿وَمَا جَعَلْنَا

لِشَرِّ مَنْ قَبْلَكَ الْخُلْدُ أَفَايِنَ مَتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبِّئُكُمْ  
بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ [الأنبياء: ٣٥] فَتَرَوْدُوا -عِبَادَ اللَّهِ- مِنْ دُنْيَاكُمْ  
لِأَخْرَاكُمْ، وَمِنْ حَيَاتِكُمْ لِمَوْتِكُمْ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ وَمَنْ  
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٨].

أَيُّهَا النَّاسُ: لَمَّا أَكْمَلَ اللَّهُ تَعَالَى دِينَهُ، وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ، وَرَضِيَ دِينَهُ لِعِبَادِهِ، وَبَلَغَ  
رَسُولُهُ ﷺ مَا كُلَّفَ بِإِبْلَاغِهِ؛ أَذِنَ سُبْحَانَهُ بِقَبْضِ رَسُولِهِ، وَأَعْلَمَهُ بِدُنُوِّ أَجَلِهِ،  
فَحَجَّ بِالنَّاسِ حَجَّةَ الْوَدَاعِ، وَعَلَّمَهُمْ مَنَاسِكَهُمْ، وَقَالَ لَهُمْ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي  
وَاللَّهِ لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا بِمَكَانِي هَذَا»<sup>(١)</sup>، وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ ﷺ:  
«لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ»<sup>(٢)</sup>. وَخَصَّ بَعْضُ أَصْحَابِهِ وَبَعْضُ أَهْلِ بَيْتِهِ  
فَصَرَخَ لَهُمْ بِدُنُوِّ أَجَلِهِ، وَقُرْبِ وَفَاتِهِ، وَعَرَّضَ لِعَامَّةِ النَّاسِ بِذَلِكَ فِي خُطْبَةٍ  
حَطَبَهَا، فَفَهَمَهَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَبَكَى، وَفَدَاهُ بِالْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ، وَخَفِيتُ عَلَى غَيْرِهِ.  
كَانَ الْيَهُودُ فِي خَيْبَرَ قَدْ وَضَعُوا لَهُ ﷺ السَّمَّ فِي شَاةٍ فَأَكَلَ مِنْهَا، مُدَّعِينَ بِأَنَّهُ إِنْ  
كَانَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّهُ، وَإِنْ كَانَ كَذَّابًا ارْتَاخُوا مِنْهُ حَسَبَ زَعْمِهِمْ، وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ لَمَّا  
ظَهَرَ لَهُمُ الْحَقُّ، فَأَثَرُ فِيهِ ذَلِكَ السَّمُّ، وَلَا يَزَالُ يَجِدُ أَثَرَهُ بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْآخِرِ؛  
بُضْدَاعٍ يَشْتَدُّ عَلَيْهِ حَتَّى يَعْصِبَ رَأْسُهُ مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ<sup>(٣)</sup>، وَحُمَى تَأْخُذُهُ حَتَّى يُفْرَغَ  
عَلَى نَفْسِهِ سَبْعَ قَرَبٍ يُخَفِّفُهَا<sup>(٤)</sup>.

وَاشْتَدَّ بِهِ ﷺ الْمَرَضُ فَتَقَلَّ عَنِ الصَّلَاةِ بِالنَّاسِ، وَوَكَّلَ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالنِّيَابَةِ

(١) رواه من حديث جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أحمد (٨٢/٤)، والدارمي واللفظ له (٢٢٧).

(٢) رواه من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مسلم (١٢٩٧).

(٣) انظر في ذلك: حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند البخاري (٦٧٩١)، وحديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند البخاري أيضًا (٨٨٥).

(٤) انظر: حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند البخاري (١٩٥).

عَنْهُ. وَآخِرُ صَلَاةٍ أَمَّ النَّاسَ فِيهَا كَانَتْ صَلَاةَ الْمَغْرِبِ قَرَأَ فِيهَا بِالْمُرْسَلَاتِ<sup>(٥)</sup>.

وَفِي آخِرِ لَحْظَاتِهِ خَيْرٌ ﷺ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَاخْتَارَ الْآخِرَةَ؛ كَمَا رَوَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كُنْتُ أَسْمَعُ أَنَّهُ لَنْ يَمُوتَ نَبِيٌّ حَتَّى يُخَيَّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالَتْ: فَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، وَأَخَذَتْهُ بَحَّةٌ يَقُولُ: «مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا» قَالَتْ: فَظَنَنْتُهُ خَيْرَ حِينٍ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ<sup>(٦)</sup>.

وَبَاتَ ﷺ لَيْلَةَ الْاِثْنَيْنِ وَقَدْ بَدَأَهُ الْمَوْتُ، وَرَأَى ذَلِكَ مِنْهُ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ وَزَوْجُهُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا<sup>(٧)</sup>، فَلَمَّا أَصْبَحَ وَحَضَرَتْ صَلَاةُ الْفَجْرِ وَجَدَ ﷺ مِنْ نَفْسِهِ خِفَةً وَنَشَاطًا، فَأَرْخَى سِتْرَ حُجْرَتِهِ يَنْظُرُ إِلَى أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَهُمْ صُفُوفٌ فِي الصَّلَاةِ، فَتَبَسَّمَ فَرِحًا بِمَا رَأَى مِنْ عِبَادَتِهِمْ لِرَبِّهِمْ، وَاجْتِمَاعِ أَمْرِهِمْ، وَتَأَلَّفِ قُلُوبِهِمْ. وَفَرِحُوا هُمْ ﷺ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَظَنُّوا أَنَّهُ خَارِجٌ إِلَيْهِمْ، فَتَأَخَّرَ أَبُو بَكْرٍ فِي الصَّفِّ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَبْقَى، ثُمَّ أَرْخَى ﷺ السِّتْرَ<sup>(٨)</sup>.

وَلَمَّا اشْتَدَّ الضُّحَى، وَارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ حَضَرَهُ الْمَوْتُ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ ﷺ عُلْبَةٌ بِهَا مَاءٌ، فَكَانَ يُخَفِّفُ عَنْ نَفْسِهِ سَكْرَاتِ الْمَوْتِ بِالمَاءِ، فَيُدْخِلُ يَدَهُ فِي المَاءِ،

(٥) كما في حديث أم الفضل بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند: البخاري في المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته (٤٤٢٩)، ومسلم في الصلاة، باب القراءة في الصبح (٤٦٢)

(٦) أخرجه البخاري في المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته (٤٤٣٥)، ومسلم في الفضائل، باب في فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (٢٤٤٤)

(٧) ينظر خبر ذلك في الخطبة الماضية ص (٧٣).

(٨) كما في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند: البخاري في الأذان، باب: أهل العلم والفضل أحق بالإمامة (٦٨٠)، ومسلم في الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر (٤١٩).

فَيَمْسَحُ بِهَا وَجْهَهُ وَيَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكْرَاتٍ» ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى، حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ»<sup>(٩)</sup>.

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وَوَجَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُثْقِلُ فِي حِجْرِي، قَالَتْ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ إِلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا بَصَرُهُ قَدْ شَخَصَ وَهُوَ يَقُولُ: «بَلِ الرَّفِيقِ الْأَعْلَى مِنَ الْجَنَّةِ»، فَقُلْتُ: خَيْرَتَ فَاخْتَرْتَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ! قَالَتْ: وَقُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَوَاهُ أَحْمَدُ<sup>(١٠)</sup>.

وَحَوَّلَتْهُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِنْ حِجْرِهَا إِلَى وَسَادَةٍ<sup>(١١)</sup>، وَسَجَّهَتْ بِثَوْبٍ حَبْرَةٍ<sup>(١٢)</sup>، وَهِيَ مِنْ ثِيَابِ الْيَمَنِ، وَحَزِنَتْ أَشَدَّ الْحُزْنِ، وَبُهِتَتْ بِمَا رَأَتْ.

وَأَوَّلُ مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ بَعْدَ مَوْتِهِ ﷺ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، اسْتَأْذَنَا عَلَى عَائِشَةَ فَأَذِنَتْ لَهُمَا، وَجَذَبَتْ إِلَيْهَا الْحِجَابَ، «فَنَظَرَ عُمَرُ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَاعْشِيَاهُ! مَا أَشَدَّ عَشِيَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ! ثُمَّ قَامَا، فَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الْبَابِ قَالَ الْمُغِيرَةُ: يَا عُمَرُ، مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ! قَالَ: كَذَبْتَ، بَلْ أَنْتَ رَجُلٌ تَحُوسُكَ فِتْنَةٌ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَا يَمُوتُ حَتَّى يُفْنِيَ اللَّهُ ﻋَندَ الْمُنَافِقِينَ»<sup>(١٣)</sup>.

وَبَدَأَ النَّاسُ يَتَنَاقَلُونَ خَبَرَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَاللَّهِ لَا أَسْمَعُ أَحَدًا يَذْكُرُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قُبِضَ إِلَّا ضَرْبَتُهُ بِسَيْفِي هَذَا». وَكَانَ النَّاسُ أُمِّيِّينَ

(٩) أخرجه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: البخاري في المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته (٤٤٤٩).

(١٠) رواه أحمد (٢٧٤/٦)، وأصله في الصحيحين: البخاري في المغازي، باب مرض

النبي ﷺ ووفاته (٤٤٣٥)، ومسلم في الفضائل، باب في فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (٢٤٤٤).

(١١) رواه أحمد (٢٧٤/٦).

(١٢) أخرجه مسلم في الجنائز، باب تسجية الميت (٩٤٢).

(١٣) رواه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أحمد (٢١٩/٦)، وإسحاق بن راهويه (١٣٣٣) قال الهيثمي

في مجمع الزوائد: ورجال أحمد ثقات (٣٣/٩).

لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ نَبِيٌّ قَبْلَهُ فَأَمْسَكَ النَّاسُ<sup>(١٤)</sup>.

وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ فِي مَنْزِلِهِ الَّذِي بِالسُّنْحِ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ، فَجَاءَ ﷺ عَلَى فَرَسِهِ وَعُمَرُ قَائِمٌ فِي الْمَسْجِدِ يَخْطُبُ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَائِشَةَ فَرَفَعَتْ الْحِجَابَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ! ثُمَّ أَنَا مِنْ قَبْلِ رَأْسِهِ فَحَدَرَ فَأَهْ وَقَبَلَ جَبْهَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: وَانْيَاهُ! ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ حَدَرَ فَأَهْ وَقَبَلَ جَبْهَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: وَاصْفِيَاهُ! ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَحَدَرَ فَأَهْ وَقَبَلَ جَبْهَتَهُ، وَقَالَ: وَاحْلِيلَاهُ! مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ» رَوَاهُ أَحْمَدُ<sup>(١٥)</sup>.

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ: «فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَبَّلَهُ، قَالَ: يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي طُبْتُ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُدْيِقُكَ اللَّهُ الْمَوْتَيْنِ أَبَدًا»<sup>(١٦)</sup>.

خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ مِنْ حُجْرَةِ عَائِشَةَ وَعُمَرُ ﷺ يَخْطُبُ فِي النَّاسِ وَيَقُولُ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ لَمْ يَمُتْ، وَلَكِنَّ رَبَّهُ أَرْسَلَ إِلَيْهِ كَمَا أَرْسَلَ إِلَى مُوسَى، فَمَكَثَ عَنْ قَوْمِهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَاللَّهُ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَعِيشَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يَقْطَعَ أَيْدِي رِجَالٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَالْأَسْتَهْمِ، يَزْعُمُونَ -أَوْ قَالَ: يَقُولُونَ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ مَاتَ»<sup>(١٧)</sup>.

فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: «أَيُّهَا الْحَالِفُ، عَلَى رِسْلِكَ! فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ

(١٤) رواه من حديث سالم بن عبيد -وكان من أهل الصفة- ﷺ: عبد بن حميد (٣٦٥)، والنسائي في الكبرى (٧١٩)، والترمذي في الشمائل (٣٩٧)، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثنائي (١٢٩٩).

(١٥) قطعة من الحديث المخرج في حاشية (١٣).

(١٦) رواه من حديث عائشة ﷺ البخاري في فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلاً» (٣٦٦٧).

(١٧) رواه من حديث أنس ﷺ: أحمد (١٩٦/٣)، وصححه ابن حبان (٦٦٢٠).

جَلَسَ عُمَرُ، فَحَمِدَ اللَّهَ أَبُو بَكْرٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَلَا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَقَالَ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾، وَقَالَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ السَّكَرِينَ﴾ فَنَشَجَ النَّاسُ يَبْكُونَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ<sup>(١٨)</sup>.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ: «وَاللَّهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَهَا حَتَّى تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ ﷺ فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ فَمَا يُسْمَعُ بَشَرٌ إِلَّا يَتْلُوهَا»<sup>(١٩)</sup>.  
وَقَالَ عُمَرُ ﷺ: «وَأَنَّهَا لَفِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى! مَا شَعَرْتُ أَنَّهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى!!»<sup>(٢٠)</sup>.

وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ عُمَرُ ﷺ: «وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلَاهَا، فَعُقِرْتُ حَتَّى مَا تُقْلِنِي رِجَالِي، وَحَتَّى أَهْوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ حِينَ سَمِعْتُهُ تَلَاهَا عَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ مَاتَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ<sup>(٢١)</sup>.  
قَالَ ابْنُ عُمَرَ ﷺ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَكَأَنَّمَا كَانَتْ عَلَى وُجُوهِنَا أَعْطِيَةٌ فَكُشِفَتْ»<sup>(٢٢)</sup>.

وَأَنْشَغَلَ النَّاسُ يَوْمَهُمْ ذَاكَ بِمُبَايَعَةِ أَبِي بَكْرٍ ﷺ بِالْخِلَافَةِ.

(١٨) قطعة من الحديث المخرج في حاشية (١٦).

(١٩) رواه البخاري في الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه (١٢٤١).

(٢٠) قطعة من الحديث المخرج في حاشية (١٣).

(٢١) أخرجه من حديث عائشة ﷺ: البخاري في المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته (٤٤٥٤).

(٢٢) رواه ابن أبي شيبة (٤٢٧/٧)، والبخاري (١٠٣) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير علي بن المنذر وهو ثقة (٣٨/٩).



فَلَمَّا أَصْبَحُوا يَوْمَ الثَّلَاثَةِ «أَرَادُوا غَسْلَ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا: وَاللَّهِ مَا نَذْرِي، أَنْجَرْدُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ ثِيَابِهِ كَمَا نُجَرِّدُ مَوْتَانَا أَمْ نُغَسِّلُهُ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ؟ فَلَمَّا اخْتَلَفُوا أَلْقَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمُ النَّوْمَ، حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَدَقْنُهُ فِي صَدْرِهِ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ مُكَلِّمٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْتِ لَا يَدْرُونَ مَنْ هُوَ: أَنْ اغْسِلُوا النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ، فَقَامُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَغَسَّلُوهُ وَعَلَيْهِ قَمِيصُهُ، يَصُبُّونَ الْمَاءَ فَوْقَ الْقَمِيصِ، وَيُدْلِكُونَهُ بِالْقَمِيصِ دُونَ أَيْدِيهِمْ، وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ: لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا غَسَّلَهُ إِلَّا نِسَاؤُهُ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٢٣).

وَأَمَرَهُمْ أَبُو بَكْرٍ ﷺ أَنْ يُغَسِّلَهُ بَنُو أَبِيهِ (٢٤)؛ لِأَنَّهُمْ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَغَسَّلَهُ عَلِيٌّ وَالْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَشُقْرَانُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (٢٥).

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «لَمْ يُخْتَلَفْ فِي أَنَّ الَّذِينَ غَسَّلُوهُ عَلِيٌّ وَالْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ، وَاخْتَلَفَ فِي الْعَبَّاسِ وَأَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ وَقُثْمِ بْنِ الْعَبَّاسِ وَشُقْرَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقِيلَ: هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ شَهِدُوا غُسْلَهُ، وَقِيلَ: لَمْ يُغَسِّلَهُ غَيْرُ عَلِيٍّ، وَالْفَضْلُ كَانَ يَصُبُّ الْمَاءَ وَعَلِيٌّ يُغَسِّلُهُ، وَقِيلَ: كَانَ النَّاسُ قَدْ تَنَازَعُوا ذَلِكَ، فَصَاحَ أَبُو بَكْرٍ: يَا مَعْشَرَ النَّاسِ، كُلُّ قَوْمٍ أَوَّلَى بِجَنَائِزِهِمْ مِنْ غَيْرِهِمْ، فَانْطَلَقَ الْأَنْصَارُ إِلَى الْعَبَّاسِ فَكَلَّمُوهُ، فَأَذْخَلَ مَعَهُمْ أَوْسَ بْنَ حَوَليٍّ، وَكَانَ الْفَضْلُ وَالْعَبَّاسُ يُقَلِّبَانِهِ وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَقُثْمُ يَصْبِيَانِ الْمَاءَ عَلَى عَلِيٍّ ﷺ.

(٢٣) رواه من حديث عائشة ؓ: أبو داود في الجنائز، باب في ستر الميت عند غسله (٣١٤١)، وصححه ابن حبان (٦٦٢٨).

(٢٤) قطعة من الحديث المخرج في حاشية (١٤).

(٢٥) رواه عن الشعبي -رحمه الله تعالى-: أبو داود في الجنائز، باب كم يدخل القبر (٣٢٠٩).

ورواه عن ابن عباس ؓ: الطبراني في الكبير (٣٢٦/١٠) رقم (١٠٧٩٩)، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٤٦٤).

وَرَوِيَ مِنْ وَجْهِ آخَرَ: «أَنَّ الْعَبَّاسَ كَانَ بِالْبَابِ لَمْ يَحْضُرِ الْغُسْلَ يَقُولُ: لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَحْضَرَهُ إِلَّا أَنِّي كُنْتُ أَرَاهُ ﷺ يَسْتَحْيِي أَنْ يَرَانِي أَرَاهُ حَاسِرًا صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ جَمِيعِ صَحَابَتِهِ وَأَزْوَاجِهِ، وَسَلَّم تَسْلِيمًا» اهـ (٢٦).

قَالَ عَلِيٌّ ﷺ: «عَسَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرَ مَا يَكُونُ مِنَ الْمَيِّتِ فَلَمْ أَرْ شَيْئًا، وَكَانَ طَيِّبًا حَيًّا وَمَيِّتًا ﷺ» رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ (٢٧).

ثُمَّ كَفَّنُوهُ ﷺ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ بَيْضٍ سُحُولِيَّةٍ، لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ (٢٨).  
وَقَالَ الصَّحَابَةُ لِأَبِي بَكْرٍ ﷺ: «يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ، أَيُصَلِّي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَالُوا: وَكَيْفَ؟ قَالَ: يَدْخُلُ قَوْمٌ فَيُكَبِّرُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَدْعُونَ ثُمَّ يَخْرُجُونَ، ثُمَّ يَدْخُلُ قَوْمٌ فَيُكَبِّرُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَدْعُونَ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ، حَتَّى يَدْخُلَ النَّاسُ. قَالُوا: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ، أَيَدْفَنُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: أَيْنَ؟ قَالَ: فِي الْمَكَانِ الَّذِي قَبِضَ اللَّهُ فِيهِ رُوحَهُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْبِضْ رُوحَهُ إِلَّا فِي مَكَانٍ طَيِّبٍ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي الشَّمَائِلِ (٢٩).

فَحَفَرُوا لَهُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، وَلَحَدَ قَبْرَهُ الَّذِي يَشُقُّ لُحُودَ قُبُورِ الشُّهَدَاءِ ﷺ (٣٠)، وَنَزَلَ فِي قَبْرِهِ ﷺ: الْعَبَّاسُ وَعَلِيٌّ وَالْفَضْلُ وَقُتُمُ ابْنُ الْعَبَّاسِ،

(٢٦) التمهيد (٤٠٢/٢٤).

(٢٧) رواه البزار (٥١٩)، والبيهقي (٥٣/٤)، والحاكم، وصححه، وقال: على شرط الشيخين (٦١/٣).

(٢٨) كما في حديث عائشة ؓ: عند البخاري في الجنائز، باب موت يوم الاثنين (١٣٢١)، ومسلم في الجنائز باب في كفن الميت رقم (٩٤١).

(٢٩) هذا جزء من حديث سالم بن عبيد ؓ المخرج في حاشية (١٤).

(٣٠) رواه من حديث ابن عباس ؓ: ابن الجارود (٥٤٦)، وصححه ابن حبان (٦٥٩٩).

وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ.  
فَلَمَّا وُضِعَ فِي لَحْدِهِ ﷺ، قَالَ الْمُغِيرَةُ: «قَدْ بَقِيَ مِنْ رَجُلِيهِ شَيْءٌ لَمْ يُصْلِحْهُ،  
قَالُوا: فَادْخُلْ فَأُصْلِحْهُ، فَدَخَلَ وَأَدْخَلَ يَدَهُ، فَمَسَّ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ: أَهْلُوا عَلَيَّ  
التُّرَابَ، فَأَهَالُوا عَلَيْهِ التُّرَابَ، حَتَّى بَلَغَ أَنْصَافَ سَاقَيْهِ، ثُمَّ خَرَجَ، فَكَانَ يَقُولُ: أَنَا  
أَخَذْتُكُمْ عَهْدًا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ» (٣١).

وَدُفِنَ ﷺ لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ (٣٢)، وَرُفِعَ قَبْرُهُ نَحْوًا مِنْ شِبْرِ (٣٣).  
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ.  
وَأَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ ...



### الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا قَضَى وَقَدَّرَ؛ لَا يَقْضِي قَضَاءَ لِمُؤْمِنٍ إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ، فَمَنْ  
رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَعَلَيْهِ السُّخْطُ، نَحْمَدُهُ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ  
كَمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ  
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ  
اهْتَدَى بِهِدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى وَأَطِيعُوهُ ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى

(٣١) رواه أحمد (٨١/٦)، وابن عساكر (٢٩٦/٤)، ونقل المزي عن الحاكم جزمه أن قثم بن  
العباس كان آخر الناس عهدًا برسول الله ﷺ، وهكذا جاء عن ابن عباس، كما في  
الطبقات لابن سعد (٢٠٣/٢).

(٣٢) رواه من حديث عائشة ؓ أحمد (١١٠/٦).

(٣٣) رواه من حديث جابر ؓ البيهقي (٤١٠/٣)، وصححه ابن حبان (٦٦٣٥).

كُلِّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿البقرة: ٢٨١﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: كَانَتْ وَفَاةُ النَّبِيِّ ﷺ حَدَثًا مُهِمًّا فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَهِيَ أَعْظَمُ مُصِيبَةٍ أَصِيبَ بِهَا أَتْبَاعُهُ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ لِأُمَّتِهِ لَمَّا أَحَسَّ بِدُنُوِّ أَجَلِهِ، وَأَمَرَهُمْ بِاسْتِحْضَارِ الْمُصِيبَةِ بِهِ ﷺ عِنْدَ أَيِّ مُصِيبَةٍ تَنْزِلُ بِأَحَدِهِمْ؛ لِيَتَسَلَّى بِذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ ﷺ قَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّمَا أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ -أَوْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ- أَصِيبَ بِمُصِيبَةٍ، فَلْيَتَعَزَّ بِمُصِيبَتِهِ بِي عَنِ الْمُصِيبَةِ الَّتِي تُصِيبُهُ بغيري؛ فَإِنَّ أَحَدًا مِنْ أُمَّتِي لَنْ يُصَابَ بِمُصِيبَةٍ بَعْدِي أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ مُصِيبَتِي» رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ (٣٤).

وَأَحَسَّ الصَّحَابَةُ بَعْدَ دَفْنِهِ ﷺ بِعَظِيمِ الْأَسَى، وَالتَّاعَتِ قُلُوبُهُمْ بِفَقْدِهِمْ لَهُ إِمَامًا وَمُعَلِّمًا وَهَادِيًا، فَابْتَنَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «يَا أَنَسُ أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ دَفَنْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي التُّرَابِ وَرَجَعْتُمْ» رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ: قَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «يَا أَنَسُ، أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْتُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ التُّرَابَ» (٣٥).

وَقَدْ بَيَّنَّ أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَالَهُمْ بِمَقْدَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ مُهَاجِرًا، ثُمَّ حَالَهُمْ بِوَفَاتِهِ ﷺ فَقَالَ: «لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي قَدِمَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ»، وَقَالَ: مَا نَفَضْنَا عَنْ

(٣٤) أَخْرَجَهُ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ابْنُ مَاجَهَ فِي الْجَنَائِزِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الصَّبْرِ عَلَى الْمُصِيبَةِ (١٥٩٩)، وَأَحْمَدُ فِي فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ (٢١٦)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ (٤٤٤٨) وَفِي الصَّغِيرِ (٦١٢)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الشَّعْبِ (١٠١٥٤)، وَضَعَفَهُ النَّوَوِيُّ فِي خُلَاصَةِ الْأَحْكَامِ (٣١٨٠)، لَكِنْ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ ابْنِ مَاجَهَ (١٣٠٠).

(٣٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْمَغَازِي، بَابُ مَرَضِ النَّبِيِّ ﷺ وَوَفَاتِهِ (٤٤٦٢)، وَأَحْمَدُ (٢٠٤/٣)، وَالطَّيَالِسِيُّ (١٣٧٤)، وَعَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ (١٣٦٤)، وَالدَّارِمِيُّ (٨٧)، وَأَبُو يَعْلَى (٣٣٧٩)، وَابْنُ حِبَانَ (٦٦٢٢).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْأَيْدِي حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا» رَوَاهُ أَحْمَدُ<sup>(٣٦)</sup>.

وَرَوَى مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ: «أَنَّ حَاضِنَةَ النَّبِيِّ ﷺ أُمَّ أَيْمَنَ ﷺ بَكَتْ عَقِبَ وَفَاتِهِ، فَقِيلَ لَهَا: مَا يُبْكِيكَ؟ قَدْ أَكْرَمَ اللَّهُ نَبِيَّهُ فَأَدْخَلَهُ جَنَّتَهُ، وَأَرَاخَهُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا، فَقَالَتْ: إِنَّمَا أَبْكِي عَلَى خَبَرِ السَّمَاءِ، كَانَ يَأْتِينَا غَضًّا جَدِيدًا كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَقَدْ انْقَطَعَ وَرُفِعَ، فَعَلَيْهِ أَبْكِي، فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ قَوْلِهَا»<sup>(٣٧)</sup>.

وَبُتِّتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ ﷺ زَارَاهَا فَبَكَتْ، وَقَالَتْ: «أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ، فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ<sup>(٣٨)</sup>.

وَقَدْ وَصَفَ إِمَامُ أَهْلِ السَّيْرِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- حَالَ الصَّحَابَةِ عَقِبَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «لَمَّا تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ ارْتَدَّتِ الْعَرَبُ، وَاشْرَأَبَتِ الْيَهُودِيَّةُ وَالنَّصْرَانِيَّةُ، وَنَجَمَ النَّفَاقُ، وَصَارَ الْمُسْلِمُونَ كَالْغَنَمِ الْمَطِيرَةِ فِي اللَّيْلَةِ الشَّاتِيَةِ لِفَقْدِ نَبِيِّهِمْ، حَتَّى جَمَعَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَبِي بَكْرٍ ﷺ»<sup>(٣٩)</sup>.  
وَبَعْضُ أَهْلِ السَّيْرِ لَمَّا دَوَّنُوا أَحْدَاثَ مَرَضِ النَّبِيِّ ﷺ وَوَفَاتِهِ قَالُوا: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ<sup>(٤٠)</sup>؛ طَلَبًا لِلْأَجْرِ، وَتَطْطِيقًا لِلآيَةِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَامْتِثَالًا لِلسُّنَّةِ

(٣٦) أخرجه الترمذي في المناقب، باب فضل النبي ﷺ، وقال: حديث غريب صحيح (٣٦١٨) وابن ماجه في الجنائز، باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ (١٦٣١) وعبد بن حميد (١٢٨٩) وأبو يعلى (٣٢٩٦)، وصححه ابن حبان (٦٦٣٤).

(٣٧) أخرجه البيهقي في الدلائل (٢٦٦/٧)

(٣٨) أخرجه من حديث أنس ﷺ: مسلم في فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل أم أيمن ﷺ (٢٤٥٤).

(٣٩) سيرة ابن هشام (٨٨/٦) وسيرة ابن كثير (٥٥٤/٤).

وأخرجه عن عروة بن الزبير ﷺ: ابن الجوزي في المتظم (٧٤/٤).

(٤٠) ينظر: الرحيق المختوم (٤٣١).

النَّبَوِيَّةَ. فَتَقُولُ كَمَا قَالُوا: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَمِمَّا يُعَزِّي الْمُؤْمِنَ فِي وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَيُسَلِّي حُزْنَهُ عَلَيْهِ: مَا رَوَى أَبُو مُوسَى ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ إِذَا أَرَادَ رَحْمَةً أُمَّةٍ مِنْ عِبَادِهِ قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا، فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا وَسَلَفًا بَيْنَ يَدَيْهَا، وَإِذَا أَرَادَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ عَذَّبَهَا وَنَبِيَّهَا حَيًّا، فَأَهْلَكَهَا وَهُوَ يَنْظُرُ، فَأَقْرَعَ عَيْنُهُ بِهَلَكَتِهَا حِينَ كَذَّبُوهُ وَعَصَوْا أَمْرَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٤١).

فَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ أَنْ يَجْعَلَ نَبِيَّنَا وَإِمَامَنَا وَقُرَّةَ أَعْيُنِنَا مُحَمَّدًا ﷺ فَرَطًا لَنَا، وَسَلَفًا بَيْنَ أَيْدِينَا، وَمُسْتَقْبَلًا لَنَا بَعْدَ الْبُعْثِ عَلَى حَوْضِهِ لِيَسْقِينَا بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ شَرْبَةً لَا نَظْمًا بَعْدَهَا أَبَدًا، آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

وَلَيْنُ فَقَدَتْ أُمَّةُ الْإِسْلَامِ حَبِيبَهَا وَنَبِيَّهَا مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ سُنَّتَهُ الشَّرِيفَةَ، وَهَدْيَهُ الْمُبَارَكَ بَيْنَ أَيْدِينَا، قَدْ حَفِظَهَا اللَّهُ تَعَالَى لَنَا كَيْمَا نَنْهَلَ مِنْ مَعِينِهَا، وَنَلْتَزِمَ أَحَادِيثَهَا، فَمَنْ أَحَبَّ النَّبِيَّ ﷺ أَحَبَّ سِيرَتَهُ وَسُنَّتَهُ، وَأَحَبَّ مَنْ يَلْتَزِمُهَا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَبْغَضَ مَنْ يُبْغِضُهَا أَوْ يَنْتَقِصُهَا أَوْ يَسْخَرُ بِشَيْءٍ مِنْهَا أَوْ يَرُدُّهَا لِرَأْيِ رَأَاهُ، أَوْ قَوْلٍ سَمِعَهُ.

وَلَيْسَتْ مَحَبَّةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْإِحْتِفَالِ بِمَوْلِدِهِ، وَلَا فِي إِنْشَادِ الْقَصَائِدِ الْبِدْعِيَّةِ وَالشَّرَكِيَّةِ فِي إِطْرَائِهِ وَمَدْحِهِ، بَلْ كُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْمُحَدَّثَاتِ الَّتِي لَا يَرْضَاهَا اللَّهُ تَعَالَى وَلَا رَسُولُهُ ﷺ، وَقَدْ حَذَرَ مِنْهَا فِي غَيْرِ مَا حَدِيثٍ، وَقَالَ ﷺ: «مَنْ أَخَذَتْ

= وكتب أبو بكر كتابًا قال فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ، إلى زياد بن لبيد، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد، فإن النبي ﷺ توفي، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فانظر ولا قوة إلا بالله أن تقوم قيام مثلك، ويبايع من عندك ... الاكتفاء للكلاعي (١٥٩/٢).

(٤١) أخرجه مسلم في الفضائل، باب إذا أراد الله تعالى رحمة أمة قبض نبيها قبلها (٢٢٨٨).

فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»<sup>(٤٢)</sup>، وَقَالَ ﷺ: «وَيَاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»<sup>(٤٣)</sup>، فَالْتَزِمُوا -عِبَادَ اللَّهِ- سُنَّتَهُ، وَاتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا.  
وَصَلُُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا ...



(٤٢) أخرجه من حديث عائشة رضي الله عنها: البخاري في الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٢٦٩٧) ومسلم في الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة وردّ محدثات الأمور (١٧١٨).

(٤٣) أخرجه من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه: أبو داود في السنة، باب في لزوم السنة (٤٦٠٧)، والدارمي (٩٦)، وصححه ابن حبان (٥).





### ٣٥٤- رحيل النبي ﷺ (٣) وصاياه للأمة قبل موته

١٤٢٩/٣/٦ هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]،  
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَيُّهَا النَّاسُ: تَعْظُمُ الْمُصِيبَةُ بِالْأَمْوَاتِ عَلَى قَدْرِ الْإِنْتِفَاعِ بِهِمْ فِي الْحَيَاةِ، وَتَشْتَدُّ رَزِيَّةُ النَّاسِ بِفَقْدِهِمْ بِقَدْرِ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهِمْ.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَمُوتُ فَلَا يَفْتَقِدُهُ أَحَدٌ، بَلْ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَكُونُ مَوْتُهُ رَاحَةً لِلْأَحْيَاءِ عَلَى الْأَرْضِ؛ كَمَوْتِ الْكَافِرِ وَالْفَاجِرِ الَّذِي يَضُرُّ النَّاسَ وَلَا يَنْفَعُهُمْ شَيْئًا؛ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «أَنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا

إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَأَنَّ الْعَبْدَ الْفَاجِرَ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالِدَّوَابُّ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ<sup>(١)</sup>.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ فَقَدَهُ ثُلْمَةً، وَمَوْتُهُ مَوْتُ أُمَّةٍ؛ كَالْقَادَةِ الْعَادِلِينَ الْمُخْلِصِينَ، وَالْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ الرَّبَّانِيِّينَ. وَالْعِلْمُ يُقْبَضُ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، وَعَلَامَةُ هَلَاكِ النَّاسِ ذَهَابُ عُلَمَائِهِمْ، وَهُوَ نَقْصُ الْأَرْضِ مِنْ أَطْرَافِهَا، وَفِي عَصْرِ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ قَالَ مُحَمَّدُ الْبَيْهَقِيُّ: «لَوْ قَدَرْتُ أَنْ أَزِيدَ فِي عُمَرِ مُحَمَّدٍ بْنِ إِسْمَاعِيلَ مِنْ عُمُرِي لَفَعَلْتُ؛ فَإِنَّ مَوْتِي يَكُونُ مَوْتُ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَمَوْتُهُ ذَهَابُ الْعِلْمِ»<sup>(٢)</sup>.

إِذَا كَانَ هَذَا يُقَالُ فِي حَقِّ مَنْ تَعَلَّمُوا الشَّرِيعَةَ فَبَلَّغُوهَا لِلنَّاسِ، فَمَاذَا يُقَالُ فِي الرُّسُلِ ﷺ وَهُمْ أَعْلَمُ النَّاسِ؟ وَمَاذَا يُقَالُ فِي فَقْدِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَهُوَ أَعْلَمُ الْخَلْقِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَأَنْصَحُهُمْ لِعِبَادِهِ؟

لَقَدْ كَانَتْ وَفَاةُ النَّبِيِّ ﷺ أَعْظَمَ مُصِيبَةٍ أَصَابَتْ بِهَا هَذِهِ الْأُمَّةُ، كُلُّ الْمَصَائِبِ وَإِنْ عَظُمَتْ فِيهِ دُونَهَا، وَكُلُّ الرِّزَايَا مَهْمَا كَانَتْ لَا تَبْلُغُ مَبْلَغَهَا؛ فَأَعْظَمُ خَيْرٍ حُزْنَاهُ وَهُوَ الْإِيْمَانُ كَانَ عَلَى يَدَيْهِ، وَأَعْظَمُ شَرٍّ اجْتَنَبْنَاهُ وَهُوَ الْكُفْرُ كَانَ حَذَرْنَا مِنْهُ بِسَبَبِهِ ﷺ.

نَفَعَنَا اللَّهُ تَعَالَى بِهِ أَكْثَرَ مِنْ انْتِفَاعِنَا بِأَبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَأَوْلَادِنَا وَأَمْوَالِنَا وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَيْنَا مِنَ الْفَضْلِ وَالْمِنَّةِ -بَعْدَ اللَّهِ تَعَالَى- قَدْرٌ مَا لَهُ ﷺ عَلَيْنَا، فَكَانَتْ وَفَاتُهُ ﷺ هِيَ أَعْظَمُ مُصِيبَةٍ أَصَابَتْ بِهَا الصَّحَابَةُ ﷺ، وَهِيَ

(١) أخرجه من حديث أبي قتادة بن ربعي ﷺ: البخاري في الرقاق، باب سكرات الموت (٦١٤٧)، ومسلم في الجنائز، باب ما جاء في مستريح ومستراح منه (٩٥٠).

(٢) أخرجه الخطيب في تاريخه (٢٤/٢)، وابن عساكر في تاريخه (٨٨/٥٢)، والمزي في تهذيب الكمال (٤٦٠/٢٤).

أَعْظُمُ مُصِيبَةٍ أَصَبْنَا بِهَا بَعْدَ أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ وَتِسْعَةِ عَشَرَ عَامًا مِنْ وَفَاتِهِ<sup>(٣)</sup>، وَهِيَ  
أَعْظُمُ مُصِيبَةٍ يُصَابُ بِهَا مُؤْمِنٌ إِلَى آخِرِ الزَّمَانِ؛ فَصَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ صَلَاةٌ  
وَسَلَامًا دَائِمِينَ مَا تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.

لَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ لِأُمَّتِهِ هَذَا الْمَعْنَى الْعَظِيمَ؛ لِيُسَلِّيَ أَصْحَابُهُ ﷺ بِفَقْدِهِ حِينَ  
دَنَا أَجَلُهُ، وَاشْتَدَّ مَرَضُهُ، وَعَلِمَ بِقُرْبِ وَفَاتِهِ؛ كَمَا رَوَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «فَتَحَّ  
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَابًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، أَوْ كَشَفَ سِتْرًا، فَإِذَا النَّاسُ يُصَلُّونَ وَرَاءَ  
أَبِي بَكْرٍ، فَحَمِدَ اللَّهُ عَلَى مَا رَأَى مِنْ حُسْنِ حَالِهِمْ، وَرَجَاءَ أَنْ يَخْلُقَهُ اللَّهُ فِيهِمْ  
بِالَّذِي رَأَوْهُمْ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ: أَيُّمَا أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ -أَوْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ-  
أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ فَلْيَتَعَزَّ بِمُصِيبَتِي بِي عَنِ الْمُصِيبَةِ الَّتِي تُصِيبُهُ بَغَيْرِي؛ فَإِنَّ أَحَدًا مِنْ  
أُمَّتِي لَنْ يُصَابَ بِمُصِيبَةٍ بَعْدِي أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ مُصِيبَتِي» رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ<sup>(٤)</sup>.

وَمِنْ نُصَحِهِ ﷺ لِأُمَّتِهِ، وَشَفَقَتِهِ عَلَيْهِمْ، وَرَحْمَتِهِ بِهِمْ: وَصِيَّتُهُ لَهُمْ بِوَصَايَا  
عَظِيمَةٍ، وَالْعَادَةِ أَنَّ الْمَرِيضَ يُشْغَلُ بِمَرَضِهِ عَنْ غَيْرِهِ، وَرَسُولُ اللَّهِ مَا شَغَلَهُ مَا هُوَ  
فِيهِ مِنْ شِدَّةِ الْكُرْبِ، وَوُطْأَةِ الْمَرَضِ، وَاسْتِقْبَالِ الْمَوْتِ عَنِ الْوَصِيَّةِ لِلْأُمَّةِ بِمَا  
يَحْتَاجُونَهُ.

وَمَا وَصَّاهُمْ بِهِذِهِ الْوَصَايَا فِي مَرَضِ مَوْتِهِ إِلَّا لِأَهَمِّيَّتِهَا، أَوْ لِاحْتِمَالِ عَقْلَةٍ

(٣) على الخطيب أن يراعي فرق السنوات إذا خطب بها أو يحذف هذه الفقرة؛ فإن عدد السنوات هذا صحيح في هذه السنة ١٤٢٩هـ ويتغير بانتهائها.

(٤) أخرجه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ابن ماجه في الجنائز، باب ما جاء في الصبر على المصيبة (١٥٩٩)، وأحمد في فضائل الصحابة (٢١٦)، والطبراني في الأوسط (٤٤٤٨) وفي الصغير (٦١٢)، والبيهقي في الشعب (١٠١٥٤)، وضعفه النووي في خلاصة الأحكام (٣١٨٠)، لكن صححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٣٠٠)، وذكر له شواهد في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١١٠٦).

النَّاسِ عَنْهَا، أَوْ جَهْلِهِمْ بِهَا، وَهَذَا يُؤَدِّي إِلَى تَفْرِيطِهِمْ فِيهَا؛ فَمَنْ أَخَذَ بِهَذِهِ  
الْوَصَايَا الْعَظِيمَةِ انْتَفَعَ بِهَا أَعْظَمَ النِّفْعِ، فَهِيَ آخِرُ وَصَايَا مَنْ لَا يَنْطِقُ عَنِ  
الْهُوَى ﷺ، وَمَنْ تَلَكَّمُ الْوَصَايَا الْعَظِيمَةَ: إِحْسَانُ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى؛ كَمَا رَوَى  
جَابِرٌ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِثَلَاثٍ يَقُولُ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا  
وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ <sup>(٥)</sup>.

وَمِمَّا حُفِظَ مِنْ وَصَايَاهُ فِي مَرَضِهِ ﷺ: أَنَّهُ نَهَاهُمْ عَنِ الْقِرَاءَةِ فِي الرُّكُوعِ  
وَالسُّجُودِ، وَأَمَرَهُمْ بِتَعْظِيمِ الرَّبِّ فِي الرُّكُوعِ، وَبِالدُّعَاءِ فِي السُّجُودِ؛ كَمَا رَوَى  
ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّتَارَةَ وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ  
أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النَّبُوءَةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ  
يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ، أَلَا وَإِنِّي نَهَيْتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا؛ فَأَمَّا  
الرُّكُوعُ فَعُظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ ﷻ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ؛ فَقِمْنِ أَنْ  
يُسْتَجَابَ لَكُمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ <sup>(٦)</sup>.

وَأَخِرُ مَرَّةٍ صَعِدَ فِيهَا الْمِنْبَرُ كَانَتْ فِي مَرَضِهِ ذَلِكَ، أَوْصَى الْأُمَّةَ فِيهَا  
بِالْأَنْصَارِ رضي الله عنه؛ كَمَا فِي حَدِيثِ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: مَرَّ أَبُو بَكْرٍ وَالْعَبَّاسُ رضي الله عنه  
بِمَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْأَنْصَارِ وَهُمْ يَتَكَلَّمُونَ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكُمْ؟ قَالُوا: ذَكَرْنَا  
مَجْلِسَ النَّبِيِّ ﷺ مِنَّا، فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، قَالَ: فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ  
وَقَدْ عَصَبَ عَلَى رَأْسِهِ حَاشِيَةَ بُرْدٍ، قَالَ: فَصَعِدَ الْمِنْبَرُ وَلَمْ يَصْعُدْهُ بَعْدَ ذَلِكَ  
الْيَوْمَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَوْصِيكُمْ بِالْأَنْصَارِ؛ فَإِنَّهُمْ كَرِشِي  
وَعَيْتِي، وَقَدْ قَضُوا الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ؛ فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ

(٥) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بإحسان الظن بالله تعالى عند الموت (٢٨٧٧).

(٦) أخرجه مسلم في الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود (٤٧٩).

وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ<sup>(٧)</sup>.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «كَرِشِي وَعَيْبَتِي، أَيُّ: خَاصَّتِي وَمَوْضِعَ سِرِّي»<sup>(٨)</sup>.

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِمِلْحَقَةٍ قَدْ عَصَبَ بِعَصَابَةٍ دَسْمَاءَ، حَتَّى جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ النَّاسَ يَكْثُرُونَ وَيَقِلُّ الْأَنْصَارُ حَتَّى يَكُونُوا فِي النَّاسِ بِمَنْزِلَةِ الْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ، فَمَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ شَيْئًا يَضُرُّ فِيهِ قَوْمًا وَيَنْفَعُ فِيهِ آخَرِينَ، فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ، فَكَانَ آخِرَ مَجْلِسٍ جَلَسَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ<sup>(٩)</sup>.

وَأَوْصَى ﷺ بِثَلَاثِ وَصَايَا حَفِظَ رَاوِيهَا اثْنَتَيْنِ وَنَسِيَ الثَّالِثَةَ؛ كَمَا رَوَى سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: «يَوْمُ الْخَمِيسِ، وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ؟ ثُمَّ بَكَى حَتَّى بَلَ دَمْعُهُ الْحَصَى، قُلْتُ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، مَا يَوْمُ الْخَمِيسِ؟ قَالَ: اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَعُهُ فَقَالَ: «اِئْتُونِي بِكِفِّ أَكْتُبَ لَكُمْ

(٧) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئتهم، واللفظ له (٣٥٨٨)، وأخرجه مسلم مختصراً في فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل الأنصار رضي تعالى الله عنهم (٢٥١٠).

(٨) غريب الحديث (١٣٨/٢)، والنهاية لابن الأثير (٣/٣٢٧).

وقال ابن الأثير في موضع آخر: «أراد أنهم بطانته وموضع سره وأمانته، والذين يعتمد عليهم في أموره، واستعار الكرش والعيبة لذلك؛ لأن المجتر يجمع علفه في كرشه، والرجل يضع ثيابه في عيبته» النهاية (٤/١٦٣).

وقال القاضي عياض في مشارق الأنوار: «أي: جماعتي وموضع ثقتي، والكرش الجماعة من الناس» (٣٣٩/١).

(٩) أخرجه البخاري في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٣٤٢٩).

كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا»، فَتَنَازَعُوا، وَلَا يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيِّ تَنَازُعٍ، فَقَالُوا: مَا لَهُ أَهْجَرَ؟ اسْتَفْهَمُوهُ، فَقَالَ: «ذُرُونِي؛ فَإِلَٰذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِّمَّا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ»، فَأَمَرَهُمْ بِثَلَاثٍ قَالَ: «أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ»، وَالثَّلَاثَةُ خَيْرٌ، إِمَّا أَنْ سَكَتَ عَنْهَا، وَإِمَّا أَنْ قَالَهَا فَنَسِيَتْهَا» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ<sup>(١٠)</sup>. وَالنَّاسِي لِلثَّلَاثَةِ هُوَ سُلَيْمَانُ الْأَحْوَلُ الرَّائِي عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ<sup>(١١)</sup>.

وَأَفَادَ شُرَاحُ الْحَدِيثِ بِأَنَّهَا الْوَصِيَّةُ بِالْقُرْآنِ، أَوِ الْوَصِيَّةُ بِالصَّلَاةِ، أَوْ بِإِنْفَازِ جَيْشِ أُسَامَةَ، أَوِ النَّهْيُ عَنِ اتِّخَاذِ قَبْرِهِ وَثَنًا يُعْبَدُ<sup>(١٢)</sup>.

أَمَّا الْوَصِيَّةُ بِالصَّلَاةِ فَجَاءَتْ مَعَ الْوَصِيَّةِ بِالْمَمَالِكِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ فِي حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَتْ عَامَةً وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ وَهُوَ يُغْرِغُ بِنَفْسِهِ: الصَّلَاةُ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ<sup>(١٣)</sup>.

(١٠) أخرجه البخاري في فرض الخمس، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب (٢٩٩٧)، ومسلم في الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه (١٦٣٧).

(١١) قال الحافظ في الفتح: يحتمل أن يكون القائل ذلك هو سعيد بن جبیر، ثم وجدت عند الإسماعيلي التصريح بأن قائل ذلك هو ابن عيينة، وفي مسند الحميدي ومن طريقه أبو نعيم في المستخرج قال سفيان: قال سليمان -أي بن أبي مسلم-: لا أدري أذكر سعيد بن جبیر الثالثة فنسيها أو سكت عنها، وهذا هو الأرجح (١٣٥/٨).

(١٢) قال الداودي: الثالثة: الوصية بالقرآن، وبه جزم ابن التين. وقال المهلب: بل هو تجهيز جيش أسامة، وقواه ابن بطال بأن الصحابة لما اختلفوا على أبي بكر في تنفيذ جيش أسامة قال لهم أبو بكر: إن النبي ﷺ عهد بذلك عند موته، وقال عياض: يحتمل أن تكون هي قوله: «ولا تتخذوا قبوري وثناً» فإنها ثبتت في الموطأ مقرونة بالأمر بإخراج اليهود، ويحتمل أن يكون ما وقع في حديث أنس أنها قوله: «الصلاة وما ملكت أيمانكم» فتح الباري (١٣٥/٨).

(١٣) أخرجه ابن ماجه في الوصايا، باب هل وصى رسول الله ﷺ (٢٦٩٧)، والنسائي في الكبرى (٧٠٩٤-٧٠٩٥)، وأحمد (١١٧/٣)، وعبد بن حميد (١٢١٤)، وأبو يعلى (٢٩٣٣)، وصححه ابن حبان (٦٦٠٥)، وحسنه البوصيري في مصباح الزجاجة (١٣٩/٣).

وَهَذِهِ الْوَصِيَّةُ الْعَظِيمَةُ هِيَ آخِرُ وَصَايَاهُ؛ كَمَا فِي حَدِيثٍ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ آخِرُ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ، اتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (١٤).

وَفِي حَدِيثٍ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ مِنْ آخِرِ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ، حَتَّى جَعَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ يُلْجِلُجُهَا فِي صَدْرِهِ وَمَا يَفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهَ (١٥).

لَقَدْ تَضَمَّنَ مَجْمُوعُ مَا نُقِلَ مِنْ وَصَايَاهُ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ ﷺ أُمُورًا عِدَّةً: مِنْهَا مَا يَتَعَلَّقُ بِالْعَقِيدَةِ، وَهِيَ الْوَصِيَّةُ بِإِحْسَانِ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى. وَمِنْهَا مَا هُوَ فِي الْعِبَادَاتِ، وَهِيَ الْوَصِيَّةُ بِالصَّلَاةِ، وَبَيَانَ مَا يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ.

وَمِنْهَا مَا لَهُ صِلَةٌ بِالْأَخْلَاقِ وَحُسْنِ الْمُعَامَلَةِ؛ كَوَصِيَّتِهِ بِالْأَنْصَارِ ﷺ؛ اعْتِرَافًا بِجَمِيلِهِمْ، وَوَفَاءً لَهُمْ عَلَى إِجَابَتِهِمْ دَعْوَتَهُ، وَنُصْرَتِهِمْ لِدِينِهِ. وَكَذَلِكَ وَصِيَّتُهُ بِالْمَمَالِكِ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْخَدْمُ وَالْعُمَّالُ وَضَعْفَةُ النَّاسِ. وَمِنْهَا مَا هُوَ مِنْ قَبِيلِ السِّيَاسَةِ الشَّرْعِيَّةِ، وَهِيَ الْوَصِيَّةُ بِإِجَارَةِ الْوُفُودِ وَإِكْرَامِهِمْ، سَوَاءً كَانُوا مُسْلِمِينَ أَمْ كُفَّارًا (١٦)؛ وَذَلِكَ لِتَأْلِيفِهِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، أَوْ

(١٤) أخرجه أبو داود في الأدب، باب في حق المملوك (٥١٥٦)، وابن ماجه في الوصايا، باب هل وصى رسول الله ﷺ (٢٦٩٨)، والبخاري في الأدب المفرد (١٥٨)، وأحمد (٧٨/١).  
(١٥) أخرجه من حديث أم سلمة: ابن ماجه في الجنائز، باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ (١٦٢٥)، وأحمد (٣١١/٦-٣٢١)، والنسائي في الكبرى (٧١٠٠)، قال البوصيري في مصباح الزجاجة: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين فقد احتجا بجميع رواته (٥٤٠/١).

(١٦) ينظر: شرح النووي على مسلم (٩٤/١١).

لِإِنْتِفَاعِ الْأُمَّةِ بِهِمْ، أَوْ لِكَيْ شَرَّهُمْ.

وَكَذَا الْأَمْرُ بِإِخْرَاجِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَالْمَقْصُودُ بِذَلِكَ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُمْ شَوْكَةٌ وَسُلْطَانٌ يَقِيمُونَ بِهَا دِينَهُمْ، وَيُظْهِرُونَ شَعَائِرَهُمْ؛ كَمَا جَاءَ مُفَسَّرًا فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ آخِرُ مَا عَهَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ قَالَ: لَا يُتْرَكُ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِينَانٌ» رَوَاهُ أَحْمَدُ <sup>(١٧)</sup>.

وَكَوْنُ الصَّلَاةِ آخِرَ وَصَايَاهُ يُدُلُّ عَلَى فَخَامَةِ شَأْنِهَا، وَعَظِيمِ أَمْرِهَا، وَقَدْ كَرَّرَ ﷺ الْوَصِيَّةَ بِهَا؛ كَمَا جَاءَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ، فَمَنْ ضَيَّعَهَا أَوْ فَرَطَ فِيهَا بَتْرَكِهَا أَوْ تَأَخَّرَهَا عَنْ وَقْتِهَا أَوْ تَخَلَّفَ عَنْ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ، أَوْ قَصَرَ فِي اسْتِكْمَالِ شُرُوطِهَا أَوْ أَرْكَانِهَا أَوْ وَاجِبَاتِهَا؛ فَقَدْ ضَيَّعَ مِنْ وَصِيَّةِ النَّبِيِّ ﷺ بِقَدْرِ تَقْرِيبِهِ.

وَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ الْعِنَايَةُ بِوَصَايَا النَّبِيِّ ﷺ كُلِّهَا؛ وَذَلِكَ بِتَعَلُّمِهَا، وَفَهْمِ مَعَانِيهَا، وَالْعَمَلِ بِهَا؛ فَإِنَّهُ ﷺ مَا وَصَّى بِهَا إِلَّا لِأَهَمِّيَّتِهَا، وَعَظِيمِ مَكَانَتِهَا فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى، فَمَنْ أَخَذَ بِهَا حَازَ الْخَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿وَمَا ءَانَكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ ...



(١٧) أخرجه أحمد (٢٧٤/٦)، والطبراني في الأوسط (١٠٦٦). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رواه أحمد، والطبراني في الأوسط ورجال أحمد رجال الصحيح، غير ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع (٣٢٥/٥).

وجاء مرسلاً عن الزهري وعن عمر بن عبد العزيز عند: مالك في الموطأ (٨٩٢/٢)، وعنه عبد الرزاق (٩٩٨٧).



## الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ، وَلَا أَمْنٌ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلِيُّ الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ النَّبِيُّ الْأَمِينُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ -عِبَادَ اللَّهِ- وَرَاقِبُوهُ، وَالزُّمُوا طَاعَتَهُ وَلَا تَعْصُوهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ التَّعْبِيرَ الْحَقِيقِيَّ عَنْ مَحَبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ يَكْمُنُ فِي اتِّبَاعِ سُنَّتِهِ، وَلِزُومِ هَدْيِهِ؛ فَهُوَ أَكْمَلُ الْهَدْيِ وَأَحْسَنُهُ ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وَلَقَدْ أَخْطَأَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي هَذَا الزَّمَنِ حِينَ ظَنُّوا أَنَّ الْإِحْتِفَالَ بِمَوْلِدِ النَّبِيِّ ﷺ دَلِيلٌ عَلَى مَحَبَّتِهِ. وَفِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَيَّامِ تَنْتَشِرُ مَظَاهِرُ هَذِهِ الْإِحْتِفَالَاتِ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، وَتُنْقَلُ شَعَائِرُهَا إِلَى الْمُسْلِمِينَ عَبْرَ الْفَضَائِيَّاتِ وَالْإِذَاعَاتِ؛ مِمَّا يُرْسِخُ هَذِهِ الْبِدْعَةَ الْمُنْكَرَةَ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ جَهْلَةِ الْمُسْلِمِينَ. وَتَتَضَمَّنُ هَذِهِ الْإِحْتِفَالَاتُ إِنْشَادَ الْمَدَائِحِ الَّتِي فِيهَا غُلُوٌّ وَرُبَّمَا تَضَمَّنَتْ شِرْكًَا، وَقَدْ نَهَى النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ أَنْ تَغْلُوَ فِيهِ كَمَا غَلَتِ النَّصَارَى فِي الْمَسِيحِ ﷺ.

وَمِنْ الْمُوَافَقَاتِ الْعَجِيبَةِ فِي بَابِ الْبِدْعَةِ: أَنَّ النَّصَارَى أَحْدَثُوا الْإِحْتِفَالَ بِمَوْلِدِ الْمَسِيحِ ﷺ فِي الْمِئَةِ الْمِيلَادِيَّةِ الرَّابِعَةِ، كَمَا أَحْدَثَ بَنُو عُيَيْدٍ الْبَاطِثُونَ الْإِحْتِفَالَ بِمَوْلِدِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي الْمِئَةِ الرَّابِعَةِ الْهَجْرِيَّةِ!! (١٨).

(١٨) أول احتفال للنصارى بعيد ميلاد المسيح ﷺ كان عام ٣٣٦م، ينظر: الموسوعة العربية العالمية (٧١١/١٦). وللمزيد عن ذلك وعن رأس السنة وحكمهما، راجع خطبة: عيد

وَالْعَجِيبُ أَيْضًا أَنَّ الْفِرَقَ الصُّوفِيَّةَ وَمَنْ وافَقَهَا مِنْ عَامَّةِ النَّاسِ فِي الْاِخْتِفَالِ  
بِهَذِهِ الْبِدْعَةِ وَمَثِيلَاتِهَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَوْقِفٌ مُشْرِفٌ حِينَ اعْتَدَى كَفَرُهُ الْعَرَبِ عَلَى  
النَّبِيِّ ﷺ بِرُسُومِهِمُ الْخَبِيثَةِ، وَفِي أَوَّلِ ظُهُورِ هَذِهِ الرُّسُومِ الْخَبِيثَةِ قَبْلَ سَتَتَيْنِ رَصَدَ  
بَعْضُ الْمُتَهَمِّينَ أَكْثَرَ الْمَوَاقِعِ الصُّوفِيَّةِ عَلَى الشَّبَكَةِ الْعَالَمِيَّةِ، فَلَمْ يَجِدْ فِيهَا إِدَانَةً  
وَلَا اسْتِنكَارًا لِهَذِهِ الرُّسُومِ، وَلَا شَيْئًا يَتَعَلَّقُ بِهَا<sup>(١٩)</sup>، وَإِلَى الْآنَ لَمْ نَرَ لِلْمُتَصَوِّفَةِ  
الَّذِينَ يَصِيحُّونَ بِمَحَبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَيَحْتَفِلُونَ بِمَوْلِدِهِ وَهَجَرَتِهِ وَإِسْرَائِهِ جُهْدًا يُذَكِّرُ  
فِي التَّعْرِيفِ بِالنَّبِيِّ ﷺ، أَوْ نُصْرَتِهِ، أَوِ الذَّبِّ عَنْ عَرَضِهِ! فَهَلِ انْحَصَرَ جُهْدُهُمْ  
فِي الدَّعَايَةِ لِأَنْفُسِهِمْ بِهَذِهِ الْاِخْتِفَالَاتِ الَّتِي يَبْتَزُّونَ بِهَا أَتْبَاعَهُمْ، وَيَخْدَعُونَ بِهَا  
عَامَّةَ الْمُسْلِمِينَ؟!

إِنَّ الْمِنَّةَ الْعُظْمَى مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ هِيَ بِيَعْنَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَيْسَتْ بِمَوْلِدِهِ،

(١٩) قال الشيخ د. عبد العزيز آل عبد اللطيف: أخبرني صاحبي -وهو من الراصدين مواقع  
الصوفية على شبكة «الإنترنت»- أنه تصفح قرابة ستين موقعًا للصوفية أثناء نازلة تطاول  
«الدانمارك» على سيّد الخلق وخاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد ﷺ، فلم يرَ للقوم  
حديثًا، ولم يسمع لهم همسًا في تلك الحادثة التي غدت مَشْغَلَةَ السمع والبصر في جميع  
الأصقاع؛ ثم تدارك صاحبي قائلًا: اللهم إلا أن واحدًا من تلك الستين قد نقل مقالة من  
أحد المواقع السنية!

وختم هذا صاحب كلامه قائلًا: هؤلاء الصوفية يعرفون الرسول عند الطمع، ويتخلون  
عنه عند الفزع.

ولئن كشفت هذه الحقيقة زيف محبة القوم لرسول الله ﷺ، وتهافت دعاويهم العريضة،  
فهي تبيّن حالة «السُّكْرِ» الذي أغرقهم، و«الفناء» الذي استحوذ عليهم، فكأن الأمر  
لا يعينهم، وكما لو كانوا خارج العالم! ولو كان «السُّكْر» و«الاصطلام» أمرًا ملازمًا لهم  
لهان الحُطْب؛ فالمجنون معفو عنه، إلا أن هذا السكر سرعان ما يزول عند صوفية  
الأرزاق، إذا كان في الصحو تحقيق لحظوظهم الشخصية ومطامعهم الدنيوية. اهـ من مجلة  
البيان، عدد (٢٢٢) ص (٨).

وَبِهَذَا تَنَزَّلَتِ الْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ؛ فَأَبْرَاهِيمُ ﷺ دَعَا رَبَّهُ بِذَلِكَ فَقَالَ: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وَفِي الْقُرْآنِ نَصٌّ عَلَى ذَلِكَ ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وَفِي آيَةِ الْجُمُعَةِ ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

فَالْأَهَمِّيَّةُ الْكُبْرَى هِيَ لِبَعَثِهِ ﷺ لَا لِمَوْلِدِهِ؛ لِأَنَّهُ مَكَثَ بَعْدَ مَوْلِدِهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً كَانَ النَّاسُ فِيهَا عَلَى الشِّرْكِ وَالْجَاهِلِيَّةِ، وَلَمْ يَتَغَيَّرْ مِنْ حَالِهِمْ شَيْءٌ.

وَمَا كَانَ الْخَيْرُ الْعَظِيمُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَالِدَّعْوَةُ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَمُحَارَبَةُ الشِّرْكِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى النَّاسِ نَبِيًّا وَرَسُولًا، وَهَذَا بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى مِمَّا أَعْمَى اللَّهُ تَعَالَى الْمُبْتَدِعَةَ عَنْهُ، فَاحْتَفَلُوا بِالمَوْلِدِ وَلَيْسَ هُوَ تَارِيخُ التَّغْيِيرِ فِي الْأَرْضِ، وَعَمُّوا عَنِ الْبُعْثَةِ وَهِيَ تَارِيخُ التَّغْيِيرِ فِي الْأَرْضِ؛ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ رَأْيِهِمْ، وَقِلَّةِ تَوْفِيقِهِمْ!! وَمَنْ أَحْدَثَ فِي الْإِسْلَامِ حَدَثًا فَهُوَ بَعِيدٌ عَنِ التَّوْفِيقِ وَالسَّدَادِ، وَعَمَلُهُ مَرْدُودٌ عَلَيْهِ، بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (٢٠).

أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - وَاسْتَمْسِكُوا بِسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالزَّمُوا هَدْيَهُ، وَخُذُوا بِوَصِيَّتِهِ، وَذُبُّوا عَنْ عَرْضِهِ، وَانصُرُوهُ بِمَا تَسْتَطِيعُونَ مِنْ أَنْوَاعِ النُّصْرَةِ، وَأَعْلَى ذَلِكَ وَأَقْوَاهُ: الدَّعْوَةُ إِلَى دِينِهِ، وَإِظْهَارُ سُنَّتِهِ الَّتِي أَغَاظَتْ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ فَسَخَرُوا مِنْهُ وَمِنْ دِينِهِ؛ لِعَجْزِ بَاطِلِهِمْ أَمَامَ الْحَقِّ الَّذِي جَاءَ بِهِ، وَلَا تَغْتَرُّوا بِبَهْرَجِ الْمُحْتَفِلِينَ بِالمَوَالِدِ وَنَحْوِهَا وَلَوْ كَثُرُوا، وَزَيَّنُوا بِاطْلِهِمْ،

(٢٠) أخرجه البخاري في الصلح، باب إذا اصطلحو على صلح جور فالصلح مردود (٢٦٩٧)، ومسلم في الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة وردة محدثات الأمور (١٧١٨).

وَنَشْرُوهُ فِي أَرْجَاءِ الْأَرْضِ؛ فَإِنَّ الْحَقَّ حَقٌّ وَإِنْ قَلَّ أَتْبَاعُهُ، وَإِنَّ الْبَاطِلَ بَاطِلٌ وَلَوْ  
كَثُرَ أَنْصَارُهُ، وَالْحَقُّ يُعْرَفُ بِالذَّلِيلِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَلَيْسَتْ الْكَثْرَةُ دَلِيلًا  
صَحِيحًا عَلَى الْحَقِّ ﴿وَإِنْ تَطِعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ  
يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].  
وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى نَبِيِّكُمْ ...



## ٣٥٥- توقير السلف للنبي ﷺ (١)

### من أخبار الصحابة

١٤٢٧/١/٢٥ هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ؛ اضْطَفَى رُسُلُهُ مِنْ بَيْنِ الْعَالَمِينَ، وَفَضَّلَهُمْ عَلَى الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥]، أَحَمَدُهُ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ اخْتَارَ لَصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ أَجْمَعِينَ هَذِهِ الْأُمَّةَ قُلُوبًا، وَأَزْكَاهُمْ أَعْمَالًا، وَأَصْدَقَهُمْ حَدِيثًا ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [البينة: ٨]، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ اخْتَصَّه اللَّهُ تَعَالَى بِمَا لَمْ يَخْتَصَّ بِهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ، فَهُوَ صَاحِبُ اللِّوَاءِ الْمَعْقُودِ، وَالْحَوْضِ الْمَوْرُودِ، وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَاتَّبَاعِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَأَوْصِيَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ ﷻ؛ فَإِنَّهَا وَصِيَّةُ اللَّهِ تَعَالَى لِلْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النساء: ١٣١].

أَيُّهَا النَّاسُ: فَضَّلَ اللَّهُ تَعَالَى الرُّسُلَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَفَاوَتْ بَيْنَهُمْ فِي كَثَرَةِ أَتْبَاعِهِمْ وَقِلَّتِهِمْ، وَقُوَّةِ هَوْلَاءِ الْأَتْبَاعِ وَضَعْفِهِمْ، وَقَدْ عُرِضَتِ الْأُمَمُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرِّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ قَالَ ﷺ: «حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ قُلْتُ: مَا هَذَا؟ أُمْتِي هَذِهِ؟ قِيلَ: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، قِيلَ: انْظُرْ إِلَى الْأَفُقِ، فَإِذَا سَوَادٌ يَمَلَأُ الْأَفُقَ ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا فِي آفَاقِ

السَّمَاءِ، فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلَأَ الْأُفُقَ قِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ»<sup>(١)</sup> رَوَاهُ الشَّيْخَانِ؛ وَلِذَلِكَ غَبَطَ مُوسَى ﷺ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ عَلَى كَثْرَةِ أَتْبَاعِهِ<sup>(٢)</sup>.

وَأَفْضَلُ النَّاسِ فِي كُلِّ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ هُمْ مَنْ صَحَبُوا رَسُولَهُمْ مُؤْمِنِينَ بِهِ، مُدَافِعِينَ عَنْهُ، دَاعِينَ إِلَى دِينِهِ، وَمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ مِمَّنْ لَمْ يَدْرِكُوا الرَّسُولَ فَأَمَّنُوا بِهِ أَلْحَقُوا بِهِمْ فِي الْفَلَاحِ وَالْفَوْزِ الْعَظِيمِ بِدَلِيلِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ إِلَى اللَّهِ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [التَّوْبَةُ: ١٠٠]، وَقَالَتِ الْأَنْصَارُ ﷺ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ لِكُلِّ نَبِيٍّ أَتْبَاعٌ، وَإِنَّا قَدْ أَتْبَعْنَاكَ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ أَتْبَاعَنَا مِنَّا، فَدَعَا بِهِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ<sup>(٣)</sup>.

وَلَمَّا كَانَ الصَّحَابَةُ ﷺ أَصْحَابَ أَفْضَلِ نَبِيِّ ﷺ؛ كَانُوا أَفْضَلَ الْأَصْحَابِ، وَخَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَهُمْ السَّابِقُونَ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ، وَالْجِهَادِ وَالنُّصْرَةِ. صَدَقُوا حِينَ كَثُرَ الْمُكَذِّبُونَ، وَاتَّبَعُوا إِذْ قَلَّ الْمُتَّبِعُونَ، وَتَحَمَّلُوا فِي سَبِيلِ ذَلِكَ هَجْرَ الْأَوْطَانِ، وَمُفَارَقَةَ الْأَهْلِ وَالْوِلْدَانِ، وَمُعَادَاةَ الْعَشِيرَةِ وَالْخُلَانِ، وَمَهْمَا

(١) أخرجه من حديث ابن عباس ﷺ: البخاري في الطب، باب مَنْ اكْتَوَى أَوْ كَوَى غَيْرَهُ وَفَضْلُ مَنْ لَمْ يَكْتُو (٥٣٧٨)، ومسلم في الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (٢٢٠).

(٢) في حديث الإسراء الطويل من رواية أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة ﷺ، قال النبي ﷺ: «فلما خلصت فإذا موسى، قال: هذا موسى فسَلِّمْ عَلَيْهِ، فسَلِّمْتُ عَلَيْهِ، فردُّمُ قال: مرحباً بالأخ الصالح، والنبي الصالح، فلما تجاوزت بكى، قيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاماً بُعِثَ بَعْدِي يدخل الجنة مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يدخلها مِنْ أُمَّتِي» أخرجه البخاري في مناقب الأنصار، باب المعراج (٣٦٧٤).

(٣) أخرجه من حديث زيد بن أرقم ﷺ: البخاري في فضائل الصحابة، باب أتباع الأنصار (٣٥٧٦)، والطيالسي (٦٧٥)، وأحمد (٣٧٣/٤)، وابن أبي شيبة (٤٠٠/٦)، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (١٧٦٩)، وأبو القاسم البغوي في مسند ابن الجعد (٨٦).

عَمِلَ مَنْ بَعْدَهُمْ فَلَنْ يَبْلُغُوا مَبْلَغَهُمْ، وَلَنْ يَحُوزُوا فَضْلَهُمْ، أَوْ يُدْرِكُوا سَبْقَهُمْ؛ وَلَكِنَّهُمْ يَلْحَقُونَ بِهِمْ فِي الْفَوْزِ وَالْجَنَّةِ، لَا فِي الْفَضْلِ وَالْدَّرَجَةِ، وَفِي هَذَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَذْرَكَ مَدًّا أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ (٤)، وَرَوَى ابْنُ مَاجَهَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ فَلَمَقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمْرَهُ» (٥).

إِنَّهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَغْظَمَ هَذِهِ الْأُمَّةَ بَعْدَ نَبِيِّهَا ﷺ إِيْمَانًا وَيَقِينًا، وَأَكْثَرُهُمْ تَضَحِيَةً وَبَذْلًا، فَاسْتَحَقُّوا مَا نَالُوا بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ، وَرَحْمَتِهِ بِهِمْ، وَاصْطِفَائِهِ لَهُمْ؛ لِيَكُونُوا أَحْبَابَ خَاتَمِ رُسُلِهِ ﷺ، وَأَخْبَارُهُمْ ﷺ غَزِيرَةٌ فِي تَصْدِيقِهِمْ وَمَحَبَّتِهِمْ، وَوَفَائِهِمْ وَفِدَائِهِمْ لَهُ ﷺ، وَدِفَاعِهِمْ عَنْهُ، وَتَقْدِيمِهِ عَلَى كُلِّ مُحِبٍّ سِوَى اللَّهِ تَعَالَى.

وَفِي بَابِ مَحَبَّتِهِ ﷺ يُقَدِّمُ الصَّدِيقُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَرَابَةَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى قَرَابَتِهِ (٦)، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَحَبَّتِهِ الصَّادِقَةِ.

(٤) أَخْرَجَهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْبَخَارِيُّ فِي فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مَتَخِذًا خَلِيلًا» (٣٤٧٠)، وَمُسْلِمٌ فِي فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، بَابُ تَحْرِيمِ سَبِّ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ (٢٥٤٠) وَاللَّفْظُ لَهُ.

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ فِي الْمَقْدِمَةِ، بَابُ فِي فَضَائِلِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (١٦٢)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (٤٠٥/٦)، وَأَحْمَدُ فِي فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ (١٥-٢٠-١٧٢٩-١٧٣٦)، وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي السَّنَةِ (١٠٠٧)، وَصَحَّحَهُ الْبُوصَيْرِيُّ فِي مُصْبَحِ الزَّجَاجِ وَقَالَ: هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ رَجَالُهُ ثِقَاتُ (٢٤/١)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ ابْنِ مَاجَهَ.

(٦) قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لِقَرَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصَلَ مِنْ قَرَابَتِي» أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ فِي فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَابُ مَنَاقِبِ قَرَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَنْقِبَةُ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِنْتَ النَّبِيِّ ﷺ (٣٥٠٨).

وَالْفَارُوقُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُخْبِرُ النَّبِيَّ ﷺ بِأَنَّهُ يُحِبُّهُ أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى مِنْ نَفْسِهِ <sup>(٧)</sup>. وَبَنَاءً عَلَى هَذِهِ الْمَحَبَّةِ الْعَظِيمَةِ أَحَبَّ عُمَرُ إِسْلَامَ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَكْثَرَ مِنْ مَحَبَّتِهِ لِإِسْلَامِ الْخَطَّابِ لَوْ أَسْلَمَ مَعَ أَنَّهُ وَالِدُهُ <sup>(٨)</sup>؛ لِمَكَانِ الْعَبَّاسِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ. وَسُئِلَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَيْفَ كَانَ حُبُّكُمْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: «كَانَ وَاللَّهِ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ أَمْوَالِنَا وَأَوْلَادِنَا وَأَبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، وَمِنْ الْمَاءِ الْبَارِدِ عَلَى الظَّمَا» <sup>(٩)</sup>.

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا أَجَلَ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أَطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ <sup>(١٠)</sup>.

إِنَّهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَدَّمُوهُ ﷺ عَلَى آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ، حَتَّى هَمَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَنٍ سُلُولٍ أَنْ يَقْتُلَ أَبَاهُ لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّهُ يُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ <sup>(١١)</sup>.

(٧) عن عبد الله بن هشام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا مع النبي ﷺ وهو أخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: لا، والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك. فقال له عمر: فإنه الآن، والله، لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي ﷺ: الآن يا عمر» أخرجه البخاري في الإيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ (٦٢٥٧).

(٨) قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يا عباس فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلمت، وما ذاك إلا أنني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلي رسول الله من إسلام الخطاب لو أسلمت» أخرجه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (٥٩/٥)، والطبري في تاريخه (١٥٧/٢)، والطبراني في الكبير (١١/٨) رقم (٧٢٦٤)، والبيهقي في الدلائل (٣٤/٥)، وصححه الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٤٣٠١)، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٣٤١).

(٩) الشفاء للقاضي عياض (٢٠/٢).

(١٠) أخرجه مسلم في الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما كان قبله وكذا الهجرة والحج (١٢١).

(١١) أخرجه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (٢٥٥/٤)، والطبري في تفسيره (١١٦/٢٨)، والبيهقي في الدلائل (٦٢/٤).



وَلَمَّا اعْتَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ نِسَاءَهُ وَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرُ ﷺ دَخَلَ عَلَى ابْنَتِهِ حَفْصَةَ ﷺ مُغْضَبًا، فَقَالَ: «لَقَدْ بَلَغَ مِنْ شَأْنِكَ أَنْ تُؤْذِيَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَا يُحِبُّكَ وَلَوْلَا أَنَا لَطَلَّقَكَ، فَبَكَتْ أَشَدَّ الْبُكَاءِ، فَاسْتَأْذَنَ عُمَرُ فِي الدُّخُولِ عَلَيْهِ، فَلَمْ يُجِبْ بِشَيْءٍ، فَقَالَ عُمَرُ لِلْبَوَّابِ: يَا رَبَّاحُ، اسْتَأْذِنْ لِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ظَنَّ أَنِّي جِئْتُ مِنْ أَجْلِ حَفْصَةَ، وَاللَّهِ لَئِنْ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِضَرْبِ عُنُقِهَا لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَهَا» (١٢).

لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْمَحَبَّةُ الْعَظِيمَةُ مِنْهُمْ زَعْمًا كَاذِبًا، أَوْ ظَنًّا مَشْكُوكًا فِيهِ، أَوْ مُجَرَّدَ دَعْوَى لَيْسَ عَلَيْهَا بُرْهَانٌ؛ إِذْ لَمَّا جَدَّ الْجِدُّ، وَدَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ، وَحَضَرَتِ الْمَنَآيَا مِيدَانَ الْمَعْرَكَةِ تَخَطَّفَ مَنْ أَمَرَتْ بِهِ؛ كَانَتْ أَجْسَادُ الصَّحَابَةِ ﷺ فِدَاءً لِنَبِيِّهِمْ ﷺ، وَسُيُوفُهُمْ أَسْبَقَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَنْ يَصِلَ الْأَذَى لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَفِي الْمَغَازِي مِنْ بَدْرِ إِلَى حَتِّينَ مَوَاقِفُ مَشْهُورَةٌ، وَبُطُولَاتُ مَشْهُودَةٌ، تُبْرِهِنُ أَنَّ الْقَوْمَ صَدَقُوا فِي مَحَبَّتِهِمْ لِلنَّبِيِّ ﷺ.

وَلَيْسَتْ تِلْكَ الْمَحَبَّةُ، وَالتَّضَحِّيَاتُ فِي سَبِيلِهَا مَوْقُوفَةٌ عَلَى مُوَاطِنِ الْعِزِّ وَالْإِتِّصَارِ؛ بَلْ ظَهَرَتْ حَتَّى فِي حَالِ الْهَزِيمَةِ وَالْإِنْكَسَارِ، وَاسْأَلُوا غَزْوَةَ أَحَدٍ تُنَبِّئُكُمْ عَنْ ذَلِكَ، وَتُخَبِّرُكُمْ أَنَّ سَبْعَةً مِنَ الْأَنْصَارِ اسْتَمَاتُوا فِي الدِّفَاعِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا أَحَاطَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ حَتَّى قُتِلُوا عَنْ آخِرِهِمْ؟ وَلَهُمُ الْجَنَّةُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ، أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ» (١٣)، فَكَانَ هَؤُلَاءِ

(١٢) أخرجه من حديث ابن عباس عن عمر بن الخطاب ﷺ: مسلم في الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخيريهن (١٤٧٩).

(١٣) أخرجه من حديث أنس ﷺ: مسلم في الجهاد والسير باب غزوة أحد (١٧٨٩)، والنسائي في الكبرى (٨٦٥١)، وأحمد (٢٨٦/٣)، وأبو يعلى (٣٣١٩)، وابن حبان (٤٧١٨)، والبيهقي (٤٤/٩)، وأبو عوانة (٦٨٧١).

السَّبْعَةُ هُمْ مِمَّنْ رَدُّوا الْمُشْرِكِينَ عَنْهُ، حَتَّى جَادُوا بِأَرْوَاحِهِمْ فَدَاءَ لَهُ ﷺ.  
وَشَلَّتْ يَدُ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ﷺ فِي أَحَدٍ مِنْ شِدَّةِ صُموْدِهِ دِفَاعًا عَنِ  
النَّبِيِّ ﷺ (١٤).

وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيُّ ﷺ رَجُلًا رَامِيًا شَدِيدَ النَّزْعِ كَسَرَ يَوْمَيْدٍ قَوْسَيْنِ  
أَوْ ثَلَاثًا، وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ بِجَعْبَةٍ مِنَ النَّبْلِ فَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «انْثَرَهَا  
لِأَبِي طَلْحَةَ، وَيُشْرِفُ النَّبِيُّ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى الْقَوْمِ وَأَبُو طَلْحَةَ يَحْمِيهِ وَيَدْرَأُ عَنْهُ  
الْمُشْرِكِينَ بِالنَّبَالِ، فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا تُشْرِفْ  
يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ» (١٥).

وَالشَّاعِرُ مِنْهُمْ كَانَ يُدَافِعُ عَنْهُ ﷺ بِالشَّعْرِ كَمَا كَانَ حَسَّانُ ﷺ يَفْعَلُ،  
وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَهُ: «اهْجُهِمْ وَجَبْرِيلُ مَعَكَ» (١٦).

وَلَمْ تَكُنْ مَحَبَّتُهُ ﷺ حِكْمًا عَلَى الرِّجَالِ مِنَ الصَّحَابَةِ ﷺ، بَلْ كَانَ لِنِسَائِهِمْ  
-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ- حِطٌّ أَوْفَى مِنْ تِلْكَ الْمَحَبَّةِ؛ ابْتِدَاءً بِأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ -رَضِيَ  
اللَّهُ عَنْهُنَّ- حِينَ خَيْرُهُنَّ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ الْبَقَاءِ مَعَهُ ﷺ وَالصَّبْرِ عَلَى شَطْفِ  
الْعَيْشِ، وَقِلَّةِ الْمُؤْتَةِ، وَشِدَّةِ الْحَالِ، وَبَيْنَ الْفِرَاقِ وَالتَّمَتُّعِ بِطَيِّبَاتِ الدُّنْيَا،  
فَاخْتَرَنَهُ ﷺ عَلَى مَتَاعِ الدُّنْيَا، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «فَبَدَأَ بِي أَوَّلَ امْرَأَةٍ فَقَالَ: إِنِّي  
ذَاكِرٌ لَكَ أَمْرًا وَلَا عَلَيْكَ أَنْ لَا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكَ. قَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قَدْ

(١٤) كما روى قيس بن أبي حازم -رحمه الله تعالى- قال: «رَأَيْتُ يَدَ طَلْحَةَ شَلَاءَ وَفَى بِهَا  
النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ» أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة أحد (٣٨٣٦)، وابن ماجه  
في المقدمة، باب فضائل أصحاب رسول الله ﷺ (١٢٨)، وأحمد (١/١٦١).

(١٥) أخرجه من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: البخاري في المغازي، باب غزوة أحد (٣٨٣٧)، ومسلم  
في الجهاد والسير، باب غزوة النساء مع الرجال (١٨١١).

(١٦) أخرجه من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: البخاري في الأدب، باب هجاء المشركين  
(٥٨٠١)، ومسلم في فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، باب فضائل حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢٤٨٦).

أَعْلَمُ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِكَ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاعًا جَمِيلًا ۖ وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨، ٢٩]، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَفِي هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ؟! فَإِنِّي أُرِيدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ، ثُمَّ خَيَّرَ نِسَاءَهُ، فَقُلْنَ مِثْلَ مَا قَالَتْ عَائِشَةُ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ<sup>(١٧)</sup>، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ أُمّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَرْضَاهُنَّ، اخْتَرْنَهُ ﷺ عَلَى الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا، فَلَا عَجَبَ حِينَئِذٍ أَنْ يَمُرَّ شَهْرَانِ كَامِلَانِ لَا تُوقَدُ النَّارُ لِلطَّبَخِ فِي بُيُوتِهِنَّ<sup>(١٨)</sup>، وَمَا يَجِدْنَ إِلَّا التَّمْرَ وَالْمَاءَ، وَمَا شَبِعْنَ مِنْ خُبْزِ شَعِيرِ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ<sup>(١٩)</sup>، وَمَا ضَجِرْنَ وَلَا اشْتَكَيْنَ؛ لِأَنَّهُ الْأَمْرُ الَّذِي اخْتَرْنَهُ، وَنَعَمَ الْإِخْتِيَارُ اخْتِيَارُهُنَّ!!

وَلِلصَّحَابِيَّاتِ الْأُخْرَيَّاتِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ- حَظُّهُنَّ مِنْ مَحَبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَتَقْدِيمِهِ عَلَى الْأَبَاءِ وَالْأَزْوَاجِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْإِخْوَانِ؛ كَمَا فَعَلْتُ إِحْدَى الْأَنْصَارِيَّاتِ لَمَّا قُتِلَ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْهَا فِي أُحُدٍ، فَمَا سَأَلْتُ إِلَّا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ حَاصَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ حَيْصَةً قَالُوا: قُتِلَ مُحَمَّدٌ، حَتَّى كَثُرَتِ الصَّوَارِخُ فِي نَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ، فَخَرَجَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مُتَحَرِّمَةً فَاسْتَقْبَلَتْ بِابْنِهَا وَأَبِيهَا وَزَوْجِهَا وَأَخِيهَا، لَا أَذْرِي أَيُّهُمْ اسْتَقْبَلَتْ بِهِ أَوَّلَ، فَلَمَّا مَرَّتْ عَلَى آخِرِهِمْ قَالَتْ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: أَبُوكَ أَخُوكَ زَوْجُكَ ابْنُكَ،

(١٧) هذا جزء من الحديث المخرج في حاشية (١٢).

(١٨) جاء ذلك في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «إِنْ كُنَّا لِلنَّظَرِ إِلَى الْهَلَالِ ثُمَّ الْهَلَالِ ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ وَمَا أَوْقَدَتْ فِي آيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارَ...» الحديث. أخرجه البخاري في الهبة وفضلها، باب فضلها والتحريض عليها (٢٤٢٨)، ومسلم في فاتحة كتاب الزهد والرقائق (٢٩٧٢).

(١٩) كما في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «مَا شَبِعَ آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ خُبْزِ شَعِيرِ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ...» أخرجه مسلم في فاتحة كتاب الزهد والرقائق (٢٩٧٠).

وَهِيَ تَقُولُ: مَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: أَمَامَكَ، حَتَّى دَفَعْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخَذْتَ بِنَاحِيَةِ ثَوْبِهِ، ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَايَ أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا أَبَالِي إِذْ سَلِمْتَ مِنْ عَظْبٍ» (٢٠).

وَهُمْ ﷺ مَا أَحْبَبُوهُ هَذِهِ الْمَحَبَّةَ الصَّادِقَةَ إِلَّا لِأَنَّهُمْ آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، وَآيَقَنُوا أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ تَعَالَى إِلَيْهِمْ، وَلَوْ أَخْبَرَهُمْ بِمَا لَمْ يَعْتَادُوا وَقُوعَهُ لَصَدَّقُوا خَبْرَهُ، وَأَوَّلُهُمْ تَصَدِّيقًا أَبُو بَكْرٍ ﷺ حَتَّى نُعِتَ بِالصَّدِّيقِ عَلَى إِثْرِ حَادِثَةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ؛ إِذْ كَذَّبَ الْمُشْرِكُونَ ذَلِكَ وَاسْتَعْظَمُوهُ، وَاسْتَهْزَأُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَقَالُوا لِأَبِي بَكْرٍ ﷺ: «هَلْ لَكَ إِلَى صَاحِبِكَ؟ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَوْ قَالَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: لَيْنَ كَانَ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ، قَالُوا: أَوْ تُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟ قَالَ: نَعَمْ إِنِّي لَأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ، أُصَدِّقُهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ فِي غُدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ» رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ (٢١).

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ فَقَالَ: «صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: بَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقْرَةً إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا، فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا، إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ، فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ بَقْرَةٌ تَكَلَّمُ! فَقَالَ ﷺ: فَإِنِّي أَوْمِنُ بِهِذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ. وَمَا هُمَا ثُمَّ. وَبَيْنَمَا رَجُلٌ فِي غَنَمِهِ إِذْ عَدَا الذُّئْبُ،

(٢٠) أخرجه من حديث أنس بن مالك ﷺ: أبو نعيم في الحلية (٣٣٢/٢)، والطبراني في الأوسط (٧٤٩٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: «رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه محمد شبيب ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات» (١١٥/٦)، وله شاهد مرسل من حديث عكرمة رحمه الله تعالى عن ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٧٤/٣) رقم (٤٢٣٩)، وقال الحافظ ابن حجر في العجائب: «هذا مرسل رجاله من رجال البخاري» (٢٣٨).

(٢١) أخرجه من حديث عائشة ﷺ: الحاكم وصححه (٦٥/٣).

فَذَهَبَ مِنْهَا بِشَاةٍ، فَطَلَبَ حَتَّى كَانَتْهُ اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ، فَقَالَ لَهُ الذُّبُّ هَذَا: اسْتَنْقَذَتْهَا مِنِّي، فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبْعِ يَوْمَ لَا رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي؟ فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ ذُبُّ يَتَكَلَّمُ! قَالَ ﷺ: فَإِنِّي أَوْمِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ. وَمَا هُمَا ثُمَّ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ (٢٢)، وَقَوْلُ الرَّاوي عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ: وَمَا هُمَا ثُمَّ. أَيُّ: لَيْسَا حَاضِرَيْنِ يَوْمَ حَدَّثَ النَّبِيُّ ﷺ بِهَذَا الْحَدِيثِ.

وَكَانُوا ﷺ أَسْرَعَ النَّاسِ امْتِثَالًا لِمَا يَقُولُ، رَوَى نَافِعٌ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ تَرَكْنَا هَذَا الْبَابَ لِلنِّسَاءِ. قَالَ نَافِعٌ: فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ ابْنُ عُمَرَ حَتَّى مَاتَ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٢٣).

اللَّهُمَّ ارْضَ عَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَاجْزِهِمْ خَيْرَ الْجَزَاءِ عَنْ حُسْنِ صُحْبَتِهِمْ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَانْتَقِمْ مِمَّنْ شَتَمَهُمْ أَوْ تَنَفَّصَهُمْ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ؟ وَأَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ ...



## الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.  
أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى وَأَطِيعُوهُ.

(٢٢) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب حديث الغار (٣٢٨٤)، ومسلم في فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ (٢٣٨٨).

(٢٣) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب في اعتزال النساء في المساجد عن الرجال (٤٦٢)، والطيالسي (١٨٢٩)، والطبراني في الأوسط (١٠١٨).

أَيُّهَا النَّاسُ: كَانَ مِنْ تَوْقِيرِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَعْظِيمِهِمْ لَهُ: أَنَّهُمْ يَلْتَزِمُونَ الْأَدَبَ بِحَضْرَتِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُونَ أَوْ يَفْعَلُونَ الْفِعْلَ إِلَّا بِإِذْنِهِ.

وَبَلَغَ مِنْ أَدَبِهِمْ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الرَّاويَ يُسَبِّهُ هُدُوءَهُمْ وَسَكِينَتَهُمْ بِمَنْ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ، قَالَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَصِفُ حُضُورَهُمْ جَنَازَةً يُجَهِّزُ لَحْدُهَا: «فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، وَكَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرَ» (٢٤).

وَلَمْ تَكُنْ سَكِينَتُهُمْ تِلْكَ حَالِ حُضُورِ الْجَنَازَةِ فَحَسَبُ، أَوْ لِمَكَانِ الْقَبْرِ مِنَ الْقَلْبِ؛ إِذْ كَانَ ذَلِكَ حَالَهُمْ حَتَّى فِي مَجْلِسِهِمْ مَعَهُ أَثْنَاءَ تَحْدِيثِهِمْ وَتَعْلِيمِهِمْ أُمُورَ دِينِهِمْ، قَالَ أُسَامَةُ بْنُ شَرِيكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِنَا الرَّخَمَ، مَا يَتَكَلَّمُ مِنَّا مُتَكَلِّمٌ، إِذْ جَاءَهُ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفْتِنَا فِي كَذَا، أَفْتِنَا فِي كَذَا» (٢٥).

وَإِذَا حَدَّثَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَتْهُ هَيْبَةٌ عَظِيمَةٌ، حَتَّى بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِجْلَالًا لِحَدِيثِهِ، كَمَا رَوَى عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ فَقَالَ: «مَا أَخْطَأَنِي عَشِيَّةَ خَمِيسٍ إِلَّا آتَى عَبْدَ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ فِيهَا، فَمَا سَمِعْتُهُ بِشَيْءٍ قَطُّ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ عَشِيَّةٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ نَكَسَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَرَأَيْتُهُ مُحْلُولَ أَزْرَارٍ قَمِيصِهِ، قَدْ انْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ، وَاعْرُورَقَتْ

(٢٤) أخرجه أبو داود في السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر (٤٧٥٣)، والنسائي في الكبرى (٢١٢٨)، وأحمد (٢٨٧/٤)، وابن المبارك في الزهد (١٢١٩)، وابن منده في الإيمان (١٠٦٢)، وابن أبي شيبه (٤/٣)، وصححه الطبري في تهذيب الآثار (٧٢٠)، والحاكم (٩٦/١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح (٥٠/٣).

(٢٥) أخرجه ابن ماجه في الطب، باب ما أنزل الله داء إلا وأنزل له شفاء (٣٤٣٦)، والطيالسي (١٢٣٢)، وأحمد (٢٧٨/٤)، وصححه ابن حبان واللفظ له (٤٨٦).

عَيْنَاهُ، فَقَالَ: أَوْ فَوْقَ ذَلِكَ أَوْ دُونَ ذَلِكَ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ أَوْ شِبْهَ ذَلِكَ» رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ (٢٦).

وَبَلَغَ مِنْ أَدْبِهِمْ مَعَهُ أَنَّهُمْ يَفْرَعُونَ بَابَهُ إِنْ أَرَادُوهُ بِالْأَظَافِيرِ (٢٧)، وَمَا كَانُوا يَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ بِحَضْرَتِهِ ﷺ، وَمَنْ كَانَ جَهْوَرِيَّ الصَّوْتِ مِنْهُمْ جَاهَدَ نَفْسَهُ عَلَى خَفْضِ صَوْتِهِ بَعْدَ نُزُولِ آيَةِ الْحُجَرَاتِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الْحُجَرَاتِ: ٢] قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَمَا كَانَ عُمَرُ يُسْمِعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ خَشْيَةً حُبُوطِ الْعَمَلِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٨)، وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ افْتَقَدَ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَعْلَمُ لَكَ عِلْمَهُ، فَأَتَاهُ فَوَجَدَهُ جَالِسًا فِي بَيْتِهِ مُنْكَسًا رَأْسَهُ، فَقَالَ لَهُ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ: شَرٌّ، كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَتَى الرَّجُلُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ كَذَا وَكَذَا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ الْمَرَّةَ الْآخِرَةَ بِسَّارَةٍ عَظِيمَةٍ، فَقَالَ: اذْهَبْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ: إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلَكِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٩).

- (٢٦) أخرجه مسلم في التمييز (٧)، والطبراني في الكبير (١٢٣/٩) رقم (٨٦١٧).
- (٢٧) عن أنس بن مالك أن أبواب النبي ﷺ كانت تفرع بالأظافير، أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٠٨٠)، وفي التاريخ الكبير (٧١٥)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (١٨/٧)، والبيهقي في الشعب (١٥٣٠)، والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (٢٢٤)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٨٢٨).
- (٢٨) أخرجه البخاري في التفسير باب ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ (٤٥٦٤)، والترمذي في التفسير، باب ومن سورة الحجرات (٣٢٦٦)، وأحمد (٦/٤).
- (٢٩) أخرجه البخاري (٤٥٦٥) واللفظ له، ومسلم في الإيمان، باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله (١١٩).

وَكَانَ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم مَأْذُونًا لَهُمْ فِي مُرَاجَعَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِمَا لَا يَزِيدُ عَلَى ثَلَاثِ مَرَّاتٍ، وَلَرُبَّمَا وَفَّقَ بَعْضُهُمْ فِي إِصَابَةِ الْحَقِّ كَمَا أَصَابَهُ عُمَرُ رضي الله عنه غَيْرَ مَرَّةٍ، وَمَعَ هَذَا الْإِذْنِ فِي الْمُرَاجَعَةِ لَهُمْ فَإِنَّهُ كَانَ أَشَدَّ شَيْءٍ عَلَى الْوَاحِدِ مِنْهُمْ أَنْ يُرَاجِعَهُ فِي أَمْرٍ ثُمَّ يَكُونَ الْحَقُّ بِخِلَافِهِ، وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ لِعُمَرَ رضي الله عنه الَّذِي كَانَ يُصِيبُ الْحَقَّ كَثِيرًا؛ إِذْ رَاجَعَ النَّبِيَّ ﷺ فِي صَلَاحِ الْحُدَيْبِيَّةِ فَكَانَ الْحَقُّ عَلَى خِلَافٍ مَا أَرَادَ، يَقُولُ عُمَرُ رضي الله عنه: «فَأْتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: أَلَسْتُ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِ الدِّيْنَ فِي دِينِنَا؟ فَقَالَ ﷺ: إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَفِي رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ يَقُولُ عُمَرُ رضي الله عنه: «مَا زِلْتُ أَصُومُ وَأَتَصَدَّقُ وَأُصَلِّي وَأَعْتِقُ مِنَ الَّذِي صَنَعْتُ؛ مَخَافَةَ كَلَامِي الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ يَوْمَئِذٍ، حَتَّى رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ خَيْرًا» (٣٠).

وَكَانُوا رضي الله عنهم يَتَفَقَّدُونَ أَحْوَالَ النَّبِيِّ ﷺ، وَيَتَأَلَّمُونَ لِأَلَامِهِ، وَيَبْذُلُونَ الْعَالِي وَالنَّفِيسَ لِأَجْلِهِ، وَفِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ رَأَى جَابِرٌ رضي الله عنه بِالنَّبِيِّ ﷺ الْجُوعَ فَانْكَفَأَ إِلَى امْرَأَتِهِ وَقَالَ: «هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ؟ فَإِنِّي رَأَيْتُ بَرَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ (٣١).

وَإِذْ ذَاكَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ عَصَبَ بَطْنُهُ بِالْحِجَارَةِ، وَلَمْ يَذُقْ طَعَامًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، مِمَّا جَعَلَ جَابِرًا يَقُولُ لِامْرَأَتِهِ: «رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرٌ،

(٣٠) أخرجه من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم رضي الله عنهما: البخاري في الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط (٢٥٨١)، وأحمد واللفظ له (٣٢٥/٤)، وفي رواية البخاري: قال الزهري: قال عمر: فعملت لذلك أعمالا.

(٣١) أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب (٤١٠٢)، ومسلم في الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه ذلك (٢٠٣٩).



فَعِنْدَكَ شَيْءٌ؟» (٣٢)، ثُمَّ ضَمَّه جَابِرٌ فَضَيَّفَ النَّبِيُّ ﷺ أَهْلَ الْخَنْدَقِ كُلَّهُمْ عَلَى وَلِيمَةٍ جَابِرٍ، وَطَرَحَ اللَّهُ تَعَالَى الْبَرَكَةَ فِي طَعَامِهِمْ فَشَبِعُوا.

وَفِي غَزَاةٍ أُخْرَى أَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِالْمَسِيرِ كُلِّ اللَّيْلِ، قَالَ أَبُو قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسِيرُ حَتَّى ابْهَارَ اللَّيْلُ وَأَنَا إِلَى جَنْبِهِ قَالَ: فَنَعَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَالَ عَنْ رَاحِلَتِهِ، فَأَتَيْتُهُ فَدَعَمْتُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أُوقِظَهُ حَتَّى اعْتَدَلَ عَلَى رَاحِلَتِهِ، قَالَ: ثُمَّ سَارَ حَتَّى تَهَوَّرَ اللَّيْلُ مَالَ عَنْ رَاحِلَتِهِ، قَالَ: فَدَعَمْتُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أُوقِظَهُ حَتَّى اعْتَدَلَ عَلَى رَاحِلَتِهِ، قَالَ: ثُمَّ سَارَ حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ السَّحَرِ مَالَ مِيلَةً هِيَ أَشَدُّ مِنَ الْمِيلَتَيْنِ الْأُولَيْنِ حَتَّى كَادَ يَنْجَفِلُ، فَأَتَيْتُهُ فَدَعَمْتُهُ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قُلْتُ: أَبُو قَتَادَةَ، قَالَ: مَتَى كَانَ هَذَا مَسِيرِكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: مَا زَالَ هَذَا مَسِيرِي مُنْذُ اللَّيْلَةِ، قَالَ: حَفِظَكَ اللَّهُ بِمَا حَفِظْتَ بِهِ نَبِيَّهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٣٣).

وَرُبَّمَا بَكَى أَحَدُهُمْ لِحَالِ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا وَقَعَ مِنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى حَصِيرٍ، قَالَ: فَجَلَسْتُ فَإِذَا عَلَيْهِ إِزَارٌ لَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَنَظَرْتُ بِبَصَرِي فِي خِرَانَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ نَحْوِ الصَّاعِ وَمِثْلَهَا قَرَطًا فِي نَاحِيَةِ الْعُرْفَةِ وَإِذَا أَفِيقٌ - وَهُوَ الْإِهَابُ الَّذِي قَدْ ذَهَبَ شَعْرُهُ وَلَمْ يُدْبَعْ - فَابْتَدَرْتُ عَيْنَايَ فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَمَا لِي لَا أَبْكِي وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ، وَهَذِهِ خِرَانَتُكَ وَلَا أَرَى فِيهَا إِلَّا مَا أَرَى، وَذَلِكَ قَيْصَرٌ وَكِسْرَى فِي الثَّمَارِ وَالْأَنْهَارِ وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَصَفْوَتُهُ وَهَذِهِ خِرَانَتُكَ؟! قَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ،

(٣٢) مضى تخريجه في الحاشية السابقة (٣١).

(٣٣) أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها (٦٨١).

أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الْآخِرَةُ وَلَهُمُ الدُّنْيَا؟ قُلْتُ: بَلَى «رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ»<sup>(٣٤)</sup>.  
وَمِنْ عَجِيبٍ مَا يُرَوَى فِي مَحَبَّةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ  
الْبَصْرَةِ فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُقَالُ لَهُ: كَابِسُ بَنِ رِبِيعَةَ، كَانَ يُشَبِّهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،  
فَوَجَّهَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةَ، فَأَشْخَصَهُ لِدَلِّكَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، وَقَبَلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَأَقْطَعَهُ  
الْمِرْغَابَ<sup>(٣٥)</sup>، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ عَلَى مُعَاوِيَةَ قَامَ لَهُ، فَقِيلَ لَهُ: «أَتَقُومُ لِهَذَا الشَّيْخِ  
وَأَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: نَعَمْ، لِأَنِّي رَأَيْتُ فِيهِ مُشَابَهًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنَا  
أَقُومُ لِدَلِّكَ لَا لَهُ»<sup>(٣٦)</sup>، وَكَانَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ إِذَا رَأَاهُ بَكَى، وَقَالَ: «هَذَا أَشْبَهُ  
النَّاسِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»<sup>(٣٧)</sup>.

هَكَذَا كَانَتْ سِيرَةُ الْقَوْمِ مَعَ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ؛ وَلِذَا شَرَفُوا  
بِصُحْبَتِهِ، وَعَسَى أَنْ نَأْخُذَ الْعِبَرَ مِنْ سِيرَتِهِمْ، وَنَسْتَنْ بِسِتَّتِهِمْ، وَنَقْتَفِي أَثَرَهُمْ،  
وَنَبْرَأَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِمَّنْ تَبَرَّأَ مِنْهُمْ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوَّلًا وَآخِرًا ..  
وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ  
أَجْمَعِينَ ...



(٣٤) هذا جزء من الحديث المخرج في حاشية (١٢)، وهذه الرواية لمسلم وابن حبان (٤١٨٨).

(٣٥) هو نهر في البصرة، كما ذكر ياقوت في معجم البلدان (١٠٨/٥)، وابن منظور في اللسان (٤٢٤/١) في مادة رغب.

(٣٦) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (١٢٧/٦٨).

(٣٧) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٣/٥٠)، وينظر: الإكمال لابن ماكولا (٢٠/٦)، وكشف المشكل لابن الجوزي (٤٢/١).

٣٥٦- توقير السلف للنبي ﷺ (٢)  
من أخبار التابعين والعلماء

١٥/٨/١٤٢٧هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ؛ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِالْإِسْلَامِ، وَبَعَثَ إِلَيْنَا خَيْرَ الْأَنَامِ، وَجَعَلَنَا مِنْ خَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، أَحْمَدُهُ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ؛ فَهَدَى بِهِ مَنْ الضَّلَالَةِ، وَأَرْشَدَ بِهِ مِنَ الْغَوَايَةِ، وَأَبَانَ بِهِ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَاتَّبَاعِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَأَوْصِيكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ ﷻ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ١٨ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٨، ١٩].

أَيُّهَا النَّاسُ: حَقُّ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى أُمَّتِهِ عَظِيمٌ، وَفَضْلُهُ عَلَيْهِمْ كَبِيرٌ؛ فِيهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ أُخْرِجُوا مِنَ الْكُفْرِ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَمِنْ أَسْبَابِ الشَّقَاءِ إِلَى أَسْبَابِ السَّعَادَةِ، وَمِنْ مُوجِبَاتِ النَّارِ إِلَى مُوجِبَاتِ الْجَنَّةِ.

كَانَ ﷺ رَحِيمًا بِأُمَّتِهِ، حَرِيصًا عَلَيْهِمْ، يَعِزُّ عَلَيْهِ مَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]؛ وَلِذَا كَانَ يَتْرُكُ الْعَمَلَ وَهُوَ يُرِيدُهُ خَشْيَةً أَنْ يُفْرَضَ عَلَيْهِمْ فَلَا يُطِيقُونَهُ.

كَانَ ﷺ يَتَأَلَّمُ لِأَلَمِهِمْ، وَيَضْرِبُ عَلَى أَذَاهُمْ، وَيَفْرَحُ بِهَدَايَتِهِمْ، وَيَخْشَى

عَذَابَهُمْ، وَيَدْعُو لَهُمْ؛ كَمَا رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ... رَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي، وَبَكَى، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ -وَرَبُّكَ أَعْلَمُ- فَسَلْهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ فَاتَاهُ جِبْرِيلُ ﷺ فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا قَالَ -وَهُوَ أَعْلَمُ- فَقَالَ اللَّهُ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوؤُكَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَفِي رِوَايَةٍ لِأَبِي دَاوُدَ: أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي صَلَاةِ الْكُسُوفِ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «نَفَخَ فِي آخِرِ سُجُودِهِ فَقَالَ: أَفْ أَفْ، ثُمَّ قَالَ: رَبِّ أَلَمْ تَعَذِّبْنِي أَنْ لَا تُعَذِّبَهُمْ وَأَنَا فِيهِمْ؟! أَلَمْ تَعَذِّبْنِي أَنْ لَا تُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ؟!»<sup>(١)</sup>.

وَلِكُلِّ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، دَعَا رَبَّهُمْ فَاسْتَجَابَ دَعَوَاتِهِمْ، وَأَعْطَاهُمْ مَسَائِلَهُمْ، إِلَّا رَسُولَنَا ﷺ فَإِنَّهُ ادَّخَرَ دَعْوَتَهُ شَفَاعَةً لِأُمَّتِهِ فِي مَوْقِفِ هُمْ أَخْوَجُ مَا يَكُونُونَ لِشَفَاعَتِهِ<sup>(٢)</sup>، فَصَلَّوْا رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمِينَ مَا تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.

إِنَّ نَبِيًّا بَلَغَ حِرْضُهُ عَلَيْنَا، وَرَحْمَتُهُ بِنَا هَذَا الْمَبْلَغَ لَحَرِيٍّ بِنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِهِ وَنُصَدِّقَهُ، وَأَنْ نُعَزِّرَهُ وَنُوقِرَهُ، وَأَنْ نَتَّبِعَهُ وَنُطِيعَهُ، وَأَنْ نُحِبَّهُ أَشَدَّ مِنْ مَحَبَّتِنَا لَأَنْفُسِنَا وَأَبَائِنَا، وَأُمَّهَاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَأَوْلَادِنَا وَأَمْوَالِنَا، فَهُوَ -بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى- هِدَايَتُنَا وَنَجَاتُنَا، وَهُوَ حَيَاتُنَا وَسَعَادَتُنَا، فَمَا بُعِثَ بِهِ كَانَ غَيْثَ قُلُوبِنَا وَحَيَاتِنَا،

(١) أخرجه مسلم في الإيمان، باب دعاء النبي ﷺ لأُمته وبكائه شفقة عليهم (٢٠٢)، والرواية الثانية لأبي داود في الصلاة، باب من قال يركع ركعتين (١١٩٤)، ومن طريقه البيهقي (٢٥٢/٢).

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها، وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعاً لأمتي في الآخرة» أخرجه البخاري في الدعوات، باب لكل نبي دعوة مستجابة (٦٣٠٤)، ومسلم في الإيمان، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأُمته (١٩٨-١٩٩).

وَزَكَاءَ نُفُوسِنَا وَصَفَاءَهَا، وَأَعْظَمَ خَيْرٍ بَلَعْنَا - وَهُوَ الْإِيمَانُ - إِنَّمَا بَلَعْنَا عَنْ طَرِيقِهِ،  
وَأَعْظَمَ شَرٍّ خِفْنَاهُ - وَهُوَ الْكُفْرُ - إِنَّمَا جَانَبْنَاهُ؛ لِأَنَّهُ حَذَرْنَا مِنْهُ، وَمَنْ مَاتَ مِنَّا  
عَلَى الْإِيمَانِ، وَنَالَ الْجَنَّةَ وَالرَّضْوَانَ، فَمَا نَالَ ذَلِكَ إِلَّا بِسَبَبِهِ؛ فَهَلْ تَرَوْنَ لِأَحَدٍ  
حَقًّا عَلَيْكُمْ - بَعْدَ حَقِّ اللَّهِ ﷻ - أَعْظَمَ مِنْ حَقِّ أَبِي الْقَاسِمِ ﷺ، بِأَبَائِنَا هُوَ  
وَأُمَّهَاتِنَا وَأَوْلَادِنَا وَأَمْوَالِنَا.

لَقَدْ عَرَفَ السَّلَفُ الصَّالِحُ فَضْلَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَيْهِمْ فَأَنْزَلُوهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي  
يَسْتَحِقُّهَا، آمَنُوا بِهِ وَأَحَبُّوه، وَصَدَّقُوهُ وَأَطَاعُوهُ، وَوَقَرُّوه وَعَزَّرُوهُ، وَلَمْ يَعْبُدُوهُ  
مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا فَعَلَتِ النَّصَارَى مَعَ ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ. وَأَخْبَارُ الصَّحَابَةِ ﷺ  
فِي ذَلِكَ مُسْتَفِيزَةٌ، وَأَخْبَارُ التَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ فِيهِ كَثِيرَةٌ.

يَبْكِي وَاحِدُهُمْ إِذَا ذُكِرَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَهُ مَحَبَّةٌ لَهُ وَتَوْقِيرًا وَإِجْلَالًا، قَالَ الْإِمَامُ  
مَالِكٌ: عَنْ أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ: «كَانَ إِذَا ذُكِرَ النَّبِيُّ ﷺ بَكَى حَتَّى أَرْحَمَهُ، فَلَمَّا  
رَأَيْتُ مِنْهُ مَا رَأَيْتُ، وَإِجْلَالَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ كَتَبْتُ عَنْهُ» (٣).

وَكَأَنَّ هَذَا الْإِجْلَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ كَانَ سَجِيَّةً عِنْدَ السَّلَفِ الصَّالِحِ؛ لِأَنَّهُمْ قَدْ  
عَرَفُوا قُدْرَهُ وَمَنْزِلَتَهُ، وَعَلِمُوا مَا لَهُ مِنَ الْفَضْلِ عَلَيْهِمْ، كَمَا حَدَّثَ بِذَلِكَ الْإِمَامُ  
مَالِكٌ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ شُيُوخِهِ رَأَى مِنْ حَالِهِمْ مَا رَأَى عِنْدَ  
ذِكْرِ النَّبِيِّ ﷺ، رَوَى مُضْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فَقَالَ: كَانَ مَالِكٌ  
إِذَا ذُكِرَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَغَيَّرُ لَوْنُهُ وَيَنْحَنِي حَتَّى يَضَعُ ذَلِكَ عَلَى جُلْسَائِهِ، فَقِيلَ لَهُ يَوْمًا  
فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُ لَمَا أَنْكَرْتُمْ عَلَيَّ مَا تَرَوْنَ، لَقَدْ كُنْتُ أَرَى  
مُحَمَّدَ بْنَ الْمُنْكَدِرِ - وَكَانَ سَيِّدَ الْقُرَاءِ - لَا نَكَادُ نَسْأَلُهُ عَنْ حَدِيثٍ أَبَدًا إِلَّا يَبْكِي  
حَتَّى نَرْحَمَهُ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَرَى جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ - وَكَانَ كَثِيرَ الدُّعَابَةِ وَالتَّبَسُّمِ - فَإِذَا

ذَكَرَ عِنْدَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَصْفَرَ لَوْنُهُ، وَمَا رَأَيْتُهُ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا عَلَى طَهَارَةٍ . . . وَلَقَدْ كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْقَاسِمِ يَذْكُرُ النَّبِيَّ ﷺ فَيَنْظُرُ إِلَى لَوْنِهِ كَأَنَّهُ نَزَفَ مِنْهُ الدَّمُ، وَقَدْ جَفَّتْ لِسَانُهُ فِي فَمِهِ؛ هَيْبَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَقَدْ كُنْتُ آتِي عَامِرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فَإِذَا ذَكَرَ عِنْدَهُ النَّبِيَّ ﷺ بَكَى حَتَّى لَا يَبْقَى فِي عَيْنَيْهِ دُمُوعٌ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ الزُّهْرِيَّ -وَكَانَ لِمَنْ أَهْنَأَ النَّاسِ وَأَقْرَبَهُمْ- فَإِذَا ذَكَرَ عِنْدَهُ النَّبِيَّ ﷺ فَكَأَنَّهُ مَا عَرَفَكَ وَلَا عَرَفْتَهُ، وَلَقَدْ كُنْتُ آتِي صَفْوَانَ بْنَ سُلَيْمٍ -وَكَانَ مِنَ الْمُتَعَبِّدِينَ الْمُجْتَهِدِينَ- فَإِذَا ذَكَرَ النَّبِيَّ ﷺ بَكَى، فَلَا يَزَالُ يَبْكِي حَتَّى يَقُومَ النَّاسُ وَيَتْرُكُوهُ<sup>(٤)</sup>.

وَهَذَا الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- كَانَ يَبْكِي إِذَا حَدَّثَ بِحَدِيثِ الْجَذَعِ الَّذِي بَكَى لَمَّا فَارَقَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَيَقُولُ: «يَا عِبَادَ اللَّهِ، الْخَشْبَةُ تَجُنُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ شَوْقًا إِلَيْهِ لِمَكَانِهِ مِنَ اللَّهِ، فَأَنْتُمْ أَحَقُّ أَنْ تَشْتَاقُوا إِلَيْهِ»<sup>(٥)</sup>.

وَكَانَ مِنَ الْمُسْتَقِرِّ عِنْدَهُمْ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ-: تَوْقِيرُ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ مَوْتِهِ كَتَوْقِيرِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لَهُ فِي حَيَاتِهِ، فَلَا يَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ فِي مَسْجِدِهِ إِجْلَالًا وَتَوْقِيرًا لَهُ ﷺ؛ وَلِلذَلِكَ لَمَّا رَفَعَ رَجُلَانِ أَصْوَاتَهُمَا فِي مَسْجِدِهِ ﷺ فِي عَهْدِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اسْتَنَكَرَ عُمَرُ ذَلِكَ؛ كَمَا رَوَى السَّائِبُ بْنُ يَزِيدَ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فَقَالَ: «كُنْتُ قَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ، فَحَصَبَنِي رَجُلٌ فَظَنَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ: اذْهَبْ فَأُتِنِي بِهِدَيْنٍ، فَجِئْتُهُ بِهِمَا، قَالَ: مَنْ أَنْتُمَا؟ أَوْ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا؟ قَالَا: مِنْ

(٤) الشفاء للقاضي عياض (٢/٤١-٤٢)، وعنه ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١/٢٢٧)

(٥) أخرجه أبو يعلى (٢٧٥٦)، وأبو القاسم البغوي في مسند ابن الجعد (٣٢١٩)، واللالكائي في السنة (١٤٧٣)، والطبراني في الأوسط (١٤٠٨)، وصححه ابن حبان (٦٥٠٧)، والضياء المقدسي في المختارة (١٨٦١).

أَهْلِ الطَّائِفِ، قَالَ: لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ لَأَوْجَعْتُكُمَا، تَرَفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ!!»<sup>(٦)</sup>.

بَلْ كَانَ بَعْضُ التَّابِعِينَ يَرَى أَنَّ رَفَعَ الصَّوْتِ فِي مَجَالِسِ الْحَدِيثِ كَرَفَعَ الصَّوْتِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ؛ لِأَنَّ الْحَدِيثَ حَدِيثُهُ، قَالَ حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «كُنَّا عِنْدَ أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ فَسَمِعَ لَعَطًا فَقَالَ: مَا هَذَا اللَّعَطُ؟ أَمَا بَلَّغَهُمْ أَنَّ رَفَعَ الصَّوْتِ عِنْدَ الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَرَفَعَ الصَّوْتِ عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ؟!»<sup>(٧)</sup>.

وَكَانَ مِنْ تَوْقِيرِهِمْ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُمْ لَا يُحَدِّثُونَ بِحَدِيثِهِ إِلَّا وَهُمْ عَلَى أَحْسَنِ حَالٍ وَهَيْئَةٍ، وَيُرْبُونَ أَتْبَاعَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ أَبُو سَلَمَةَ الْخَزَاعِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «كَانَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ لِيُحَدِّثَ تَوَضُّأً وَضُوءَهُ لِلصَّلَاةِ، وَلَيْسَ أَحْسَنَ ثِيَابِهِ، وَلَيْسَ فَلَئْسُوهُ، وَمَشَطَ لِحْيَتَهُ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: أَوْقُرُ بِهِ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»<sup>(٨)</sup>.

وَيُحَدِّثُ أَحْمَدُ بْنُ سِنَانٍ عَنْ مَجْلِسٍ وَكَيْعِ بْنِ الْجَرَّاحِ فِي التَّحْدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَقُولُ: «لَا يُتَحَدَّثُ فِي مَجْلِسِهِ، وَلَا يُبْرَى قَلَمٌ، وَلَا يُتَبَسَّمُ، وَلَا يَقُومُ أَحَدٌ قَائِمًا، كَانُوا فِي مَجْلِسِهِ كَأَنَّهُمْ فِي صَلَاةٍ، فَإِنْ أَنْكَرَ مِنْهُمْ شَيْئًا انْتَعَلَ وَدَخَلَ»<sup>(٩)</sup>.

(٦) أخرجه البخاري في المساجد، باب رفع الصوت في المساجد (٤٥٨).

(٧) أخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (٣٣٢).

(٨) أخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (٩٠٢)، وابن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٧٣١)، والرامهرمزي في المحدث الفاصل (٥٨٥).

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢٣٢/١)، والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (٣٢٤)، والسمعاني في أدب الإملاء والاستملاء (ص ١٤٠)، وجاء مثله عن عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله تعالى.

وَكَانَ مُحَمَّدٌ بْنُ سِيرِينَ يَتَحَدَّثُ فِيضْحَكُ، فَإِذَا جَاءَ الْحَدِيثُ خَشِعَ<sup>(١١)</sup>.

وَسُئِلَ ابْنُ الْمُبَارَكِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- عَنْ حَدِيثٍ وَهُوَ يَمْشِي، فَقَالَ: «لَيْسَ  
هَذَا مِنْ تَوْقِيرِ الْعِلْمِ» (١٣).

(١٠) أخرجه الترمذي في العلل الصغير (٧٤٨)، وأبو نعيم في الحلية (٣١٨/٦)، والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (٩٦٨).

(١١) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٢٠٧/٥٣)، والخطيب في الجامع لأخلاق الرواي (٩٨٥).

(١٢) أخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٦٩٣)، والخطيب في الجامع لأخلاق

الراوي (٩٧٣)، ويعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ (٢٥٥/١).

(١٣) أخرجه البيهقي في المدخل (٦٩٦)، والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (٣٩٣).



فَنَازَعَهُ إِيَّاهُ السَّجَّانُ، فَأَمَرَ الْوَائِقُ أَنْ يُدْفَعَ الْقَيْدُ إِلَى الْإِمَامِ فَدْفَعَ إِلَيْهِ، فَسَأَلَهُ الْوَائِقُ عَنْ سَبَبِ أَخْذِهِ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ يَنْوِي بِهِ أَنْ يُخَاصِمَ بِهِ مَنْ ظَلَمُوهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقَالَ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: أَقُولُ: يَا رَبِّ سَلْ عَبْدَكَ هَذَا لِمَ قَيْدَنِي وَرَوَّعَ أَهْلِي وَوَلَدِي وَإِخْوَانِي بِلَا حَقٍّ أَوْجَبَ ذَلِكَ عَلَيَّ؟ وَبَكَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، فَبَكَى الْوَائِقُ وَبَكَى مَنْ فِي الْمَجْلِسِ، ثُمَّ سَأَلَهُ الْوَائِقُ أَنْ يَجْعَلَهُ فِي حِلٍّ وَسَعَةٍ مِمَّا نَالَهُ عَلَى يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ جَعَلْتُكَ فِي حِلٍّ وَسَعَةٍ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ؛ إِكْرَامًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ كُنْتُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِهِ» (١٤).

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ: هَكَذَا كَانَ حَالُ أَسْلَافِكُمْ مِنَ التَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ، وَكِبَارِ الْعُلَمَاءِ الْمَتَّبِعِينَ، وَالْأَيِّمَةِ الْمَهْدِيِّينَ؛ تَوْقِيرًا لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَتَعْظِيمًا لِحَدِيثِهِ، وَأَدَاءً لِحَقُوقِهِ عَلَيْهِمْ، وَأَخْبَارُهُمْ فِي ذَلِكَ تَعَزُّ عَلَى الْحَضَرِ، وَتَسْتَعْصِي عَلَى الْجَمْعِ، مِنْ كَثَرَتِهَا وَتَنَوُّعِهَا، يَجْمَعُهَا مَعْرِفَتُهُمْ قَدَرَ النَّبِيِّ ﷺ، وَإِدْرَاكُهُمْ مِنَّةَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ؛ إِذْ بَعَثَهُ فِيهِمْ ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَبُرُكْيَهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، فَكَانُوا بِتَوْقِيرِهِمُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَتَعْظِيمِ حَدِيثِهِ، وَامْتِثَالِ أَمْرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ مِنَ الْمُفْلِحِينَ الَّذِينَ أَثْنَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

جَعَلَنَا اللَّهُ تَعَالَى وَوَالِدَيْنَا وَأَوْلَادَنَا وَالْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ، وَحَشَرَنَا بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ فِي زَمَرَتِهِمْ، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى لِي وَلَكُمْ ...

## الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ؛ أَمَرَ بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَأَرْشَدَ لِلْخَيْرِ وَالْهُدَى، أَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ وَأَعْطَى، وَأَشْكُرُهُ عَلَى مَا أَهْدَى وَأَسْدَى، وَأَشْهَدُ أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ النَّبِيُّ الْمُجْتَبَى، وَالْعَبْدُ الْمُصْطَفَى، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنِ اقْتَفَى أثرَهُ وَاهْتَدَى.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى وَأَطِيعُوهُ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

أَيُّهَا النَّاسُ: كَانَ مِنْ تَوْقِيرِ السَّلَفِ الصَّالِحِ -رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى- لِلنَّبِيِّ ﷺ: تَعْظِيمُهُمْ لِسُنَّتِهِ، وَالْعِنَايَةُ بِهَا، وَتَقْدِيمُهَا عَلَى أَقْوَالِ الرِّجَالِ وَآرَائِهِمْ مَهْمَا بَلَغَتْ عُلُومُهُمْ، وَعَلَتْ مَنَازِلُهُمْ، وَمَا مِنْ إِمَامٍ مَتَّبِعٍ مِنْ أَصْحَابِ الْمَذَاهِبِ الْمَشْهُورَةِ إِلَّا وَيُعْلِنُ فِي أَتْبَاعِهِ وَتَلَامِيذِهِ أَنَّ سُنَّةَ النَّبِيِّ ﷺ هِيَ مَذْهَبُهُ، وَأَنَّ أَيَّ قَوْلٍ لَهُ يُخَالِفُ السُّنَّةَ فَهُوَ يَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْهُ.

قَالَ الشَّافِعِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «كُلُّ حَدِيثٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَهُوَ قَوْلِي، وَإِنْ لَمْ تَسْمَعُوهُ مِنِّي»<sup>(١٥)</sup>، وَقَالَ أَيْضًا: «إِذَا وَجَدْتُمْ سُنَّةً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خِلَافَ قَوْلِي فَخُذُوا بِالسُّنَّةِ، وَدَعُوا قَوْلِي فَإِنِّي أَقُولُ بِهَا»<sup>(١٦)</sup>.

وَذَكَرَ الشَّافِعِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- حَدِيثًا، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: تَأْخُذُ بِهِ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «أَفِي الْكِنِيسَةِ أَنَا؟! أَوْ تَرَى عَلَى وَسْطِي زُنَارًا؟! نَعَمْ أَقُولُ

(١٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٣٨٩/٥١)، وهو في السير (٣٥/١٠).

(١٦) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٣٨٩/٥١)، والسمعاني في أدب الإماء والاستملاء (١٠٩).

به، وَكُلُّ مَا بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قُلْتُ بِهِ»<sup>(١٧)</sup>.

وَرَوَى الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فَقَالَ: «سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ -وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ مَسْأَلَةٍ- فَقَالَ لَهُ: رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ لَهُ السَّائِلُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ تَقُولُ بِهِ؟ قَالَ الرَّبِيعُ: فَرَأَيْتُ الشَّافِعِيَّ أَرْعَدَ وَانْتَفَضَ، وَقَالَ: يَا هَذَا، أَيُّ أَرْضٍ تُقْلِنِي وَأَيُّ سَمَاءٍ تُظْلِنِي إِذَا رُؤِيتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا فَلَمْ أَقُلْ بِهِ؟! نَعَمْ عَلَى الرَّأْسِ وَالْعَيْنَيْنِ، عَلَى الرَّأْسِ وَالْعَيْنَيْنِ»<sup>(١٨)</sup>.

فَمَا زَنَّةُ هَذَا الْكَلَامِ الْمَتِينِ مِنْ هَذَا الْإِمَامِ الْكَبِيرِ عِنْدَ مَنْ يَرُدُّ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِرَأْيٍ رَأَاهُ، أَوْ هَوَى ابْتِغَاهُ؟!

وَهَلْ وَفَّرَ النَّبِيُّ ﷺ وَعَظَّمَهُ سُنَّتُهُ وَاتَّبَعَ شَرِيعَتَهُ مَنْ غَيَّرَ دِينَ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَوَّلَ النُّصُوصِ الْمُحْكَمَةِ الْوَاضِحَةِ؛ لِيُوَافِقَ بِهَا أَهْوَاءَ الْبَشَرِ وَمُرَادَهُمْ؛ لِحَاجَةٍ يَتَّبِعُهَا، أَوْ مَالٍ يَطْلُبُهُ، أَوْ دُنْيَا يُرِيدُهَا؟ وَمَا أَكْثَرُهُمْ فِي هَذَا الزَّمَنِ! إِذْ أُيسِرَ شَيْءٌ عَلَى الْوَاحِدِ مِنْهُمْ أَنْ يَكْذِبَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَيُبَدِّلَ دِينَ اللَّهِ تَعَالَى؛ اتِّبَاعًا لِهَوَاهُ وَهَوَى مَنْ يَطْلُبُ رِضَاهُمْ مِنَ الْبَشَرِ دُونَ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى.

وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمُبَدِّلُونَ الْمُعَيَّرُونَ الَّذِينَ يُذَادُونَ عَنْ حَوْضِ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ يَرُدُّه الثَّابِتُونَ عَلَى دِينِهِمْ، وَفِيهِمْ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَنَا عَلَى حَوْضِي أَنْتَظِرُ مَنْ يَرُدُّ عَلَيَّ، فَيُؤْخَذُ بِنَاسٍ مِنْ دُونِي فَأَقُولُ: أُمْتِي؟! فَيَقُولُ: لَا تَدْرِي، مَشَوْا عَلَى الْقَهْقَرَى. قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا أَوْ نُفْتَنَ»<sup>(١٩)</sup>. وَفِي رِوَايَةٍ: «فَيَقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا

(١٧) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠٦/٩)، وفي تاريخ أصبهان (٢٢٤)، وابن عساكر (٣٨٧/٥١).

(١٨) أخرجه ابن عساكر (٣٨٩/٥١).

(١٩) أخرجه من حديث أسماء رضي الله عنها: البخاري في الفتن، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ (٦٦٤١).

سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ (٢٠).

وَهَلْ وَقَرَّ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ يَسْخَرُونَ مِنْ سُنَّتِهِ، وَيُطَالِبُونَ بِاطْرَاحِ دِينِهِ، وَيَسْعَوْنَ سَعْيًا حَثِيثًا فِي صَرْفِ النَّاسِ عَنْهُ إِلَى مَنَاهِجِ مَلَاحِدَةِ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ؟ وَمَا أَكْثَرُهُمْ فِي أَهْلِ الصَّحَافَةِ وَالْإِعْلَامِ، الَّذِينَ يَحْتَفُونَ بِالزَّنَادِقَةِ وَالْمُلْحِدِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْمُرْتَدِّينَ أَكْثَرَ مِنْ اخْتِفَائِهِمْ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَيَقْضُونَ بِأَقْوَالِهِمُ الْكُفْرِيَّةَ عَلَى النُّصُوصِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَيَدْعُونَ أَنَّهُمْ يَدْعُونَ إِلَى إِسْلَامِ حَضَارِيٍّ لِيَبْرَأِيَ مُتَسَامِحٍ، وَمَا يَدْعُونَ وَاللَّهِ إِلَّا إِلَى الْإِحَادِ الْغَرْبِ وَكُفْرِهِمْ وَفَسَادِهِمْ وَانْحِلَالِهِمْ!!

وَهَلْ وَقَرَّ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ اسْتَهْزَأَ بِشَيْءٍ مِنْ هَدْيِهِ فِي الْهَيْئَةِ وَاللَّبَاسِ؛ كَتَقْصِيرِ الثِّيَابِ وَإِكْرَامِ اللَّحَى وَإِعْفَائِهَا؟ وَكَثِيرٌ مِمَّنْ يَسْخَرُونَ بِهَذَا الْهَدْيِ النَّبَوِيِّ الْمُبَارَكِ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا يَسْخَرُونَ مِنَ الْأَشْخَاصِ لَا مِنَ الْهَدْيِ النَّبَوِيِّ، ثُمَّ نَرَاهُمْ يَحْتَفُونَ بِمَنْ انْتَكَسَ بَعْدَ الْإِسْتِقَامَةِ، وَزَاغَ بَعْدَ الْهِدَايَةِ، وَنَزَعَ مَظَاهِرَ السُّنَّةِ مِنْ سَمْتِهِ وَهَيْئَتِهِ، وَيُعْظُمُونَهُ وَيُقَدِّمُونَهُ، وَيَخْتَصُّونَهُ بِالرَّعَايَةِ الْإِعْلَامِيَّةِ، وَيَفْتَحُونَ لَهُ الْمَجَالَاتِ الصَّحَفِيَّةَ، وَإِذَا ذَاكَ لَمْ تَكُنْ سُخْرِيَّتُهُمْ بِالْأَشْخَاصِ وَإِنَّمَا كَانَتْ بِسُنَّةِ الْمُصْطَفَى ﷺ.

وَهَلْ وَقَرَّ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ حَادَ عَنْ طَرِيقَتِهِ، وَاسْتَدْرَكَ عَلَيْهِ فِي شَرِيعَتِهِ، وَابْتَدَعَ فِي دِينِهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ، وَتَرَكَ مِنَ السُّنَّةِ بِقَدْرِ بَدْعَتِهِ، كَمَنْ يُحْيُونَ الْمَوَالِدَ، وَيَخْصُونَ بَعْضَ اللَّيَالِي بِفَضْلِ وَعِبَادَاتٍ لَمْ تَرِدْ فِي الْكِتَابِ وَلَا فِي السُّنَّةِ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ مِنَ الْإِحْتِفَاءِ بِلَيْلَةِ النُّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ،

(٢٠) أخرجه البخاري في الفتن، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ (٦٦٤٣)، ومسلم في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفائه (٢٢٩٠).

وَتَخْصِيصِ لَيْلَتِهَا بِالْقِيَامِ، وَيَوْمِهَا بِالصَّيَامِ، مُخَالِفِينَ بِذَلِكَ سُنَّةَ النَّبِيِّ ﷺ،  
مُبْتَدِعِينَ فِي دِينِهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ؟

أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ، وَاسْتَمْسِكُوا بِدِينِكُمْ، وَاعْرِفُوا لِنَبِيِّكُمْ ﷺ حَقَّهُ، وَوَقُرْؤُهُ  
وَعَزْرُؤُهُ، وَعَظُمُوا سُنَّتَهُ، وَاحْفَظُوا لَهُ مَكَانَتَهُ، وَأَنْزِلُوهُ مَنْزِلَتَهُ الَّتِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى  
إِيَّاهَا بِلَا إِفْرَاطٍ وَلَا تَفْرِيطٍ، وَلَا غُلُوفٍ وَلَا تَقْصِيرٍ، وَاقْرَؤُوا سِيرَتَهُ، وَتَزَوَّدُوا مِنْ  
حَدِيثِهِ، وَأَطِيعُوا أَوْامِرَهُ، وَاجْتَنِبُوا زَوَاجِرَهُ؛ فَإِنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ تَعَالَى تُنَالُ بِذَلِكَ ﴿قُلْ  
إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢١) قُلْ  
أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿[آل عمران: ٣١، ٣٢].  
وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى نَبِيِّكُمْ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ رَبُّكُمْ ...





٣٥٧- عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه

١٤٢٥/٤/٩ هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]،  
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً  
وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ  
وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ،  
وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي  
النَّارِ.

أَيُّهَا النَّاسُ: اخْتِيارُ الْعِبَادِ، وَرَفْعُهُمْ إِلَى أَعْلَى الْمَقَامَاتِ، وَتَشْرِيفُهُمْ بِأَشْرَفِ  
الْمُهَيَّمَاتِ؛ هِبَةٌ يَهَبُهَا اللَّهُ تَعَالَى مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ  
وَيَخْتَارُ﴾ [الفصل: ٦٨]، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] وَهَذَا الْاِخْتِيارُ  
يَكُونُ بِمُقْتَضَى عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ سُبْحَانَهُ، وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ.

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اصْطَفَى الْأَنْبِيَاءَ ﷺ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْبَشَرِ؛ لِعِلْمِهِ ﷻ بِصَلَاحِ  
قُلُوبِهِمْ، وَاخْتَارَ لَهُمْ مِنَ الْأَصْحَابِ وَالْأَتْبَاعِ أَكْبَرَ النَّاسِ وَأَتْقَاهُمْ؛ كَمَا قَالَ  
ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ

قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاضْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَءَ نَبِيِّهِ، يَقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ . . . » رَوَاهُ أَحْمَدُ<sup>(١)</sup>.

وَأَعْظَمُ خَيْرٍ فِي الْأُمَّةِ كَانَ زَمَنَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ فِي زَمَنِ أَصْحَابِهِ مِنْ بَعْدِهِ، ثُمَّ فِي زَمَنِ أَتْبَاعِهِمْ بِإِحْسَانٍ، وَيَتَنَاقَصُ الْخَيْرُ بِتَقَادُمِ الزَّمَنِ، وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثٍ وَائِلَةِ اللَّيْثِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزَالُونَ بِخَيْرٍ مَا دَامَ فِيكُمْ مَنْ رَأَى رَأَى وَصَاحِبِي، وَاللَّهُ لَا تَزَالُونَ بِخَيْرٍ مَا دَامَ فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ رَأَى وَصَاحِبَ مَنْ صَاحِبِي»<sup>(٢)</sup>.

وَمِنْ أَعْلَامِ الْإِسْلَامِ، وَكِبَارِ الْأَصْحَابِ، وَسَادَةِ الْأَنَامِ: أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ. تَقَدَّمَ إِسْلَامُهُ حَتَّى كَانَ ثَامِنَ

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٧٩/١)، وفي فضائل الصحابة (٥٤١)، والطيالسي (٢٤٦)، والطبراني في الكبير (١١٢/١٩) برقم (٨٥٨٣)، والبزار كما في كشف الأستار (١٣٠)، وأبو نعيم في الحلية (٣٧٦-٣٧٥/١)، والبغوي في شرح السنة (١٠٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: «رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير، ورجاله موثقون» (١٧٧-١٧٨)، وصححه الشيخ أحمد شاکر في شرحه على المسند (٣٦٠٠).  
وقد جاء مرفوعاً من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه الخطيب في تاريخه (٦٥/٤)، وعنه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢٨٠/١)، ولا يصح مرفوعاً بل هو موضوع، في سنده سليمان بن عمرو بن عبد الله النخعي الكوفي، كذبه أحمد وابن معين وإسحاق بن راهويه وأبو حاتم وابن حبان وغيرهم، ينظر: تاريخ ابن معين (٢٣٢/٢)، والتاريخ الصغير للبخاري (٢٦٦/٢)، والضعفاء للعقيلي (١٣٥-١٣٤/٢)، والجرح والتعديل (١٣٢-١٣٣/٤)، والمجروحين (٣٣٣/١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبه (٤٠٥/٦)، والطبراني في الكبير (٨٥/٢٢) برقم (٢٠٧)، وفي مسند الشاميين (٧٩٩)، وحسنه الحافظ في الفتح (٧/٧).



ثَمَانِيَةَ أَسْلَمُوا أَوْ لَا<sup>(٣)</sup>، وَهَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ مَرَّتَيْنِ<sup>(٤)</sup>، وَهُوَ أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ<sup>(٥)</sup>، كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ الْكَعْبَةِ، فَسَمَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ عَبْدَ الرَّحْمَنِ<sup>(٦)</sup>، شَهِدَ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَثَبَّتَ فِي أَحَدٍ حَتَّى أُصِيبَ عِشْرِينَ إِصَابَةً بَعْضُهَا فِي رِجْلِهِ؛ فَكَانَ ﷺ مِنْ جَرَائِهَا أَعْرَجَ<sup>(٧)</sup>.

كَانَ ﷺ مِثَالًا لِلتَّاجِرِ الْمُسْلِمِ الَّذِي يُحْسِنُ الصَّرَبَ فِي الْأَسْوَاقِ، وَيُجِيدُ إِدَارَةَ الْأَمْوَالِ، هَاجَرَ فَقِيرًا لَا مَالَ لَهُ؛ فَمَا تَرَكَ الْمُشْرِكُونَ فِي مَكَّةَ لِلْمُؤْمِنِينَ شَيْئًا! فَتَنَوْهُمْ فِي دِينِهِمْ، وَصَادَرُوا أَمْوَالَهُمْ، وَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ فِرَارًا مِنَ الْفِتْنَةِ فِي الدِّينِ لَا شَيْءَ مَعَهُمْ.

قَدِمَ ابْنُ عَوْفٍ ﷺ الْمَدِينَةَ وَلَا مَالَ لَهُ، فَأَخَى رَسُولُ ﷺ بَيْنَهُ وَسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ أَحَدِ النُّقَبَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ<sup>(٨)</sup>.

(٣) سير أعلام النبلاء (١/٦٨)، وفي طبقات ابن سعد من طريق الواقدي أنه ﷺ أسلم قبل أن يدخل النبي ﷺ دار أرقم بن أبي الأرقم (٣/٩٢).

(٤) طبقات ابن سعد، ونقله عن الواقدي وابن إسحاق (٢/٩٢).

(٥) جاء ذلك في حديث عبد الرحمن بن عوف ﷺ أن النبي ﷺ قال: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعلي في الجنة، وعثمان في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد ابن عمرو بن نفيل في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة» أخرجه أحمد في المسند (٣/٢٠٩)، وفي الفضائل (٢٧٨)، والترمذي في المناقب، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف ﷺ (٣٧٤٧)، والنسائي في السنن الكبرى (٨١٩٤)، والبخاري في شرح السنة (٣٩٦)، وصححه ابن حبان (٧٠٠٢).

وجاء أيضًا من حديث سعيد بن زيد ﷺ عند الترمذي (٣٧٤٨)، وابن ماجه في المقدمة، باب فضائل العشرة ﷺ (١٣٣)، والنسائي في الكبرى (٨١٩٣)، وأحمد (١/١٨٧).

(٦) الطبقات (٣/٩٢).

(٧) أخرجه عن محمد بن إسحاق: الحاكم (٣/٣٠٨)، والطبراني في الكبير (١/١٢٨) برقم (٦١).

(٨) الطبقات (٣/٩٣)، والسير (١/٩١).

وإِزَاءَ هَذِهِ الْمُوَاخَاةِ الْعَجِيبَةِ فِي مَعْنَاهَا وَحَقِيقَتِهَا، وَتَنْفِيزِ الصَّحَابَةِ لَهَا؛ يَخْضَعُ التَّارِيخُ، وَيَنْفَدُ مِدَادُ الْأَقْلَامِ، فَمَا عَرَفَ التَّارِيخُ قَدِيمًا وَلَا حَدِيثًا مُوَاخَاةَ كُمُوَاخَاةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ.

مُوَاخَاةٌ صَادِقَةٌ لَا كَذِبَ فِيهَا، وَخَالِصَةٌ لَا رِيَاءَ مَعَهَا، وَلَيْسَتْ لِعَرَضٍ دُنْيَوِيٍّ، أَوْ مَصَالِحِ شَخْصِيَّةٍ. أَظْهَرَ فِيهَا الْأَنْصَارُ الْبَذْلَ وَالْإِثَارَ، وَقَابَلَهُمُ إِخْوَانُهُمُ الْمُهَاجِرُونَ بِغِنَى النَّفْسِ وَالِاسْتِعْفَافِ.

وَلَسْتُ أَعْلَمُ فِي تَارِيخِ الْبَشَرِ حَادِثَةٌ نَزَلَ فِيهَا قَوْمٌ عَلَى آخَرِينَ فَعَرَضُوا عَلَيْهِمْ شَطْرَ أَمْوَالِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَدُورِهِمْ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ فِعْلِ الْأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ.

نَعَمْ، قَدْ يُوجَدُ أَفْرَادُ نُبَلَاءَ، وَرِجَالُ كُرَمَاءَ، يَكُونُ الْكُرَمُ سَجِيَّتَهُمْ، وَالْإِثَارُ خُلُقُهُمْ؛ كَمَا كَانَ مِنْ حَاتِمِ طَبِئِيٍّ، وَلَكِنَّهُمْ يَطْلُونُ أَفْرَادًا لَا أُمَّةً.

أَمَّا الْأَنْصَارُ فَهُمْ قَبِيلَتَانِ كَبِيرَتَانِ، اسْتَقْبَلُوا الْمُهَاجِرِينَ خَيْرَ اسْتِقْبَالٍ، وَقَاسَمُوهُمْ الْأَمْوَالَ وَالضِّيَاعَ؛ قُرْبَةً إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَأَدَاءً لِحَقِّ الْمُوَاخَاةِ.

وَمَا حَادِثَةُ ابْنِ الرَّبِيعِ مَعَ ابْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه إِلَّا صُورَةٌ مِنْ صُورِ الْإِثَارِ الْجَمَاعِيِّ، وَمَا عَفَّةُ ابْنِ عَوْفٍ عَنْ مَالِ أَخِيهِ إِلَّا مِثَالٌ عَلَى الْإِسْتِعْفَافِ الْجَمَاعِيِّ.

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: «لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ أَخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ: أَنَا أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالًا، فَأَقْسِمُ لَكَ نِصْفَ مَالِي، وَانْظُرْ أَيَّ زَوْجَتَيَّ هَوَيْتَ نَزَلْتُ لَكَ عَنْهَا، فَإِذَا حَلَّتْ تَزَوُّجَتَهَا، قَالَ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ، هَلْ مِنْ سُوقٍ فِيهِ تِجَارَةٌ؟ قَالَ: سُوقٌ فَيَنْفَعُ، قَالَ: فَغَدَا إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَأَتَى بِأَقِطٍ وَسَمْنٍ، ثُمَّ تَابَعَ الْغَدُوَّ...» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ <sup>(٩)</sup>.

(٩) أخرجه البخاري في البيوع، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَانْتَشَرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠] (١٩٤٣). =

إِثَارَ عَجِيبٍ مِنْ ابْنِ الرَّبِيعِ، وَعِفَّةً أَعْجَبُ مِنْ ابْنِ عَوْفٍ وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى الْمَالِ، فَرَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ سَعْدٍ وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ.

لَازَمَ ابْنُ عَوْفٍ السُّوقَ حَتَّى جَمَعَ الْمَالَ الْوَفِيرَ، وَحَازَ الْعِقَارَ الْكَثِيرَ، وَأَدَارَ تِجَارَةً عَظِيمَةً، قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: «كَانَ مَجْدُودًا فِي التَّجَارَةِ، خَلَّفَ أَلْفَ بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةَ آلَافِ شَاةٍ، وَمِئَةَ فَرَسٍ، وَكَانَ يَزْرَعُ بِالْجُرْفِ عَلَى عِشْرِينَ نَاضِحًا»<sup>(١٠)</sup>. وَلَمَّا بَلَغَ مِنَ التَّجَارَةِ وَجَمَعَ الْمَالَ مَا بَلَغَ؛ مَا قَالَ مَقُولَةَ قَارُونَ: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨]، وَلَا ظَنَّ كَمَا ظَنَّ غَيْرُهُ أَنَّهُ وَرِثَهُ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ؛ بَلْ عَرَفَ أَنَّهُ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَقَرَّ بِحَقِّهِ فِيهِ، فَأَطْعَمَ بِهِ الْمُسْكِينَ، وَبَلَغَ بِهِ ابْنُ السَّيْلِ، وَأَنْفَقَ فِي الْجِهَادِ، وَسَدَّ حَاجَةَ الْمُحْتَاجِ؛ حَتَّى قَالَ الزُّهْرِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «تَصَدَّقَ ابْنُ عَوْفٍ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِشَطْرِ مَالِهِ أَرْبَعَةَ آلَافٍ، ثُمَّ تَصَدَّقَ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَحَمَلَ عَلَى خُمْسِ مِئَةِ فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ حَمَلَ عَلَى خُمْسِ مِئَةِ رَاحِلَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَكَانَ عَامَّةً مَالِهِ مِنَ التَّجَارَةِ»<sup>(١١)</sup>.

عَلِمَ ابْنُ عَوْفٍ مَا لِأَمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْحَقِّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ فَتَعَاهَدَهُنَّ بِمَالِهِ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِنَّ الْعَطَايَا؛ كَمَا رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ

= وجاء من حديث أنس رضي الله عنه عند: الشافعي في مسنده (٢٤٦/١) برقم (١٢١١)، وأحمد (٣/ ١٩٠-٢٠٤-٢٧١)، والبخاري في البيوع (٢٠٤٩)، والترمذي في البر والصلة، باب ما جاء في مواساة الأخ (١٩٣٣)، والنسائي في النكاح، باب الهدية لمن عرس (١٣٧/٦)، وأبي يعلى (٣٧٨١).

(١٠) السير (٩٢/١)، وأخرجه بنحوه ابن سعد في الطبقات (١٣٦/٣)، والحاكم (٣/ ٣٤٩) عن عثمان بن الشريد رحمه الله تعالى، ومعنى مجدودًا، أي: محظوظًا، يكسب ما يحرمه غيره. ينظر: النهاية (٣/ ١٩١)، واللسان (١٢/ ٣٩٣).

(١١) السير (٩٢/١).

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي مِنْ بَعْدِي»، فَأَوْصَى لَهُنَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِحَدِيقَةٍ فُؤِمَتْ بِأَرْبَعِ مِئَةِ أَلْفٍ<sup>(١٢)</sup>.

وَبَاعَ أَرْضًا بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فَقَسَمَهَا فِي فُقَرَاءِ بَنِي زُهْرَةَ، وَفِي الْمُهَاجِرِينَ، وَفِي أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَمَّا أُتِيَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِنَصِيبِهَا مِنْهُ قَالَتْ: «مَنْ أَرْسَلَ بِهَذَا؟ فَقِيلَ لَهَا: عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَتْ: أَمَا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: لَا يَحْنُو عَلَيْكُنَّ بَعْدِي إِلَّا الصَّابِرُونَ، سَقَى اللَّهُ ابْنَ عَوْفٍ مِنْ سُلْسِيلِ الْجَنَّةِ» رَوَاهُ أَحْمَدُ<sup>(١٣)</sup>.

وَرَوَى أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِأَزْوَاجِهِ: «إِنَّ الَّذِي يَحْنُو عَلَيْكُنَّ بَعْدِي لَهُوَ الصَّادِقُ الْبَارُّ، اللَّهُمَّ اسْقِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بَنَ عَوْفٍ مِنْ سُلْسِيلِ الْجَنَّةِ»<sup>(١٤)</sup>.

(١٢) أخرجه الترمذي في المناقب، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: حسن غريب (٣٧٥٠)، وأبو يعلى (٥٩٢٤)، والحاكم وصححه وقال: على شرط مسلم ووافقه الذهبي (٣١١/٣-٣١٢)، واللفظ للحاكم.

(١٣) أخرجه من حديث أم بكر بنت المسور أن عبد الرحمن بن عوف .. أحمد (١٠٣/٦)، وابن سعد في الطبقات (٣٢/٣)، والحاكم وصححه، وقال الذهبي في التلخيص: ليس بمتصل (٣١١/٣).

وأخرجه بنحوه من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أحمد في فضائل الصحابة (١٢٥٨)، والترمذي في المناقب، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: حسن صحيح غريب (٣٧٤٩)، وصححه ابن حبان (٦٩٩٥).

(١٤) أخرجه أحمد (٢٩٩/٦-٢٠٣)، وابن أبي عاصم في السنة (١٤١٣)، وابن سعد في الطبقات (١٣٢/٣)، والطبراني في الكبير (٢٨٨/٢٣) برقم (٦٣٦)، والحاثر بن أبي أسامة كما في زوائده للهيثمي (٩٧٨)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (٣١١/٣). قلت: وفي سنده محمد بن إسحاق يرويه عن عبد الرحمن بن عبد الله بن حصين عن عوف بن الحارث عن أم سلمة به، وابن إسحاق مدلس، وقد عنعن، لكن يشهد له حديث عائشة المذكور قبله.

وَكَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ عِيَالًا عَلَيْهِ؛ ثُلُثٌ يُقْرِضُهُمْ مَالَهُ، وَثُلُثٌ يَقْضِي دَيْنَهُمْ، وَيَصِلُ ثُلُثًا<sup>(١٥)</sup>.

قَالَ جَعْفَرُ بْنُ بُرْقَانَ: «بَلَغَنِي أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ أَعْتَقَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ بَيْتٍ»<sup>(١٦)</sup>.

وَإِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ بِمَالٍ عَظِيمٍ، وَخَيْرٍ وَفِيرٍ؛ فَإِنَّ لَذَّتَهُ تَكْتَمِلُ إِذَا صَاحَبَهَا جَاهٌ وَسُلْطَانٌ، وَكَانَ ذَلِكَ لِابْنِ عَوْفٍ، وَلَكِنَّهُ زَهَدَ فِيهِ؛ إِذْ جَعَلَهُ عُمَرُ رضي الله عنه لَمَّا طُعِنَ مِنَ السَّيِّئَةِ أَهْلِ الشُّوَرَى، فَعَزَلَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ نَفْسَهُ مِنَ الْأَمْرِ، وَاخْتَارَ لِلْأُمَّةِ مَنْ أَشَارَ بِهِ أَهْلُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ، فَتَهَضَّ فِي ذَلِكَ أَتَمَّ نُهُوضٍ عَلَى جَمْعِ الْأُمَّةِ عَلَى عُثْمَانَ رضي الله عنه، وَلَوْ كَانَ مُحَابِيًا فِي الْخِلَافَةِ لَأَخَذَهَا لِنَفْسِهِ، أَوْ لَوَلَاهَا ابْنَ عَمِّهِ وَأَقْرَبَ الْجَمَاعَةِ إِلَيْهِ: سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ<sup>(١٧)</sup>.

وَلَمَّا أَشَارَ عَلَيْهِ سَعْدٌ أَنْ يَدْعُوَ إِلَى نَفْسِهِ -وَهُوَ أَهْلٌ لِلْخِلَافَةِ- قَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: «تَكِلْتُكَ أُمِّكَ، إِنَّهُ لَنْ يَلِيَّ هَذَا الْأَمْرَ أَحَدٌ بَعْدَ عُمَرَ إِلَّا لَامَهُ النَّاسُ»<sup>(١٨)</sup>.

جَاءَتْ بَشَارَةُ ابْنِ عَوْفٍ إِلَيْهِ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِشَهْرٍ؛ إِذْ مَرَضَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ رضي الله عنه، وَغُشِيَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُهُ إِبْرَاهِيمُ: «غُشِيَ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فِي وَجَعِهِ غَشِيَّةٌ، فَظَنُّوا أَنَّهَا قَدْ فَاضَتْ نَفْسُهُ فِيهَا، حَتَّى قَامُوا مِنْ عِنْدِهِ وَجَلَّلُوهُ ثَوْبًا، وَخَرَجَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عُقْبَةَ أُمْرَأَتُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ تَسْتَعِينُ فِيمَا أُمِرَتْ بِهِ مِنَ الصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ، فَلَبِثُوا سَاعَةً وَهُوَ فِي غَشِيَّةٍ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ: اللَّهُ

(١٥) السير (١/٨٨).

(١٦) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/٩٩)، وهو في السير (١/٩٢).

(١٧) السير (١/٨٦).

(١٨) السير (١/٨٧).

أكبر، فَكَبَّرَ أَهْلُ الْبَيْتِ، وَمَنْ يَلِيهِمْ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: غُشِيَ عَلَيَّ آفَاءٌ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: صَدَقْتُمْ، فَقَالَ: إِنَّهُ انْطَلَقَ بِي فِي غَشِيَّتِي رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا فِيهِ شِدَّةٌ وَفِظَاظَةٌ، فَقَالَ: انْطَلِقْ نُحَاكِمُكَ إِلَى الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. فَقَالَ: أَرْجِعْهُ فَإِنَّهُ مِنَ الَّذِينَ كَتَبَ اللَّهُ لَهُمُ السَّعَادَةَ وَالْمَغْفِرَةَ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَأَنَّهُ سَيَتَمَتَّعُ بِهِ بَنُوهُ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ. فَعَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ شَهْرًا رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ<sup>(١٩)</sup>، لَقَدْ أَتَتْهُ بِشَارَتُهُ ﷺ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِشَهْرٍ بِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَسَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِلَا حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ.

وَقَدْ عَبَّطَهُ عَلِيُّ ﷺ؛ فَإِنَّهُ قَالَ يَوْمَ وَفَاةِ ابْنِ عَوْفٍ: «اذْهَبْ يَا ابْنَ عَوْفٍ، فَقَدْ أَدْرَكْتَ صَفْوَهَا، وَسَبَقْتَ رَنْقَهَا»<sup>(٢٠)</sup>. أَي: كَدَّرَهَا.

رَضِيَ اللَّهُ عَنِ ابْنِ عَوْفٍ وَأَرْضَاهُ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَجَمَعَنَا بِهِمْ فِي دَارِ النَّعِيمِ، آمِينَ ..

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿وَالسَّيْفُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ

(١٩) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١١٢/١١) برقم (٢٠٠٦٥)، والحاكم واللفظ له (٢/٢٦٩) و(٣/٣٤٧)، وقال في الموضع الأول: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وسكت عنه في الموضع الثاني.

وأخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده، كما ذكر الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٣٩٧٦)، وقال البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة: رواه إسحاق بن راهويه بسند صحيح (٦٧١٢).

(٢٠) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١٢٥٥-١٢٥٧)، وابن سعد في الطبقات (٣/١٣٥)، وأبو نعيم في الحلية (١/١٠٠)، والطبراني في الكبير (١/١٢٨) برقم (٢٦٢)، والحاكم (٣/٣٠٨).

وقوله «رَنْقَهَا» أي: كدَّرَهَا، فالرَنْق هو الكدر، يقال: ماء رَنْق، أي: كدر، ينظر: اللسان (١٢٧/١٠).

اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا  
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿التوبة: ١٠٠﴾.

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ...



### الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، أَحْمَدُهُ حَمْدًا  
يَلِيْقُ بِجَلَالِ وَجْهِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ، وَأَشْكُرُهُ شُكْرًا يَزِيدُنِي نِعَمَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ  
إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم  
وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنِ اهْتَدَى بِهَدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى وَأَطِيعُوهُ، وَالتَّزَمُوا أَمْرَهُ، وَاجْتَنِبُوا نَهْيَهُ ﴿يَتَأْتِيهَا  
الزَّبَابُ﴾ أَمِنُوا أَنْفُسَكُمْ وَتَنْظُرُوا نَفْسَ مَا قَدَمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا  
تَعْمَلُونَ ﴿الحشر: ١٨﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: كَانَتْ سِيرَةُ ابْنِ عَوْفٍ كَسِيرَةِ إِخْوَانِهِ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ  
ﷺ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فِي الْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ، وَالتَّضَحِّيَةِ لِلدِّينِ وَاللَّهِ تَعَالَى؛ طَلَبًا  
لِمَغْفِرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَرِضْوَانِهِ، وَقَدْ اشتهر ابن عوف رضي الله عنه بِأَنَّهُ كَانَ مِنْ تُجَّارِ الصَّحَابَةِ  
وَأَغْنِيائِهِمْ، كَمَا اشتهر غَيْرُهُ بِأَعْمَالٍ أُخْرَى، وَكَانَ رضي الله عنه يَخَافُ أَشَدَّ الْخَوْفِ مِنْ  
مَالِهِ <sup>(٢١)</sup>، رَغِمَ أَنْ مَالَهُ كَانَ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ حَلَالٍ، بَيِّنٌ أَنَّهُ خَافَ طُولَ الْحِسَابِ؛

(٢١) من أدلة ذلك: ما رواه شقيق بن سلمة -رحمه الله تعالى- فقال: «دخل عبد الرحمن بن  
عوف على أم سلمة فقال: يا أم المؤمنين، إني أخشى أن أكون قد هلك، إني من أكثر  
قريش مالا، بعت أرضا بأربعين ألف دينار، فقالت: أنفق يا بني، فإني سمعت =

فَأَنْفَقَ التَّفَقَاتِ الْكَبِيرَةَ فِي الْجِهَادِ، وَبَذَلَ الْأَمْوَالَ الْعَظِيمَةَ لِذَوِي الْحَاجَاتِ، وَكَفَلَ أَسْرًا كَثِيرَةً، وَلَا زَمَهُ خَوْفُهُ مِنْ مَالِهِ حَتَّى كَانَ يُبْكِيهِ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ.

رَوَى ابْنُهُ إِبْرَاهِيمُ: «أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ أَتَى بِطَعَامٍ وَكَانَ صَائِمًا، فَقَالَ: قُتِلَ مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، كُفِّنَ فِي بُرْدَةٍ إِنْ عُطِيَ رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ، وَإِنْ عُطِيَ رِجْلَاهُ بَدَا رَأْسُهُ، وَأَرَاهُ قَالَ: وَقُتِلَ حَمْرَةُ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، ثُمَّ بَسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بَسِطَ، أَوْ قَالَ: أُعْطِينَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا، وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتِنَا قَدْ عُجِّلَتْ لَنَا، ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ<sup>(٢٢)</sup>.

إِنَّ ابْنَ عَوْفٍ رضي الله عنه مِثَالُ صَالِحٍ، وَأُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِكُلِّ تَاجِرٍ مُسْلِمٍ يَخَافُ تَبِعَةَ الْأَمْوَالِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الْحِسَابَ عَلَيْهَا سَيَكُونُ فِي الْكَسْبِ وَالْإِنْفَاقِ؛ فَلَا يَأْخُذْهَا إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا يُنَمِّي تِجَارَتَهُ إِلَّا بِالْحَلَالِ، مَعَ الْبُعْدِ عَنِ الْمِثْسَابِ، فَضْلًا عَنِ الْحَرَامِ، ثُمَّ إِذَا حَازَ الْأَمْوَالَ الْعَظِيمَةَ أَنْفَقَهَا فِي الْحَقِّ، وَكُلَّمَا تَخَفَّتْ صَاحِبُ الْمَالِ مِنْ مَالِهِ فِي الدُّنْيَا بِالْإِنْفَاقِ فِي وُجُوهِ الْبِرِّ؛ كَانَ ذَلِكَ أَخَفَّ لِحِسَابِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ، وَأَصْحَابِ الْأَمْوَالِ بِوَجْهِ أَخْصَ، يُدْخِلُونَ فِي تِجَارَاتِهِمْ مُعَامَلَاتٍ مُحَرَّمَةً، وَلَا يَتَوَرَّعُونَ عَنْ تَنْمِيَةِ أَمْوَالِهِمْ بِالْمُسْتَبِهِ وَبِمَا هُوَ أَقْرَبُ إِلَى الْحَرَامِ، فِي تَنَافُسٍ مَحْمُومٍ عَلَى زِيَادَةِ الْأَرْبَاحِ دُونَ النَّظَرِ إِلَى الْوَسِيلَةِ. وَإِذَا كَانَ ابْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه قَدْ خَافَ مِنْ مَالِهِ، وَبَكَى لِأَجْلِ ذَلِكَ، وَتِجَارَتُهُ حَلَالٌ؛ فَأَوَّلَى أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ مَنْ كَانَ فِي تِجَارَتِهِ حَرَامٌ أَوْ شُبْهَةٌ! فَيَتُوبَ إِلَى اللَّهِ تعالى مِنْ ذَلِكَ،

= رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن من أصحابي من لا يراني بعد أن أفارقه..» أخرجه أحمد واللفظ له (٣٧/٦)، والبرازر كما في مختصر زوائد للحافظ ابن حجر وصححه (١٨٨٣)، وأبو يعلى (٧٠٠٣).

(٢٢) أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة أحد (٣٨١٩)، وابن حبان (٧٠١٨).



وَيُطَهَّرُ أَمْوَالُهُ مِنَ الْحَرَامِ، وَيَتَوَرَّعُ عَنِ الْمُتَشَابِهِ.

إِنَّ ابْنَ عَوْفٍ رضي الله عنه وَهُوَ يَبْذُلُ الْمَالَ الْوَفِيرَ فِي وُجُوهِ الْحَقِّ كَانَ يُلَاحِظُ أَنَّ هَذَا الْمَالَ مَالُ اللَّهِ تَعَالَى، قَدْ مَنَّ بِهِ عَلَيْهِ، فَهُوَ يُنْفِقُهُ فِي مَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى، خِلَافًا لِكَثِيرٍ مِنَ الْأَثْرِيَاءِ الَّذِينَ يَنْسُبُونَ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَخَبَرَاتِهِمْ وَاسْتِشَارَاتِهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْوَسَائِلِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَيَنْتُجُ عَنْ ذَلِكَ: الشُّحُّ بِالْمَالِ، وَالِاسْتِثْنَاءُ بِهِ، وَغِيَابُ الْبَذْلِ وَالْإِنْفَاقِ؛ لِأَنَّ صَاحِبَهُ يَرَى أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ فِي مَالِهِ!!

وَلَوْ أَنَّ أَثْرِيَاءَ الْمُسْلِمِينَ رَدُّوا بَعْضَ فُضُولِ أَمْوَالِهِمْ عَلَى فَقَرَائِهِمْ، وَأَوْقَفُوا الْأَوْقَافَ لِأَجْلِ ذَلِكَ؛ لَمَا رَأَيْنَا فِي مُجْتَمَعَاتِ الْمُسْلِمِينَ هَذِهِ الطَّبَقِيَّةَ الْمَذْمُومَةَ، الَّتِي تَجْعَلُ أَنَاسًا فِي مَصَافِّ الثَّرَاءِ الْفَاحِشِ، وَآخَرِينَ لَا يَجِدُونَ بُلْغَةً مِنْ عَيْشٍ كَرِيمٍ!!

وَمَا يَنْتُجُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ أَحْقَادٍ وَضَعَائِنَ، وَأَخْلَاقٍ رَدِيئَةٍ؛ كَالسَّرِقَةِ وَالِاخْتِلَاسِ وَالتَّسْوُلِ، لَا يَخْفَى عَلَى كُلِّ ذِي بَصَرٍ وَبَصِيرَةٍ.

إِنَّ ابْنَ عَوْفٍ رضي الله عنه قُدْوَةٌ حَسَنَةٌ لِكُلِّ ذِي جَاهٍ وَمَالٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فِي تَوَاضُعِهِ وَلِينِهِ وَرَأْفَتِهِ بِالْفُقَرَاءِ وَالْمُعْوزِينَ، وَقَدْ نُقِلَ عَنْهُ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ لَا يُعْرِفُ مِنْ بَيْنِ عِبِيدِهِ (٢٣)، فَهُوَ يَأْكُلُ مَعَهُمْ، وَلَا يَتَمَيَّزُ عَلَيْهِمْ.

(٢٣) السير (١/٨٩).

تنبيه: جاءت أحاديث عدة مفادها أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يتأخر في دخول الجنة، أو يدخلها حبوا بسبب تجارته وأمواله الكثيرة، وهذه الأحاديث لا يصح منها شيء، بل هي بين منكر ومنقطع وضعيف، وهي كذلك معارضة للأحاديث الصحيحة التي تثبت فضل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وسابقته في الإسلام، وإنفاقه في الجهاد وغير ذلك. وإنما نهبت على هذه الأحاديث المنكرة والضعيفة؛ لئلا يغتر بها بعض الخطباء فينقلها =

= من كتب الحديث أو الزهد على علاقتها، ولا سيما إذا كان يخطب عن الزهد، أو التحذير من فتنه الدنيا، أو فتنه المال، أو نحو هذه الموضوعات.

ومن تلك الأحاديث المنكرة الواردة في ذلك: حديث أنس رضي الله عنه قال: «بينما عائشة في بيتها إذ سمعت صوتاً في المدينة، فقالت: ما هذا؟ قالوا: غير لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل من كل شيء، قال: فكانت سبع مئة بعير، قال: فارتجت المدينة من الصوت، فقالت عائشة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قد رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً، فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف، فقال: إن استطعت لأدخلنها قائماً، فجعلها بأفتابها وأحمالها في سبيل الله ﷻ» أخرجه أحمد (١١٥/٦)، والبخاري (٢٥٨٦)، والطبراني في الكبير (١٢٩/١) برقم (٢٦٤)، وأبو نعيم في الحلية (٩٨/١).

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٢٨/٩): «رواه أحمد والبخاري بنحوه والطبراني، وفيه عمار بن زاذان ضعفه النسائي والدارقطني، وقد شهد عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بدرأ والحديبية، وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة وصلى خلفه».

قلت: وهو حديث منكر تفرد به عمار بن زاذان الصيدلاني، قال الإمام أحمد: يروي عن أنس أحاديث مناكير.

وفي معناه أحاديث أخرى عن أبي أمامة وحفصة بنت عمر وعبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه، وكلها أحاديث ضعيفة، وفيها المنكر؛ فلا يجوز الاحتجاج بها، كما أفاد ذلك المحققون من العلماء. ينظر: عدة الصابرين لابن القيم (١٢٨-١٣١)، ومسند الإمام أحمد طبعة دار الرسالة، تحقيق الأرنؤوط وآخرين (٥٦٨-٥٦٥/٣٦) برقم (٢٢٢٣٢)، وأيضاً (٣٣٩-٣٣٧/٤١) برقم (٢٤٨٤٢) وزوائد تاريخ بغداد على الكتب الستة تحقيق: الدكتور خلدون الأحدب (٣٧٥-٣٧١/٩) برقم (٢١٠٩).

وقال ابن الجوزي بعد أن أورد حديث أنس السابق ذكره: «وبمثل هذا الحديث الباطل يتعلق جهلة المتزهدين، ويرون أن المال مانع من السبق إلى الخير، ويقولون: إذا كان ابن عوف يدخل الجنة زحفاً لأجل ماله كفى ذلك في ذم المال، والحديث لا يصح، وحوشي عبد الرحمن المشهود له بالجنة أن يمنعه ماله من السبق؛ لأن جمع المال مباح، وإنما المذموم كسبه من غير وجهه، ومنع الحق الواجب فيه، وعبد الرحمن ينزه عن الحاليين، وقد خلف طلحة ثلاث مئة حمل من الذهب وخلف الزبير وغيره، ولو علموا أن ذلك مذموم لأخرجوا الكل، وكم قاص يتشوق بمثل هذا الحديث الباطل يحث على =

= الفقر ويذم الغنى، فله در العلماء الذين يعرفون الصحيح، ويفهمون الأصول» اه من الموضوعات (١/٣٢٧).

وقد تعقب ابن القيم ابن الجوزي في ذلك فقال في عدة الصابرين (٣١) بعد أن أورد كلام ابن الجوزي: «وقد بالغ في رده هذا الحديث، وتجاوز الحد في إدخاله في الأحاديث الموضوعية المختلفة على رسول الله ﷺ، وكأنه استعظم احتباس عبد الرحمن بن عوف وهو أحد السابقين الأولين المشهود لهم عن سبق إليها، ودخول الجنة حبوا، ورأى ذلك مناقضاً لسبقه ومنزلته التي أعدها الله تعالى له في الجنة، وهذا وهم منه رحمه الله تعالى، وهب أنه وجد السبيل إلى الطعن في هذين الخبرين أفيجد سبيلاً إلى القدح في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمس مئة عام» قال الترمذي: حديث صحيح، وفي حديث ابن عمر الذي رواه مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ قال: «إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفاً».

ثم ذكر ابن القيم -رحمه الله تعالى- أحاديث أخرى صحيحة في المعنى، ثم قال: «فهذا الحديث وأمثاله صحيح صريح في سبق فقراء الصحابة إلى الجنة لأغنيائهم وهم في السبق متفاوتون؛ فمنهم من يسبق بخمس مئة عام، ومنهم من يسبق بأربعين عاماً، ولا يقدح ذلك في منزلة المتأخرين في دخول الجنة؛ فإنهم قد يكونون أرفع منزلة ممن سبقهم إلى الدخول، وإن تأخروا بعدهم للحساب؛ فإن الإمام العادل يوقف للحساب ويسبقه من لم يل شيئاً من أمور المسلمين إلى الجنة، فإذا دخل الإمام العادل بعده كانت منزلته أعلى من منزلة الفقير، بل قد يكون أقرب الناس إلى الله منزلة ... إلى أن قال: ولا يلزم من احتباس عبد الرحمن بن عوف لكثرة ماله حتى يحاسبه عليه، ثم يلحق برسول الله ﷺ وأصحابه غضاضة عليه، ولا نقص من مرتبته، ولا يضاد ذلك سبقه وكونه مشهوداً له بالجنة، وأما حديث دخوله الجنة زحفاً فالأمر كما قال فيه الإمام أحمد -رحمه الله تعالى-: إنه كذب منكر، وكما قال النسائي: إنه موضوع، ومقامات عبد الرحمن وجهاده ونفقاته العظيمة وصفاته تقتضي دخوله مع المارين كالبرق أو كالطرف أو كأجاويد الخيل، ولا يدعه يدخلها زحفاً» اه.

وقد ذكر ابن القيم حديث دخول عبد الرحمن بن عوف الجنة حبوا في المنار المنيف، وقال: «قال: شيخنا -يعني ابن تيمية-: لا يصح عن النبي ﷺ» اه (٣٠٦). =

وَالْتَوَاضَعُ خُلُقُ الْمُتَّقِينَ، وَالْكِبَرُ بِالْمَالِ، وَالتَّعَالِي بِالْجَاهِ هُوَ صِفَةُ الضُّعْفَاءِ  
مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ يَسْتَخَفُّهُمْ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، فَيَتَعَالَوْنَ بِهِ عَلَى غَيْرِهِمْ.  
وَالْقَوِيُّ مِنَ النَّاسِ مَنْ مَلَكَ الدُّنْيَا بِيَدِهِ، وَلَمْ تَلْجِ إِلَى قَلْبِهِ؛ فَإِنَّهَا إِنْ دَخَلَتْ  
قَلْبَهُ أَفْسَدَتْهُ، وَأَفْسَدَتْ دِينَهُ وَآخِرَتَهُ.

أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ رَبُّكُمْ، وَخُذُوا مِنْ سَبِيلِ الصَّالِحِينَ، وَأَخْبَارِ الْمُتَّقِينَ عِبْرَةً  
وَعِظَةً، تَقْوِدُكُمْ إِلَى الْإِقْتِدَاءِ وَالتَّاسِّي؛ فَالْخَيْرُ كُلُّ الْخَيْرِ فِيمَا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُ  
هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَنْ يَصْلَحَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا بِمَا صَلَحَ بِهِ أَوَّلُهَا.  
أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ رَبُّكُمْ ...



= وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٤/٤١-٤٢): «وقد ورد من غير ما وجه ومن  
حديث جماعة من الصحابة عن النبي ﷺ أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يدخل الجنة حبواً  
لكثرة ماله، ولا يسلم أجودها من مقال، ولا يبلغ شيء منها بانفراده درجة الحسن، ولقد  
كان ماله بالصفة التي ذكر رسول الله ﷺ: «نعم المال الصالح للرجل الصالح» فأني تنقص  
درجاته في الآخرة أو يقصر به دون غيره من أغنياء هذه الأمة؟ فإنه لم يرد هذا في حق  
غيره، إنما صح سبق فقراء هذه الأمة أغنياءهم على الإطلاق، والله أعلم» اهـ.

٣٥٨ - حكيم بن حزام رضي الله عنه

١٥/٢/١٤٢٤هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]،  
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ. أَيُّهَا النَّاسُ: لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ مِنْ دُنْيَاهُ إِلَّا طَعَامُهُ الَّذِي يَسُدُّ بِهِ جُوعَهُ، وَلِبَاسُهُ الَّذِي يُوَارِي جَسَدَهُ، وَمَرْكُوبُهُ الَّذِي يَحْمِلُهُ، وَدَارُهُ الَّتِي تَكُنُّهُ، وَمَا زَادَ عَنْ ذَلِكَ فَهُوَ يَمْلِكُهُ وَلَا يَتَمَوَّنُهُ، وَيَتَمَتَّعُ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ كَمَا يُنْظَرُ إِلَيْهِ غَيْرُهُ.

وَإِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ لَمْ يَبْقَ لَهُ إِلَّا عَمَلُهُ الَّذِي يُجَازَى بِهِ، وَمَآثِرُهُ الَّتِي يَذْكُرُهُ النَّاسُ بِهَا، فَإِنْ كَانَتْ مَآثِرٌ خَيْرٌ أَثْنَى النَّاسُ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَتْ أَعْمَالٌ سُوءٌ ذَكَرُوهُ بِالشَّرِّ.

وَتَارِيخُ الْمُسْلِمِينَ خَلَّدَ فِي صَفَحَاتِهِ الَّتِي دَوَّنَهَا الْمُؤَرِّخُونَ رِجَالًا أَفْذَادًا كِرَامًا، كَانُوا رُؤُوسَ قَوْمِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا أَسْلَمُوا وَحَسَنَ إِسْلَامُهُمْ كَانُوا

رُؤُوسًا فِي الْإِسْلَامِ، وَسَادَةٌ تُفَاخِرُ بِهِمْ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، وَقَدْ قَالَ رَأْسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ ﷺ لَمَّا سُئِلَ عَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ: «خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَتَهُوا» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه <sup>(١)</sup>.

وَقَدْ كَانَ مِنْ أَفْذَاذِ الْعَرَبِ، وَسَادَةٌ قُرَيْشٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ثُمَّ فِي الْإِسْلَامِ: الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ الْأَسَدِيُّ الْقُرَشِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

عَاشَ أَرْبَعًا وَسَبْعِينَ سَنَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَسِتًّا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً فِي الْإِسْلَامِ <sup>(٢)</sup>. وَكَانَ لَهُ مَوَاقِفُ مَشْهُودَةٍ، وَأَرَءَ مَشْهُورَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَفِي الْإِسْلَامِ.

دَخَلَتْ أُمُّهُ الْكَعْبَةُ وَهِيَ حُبْلَى بِهِ مَعَ نِسْوَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ وَأَعْجَلَتْهَا الْوِلَادَةُ، فَوَضَعَتْ حَكِيمًا فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ، وَلَا يُعْرَفُ أَحَدٌ غَيْرُهُ كَانَتْ وَلَادَتُهُ فِي الْكَعْبَةِ <sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في التفسير، باب قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٍ لِّلْمُتَلَذِّثِينَ﴾ (٤٦٨٩)، ومسلم في الفضائل، باب من فضائل يوسف عليه السلام (٢٣٧٨).

(٢) ذكر ابن كثير في البداية والنهاية (٥٥/٨)، والذهبي في السير (٤٥/٣) أن حكيماً عليه السلام عاش ستين سنة في الجاهلية وستين أخرى في الإسلام، ونقلوه عن البخاري، وهو في التاريخ الكبير للبخاري (١١/٣) حيث قال رحمه الله تعالى في ترجمته: «حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ، أَبُو خَالِدٍ، الْأَسَدِيُّ، هَلَكَ سَنَةَ سِتِّينَ، وَهُوَ ابْنُ عَشْرِينَ وَمِئَةَ سَنَةٍ. الْحِجَازِيُّ، الْقُرَشِيُّ، عَاشَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ سِتِّينَ سَنَةً، وَفِي الْإِسْلَامِ سِتِّينَ سَنَةً. قَالَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ اهـ. وَتَعَقَّبَهُ الذَّهَبِيُّ فَقَالَ: «لَمْ يَعْشُ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا بَضْعًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً». قُلْتُ: إِنْ ثَبِتَ مَا نَقَلَهُ أَهْلُ السَّيْرِ أَنَّ عَمْرَهُ حِينَ مَاتَ مِئَةً وَعَشْرِينَ سَنَةً، فَيَكُونُ قَدْ عَاشَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَرْبَعًا وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَفِي الْإِسْلَامِ سِتًّا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً؛ لِأَنَّهُ وُلِدَ قَبْلَ عَامِ الْفِيلِ بِثَلَاثِ عَشْرَةِ سَنَةٍ، كَمَا ذَكَرَ أَهْلُ السَّيْرِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ وُلِدَ عَامَ الْفِيلِ، وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَعَمْرُهُ ثَلَاثَ وَخَمْسُونَ سَنَةً، فَيَكُونُ عَمْرُ حَكِيمٍ عليه السلام وَقْتُ الْهَجْرَةِ سِتًّا وَسِتِّينَ سَنَةً، وَعَمْرُهُ حِينَ أَسْلَمَ عَامَ الْفَتْحِ سَنَةً ثَمَانٍ: أَرْبَعًا وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَعَاشَ إِلَى سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ، وَهَذِهِ مِئَةٌ وَعَشْرُونَ سَنَةً.

(٣) المنتظم (٢٦٩/٥)، وصفة الصفوة (٣١٢/١)، والبداية والنهاية (٥٥/٨)، وسير أعلام النبلاء (٤٦/٤)، والإصابة (٢٧٨/٢).

وَكَانَ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ صَدِيقًا لَهُ وَلَالِ بَيْنِهِ، وَلَمْ يَتَنَكَّرْ لِلنَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ الْبُعْثَةِ، بَلْ بَقِيَ عَلَى صِلَتِهِ وَصَدَاقَتِهِ لَهُ، لَكِنَّهُ لَمْ يُسْلِمِ اتِّبَاعًا لِكُفَرَاءِ قُرَيْشٍ وَسَادَتِهَا<sup>(٤)</sup>.

وَهُوَ الَّذِي اشْتَرَى زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ رضي الله عنه مِنْ سُوقِ عُكَاظٍ، وَأَهْدَاهُ لِعَمَّتِهِ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رضي الله عنها، فَلَمَّا تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ خَدِيجَةَ رضي الله عنها وَهَبَتْهُ زَيْدًا فَأَعْتَقَهُ<sup>(٥)</sup>.

وَلَمَّا اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ بِسَبَبِ دَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَحَاصَرُوهُمْ فِي الشَّعْبِ، وَمَنَعُوهُمْ الطَّعَامَ، كَانَ حَكِيمٌ رضي الله عنه يُرْسِلُ الطَّعَامَ إِلَيْهِمْ، وَوَقَعَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي جَهْلٍ خُصُومَاتٌ بِسَبَبِ ذَلِكَ، قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «وَأَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمْزَةَ: أَنَّ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ حَصَرُوا بَنِي هَاشِمٍ فِي الشَّعْبِ، وَكَانَ حَكِيمٌ بْنُ حِزَامٍ تَأْتِيهِ الْعِيرُ تَحْمِلُ الْحِنْطَةَ مِنَ الشَّامِ، فَيُقْبَلُ بِهَا إِلَى الشَّعْبِ، ثُمَّ يَضْرِبُ أَعْجَازَهَا فَتَدْخُلُ عَلَيْهِمْ فَيَأْخُذُونَ مَا عَلَيْهَا مِنَ الْحِنْطَةِ»<sup>(٦)</sup>.

وَلَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَأَذِنَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ فِي جِهَادِ الْمُشْرِكِينَ حَصَرَ حَكِيمٌ بَدْرًا وَهُوَ فِي صَفِّ الْمُشْرِكِينَ، وَأَشَارَ عَلَيْهِمْ بِأَنْ لَا يَقَاتِلُوا الْمُسْلِمِينَ، وَأَنْ يَرْجِعُوا إِلَى مَكَّةَ، وَمِنْ حُكْمَتِهِ أَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى كَيْبَرِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهَا الْمُطَاعِ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ فَقَالَ لَهُ: «يَا أَبَا الْوَلِيدِ، إِنَّكَ كَيْبَرُ قُرَيْشٍ وَسَيِّدُهَا الْمُطَاعُ فِيهَا، هَلْ لَكَ إِلَى أَمْرِ لَا تَزَالُ تُذَكِّرُ فِيهِ بِخَيْرٍ إِلَى آخِرِ دَهْرِكَ؟ قَالَ: وَمَا ذَاكَ يَا حَكِيمٌ؟ قَالَ: تَرْجِعُ بِالنَّاسِ»<sup>(٧)</sup>، ففعل، وَلَكِنَّ أَبَا جَهْلٍ غَلَبَهُمْ عَلَى الْبَقَاءِ

(٤) الإصابة (٢/٢٧٨).

(٥) طبقات ابن سعد (٣/٢٩-٣٠)، والمنتظم (٥/٢٧٢).

(٦) المنتظم (٥/٢٧١)، والبداية والنهاية (٨/٥٥).

(٧) سبل الهدى والرشاد (٤/٣٢).

وَالْقِتَالِ، وَكَانَ رَأْيِي حَكِيمٌ أَنَّهُمْ لَنْ يُنْصَرُوا فِي بَدْرِ<sup>(٨)</sup>، وَوَقَعَتِ الْمَعْرَكَةُ، وَهَزِمَ الْمُشْرِكُونَ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأُنْجَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ حَكِيمًا مِنَ الْقَتْلِ.

وَزَلَّ عَلَى شِرْكِهِ إِلَى فَتْحِ مَكَّةَ، وَمَا مَنَعَهُ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا اتِّبَاعُهُ لِكُبْرَاءِ قُرَيْشٍ، وَكَانَ يَصِلُ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى وَهُوَ عَلَى شِرْكِهِ، وَيُهْدِي إِلَيْهِ الْهَدْيَةَ، يَقُولُ ﷺ: «كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ أَحَبَّ رَجُلٍ فِي النَّاسِ إِلَيَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا تَنَبَّأَ وَخَرَجَ إِلَى الْمَدِينَةِ شَهِدَ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ الْمَوْسِمَ وَهُوَ كَافِرٌ، فَوَجَدَ حُلَّةً لِدِي يَزَنُ تُبَاعُ، فَاشْتَرَاهَا بِخَمْسِينَ دِينَارًا لِيُهْدِيَهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَدِمَ بِهَا عَلَيْهِ الْمَدِينَةَ، فَأَرَادَهُ عَلَى قَبْضِهَا هَدِيَّةً فَأَبَى، قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُغِيرَةِ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّا لَا نَقْبَلُ شَيْئًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَلَكِنْ إِنْ شِئْتَ أَخَذْنَاهَا بِالثَّمَنِ»، فَأَعْطَيْتُهُ حِينَ أَبِي عَلَى الْهَدِيَّةِ.

رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَفِي رِوَايَةٍ لِلطَّبْرَانِيِّ وَالْحَاكِمِ: «فَلَبِسَهَا النَّبِيُّ ﷺ، فَرَأَيْتُهُ عَلَى الْمَنْبَرِ، فَلَمْ أَرِ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْهُ يَوْمَئِذٍ، ثُمَّ أَعْطَاهَا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، فَرَأَاهَا حَكِيمٌ عَلَى أُسَامَةَ، فَقَالَ: يَا أُسَامَةُ أَنْتَ تَلْبَسُ حُلَّةَ ذِي يَزَنَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَاللَّهِ لَأَنَا خَيْرٌ مِنْ ذِي يَزَنَ، وَلَأَبِي خَيْرٌ مِنْ أَبِيهِ، قَالَ حَكِيمٌ: فَانْطَلَقْتُ إِلَى مَكَّةَ أَعْجَبُهُمْ يَقُولُ أُسَامَةُ»<sup>(٩)</sup>.

(٨) جاء في بعض السير من رواية محمد بن عمر الأسلمي والبلاذري: «أن قريشًا لما نزلت ببدر بعث رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب ﷺ إليهم، يقول لهم: ارجعوا؛ فإنه إن يلي هذا الأمر مني غيركم أحب إلي من أن تلوه مني، وأن أليه من غيركم أحب إلي من أن أليه منكم. فقال حكيم بن حزام: قد عرض نصحا فاقبلوه، فوالله لا تتصرون عليه بعد ما عرض من النصح، فقال أبو جهل: والله لا نرجع بعد أن مكنتنا الله منهم» ينظر: سبل الهدى والرشاد (٣٣/٤)، والسيرة الحلبية (٣٩٩/٢).

قلت: إرسال النبي ﷺ لعمر بن الخطاب ﷺ لمفاوضة المشركين في بدر غير مشهور، ولست أعلم أنه في كتب السيرة المعروفة، ومثل هذه السفارة لو وقعت فحقها أن تشتهر وتُعرف كما عُرف ما هو أقل منها، والله أعلم.

(٩) أخرجه أحمد (٤٠٢/٣-٤٠٣)، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٥٩٢)، =



شَهِدَ حَكِيمٌ بَدْرًا وَأَحَدًا مَعَ الْمُشْرِكِينَ، وَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ خَيْرًا إِذْ نَجَّاهُ مِنَ الْقَتْلِ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، وَلَزِمَ بَيْتَهُ، وَلَمْ يَخْرُجْ مَعَ الْمُشْرِكِينَ فِي مَعَارِيزِهِمْ حَتَّى أَسْلَمَ عَامَ الْفَتْحِ وَحَسَنَ إِسْلَامُهُ، وَكَانَ يَبْكِي عَلَى تَأْخُرِ إِسْلَامِهِ، فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ: مَا يُبْكِيكَ يَا أَبَتِي؟ قَالَ: خِصَالُ كُلِّهَا أَبْكَانِي، أَمَّا أَوَّلُهَا: فَبُطْءُ إِسْلَامِي حَتَّى سُبِقْتُ فِي مَوَاطِنَ كُلِّهَا صَالِحَةً، وَنَجَوْتُ يَوْمَ بَدْرٍ وَيَوْمَ أُحُدٍ، فَقُلْتُ: لَا أَخْرُجُ مِنْ مَكَّةَ، وَلَا أَوْضِعُ مَعَ قُرَيْشٍ مَا بَقِيْتُ، فَأَقَمْتُ بِمَكَّةَ، وَيَأْبَى اللَّهُ أَنْ يَشْرَحَ قَلْبِي لِلْإِسْلَامِ، وَذَلِكَ أَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَقَايَا مِنْ قُرَيْشٍ لَهُمْ أَسْنَانٌ مُسْتَمْسِكِينَ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَقْتَدِي بِهِمْ، وَيَا لَيْتَ أَنِّي لَمْ أَقْتَدِ بِهِمْ، فَمَا أَهْلَكْنَا إِلَّا أَقْتَدَاؤَنَا بِأَبَائِنَا وَكُبَرَائِنَا...» (١٠).

فَلَمَّا أَسْلَمَ يَوْمَ الْفَتْحِ فَرِحَ النَّبِيُّ ﷺ بِإِسْلَامِهِ، وَأَعْطَاهُ مَعَ مَنْ أَعْطَى مِنْ مُسْلِمَةٍ الْفَتْحِ مِنْ غَنَائِمٍ حُثَيْنٍ تَأْلِيفًا لِقُلُوبِهِمْ، وَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَاهُ، فَأَعْطَاهُ ﷺ حَتَّى رَضِيَ، ثُمَّ نَصَحَهُ بِالِاسْتِعْفَافِ، يَقُولُ حَكِيمٌ ﷺ: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلُوءَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةٍ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافٍ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى»، قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أَفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ يَدْعُو حَكِيمًا إِلَى الْعَطَاءِ فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ ﷺ دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا، فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي أَشْهَدُكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ

= والطبراني في الكبير (١٩٣/٣) برقم (٣٠٩٤)، وأيضًا (٢٠٢/٣) برقم (٣١٢٥)،

والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (٣/٤٨٤-٤٨٥)، وذكره الهيثمي في الزوائد، وقال:

«رواه أحمد والطبراني في الكبير، وإسنادهما جيّد، رجاله ثقات» (٤/١٥١).

(١٠) المنتظم (٥/٢٦٩-٢٧٠).

عَلَى حَكِيمٍ أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ هَذَا الْفَيءِ فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ، فَلَمْ يَرْزَأُ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى تُوفِّيَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَفِي رَوَايَةٍ لِعَبْدِ الرَّزَّاقِ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: «فَمَاتَ حَكِيمٌ حِينَ مَاتَ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَكْثَرِ قُرَيْشٍ مَا لَا» (١١).

لَقَدْ كَانَ حَكِيمٌ بَنُ حِرَامٍ ﷺ سَيِّدًا مُطَاعًا، كَرِيمًا جَوَادًا، لَهُ مَآثِرٌ فِي جَاهِلِيَّتِهِ وَإِسْلَامِهِ، وَكَانَ يَشْتَرِي الظَّهْرَ وَالْأَدَاةَ وَالزَّادَ ثُمَّ لَا يَجِئُهُ أَحَدٌ يَسْتَحْمِلُهُ فِي السَّبِيلِ إِلَّا حَمَلَهُ (١٢)، وَقَدْ جَاءَ عَنْهُ أَنَّهُ أَعْتَقَ مِئَةَ رَقَبَةٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَعْتَقَ مِثْلَهَا فِي الْإِسْلَامِ، وَحَمَلَ عَلَى مِئَةِ بَعِيرٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَحَمَلَ عَلَى مِثْلَهَا فِي الْإِسْلَامِ (١٣)، وَقَالَ: «فَوَاللَّهِ لَا أَدْعُ شَيْئًا صَنَعْتُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا صَنَعْتُ مِثْلَهُ فِي الْإِسْلَامِ» (١٤)، وَقَدْ سَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَعْمَالِ الْبَرِّ الَّتِي كَانَ يَعْمَلُهَا فِي جَاهِلِيَّتِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ أُمُورًا كُنْتُ أَتَحَنَّنُ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، مِنْ صَلَاةٍ وَعَتَاقَةٍ وَصَدَقَةٍ، هَلْ لِي فِيهَا أَجْرٌ؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَسْلَمْتَ عَلَى مَا سَلَفَ لَكَ مِنْ خَيْرٍ» أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ (١٥).

(١١) أخرجه البخاري في الزكاة، باب الاستغفار عن المسألة (١٤٧٢)، والنسائي في الزكاة، باب مسألة الرجل في أمر لا بد منه (١٠١/٥-١٠٢)، والترمذي في الزهد، باب رقم (٢٩) (٢٤٦٣)، وأحمد (٤٠٣/٣). والرواية الثانية لعبد الرزاق في مصنفه (١٠٢/١١) برقم: (٢٠٠٤١)، والطبراني في الكبير (١٨٨/٣) برقم: (٣٠٧٨) وعزاه الحافظ في الفتح لإسحاق بن راهويه (٣/٣٩٥).

(١٢) المنتظم (٥/٢٧٢).

(١٣) صفة الصفوة (١/٣١٣)، والمنتظم (٥/٢٧١)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٤/١٩٩)، والسير (٣/٤٩).

(١٤) سير أعلام النبلاء (٣/٤٩).

(١٥) أخرجه البخاري في الزكاة، باب مَنْ تَصَدَّقَ فِي الشُّرْكِ ثُمَّ أَسْلَمَ (١٤٣٦)، ومسلم في الإيمان، باب بيان حكم عمل الكافر إذا أسلم بعده (١٢٣).

وَكَانَتْ دَارُ النَّدْوَةِ الَّتِي يَجْتَمِعُ فِيهَا حُكَمَاءُ قُرَيْشٍ لِلرَّأْيِ وَالْمَشُورَةِ بِيَدِهِ،  
فَاشْتَرَاهَا مِنْهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنه بِمِئَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَلَامَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ  
الزُّبَيْرِ رضي الله عنه، وَقَالَ لَهُ: «بِعْتَ مَكْرُمَةَ قُرَيْشٍ؟!» فَقَالَ حَكِيمٌ رضي الله عنه: «ابْنَ أَخِي،  
ذَهَبَتِ الْمَكَارِمُ؛ فَلَا كَرَمَ إِلَّا التَّقْوَى، يَا ابْنَ أَخِي، إِنِّي اشْتَرَيْتُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ  
بِزِقٍّ مِنْ خَمْرِ، وَلَا أَشْتَرِينَ بِهَا دَارًا فِي الْجَنَّةِ، أَشْهَدُكَ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُهَا فِي سَبِيلِ  
اللَّهِ تَعَالَى» (١٦)، فَتَصَدَّقَ بِشِمْنِهَا كُلِّهِ.

حَجَّ حَكِيمٌ رضي الله عنه، فَأَوْقَفَ مَعَهُ بِعَرَفَةَ مِئَةَ عَبْدٍ فِي أَعْنَاقِهِمْ أَطَوَّقُهُمْ، فَأَعْتَقَهُمْ  
لِلَّهِ تعالى فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ، فَضَجَّ النَّاسُ بِالْبُكَاءِ وَالِدُّعَاءِ يَقُولُونَ: «رَبَّنَا هَذَا  
عَبْدُكَ قَدْ أَعْتَقَ عَبِيدَهُ، وَنَحْنُ عَبِيدُكَ فَأَعْتِقْنَا» (١٧).

وَأَهْدَى يَوْمَ النَّحْرِ مِئَةَ بَدَنَةٍ مُجَلَّلَةٍ، وَمِئَةَ بَقَرَةٍ، وَأَلْفَ شَاةٍ؛ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى (١٨).  
وَكَانَ يَشْفَعُ لِلنَّاسِ، وَيُعِينُهُمْ عَلَى نَوَائِبِهِمْ، وَيَقْضِي حَوَائِجَهُمْ، وَيَفْرَحُ بِخِدْمَةِ  
أَصْحَابِ الْحَاجَاتِ، وَيَقُولُ: «مَا أَصْبَحْتُ وَلَيْسَ بِبَابِي صَاحِبُ حَاجَةٍ إِلَّا عَلِمْتُ  
أَنَّهَا مِنَ الْمَصَائِبِ الَّتِي أَسْأَلُ اللَّهَ الْأَجْرَ عَلَيْهَا» (١٩).

وَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَدْ كُنْتُ أَخْشَاكَ، وَأَنَا الْيَوْمَ  
أَرْجُوكَ» (٢٠).

(١٦) أخرجه الطبراني في الكبير (٣/١٨٦) برقم (٣٠٧٢)، وحسنه الهيثمي في الزوائد (٩/٣٨٤)،  
وينظر: المنتظم (٥/٢٧١)، والبداية والنهاية (٨/٥٦).

(١٧) جمهرة نسب قريش (١/٣٥٦)، وتهذيب تاريخ ابن عساكر (٤/٤٤٢)، والمنتظم  
(٥/٢٧١)، والسير (٣/٥٠)، ولطائف المعارف لابن رجب (٤٩٤).

(١٨) السير (٣/٥٠)، والبداية والنهاية (٨/٥٦).

(١٩) تهذيب تاريخ ابن عساكر (٤/٤٢٤)، والسير (٣/٥١).

(٢٠) جمهرة نسب قريش (١/٣٧٧)، وتاريخ الإسلام (٤/١٩٩)، والسير (٣/٥١)، وتهذيب  
الكمال (٧/١٩٧).

تُوْفِيَ ﷺ فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ مِنَ  
الْهِجْرَةِ، وَعُمُرُهُ مِئَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً (٢١).

اللَّهُمَّ ارْضَ عَنْهُ وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَالْحَقْنَا بِهِمْ فِي دَارِ النِّعَمِ، إِنَّكَ  
سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

وَأَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.



### الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ يَلِيقُ بِجَلَالِ رَبَّنَا وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ،  
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ،  
صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهَدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ  
الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ -عِبَادَ اللَّهِ- وَأَطِيعُوهُ، وَاحْذَرُوا نَفْسَهُ فَلَا تَعْصُوهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ: فِي سِيرَةِ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الدُّرُوسِ وَالْعِبَرِ شَيْءٌ كَثِيرٌ،  
فَالْهَدَايَةُ إِلَى الدِّينِ الْحَقِّ هِبَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى يَهْبُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، فَالْعَبِيدُ  
وَالْإِمَاءُ مِنْ بِلَالٍ وَخَبَّابٍ وَسُمَيَّةَ وَيَاسِرٍ وَعَمَّارٍ سَبَقُوا إِلَى الْإِسْلَامِ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ  
الشَّرَفِ وَالسِّيَادَةِ فِي قَبَائِلِهِمْ، بَلْ إِنَّ كَثِيرًا مِنْ قَادَةِ قُرَيْشٍ وَكُبَرَائِهَا مِمَّنْ كَانُوا  
رُؤُوسًا فِي قَوْمِهِمْ وَفِي الْعَرَبِ مَاتُوا عَلَى الشَّرِكِ، وَمَصِيرُهُمْ إِلَى النَّارِ عِيَادًا بِاللَّهِ  
تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ.

(٢١) المتنظم (٥/٢٧٣)، وصفة الصفوة (١/٣١٣)، والبداية والنهاية (٨/٥٦)، وتاريخ  
الإسلام (٤/١٩٩)، والسير (٣/٥١).

فَنَحْمَدُ اللَّهَ تَعَالَى الَّذِي هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ دِينَ الْحَقِّ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ، وَلَمْ يَرْتَضِ غَيْرَهُ، وَعَلَيْنَا أَنْ لَا نَعْتَزَّ بِكِبَرَةِ الْمُعْرِضِينَ عَنْهُ، أَوْ النَّاقِمِينَ عَلَيْهِ مِمَّنْ هُمْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً، وَأَكْثَرُ عَدَدًا، وَلَدِينِهِمْ مِنْ عُلُومِ الدُّنْيَا وَبَهْجَتِهَا مَا لَيْسَ لَدَيْنَا، فَصَنَادِيدُ قُرَيْشِ الَّذِينَ مَاتُوا عَلَى الْكُفْرِ كَانُوا فِي وَقْتِهِمْ أَشَدَّ قُوَّةً، وَأَعْظَمَ سِيَادَةً، وَلَدِينِهِمْ مِنَ الْخُبْرَةِ وَالْمَعْرِفَةِ مَا لَيْسَ لَدَى غَيْرِهِمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِحِكْمَتِهِ صَرَفَهُمْ عَنِ الْهِدَايَةِ.

لَقَدْ دَلَّتْ سِيرَةُ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رضي الله عنه عَلَى أَنَّ الْعَقْلَ الرَّاجِحَ، وَالرَّأْيَ الصَّائِبَ؛ لَا يَكْفِي لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ إِذَا لَمْ يُحَالِفْ صَاحِبَهُ تَوْفِيقُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَمَا كَانَ فِي قُرَيْشٍ أَشَدَّ رَأْيًا، وَلَا أَرْجَحَ عَقْلًا، وَلَا أَبْلَغَ حِكْمَةً مِنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، حَتَّى إِنَّهُ لِرَجَاحَةِ عَقْلِهِ، وَسَدَادِ رَأْيِهِ؛ أُدْخِلَ دَارَ النَّدْوَةِ وَهُوَ ابْنُ خَمْسِ عَشْرَةَ سَنَةً، وَكَانَ قَانُونُهُمْ يَمْنَعُ مَنْ كَانَ دُونَ الْأَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ دُخُولِهَا <sup>(٢٢)</sup>، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ عَقْلَ حَكِيمِ الرَّاجِحِ وَرَأْيَهُ الصَّائِبَ؛ لَمْ يَنْفَعَهُ قَبْلَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِدَايَتِهِ فِي فَتْحِ مَكَّةَ، وَكَادَ أَنْ يُقْتَلَ عَلَى الشُّرْكِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ؛ إِذْ تَحَبَّطَهُ أَشَدُّ الْإِسْلَامِ حَمْرُهُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه، وَكَادَ أَنْ يَفْتِكَ بِهِ لَوْلَا أَنَّ قَوْمَهُ سَحَبُوهُ أَرْضًا مِنْ بَيْنِ يَدَيْ حَمْرَةَ رضي الله عنه، وَلَمْ يَنْسَ حَكِيمٌ هَذَا الْمَوْقِفَ أَبَدًا، وَكَانَ يَنْكِي إِذَا تَذَكَّرَهُ، وَيَحْمَدُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى نِعْمَتِهِ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ إِذَا اجْتَهَدَ فِي يَمِينِهِ يَقُولُ: «وَالَّذِي نَجَّانِي يَوْمَ بَدْرٍ» <sup>(٢٣)</sup>؛ لِأَنَّهُ أَوْشَكَ عَلَى الْهَلَاكِ، لَوْلَا أَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى تَذَارَكْتُهُ؛ فَسَحَبَهُ قَوْمُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَلَ عَلَى الشُّرْكِ، ثُمَّ مَنَّ اللَّهُ ﷻ عَلَيْهِ بِالْإِسْلَامِ عَامَ الْفَتْحِ.

(٢٢) جمهرة نسب قريش (١/٣٧٦)، والمنتظم (٥/٢٦٩)، والسير (٣/٤٩-٥٠).

(٢٣) البداية والنهاية (٨/٥٥-٥٦)، والإصابة (٢/٢٧٨).

وَالسَّبَبُ الَّذِي مَنَعَ حَكِيمًا مِّنَ التَّقَدُّمِ فِي الْإِسْلَامِ حَتَّى سَبَقَهُ الْعَبِيدُ وَالْإِمَاءُ هُوَ اتِّبَاعُهُ لِلْكُبَرَاءِ وَالسَّادَةِ الَّذِينَ ضَلُّوا عَنِ الطَّرِيقِ، وَتَقْلِيدُهُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَلَمْ يَنْفَعُهُ شَيْئًا عَقْلُهُ الرَّاجِحُ، وَلَا رَأْيُهُ الصَّائِبُ؛ لِأَنَّهُ عَطَلَ عَقْلَهُ بِتَقْلِيدِهِمْ، حَتَّى قَالَ ﷺ: «مَا أَهْلَكَنَا إِلَّا افْتِدَاؤُنَا بِأَبَائِنَا وَكُبَرَائِنَا».

إِنَّ التَّقْلِيدَ الْأَعْمَى لِقَادَةِ الضَّلَالِ سَبَبٌ يُرْدِي مَن قَلَّدَهُمْ فِي ضَلَالِهِمْ، فَلَا يَرَى إِلَّا بِأَعْيُنِهِمْ، وَلَا يَسْمَعُ إِلَّا بِأَذَانِهِمْ، وَلَا يَعْقِلُ إِلَّا بِعُقُولِهِمْ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُتَبَدِّعَةِ وَالضَّلَالِ إِنَّمَا أَصْرُوا عَلَى بَدْعِهِمْ وَضَلَالِهِمْ بِسَبَبِ تَقْلِيدِهِمْ الْأَعْمَى لِشُيُوخِهِمْ وَأَيْمَتِهِمْ، مَعَ أَنَّهُمْ يُمَارِسُونَ فِي بَدْعِهِمْ شَعَائِرَ لَا تَقْبَلُهَا الْعُقُولُ، وَتَأْبَاهَا الْفِطْرُ، وَيَحْجَلُ بَعْضُ مَن يُمَارِسُهَا، وَرُبَّمَا أَخْفَوَهَا عَنِ النَّاسِ؛ حَيَاءً مِنْهُمْ، وَخَوْفًا مِّنَ التَّغْيِيرِ وَالتَّشْهِيرِ، وَمَعَ ذَلِكَ يُصِرُّونَ عَلَيْهَا وَلَوْ ظَهَرَ لَهُمْ أَنَّهَا إِثْمٌ وَضَلَالٌ، وَمَا إِضْرَارُهُمْ عَلَيْهَا إِلَّا تَقْلِيدًا لِمَشَايِخِهِمْ فِي ضَلَالِهِمْ.

وَحَكِيمٌ بُنْ حِزَامٍ ﷺ نَدِمَ عَلَى تَأَخُّرِهِ فِي الْإِسْلَامِ، وَحَاوَلَ التَّكْفِيرَ عَنْ ذَلِكَ بِأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ أَدَّاهَا، وَأَلْزَمَ نَفْسَهُ بِأَن يَعْمَلَ حَالَ إِسْلَامِهِ مَا عَمِلَ فِي جَاهِلِيَّتِهِ مِنْ عِتْقٍ وَصَدَقَةٍ وَصِلَةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَّكَارِمِ الْأَخْلَاقِ؛ فَالْإِسْلَامُ قَدْ زَادَهُ كَرَمًا إِلَى كَرَمِهِ، وَأَخْلَاقًا إِلَى أَخْلَاقِهِ، وَلَمَّا أَرَشَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْاسْتِغْفَافِ تَرَكَ حَقَّهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ طِيلَةً سَنَوَاتِ الْخِلَافَةِ الرَّاشِدَةِ، وَزَمَنًا مِنْ خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ ﷺ، وَإِنَّهُ لَعَجِيبٌ أَنْ يَغْلِبَ نَفْسُهُ عَلَى تَرْكِ حَقِّ لَهَا لِمَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَيَدُومَ عَلَى ذَلِكَ سِتًّا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً<sup>(٢٤)</sup>، لَوْلَا تَوْفِيقُ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ، ثُمَّ قُوَّةُ عَزِيمَتِهِ.

إِنَّهَا سِيرَةٌ مِنْ أَعْجَبِ السَّيَرِ، وَفِيهَا دُرُوسٌ مِنْ أَحْسَنِ الدُّرُوسِ، رَضِيَ اللَّهُ

(٢٤) وذلك أن حكيماً ﷺ وعد النبي ﷺ لما أعطاه من غنائم حنين، وزاده بعد ما ألح في مسأله، وغزوة حنين كانت سنة ثمان من الهجرة، إلى أن توفي ﷺ سنة أربع وخمسين من الهجرة.

تَعَالَى عَنْ صَاحِبِهَا وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَإِنَّا نَشْهَدُ اللَّهَ تَعَالَى الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ عَلَى مَحَبَّتِهِمْ، وَعَلَى بُغْضِ مَنْ يُبْغِضُهُمْ، وَالْبَرَاءَةِ مِمَّنْ يَتَّبِرُ مِنْهُمْ كَائِنًا مَنْ كَانَ.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].  
 أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ.







## ٣٥٩- مقتل الشيخ أحمد ياسين

١٤٢٥/٢/٥ هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]،  
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَيُّهَا النَّاسُ: مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ ﷻ لَمَّا خَلَقَ الْعِبَادَ مُفَاضِلَتُهُ بَيْنَهُمْ، وَاصْطَفَاؤُهُ لِمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ؛ فَجَعَلَ فِيهِمُ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَالْعُلَمَاءَ وَالْمُصْلِحِينَ، وَالْقَادَةَ وَالْمُجَاهِدِينَ، وَجَعَلَ فِيهِمْ طُلَابَ الدُّنْيَا وَطُلَابَ الْآخِرَةِ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ [آل عمران: ٣٣-٣٤].

وَأَدَمُ ﷺ لَمَّا أَرَاهُ اللَّهُ تَعَالَى نَسَمَاتِ ذُرِّيَّتِهِ «فَرَأَى فِيهِمُ الْقَوِيَّ وَالضَّعِيفَ،

وَالْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ وَالْمُبْتَلَى، قَالَ: يَا رَبِّ، أَلَا سَوَّيْتَ بَيْنَهُمْ، قَالَ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْكُرَ رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى <sup>(١)</sup>.

وَأَفْدَارُ الرِّجَالِ تُعْرِفُ بِسِيرِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ، وَتُوزَنُ حَيَاتُهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ وَمُنْجَزَاتِهِمْ، وَكَمْ مِنْ شَرِيفٍ فِي قَوْمِهِ، عَظِيمٍ فِي سُلْطَانِهِ، غَنِيٍّ بِمَالِهِ، قَوِيٌّ بِجَاهِهِ، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ فَلَا يَتَحَرَّكُ لِمَوْتِهِ أَحَدٌ، وَيُطَوَّى ذِكْرُهُ بِقَبْرِهِ، فَيَكُونُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا!!

وَكَمْ مِنْ صُغْلُوكٍ فِي قَوْمِهِ، ضَعِيفٍ بَيْنَ أَقْرَانِهِ؛ اضْطَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَمَيَّرَهُ بِعِلْمٍ أَوْ عَمَلٍ، أَوْ جِهَادٍ أَوْ دَعْوَةٍ، فَطَارَ ذِكْرُهُ فِي الْأَفَاقِ، وَتَنَاقَلَتْ سِيرَتُهُ الرُّكْبَانُ، وَحِينَ يَمُوتُ تَتَحَرَّكُ الْقُلُوبُ لِمَوْتِهِ، وَتَسِيلُ الْمَدَامِعُ لِفَقْدِهِ!!

وَمَحَبَّةُ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعَبْدِ، وَغَرَسُ مَحَبَّتِهِ فِي قُلُوبِ النَّاسِ؛ لَا يُمَكِّنُ لِصَاحِبِ مَالٍ أَنْ يَشْتَرِيَهَا بِمَالِهِ، أَوْ يَنَالَهَا وَجِيهَ بِجَاهِهِ، أَوْ يَحُوزَهَا سُلْطَانُ بِسُلْطَانِهِ، وَلَا تَكُونُ بِالظُّهُورِ وَالشُّهُرَةِ، وَلَكِنَّهَا أَمْرٌ عَجِيبٌ يَغْرِسُهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، لَا يَمْلِكُونَ مَعَهُ حِيلَةً، وَلَا لَهُ دَفْعًا، فَيَكُونُ صَاحِبُهَا ذَا قَبُولٍ فِي الْأَرْضِ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأُحِبُّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأُحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوَضَّعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ» <sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه الترمذي في التفسير، باب ومن سورة الأعراف، وقال: حديث حسن صحيح (٣٠٧٦)، وابن أبي عاصم في السنة (٢٠٦)، وابن خزيمة في التوحيد (٦٧)، والحاكم وصححه وقال: على شرط مسلم، ووافقه الذهبي (٦٤/١)، وهذه الرواية زيادة في الحديث أخرجها أبو يعلى في مسنده (٦٣٧٧).

(٢) أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (٣٢٠٩)، ومسلم في البر والصلة، باب إذا أحب الله عبداً أمر جبرائيل فأحبه وأحبه أهل السماء (٢٦٣٧)، وأحمد (٢٦٧/٢).

وَصَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ، وَصَدَقَ رَسُولُهُ الْكَرِيمُ ﷺ؛ فَكَمْ رَأَيْنَا مِنْ رِجَالٍ انْعَقَدَتْ  
الْقُلُوبُ عَلَى مَحَبَّتِهِمْ، وَاجْتَمَعَتِ الْأَلْسُنُ عَلَى ذِكْرِهِمْ، وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ مَا  
أَعْطَوْا النَّاسَ نَقِيرًا وَلَا قَطْمِيرًا، وَلَا نَفْعُوهُمْ كَثِيرًا وَلَا قَلِيلًا، فَهِيَ مَحَبَّةٌ صَادِقَةٌ  
لَا كَذِبَ فِيهَا، خَالِصَةٌ لَا رِيَاءَ مَعَهَا، جَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ لِعُلَمَاءِ  
رَبَّانِيِّينَ، وَدُعَاةِ عَامِلِينَ، وَسَاسَةِ مُخْلِصِينَ، وَقَادَةِ وَمُجَاهِدِينَ، لَوْ اجْتَمَعَ أَهْلُ  
الْأَرْضِ عَلَى أَنْ يَنْزِعُوهَا مِنْ الْقُلُوبِ لَمَا اسْتَطَاعُوا ذَلِكَ.

وَفِي وَاقِعِنَا الْمُعَاصِرِ شَوَاهِدُ تَشْهَدُ لِذَلِكَ، فَكَمْ قَصَدَ الْإِعْلَامُ الْعَالَمِيُّ  
أَشْخَاصًا لَهُمْ قَبُولٌ بَيْنَ النَّاسِ؛ فَحَشَدَ وَسَائِلَهُ ضِدَّهُمْ، وَسَحَّرَ عُمَلَاءَهُ لِتَشْوِيهِ  
صُورَتِهِمْ، وَالْقَذْحِ فِي سِيرَتِهِمْ، وَنَزَعَ مَحَبَّتَهُمْ مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ، فَمَا زَادَ النَّاسَ  
إِلَّا حُبًّا لَهُمْ، وَقَنَاعَةً بِهِمْ، وَعَادَ مَكْرُ الْمَاكِرِينَ عَلَيْهِمْ، وَذَلِكَ تَدْبِيرُ الْحَكِيمِ  
الْعَلِيمِ.

كَانَ مِنْ أَوْلَئِكَ الرِّجَالِ الْأَفْدَاذِ الَّذِينَ حَازُوا الْقُلُوبَ، وَاسْتَوْلَوْا عَلَى مَحَبَّةِ  
النَّاسِ بِلَا مَالٍ وَلَا جَاهٍ: قَائِدُ الْمُجَاهِدِينَ فِي فَلَسْطِينَ، الْقَائِدُ الشَّيْخُ يَاسِينُ  
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَةً وَاسِعَةً، وَأَسْكَنَهُ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى مِنَ الْجَنَّةِ. كَانَتْ  
سِيرَتُهُ أُعْجُوبَةً مِنَ الْعَجَائِبِ، وَأَعْجَبُ مِنْهَا قِيَادَتُهُ وَحُكْمَتُهُ، وَصَبْرُهُ وَثَبَاتُهُ، حَتَّى  
لَقِيَ اللَّهَ ﷻ، فَأَحَبَّهُ النَّاسُ حُبًّا شَدِيدًا، فَسَمَّوْا مَوَالِيدَهُمْ بِاسْمِهِ، وَسَلَّوْا اللَّهَ أَنْ  
يَكُونَ أَوْلَادَهُمْ مِثْلَهُ.

وُلِدَ فِي بَدَايَاتِ النُّفُوزِ الصَّهْيُونِيِّ فِي فَلَسْطِينَ الَّذِي أَعْقَبَهُ الْإِحْتِلَالُ وَالذَّمَارُ  
وَالْإِذْلَالُ، وَذَاقَ الْيَتَمَ وَلَمْ يَبْلُغِ السَّادِسَةَ مِنْ عُمُرِهِ<sup>(٣)</sup>.

(٣) ولد الشيخ أحمد إسماعيل ياسين في قرية (جورة عسقلان) عام ١٩٣٦م، وتوفي والده  
وعمره خمس سنوات.

وَإِكْتَوَى بِالْهَزِيمَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْكُبْرَى وَلَمَّا يُنَاهِزِ الْحُلَمَ، وَهِيَ النُّكْبَةُ الَّتِي صَيَّرَتْ لِلْيَهُودِ دَوْلَةً دَاخِلَ فَلَسْطِينِ، وَشَهِدَ الْمَجَازِرَ الْمُرَوَّعَةَ الَّتِي حَلَّتْ بِبَنِي بَلَدِهِ مِنْ جَرَاءِ ذَلِكَ<sup>(٤)</sup>.

وَكَانَ مِنْ آثَارِ تِلْكَ النُّكْبَةِ عَلَيْهِ أَنْ شَرَدَهُمُ الصَّهَابِيَّةُ مِنْ قَرَيْتِهِمْ، وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ، فَازْدَادَ وَأُسْرَتْهُ فَقَرًّا إِلَى فَقْرِهِمْ، وَجُوعًا إِلَى جُوعِهِمْ؛ حَتَّى كَانَ قُوْتُهُمْ مَا يَقْضِلُ مِنْ طَعَامِ الْجُنُودِ الْعَرَبِ<sup>(٥)</sup>.

وَلَمَّا نَاهَزَ الْحُلَمَ، وَبَلَغَ مَبْلَغَ الرِّجَالِ؛ أَصَابَتْهُ ضَرْبَةٌ فِي رَقَبَتِهِ، حَبَسَتْهُ فِي جَسَدِهِ، فَصَارَ رَهِيْنَ شَلَلٍ تَامٍ<sup>(٦)</sup>، وَلَكِنْ إِرَادَتُهُ مَا انْكَسَرَتْ، وَلَا فَتَ ذَلِكَ فِي عَضْدِهِ؛ فَوَاصَلَ دِرَاسَتَهُ، وَجَاهَدَ بِلِسَانِهِ، يَخْطُبُ فِي النَّاسِ وَيُحَرِّضُهُمْ عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ الصَّائِلِ الْمُحْتَلِّ؛ حَتَّى عَلَا نَجْمُهُ، وَاشْتَهَرَ أَمْرُهُ، وَأَثَرَ فِي النَّاسِ كَلَامُهُ، فَسَجَنَهُ الصَّهَابِيَّةُ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَعَذَّبُوهُ وَضَرَبُوهُ وَهُوَ مَسْلُولٌ، فَفَقَدَ أَكْثَرَ بَصَرِهِ، وَمَا بَقِيَ لَهُ إِلَّا جُزْءٌ يَسِيرٌ مِنْ سَمْعِهِ، ثُمَّ تَبَعَ ذَلِكَ أَمْرَاضٌ مُزْمِنَةٌ فِي تَنْفُسِهِ وَأَمْعَائِهِ، وَمَا أَقْعَدَهُ ذَلِكَ عَنِ الْجِهَادِ وَالِدَّعْوَةِ، وَالْعَمَلِ وَالْخَطَابَةِ.

وَلَمَّا هُزِمَ الْعَرَبُ فِيمَا سُمِّيَ بِالنُّكْسَةِ<sup>(٧)</sup>، وَاحْتَلَّ الْيَهُودُ بَقِيَّةَ فَلَسْطِينِ مَا أَيْسَ

(٤) هي نكبة عام ١٩٤٨م التي هُزِمَتْ فيها الجيوش العربية، وكان عمر الشيخ آنذاك (١٢ سنة)، وذكر الشيخ أن الجيوش العربية نزعت السلاح من الأهالي بحجة أنه لا ينبغي وجود قوة أخرى غير قوة الجيش، فارتبط مصير السكان بمصير الجيوش العربية، فلما هزمت وقع السكان ضحية هذه الهزيمة، فَعَمِلَ فيهم اليهود المذابح المروعة، قال الشيخ: «ولو كانت أسلحتنا بأيدينا لتغيرت مجريات الأحداث».

(٥) المقصود بهم جنود الجيوش العربية، وخاصة الجيش المصري الذي كان مرابطاً قرب قرية الشيخ آنذاك.

(٦) لما بلغ الشيخ السادسة عشرة من عمره أصابته ضربة في رقبته وهو يلعب مع أقرانه، في إحدى فقرات العنق، وذلك عام ١٩٥٢م، ومن جرائها حدث له الشلل التام.

(٧) هي هزيمة عام (١٩٦٧م) التي استحوذت فيها إسرائيل على بقية فلسطين بما في ذلك غزة.

وَلَا انْتَكَسَ، بَلْ زَادَهُ ذَلِكَ إِضْرَارًا عَلَى جِهَادِ الْيَهُودِ إِلَى آخِرِ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَتَحْرِيسِ النَّاسِ عَلَى ذَلِكَ إِلَى آخِرِ كَلِمَةٍ مِنْ لِسَانِهِ.

لَقَدْ كَانَ مِنْ حَسَنَاتِ الشَّيْخِ الْكَثِيرَةِ -وَحَيَاتُهُ جُلُّهَا حَسَنَاتٌ وَتَضَحِيَّاتٌ- أَنَّهُ عَدَلَ مَسَارَ الْقَضِيَّةِ، وَوَجَّهَهَا وَجْهَهَا الصَّحِيحَةَ، بَعْدَ أَنْ ضَلَّتِ الصَّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ عُقُودًا مُتَتَابِعَةً، كَانَتْ سَبَبًا فِي الْهَزَائِمِ الْمُتَوَالِيَةِ<sup>(٨)</sup>.

لَقَدْ كَانَتْ قَضِيَّةُ فَلَسْطِينِ تُطْرَحُ فِي الْمَحَافِلِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْدَوْلِيَّةِ عَلَى أَنَّهَا قَضِيَّةٌ عِلْمَانِيَّةٌ، تَتَعَلَّقُ بِالتُّرَابِ وَالْوَطَنِ، وَعَلَى ذَلِكَ اجْتَمَعَتِ الْقُوَى الْفِلَسْطِينِيَّةُ مِنْ وَطَنِيَّةٍ وَيسَارِيَّةٍ، إِلَى أَنْ قَادَ الشَّيْخُ جُمُهورًا مِنَ الْأُمَّةِ فِي فَلَسْطِينِ؛ فَصَبَغَ قَضِيَّتَهَا بِالصَّبْغَةِ الصَّحِيحَةِ، وَجَعَلَهَا عَقَائِدِيَّةً إِسْلَامِيَّةً<sup>(٩)</sup>. وَهَذَا مَا أَقْصَى مَضَاجِعِ الْيَهُودِ وَحُلَفَائِهِمُ الْعَرَبِيِّينَ.

كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَةً وَاسِعَةً يُخَاطَبُ الْأُمَّةَ، وَيَكْتُبُ إِلَيْهَا؛ يَسْتَنْهِضُ الْهَيْمَمَ، وَيَسْخِذُ الْعَرَائِمَ، وَيُلَامِسُ شِغَافَ الْقُلُوبِ، بِخُطَابٍ يَغْلُوهُ نُورُ الْإِسْلَامِ، وَتَرْيُّهُ نُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فِي إِيمَانٍ مَتِينٍ، وَتَوَكُّلٍ عَجِيبٍ، وَيَقِينٍ رَاسِخٍ، لَا تُزْعِرُهُ الْأَحْدَاثُ الْمُزْلِزِلَةُ، وَلَا تُرْهِبُهُ قُوَّةُ الْأَعْدَاءِ وَمَا يَمْلِكُونَ مَهْمَا كَانَتْ وَأَيًّا كَانُوا.

كَانَ يَخُطِّبُ فِي أَهْلِ فَلَسْطِينِ فَيَقُولُ: «أَيُّهَا الْإِخْوَةُ: لَا خِيَارَ لَنَا إِلَّا الْمُقَاوَمَةُ وَالْقِتَالُ، لَا خِيَارَ لَنَا إِلَّا الْجِهَادُ وَالْإِسْتِشْهَادُ، لَا خِيَارَ لَنَا إِلَّا أَنْ نُقَدِّمَ دِمَاءَنَا

(٨) وذلك بشعارات غير إسلامية وتحت قيادة منظمات كثيرة منها: منظمة فتح، والجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين، وغيرها.

(٩) أسس الشيخ مع بعض إخوانه وتلاميذه منظمة حماس في قطاع غزة عام ١٩٨٧م تحت اسم (حركة المقاومة الإسلامية)، وكانت المقاومة قبلها تحت منظمات وطنية لا تهتم لأمر الإسلام.

رَحِيصَةً مِنْ أَجْلِ الْإِسْلَامِ . . فَالْذُّنْيَا لَا تُعْطَى لِلْقَاعِدِينَ النَّائِمِينَ، الدُّنْيَا تُعْطَى  
لِلْمُجَاهِدِينَ الْمُقَاتِلِينَ الصَّابِرِينَ، فَلَنْكُنْ كَذَلِكَ، وَالْأَعْمَارُ بِيَدِ اللَّهِ، وَلَا تَزِيدُ  
وَلَا تَنْقُصُ ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]،  
فَلِمَاذَا لَا نَخْتَارُ مَوْتَهُ شَرِيفَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟! لِمَاذَا؟! كُنَّا سَمْنُوتُ إِمَّا عَلَى  
الْفِرَاشِ أَوْ فِي الطَّائِرَةِ أَوْ فِي الْبَحْرِ أَوْ فِي السَّيَّارَةِ، لِمَاذَا لَا نُقَاتِلُ؟! لِمَاذَا  
لَا نُجَاهِدُ؟! لِمَاذَا لَا نَبْذُلُ كُلَّ مَا نَمْلِكُ مِنْ أَجْلِ دِينِنَا وَأُمَّتِنَا؟! لِمَاذَا لَا نَغْزُو  
جَمِيعًا؟! الْقَادِرُ بِجِسْمِهِ، وَغَيْرُ الْقَادِرِ بِمَالِهِ، وَلَيْكُنْ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛  
انْتِصَارًا لِدِينِ اللَّهِ، وَتَحْرِيرًا لِأَوْطَانِ الْمُسْلِمِينَ . . .» (١٠).

اجْتَمَعَ أَهْلُ فَلَسْطِينَ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْهِ، وَيَتَرَبَّوْنَ عَلَى خُطْبِهِ وَإِمْلَاءَاتِهِ، شَبَابًا  
وَكُهُولًا، رِجَالًا وَنِسَاءً، فَصَارُوا يُوَاجِهُونَ الْعَدُوَّ الْمُدْجَجَ بِالسَّلَاحِ، وَنُفُوسُهُمْ  
تَتَوَقُّ لِلشَّهَادَةِ؛ إِغْلَاءً لِدِينِ اللَّهِ تَعَالَى، وَدِفَاعًا عَنْ حُرْمَاتِهِ، فَمَا ضَاعَتْ دِمَاؤُهُمْ  
هَدْرًا كَمَا كَانَتْ تَضِيعُ مِنْ قَبْلُ تَحْتَ الرَّايَاتِ الْوُطْنِيَّةِ وَالْعِلْمَانِيَّةِ، وَصَارُوا  
يَتَسَابِقُونَ عَلَى الْإِسْتِشْهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ سَبَاقًا عَجَبَ مِنْهُ الشَّرْقُ وَالْعَرْبُ،  
وَأَرْعَبَ الْيَهُودَ أَيَّمَا رُغْبٍ؛ حَتَّى بَنَوْا جِدَارًا عَظِيمًا يَفْصِلُهُمْ عَنْ أَبْطَالِ الْإِسْلَامِ  
الْأَشَاوِسِ عَلَيْهِ يَحْمِيهِمْ مِنْهُمْ، وَصَدَّقَ اللَّهُ الْقَائِلُ: ﴿لَا يُفْنِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى  
مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ [الحشر: ١٤].

إِنَّ الْيَهُودَ مَا بَنَوْا جِدَارَهُمْ، وَلَا اسْتَعَانُوا بِكُلِّ عَمَلَائِهِمْ، وَلَا اسْتَنْجَدُوا  
بِحُلَفَائِهِمْ أَيَّامَ الشُّعَارَاتِ الْعِلْمَانِيَّةِ الرَّائِفَةِ، وَلَكِنَّهُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ لَمَّا تَسَلَّمَ قِيَادَةَ  
الصَّرَاعِ مَنْ يُحْسِنُونَ إِدَارَتَهُ، وَيَحْمِلُونَ فِي رُؤُوسِهِمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَلْهَجُونَ

(١٠) هذا مقطع من خطبة طويلة وجهها الشيخ في بداية رمضان الماضي عام (١٤٢٤هـ) تحت  
عنوان (رسالة خاصة إلى الأمة).

بِالتَّكْبِيرِ، وَيَتَنَافَسُونَ عَلَى الْمَوْتِ تَنَافُسَ أَعْدَائِهِمْ عَلَى الْحَيَاةِ، يَفُودُهُمْ فِي ذَلِكَ شَيْخُهُمُ الْكَسِيخُ مِنْ عَلَى كُرْسِيِّهِ الْمُتَحَرِّكِ؛ فَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، نَصَرَ عَبْدَهُ، وَأَعَزَّ جُنْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ.

وَبَلَغَ الشَّيْخُ أُمْنِيَّتَهُ، وَهُوَ مُقْعَدٌ كَسِيخٌ، فَجُنِدَتْ لِأَجْلِهِ طَائِرَاتٌ وَصَوَارِيخُ، مَزَقَتْ أَشْلَاءَهُ، وَأَسَالَتْ دِمَاءَهُ، عَقِبَ أَذَائِهِ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ تَعَالَى<sup>(١١)</sup>، وَقَدْ أَمْضَى عُمَرًا مَدِيدًا فِي الْجِهَادِ وَالِدَّعْوَةِ، سِلَاحُهُ الْإِيمَانُ وَالثَّبَاتُ، وَالصَّبْرُ وَالْيَقِينُ، نَسَأُلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَقْبَلَهُ فِي الشُّهَدَاءِ، وَأَنْ يُخْلِفَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ فِي أَعْلَى مَنَازِلِ الشُّهَدَاءِ هُوَ وَمَنْ قَضَوْا مَعَهُ، وَسَائِرَ قَتْلَى الْمُسْلِمِينَ، وَاجْمَعْنَا بِهِمْ فِي دَارِ النِّعَمِ. اللَّهُمَّ وَأَنْزِلْ غَضَبَكَ وَعَذَابَكَ عَلَى صَهَابَةِ الْيَهُودِ وَصَهَابَةِ النَّصَارَى، وَاجْعَلْهُمْ عِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

(١١) وذلك عقب صلاة الفجر من يوم الاثنين ١٤٢٥/٢/١هـ، وكان الشيخ يعلم أن العدو يستهدفه، وقد أدرجه في قائمة اغتيلاته، ومع ذلك ما ترك ما اعتاده من حضور الصلاة في المسجد مع جماعة المسلمين، وهو بفعله هذا لا شك أنه يتحدى العدو، ويظهر عدم مبالاته بقوته وتهديداته، وتلك والله هي قمة التوكل على الله تعالى، واليقين بأن الأعمار بيده سبحانه دون ما سواه.

ومن العجيب أن الشيخ قبل أيام من اغتياله أصيب بأزمة حادة، لزم العناية المركزة في المستشفى، ويحكى أن الأطباء قدَّروا أن حالته الصحية متردية جدًا، وأنه لن يعيش إلا أيامًا قلائل، وسبحان الله وبحمده! فلعل الله تعالى ما أراد للشيخ أن يموت على فراشه وهو قد أمضى عقودًا في الجهاد، فهيأ له أسباب الاستشهاد؛ إذ نشط من مرضه، فما هو إلا أن خرج إلى المسجد على عادته، فكان ما كان من أمر الله تعالى وقدره، فالحمد لله رب العالمين، ورحم الله تعالى الشيخ، وبلغه منازل الشهداء، إنه جواد كريم.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].  
بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ..



### الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُّبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَىٰ، وَأَشْكُرُهُ عَلَىٰ نِعَمِهِ الَّتِي لَا تُحْصَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ مَنْ عَلَيْنَا بِالْهُدَى، وَفَاضَلَ بَيْنَ عِبَادِهِ بِالتَّقَى. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ الْعَبْدُ الْمُجْتَبَى، وَالنَّبِيُّ الْمُصْطَفَى، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أُولِي الْبِرِّ وَالتَّقَى، الدَّاعِينَ إِلَى الْخَيْرِ وَالْهُدَى، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ -عِبَادَ اللَّهِ- فَإِنَّ الدُّنْيَا مَهْمَا طَالَ أَمْدُهَا، وَأَزْهَرَتْ خُضْرَتُهَا، وَبَدَتْ زِينَتُهَا؛ فَهِيَ تَزُولُ وَلَا تَبْقَى، ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [فاطر: ٥].

أَيُّهَا النَّاسُ: يُسْتَفَادُ مِنْ سِيرَةِ هَذَا الْمُجَاهِدِ الرَّاحِلِ دُرُوسٌ كَثِيرَةٌ، وَفَوَائِدُ عَدَّةٌ، يَعْرِفُهَا مَنْ قَرَأَهَا وَتَأَمَّلَهَا.

لَقَدْ أَثْبَتَتْ سِيرَتُهُ الْعِطْرَةَ أَنَّ النُّفُوسَ الْكَبِيرَةَ تَغْلِبُ عَلَى الْعِلَلِ وَالْأَوْصَابِ، وَتَتَجَاوَزُ الْمَحَنَ وَالصَّعَابَ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا تَسَلَّحَتْ بِالإِيمَانِ وَالصَّبْرِ، وَكَانَ لِأَصْحَابِهَا هِمَّةٌ عَالِيَةٌ، وَإِرَادَةٌ قَوِيَّةٌ، وَإِلَّا فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَجُلٍ كَسِيحٍ مَرِيضٍ، لَا يَتَحَرَّكُ فِيهِ إِلَّا عَقْلُهُ وَلِسَانُهُ، يَقُودُ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ عَزَلٍ مِنَ السَّلَاحِ، فِي ظُرُوفٍ



عَسْكَرِيَّةٍ صَعْبَةٍ، وَأَمَامَ بَحْرِ مِنَ الْأَعْدَاءِ الْأَصْلِيِّينَ وَالْعَمَلَاءِ وَالْخَوَنَةِ، يَمْلِكُونَ أَقْوَى سِلَاحٍ، وَيَشْتَرُونَ الدِّمَمَ بِالْمَالِ، وَمِنْ وَرَائِهِمْ أُمَمُ الْأَرْضِ وَمُنْظَمَاتُهَا الدَّوْلِيَّةُ، يُسَبِّغُونَ عَلَى جَرَائِمِهِمُ الشَّرْعِيَّةَ الدَّوْلِيَّةَ؟ وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ يَقُودُ جُنْدَهُ فَيُحَسِّنُ الْقِيَادَةَ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةً إِلَى أَنْ قُتِلَ فِي أَرْضِ مَعْرَكَتِهِ.

لَقَدْ عَذَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى، بَلْ وَاجْتَمَعَتْ فِيهِ الْأَعْدَارُ كُلُّهَا؛ فَلَا عَمَى لَيْسَ عَلَيْهِ حَرَجٌ، وَهُوَ يُشَبِّهُ الْأَعْمَى، وَبَصَرُهُ ضَعِيفٌ، وَالْأَعْرَجُ مَعْدُورٌ وَهُوَ مَشْلُورٌ كَسِيحٌ، وَالْمَرِيضُ مَعْدُورٌ وَهُوَ مُصَابٌ بِالْعِلَلِ وَالْأَمْرَاضِ.

كَانَ بِإمكانِهِ أَنْ يَقْعُدَ مَعَ الْقَاعِدِينَ، وَيُخَذِّلَ مَعَ الْمُخَذَّلِينَ، أَوْ يَطْلُبَ الْخُرُوجَ مِنْ بَلَدِهِ؛ لِإِعْلَاجِ مَرَضِهِ، وَكُلُّ الدُّوَلِ تُرَحِّبُ بِهِ، وَتَسْتَضِيْفُهُ وَتُعَالِجُهُ؛ وَلَكِنَّهُ قَدَّمَ أَمَّتَهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَعَالَجَ مِحْنَهُ بِصَبْرِهِ، فَغَايَتُهُ أَسْمَى مِنْ جَسَدِهِ، فَضَحَّى بِهِ فِي نَيْلِ مَطْلُوبِهِ، وَتَحْقِيقِ هَدَفِهِ.

لَقَدْ بَلَغَ صَبْرُهُ مَبْلَغًا عَجَبِيًّا حَتَّى فَاضَ مِنْ نَفْسِهِ إِلَى جُنْدِهِ؛ فَأَخَذُوا عَنْ قَائِدِهِمُ الصَّبْرَ الْجَمِيلَ الَّذِي لَا شِكَايَةَ فِيهِ<sup>(١٢)</sup>، وَالتَّحَمُّلَ الْعَظِيمَ الَّذِي يُقَدَّرُ الْمَصْلَحَةُ، وَكَمْ مِنْ مَرَّةٍ حَاوَلَ الْيَهُودُ وَعَمَلَاؤُهُمْ أَنْ يَجْرُوهُ وَجُنْدَهُ إِلَى حَرْبِ أَهْلِيَّةٍ، وَلَكِنَّهُمْ فَشِلُوا بِسَبَبِ صَبْرِهِ وَصَبْرِ جُنْدِهِ عَلَى ظُلْمِ الْقَرِيبِ، وَاسْتِفْزَازِ الْبَعِيدِ، فَلَقَدْ كَانَ مُسْتَمْسِكًا بِهَدَفِهِ الْأَسْمَى وَهُوَ تَوْجِيهِ سِلَاحِهِ لِعَدُوِّهِ وَعَدُوِّ الْمُسْلِمِينَ، وَيَرَى أَنَّ تَحَمُّلَ الظُّلْمِ وَالْإِسْتِفْزَازِ أَهْوَنُ مِنَ الدُّخُولِ فِي مَعَارِكٍ أُخْرَى لَا يَسْتَفِيدُ مِنْهَا إِلَّا الْيَهُودُ.

لَقَدْ عَلَّمَنَا هَذَا الْقَائِدُ الرَّاحِلُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَةً وَاسِعَةً- أَنَّ الْجَسَدَ

(١٢) ذكر الدكتور عبد العزيز الرنتيسي -حفظه الله تعالى- في مقابلة له أنه تعلَّم من شيخه ياسين في سجون إسرائيل؛ حيث اغْتَفَلَا سَوِيًّا: الصبر الجميل الذي لا شكاية معه من ألم المرض، وشدة القهر، ووطأة السجن، كما تعلم منه الانتصار على الضعف.

الْهَزِيلَ إِذَا كَانَ يَمْلِكُ إِرَادَةً قَوِيَّةً فَإِنَّهُ يَنْتَصِرُ عَلَى عَوَامِلِ الضَّعْفِ فِيهِ، وَيَصِلُ إِلَى مَا يُرِيدُ، وَإِلَّا فَكَيْفَ بَرَجُلٍ لَا يَتَحَرَّكُ فِيهِ إِلَّا رَأْسُهُ، وَقَدْ بَلَغَ بِهِ الْمَرَضُ مَا بَلَغَ، يَعْقِدُ الْعَدُوُّ الْأَقْوَى فِي هَذَا الْعَصْرِ مَجَالِسَهُ الْأُمْنِيَّةَ لِيَحِثَّ تَضْفِيتِهِ، وَيُحَاوِلُ اغْتِيَالَهُ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ، ثُمَّ يُجَنِّدُ الطَّائِرَاتِ وَالصَّوَارِيخَ لِمُقْعَدٍ عَلَى كُرْسِيِّ مُتَحَرِّكٍ، ثُمَّ لَمَّا تَأَكَّدَ نَبَأَ مَقْتَلِهِ طَارُوا بِذَلِكَ فَرَحًا فِي أَكْبَرِ دَوْلَةٍ وَأَقْوَاهَا فِي هَذَا الْعَصْرِ! (١٣).

وَمَا أَعْظَمَهُ مِنْ دَرْسٍ لِأُمَّةٍ قَدْ اسْتَضَعَفَتْ نَفْسَهَا، وَأَحَاطَ بِهَا الْوَهْنُ وَالذُّلُّ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهَا! حَتَّى اسْتَبِيحَ حِمَاهَا، وَأَسْقَطَ الْعَدُوُّ بَعْضَ دَوْلِهَا، وَعَاثَ فَسَادًا فِي أَرْضِهَا، وَقَدْ رَبَّتْ الدُّوَلُ الْأُخْرَى دَوْلَةً دَوْلَةً عَلَى مَذْبَحِهِ، وَالْكُلُّ يَنْتَظِرُ دَوْرَهُ، وَرُدُّوهُ الْأَفْعَالِ خَلَّتْ حَتَّى مِنَ الْأَقْوَالِ!!

فَإِنَّ الْأُمَّةَ مِنْ سِيرَةِ هَذَا الْقَائِدِ الْجَهْدِ الَّذِي انْتَصَرَ عَلَى كُلِّ عَوَامِلِ الضَّعْفِ فِي نَفْسِهِ، بِإِيْمَانِهِ الْعَمِيقِ، وَعَقِيدَتِهِ الرَّاسِخَةِ، وَإِرَادَتِهِ الْقَوِيَّةِ. وَلَمْ لَا تَفْقَهُ الْأُمَّةُ هَذَا الدَّرْسَ الْعَظِيمَ، فَلَا تَخْنَعُ بِحُجَّةِ الضَّعْفِ، وَقَلَّةِ الْحِيلَةِ، وَلَا تَسْتَكِينُ

(١٣) كانت عناوين نشرات الأخبار في أمريكا تدل على ذلك، نحو قولهم: «مقتل الإرهابي الأول»، وقول قناة (فوكس): «الشيخ ياسين كان من أكثر القادة الدمويين في فلسطين» وعرضت الشبكات الأمريكية تصريح وزير الدفاع الإسرائيلي «شاؤول موفاز» حين قال: «سيداتي سادتي .. قتلنا ابن لادن الفلسطيني».

ولم تستضف شبكات التلفزة الأمريكية أي فلسطيني أو عربي عقب الحدث، وإنما استضافت شخصيات صهيونية كان منهم وزير الزراعة اليهودي «يسرائيل كاتس» الذي خرج يهنئ الجيش الإسرائيلي على قوته الرادعة فقال: «لقد قتلنا ابن لادن الخاص بنا»، وقالت عضوة الكنيست «جيلا فينكيلشتن» في إحدى القنوات الأمريكية: «ياسين يستحق الموت تمامًا مثل الرنيسي ... وابن لادن، العالم يفهم أنه يجب اجتثاث رأس الإرهاب، وأنا أهنيء بالعملية»، وغير ذلك كثير.

لِعَجْزِهَا، أَوْ تَرَكُنْ لِعَدُوِّهَا؟ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُنْزِلُ الْمَعُونَةَ عَلَى قَدْرِ الْمُؤْنَةِ، وَيُنْزِلُ الصَّبْرَ عَلَى قَدْرِ الْبَلَاءِ<sup>(١٤)</sup>، وَإِذَا عَلِمَ سُبْحَانَهُ صِدْقَ الْعِبَادِ فِي التَّوَجُّهِ إِلَيْهِ، وَتَحْكِيمِ شَرْعِهِ؛ أَعَانَهُمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ، وَثَبَّتَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ.

وَالثَّبَاتُ عَلَى الْمَبْدِإِ دَرْسٌ آخَرُ مِنْ دُرُوسِ سِيرَتِهِ، فَلَقَدْ حَاوَلَ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ، وَالْعَدُوُّ وَالصَّدِيقُ؛ مُسَاوَمَتَهُ عَلَى مَبَادِئِهِ، وَرَعْبُوهُ وَرَهْبُوهُ، وَسَجْنُوهُ وَعَذْبُوهُ، وَحَاوَلُوا قَتْلَهُ غَيْرَ مَرَّةٍ؛ فَمَا لَأَنْتَ عَزِيمَتُهُ، وَلَا تَزْغَزَعُ عَنْ مَوْقِفِهِ، وَلَا غَيْرَ مَبْدَأِهِ الَّذِي أَعْلَنَهُ، فَلَمَّا رَأَى الْعَدُوُّ صِلَابَتَهُ، وَاسْتَفْزَذَ كُلَّ طَرِيقِ الْإِغْرَاءِ وَالْإِرْهَابِ مَعَهُ؛ قَرَّرَ قَتْلَهُ، فَتَحَسَّبَهُ -وَاللَّهُ حَسِيبُهُ- أَنَّهُ قَدْ لَقِيَ اللَّهَ تَعَالَى وَهُوَ ثَابِتٌ ثُبُوتَ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي عَلَى مَا أَعْلَنَهُ وَحَرَّضَ النَّاسَ عَلَيْهِ، وَهُوَ جِهَادُ الْعَدُوِّ الصُّهَيْوْنِيِّ إِلَى أَنْ يَلْقَى اللَّهَ ﷻ.

وَكَانَ مِنْ عَلَامَةِ الْخَيْرِ لَهُ: أَنْ قَتْلُهُ كَانَ بَعْدَ فَرِيضَةٍ عَظِيمَةٍ أَدَّاهَا فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ ﷻ، وَهُوَ مَعْدُورٌ لَوْ صَلَّى فِي بَيْتِهِ لِشَلْلِهِ وَمَرَضِهِ، وَلَكِنَّ إِيْمَانَهُ حَمَلَهُ عَلَى أَنْ يُصَلِّيَ مَعَ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَكَانَ خَاتِمَةً عَمَلِهِ تِلْكَ الْفَرِيضَةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي مَنْ أَدَّاهَا فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَكَانَ الشَّيْخُ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

قَارِنُوا -رَحِمَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى- ثَبَاتَ هَذَا الْقَائِدِ الْعَظِيمِ بِحَالِ كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ غَيَّرُوا مَبَادِئَهُمْ، وَتَنَكَّرُوا لِدِينِهِمْ، وَانْقَلَبُوا عَلَى ثَوَابِتِهِمْ وَمُسْلِمَاتِهِمْ بِالنَّقْدِ وَالتَّجْرِيحِ، وَالتَّبَرِّيِّ وَالتَّشْكِيكِ؛ إِرْضَاءً لِأَعْدَائِهِمْ، وَكَسْبًا لِدُودِهِمْ، وَدَرَاءً

(١٤) جاء ذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند: القضاعي في مسند الشهاب (٩٩٢)، والبخاري كما في الزوائد لابن حجر (١٥٦)، وجاء من حديث أنس رضي الله عنه كما ذكر الألباني في

لِشَرِّهِمْ، وَلَنْ يَنْكَفُوا أَوْ يَرْضَوْا عَنْهُمْ؛ بَلْ هُمْ مَاضُونَ فِيمَا يَطْلُبُونَ، عَازِمُونَ عَلَى مَا يُرِيدُونَ، وَوَيْلٌ لِمَنْ بَاعَ دِينَهُ وَاشْتَرَى الدُّنْيَا، وَحَرَفَ النُّصُوصَ إِبْقَاءً عَلَى دُنْيَاهُ، وَاللَّهُ لَيَخْسِرَنَّ الدِّينَ وَالدُّنْيَا.

وَدُرُوسُ الشَّيْخِ الرَّاحِلِ كَثِيرَةٌ، وَسِيرَتُهُ عَجِيبَةٌ، وَيَكْفِي فِيهَا أَنَّهُ مَا عُرِفَ فِي الْأُمَّةِ، بَلْ وَلَا فِي تَارِيخِ الْبَشَرِ أَنَّ قَائِدًا قَادَهَا وَهُوَ مَشْلُوكٌ فَأَحْسَنَ الْقِيَادَةَ، وَأَقْضَى مَصَاجِعَ الْأَعْدَاءِ، وَغَيَّرَ مُجَرِّيَاتِ الصَّرَاعِ؛ فَرَجَحَتْ كِفَّتَهُ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ عَلَى عُبَادِ الْعِجْلِ.

وَكَمَا كَانَتْ سِيرَتُهُ غَرِيبَةً، فَإِنَّ قِيَادَتَهُ ثُمَّ قَتْلَهُ كَانَ أَشَدَّ غَرَابَةً، وَإِلَّا فَمَا يُرْهَبُ الْيَهُودَ مِنْ مُسِنَّ مَرِيضٍ مَشْلُوكٍ؟! وَلِحَادِثَةِ قَتْلِهِ مَا بَعْدَهَا، وَكَمْ مِنْ دَمٍ أَحْيَا اللَّهُ تَعَالَى بِهِ أُمَّةً كَامِلَةً؟! وَلَرُبَّمَا نَدِمَ الْيَهُودُ عَلَى قَتْلِهِ أَشَدَّ النَّدَمِ؛ لِمَا يُحْيِي اللَّهُ تَعَالَى بِدَمِهِ مِنْ رِجَالٍ يُكْمِلُونَ مَسِيرَتَهُ، وَيَسِيرُونَ عَلَى خُطَّتِهِ.

وَإِنَّ قَتْلَ الْيَهُودِ لَهُ لَدَلِيلُ رِيحٍ وَفَوْزٍ لَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَهُوَ أَكْبَرُ دَلِيلٍ عَلَى خَسَارَةِ الْيَهُودِ وَإِفْلَاسِهِمْ، وَفَشَلِ سِيَاسَتِهِمْ، وَبِدَايَةِ نَهَائِهِمْ، وَنَهَايَةِ حُلْفَائِهِمْ مِنْ عُبَادِ الصَّلِيبِ، عَجَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى نَبِيِّكُمْ كَمَا أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ ...



## ٣٦٠- مقتل حاكم العراق

١٦/١٢/١٤٢٧هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى؛ خَلَقَ فَسَوَّى، وَقَدَّرَ فَهَدَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى، نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي لَا تُحْصَى، وَنَشْكُرُهُ عَلَى فَضْلِهِ الَّذِي لَا يُنْسَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ قَسَمَ الدِّينَ بَيْنَ عِبَادِهِ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ، وَقَسَمَ بَيْنَهُمُ الدُّنْيَا فَيُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ، وَيَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ يَشَاءُ، وَيُعْزِزُ مَنْ يَشَاءُ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ، لَا رَادَّ لِأَمْرِهِ، وَلَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ؛ اصْطَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْعَالَمِينَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَجَعَلَهُ سِرَاجًا مُنِيرًا، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ؛ قَضَوْا بِالْحَقِّ وَبِهِ كَانُوا يَعْدِلُونَ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَأَوْصِيكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ ﷻ؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَهْمَا طَالَتْ زَالَتْ، وَمَهْمَا أَزْهَرَتْ أَغْبَرَتْ، وَكَمْ مِنْ عَزِيزٍ تَجَرَّعَ ذُلَّهَا! وَكَمْ مِنْ غَنِيٍّ ذَاقَ فَقْرَهَا! وَلَا يَبْقَى لِلْعَبْدِ مِنْهَا إِلَّا مَا عَمِلَ فِيهَا ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [فَاطِر: ٥].

أَيُّهَا النَّاسُ: مَضَى عِيدُ الْمُسْلِمِينَ الْكَبِيرُ بَعْدَ أَنْ وَقَفَتْ جُمُوعٌ مِنْهُمْ عَلَى صَعِيدِ عَرَفَةَ يُقِيمُونَ ذِكْرَ اللَّهِ تَعَالَى، وَيُعْظَمُونَ شَعَائِرَهُ، يُبَاهِي بِهِمْ رَبُّهُمْ ﷻ مَلَائِكَتَهُ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ مَنْ شَرَعَ لَهُمْ دِينَهُمْ، وَرَضِيَ مِنْهُمْ عَمَلَهُمْ، فَأَدَّوْا لِلَّهِ تَعَالَى نُسُكَهُمْ، فِي لِبَاسٍ وَاحِدٍ، وَمَكَانٍ وَاحِدٍ، وَشَعَارٍ وَاحِدٍ.

وَفِي يَوْمِ الْعِيدِ الْأَكْبَرِ ذَبَحَ الْمُسْلِمُونَ ذَبَائِحَهُمْ، وَتَقَرَّبُوا لِلَّهِ تَعَالَى بِهَذَايَاهُمْ

وَصَحَائِيَاهُمْ، قَائِلِينَ: «بِسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا مِنْكَ وَلَكَ»، فَمَا أَعْظَمَهَا مِنْ عِبَادَاتٍ! وَمَا أَجَلَّهَا مِنْ شَعَائِرٍ! تَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ، وَتُسِيلُ الدُّمُوعَ؛ فَرَحًا بِاللَّهِ تَعَالَى وَبِالاجْتِمَاعِ عَلَى ذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ وَحُسْنِ عِبَادَتِهِ.

فَهَيِّنَا لَكُمْ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - مَا هُدِيتُمْ إِلَيْهِ مِنَ الشَّرَائِعِ، وَمَا قَامَ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ تَعْظِيمِ الشَّعَائِرِ، وَاشْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى إِذْ هَدَاكُمْ، وَسَلُّوهُ الثَّبَاتَ عَلَى دِينِكُمْ.

وَحَالَالَ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْمُبَارَكَةِ الَّتِي بَارَكَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ جَعَلَهَا أَفْضَلَ أَيَّامِ السَّنَةِ، وَقَضَى بِأَنْ الْعَمَلَ الصَّالِحَ فِيهَا أَفْضَلَ مِنْهُ فِي غَيْرِهَا، وَاخْتَصَّهَا بِشَعِيرَتِي الْحَجِّ وَالْأُضْحِيَّةِ. فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ الْمُبَارَكَةِ كَانَتْ أُمَّةُ النَّصَارَى الضَّالَّةُ تَحْتَلُّ بِعِيدِ مِيلَادِ الْمَسِيحِ ﷺ وَعِيدِ رَأْسِ السَّنَةِ الْمِيلَادِيَّةِ فِي جُمْلَةٍ مِنَ الشَّعَائِرِ الشَّرَكِيَّةِ، وَالْمَرَاسِمِ الشَّهَوَانِيَّةِ الَّتِي تُشْجِعُ غَرَائِزَهُمْ وَلَا تُصْلِحُ قُلُوبَهُمْ، وَتُرْضِي شَيْطَانَهُمْ، وَتُسَخِّطُ رَبَّهُمْ عَلَيْهِمْ، وَلَا تَزِيدُهُمْ إِلَّا ضَلَالًا عَلَى ضَلَالِهِمْ، وَبُعْدًا عَنْ مَنَاجِجِ الْأَنْبِيَاءِ وَشَرَائِعِهِمْ.

وَقَدْ تَابَعَهُمْ فِي ضَلَالِهِمْ هَذَا جُمْلَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يَفْرَحُونَ بِأَعْيَادِ الضَّالِّينَ، وَيَشْدُونَ رِحَالَهُمْ إِلَيْهَا، وَيَبْحَثُونَ عَنْهَا فِي مَظَانِّهَا، يَعْبُونَ مِنْ شَهَوَاتِهَا، وَيَتَمَتَّعُونَ بِرَخَائِفِهَا، وَيُهْنِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِهَا، فِي حِينِ أَنَّهُمْ يَضْجَرُونَ مِنْ أَعْيَادِ الْمُسْلِمِينَ، فَيَعْطُلُونَ شَرَائِعَهَا، وَلَا يُعْظَمُونَ شَعَائِرَهَا، فَنَعُوذُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنَ الضَّلَالِ بَعْدَ الْهُدَى، وَمِنَ الْغَفْلَةِ وَالْهَوَى.

وَلِئِنْ شَهِدَتِ الْأَيَّامُ الْمَاضِيَةُ الْمُبَارَكَةُ فَرَحَ الْمُسْلِمِينَ بِأَعْيَادِهِمُ الشَّرَعِيَّةِ، وَاحْتَفَلَ فِيهَا النَّصَارَى بِأَعْيَادِهِمُ الْكُفْرِيَّةِ؛ فَإِنَّ الْأُمَّةَ الصَّفَوِيَّةَ الْبَاطِنِيَّةَ قَدْ خَالَفَتْ عُمُومَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعِيدِ الْكَبِيرِ فَأَخْرَوْهُ عَنِ الْعِيدِ الشَّرَعِيِّ؛ إِمْعَانًا فِي

الْمُخَالَفَةِ، وَقَصْدًا لِتَرْسِيخِ الْبِدْعَةِ، وَخَرْقًا لِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ<sup>(١)</sup>، ثُمَّ عَمَدُوا إِلَى عِيدِ الْمُسْلِمِينَ الْأَكْبَرِ فَقَتَلُوا فِيهِ حَاكِمَ الْعِرَاقِ؛ لِيُؤَكِّدُوا لِأَهْلِ السُّنَّةِ حُكْمَهُمْ لِمَدِينَةِ السَّلَامِ وَمَا حَوْلَهَا، الَّتِي كَانُوا يَحْلُمُونَ بِحُكْمِهَا مُنْذُ الْقَرْنِ السَّابِعِ لَمَّا أَسْقَطَ أَجْدَادُهُمْ بِخِيَانَةِ ابْنِ الْعَلْقَمِيِّ الرَّافِضِيِّ خِلَافَةَ بَنِي الْعَبَّاسِ تَحْتَ أَقْدَامِ الْمَغُولِ. فَعَلُوا ذَلِكَ بِحَاكِمِ الْعِرَاقِ يَوْمَ عِيدِ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ يُرَدِّدُونَ الشُّعَارَاتِ الْبِدْعِيَّةَ الْبَغِيضَةَ الَّتِي تَنِمُّ عَنْ تَعَصُّبِهِمْ لِمَذْهَبِهِمُ الضَّالِّ<sup>(٢)</sup>، وَتَشِي بِمَدَى حِقْدِهِمْ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَتَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ قَوْمٌ بُهَّتْ غُدْرٌ، يُظْهِرُونَ الضَّعْفَ وَالْوَدَاعَةَ، حَتَّى إِذَا تَمَكَّنُوا لَمْ يَرْقُبُوا فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً، وَمَا يَقَعْلُونَهُ بِأَبْنَاءِ الْعِرَاقِ مِنْ

(١) وذلك أن الرافضة جعلوا العيد يوم الأحد، وجعلوا السبت الوقوف بعرفة، مخالفين جمهور المسلمين الذين وقفوا بعرفة يوم الجمعة وعيدهم السبت.

(٢) صور أحد من حضروا إعدام صدام حسين وقائع الإعدام، وكان الحضور مُلْتَمِثِينَ، ويهتفون بمقتدى الصدر الزعيم الرافضي العراقي، ويصلون على النبي ﷺ على طريقتهم ونغمتهم التي عرفوا بها. وشهد صدام بشهادة الحق قبل شنقه، وكان ثابتاً غير هيّاب، وما كان الرافضة يودون خروج هذا التسجيل، ولكن الله تعالى فضحهم؛ إذ صرحوا قبل تسرب هذا المشهد المصور للناس بتصريحات كاذبة، ففضحهم الله تعالى بتسرب مشهد الإعدام إلى الناس؛ إذ بعد إعدامه قال علي المسعدي الذي صور لقطات الفيديو الشهيرة لإعدام صدام حسين لمجلة النيوزويك الأمريكية: إن آخر ما نطق به صدام حسين قبل إعدامه هو أن العراق بلا صدام لا شيء.

وقال موفق الربيعي: إن صدام حسين كان خائفاً .. وأنه قال له: لا تخف.

وظهر كذب هذين الاثنين عقب تسرب تصوير مشهد الإعدام للناس الذي لم يكن فيه صدام خائفاً، بل كان ثابتاً قوياً، ونطق بالشهادة كاملة، ونطق في المرة الثانية بشهادة الألوهية، وشنقوه أثناء نطقه بالشهادة لمحمد ﷺ بالرسالة.

وجاء هذا الشريط فضيحة للرافضة، ودعاية لصدام -رحمه الله تعالى-؛ إذ انقلب الشارع الإسلامي إلى متعاطف معه، مترحم عليه، بعد أن كان كثير من الناس كارهين له، وآخرون لا يأبهون لأمره.

التَّعْذِيبِ وَالْحَرْقِ، وَتَشْوِيهِ الْأَجْسَادِ وَتَمْزِيقِهَا لَمْ يَفْعَلْهُ إِخْوَانُهُمْ مِنَ الصَّهَابَةِ وَالصَّلَيبِيِّينَ، كَأَنَّهُمْ بِقَتْلِهِمْ حَاكِمَ الْعِرَاقِ الْأَسِيرِ فِي الْعِيدِ الْكَبِيرِ يُوصِلُونَ رِسَالَةَ مُهِمَّةٍ لِعُمُومِ الْمُسْلِمِينَ يَقُولُونَ لَهُمْ فِيهَا: أَنْتُمْ تَفْرَحُونَ بِعِيدِكُمْ، وَنَحْنُ نَأْمُرُ وَنَنْهَى فِي عِرَاقِكُمْ، وَقَدْ خَرَجْنَا عَنْ تَقَيُّتِنَا، وَأَعْلَنَّا شِعَارَنَا الطَّائِفِيَّ حَالَ قَتْلِنَا زَعِيمًا مِنْ زُعَمَائِكُمْ، وَحَوَّلْنَا الْإِعْلَامَ مِنَ الْاهْتِمَامِ بِحَجَّتِكُمْ إِلَى مَوَاقِعِ إِهَانَتِكُمْ، وَمَوَاضِعِ ذُلِّكُمْ، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ وَمَاذَا سَتَفْعَلُونَ؟ وَمَا أَنْتُمْ إِلَّا عَاجِزُونَ.

حَتَّى إِنَّ كَاتِبًا غَرِيبًا أَثَّرَ فِيهِ الْمَشْهَدُ وَتَوَقُّيْتُهِ فَقَالَ: «إِنَّهُ عِنْدَمَا يَظْهَرُ دِكْتَاتُورٌ غُرِفَ بِوَحْشِيَّتِهِ الْاِسْتِثْنَائِيَّةِ وَهُوَ يَمُوتُ بِطَرِيقَةٍ مُسَرَّفَةٍ، وَبِشَجَاعَةٍ نَادِرَةٍ عَلَى أَيْدِي مَجْمُوعَةٍ مِنَ السَّفَاحِينَ قُطَاعِ الطُّرُقِ الْمُفْنَعِينَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَمُنُّهُ بِكُلِّ تَأْكِيدٍ تَاجِ الشُّهَدَاءِ». إِلَى أَنْ قَالَ: «مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ مَا أَرَادَهُ الْمَالِكِيُّ هُوَ بَعَثَ رِسَالَةَ مُتَعَمِّدَةٍ إِلَى سُنَّةِ الْعِرَاقِ مُفَادَهَا أَنَّ الشَّيْعَةَ هُمُ الْأَسْيَادُ الْآنَ، مِمَّا يُحَوِّلُ الْحُكُومَةَ الْعِرَاقِيَّةَ الْحَالِيَّةَ الَّتِي كَانَ هَدَفُهَا تَوْحِيدَ الْعِرَاقِيِّينَ إِلَى مُجَرَّدِ عَصَابَةِ طَائِفِيَّةٍ مُصَمِّمَةٍ عَلَى جَعْلِ السُّنَّةِ الْأَقَلِّيَّةِ الَّتِي تَدْفَعُ ثَمَنَ كُلِّ الْقَمْعِ الَّذِي مَارَسَهُ نِظَامُ صَدَّامَ بِحَقِّ الشَّيْعَةِ» (٣).

لَقَدْ التَّتَتِ الرَّغْبَةُ الْيَمِينِيَّةُ الْإِنْجِيلِيَّةُ مَعَ الْحَفْدِ الصَّفَوِيِّ الْبَاطِنِيِّ، عَلَى هَدَفٍ وَاحِدٍ وَهُوَ هَزِيمَةُ رُوحِ الْمُقَاوَمَةِ عِنْدَ السُّنَّةِ، وَمِنْ ثَمَّ الْبَدْءُ بِتَشْكِيلِ الْمُنْطَقَةِ، وَكِتَابَةِ تَارِيخٍ يَحْطُهُ الْمُتَصَرُّونَ.

إِنَّ مَشْرُوعَ تَرْكِيعِ الشَّرْقِ الْإِسْلَامِيِّ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُطَبَّقَ دُونَ إِجْهَازٍ عَلَى النُّفُوسِ الْمُقَاوِمَةِ لِلظُّلْمِ وَالْاِسْتِعْمَارِ وَالتَّغْرِيبِ وَالتَّسْيِيعِ، وَالَّذِي يَحْدُثُ فِي الْعِرَاقِ هُوَ تَجْهِيزٌ لِلْمُنْطَقَةِ بِكَامِلِهَا إِنَّ عَلَى مُسْتَوَى الْعُنْفِ وَالْقَتْلِ وَالْدَّمَارِ الَّذِي وَصَلَ إِلَى



مُسْتَوَى الْقَاعِ، وَلَيْسَ بَعْدَ الْقَاعِ إِلَّا رَمِي رَكَائِزُ الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ الْجَدِيدِ، أَوْ عَلَى مُسْتَوَى السِّيَاسَاتِ الْعَامَّةِ، أَوْ عَلَى مُسْتَوَى التَّهْيِئَةِ النَّفْسِيَّةِ.

وَاخْتِيَارُ هَذَا الْمَوْعِدِ لِإِعْدَامِ صَدَّامٍ هُوَ آخِرُ بِالْوَنَاتِ الْإِخْتِيَارِ؛ لِلتَّأَكُّدِ مِنْ أَنَّ التَّخْدِيرَ قَدْ جَرَى فِي شَرَايِينِ أَبْنَاءِ الْمِنْطَقَةِ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَعُودُوا يَشْعُرُونَ بِالْأَلَمِ، فَمَا لِيُجْرَحَ بِمَيِّتٍ إِيْلَامٌ! (٤).

رَدَّ اللَّهُ تَعَالَى كَيْدَهُمْ عَلَيْهِمْ، وَحَفِظَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ شَرِّهِمْ وَمَكْرِهِمْ. أَتُهَا الْإِخْوَةُ: وَمَا أَنْ وَقَعَ هَذَا الْحَدَثُ الْكَبِيرُ فِي عَالَمِ السِّيَاسَةِ، وَنَقَلَتْ وَسَائِلُ الْإِعْلَامِ وَقَائِعَ إِعْدَامِ حَاكِمِ الْعِرَاقِ إِلَّا وَتَحَوَّلَ اهْتِمَامُ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَكَثُرَتْ أَقَاوِيلُهُمْ فِيهِ، وَخُصِّصَتْ بِرَامُجٍ إِعْلَامِيَّةٍ تَحْكِي سِيرَةَ الزَّعِيمِ الْمَقْتُولِ، وَعُقِدَتْ مُنَاطَرَاتٌ لِأَجْلِهِ، وَسُودَتْ صَفَحَاتٌ فِي حَيَاتِهِ وَأَعْمَالِهِ، وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَضَاعَ الْعَامَّةُ فِي خِضَمِّ هَذَا الْإِخْتِلَافِ.

فَطَائِفَةٌ رَأَوْا فِي الزَّعِيمِ الْمَقْتُولِ رَمْزًا مِنْ رُمُوزِ الْأُمَّةِ، وَعَلَمًا مِنْ أَعْلَامِهَا، مُدَافِعًا عَنْ قَضَايَاهَا، حَرِيصًا عَلَى مَصَالِحِهَا، حَامِيًا لِبَيْضَتِهَا، وَمَا قَصَدَهُ صَهَائِنُهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى إِلَّا لِأَنَّهُ أَعْظَمُ خَطَرٍ عَلَيْهِمْ، وَمَا تَشَفَّى فِيهِ الْفُرْسُ الصَّفَوِيُّونَ وَأَذْنَابُهُمْ إِلَّا لِأَنَّهُ كَانَ السَّدَّ الْمَنِيْعَ دُونَ مَشْرُوعَاتِهِمُ التَّوَسُّعِيَّةِ.

وَيَرَى هَذَا الْفَرِيقُ مِنَ النَّاسِ أَنَّ إِعْدَامَهُ هُوَ إِعْدَامٌ لِلنِّظَامِ الْعَرَبِيِّ بِرُمَّتِهِ، وَهُوَ رِسَالَةٌ لِكُلِّ مَنْ يَقِفُ حَائِلًا دُونَ الْمَشْرُوعَاتِ الصَّهْيُونِيَّةِ أَوْ الْمَشْرُوعَاتِ الْبَاطِنِيَّةِ الصَّفَوِيَّةِ بِأَنَّهُ سَيَلْقَى نَفْسَ الْمَصِيرِ.

وَبَالِغٌ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَجَعَلُوهُ شَهِيدَ الْأُمَّةِ الَّذِي لَنْ يَتَوَحَّدَ الْعِرَاقُ بَعْدَهُ، وَلَا خَيْرٌ فِي الْأُمَّةِ عَقِبَهُ، وَعَدُوهُ فِي مَصَافِّ قَادَةِ الْإِسْلَامِ الْعُظَمَاءِ، وَتَأَلَّى بَعْضُهُمْ عَلَى

(٤) من مقالة (أضحية اليمين المحافظ) د. عبدالله بن موسى الطائر، الساحة السياسية.

اللَّهُ تَعَالَى فَحَكَمَ لَهُ بِالشَّهَادَةِ وَالْجَنَّةِ .

وَفِي كَلَامٍ هَؤُلَاءِ حَقٌّ وَبَاطِلٌ، وَالْأُمَّةُ الْعَاجِزَةُ الْمَظْلُومَةُ تَتَعَلَّقُ بِأَيِّ رَمَزٍ تَرَاهُ قَدْ تَحَدَّى أَعْدَاءَ الْأُمَّةِ فِي الْعَلَنِ، وَلَوْ كَانَ فِيهِ حَيْدَةٌ عَنْ مَنْهَجِهَا وَرِسَالَتِهَا، وَفِي زَمَنِ الدَّلِّ تَتَعَلَّقُ الْقُلُوبُ بِمَنْ فِيهِمْ عِزَّةٌ، وَحَالِ انْتِشَارِ الْخَوْفِ وَالْجُبْنِ يُحِبُّ النَّاسُ الشُّجَاعَ فِيهِمْ، وَتُعْمِيهِمْ شَجَاعَتُهُ وَعِزَّتُهُ عَمَّا فِيهِ مِنْ خَلَلٍ وَقُصُورٍ .

فِي مُقَابِلِ هَذَا الْفَرِيقِ فَرِيقٌ آخَرُ لَمْ يَرَوْا فِي حَاكِمِ الْعِرَاقِ إِلَّا خَائِنًا لِأُمَّتِهِ، مُمَالِيًا لِأَعْدَائِهَا، سَفَاكًا لِذِمَائِهَا، غَشُومًا فِي حُكْمِهَا، قُوَّةً عَلَى شُعْبِهِ لَا عَلَى أَعْدَائِهِ . وَسِيَاسَاتُهُ الْخَرْقَاءُ وَتَصَرُّفَاتُهُ الرَّعْنَاءُ جَرَّتِ الْمِنْطَقَةَ إِلَى وَيَلَاتٍ لَا عَافِيَةَ مِنْهَا، وَوَطَنْتِ لِلصَّلِيبِيِّينَ وَالصَّهَابِيَّةِ مَوَاضِعَ أَقْدَامٍ مِنَ الْعَسِيرِ زَحَزَحَتْهَا، وَيَعْزُو هَذَا الْفَرِيقُ مِنَ النَّاسِ كُلَّ بَلَاءِ الْأُمَّةِ إِلَيْهِ، وَيَجْزُمُونَ بِأَنَّهُ الصَّفْحَةُ السُّودَاءُ الْوَحِيدَةُ فِي بِلَادِ الرَّافِدِينَ، وَلَا يَرَوْنَ لَهُ حَسَنَةً وَاحِدَةً .

وَيَعْدُونَ تَغْيِيرَهُ فِي آخِرِ فِتْرَةٍ حُكْمِهِ، وَاتِّجَاهَهُ لِبِنَاءِ الْمَسَاجِدِ، وَتَوْسِيعِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالْعِنَايَةِ بِالْقُرْآنِ وَحِفْظِهِ . . يَعْدُونَ ذَلِكَ انْتِهَازِيَّةً لِيَجْمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ بَعْدَ ضَجَرِهِمْ مِنَ الْحِصَارِ، وَمُسَاوَمَةٍ مِنْهُ لِلْغَرْبِ، وَاسْتِخْدَامًا مِنْهُ لِلدِّينِ سِلَاحًا يُهَدِّدُهُمْ بِهِ .

كَمَا يَرَوْنَ أَنَّ ثَبَاتَهُ فِي مُحَاكَمَتِهِ، وَاضْطِحَابَهُ مُضَحِّفَهُ، وَمُحَافَظَتَهُ عَلَى الصَّلَاةِ فِي سِجْنِهِ، مَا هُوَ إِلَّا عَمَلُ الْبَائِسِ الْيَائِسِ الَّذِي فَقَدَ كُلَّ شَيْءٍ، فَرَكَنَ إِلَى الدِّينِ لِيُخَدِّعَ النَّاسَ، وَيَكْسِبَ تَعَاطُفَهُمْ، وَتَأَلَّى بَعْضُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فَرَعُمُوا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَغْفِرُ لَهُ، وَأَنَّ جَهَنَّمَ مَأْوَاهُ، وَأَنَّ نُطْقَهُ لِشَهَادَةِ الْحَقِّ قَبْلَ مَوْتِهِ لَا يَنْفَعُهُ، وَأَنَّ إِيْمَانَهُ كإِيْمَانِ فِرْعَوْنَ حَالَ غَرْغَرَتِهِ<sup>(٥)</sup> .

(٥) وللعلم فقد أصدر الشيخ عبد الرحمن البراك - حفظه الله تعالى - بياناً قرر فيه تكفير صدام =

قال فيه :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. أما بعد: فمن المعلوم أن صدام أحد قادة حزب البعث العربي، والمعروف أن حزب البعث يقوم على مبادئ جاهلية وإلحادية، وكان أمين الحزب ميشيل عفلق النصراني، ولم يُعلم أن صدامًا أعلن براءته من حزب البعث بعد احتلال الأمريكان للعراق ولا قبل ذلك.

وأما ما يتظاهر به من الإسلام والنطق بالشهادتين؛ فلا يكفي؛ فإن كثيرًا من الملاحدة المنتسبين إلى الإسلام يتكلمون بالشهادتين ويتمسحون بالإسلام. وعلى هذا فنفوض أمر صدام إلى الله ولا نحكم عليه فيما بينه وبين الله؛ ولا نترحم عليه؛ ولا نصلي عليه لو قُدِّم للصلاة عليه؛ لأن كل ما أظْهَرَهُ لا يدل على انتقاله عما كان عليه، وما اشتهر به من زعامته لحزب البعث والإيمان بمبادئه.

وأما الذين قتلوه فهم الصليبيون والرافضة، وعداواتهم له سياسية، وكذلك يعاديه الرافضة من جهة انتسابه لأهل السنة، وأما اختيار يوم العيد لقتله يظهر أنه مضاهاة لقتل أمير من أمراء دولة بني أمية وهو خالد القسري للجعد بن درهم -إمام المعطلة- حيث قتله يوم عيد الأضحى وقال: ضحوا تقبَّلَ الله ضحاياكم فإني مُضَحٌّ بالجعد بن درهم؛ فإنه يزعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا ولم يكلم موسى تكليمًا، فنزل من المنبر فذبحه .. والرافضة ثوالي الجهمية المعطلة، ولهذا اعتنقوا مذهب المعتزلة.

فنحن أهل السنة غير آسفين على قتل صدام، فمثله مثل غيره من الزعماء الذين يحاربون الإسلام ويتشدقون بالإسلام، ويظن النصارى والرافضة أن في قتله مراغمة لأهل السنة، وهم واهمون في ذلك.

إطاحة الأمريكان بدولة صدام ومعاونة الرافضة لهم، من عقوبة الله للظالمين بالظالمين، وقد يُسلَّط على الشرير مَنْ هو أشدَّ منه، ونسأل الله سبحانه أن يعز الإسلام والمسلمين، وأن ينصر المجاهدين في العراق وفي كل مكان .. اه كلامه حفظه الله تعالى.

قلت: ومع تقديري وتقيري الشديدين للشيخ العلامة الجليل فلا أوافق في فتواه، ولا أعلم أن أحدًا من أهل العلم وافقَهُ عَلَيْهَا، وأما فتوى الشيخ ابن باز -رحمه الله تعالى- في أزمة الخليج فمختلفة؛ لأنه لم يعلم بتغير الرجل، ولا سمع نطقه بالشهادة قبل موته مباشرة، وكنت قد كتبت خطبة إبان القبض على صدام عنوانها (نهاية طاغية) ورجوت له فيها الهداية قبل موته، وهي مطبوعة في المفيد المجلد (٤) خطبة رقم (١٩٠). وكنت =

= وقتها أرى ما يرى الشيخ قبل علمي بتغير الرجل، وتوجهه نحو الدين وأهله، وتركه انحرافات السابقة، ثم كانت خاتمته الحسنة بنباته ونطقه للشهادتين أكبر دليل على إيمانه إن شاء الله تعالى، ولا أحد ينطق بالشهادة في ذلك الموقف رغبة في الخلق أو رهبة منهم، ولا سيما أن جلاديه من الصفويين يكرهونها منه، ولست أظن أن الله تعالى يوفق عبداً لنطقها في هذا الموقف العسير، وقلبه لا يؤمن بها، وعمله يخالف مضمونها.

وقد ثبت تغييره -رحمه الله تعالى- من غير وجه، وألف بعض أهل العلم في العراق كتاباً في ذلك قرأته كاملاً، وهو مليء بالحقائق والشواهد على تغير الرجل، بل يجزم أصحاب الكتاب أن تغييره، واتجاهه للدين وأهله هو السبب المباشر لغزو الأمريكان له؛ خشية من خطره عليهم وعلى ربيبتهم إسرائيل.

وأما التعلل بأنه مات على عقيدة حزب البعث؛ فذلك ظن مبني على استصحاب حاله من قبل، ولا يزيل هذا الظن يقين نطقه للشهادتين وختم حياته بها.

ثم إن الشخص قد يكفر بالطاغوت ولا يعلن ذلك لمصلحة تقتضي إخفاء إيمانه كما كان حال مؤمن آل فرعون، وصادم هو رئيس حزب البعث، ولم يبلغ السلطة إلا بواسطته، فليس من الهين أن يعلن كفره به بعد تغييره، وقد ربي الناس على الانتماء إليه ثلاثة عقود، وقد نقل عنه أنه كان يسعى لأسلمة حزب البعث، والقرارات التي فرضها على أعضاء الحزب تؤكد ذلك، كالإزام أفراد الحزب بالصلاة، وحفظ شيء من القرآن وغير ذلك.

فإن قيل: كتبه لإيمانه ظن، وانتماؤه للحزب يقين، واليقين لا يزال بالظن، قيل: وإيمانه بكل مبادئ الحزب مع علمه بها وبموجباتها، ونفي الإكراه والتأويل عنه ظن، واليقين تغييره في آخر حياته، وتوجهه إلى الله تعالى، ومداومته على الصلاة والقرآن بشهادات متواترة، ومشاهدات ظاهرة على شاشات التلفزة، ولا يزال اليقين بالظن.

والرجل قد ينضوي تحت لواء الطاغوت أو حزبه أو منظمته مع عدم إيمانه بكل مبادئه، بل قد يكون انضواؤه لتحقيق مصلحة راجحة، أو دفع مفسدة مؤكدة، فهل يكفر بسبب ذلك مع طمأنينة قلبه بالإيمان؟! =

وقد ينضوي تحتها ويكون متأولاً لا يرى أن ذلك مناقض لعقيدة التوحيد، أو يكون جاهلاً يعذر بجهله، ومن المعلوم أن الدول الإسلامية كافة قد انضوت تحت المنظمات الدولية بكافة أشكالها؛ لتحقيق مصالح بلدانها، ودفع ضرر المستكبرين عنها، فهل يقال بكفر كل هذه الدول، وكفر كل من يتعامل مع تلك المنظمات الدولية!! =

وَكَمَا أَنَّ فِي حُكْمِ الْفَرِيقِ الْأَوَّلِ حَقٌّ وَبَاطِلٌ فَنَفِي مَا حَكَاهُ هَؤُلَاءِ أَيْضًا حَقٌّ وَبَاطِلٌ، وَيَبَيِّنُ هَذَيْنِ الرَّأْيَيْنِ الْمُتَبَايِنَيْنِ آرَاءَ أُخْرَى كَثِيرَةٌ مُشْرِقَةٌ وَمُغْرِبَةٌ، يَضِيعُ كَثِيرٌ مِنَ الْحَقِّ فِي ثَنَائِهَا، وَيَضْرِبُ الْبَاطِلُ أَوْتَادَهُ فِيهَا.

وَالَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَعْلَمَهُ كُلُّ مُسْلِمٍ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُطَالِبُ عَامَّةَ النَّاسِ بِالْحُكْمِ عَلَى عِبَادِهِ وَمَالَاتِهِمْ؛ لِأَنَّ الْحُكْمَ فِيهِمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَلَيْسُوا مُكَلَّفِينَ بِالْخَوْضِ فِيمَا لَا يَعْلَمُونَهُ مِنْ أَحْوَالِ الرِّجَالِ؛ فَمَنْ تَكَلَّمَ فِيهِمْ وَجَبَ أَلَّا يَتَكَلَّمَ إِلَّا بِعِلْمٍ وَعَدْلٍ، وَأَنْ يَتَحَرَّى الْحَقَّ فِيمَا يَقُولُ وَلَوْ كَانَ ثَقِيلَ الْوُطْأَةِ عَلَى نَفْسِهِ، وَأَنْ يُخْلِصَ فِي حُكْمِهِ وَقَوْلِهِ لِلَّهِ تَعَالَى، لَا يَبْتَغِي بِذَلِكَ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، وَلَا يُرِيدُ نَصْرَ طَائِفَةٍ أَوْ حِزْبٍ، أَوْ النَّكَايَةَ وَالشَّمَاتَةَ بِآخَرِينَ، وَاضِعًا نُصْبَ عَيْنَيْهِ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاؤُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨]، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾

[الأَنْعَام: ١٥٢].

= بل إن المنظمات الإسلامية التي تقوم على الدعوة والإغاثة ونفع المسلمين في أرجاء الأرض تستبق لتسجيل عضويتها في منظمات دولية طاغوتية ظالمة، وتكون تحت مظلتها؛ لتسلم من الملاحقة والحصار والتضييق؛ ولتحفظ لها حقوقها، فهل يقال إن القائمين على هذه المنظمات كفار لإيمانهم بالطاغوت وعدم براءتهم منه؟! وأيضًا: فصدام من عوام المسلمين، ومن جهلتهم بالعلم الشرعي، ولا علم لديه بأنه يلزمه في توبته الصّدع بالكفر بحزب البعث والتبري منه، والذي أراه -والعلم عند الله تعالى- أنه يُصَلِّي عليه، ويستغفر له، وترجى له الرحمة.

وأقول أيضًا: لا يجوز الطعن في الشيخ العلامة الجليل بسبب هذه الفتوى؛ لأنه مجتهد ولا يسعه أن يقول إلا ما يدين الله تعالى به، وما نحن -طلبة العلم والدعاة- إلا عيال عليه في العلم، ولن نبليغ مبلغ علمه وعمله وفضله وسابقته، نحسبه كذلك والله تعالى حسيبه، وهو بين أجر وأجرين، واجتهاده حفظه الله تعالى له حظ من الدليل والنظر، وإن لم يوافقه عليه كثير من طلبة العلم، والله أعلم.

لَقَدْ مَرَّتْ بِحَاكِمِ الْعِرَاقِ أَطْوَارُ وَأَحْوَالُ جَعَلَتِ النَّاسَ يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، وَيَحْتَارُونَ فِي أَمْرِهِ، فَهُوَ رُبَّانُ حِزْبِ الْبُعْثِ الْكَافِرِ بِاللَّهِ تَعَالَى، الْمُؤْمِنِ بِالْعُرُوبَةِ، وَهُوَ فَارِضُهُ عَلَى أَفْرَادِ شُعْبِهِ، وَمَا بَلَغَ الْحُكْمَ إِلَّا عَلَى سَيْلٍ مِنَ الدَّمَاءِ، وَأَكْوَامٍ مِنَ الْجُثَثِ، ثُمَّ لَمَّا حَكَمَ النَّاسَ أَمْعَنَ فِي ظُلْمِهِمْ، وَأَسْكَتَ أَصْوَاتَهُمْ، وَسَارَ سِيرَةً فِرْعَوْنَ: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]، وَكَانَتْ جَرِيمَتُهُ الشَّنْعَاءُ بِخِيَانَتِهِ لِحَبِيرَانِهِ، وَاجْتِيَا حِ بِلَادِهِمْ، وَاسْتِخْلَالَ دِمَائِهِمْ وَنِسَائِهِمْ، مِمَّا أَوْجَدَ الْمَعَاذِيرَ لِلدُّوَلِ الْمُحْتَلَّةِ أَنْ تَضَعَ أَقْدَامَهَا، وَتَتَصَبَّ قَوَاعِدَهَا فِي مِنْطَقَةٍ حُرِّمَتْ مِنْهَا.

فَجَرَى عَلَيْهِ مَا جَرَى مِنَ الْحَرْبِ وَالْحِصَارِ، فَتَغَيَّرَ عَقِبَ ذَلِكَ، وَقَوَّى الدِّينَ وَأَهْلَهُ، وَاللَّهُ تَعَالَى وَحْدَهُ أَعْلَمُ بِنِيَّتِهِ، وَلَيْسَ لِلنَّاسِ إِلَّا الْحُكْمُ عَلَى ظَاهِرِهِ، ثُمَّ ارْزَادَ تَمَسُّكُهُ بِدِينِهِ عَقِبَ أَسْرِهِ، فَمَا فَارَقَهُ مُصْحَفُهُ بِشَهَادَةِ أَعْدَائِهِ قَبْلَ أَصْحَابِهِ، وَظَهَرَ اعْتِرَازُهُ بِدِينِهِ أَثْنَاءَ مُحَاكَمَتِهِ حَتَّى أُخْرِجَ قُضَاةَ الزُّورِ بِشَبَاتِهِ وَعِزَّتِهِ، ثُمَّ كَانَتْ الْحَاثِمَةُ الْحَسَنَةُ بِرِبَاطَةِ جَاشِيهِ - وَالْحَبْلُ عَلَى رَقَبَتِهِ - وَنُطْقُهُ بِالشَّهَادَتَيْنِ قَبْلَ شَنْقِهِ «وَمَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ مِنَ الدُّنْيَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(٦)</sup>.

وَلَمَّا قَتَلَ أَسَامَةُ رضي الله عنه رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ بَعْدَ نُطْقِهِ لِلشَّهَادَتَيْنِ أَنْكَرَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، فَزَعَمَ أَسَامَةُ أَنَّهُ إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السَّيْفِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم

(٦) أخرجه من حديث معاذ رضي الله عنه: أبو داود في الجنائز، باب في التلقين (٣١١٦)، وأحمد (٢٣٣/٥)، والطبراني في الكبير (١١٢/٢٠) رقم (٢٢١)، والبخاري (٢٦٢٦)، وصححه الحاكم (٥٠٣/١)، وابن منده في الإيمان (٢٤٨/١).

ويشهد له حديث عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ» أخرجه مسلم في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (٢٦).

لَأَسَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟!» رَوَاهُ مُسْلِمٌ <sup>(٧)</sup>.  
 فَنَرَجُو لِحَاكِمِ الْعِرَاقِ بِنُطْقِهِ الشَّهَادَتَيْنِ الْمَغْفِرَةَ وَالْجَنَّةَ، وَلَا نَجْزِمُ لَهُ بِذَلِكَ،  
 فَلَا يَعْلَمُ مَا فِي قَلْبِهِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وَلَا نَجْعَلُ مَاضِيَهُ الْأَسْوَدَ حَائِلًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ  
 قَبُولِ التَّوْبَةِ؛ فَقَدْ قَبِلَ اللَّهُ تَعَالَى تَوْبَةَ مَنْ هُمْ أَكْثَرُ كُفْرًا وَإِجْرَامًا مِنْهُ، فَنَقَلَهُمُ اللَّهُ  
 تَعَالَى بِتَوْبَتِهِمْ مِنْ كُفَّارٍ فَجَرَةٍ إِلَى مُؤْمِنِينَ بَرَّةٍ، كَبَعْضِ مُسْلِمَةِ الْفَتْحِ مِنْ قُرَيْشِ  
 الَّذِينَ آذَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحَاوَلُوا قَتْلَهُ، وَحَارَبُوهُ وَعَذَّبُوا أَصْحَابَهُ.  
 وَقَبِلَ سُبْحَانَهُ تَوْبَةَ مَنْ قَتَلَ مِنْهُ نَفْسٍ وَهَاجَرَ تَائِبًا إِلَى قَرْيَةٍ مُسْلِمَةٍ، فَقُبِضَتْ  
 رُوحُهُ قَبْلَ بُلُوغِهَا، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَوَسِعَتْهُ  
 رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى، فَتَوَلَّيْتُهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ <sup>(٨)</sup>.  
 وَغَفَرَ اللَّهُ تَعَالَى لِرَجُلٍ أَسْرَفَ عَلَى نَفْسِهِ، فَأَمَرَ أَنْ يُحْرَقَ جَسَدُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ،  
 وَأَنْ يُنْشَرَ رَمَادُهُ فَتَذَرُوهُ الرِّيحُ، فَلَا يَجْمَعُهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَشَكَّ فِي قُدْرَتِهِ سُبْحَانَهُ  
 عَلَى جَمْعِهِ، وَلَكِنْ مَا حَمَلَهُ عَلَى مَا فَعَلَ إِلَّا خَوْفُهُ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَغَلَبَ خَوْفُهُ مِنَ اللَّهِ  
 تَعَالَى شَكَّهُ فِي قُدْرَتِهِ سُبْحَانَهُ، فَغَفَرَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: «فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ لَمَّا  
 جَمَعَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: خَشِيتُكَ يَا رَبِّ، فَغَفَرَ لَهُ بِذَلِكَ» رَوَاهُ  
 الشَّيْخَانُ <sup>(٩)</sup>.

(٧) أخرجه من حديث أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مسلم في الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال  
 لا إله إلا الله (٩٦)، وأبو داود في الجهاد، باب على ما يقاتل المشركون (٢٦٤٣)،  
 والنسائي في الكبرى (٨٥٩٤)، وأحمد (٢٠٧/٥).

(٨) ينظر خبره في صحيح البخاري في الأنبياء، باب حديث الغار (٣٢٨٣)، وصحيح مسلم  
 في التوبة، باب توبة القاتل وإن كثر قتله (٢٧٦٦) من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٩) أخرجه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: البخاري في الأنبياء، باب حديث الغار (٣٢٩٤)،  
 ومسلم في التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه (٢٧٥٦).

وَلَعَلَّ مَا أَصَابَ حَاكِمَ الْعِرَاقِ مِنْ عَظِيمِ الْعُقُوبَةِ وَالْإِبْتِلَاءِ بِخَسَارَةِ عَرْشِهِ،  
وَقَتْلِ بَنِيهِ وَبَنِيهِمْ، وَتَشْرِيدِ أَسْرَتِهِ، وَسَجْنِهِ وَمُحَاكَمَتِهِ وَقَتْلِهِ، مَعَ تَوْبَتِهِ وَنُطْقِهِ  
لِلشَّهَادَتَيْنِ .. لَعَلَّ ذَلِكَ مُكْفَّرًا لِمَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِهِ.

وَأَمَّا حُقُوقُ الْعِبَادِ وَدِمَاؤُهُمْ، وَظُلْمُهُ لَهُمْ؛ فَالْحُكْمُ فِيهَا لِلْعَلِيِّ الْكَبِيرِ،  
وَسَيَقِفُ هُوَ وَخُصُومُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمَامَ حَكَمٍ عَدْلٍ لِلْقَصَاصِ، وَاسْتِيفَاءِ الْحُقُوقِ،  
وَلَا يَظْلُمُ رَبُّكَ أَحَدًا.

وَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ الَّذِي شَاهَدَ هَذَا الْمَشْهَدَ أَنْ يَفْرَحَ بِتَوْبَةِ جَبَّارِ الْعِرَاقِ  
حِينَ تَابَ، وَبِنُطْقِهِ الشَّهَادَتَيْنِ، وَلَا يَكُونُ كُرْهُهُ لَطُغْيَانِهِ وَأَفْعَالِهِ السَّيِّئَةِ مَانِعًا لَهُ  
مِنَ الْفَرَحِ بِتَوْبَتِهِ، أَوْ يَتَمَنَّى أَنَّهُ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ، أَوْ خُتِمَ لَهُ بِخَاتِمَةِ السُّوءِ؛ فَإِنَّ  
مِنْ لَوَازِمِ ذَلِكَ مَحَبَّةَ بَقَاءِ الْكُفْرِ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ، وَإِرَادَتُهُ مِنْ بَعْضِ  
الْأَشْخَاصِ، نَعُودُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْجَهْلِ وَالْهَوَى.

وَقَدْ فَرِحَ النَّبِيُّ ﷺ بِتَوْبَةِ مُسْلِمَةِ الْفَتْحِ رَغَمَ أَذَاهُمْ لَهُ وَلَأَصْحَابِهِ ﷺ،  
وَفَرِحَ ﷺ بِتَوْبَةِ الْعَلَامِ الْيَهُودِيِّ الَّذِي زَارَهُ وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ، فَدَعَاهُ لِلْإِسْلَامِ  
فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ» رَوَاهُ  
الْبُخَارِيُّ<sup>(١٠)</sup>.

وَهَكَذَا يَجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَفْرَحَ بِإِيمَانِ الْكَافِرِ، وَتَوْبَةِ الْعَاصِي، وَيَتَمَنَّى أَنْ  
يُخْتَمَ بِالْحُسْنَى لِكُلِّ النَّاسِ. كَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَوَخَّى الْعَدْلَ فِي أَحْكَامِهِ  
وَأَقْوَالِهِ، وَيَتَجَرَّدَ مِنَ الْهَوَى فِي حُكْمِهِ، وَلَا يَحْكُمَ إِلَّا بِعِلْمٍ، وَلَا يَقُولَ فِي  
الرِّجَالِ بِالظَّنِّ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَأَلَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ

(١٠) أخرجه من حديث أنس رضي الله عنه: البخاري في الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟ وهل يعرض على الصبي الإسلام؟ (١٢٩٠)، وأبو داود في الجنائز، باب في عيادة الذمي (٣٠٩٥)، والنسائي في الكبرى (٨٥٨٨)، وأحمد (٢٢٧/٣)، وابن حبان (٢٩٦٠).



قَوْلِ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾، ﴿وَلَنْ عَلَيْكُمْ لحَفِظِينَ ﴿١٩﴾ كِرَامًا كَتِيبِينَ ﴿٢٠﴾ يَعْمُونَ مَا تَعْمَلُونَ﴾ [الأنفطار: ١٠-١٢].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ . . . .



### الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنِ اهْتَدَى بِهَدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ -عِبَادَ اللَّهِ- وَخُذُوا مِمَّا تَرَوْنَ مِنْ أَحْدَاثٍ عِبْرًا؛ فَإِنَّ السَّعِيدَ مَنْ اعْتَبَرَ بِغَيْرِهِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: فِي ضَجَّةِ هَذَا الْحَدَثِ الْكَبِيرِ بِمَقْتَلِ زَعِيمٍ مِنْ زُعَمَاءِ الْعَرَبِ كَانَتْ لَهُ صَوْلَاتٌ وَجَوَلَاتٌ يَهْتَمُّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ بِذَاتِ الْحَدَثِ، وَيَنْشَغِلُونَ بِمُجَرِّيَاتِهِ وَتَفَاصِيلِهِ عَنْ دُرُوسِهِ وَعِبَرِهِ، فَيَكُونُ الْحَدَثُ -مَعَ أَهَمِّيَّتِهِ- عَدِيمَ الْفَائِدَةِ بِالنِّسْبَةِ لَهُمْ. وَكَمْ مَرَّتْ بِالنَّاسِ مِنْ أَحْدَاثٍ قَلَّ فِي النَّاسِ مِنْ اسْتِفَادَ مِنْهَا، بِسَبَبِ الْجَهْلِ وَالْعَفْلَةِ، وَكَثْرَةِ الشَّهَوَاتِ وَالْمُلْهِيَاتِ؟

وَدُرُوسُ هَذَا الْحَدَثِ الْجَدِيدِ كَثِيرَةٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ؛ فَمِمَّا يُسْتَفَادُ مِنْهُ: أَنَّ عَاقِبَةَ الظُّلْمِ وَخِيَمَةُ، وَنَهَايَةَ الظَّالِمِينَ أَلِيْمَةٌ، وَلَعَلَّ مَا أَصَابَ حَاكِمَ الْعِرَاقِ عُقُوبَةٌ لَهُ عَلَى ظُلْمِهِ أَيَّامَ سَطْوَتِهِ وَجَبْرُوتِهِ، وَلَرُبَّمَا رَفَعَ مَظْلُومٌ يَدَيْهِ إِلَى رَبِّهِ فِي حَبِيبٍ قَتَلَهُ أَرْلَامُهُ فَاسْتَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى دَعْوَتَهُ، فَجَرَى عَلَيْهِ مَا جَرَى.

وَلَمَّا نَكَبَ الْبَرَامِكَةُ فِي دَوْلَةِ الرَّشِيدِ الْعَبَّاسِيِّ قَالَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى لِأَبِيهِ -وَهُمْ فِي الْقُبُودِ وَالْحَبْسِ-: يَا أَبَتِ، بَعْدَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْأَمْوَالِ الْعَظِيمَةِ أَصَارَنَا الدَّهْرُ إِلَى الْقُبُودِ وَلُبْسِ الصُّوفِ وَالْحَبْسِ؟ فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: يَا بُنَيَّ، دَعْوَةُ مَظْلُومٍ سَرَتْ بِلَيْلٍ عَقَلْنَا عَنْهَا وَلَمْ يَعْمَلِ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا<sup>(١١)</sup>.

وَفِي التَّارِيخِ الْقَدِيمِ وَالْمُعَاصِرِ عَبَّرَ فِي مَصَارِعِ الظَّالِمِينَ . . تَأَمَّلُوا مَصْرَعَ فِرْعَوْنَ وَأَبِي جَهْلٍ وَأَبِي بَنٍ خَلَفٍ وَأَبِي طَاهِرٍ الْقُرْمِطِيِّ، وَفِي التَّارِيخِ الْمُعَاصِرِ مَاذَا كَانَتْ نَهَايَةُ هُنْتَلَرِ النَّازِيِّ، وَمُوسُولِينِي الْفَاشِيِّ، وَشَاهِ إِيرَانَ، وَطَاغِيَةِ رُومَانِيَا تَشَاوُشْسَكُو، وَطَاغِيَةِ الصَّرْبِ مِيلِيْسُوفْتَش، وَغَيْرِهِمْ كَثِيرٌ؟ لَقَدْ طَعَوْا وَتَجَبَّرُوا وَظَلَمُوا، ثُمَّ أَذَاقَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى الذَّلَّ فِي الدُّنْيَا.

لَقَدْ زَالُوا كَأَن لَّمْ يَكُونُوا، وَيَا وَيْلَهُمْ مِنْ مَظَالِمٍ تَنْتَظِرُهُمْ! فَحَرِيٌّ بِكُلِّ مَنْ وَلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَلَايَةً كَبِيرَةً أَوْ صَغِيرَةً أَلَّا يَغْتَرَّ بِسُلْطَتِهِ وَقُوَّتِهِ، وَأَنْ يَتَوَخَّى الْعَدْلَ فِي رَعِيَّتِهِ، وَأَنْ يَأْخُذَ مِنْ سِيرِ الظَّالِمِينَ وَمَصَارِعِهِمْ أَعْظَمَ الْعِظَةِ وَالْعِبْرَةِ.

وَعَلَى كُلِّ عَاقِلٍ أَلَّا يَغْتَرَّ بِالدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا؛ فَإِنَّ تَقَلُّبَاتِهَا كَثِيرَةٌ، وَكَمْ مِنْ عَزِيزٍ ذَاقَ ذُلَّهَا! وَكَمْ مِنْ غَنِيِّ أَوْجَعَهُ فَقْرُهَا! وَلَقَدْ مَرَّتْ أَيَّامٌ عَلَى حَاكِمِ الْعِرَاقِ ظَهَرَ فِيهَا مَرْهُوًّا أَمَامَ الشَّاشَاتِ، وَالْجُمُوعُ تَحْفُ بِمَوْكِبِهِ، وَتَطْلُ عَقْبُهُ، وَتَهْتَفُ لَهُ، تَمَنَّى أَثْنَاءَهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مَكَانَتَهُ، وَحَلَمُوا بِأَمْوَالِهِ وَقُصُورِهِ وَرَفَاهِيَّتِهِ، وَلَوْ عَلِمُوا نَهَايَتَهُ لَمَا تَمَنَّى وَاحِدٌ مِنْهُمْ سُلْطَانَهُ، وَلَا غَبَطَهُ عَلَى مَا هُوَ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ؛ لِعِلْمِهِ بِالْبُؤْسِ الَّذِي بَعْدَهُ، وَلَا حَسَدَهُ عَلَى عِزِّ يَعْقُبُهُ ذُلٌّ؛ وَأَيُّ ذُلٍّ!!

وَقَدْ حَسَدَ قَارُونُ مِنْ قَبْلِ عَلَى مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا وَأَمْوَالِهَا ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ قَالَ الَّذِيكَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ

فَقُرُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ [القصص: ٧٩]. وَلَكِنْ مَا أَنْ حَلَ الْعَذَابُ بِهِ، وَعَلِمُوا عَاقِبَتَهُ حَتَّى نَدِمُوا عَلَى أُمْنِيَّتِهِمْ، وَأَدْرَكُوا أَنَّ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْمَالِ وَالنَّعِيمِ كَانَ وَبَالًا عَلَيْهِ ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَابُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [القصص: ٨٢].

ثُمَّ تَأَمَّلُوا حِكْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا يَقْدِرُهُ عَلَى الْعِبَادِ مِمَّا يَظُنُّونَهُ شَرًّا لَهُمْ، وَفِيهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا لَا يَعْلَمُونَهُ، فَإِنَّهُ يَغْلِبُ عَلَى ظَنِّنَا أَنَّ حَاكِمَ الْعِرَاقِ لَمَّا اكْتَمَلَتْ لَهُ الدُّنْيَا كَانَ بَعِيدًا عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، مُحَارِبًا لِأَوْلِيَائِهِ، مُمَالِيًا لِأَعْدَائِهِ، قَدْ أَسْكَرَتْهُ السُّلْطَةُ عَنْ تَذَكُّرِ رَبِّهِ ﷻ، وَأَغْفَلَهُ الْمُلْكُ عَنْ مَعْرِفَةِ دِينِهِ، وَلَوْ خَيْرٌ وَقْتَهَا أَنْ يَمُوتَ عَلَى حَالِهِ أَوْ يَفْقِدَ مُلْكَهُ لَا اخْتَارَ الْمَوْتَ.

وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَضَى عَلَيْهِ مَا لَمْ يَخْتَرْ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ؛ إِذْ كَانَ فِيمَا حَاقَ بِهِ مِنْ عُقُوبَاتٍ وَابْتِلَاءَاتٍ مَعَ الْإِمْدَادِ لَهُ فِي عُمُرِهِ، وَعَدَمِ تَمَكُّنِ أَعْدَائِهِ مِنْ قَتْلِهِ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ فُرْصَةً لِمُرَاجَعَةِ نَفْسِهِ، وَتَفْقُّدِ قَلْبِهِ؛ فَتَغَيَّرَ حَالُهُ فِي الْهَزِيمَةِ وَالْحِصَارِ، ثُمَّ فِي الْأَسْرِ وَالذِّلِّ عَنْ حَالِهِ فِي الْمُلْكِ وَالْعِزِّ.

وَهَكَذَا فَإِنَّ الْعَبْدَ قَدْ يُصَابُ فِي نَفْسِهِ أَوْ وَلَدِهِ أَوْ مَالِهِ فَيَكُونُ مُصَابُهُ سَبَبًا لِيَقْطَعَهُ مِنْ رَقْدَتِهِ، وَتَنْسِيهِهِ حَالَ غَفْلَتِهِ، فَيَعُودُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَيُحْتَمُّ لَهُ بِخَيْرِ عَمَلِهِ، وَقَدْ كَرِهَ مِنْ قَبْلُ قَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ، وَقَضَاءُهُ فِيهِ، فَكَانَ مَا اخْتَارَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ خَيْرًا مِمَّا يَخْتَارُ هُوَ لِنَفْسِهِ، فَأَعْرِفُوا حِكْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى فِي عُقُوبَاتِهِ وَابْتِلَاءَاتِهِ، وَتَأَمَّلُوا رَحْمَتَهُ سُبْحَانَهُ وَلُطْفَهُ بِعِبَادِهِ؛ إِذْ يُجْرِي لَهُمُ الْخَيْرَ الْعَظِيمَ مِنْ أَبْوَابٍ يَظُنُّهَا الْعِبَادُ شَرًّا مَحْضًا، وَرَبُّنَا جَلَّ جَلَالُهُ لَا يَخْلُقُ شَرًّا مَحْضًا، وَالْخَيْرُ بِيَدَيْهِ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْهِ، سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ، وَتَبَارَكَ اسْمُهُ، وَتَعَالَى جَدُّهُ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ.

وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى نَبِيِّكُمْ ..



## الفكر والثقافة

٣٦١- تبديل ألفاظ الشريعة (١) تزوير المصطلحات.

٣٦٢- تبديل ألفاظ الشريعة (٢) مصطلح الآخر.

٣٦٣- تبديل ألفاظ الشريعة (٣) التعايش السلمي.

٣٦٤- القلم الطيب والقلم الخبيث.

٣٦٥- الحرب على اللغة العربية.

٣٦٦- تفضيل الرجال على النساء.

٣٦٧- تحرير المرأة.

٣٦٨- مؤتمر المرأة في بكين.

٣٦٩- منتدى المرأة والألفية.

٣٧٠- نقض دعوى حرية الرأي.

٣٧١- الحرب الدينية والحرب القومية.



## ٣٦١- تبديل ألفاظ الشريعة (١)

## تزوير المصطلحات

١٣/٧/١٤٢٨هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]  
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَيُّهَا النَّاسُ: الصِّرَاعُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ قَائِمٌ مَا دَامَ فِي النَّاسِ كُفْرٌ وَإِيمَانٌ، وَبِدْعَةٌ وَسُنَّةٌ؛ فَأَهْلُ الْحَقِّ يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى الْحَقِّ، وَأَهْلُ الْبَاطِلِ يَسْعَوْنَ جَادِينَ فِي صَرْفِ النَّاسِ إِلَى بَاطِلِهِمْ.

وَالْحَرْبُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ قَدْ تَكُونُ حَرْبًا سِيَاسِيَّةً أَوْ اقْتِصَادِيَّةً أَوْ عَسْكَرِيَّةً، أَوْ ثَقَافِيَّةً فِكْرِيَّةً. وَالْآخِرَةُ أخطرُهَا وَأشدُّهَا فَتْكًا؛ ذَلِكَ أَنَّ الْحُرُوبَ السِّيَاسِيَّةَ وَالِاقْتِصَادِيَّةَ وَالْعَسْكَرِيَّةَ تُؤَلِّدُ التَّحْدِيَّ لَدَى الْأُمَمِ، وَتَسْتَنْهِضُ هِمَمَ النَّاسِ

لِلْمُدَافَعَةِ وَالْمُقَاوَمَةِ، أَمَّا حُرُوبُ الثَّقَافَةِ وَالْفِكْرِ فَهِيَ تَسْلُلُ إِلَى الْعُقُولِ فَتُثْلِفُهَا،  
وَالِى الْقُلُوبِ فَتُفْسِدُهَا، وَتُدْمِرُ النَّاسَ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ.

وَمَيَادِينُ الْحُرُوبِ الْفِكْرِيَّةِ كَثِيرَةٌ، وَأَسَالِيْبُهَا عَدِيدَةٌ، وَمِنْ أَحْقَافِهَا  
وَأَخْطَرِهَا: تَزْوِيرُ الْمُضْطَلَحَاتِ، وَتَغْيِيرُ الْمُسَمِّيَّاتِ، وَالْقَذْفُ بِمُضْطَلَحَاتٍ  
ظَاهِرُهَا حَقٌّ وَبَاطِنُهَا بَاطِلٌ؛ لِإِقْنَاعِ النَّاسِ بِهَا، وَبِنَاءِ الْعُقُولِ وَالثَّقَافَاتِ عَلَيْهَا،  
حَتَّى تَكُونَ أَمْرًا مُسَلَّمًا عِنْدَ النَّاسِ لَا يَحِقُّ لِأَحَدٍ أَنْ يُجَادِلَ فِيهِ، فَضْلًا عَنْ أَنْ  
يَرُدَّهُ أَوْ يَعْتَرِضَ عَلَيْهِ. وَمِنْ ثَمَّ إِخْضَاعُ شَرِيعَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِهَذِهِ الْمُضْطَلَحَاتِ  
الْحَادِثَةِ، وَتَحْكِيمُهَا فِيهَا؛ لِتُسَبِّدَلَ أَلْفَاظُ الشَّرِيعَةِ، وَتُعْطَلَ أَحْكَامُهَا، وَيُبْطَلَ  
الْعَمَلُ بِنُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، أَوْ تُحَرَفَ وَتَأْوَلَ؛ لِأَنَّهَا تَتَعَارَضُ مَعَ تِلْكَ  
الْمُضْطَلَحَاتِ الَّتِي اسْتَقَرَّتْ فِي عُقُولِ أَصْحَابِهَا، وَأَضَحَّتْ مِنَ الْمُسَلَّمَاتِ الَّتِي  
لَا تُنَاقَشُ.

وَكَانَ الْيَهُودُ -وَلَا يَزَالُونَ- مِنْ أْبْرَعِ النَّاسِ فِي هَذَا الْبَابِ مِنَ الْإِضْلَالِ  
وَالْتَزْوِيرِ، وَتَغْيِيرِ الْأَلْفَاظِ وَالْمُضْطَلَحَاتِ؛ لِفَرَضِ بَاطِلِهِمْ، وَإِلْغَاءِ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى  
وَحَقِّ غَيْرِهِمْ ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النِّسَاء: ٤٦]، وَلِذَا  
خُوطِبُوا فِي الْقُرْآنِ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَلِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنُوا بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ  
تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَةُ: ٤٢]، وَفِي آيَةٍ أُخْرَى ﴿يَتَّاهَلُ الْكِتَابُ لِمَ تَلْسُوتُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ  
وَتَكُنُّونَ بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٧١] فَتَهَانُهُمْ عَنْ لَبْسِ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ وَكِنْمَانِ  
الْحَقِّ.

«وَلَيْسَهُ بِهِ خَلْطُهُ بِهِ حَتَّى يَلْتَبِسَ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ . . . فَإِذَا لَبَسَ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ  
يَكُونُ قَدْ أَظْهَرَ الْبَاطِلَ فِي صُورَةِ الْحَقِّ؛ فَالظَّاهِرُ حَقٌّ، وَالْبَاطِنُ بَاطِلٌ»<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر: درء تعارض العقل والنقل (١/٢٩)، والصواعق المرسلة (٣/٩٢٦).



وَالنَّبِيُّ ﷺ قَدْ حَذَّرَ أُمَّتَهُ مِنَ التَّلَاعُبِ بِالمُصْطَلَحَاتِ وَالْمُسَمِّيَّاتِ؛ لِإِسْبَاغِ الشَّرْعِيَّةِ عَلَى البَاطِلِ، وَلَبْسِهِ بِالْحَقِّ، وَأَخْبَرَ أَنَّ هَذَا الدَّاءَ سَيَقَعُ فِي النَّاسِ؛ كَمَا رَوَى أَبُو مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَيَشْرَيْنَ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ (٢).

وَوَقَعَ ذَلِكَ كَمَا قَالَ الْمُصْطَفَى ﷺ؛ إِذْ سَمَّوْا الْخَمْرَ فِي هَذَا الْعَصْرِ مَشْرُوبَاتِ رُوحِيَّةً، وَالرِّبَا فَائِدَةً، وَالرَّقْصَ وَالْخَلَاعَةَ فَنَّا، وَالزَّنَا حُرِيَّةً جَنَسِيَّةً، وَسَبَّ اللَّهِ تَعَالَى وَمَلَائِكَتَهُ وَكُتُبَهُ وَرُسُلَهُ حُرِيَّةً فِكْرِيَّةً، وَمُحَارَبَةَ الْعَمَلِ الدَّعْوِيَّ وَالْخَيْرِيَّ وَتَجْغِيفَ مَنَابِعِهِمَا مُكَافَحَةً إِزْهَابٍ، وَرَفْضَ الْحُدُودِ الشَّرْعِيَّةِ حُقُوقَ إِنْسَانٍ، وَهَكَذَا فِي سِلْسِلَةٍ لَا تَكَادُ تَنْتَهِي مِنْ تَزْوِيرِ الْمُصْطَلَحَاتِ، وَتَغْيِيرِ الْمُسَمِّيَّاتِ، وَفَرَضَ هَذَا اللَّبْسُ وَالطَّمَسُ عَلَى عُقُولِ النَّاسِ بِأَسَالِيبَ مُتَنَوِّعَةٍ، وَوَسَائِلَ مُتَعَدِّدَةٍ.

(٢) أخرجه أبو داود في الأشربة، باب في الداذي (٣٦٨٨)، وابن ماجه في الفتن، باب العقوبات (٤٠٢٠)، وأحمد (٣٤٢/٥)، وصححه ابن حبان (٦٧٥٨).

وأخرجه من حديث أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ابن ماجه في الأشربة، باب الخمر يسمونها بغير اسمها (٣٣٨٤)، وضعفه البوصيري في مصباح الزجاجة بعد السلام بن عبد القدوس (٤٠/٤)، وقال أبو حاتم: هذا حديث منكر، كما في العلل (١٥٧١).

وأخرجه من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ابن ماجه في الأشربة، باب الخمر يسمونها بغير اسمها (٣٣٨٥)، وأحمد (٣١٨/٥)، وابن عبد البر في الاستذكار (٣٣/٨)، وقال الحافظ في الفتح: وسنده جيد (٥١/١٠).

وأخرجه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: الدارمي (٢١٠٠)، وأبو يعلى (٤٣٩٠)، وصححه الحاكم وقال: على شرط الشيخين (١٦٤/٤) وقال الحافظ في الفتح: بسند لين (٥٢/١٠). وأخرجه عن رجل من أصحاب النبي ﷺ: النسائي في الأشربة، باب منزلة الخمر (٣١٢/٨)، وأحمد (٢٣٧/٤)، والطيالسي (٥٨٦). والظاهر أن الصحابي المبهم هنا هو عبادة بن الصمت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأخرجه من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الطبراني في الكبير (١١٨/١١) رقم (١١٢٢٨) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ورجاله ثقات (٥٧/٥).

وأخرجه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الطبراني في مسند الشاميين (٤٣٠).

وَقَدْ عَانَى أُمَمَةُ الْإِسْلَامِ قَدِيمًا مِنَ الزَّنَادِقَةِ وَالْمُبْتَدِعَةِ؛ إِذْ كَانُوا يُحْدِثُونَ الْمُضْطَلَحَاتِ، أَوْ يَسْتَجْلِبُونَهَا مِنْ ثَقَافَاتٍ أُخْرَى، وَيُلْبِسُونَهَا أَلْبَسَةً شَرْعِيَّةً؛ لِيَجْعَلُوهَا حُجَّةً عَلَى النُّصُوصِ، ثُمَّ يَزُورُونَ الْمُضْطَلَحَاتِ الشَّرْعِيَّةَ لِكَيْلًا تَضْطَرِّمَ مَعَهَا، كَمَا فَعَلَ الْفَلَاسِفَةُ وَأَهْلُ الْكَلَامِ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزَلَةِ وَغَيْرِهِمْ، وَهِيَ طَرِيقَةٌ لَا تَخْرُجُ عَنْ كَوْنِهَا لَبْسًا لِلْحَقِّ بِالْبَاطِلِ مَعَ كُنْهِ الْحَقِّ لِإِضْلَالِ الْعَامَّةِ، وَالتَّشْوِيشِ عَلَى عَقَائِدِ النَّاسِ وَإِفْسَادِهَا، وَهِيَ الطَّرِيقَةُ الَّتِي حَكَاهَا اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْيَهُودِ، وَنَهَاهُمْ عَنْهَا.

وَلِذَا فَإِنَّ إِمَامَ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي وَقْتِهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- لَمَّا كَتَبَ رَدَّهُ عَلَى الزَّنَادِقَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَصَفَهُمْ فِي مُقَدِّمَةِ رَدِّهِ بِقَوْلِهِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «فَهُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي الْكِتَابِ، مُخَالِفُونَ لِلْكِتَابِ، مُتَفَقِّحُونَ عَلَى مُفَارَقَةِ الْكِتَابِ، يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ وَفِي اللَّهِ وَفِي كِتَابِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، يَتَكَلَّمُونَ بِالْمُتَشَابِهِ مِنَ الْكَلَامِ وَيَخْدَعُونَ جُهَالَ النَّاسِ بِمَا يَلْبِسُونَ عَلَيْهِمْ» اهـ<sup>(٣)</sup>.

وَهَذَا الْكَلَامُ الْمُتَشَابِهُ الَّذِي يَخْدَعُونَ بِهِ جُهَالَ النَّاسِ هُوَ الَّذِي يَتَضَمَّنُ الْأَلْفَاظَ الْمُتَشَابِهَةَ الْمُجْمَلَةَ الَّتِي يُعَارِضُونَ بِهَا نُصُوصَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَتِلْكَ الْأَلْفَاظُ تَكُونُ مَوْجُودَةً مُسْتَعْمَلَةً فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَكَلَامِ النَّاسِ لَكِنْ بِمَعَانٍ أُخَرَ غَيْرِ الْمَعَانِي الَّتِي قَصَدُوهَا هُمْ بِهَا، فَيَقْصِدُونَ هُمْ بِهَا مَعَانِي أُخَرَ فَيَحْصُلُ الْإِشْتِبَاهُ وَالْإِجْمَالُ<sup>(٤)</sup>.

وَأَنْبَرَى شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- لِمُوَاجَهَةِ حَمَلَاتِ

(٣) الرد على الزنادقة والجهمية (ص ٦)، ونقله عنه ابن تيمية في مواضع كثيرة من كتبه منها:

بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٦٠)، ودرء التعارض (١/ ١٨ و ٢٢٢، و ٢/ ٣٠٢، و ٥/ ١٦٤)،

والنبوات (٥/ ١٦٤).

(٤) درء التعارض (١/ ٢٢٢).

المُبْتَدَعَةِ فِي مُحَاوَلَاتِهِمْ إِقْنَاعَ النَّاسِ بِمُضْطَلَحَاتٍ حَادِثَةٍ، وَتَحْكِيمِهَا فِي نُصُوصِ  
الْوَحْيِ؛ لِإِلْغَاءِ مَعَانِيهَا، وَإِبْطَالِ أَحْكَامِهَا، وَكَانَ لَهُ صَوْلَاتٌ وَجَوَلَاتٌ فِي هَذَا  
الْمِيدَانِ الدَّقِيقِ، وَكُتِبَتْهُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- مَلَأَى بِإِحْقَاقِ الْحَقِّ، وَإِبْطَالِ الْبَاطِلِ  
فِي هَذَا الْمَجَالِ الْمُهِمِّ، مَعَ التَّأْسِيسِ وَالتَّقْعِيدِ لَهُ.

يَقُولُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «الَّذِينَ يُعَارِضُونَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ بِمَا يُسْمُونَهُ  
عَقْلِيَّاتٍ مِنَ الْكَلَامِيَّاتِ وَالْفَلَسَفِيَّاتِ وَنَحْوِ ذَلِكَ إِنَّمَا يَبْنُونَ أَمْرَهُمْ فِي ذَلِكَ عَلَى  
أَقْوَالٍ مُشْتَبِهَةٍ مُجْمَلَةٍ تَحْتَمِلُ مَعَانِيَ مُتَعَدِّدَةً، وَيَكُونُ مَا فِيهَا مِنَ الْإِشْتِبَاهِ لَفْظًا  
وَمَعْنَى يُوجِبُ تَنَاوُلَهَا لِحَقِّ وَبَاطِلٍ، فِيمَا فِيهَا مِنَ الْحَقِّ يُقْبَلُ مَا فِيهَا مِنَ الْبَاطِلِ  
لِأَجْلِ الْإِشْتِبَاهِ وَالِاتِّبَاسِ، ثُمَّ يُعَارِضُونَ بِمَا فِيهَا مِنَ الْبَاطِلِ نُصُوصَ الْأَنْبِيَاءِ  
صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا مَنْشَأُ ضَلَالٍ مَنْ ضَلَّ مِنَ الْأُمَمِ قَبْلَنَا، وَهُوَ  
مَنْشَأُ الْبِدْعِ؛ فَإِنَّ الْبِدْعَةَ لَوْ كَانَتْ بَاطِلًا مَحْضًا لَظَهَرَتْ وَبَانَتْ وَمَا قُبِلَتْ، وَلَوْ  
كَانَتْ حَقًّا مَحْضًا لَا شُوبَ فِيهِ لَكَانَتْ مُوَافِقَةً لِلْسُّنَّةِ؛ فَإِنَّ السُّنَّةَ لَا تُنَاقِضُ حَقًّا  
مَحْضًا لَا بَاطِلَ فِيهِ، وَلَكِنَّ الْبِدْعَةَ تَشْتَمِلُ عَلَى حَقٍّ وَبَاطِلٍ» اهـ<sup>(٥)</sup>.

وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ يُقَرَّرُ وَجُوبُ الثَّبُتِ وَالِاسْتِفْصَالِ فِي الْمُضْطَلَحَاتِ قَبْلَ  
قَبُولِهَا، فَيَقُولُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «إِنَّ الْمُنَازَعَةَ بِالْأَلْفَافِ الْمُحَدَّثَةِ الْمُجْمَلَةِ  
الْمُبْتَدَعَةِ الْمُحْتَمَلَةِ لِلْحَقِّ وَالْبَاطِلِ إِذَا أُثْبِتَتْ أَحَدُ الْمُتَنَازِعِينَ وَنَفَاهَا الْآخَرُ كَانَ  
كِلَاهُمَا مُخْطِئًا، وَأَكْثَرُ اخْتِلَافِ الْعُقَلَاءِ مِنْ جِهَةِ اشْتِرَاكِ الْأَسْمَاءِ، وَفِي ذَلِكَ مِنْ  
فَسَادِ الْعَقْلِ وَالذِّينِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، فَإِذَا رَدَّ النَّاسُ مَا تَنَازَعُوا فِيهِ إِلَى  
الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَالْمَعَانِي الصَّحِيحَةُ ثَابِتَةٌ فِيهِمَا، وَالْمُحِقُّ يُمَكِّنُهُ بَيَانُ مَا يَقُولُهُ مِنَ  
الْحَقِّ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ» اهـ<sup>(٦)</sup>.

(٥) درء التعارض (١/ ١٦٤-١٦٥).

(٦) درء التعارض (١/ ٢٣٣).

وَقَالَ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- : «الْأَضْلُ فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّ الْأَلْفَاظَ نَوْعَانِ :

نَوْعٌ مَذْكُورٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَكَلَامِ أَهْلِ الْإِجْمَاعِ ، فَهَذَا يَجِبُ اعْتِبَارُ مَعْنَاهُ ، وَتَعْلِيقُ الْحُكْمِ بِهِ ؛ فَإِنْ كَانَ الْمَذْكُورُ بِهِ مَذْحًا اسْتَحَقَّ صَاحِبُهُ الْمَدْحَ ، وَإِنْ كَانَ ذَمًّا اسْتَحَقَّ الذَّمَّ ، وَإِنْ أَثْبَتَ شَيْئًا وَجَبَ اثْبَاتُهُ ، وَإِنْ نَفَى شَيْئًا وَجَبَ نَفْيُهُ ؛ لِأَنَّ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى حَقٌّ ، وَكَلَامَ رَسُولِهِ ﷺ حَقٌّ ، وَكَلَامَ أَهْلِ الْإِجْمَاعِ حَقٌّ . . . وَأَمَّا الْأَلْفَاظُ الَّتِي لَيْسَ لَهَا أَضْلٌ فِي الشَّرْعِ فَلَيْتَكَ لَا يَجُوزُ تَعْلِيقُ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ وَالْإِثْبَاتِ وَالنَّفْيِ عَلَى مَعْنَاهَا إِلَّا أَنْ يَبَيِّنَ أَنَّهُ يُوَافِقُ الشَّرْعَ ، وَالْأَلْفَاظُ الَّتِي تُعَارِضُهَا النُّصُوصُ هِيَ مِنْ هَذَا الصَّرْبِ» اهـ (٧) .

وَإِذَا كَانَ أَتَمَّةَ الْإِسْلَامِ قَدْ عَانُوا قَدِيمًا مِنْ تَلْسِيسَاتِ الْمُبْتَدِعَةِ وَالْمُنَافِقِينَ ، وَتَحْرِيفَاتِهِمْ ، فَإِنَّ أَهْلَ الْكُفْرِ وَأَهْلَ الْبِدْعَةِ وَالنِّفَاقِ فِي زَمَانِنَا هَذَا قَدْ عَمِلُوا مَا عَمِلَ أَسْلَافُهُمْ مِنْ قَبْلُ ، وَأَخَذُوا عَنْهُمْ كَثِيرًا مِنْ مُضْطَلَحَاتِهِمُ الْمُبْتَدِعَةِ ، وَأَخَذُوا مُضْطَلَحَاتٍ جَدِيدَةً يَضْرِبُونَ بِهَا الْإِسْلَامَ ، وَيَصُدُّونَ بِهَا النَّاسَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَيَلْبِسُونَ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ، وَيُفْسِدُونَ عَقَائِدَهُمْ ، وَيُخَرَّبُونَ عُقُولَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ ، وَكُلُّ الْمُضْطَلَحَاتِ الَّتِي ضَلَّ بِهَا مَنْ يُسَمَّوْنَ فِي هَذَا الْعَصْرِ بِالْمُفَكِّرِينَ وَالْمُتَقَفِّينَ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ ، وَيَلُوكُونَهَا بِالْسِتَةِ ، وَيُسَوِّدْنَ بِهَا كُتُبَهُمْ وَصُحُفَهُمْ إِنَّمَا أَخَذُوهَا عَنْ نَظَائِرِ الْعَرَبِ وَقَلَّاسِفَتِهِمْ ، وَسَلَّمُوا لَهُمْ بِهَا عَلَى أَنَّهَا حَقٌّ مَحْضٌ ، ثُمَّ حَاكَمُوا نُصُوصَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ إِلَيْهَا ، فَمَا وَافَقَهَا قَبِلُوهُ ، وَمَا عَارَضَهَا رَفَضُوهُ أَوْ تَأَوَّلُوهُ ، فَجَعَلُوهَا هِيَ الْأَضْلَ ، وَجَعَلُوا نُصُوصَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَهَا تَبَعًا ، فَكَانَ فِي ذَلِكَ مِنَ الضَّلَالِ وَالْإِضْلَالِ مَا أَفْسَدَ كَثِيرًا مِنَ الْعُقُولِ ، وَحَرَفَهَا عَنْ شَرِيعَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِأَقْوَالِ الْبَشَرِ وَآرَائِهِمْ ، وَتِلْكَ هِيَ الْفِتْنَةُ الَّتِي حَذَرْنَا مِنْهَا رَبَّنَا

جَلَّ جَلَالُهُ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

نَعُوذُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنَ الضَّلَالِ وَالْإِضْلَالِ، وَنَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ الْهِدَايَةَ لِلْحَقِّ،  
وَالْمُؤَافَاةَ عَلَى الْإِيمَانِ وَالسُّنَّةِ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ.  
أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ ....



### الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ،  
وَلَا أَمْنٌ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلِيُّ  
الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ النَّبِيُّ الْأَمِينُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم  
وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.  
أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ -عِبَادَ اللَّهِ- وَرَاقِبُوهُ، وَالزُّمُوا طَاعَتَهُ وَلَا تَعْصُوهُ،  
وَاعْلَمُوا أَنَّ الدُّنْيَا إِلَى فَنَاءٍ، وَأَنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ  
حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُوءُ﴾ [فاطر: ٥].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَئِنْ كَانَتْ حَمْلَةُ تَزْوِيرِ الْمُصْطَلَحَاتِ بِهَذِهِ الْخُطُورَةِ الَّتِي  
جَعَلَتْ عُلَمَاءَ الْمُسْلِمِينَ يَنْبِرُونَ لَهَا؛ لِإِحْقَاقِ الْحَقِّ مِنْهَا، وَإِبْطَالِ بَاطِلِهَا، وَإِزَالَةِ  
مَا يَقَعُ فِيهَا مِنَ اللَّبْسِ وَالْغُمُوضِ، وَكَشْفِ مَعَانِيهَا لِلنَّاسِ حَتَّى لَا يَغْتَرُّوا بِهَا؛  
فَإِنَّهَا فِي هَذَا الزَّمَنِ أَشَدُّ خَطَرًا عَلَى النَّاسِ، وَأَمْضَى فِتْنًا بِالْعُقُولِ، وَإِفْسَادًا  
لِلْقُلُوبِ، وَذَلِكَ مِنْ جِهَاتٍ أَرْبَعٍ:

الْجِهَةُ الْأُولَى: كَثْرَةُ مَا تُنتِجُهُ دَوَائِرُ الْإِسْتِشْرَاقِ النَّصْرَانِيَّةِ، وَمَكَاتِبُ

الاستخبارات الصهيونية والعربية من الألفاظ والمصطلحات الجديدة التي يتلقفها عنهم وكلاؤهم، والمُسوفون لبضاعتهم في بلاد المسلمين، وهي مصطلحات تُعارض شريعة الله تعالى جملة وتفصيلاً، وتُصادم الكتاب والسنة، ولازم القول بها فيه إبطال للنصوص المحكمة، وتعطيل لأحكام الشريعة، من مثل مصطلحات: الحرية، والمساواة، والحوار، وقبول الآخر، وحقوق الإنسان، والتعايش السلمي، وتجديد الخطاب الديني، والدولة المدنية، ونحو ذلك.

والجهة الثانية: أنها مصطلحات تُفرض على عامة الناس، ويروج لها عبر وسائل الإعلام المختلفة؛ لتبني عليها عقول الناشئة والشباب، وتتلّف بها عقول الكهول والشيوخ.

والجهة الثالثة: أنها مصطلحات ظاهرها حق، وملمسها جميل، ويرى أكثر الناس أن فيها خلاصاً للعالم من مشكلات الاختلاف والاختراب والافتتال؛ ولذا سمعنا كثيراً من الألسن تلوّكها، ونهتف لها، وتنادي بها، وتدعو إليها، ولكن الواقع يدل على أن من أخذوها وروجوا لها لم يريدوا ما فيها من معانٍ قد تكون حقاً، وإنما أرادوا ما فيها من باطلهم؛ ليجعلوه حكماً على شريعة الله تعالى، مُبطلًا لأحكامها.

والجهة الرابعة: أن أهل الكفر وأهل البدعة والتفاق استطاعوا بمكرهم وكثرة إلحاحهم أن يجعلوا تلك المصطلحات المبتدعة سيفاً مُصلتاً على أهل الحق والإيمان، يُرهبونهم بها، ويُفرون الناس منهم بسببها، ويُعرفلونهم عن نشر حقهم، وهداية الناس إليه. في الوقت الذي يفرضون فيه باطلهم على الناس بكل ما أوتوا من قوة؛ فيصمون من يعارضهم بأنهم أعداء الحرية والمساواة،

وَلَا يَقْبَلُونَ الْآخَرَ، وَلَا يَعْرِفُونَ التَّعَايُشَ السَّلْمِيَّ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُخَوِّفُونَ بِهِ مَنْ يَعْتَرِضُ طَرِيقَهُمْ، أَوْ يَكْشِفُ مُحَظَّطَاتِهِمُ الْإِجْرَامِيَّةَ.

هَذَا؛ وَلْيَعْلَمْ كُلُّ مَخْدُوعٍ بِتِلْكَ الْمُضْطَلَحَاتِ الْبَرَّاقَةِ أَنَّ مَا فِيهَا مِنْ مَعَانٍ جَمِيلَةٍ فَلَيْسَ لَهُ، وَإِنَّمَا هُوَ حِكْرٌ عَلَى الْأَقْوِيَاءِ، وَلَا حَقٌّ لِلضَّعَفَاءِ فِيهِ، وَلَوْ آمَنُوا بِهَا، وَهَتَفُوا لَهَا، وَدَعَوْا إِلَيْهَا؛ فَهَذِهِ الدُّوَلُ الْقَوِيَّةُ تَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْحَوَارِ، وَتَفْرِضُهُ عَلَيْهِمْ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَغْزُو فِيهِ بِلَادَهُمْ، فَتَضْرِبُهُمْ وَتَقْتُلُهُمْ وَتَسْتَعْمِرُهُمْ، وَتَدْمِرُ عُمَرَانَهُمْ، وَتَنْهَبُ ثَرَوَاتِهِمْ وَلَا تَحَاوِرُهُمْ، وَلَا تَرَى لَهُمْ أَيْ حَقٌّ فِي حَوَارٍ أَوْ حُرِّيَّةٍ، وَمَعَ ذَلِكَ تَدْعُو إِلَى الْحَوَارِ وَإِلَى الْحُرِّيَّةِ.

وَفِي مَجَالِ حُقُوقِ الْأَطْفَالِ كَانَتْ وَلَا زَالَتِ الْمُنْظَمَاتُ الدَّوْلِيَّةُ النَّصْرَانِيَّةُ تَعِيبُ عَلَى دُولِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ إِهْدَارَ الطُّفُولَةِ، وَقَتْلَ بَرَاءَتَيْهَا، وَتُلْقِي الدُّرُوسَ وَالْمَوَاعِظَ فِي ذَلِكَ، وَتَسُنُّ الْقَوَانِينَ الْمُسَدَّدَةَ لِحِفْظِ حُقُوقِ الْأَطْفَالِ، وَضَمَانَ حُرِّيَّاتِهِمْ، وَتَجْعَلُ هَذِهِ الْقَضِيَّةَ مِنْ ضِمْنِ أَوْرَاقِ الضَّغْطِ لِتَحْقِيقِ مَزِيدٍ مِنَ التُّفُوزِ وَالْإِخْضَاعِ لِتِلْكَ الدُّوَلِ الْمُسْتَهْدَفَةِ.

وَلَكِنْ مَا يُنَادُونَ بِهِ مِنْ حَقِّ الطُّفُولَةِ، وَحِفْظِ بَرَاءَتَيْهَا هُوَ مَقْصُورٌ عَلَى أَطْفَالِهِمْ دُونَ أَطْفَالِ الْعَالَمِينَ الَّذِينَ لَا حَقَّ لَهُمْ، وَلَا بَرَاءَةَ فِيهِمْ!!

وَفِي كُلِّ الْأَدْيَانِ وَالْأَعْرَافِ وَالْأَفْكَارِ الْمُعْلَنَةِ، الْحَقُّ مِنْهَا وَالْبَاطِلُ لَا يَسُوعُ لِأَحَدٍ أَنْ يَقْصِدَ طِفْلاً بَرِيئاً بِأَيِّ ضَرَرٍ لِأَيِّ هَدَفٍ كَانَ، وَمُنْظَمَاتُهُمُ الدَّوْلِيَّةُ تَنْصُ عَلَى ذَلِكَ، وَتُسَدِّدُ فِيهِ، وَمَعَ ذَلِكَ وَقَفَ الْعَالَمُ الْعَرَبِيُّ الْمُتَحَضَّرُ بِدَوْلِهِ الْكُبْرَى، وَاتِّحَادِهِ الْأُورُبِّيِّ، وَاسْتَحْدَمَ كُلَّ نَفُوذِهِ، وَأَدَوَاتِ ضَغْطِهِ؛ لِحِمَايَةِ ثُلَّةٍ مِنَ الْمُمَرِّضَاتِ الْمُجْرِمَاتِ قَتَلْنَ بَرَاءَةَ عَشْرَاتِ الْأَطْفَالِ فَحَقَّنُوهُمْ بِفَيُورُسِ الْإِيدِزِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَقَلَّبُ فِي أَوْجَاعِ الْمَرَضِ وَالْآلَمِ، لَا ذَنْبَ لَهُمْ إِلَّا

أَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ، وَكَوْفَى الْمُجْرِمُونَ بِإِطْلَاقِ سَرَاحِهِمْ<sup>(٨)</sup>، وَبُثِّتَ احْتِفَالًا تُهْمُ عَلَى

(٨) هذا إشارة إلى ما قام به خمس ممرضات بلغاريات وطبيب فلسطيني يعملن في إحدى مستشفيات ليبيا بحقن مئات الأطفال بفيروس الإيدز، عُلِمَ عن أربعمئة وثلاثين طفلًا، منهم خمسون فارقوا الحياة لتلوث دمائهم بهذا الفيروس، وذلك في عام ١٤٢٠ واستمرت محاكمتهم ثماني سنوات، وحكمت عليهم المحكمة بالإعدام، ومع الضغوط الأوربية والأمريكية والدولية ووساطة بعض الدول العربية خفف الحكم إلى السجن المؤبد، ومن ثم اقترحت فرنسا أن ينقل سجنهن من ليبيا إلى بلغاريا، فوافقت ليبيا.

وقبل نزولهم مع الطبيب الفلسطيني من سلم الطائرة في بلغاريا أصدر حاكم بلغاريا عفواً عنهم، ومنح الطبيب الفلسطيني الجنسية البلغارية، ومن ثم احتجت الحكومة الليبية على ذلك، وما ينفع الاحتجاج وقد أطلقتهم؟! وكوفى المجرمون على جريمتهم، ونقلت احتفالات استقبالهم في بلغاريا في نشرات الأخبار. والعجيب أن بعض القنوات العربية عبرت عن فرحتها بذلك، وجعلت عناوين الخبر: انتهاء أزمة الممرضات، ونقلت فرحة ذويهن بعودتهن إلى بلغاريا، ولم تنقل معاناة الأطفال الليبيين وأسرهم.

وقد وقفت على مقال مميز للشيخ محمد بن سيف عقب الإفراج عن الممرضات، رأيت إirاده هنا ليستفيد القارئ منه، ويعلم تفاصيل بعض ما جرى في هذه الجريمة المنكرة التي تدمي القلب، والمقال بعنوان: (.... الضمير الأوربي ذبح أطفالنا).

سُئِلَ المفكر العظيم ..... عن تفسيره للانهايار الأخلاقي في الغرب، فجحظت عيناه (الجاحظتان أصلاً من شدة الانبهار بالغرب)، وأجاب بدهشةٍ وَعَجَبٍ: «أيُّ انهيار أخلاقي؟! ... هذا غلط، الأخلاق ليست هي الجنس ... عندما يدخل الإنسان قصرًا فخماً أنيقاً فيه كل ما يبعث الانبهار والروعة ثم لا ينظر إلا إلى صندوق الزبالة!!».

ثم أضاف المفكر -ولا زالت عيناه جاحظتين-: «أخلاقهم عالية. الجانب الإنساني عندهم قوي. الجانب الإنساني عندهم رائع إلى أبعد الحدود!» .. «هم ليس عندهم نفاق، لأن ليس عندهم ما يخفونه ... لا يخافون مما يعلنونه حتى يخفوه».

أما مفكر .....، فقد سبق له أن ملأ الدنيا بمعلقات المديح لليبرالية الغربية و«تقدميتها التي تعانق إنسانية الإنسان!».

و..... سبق أن زاد في الغباوة فأعلن أن التسامح المثالي المنشود لا يمكن أن يأتي من جهة الشرق أبداً، وأعلن أنه سيبقى واقفاً ينتظر أن يتفرغ الغربيون لشرحوا له دين الإسلام شرخاً «بروتستانتياً متسامحاً!».



= هذه المقولات لهذا الثلاثي المستغرب كانت تمر بذاكرتي وأنا أتابع ردة فعل الضمير الغربي وحسه المرهف تجاه جريمة ذاك الطبيب القذر والممرضات البلغاريات التي ارتكبوها بحق أربعمئة وثمانية وثلاثين طفلاً بريئاً، من أجل حفنة دولارات قبضوها لهم من جهة أجنبية.

هم متسامحون!  
ليس عندهم نفاق!  
الجانب الإنساني عندهم قوي!  
تقدميتهم تعانق إنسانية الإنسان!  
الجانب الإنساني عندهم رائع إلى أبعد الحدود!

هذا ما اتفقت عليه كلمة شعراء بلاط البيت الأبيض الأمريكي وسيراميك الاتحاد الأوروبي. فما الذي سيقوله الآن أولئك الشعراء الغاؤون تعليقاً على هذه الإنسانية الراقية تجاه أطفال ليبيا الأطهار؟!

أربعمئة وثمانية وثلاثون طفلاً بريئاً جاؤوا للمستشفى طلباً للدواء، فُتحسأ أجسادهم الغضة الطرية الطاهرة بأفتك فيروس ممرض تعرفه البشرية، فيهب الضمير الغربي الإنساني المتسامح مباشرة لا للمطالبة بحقوق أولئك الأطهار، وإنما للدفاع عن قتلتهم المجرمين، بمجرد أن زعم القذافي أن محاكمة ستعاقبهم بالإعدام!

تحركت دول (محور الخير) كلها.

الاتحاد الأوروبي يهدد بإعادة النظر في تطبيع علاقاته مع ليبيا إذا نفذت الحكم! المنظمات الحقوقية تستنكر ... والإعلام يتابع ويحلل ويفسر!

الرئيس الأمريكي يدخل على الخط، ويعلن أن ليبيا إذا نفذت الحكم، فسوف يكون ذلك عقبةً في سبيل خروجها من عزلتها الدولية.

وخلال ذلك كله كان القذافي يرقص على تلك الإيقاعات، ويتفنن في المتاجرة بأرواح أولئك الأطفال الطاهرة، وبعذابات أسرهم المنكوبة.

وبعد ثماني سنوات من المفاوضات التجارية، يقدم العقيد للأوروبيين عرضه الأخير المتضمن تخفيضات مغرية في قيمة رأس الطفل الليبي. عندها يقنع «الإنسانيون» «المتسامحون» بربحية الصفقة، ثم يوقع الطرفان العقد، ليتنازل العقيد الفذ عن عقوبة الإعدام، ولتتحول العقوبة -مؤقتاً- إلى سجن مؤبد في سجون بلغاريا وليس ليبيا. وفي =

= اليوم نفسه يصل المجرمون إلى بلغاريا فيستقبلهم الرئيس البلغاري بنفسه في المطار، ليعلن من فوره البند الثاني من بنود الصفقة، والمتضمن العفو عن المجرمين وإسقاط عقوبة السجن عنهم، فيمضي القتلة متسمين مع أهليهم الذين استقبلوهم بالزهور في المطار، وتنتهي القصة، وكأن شيئاً لم يكن!

ثم يأتي دور الرئيس الفرنسي، فيعلن أنه سيتوجه شخصياً في اليوم التالي إلى ليبيا لإكمال باقي متعلقات الصفقة. وكانت زوجته قد سبقته إلى هناك للمشاركة في المساومة والمفاوضات قبل التوقيع على العقد. عقد الإنسانية الفريدة!

الإعلام الغربي -بما فيه (قناة العربية)- اجتهد في تغطية فرح البلغار والأوربيين بنهاية الأزمة، متجاهلاً حال الأسر الليبية المفجوعة. بل ربما طُرحت إحياءات بأن التهمة كلها ملفقة، وأنه لم تكن هناك جريمة أصلاً. مع أن كلَّ عارفٍ بالأمور يدرك أن سيادة العقيد صاحب ثورة الفاتح أعجز من أن يحتجز فأراً تجري في عروقه الدماء الأوربية ما لم يكن هناك تهمةٌ حقيقيةٌ.

كما أن الأوربيين لديهم من العجرفة والتعالي ما يحول بينهم وبين الدخول في مفاوضات وتنازلات مع سيادة العقيد دون مبررٍ.

السؤال الذي يبرز الآن: هل سيجرؤ شعراء البلاط الغربي بعد هذه الواقعة على الحديث عن «الإنسانية»، و«التسامح» الغربيين؟!

وهل يستطيع أحدٌ منهم أن يذكر لنا من تواريخ الأمم السابقة (المتخلفة) وحشيةٌ وهمجيةٌ كهذه التي أهداها لنا الغربيون أصحاب الحضارة الاستثنائية؟!

مذبحة مروعةٌ بكل المقاييس، غير أنها مذبحةٌ عصريةٌ حسب الشريعة الغربية الليبرالية الحرة المتسامحة!

مذبحةٌ لم ترتكب بحق جنودٍ في معركةٍ، ولا معارضين سياسيين، ولا «إرهابيين» في تورا بورا، وإنما بحق أطفال في مستشفى!

كما تعاني ابنتي (جود) من أعراض البرد، دخلت الطفلة (هدير) ذات الأربعين يوماً إلى المستشفى الليبي لتعالج التهاباً عادياً في الصدر. وبدل أن يُعالج صدرها، دسَّت الممرضة المتوحشة في وريد رجلها الصغيرة أنبوباً لتمرير الفيروس القاتل إلى جسدها الندي.

(منى) و(عاشور) أخوان دخلا المستشفى ليعالجا من الحساسية. ثم خرجا يحملان فيروس الإيدز.

= أما (منى) فلا زالت تعاني عذاباتها. وأما (عاشور) فقد توفي بعد أن نقل الفيروس إلى أمه عن طريق الرضاعة.

وملفات القضية تقول: إن هناك ثمانية عشر أمًّا أخريات انتقل لهن الإيدز من أطفالهن عن طريق الرضاعة.

(جمعة رمضان) الذي أعطي حقنة الموت وعمره ستان، أصبح الآن معاقًا وهو في العاشرة من عمره، ولا زال يعاني من تطورات الفيروس.

(يحيى إدريس) الذي يبلغ الآن سبعة عشر عامًا، يذكر جيدًا ما حدث له تلك الليلة حين كان عمره ثماني سنوات. يقول: كان ذلك في يوم العيد!! كان أكثر الأطباء في إجازة، وفي ظلمة الليل جاءت الممرضة وأخرجت أمي من الغرفة، ثم أحضرت الحقنة!

وتتكرر هذه الصور البشعة أكثر من أربعمئة وثلاثين مرة. والتقارير تقول: إن خمسين طفلًا توفوا إلى الآن، والباقيون لا زالوا يعانون آلام الموت البطيء دون جرم ارتكبه.

وحتى يكتمل القُبْح، فإن الممرضات الحقيرات ذكرن في التحقيق أنهن اخترن الأطفال بالذات لأنهم غير قادرين على الكلام.

فهل هناك «إنسانية» أعظم من هذه يا بليهي؟!

أيُّ قلوبٍ هذه! وأيُّ وحشية تلبَّست أولئك الشياطين!

من كان لديه طفل (ابن أو ابنة، أخ أو أخت) فليُنظر إلى براءته وهو يلهو ويلعب ويضحك. ثم ليسرَّ بخاطره متفكرًا: ماذا لو تعرَّض طفلي هذا لمثل تلك الجريمة البشعة؟ عندها سوف يدرك بعض معاناة وآلام مئات الأطفال والأسر في ليبيا. علمًا أن بعض الأطفال المجني عليهم لم يتجاوز عمرهم الثلاثة أشهر، وهم الآن مع أسرهم يعيشون عزلة اجتماعية شديدة بسبب خوف الناس من انتقال العدوى إليهم.

والعجيب أن الإعلام الغربي بضميره الحي، ظل طيلة السنوات التي تلت الجريمة مشغولًا بمعاناة الممرضات مع المحاكم الليبية. وأما الأطفال وأسره، فليشربوا من ماء البحر إن لم ترضهم حفنة دولارات ستدفع لهم، ليقتسموها مع قائد ثورة الفاتح!

ماذا لو كان المجني عليهم أطفالًا أوروبيين؟

بل ماذا لو كان المجني عليه طفلًا واحدًا يحمل في عروقه دماء الأوربيين الزرقاء؟

بل ماذا لو كان كلبًا أو قطة أوروبيًا تعرض لانتهاك حقوقه؟

في العام ١٤٢٤هـ نشرت واشنطن بوست خبرًا مفاده أن الأمريكي جيمس أندرو ينتظر =

= حكمًا بالسجن المؤبد؛ لأنه قتل كلبًا بطريقة وحشية!

وفي العام الذي يليه نقلت البي بي سي أن محكمة أمريكية حكمت بتعويض مقداره (٤٥٠٠٠) دولار لامرأة، لأن كلب جارتها قتل قطتها.

وفي هلسنكي بفنلندا حكمت محكمة بالغرامة على بائع أسماك؛ لأنه كان يسيء معاملة أسماكها أثناء عرضها للبيع!

وأعجب من هذا كله أن مسلمًا في الثمانينات في بلغاريا نفسها حكم عليه بالسجن خمس سنوات؛ لأنه أجرى عملية ختان لابنه!

واليوم ما يقرب من خمسمائة طفل يُحقن السم القاتل في عروقهم، فلا تتحرك «الإنسانية» الأوروبية ولا «العدالة» الأمريكية، ولا يرف لهما جفن. لتبقى حركة الضمير الغربي معلقةً بإنسانية خاصة بعرقهم الأزرق.

الإنسانية الأوروبية كلمة تقرأ من اليسار إلى اليمين فقط. أما من اليمين إلى اليسار فلا إنسانية هناك يمكن قراءتها!

أما القذافي فليس أهلاً لأن يشتم؛ إذ ليس في القواميس لغة يمكن أن تنحط لمستواه السافل. وما كنا نتظر منه أقل من هذه الخيانة.

وأما الطبيب والممرضات فهم من جنس سائر القتلة السفلة والمجرمين الهمجيين الذين لا تعرف الرحمة إلى قلوبهم سيلاً. لكن ماذا عن حضارة «الإنسانية» و«العدالة» و«حقوق الإنسان»؟! ليس

هذه الحضارة هي نفسها التي شنت صدام حسين لأنه قتل (١٤٨) رجلاً في الدجيل بعد أن جرت محاولة لاغتياله هناك؟! ليس

هذه هي الحضارة التي تصب علينا كل عام تقاريرها عن انتهاكات حقوق الإنسان في بلادنا؟! ليس

هذه هي الحضارة التي لا زالت تلهج بلعن طالبان وانتهاكاتها لحقوق الإنسان؟! ليس

هذه هي الحضارة التي أشعلت الدنيا غضباً لهدم أصنام بوذا في باميان؟! ليس

هذه هي الحضارة التي أعلن أحد شياطينها أنها تمثل «نهاية التاريخ» وخاتمة الارتقاء في سلم الإنسانية؟! ليس

هذه هي الحضارة التي باتت تفكر في فرض قوانين وعقوبات لمحاسبة الناس حتى على مشاعر الكراهية؟

= بالنسبة لي لا جديد في هذه الحادثة سوى دليل آخر يضاف لركام الأدلة على زيف تلك الدعاوى الماكرة وكذبها. وأظن الأمر كذلك بالنسبة للكثيرين.

لكن ماذا عن شعراء البلاط الأمريكي الأوربي؟ هل سيتوقفون عند مثل هذه الحادثة لإعادة النظر في قناعاتهم الساذجة؟!

لست متفائلاً حيال ذلك. فالتجارب تدل على أن هذه النوعية من البشر لن تعتبر، ولن تتحرك فيها شعرة واحدة. بل إن شغفهم بالمدائح (البلاطية) ربما يجعلهم لا يبصرون في هذه القصة كلها سوى جانب واحد، وهو (عناية بلغاريا والدول الغربية بمواطنيها ودفاعها عنهم). وأما سائر جوانب القصة الأليمة فلا أظنهم يتوقفون عندها، ولا يبدو أنها ستغير من قناعاتهم شيئاً إلا أن يشاء الله.

وقد رأينا بعض هؤلاء حين ظهرت فظائع سجن أبي غريب، وضج لها الناس، رأيناهم يتحدثون فقط عن روعة النظام الذي أدى لاكتشاف مثل هذه الممارسات! فمن الواضح أن الغشاوة غطت على أبصارهم، بعد أن ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون.

حادثة الأطفال الليبيين ليست الأولى، ولن تكون الأخيرة. وشعارات إنسانية الحضارة الغربية باتت مكشوفة العورة تماماً، فهي تغيب دائماً حين توجد المصالح والدولارات. وإذا كان الأطفال الليبيون -وبسبب جريمة أوربية- يعانون الآن ويلات الإيدز. فهناك ثمانية وعشرون مليون إفريقي آخر يعانون المرض نفسه. والقيم الغربية «الإنسانية» «الرائعة» لها يدٌ طويلة في تعميق هذه المعاناة.

أدوية الإيدز تصنعها في أمريكا شركة (pfizer) وتبيعها بأثمان باهظة تعادل تسعة أضعاف كلفة إنتاجها.

بالمقابل هناك ثلاث دول في العالم (الهند-البرازيل-الأرجنتين) تستطيع تصنيع هذا الدواء وبيعه بثلث السعر الأمريكي. لكن الأمريكيين ظلوا لسنوات يمنعونهم من ذلك بعد أن كبلوهم باتفاقيات منظمة التجارة الدولية. وليذهب الأفارقة إلى مصيرهم المظلم فداءً لقيم الحضارة الغربية الإنسانية الرائعة كما في رواية البليهي!

فما أعظم هذه «الإنسانية»، وما أرقاها؟

هذه «الإنسانية» الفريدة هي التي تحرك قريحة شعراء البلاط، وتهيج مواهبهم لتدبيح الثناء والمديح لمن يتفنى في قتل الشعوب ومص دماؤها ودماء أطفالها في سبيل الدولار. ثم يرفع بعد ذلك بكل براءة شعارات «الإنسانية» وقيم «العدالة» و«العالم الحر».

=

العَالَمِ كُلِّهِ، فِي جَرِيْمَةٍ لَسْتُ أَعْلَمُ جَرِيْمَةً مُعْلَنَةً فِي حَقِّ الْأَطْفَالِ هِيَ أَبْشَعُ مِنْهَا، فَأَيْنَ هِيَ حُقُوقُ الطُّفُولَةِ الْبَرِيَّةِ وَحِمَايَتُهَا الَّتِي مَا فَتُّوا يَبْتَزُّونَ غَيْرَهُمْ بِهَا، وَيُعَاقِبُونَهُمْ مِنْ أَجْلِهَا؟

= حين أسمع أخبار تدخّل «بوش» لمنع معاقبة الممرضات البلغاريات رغم جنائتهن بحق أطفال لا ذنب لهم، أتذكر بكائياته وعباراته التي يكررها دائماً في خطابه المناقفة: «إذا ظل الشرق الأوسط، حتى بعد عشرين عاماً من الآن، خاضعاً لسيطرة حكام طغاة ... فإن (أطفالنا وأحفادنا) سيعيشون في عالم يسيطر عليه كابوس الخطر» ... «إذا تراجعنا وسمحنا بوجود حكومات استبدادية ... فسيكون العالم الذي سينمو فيه (أطفالنا) عالماً عدوانياً».

انظروا مقدار الشفقة التي يظهرها الفاجر على الأطفال، ثم تذكروا حكمة إبراهيم البليهي حين قال: (هم ليس عندهم نفاق)!!

وإذا كان النفاق يقبح من الضعيف، فهو أقبح وأقبح حين يأتي من القوي. أذكر قبل سنوات حين هلك الجنرال السفاح (أوغستو بينوشيه) حاكم تشيلي السابق خرج متحدثاً باسم البيت الأبيض يقول: «فترة استبداد أوغوستو بينوشيه شكلت أحد أصعب الفترات في تاريخ هذا البلد (تشيلي)»، ثم قال: «إن قلوبنا تتجه اليوم إلى ضحايا عهده وإلى أسرهم».

هذا ما قاله المتحدث باسم بيت الإنسانية الأبيض، لكن ما لم يقله هو أن بينوشيه وصل للحكم عن طريق انقلاب عسكري مدعوم من الرئيس الأمريكي نيكسون ضد رئيس تشيلي المنتخب. هذا الرئيس المنتخب الذي اختاره شعبه لم يكن «ديكتاتوراً» ولا «إرهابياً». لكن مشكلته أنه مؤمن بالاشتراكية، وهذا ما اعتبره الأمريكيون جريمة وكفراً. فليسقط إذا الرئيس المنتخب، وليحل مكانه المجرم الطاغية، وليقتل وليخطف وليعذب الآلاف من شعبه. ثم إذا مات بعد سنوات، لا بأس بكلمات أمريكية تتباكى على ضحايا إجرام الجنرال الطاغية!

لا حرج في ذلك كله، فالعالم مليء بالأغبياء الذين سوف يفهمون موقف العالم الحر، ويكررون ببلاهة: (الغرب ليس عنده نفاق)!

هذه صورة واحدة من ألبوم يحوي المئات من الصور.

والذي يريد الوقوف عليها لا يحتاج للتفتيش في كتب التواريخ.

بل يكفي فقط أن يتابع الأخبار بعقل واعٍ غير قابل لأن يخدع. وسوف يرى الصورة كاملة أمام عينيه بكل قبحها وبشاعتها.

إِنَّهَا ذَهَبَتْ أَذْرَاجَ الرِّيَّاحِ؛ لِأَنَّ الْأَطْفَالَ هُنَا مُسْلِمُونَ، وَلَا حَقَّ لِمُسْلِمٍ فِي شَيْءٍ!!

كَانَ اللَّهُ تَعَالَى فِي عَوْنِ هَؤُلَاءِ الْأَطْفَالِ وَأَبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ، وَأَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَنْتَصِرَ لَهُمْ إِذْ لَمْ يَنْتَصِرْ لَهُمْ أَحَدٌ؛ فَالْبَشَرُ بَيْنَ ظَالِمٍ وَعَاجِزٍ. فَمَتَى -يَا عِبَادَ اللَّهِ- يَعِي الْمَخْذُوعُونَ أَنَّ تِلْكَ الْمُضْطَلَّحَاتِ الْوَافِدَةَ، وَالشَّعَارَاتِ الْبَرَّاقَةَ لَا يُرَادُ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ مِنْهَا إِلَّا مَا فِيهَا مِنْ بَاطِلٍ؛ لِإِفْسَادِ عَقَائِدِهِمْ، وَإِبْطَالِ شَرِيعَتِهِمْ، وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْ دِينِهِمْ إِلَى بَاطِلِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ، وَأَنَّ مَا فِيهَا مِنْ حَقٍّ فَهُوَ مَقْصُورٌ عَلَيْهِمْ دُونَ غَيْرِهِمْ، وَلَا نَصِيبَ لِلْمُسْلِمِ فِي شَيْءٍ مِنْهُ.

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التَّوْبَةُ: ٣٢-٣٣].  
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ...







## ٣٦٢- تبديل ألفاظ الشريعة (٢) مصطلح الآخر

١٤٢٧/٢/٣ هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ؛ أَنْزَلَ الْكِتَابَ ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، نَحْمَدُهُ عَلَى عَظِيمِ نِعَمِهِ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى جَزِيلِ عَطَائِهِ، وَوَاسِعِ مَغْفِرَتِهِ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا، وَأَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ أَرْسَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ؛ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ، وَحُجَّةً عَلَى الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، لَا خَيْرَ إِلَّا دَلَّ الْأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلَا شَرَّ إِلَّا حَذَرَهَا مِنْهُ؛ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَاتَّبَاعِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ -عِبَادَ اللَّهِ- وَأَطِيعُوهُ؛ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَعَلَى أَعْمَالِكُمْ مُحَاسِبُونَ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨].

أَيُّهَا النَّاسُ: خَتَمَ اللَّهُ تَعَالَى النَّبَوَاتِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَكْمَلَ الدِّينَ بِوَفَاتِهِ، فَمَا فَارَقَ ﷺ أُمَّتَهُ إِلَّا وَقَدْ كَمُلَ الدِّينُ، وَتَمَّتِ النِّعْمَةُ، وَاسْتَقَرَّتِ الشَّرِيعَةُ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يُحْكَمَ بِهَا النَّاسُ إِلَى آخِرِ الزَّمَانِ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

هُوَ دِينُ الْحَقِّ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ، وَمَا سِوَاهُ مِنَ الْأَدْيَانِ الْمَصْنُوعَةِ وَالْمُحَرَّفَةِ فَهِيَ الْبَاطِلُ وَالضَّلَالُ الَّذِي كَشَفَهُ الْقُرْآنُ، وَحَذَرَهُ مِنْهُ، وَأَبْدَأَ فِيهِ وَأَعَادَ، وَلَا يَكُونُ الْعَبْدُ مُسْلِمًا إِلَّا بِالْإِيمَانِ بِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ، وَالتَّسْلِيمِ بِهَا، وَالْإِنْقِيَادِ لَهَا، وَالْعَمَلِ بِالْآثَارِ النَّاتِجَةِ عَنْهَا.

وَمَنْ شَكَّ فِي هَذِهِ الْحَقِيقَةِ، أَوْ تَرَدَّدَ فِي قَبُولِهَا، أَوْ ظَنَّ أَنَّهَا مُحْتَمَلَةٌ، أَوْ قَالَ: لَا أَعْلَمُ؛ فَلَيْسَ مِنَ الْإِسْلَامِ فِي شَيْءٍ؛ إِذْ لَا زُمْ ذَلِكَ أَنَّهُ يَشْكُ فِي الْإِسْلَامِ، وَيُكَذِّبُ بِالْقُرْآنِ، وَلَمْ يُصَدِّقِ الرَّسُولَ ﷺ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ﴾ [مُحَمَّد: ٣].

وَلَمَّا كَانَ دِينَ الْإِسْلَامِ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا مِرْيَةَ فِيهِ، كَانَ أَعْدَاؤُهُ هُمْ أَهْلُ الْبَاطِلِ وَلَا شَكَّ، وَكَانَ عَلَى أَهْلِ كُلِّ الْمَلَلِ وَالنَّحْلِ وَالْأَفْكَارِ مِنْ سَائِرِ الدِّيَانَاتِ وَالْمَذَاهِبِ وَالْأَجْنَاسِ أَنْ يُحَارِبُوهُ؛ لِأَنَّهُمْ حَمَلَةُ الْبَاطِلِ وَحُمَاتُهُ، وَهَذَا الْحَقُّ الْمُتَمَثِّلُ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ يَكْشِفُ بَاطِلَهُمْ لِلنَّاسِ، وَلَا بُدَّ مِنْ صَرْفِ النَّاسِ عَنْهُ؛ لِأَنَّهُ الْحَقُّ الَّذِي يُجْذِبُ النَّاسَ إِلَيْهِ بِمُجَرَّدِ عَرْضِهِ عَلَيْهِمْ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فُصِّلَتْ: ٢٦].

وَهَكَذَا كَانَ حَالُ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ مَعَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، مُنْذُ أَنْ جَهَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِدَعْوَتِهِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا، وَسَتَظَلُّ الْحَرْبُ قَائِمَةً إِلَى آخِرِ الزَّمَانِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ سُنَّةٌ كَوْنِيَّةٌ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ تَعَالَى فِي عِبَادِهِ ﴿وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]، ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ [الفرقان: ٢٠]، ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [مُحَمَّد: ٤].

وَفِي زَمَانِنَا هَذَا وَمَعَ اسْتِدَادِ الْحَمَلَةِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَشَرِيعَتِهِ، وَالطَّغْنِ فِي رُمُوزِهِ وَشَعَائِرِهِ؛ أَخْذَتْ الْمُتَبَدِّعُونَ مُصْطَلَحَاتٍ وَضَعِيَّةً لِتَحُلَّ مَحَلَّ الْمُسَمِّيَّاتِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي جَاءَتْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، الْقَصْدُ مِنْهَا تَمْيِيعُ أَحْكَامِ الْإِسْلَامِ، وَالْقَضَاءُ عَلَى عَقِيدَةِ الْوَلَاءِ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْبِرَاءَةِ مِنَ الْكَافِرِينَ، وَإِخْلَالُ وَلَاءَاتِ وَبَرَائَاتِ أُخْرَى مَكَانَهَا، تُبْنَى عَلَى عَالَمِ الدُّنْيَا الْمُشَاهِدِ، مَعَ الْإِغَاءِ الْعَالَمِ

الْأُخْرَوِيَّ الْعَبِيَّ فِي بِنَاءِ تِلْكَ الْعَلَاqَاتِ مَعَ الْآخَرِينَ، وَقَصُرَ عَالَمِ الْعَيْبِ عَلَى التَّعَبُّدَاتِ الْمَحْضَةِ الَّتِي لَا شَأْنَ لَهَا بِوَاقِعِ النَّاسِ وَمَعَاشِهِمْ وَمُعَامَلَاتِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ.

وَمِنْ هُنَا ظَهَرَتْ مُصْطَلَحَاتٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا: التَّعَايُشُ السَّلَامِيُّ، وَالسَّلَامُ الْعَالَمِيُّ، وَالْأُخُوَّةُ الْإِنْسَانِيَّةُ، وَزَمَالَةُ الْأَدْيَانِ وَتَقَارُبُهَا وَوَحْدَتُهَا، وَإِلْغَاءُ الْإِيدُلُوجِيَّاتِ، وَمُحَارَبَةُ التَّفَرُّقَةِ الْعُنْصَرِيَّةِ عَلَى أَسَاسِ دِينِيٍّ، وَمَنْعُ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَالرَّجُلِ، وَبِنَاءُ الْعَلَاqَاتِ عَلَى أُسُسٍ دُنْيَوِيَّةٍ لَا دِينِيَّةٍ، وَالضَّغْطُ بِهَذِهِ الْمُصْطَلَحَاتِ الطَّاغُوتِيَّةِ عَلَى الدُّوَلِ الْإِسْلَامِيَّةِ؛ لِتَمَكِينِ الْأَقْلِيَّاتِ الْبِدْعِيَّةِ وَالْكُفْرِيَّةِ، مِنْ نَضْرَائِيَّةٍ وَبَاطِنِيَّةٍ وَإِلْحَادِيَّةٍ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ كَمَرَحَلَةِ أُولَى، ثُمَّ تَسْلِيمُهَا فِي نِهَايَةِ الْمَطَافِ -لَوْ نَجَّحُوا- زِمَامَ الْأُمُورِ لِتَحْكَمَ جُمُهُورُ الْمُسْلِمِينَ بِالْحَدِيدِ وَالنَّارِ، كَمَا مَكَّنُوا لِبَعْضِ الطَّوَائِفِ الْمُنْحَرِفَةِ عَنِ الْإِسْلَامِ فِي بَعْضِ الْبُلْدَانِ.

وَمِنْ أَشْهَرِ الْمُصْطَلَحَاتِ الَّتِي عُقِدَتْ لَهَا عَشْرَاتُ الْمُحَاضَرَاتِ وَالتَّدَوَاتِ، وَدُبِّجَتْ فِيهَا مِائَاتُ الْكُتُبِ وَالْمَقَالَاتِ، وَامْتَلَأَتْ بِبَحْثِهَا الصُّحُفُ وَالْمَجَلَّاتُ، وَتَنَاوَلَتْهَا بِالْجِدَالِ وَالْمُنَاقَشَةِ الْفَضَائِيَّاتُ وَالْإِذَاعَاتُ: مُصْطَلَحُ الْعَلَاqَةِ مَعَ الْآخَرِ، وَهُوَ مُصْطَلَحٌ طَارَ فِي الْآفَاقِ، وَانْتَشَرَ بَيْنَ النَّاسِ حَتَّى إِنَّهُ لَيَجْرِي عَلَى أَلْسِنِ الْعَوَامِّ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ لَا يَدْرِي مَنْ هُوَ هَذَا الْآخَرُ؟ وَمَاذَا يُرَادُ مِنَ الْمُسْلِمِ تُجَاهَهُ؟ وَلِمَاذَا ظَهَرَ هَذَا الْمُصْطَلَحُ فِي هَذَا الْوَقْتِ؟ وَمَا هُوَ الْبَيَانُ الشَّرْعِيُّ فِيهِ؟ إِنَّ الْعَقَبَةَ الْكَادَاءَ أَمَامَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ لِتَغْيِيرِ عَقْلِيَّةِ الْمُسْلِمِ، وَنَقْلِهِ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَى الْإِلْحَادِ، تَمَثَّلُ فِي هَذَا الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ الَّذِي يُوقِنُ الْمُسْلِمَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَتَطَرَّقُ الشَّكُّ إِلَيْهِ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، وَكُلُّ أَخْبَارِهِ أَخْبَارُ

صِدْقٍ وَحَقٍّ، وَإِذَا وَصَفَ الْقُرْآنُ أَقْوَامًا بِوَصْفٍ أَيْقَنَ الْمُؤْمِنُ أَنَّ ذَلِكَ الْوَصْفَ فِيهِمْ لَا مَحَالَةَ؛ لِثِقَتِهِ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَيَقِينُهُ بِعِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ، وَقَدْ حَوَتْ آيَاتُ هَذَا الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ تَفْصِيلَ الْعَلَاقَةِ مَعَ الْآخَرِينَ مِنْ يَهُودٍ وَنَصَارَى وَمَلَاحِدَةٍ وَمُشْرِكِينَ وَمُنَافِقِينَ، وَكَشَفَتْ حَقَائِقَهُمْ، وَعَرَضَتْ لِتَارِيخِهِمْ، وَبَيَّنَّتْ مَوَاقِفَهُمْ مِنَ الرُّسُلِ وَأَتْبَاعِ الرُّسُلِ ﷺ.

وَالْمُسْلِمُ يَتَعَبَّدُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِقِرَاءَةِ تِلْكَ التَّفَاصِيلِ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ، وَيَسْتَعْرِقُ جُزْءًا كَثِيرًا مِنْ يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ يَسْتَمِعُ إِلَيْهَا مِنْ إِذَاعَتِهِ وَآلَةٍ تَسْجِيلِهِ وَإِمَامٍ مَسْجِدِهِ، وَهِيَ تُرْسِخُ هَذِهِ الْحَقَائِقَ فِي عَقْلِهِ عَنْ مُمَارَسَاتٍ وَأَخْلَاقِيَّاتٍ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ، وَتَصَرُّفَاتِهِمُ الْمَشِينَةِ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمُعَادَاتِهِمُ الصَّرِيحَةَ لَهُمْ، وَتُحَذِّرُهُمْ مِنْ اتِّخَاذِهِمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا حِيلَةَ لِلْأَعْدَاءِ إِلَّا بِصَرْفِ النَّاسِ عَنْهُ، وَلَمْ يَنْصَرِفُوا عَنْهُ كُلِّيَّةً رَغْمَ تَكْثِيفِ وَسَائِلِ الشَّهَوَاتِ وَبَثِّ الشُّبُهَاتِ فِيهِمْ، فَعَمَدُوا قَبْلَ عَامٍ إِلَى فُرْقَانِهِمُ الْمَضْنُوعِ مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَبَعْضِ آيَاتِ الْقُرْآنِ بَعْدَ تَحْرِيفِهَا<sup>(١)</sup>، مَعَ حَذْفِ كُلِّ الْآيَاتِ الْفَاضِحَةِ لِلْكَفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ، وَنَشْرُوهُ فِي أَوْسَاطِ الْمُسْلِمِينَ لِيَكُونَ بَدِيلًا عَنِ الْقُرْآنِ، فَمَا حَفَلَ الْمُسْلِمُونَ بِقُرْآنِهِمْ، وَلَا التَّفَتُّوا إِلَيْهِ، فَجَاءَتْ هَذِهِ الْمُحَاوَلَةُ ضَمَنَ مُحَاوَلَاتٍ كَثِيرَةٍ لِقَطْعِ الصَّلَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَبَيْنَ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى؛ وَذَلِكَ بِتَغْيِيرِ الْمُسَمِّيَّاتِ الَّتِي جَاءَتْ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ أَعْلَامًا وَأَوْصَافًا عَلَى الْمُخَالِفِينَ، وَكَيْفِيَّةِ التَّعَامُلِ مَعَ الْكُفْرِ وَالْكَافِرِينَ، وَالْتِفَاقِ وَالْمُنَافِقِينَ، وَالْبِدْعَةِ وَالْمُبْتَدِعِينَ؛ لِيَحُلَّ مَحَلَّهَا: الْمَوْقِفُ

(١) هذا قرآن اخترعه بعض النصارى العرب الموجودين في أمريكا، وكتب بالعربية والإنجليزية، ودمجت ألفاظ وجمل قرآنية ببعض نصوص من الإنجيل المحرف. وقد سبق عرض سورة وبعض آياته وسخافاته في خطبة ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ فيراجعه من شاء في المجلد (٦) خطبة رقم (٢٢٥).

مِنَ الْآخِرِ، وَالْحَوَارُ مَعَ الْآخِرِ، وَالتَّعَايُشُ مَعَ الْآخِرِ، وَفَهُمُ الْآخِرِ، وَنَحْنُو ذَلِكَ، مَعَ إِبْرَازِ نُصُوصِ التَّسَامُحِ وَالْعَفْوِ وَالْمُحَاوَرَةِ مَعَهُ، وَإِلْغَاءِ نُصُوصِ مُقَارَعَتِهِ وَجِهَادِهِ وَفَضْحِهِ وَالْإِغْلَاطِ عَلَيْهِ، وَحُجَّةُ مَنْ يَدْعُو إِلَى هَذَا الْمَذْهَبِ الْجَدِيدِ: وَجُودُ الْمُشْتَرَكَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَالتَّرْكِيزُ عَلَيْهَا، مَعَ تَهْوِينِهِمْ مِنْ شَأْنِ الْمُفَارَقَاتِ الدِّينِيَّةِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْآخَرِينَ، وَالتَّسَبُّحُ النَّهَائِيَّةُ لِهَذَا الْإِثْمِ الْمُبِينِ: إِخْضَاعُ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ لِحُكْمِ الطَّاغُوتِ الْمُتَسَلِّطِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَعَلَى دِينِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَبُلْدَانِهِمْ.

إِنَّ هَذَا الْآخَرَ الَّذِي أُريدَ لَهُ أَنْ يَكُونَ أَحَاً لِلْمُسْلِمِ فِي الْإِنْسَانِيَّةِ قَدْ وُصِفَ فِي الْقُرْآنِ بِأَنَّهُ عَدُوٌّ مُبِينٌ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٠١]، وَفِي الْمُنَافِقِينَ ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ﴾ [المنافقون: ٤]، فَإِنْ كَانَ الْمَقْصُودُ اشْتِرَاكُهُ مَعَ الْمُسْلِمِ فِي الْعَيْشِ عَلَى الْأَرْضِ، فَكَذَلِكَ الْحَيَوَانُ يَعِيشُ مَعَ الْإِنْسَانِ عَلَى الْأَرْضِ فَهَلْ هُوَ أَخُوهُ؟! وَإِنْ كَانَ الْمُشْتَرَكُ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَالْإِنْسَانِ تَكْرِيمُهُ بِالْعَقْلِ، فَغَيْرُ الْمُؤْمِنِ قَدْ عَطَلَ عَقْلَهُ وَأَلْغَاهُ، وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ اسْتَنْكَفَ عَنْ عِبَادَتِهِ، وَلَمْ يَخْضَعْ لِشَرِيعَتِهِ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ، وَلَا يَعْقِلُونَ، وَلَا يَفْقَهُونَ، فَقَالَ عَنِ الْكُفَّارِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]، وَفِي الْأَنْفَالِ: ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥]، وَقَالَ عَنْهُمْ وَعَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي الْمَائِدَةِ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٢]، وَقَالَ تَعَالَى عَنِ الْيَهُودِ فِي الْحَشْرِ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر: ١٣]، وَفِي آيَةِ الْأُخْرَى ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾، وَرَمَى هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ بِالْفَسَادِ وَالسَّفَهِّ، فَقَالَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ [البقرة: ١٢]، وَفِي آيَةِ الْأُخْرَى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣]، وَفِي بَرَاءَةِ: ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا

يَفْقَهُونَ ﴿التَّوْبَةُ: ١٢٧﴾، وَفِي أُخْرَى: ﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾  
 [التَّوْبَةُ: ٩٣]، وَفِي سُورَتِهِمْ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا  
 يَفْقَهُونَ﴾ [الْمُنَافِقُونَ: ٣]، وَفِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾  
 [الْمُنَافِقُونَ: ٨].

بَلْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَبْلَغُ فِي شَأْنٍ مَنِ اسْتَكْبَرَ عَنْ دِينِ  
 الْإِسْلَامِ؛ إِذْ قُرِنُوا بِالْحَيَوَانِ، ثُمَّ فَضِّلَ الْقُرْآنُ الْعَجَمَاوَاتِ مِنَ الْحَيَوَانِ عَلَيْهِمْ،  
 فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ  
 بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ  
 هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وَفِي الْفُرْقَانِ: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ  
 أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]، وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ  
 أَنَّهُمْ شَرُّ خَلْقِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا  
 أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [الْبَيْتَةُ: ٦].

وَالْبَرِيَّةُ كُلُّ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى، فَهُمْ شَرُّ الْخَلِيقَةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَلِذَلِكَ قَالَ  
 سُبْحَانَهُ عَنْهُمْ: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾  
 [الأنفال: ٢٢]، ثُمَّ بَيَّنَّ مَنْ هُمْ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ  
 عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنفال: ٥٥]، وَوَصَفَهُمْ سُبْحَانَهُ  
 بِالنَّجَاسَةِ: ﴿يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التَّوْبَةُ: ٢٨]، فَهَلْ  
 سَيَرْضَى الْآخَرُ كَافِرًا كَانَ أَمْ مُنَافِقًا أَمْ مُرْتَدًّا بِتِلْكَ الْأَوْصَافِ فِيهِ الَّتِي تَكَرَّرَتْ فِي  
 كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى كَثِيرًا، أَمْ سَيَكْذِبُ الْمُسْلِمُونَ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَطْرَحُونَهُ  
 وَرَاءَهُمْ ظَهْرِيًّا لِإِرْضَاءِ هَذَا الْآخَرِ؟!

إِنَّ اخْتِرَاعَ مُسَمِّيَاتِ أُخْرَى لِلْكَافِرِ وَالْمُنَافِقِ وَالْمُرْتَدِّ لَنْ يُعْنِيَ مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا،

وَلَنْ يُزِيلَ حَسَدَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَلَنْ يَذْرَأَ عَدَاوَتَهُمْ عَنْهُمْ، بَلْ سَيَزِيدُهُمْ تَسَلُّطًا إِلَى تَسَلُّطِهِمْ، وَاسْتِكْبَارًا إِلَى اسْتِكْبَارِهِمْ، وَطَمَعًا إِلَى طَمَعِهِمْ فِي تَغْيِيرِ الْإِسْلَامِ كُلِّهِ، وَإِخْرَاجِ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُ، إِذَا مَا رَأَوْا فِتْنًا مِمَّنِ الْمُسْلِمِينَ يُغَيِّرُونَ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى وَأَحْكَامَهُ لِأَجْلِهِمْ.

وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْحَكَمُ الْعَدْلُ الَّذِي أُعْطِيَ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَحَفِظَ لِلْكَفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ حُقُوقَهُمْ فِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، فَأَهْلُ الْعُقُودِ تُوَفَّى لَهُمْ عُقُودُهُمْ، وَأَهْلُ الذِّمَّةِ وَالْأَمَانِ يُعْطَوْنَ حُقُوقَهُمْ، بَلْ حَتَّى فِي حَالِ الْحَرْبِ مَعَهُمْ يُحَسِّنُ إِلَى أَسِيرِهِمْ، وَيُدَاوِي جَرِيحَهُمْ، حَتَّى يَحْكُمَ فِيهِمْ إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ حَكَمَ بِقَتْلِهِمْ فَلَا يُعَذِّبُونَ وَلَا يُمَثِّلُ بِهِمْ، بَلْ تُحَسِّنُ قِتْلَتَهُمْ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ تَعَدٍّ مِنْهُمْ فَيَفْعَلُ بِهِمْ مِثْلَ الَّذِي فَعَلُوهُ بِالْمُسْلِمِينَ مِنْ بَابِ الْعُقُوبَةِ بِالْمِثْلِ، وَلَا يُزَادُ عَلَى ذَلِكَ. وَيُدْعَوْنَ إِلَى الْإِسْلَامِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَيُجَادِلُونَ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ؛ لَعَلَّهُمْ مِنْ كُفْرِهِمْ يَتُوبُونَ، وَإِلَى رَبِّهِمْ يَرْجِعُونَ.

وَأَمَّا الْمُنَافِقُ فَيُعَامَلُ مُعَامَلَةَ الْمُسْلِمِ أَخْذًا بِظَاهِرِ حَالِهِ، وَسَرِيرَتِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ مَا يَدُلُّ عَلَى كُفْرِهِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ فَيُؤْخَذُ بِهِ عَلَى حَسَبِهِ. وَالصَّرَاعُ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ سَيَظُلُّ قَائِمًا إِلَى آخِرِ الزَّمَانِ، وَلَنْ يُوقِفَهُ تَغْيِيرُ الْمُسَمِّيَّاتِ الشَّرْعِيَّةِ، وَاسْتِبْدَالُ الْمُصْطَلَحَاتِ الْوَضْعِيَّةِ بِهَا؛ لِأَنَّ هَذَا الصَّرَاعَ سُنَّةٌ كَوْنِيَّةٌ أَرَادَهَا اللَّهُ تَعَالَى، وَالْقَوِيُّ فِي هَذَا الصَّرَاعِ سَيَقْصِي الضَّعِيفَ، وَيَسْلُطُ عَلَيْهِ؛ كَمَا تَكَرَّرَ ذَلِكَ فِي التَّارِيخِ، وَدَلَّ عَلَيْهِ الْوَاقِعُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ الْمُسْلِمِينَ فِي حَالِ الْقُوَّةِ بِالْعَدْلِ حَتَّى مَعَ أَعْدَائِهِمْ، فَأُولَى الْمُسْلِمِينَ التَّمَسُّكُ بِدِينِهِمْ مِنْ إِرْضَاءِ أَعْدَائِهِمْ.

وَالَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ يَسْتَطِيعُونَ إِلْغَاءَ هَذَا الصَّرَاحِ الْأَبَدِيِّ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ،  
وَالْتَقَرُّبِ بَيْنَ الشَّرِيعَةِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَالْأَحْكَامِ الْوَضْعِيَّةِ، بِتَغْيِيرِ دِينِ اللَّهِ تَعَالَى،  
وَالْإِغَاءِ الْمُسَمَّيَاتِ الشَّرْعِيَّةِ وَإِحْلَالِ أُخْرَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ  
مَحَلَّهَا، مَا هُمْ إِلَّا مِنْ أَجْهَلِ النَّاسِ بِطَبِيعَةِ الصَّرَاحِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ،  
وَلَا يَعْرِفُونَ سُنَنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي عِبَادِهِ، وَلَوْ وَصَفُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْمُفَكِّرِينَ  
وَالْمُتَقَفِّينَ، وَلَوْ وَطِئَ النَّاسُ أَعْقَابَهُمْ، وَلَمَعَهُمْ مُرِيدُوهُمْ فِي إِعْلَامِهِمْ.

وَلَا يَلْزَمُ مِنْ تَقْرِيرِ ذَلِكَ، وَالْإِخْبَارِ بِهِ أَنَّ الْمُسْلِمَ يَتَمَنَّى إِشْعَالَ الصَّرَاحِ  
الْحَضَارِيِّ -وإن كَانَ فِي وَاقِعِ الْحَالِ مُشْتَعِلًا، وَيَزْدَادُ اضْطِرَامًا يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ-  
لِأَنَّ الْمُسْلِمَ يَنْطَلِقُ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ قَامَ فِي النَّاسِ خَطِيئًا فَقَالَ:  
«أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُّوْا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا،  
وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ (٢).

نَسَأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَنَا الْفِقْهَ فِي الدِّينِ، وَأَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ.  
وَأَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ . . .



## الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، أَحْمَدُهُ  
وَأَشْكُرُهُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،

(٢) أخرجه من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه: البخاري في الجهاد والسير، باب كان  
النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس (٢٨٠٤)، ومسلم في  
الجهاد والسير، باب كراهة تمنى لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء (١٧٤٢).



وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ  
وَمَنْ اهْتَدَى بِهِدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَأَطِيعُوهُ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا  
بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفَايَيْنَ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ  
رَحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨]

أَيُّهَا النَّاسُ: إِذَا كَانَ الْمُسْلِمُ يُنْهَى عَنْ تَزْيِيفِ الْحَقَائِقِ، وَتَغْيِيرِ الْمُسَمِّيَّاتِ  
الشَّرْعِيَّةِ، وَالتَّلَاغِبِ بِأَحْكَامِ الدِّينِ؛ لِتَخْدِيمِ الْأَفْكَارِ الْوَضْعِيَّةِ الْهَدَّامَةِ، وَتُؤَافِقَ  
الْقُلُوبَ الْمُفْتُونَةَ، وَتَسَايِرَ الْوَاقِعِ الضَّاعِطِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ؛ فَهُوَ كَذَلِكَ مَنْهِيٌّ  
عَنْ تَوْظِيفِ النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ تَوْظِيفًا خَاطِئًا يَخْدُمُ الْعُلُوَّ فِي الدِّينِ، وَيُقَدِّمُ عَلَى  
تَكْفِيرِ الْمُسْلِمِينَ بِلَا دَلِيلٍ، بَلْ بِمُجَرَّدِ الْهَوَى وَالشُّبْهَةِ، وَرُبَّمَا الْإِنْتِصَارِ لِلنَّفْسِ،  
نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى السَّلَامَةَ.

وَيَنْتِجُ عَنْ ذَلِكَ: نَكْثُ الْبَيْعَةِ الشَّرْعِيَّةِ، وَمُنَازَعَةُ السُّلْطَانِ فِي سُلْطَانِهِ،  
وَالْخُرُوجُ الْمُسَلَّحُ عَلَيْهِ، وَمِنْ ثَمَّ اسْتِهْدَافُ أَمْنِ الْمُسْلِمِينَ وَاقْتِصَادِهِمْ<sup>(٣)</sup>،  
وَقَصْدُ الْمَعْصُومِينَ بِالْقَتْلِ وَالتَّرْوِيعِ، وَكُلُّ هَذَا مِنَ الْفَسَادِ الْعَظِيمِ الَّذِي يَفُتُّ فِي  
عَضْدِ الْمُسْلِمِينَ، وَيُمْكِّنُ لِلْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، وَلَا يُسَرُّ بِهِ إِلَّا أَعْدَاءُ الْمِلَّةِ  
وَالدِّينِ، وَأَثَارُهُ شَنِيعَةٌ مَقِيَّتَةٌ، وَعَوَاقِبُهُ أَلِيمَةٌ وَخِيَمَةٌ، وَهُوَ بَابٌ مِنَ الْفِتْنَةِ عَرِيضٌ،  
لَا يَلِجُهُ أَحَدٌ ثُمَّ يَسْلَمُ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَالتَّارِيخُ مَلِيٌّ بِالْعَبْرِ فِي ذَلِكَ،  
نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى الْعِصْمَةَ وَالْعَافِيَةَ.

وَإِذَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ نَهَى عَنْ عُمُومِ الْإِفْسَادِ، فَكَيْفَ يَقْصِدُ التَّخْرِيبَ فِي

(٣) هذه إشارة إلى ما حصل هذا الأسبوع من محاولة بعض المطلوبين أمنياً تفجير مصفاة بقيق

بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ فِي مَهْطِ الْوَحْيِ، وَمَنْعِ الرِّسَالَةِ.  
وَمَهْمَا سَوَّعَهُ الْمُسَوِّغُونَ، وَاسْتَدَلَّ لَهُ الْمُسْتَدِلُّونَ، وَاعْتَذَرَ لَهُ الْمُعْتَذِرُونَ فَهُوَ  
فِعْلٌ آثِمٌ، وَإِفْسَادٌ ظَاهِرٌ، لَا يَسَعُ مُسْلِمًا إِلَّا أَنْ يَبْرَأَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ تَسْوِغِهِ،  
فَضْلًا عَنِ الْمُوَافَقَةِ عَلَيْهِ وَالرِّضَا بِهِ.

وَلَا أَنْ يَضِرَّ الْمُسْلِمُ عَلَى أَذَى الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ، وَتَنْكِيلِهِمْ بِالْمُسْلِمِينَ،  
وَاحْتِلَالِ بُلْدَانِهِمْ؛ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَنْزِعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، وَيُفَارِقَ الْجَمَاعَةَ، ثُمَّ يَعِثَ  
فَسَادًا وَتَخْرِيبًا فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، كَيْفَ؟ وَعِبَادَةُ بُنِ الصَّامِتِ ﷺ يَقُولُ: «بَايَعْنَا  
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ  
أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً» رَوَاهُ  
الشَّيْخَانِ<sup>(٤)</sup>، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا  
يَكْرَهُهُ فَلْيَضِرَّ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»  
رَوَاهُ الشَّيْخَانِ<sup>(٥)</sup>.

نَسَأَلُ اللَّهَ تَعَالَى الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ، كَمَا نَسَأَلُهُ أَنْ يَهْدِيَ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنْ  
يَكْتِبَ الْمُفْسِدِينَ. اللَّهُمَّ مَنْ أَرَادَ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ وَالْمُسْلِمِينَ بِسُوءٍ فَاشْغَلْهُ فِي  
نَفْسِهِ، وَرَدِّ كَيْدِهِ إِلَى نَحْرِهِ.  
وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى نَبِيِّكُمْ ...



(٤) أخرجه البخاري في الأحكام، باب كيف يبايع الناس الإمام (٦٧٧٤)، ومسلم في  
الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية (١٧٠٩).

(٥) أخرجه البخاري في الفتن، باب قول النبي ﷺ: سترون بعدي أمورًا تنكرونها (٦٦٤٦)،  
ومسلم في الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال  
وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة (١٨٤٩).

## ٣٦٣- تبديل ألفاظ الشريعة (٣)

## التعايش السلمي

١٠/٧/١٤٢٧هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ؛ هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَعَلَّمَنَا الْحِكْمَةَ وَالْقُرْآنَ، وَجَعَلَنَا مِنْ خَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، أَحْمَدُهُ عَلَى عَظِيمِ نِعَمِهِ، وَأَشْكُرُهُ عَلَى إِحْسَانِهِ وَمِنْنِهِ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ خَلَقَ عِبَادَهُ حُنَفَاءَ فَاجْتَالَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَصَرَفَتْهُمْ عَنِ دِينِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَحَلَّتْ لَهُمْ مَا حَرَّمَ رَبُّهُمْ عَلَيْهِمْ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ لَا خَيْرَ إِلَّا دَلَّنَا عَلَيْهِ، وَلَا شَرَّ إِلَّا حَذَرْنَا مِنْهُ، تَرَكْنَا عَلَى بَيْضَاءَ لَيْلِهَا كَنَهَارُهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَاتَّبَاعِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَأَوْصِيكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ ﷻ؛ فَاتَّقُوهُ حَقَّ التَّقْوَى ﴿بِتَأْيِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ١٨ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾

[الحشر: ١٨، ١٩].

أَيُّهَا النَّاسُ: مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ ﷻ فِي عِبَادِهِ أَنْ ابْتَلاَهُمْ بِالْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ، وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَجَعَلَهُمْ حِزْبَيْنِ، فَحِزْبُ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ أَعْدَاءُ الشَّيْطَانِ، وَحِزْبُ آخَرُهُمْ أَعْدَاءُ الرَّحْمَنِ، أَوْلِيَاءُ الشَّيْطَانِ. وَكَلَّفَ سُبْحَانَهُ أَوْلِيَاءَهُ بِإِقَامَةِ الدِّينِ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهِ، وَوَعَدَهُمْ بِالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ فِي الْآخِرَةِ، وَابْتَلاَهُمْ بِأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ الَّذِينَ يَشْهَرُونَ الْكُفْرَ وَالضَّلَالَ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَيُحَارِبُونَ أَوْلِيَاءَهُ ﷻ.

إِنَّهُمَا فَرِيقَانِ: فَرِيقٌ حَقٌّ، وَفَرِيقٌ بَاطِلٌ، وَجُنْدَانِ: جُنْدُ الرَّحْمَنِ، وَجُنْدُ الشَّيْطَانِ، هَكَذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى؛ ابْتِلَاءً وَامْتِحَانًا لِلْبَشَرِ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التَّغَابُنُ: ٢]، وَفِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [فاطر: ٨]، وَفِي آيَةٍ ثَالِثَةٍ: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ [الأعراف: ٣٠]، وَفِي آيَةٍ رَابِعَةٍ: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشُّورَى: ٧].

وَكَانَ ﷻ -وَلَا يَزَالُ- قَادِرًا عَلَىٰ جَعْلِ الْبَشَرِ كُلِّهِمْ مِنْ أَوْلِيَائِهِ، وَعَلَىٰ هِدَايَتِهِمْ كُلِّهِمْ لِلْإِيمَانِ، وَمُجَانِبَتِهِمْ لِلْكُفْرِ وَالْعُصْيَانِ، وَلَكِنَّ إِرَادَتَهُ النَّافِذَةَ، وَحُكْمَتَهُ الْبَالِغَةَ تَأْبَىٰ ذَلِكَ؛ كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ [الأنعام: ١٠٧]، وَفِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ [السَّجْدَةِ: ١٣]، وَفِي ثَالِثَةٍ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: ٣٥]، وَفِي رَابِعَةٍ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ \* إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هُود: ١١٨، ١١٩].

بَلْ بَيَّنَّ ﷻ أَنَّ الْهُدَايَةَ لَهُ، وَأَنَّ الْخُلُقَ مَهْمَا عَمِلُوا عَلَىٰ هِدَايَةٍ مِنْ كُتِبَتْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ فَلَنْ يَهْتَدِيَ ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الرُّوم: ٣٦]، ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ [البَجَائِيَةِ: ٢٣].

وَخَاطَبَ رَسُولُهُ ﷺ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ بِهَذَا الْمَعْنَى الْعَظِيمِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿يُونُسُ: ٩٩، ١٠٠﴾، وَفِي أُخْرَى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [الْقَصَص: ٥٦]، وَفِي ثَالِثَةٍ: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [الْمَائِدَةِ: ٤١]، وَفِي رَابِعَةٍ: ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ [النُّحْل: ٣٧]، وَفِي خَامِسَةٍ: ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾ [النَّمْل: ٨١].

وَسَبَبِ هَذَا الْإِخْتِلَافِ وَالتَّمَايزِ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ كَانَتِ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ، وَالْإِحْتِرَابُ وَالْقِتَالُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النِّسَاء: ٧٦]، وَيُخَاطَبُ الْمُؤْمِنِينَ يُحَذِّرُهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ، فَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [النِّسَاء: ١٠١].

حَقَائِقُ نَاصِعَةٌ لَا لَبْسَ فِيهَا وَلَا غُمُوضَ، وَآيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مُحْكَمَةٌ لَا تَحْتَاجُ إِلَى تَفْسِيرٍ وَبَيَانٍ، نَزَلَتْ مِنْ لَدُنْ لَطِيفٍ خَبِيرٍ يُخْبِرُنَا فِيهَا رَبُّنَا جَلَّ جَلَالُهُ عَنْ طَبِيعَةِ الصَّرَاحِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافَرِ، وَأَنَّهُ صِرَاعٌ عَلَى الدِّينِ، لَا عَلَى الْمَصَالِحِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَأَنَّهُ دَائِمٌ مَا دَامَ عَلَى الْأَرْضِ كُفَّارٌ وَمُؤْمِنُونَ، وَأَنَّ الْكُفَّارَ لَا يَزَالُونَ جَادِّينَ فِي إِخْرَاجِ النَّاسِ مِنْ دِينِهِمْ لَوْ اسْتَطَاعُوا، وَأَنَّهُمْ مُتَّفَانُونَ فِي إِظْفَاءِ نُورِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي هُوَ الْإِيمَانُ، وَمُسْتَمِيتُونَ فِي جَعْلِ كَلِمَةِ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي هِيَ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ سُفْلَى، وَيَأْبَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا أَنْ يُتِمَّ دِينُهُ، وَأَنْ يَجْعَلَ كَلِمَتَهُ هِيَ الْعُلْيَا؛ وَذَلِكَ بِنَصْرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَأْيِيدِهِمْ بِجُنْدِهِ، وَدَحْرِ الْكُفْرِ وَأَهْلِهِ ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا﴾ [البَقَرَةُ: ٢١٧]، ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التَّوْبَةُ: ٣٢، ٣٣]، ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ [التَّوْبَةُ: ٤٠].

وَإِذَا كَانَ الْكُفَّارُ قَدْ فَعَلُوا بِالرُّسُلِ ﷺ مَا فَعَلُوا مِمَّا قَصَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْنَا خَبَرَهُ فِي الْقُرْآنِ، فَكَيْفَ لَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ بِاتِّبَاعِ الرُّسُلِ فِي هَذَا الزَّمَانِ؟! ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ١٣]،

وَالْكَفَّارُ مِنْ قَوْمِ شُعَيْبٍ قَالُوا لَهُ: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّةِنَا﴾ [الأعراف: ٨٨]، وَالْكَفَّارُ مِنْ قَوْمِ لُوطٍ ؑ تَأْمَرُوا عَلَيْهِ وَقَالُوا: ﴿أَخْرِجُوا ءَالَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهُرُونَ﴾ [النمل: ٥٦].

وَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ أَنَّهُمْ اجْتَمَعُوا عَلَى الشَّرِّ، وَتَوَاصَوْا بِالْبَاطِلِ، وَتَمَالَثَوْا عَلَى النَّيْلِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ ابْنُ قَيْلَتِهِمْ، وَخَيْرُ النَّاسِ فِيهِمْ ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وَفِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ [الإسراء: ٧٦].

إِذَا تَقَرَّرَ هَذَا الْأَصْلُ الْعَظِيمُ الَّذِي قَرَّرَهُ الْقُرْآنُ، مِنْ دَوَامِ عَدَاوَةِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا، وَأَنَّهَا عَدَاوَةٌ دِينِيَّةٌ لَا دُنْيَوِيَّةٌ، فَهَلْ يُمَكِّنُ أَنْ يُخَدَعَ الْمُؤْمِنُونَ بِأَكْبَرِ خُدْعَةٍ فِي هَذَا الْعَصْرِ، وَهِيَ خُدْعَةُ التَّعَايُشِ السَّلْمِيِّ بَيْنَ أَهْلِ الْحَقِّ وَأَهْلِ الْبَاطِلِ.

إِنَّ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ضِدَّانِ لَا يَجْتَمِعَانِ وَلَا يَنْتَفِيَانِ، وَمَنْ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ قَالَ مُحَالًا؛ إِذْ فِي الزَّعْمِ بِإِمْكَانِ اجْتِمَاعِهِمَا وَتَأَلُّفِهِمَا وَتَعَايُشِهِمَا تَكْذِيبٌ لِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ دَيْمُومَةِ الْعَدَاوَةِ بَيْنَهُمَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَنَفْيٍ لِتَارِيخِ طَوِيلٍ مَنْ تَنَازَعَهُمَا وَاحْتَرَابَهُمَا، وَفِي الزَّعْمِ بِانْتِفَائِهِمَا تَكْذِيبٌ لِلْقُرْآنِ الَّذِي أَخْبَرَ بِبَقَائِهِمَا إِلَى آخِرِ الزَّمَانِ، وَتَعْطِيلٌ لِحُكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي ابْتِلَاءِ الْبَشَرِ وَامْتِحَانِهِمْ بِبَقَائِهِمَا.

وَأَمَّا التَّعَايُشُ السَّلْمِيُّ بَيْنَ أَنْصَارِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِ الْبَاطِلِ فَغَيْرُ وَاقِعٍ فِي تَارِيخِ الْبَشَرِ، وَلَا هُوَ مُمَكِّنٌ أَيْضًا؛ لِأَنَّ أَهْلَ الْحَقِّ مَأْمُورُونَ بِنَشْرِ الْحَقِّ وَنَصْرِهِ، وَالْقَضَاءِ بِهِ عَلَى الْبَاطِلِ، كَمَا أَنَّ أَهْلَ الْبَاطِلِ مَدْفُوعُونَ مِنَ السَّيَاطِينِ إِلَى نَشْرِ بَاطِلِهِمْ وَنَصْرِهِ، وَالْقَضَاءِ بِهِ عَلَى الْحَقِّ، فَلَا بَدَّ أَنْ يَخْضَعَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ لِلْآخَرِ،

وَفِي حَالِ خُضُوعٍ أَنْصَارِ أَحَدِهِمَا، وَهَيْمَنَةِ أَنْصَارِ الْآخَرِ يَسُودُ هُدُوءٌ يُسَمِّيهِ  
الْجَاهِلُونَ تَعَايُشًا سَلْمِيًّا، وَهُوَ خُنُوعٌ وَضَعُفٌ أَصَابَ أَنْصَارَ أَحَدِهِمَا لِحِسَابِ  
أَنْصَارِ الْآخَرِ.

فَإِنْ كَانَ الضَّعْفُ قَدْ أَصَابَ أَنْصَارَ الْحَقِّ لِحِسَابِ جُنْدِ الْبَاطِلِ كُفَّارًا كَانُوا أَمْ  
مُبْتَدِعَةً ضَلَالًا؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ وَالْبَغْيَ وَالْخَوْفَ يَسُودُ فِي الْأَرْضِ الَّتِي سَادَ فِيهَا  
الْبَاطِلُ، وَتُسْفِكُ دِمَاءَ بَرِيَّةٍ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ وَجُنْدِهِ؛ كَمَا حَصَلَ فِي أَرْمَانَ  
الْحُرُوبِ الصَّلَيبِيَّةِ، وَالْاجْتِيَاكِ التَّتَرِيِّ، ثُمَّ الْإِسْتِعْمَارِ بِشَقِيهِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ،  
وَكَمَا وَقَعَ مِنَ الْمُبْتَدِعَةِ الْبَاطِنِيِّينَ لَمَّا تَمَكَّنُوا فِي بَعْضِ دِيَارِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَكَمَا  
يَقَعُ فِي هَذَا الْعَصْرِ الَّذِي كَانَتْ الْعَلَبَةُ فِيهِ لِصَهَابَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ عَلَى سَائِرِ الْبَشَرِ.  
بَلْ إِنَّ التَّارِيخَ يُثَبِّتُ أَنَّ الظُّلْمَ وَالْبَغْيَ قَدْ وَقَعَ بَيْنَ أَهْلِ الْبَاطِلِ وَبَعْضِهِمْ عَلَى  
بَعْضٍ، فِي حُرُوبٍ عَقَائِدِيَّةٍ شَرْقِيَّةٍ وَعَرَبِيَّةٍ خَلَفَتْ دُمُوعًا وَدِمَارًا، وَأَفْنَتْ بَشَرًا  
كَثِيرًا.

وَأَمَّا إِنْ كَانَتْ الدَّائِرَةُ لِأَهْلِ الْحَقِّ عَلَى أَهْلِ الْبَاطِلِ فَإِنَّ الْعَدْلَ وَالْأَمْنَ يَسُودُ  
فِي الْأَرْضِ الَّتِي سَادَ الْحَقُّ فِيهَا؛ كَمَا وَقَعَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا فَتَحُوا مَشَارِقَ  
الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَحَكَمُوا بَيْنَ الْعِبَادِ بِشَرِيعَةِ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي هِيَ الْحَقُّ وَالْعَدْلُ  
وَالرَّحْمَةُ، وَبِشَهَادَةِ الْكُفَّارِ مِنَ الرُّومِ وَالْفُرسِ وَالتُّرْكِ وَاللَّاتِينَ وَغَيْرِهِمْ أَنَّ حُكْمَ  
الْمُسْلِمِينَ فِيهِمْ أَيَّامَ الْفَتْوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ كَانَ أَعْدَلَ فِيهِمْ وَأَرْحَمَ بِهِمْ مِنْ حُكْمِ  
مُلُوكِهِمْ وَأَبَاطَرَتِهِمْ، وَمَا نَعِمَتْ كَثِيرٌ مِنْ شُعُوبِهِمْ بِالْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ إِلَّا لَمَّا نَفَيْتْ  
ظِلَالَ حُكْمِ الْإِسْلَامِ، وَكَانَ كَثِيرٌ مِنْ أَفْرَادِهِمْ يَهْرُبُونَ مِنْ ظُلْمِ مُلُوكِهِمْ إِلَى عَدْلِ  
أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَدُونَ الْمُكَذِّبِينَ وَالْمُشَكِّكِينَ فِي ذَلِكَ كَمَ كَثِيرٌ مِنْ كُتُبِ التَّارِيخِ،  
وَشَهَادَاتِ الْمُؤَرِّخِينَ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى ذَلِكَ.

إِنَّ مُصْطَلَحَ التَّعَايُشِ السَّلْمِيِّ لَمْ يَرِدْ فِي الْكِتَابِ وَلَا فِي السُّنَّةِ، بَلْ فِيهِمَا مَا يُنَاقِضُهُ وَيُبْطِلُهُ، وَلَا وَقَعَ عَمَلِيًّا فِي التَّارِيخِ الْقَدِيمِ وَلَا الْمُعَاصِرِ، وَإِنَّمَا تَمَّ سَكُّ هَذَا الْمُصْطَلَحِ فِي أَرْوَاقَةِ السِّيَاسَةِ الصَّهْيَوْنِيَّةِ، وَمِنْ ثَمَّ صُدِّرَ لِلْمُسْلِمِينَ قَبْلَ أَرْبَعِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً<sup>(١)</sup> عَقَبَ انْتِصَارِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْيَهُودِ فِي حَرْبِ الْعَاشِرِ مِنْ رَمَضَانَ، ثُمَّ إِذْخَالَ النَّفْطُ سِلَاحًا فِي الْحَرْبِ؛ فَاخْتَرَعَ الصَّهَابِيُّ هَذَا الشُّعَارَ وَرَفَعُوهُ لِتَخْفِيفِ الضَّغْطِ عَلَيْهِمْ، وَرَدَّ الْمُسْلِمِينَ عَنْهُمْ، فَحَصَلَ لَهُمْ مَا أَرَادُوا<sup>(٢)</sup>، ثُمَّ صَارَ سِلَاحًا يَسْتُخْدِمُونَهُ إِذَا رَأَوْا أَنَّ الْمَعَارِكَ لَيْسَتْ فِي صَالِحِهِمْ. وَمَعَ مُرُورِ الْأَيَّامِ تَمَّ تَطْوِيرُ هَذَا الْمُصْطَلَحِ الْحَادِثِ، وَتَحَوَّلَ إِلَى دَعْوَةٍ فِكْرِيَّةٍ، لَهَا امْتِدَادٌ عَقْدِيٌّ يَسْعَى بِجِدِّ لِنَشْرِ الْإِلْحَادِ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، وَذَلِكَ بِالسَّمَاكِ لِلْمُرْتَدِّينَ بِإِظْهَارِ رِدَّتِهِمْ، وَتَمَكِينِ الْمُنْصَرِّينَ مِنَ الْعَمَلِ فِي أَوْسَاطِ الْمُسْلِمِينَ، وَالْقَضَاءِ عَلَى عَقِيدَةِ الْوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ، وَادِّعَاءِ أَنَّ الْحَقَّ خَفِيٌّ، وَأَنَّ الْأَدْيَانَ قَدْ فَرَّقَتِ الْبَشَرَ، وَلَا يَجْمَعُهُمْ إِلَّا قَبُولُ أَهْلِ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ، بَلْ إِخْضَاعُ الْحَقِّ لِبَاطِلِهِمُ الْإِلْحَادِيِّ، وَكُلُّ هَذَا الصَّلَالِ يَجْرِي تَرْوِيجُهُ وَنَشْرُهُ، وَالِدَّعَايَةُ لَهُ تَحْتَ مُسَمًّى: «التَّعَايُشُ السَّلْمِيُّ» الَّذِي مَا رَأَيْنَاهُ إِلَّا قَيْدًا قَيْدَ بِهِ أَهْلُ الْحَقِّ عَنْ نَشْرِ حَقِّهِمْ، وَالْمُطَالَبَةِ بِمَا يَجِبُ لَهُمْ، وَرَدِّ الْعُدْوَانِ عَلَيْهِمْ، وَرَفْعِ الظُّلْمِ عَنْهُمْ، وَكَانَ هَذَا الشُّعَارُ عَوْنًا لِأَهْلِ الْبَاطِلِ فِي نَشْرِ بَاطِلِهِمْ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى مَا اغْتَصَبُوهُ مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ وَحُقُوقِهِمْ؛ لِيَسْتَرِيحَ أَهْلُ الْبَاطِلِ فِي ظِلِّهِ، وَيَخْدَعُوا بِهِ أَهْلَ الْحَقِّ، وَمِنْ ثَمَّ يَنْطَلِقُونَ إِلَى ظُلْمٍ جَدِيدٍ، بَعْدَ الْإِسْتِعْدَادِ الْجَدِيدِ، وَتَخْذِيرِ

(١) على الخطيب أن ينتبه للتاريخ، وبحسب السنوات بما يوافق سنته التي هو فيها؛ لأن عدد السنوات هذا صحيح هذه السنة ١٤٢٧هـ.

(٢) ينظر: تسامح الغرب لعبد اللطيف الحسين (٣٨-٥٣)، والحوار العربي الأوربي، أحمد صوتي الدجاني (١)، والتعايش السلمي لهيو كسكل (٣).



الْمُسْلِمِينَ، وَهَكَذَا رَأَيْنَا فِيمَا عِشْنَا مِنْ سَنَوَاتٍ مَاضِيَةٍ.

إِنَّ الْإِسْلَامَ قَدْ أُعْطِيَ كُلُّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَأَمَرَ بِالتَّعَامُلِ مَعَ الْمُخَالِفِينَ كُلِّ بِحَسَبِ فِعْلِهِ وَجَرِيرَتِهِ مِنْ غَيْرِ ظُلْمٍ وَلَا بَخْسٍ وَلَا تَعَدٍّ؛ فَالْمُحَارِبُونَ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُتَافِقِينَ لَهُمُ الْحَرْبُ وَالْقِتَالُ بِمَا يَدْفَعُ شَرَّهُمْ، وَيُزِيلُ خَطَرَهُمْ، وَيَكْسِرُ شَوْكَتَهُمْ. وَأَمَّا الْمُسَالِمُونَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْأَمَانَ، وَقَدْ قَبِلُوا بِحُكْمِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فَلَهُمُ الْحِمَايَةُ وَالذِّمَّةُ وَالْأَمَانُ، تُوفَّى لَهُمْ عُهُودُهُمْ، وَتُبَذَّلَ لَهُمْ حُقُوقُهُمْ، لَا يُظْلَمُونَ وَلَا يُظْلَمُونَ، مَعَ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَالْبِرِّ فِيهِمْ، وَتَأْلِيْفِهِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ لَعَلَّهُمْ يُسَلِّمُونَ.

وَأَمَّا الْمُتَافِقُونَ فَإِنْ أَظْهَرُوا رِدَّتَهُمْ عَوَمِلُوا مُعَامَلَةً الْمُرتدِّينَ، وَإِنْ أَخْفَوْهَا عَوَمِلُوا مُعَامَلَةً الْمُسْلِمِينَ، وَوَكَلْتُ سَرَائِرُهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

وَلَيْسَ فِي الْإِسْلَامِ مُضْطَلَحَاتُ مَائِعَةٍ، وَلَا شِعَارَاتُ بَرَاقَةٍ خَادِعَةٍ، وَلَا يَحْتَاجُ الْمُسْلِمُونَ لِمَنْ يُكْمِلُ لَهُمْ نَقْصًا فِي دِينِهِمْ، أَوْ يَدُلُّهُمْ عَلَى خَيْرٍ أَغْفَلَتْهُ نُصُوصُهُمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَا قَبَضَ رَسُولُهُ ﷺ إِلَّا وَقَدْ أَكْمَلَ دِينَهُ، وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ، وَبَلَغَ رَسُولُهُ ﷺ هَذَا الدِّينَ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ.

أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ، وَاسْتَمْسِكُوا بِدِينِكُمْ، وَلَا تَخْدَعُوا بِشِعَارَاتِ أَعْدَائِكُمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَا كَلَّفَ الْعِبَادَ أَنْ يُغَيِّرُوا الْوَاقِعَ وَهُمْ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَمَرَهُمْ بِالتَّمَسُّكِ بِدِينِهِمْ، وَالتَّبَاتِ عَلَيْهِ إِلَى الْمَمَاتِ ﴿فَاسْتَسِيكَ بِالَّذِي أَوْحَى إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣]، وَفِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿اتَّبِعْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٦].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ ...



## الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهِدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ -عِبَادَ اللَّهِ- وَأَطِيعُوهُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَمْ يَكْتَفِ أَهْلُ الْبَاطِلِ فِي هَذَا الْعَصْرِ بِقُوَّتِهِمُ الْمَادِّيَّةِ فِي حَرْبِهِمْ لِأَهْلِ الْحَقِّ، بَلْ عَمَدُوا إِلَى التَّزْوِيرِ وَالْخِدَاعِ بِالْقَذْفِ بِهِذِهِ الشَّعَارَاتِ الْبَرَّاقَةِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا؛ لِيَتَلَفَّهَا الْمَخْدُوعُونَ مِنْ أَبْنَاءِ الْأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ، وَيَظُنُّوا أَنَّ الْخَلَاصَ سَيَكُونُ بِهَا، فَيُثِقُونَ فِيهَا أَعْظَمَ مِنْ ثِقَتِهِمْ بِرَبِّهِمْ، وَيَتَمَسَّكُونَ بِهَا أَكْثَرَ مِنْ تَمَسُّكِهِمْ بِدِينِهِمْ، وَيُنَافِحُونَ عَنْهَا أَشَدَّ مِنْ مُنَافَحَتِهِمْ عَنْ حُقُوقِهِمْ، ثُمَّ مَا يَلْبَثُونَ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى يَتَبَيَّنُوا أَنَّهَا كَانَتْ شِعَارَاتٍ كَاذِبَةً، وَأَمَانِي خَادِعَةً، قَذَفَ بِهَا الْأَعْدَاءُ إِلَيْهِمْ لِيُخَدِّعُوهُمْ لَيْسَ غَيْرَ ذَلِكَ، وَرُبَّمَا عَلِمُوا وَلَكِنَّهُمْ يَأْمُلُونَ فِيهَا أَمَلَ الْمَرِيضِ الْهَالِكِ فِي الْمُسْكَنَاتِ الَّتِي تُسْكُنُ أَلَمَهُ وَلَا تَزِيلُ مَرَضَهُ، بَلْ رُبَّمَا زَادَتْهُ مَرَضًا إِلَى مَرَضِهِ.

إِنَّ أَهْلَ الْبَاطِلِ فِي هَذَا الْعَصْرِ يَدْعُونَ إِلَى التَّعَايُشِ السَّلْمِيِّ وَهُمْ لَا يَزَالُونَ جَادِينَ فِي إِنْتَاجِ الْأَسْلِحَةِ الْمُدْمِرَةِ، وَافْتِعَالِ الْحُرُوبِ الطَّاحِنَةِ، وَزِيَادَةِ مِيزَانِيَّاتِ التَّسْلُحِ، وَإِجْرَاءِ التَّجَارِبِ النَّوَوِيَّةِ، وَالسَّعْيِ فِي نَزْعِ أَسْلِحَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَمُرَاقَبَتِهِمْ وَالتَّشْدِيدِ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ، فَإِذَا كَانُوا يَنْوُونَ التَّعَايُشَ السَّلْمِيَّ مَعَ الْمُسْلِمِينَ فَلَا يِيَّ حَرْبٍ هَذَا السَّلَاحُ كُلُّهُ؟!!

إِنَّهُمْ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَدْعُونَ فِيهِ إِلَى التَّعَايُشِ السَّلْمِيِّ يَقْتُلُونَ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَيُدْمِرُونَ بُلْدَانَهُمْ بِوَحْشِيَّةٍ بِالْعَةِ، وَهَمْجِيَّةٍ لَا يَتَخَيَّلُهَا إِنْسَانٌ، وَيُلْقُونَ

فَنَابِلُهُمُ الْمُدْمَرَةُ الَّتِي لَا تَفَرُّقُ بَيْنَ مُقَاتِلٍ وَغَيْرِ مُقَاتِلٍ، وَرَأَيْنَا صُورًا مِنْ تَعَايُشِهِمْ السَّلْمِيِّ فِيمَا أَقَامُوهُ مِنْ حُرُوبٍ وَغَزَوٍ لِبُلْدَانِ الْمُسْلِمِينَ، وَنَقَلْتُ عَدَسَاتُهُمْ قَبْلَ أَيَّامٍ صُورًا لِأَطْفَالِ يَهُودٍ يَكْتُبُونَ عَلَى صَوَارِيخِهِمْ وَقَنَابِلِهِمْ رَسَائِلَ لِأَطْفَالِ لِبْنَانَ يَقُولُونَ فِيهَا: «مُوتُوا مَعَ كُلِّ الْحُبِّ، مُوتُوا بِسَلَامٍ».

وَفِي رِسَالَةٍ أُخْرَى كَتَبْتُ صَبِيَّةً يَهُودِيَّةً: «صَدِيقِي اللَّبْنَانِي: وَاثِقَةٌ جَدًّا أَنَّكَ سَوْفَ تَسْمَعُ رِسَالَتِي قَبْلَ أَنْ تَقْرَأَهَا؛ فَهِيَ قَوِيَّةٌ إِلَى حَدِّ الشَّلَلِ، وَمُدَوِيَّةٌ إِلَى حَدِّ التَّمَرُّقِ، أَشْتَاقُ إِلَيْكَ كَثِيرًا، كُنْ بِالْقَبْرِ»<sup>(٣)</sup>، وَصَدَقَتْ هَذِهِ الصَّبِيَّةُ الْيَهُودِيَّةُ فِيمَا كَتَبَتْ؛ إِذْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْقَنَابِلُ عَلَى أَهْلِ قَانَا فِي لِبْنَانَ، فَأُورِدَتْ كَثِيرًا مِنْ أَطْفَالِهِمْ مَقَابِرَهُمْ<sup>(٤)</sup>.

وَمِنْ صُورِ تَعَايُشِهِمُ السَّلْمِيِّ مَعَنَا أَنَّ مَجْلِسَ حَاخَامَاتِهِمْ فِي فَلَسْطِينَ الْمُحْتَلَّةِ قَدْ دَعَا الْحُكُومَةَ الْيَهُودِيَّةَ إِلَى إِصْدَارِ الْأَوَامِرِ بِقَتْلِ الْمَدَنِيِّينَ فِي لِبْنَانَ وَغَزَّةَ، مُشِيرًا إِلَى أَنَّ التَّوْرَةَ تُحِيزُ قَتْلَ الْأَطْفَالِ وَالنِّسَاءِ فِي زَمَنِ الْحَرْبِ<sup>(٥)</sup>.

وَأَمَّا أَذْنَابُهُمْ مِنْ بَنِي جِنْسِنَا فَكَمْ مَلَأُوا الْأَسْمَاعَ وَالْأَبْصَارَ دَاعِينَ إِلَى التَّعَايُشِ السَّلْمِيِّ، وَبَنَدِ الْعَصَبِيَّةِ لِلدِّينِ، ثُمَّ مَا رَأَيْنَاهُمْ يَتَعَايَشُونَ هُمْ سَلْمِيًّا مَعَ مَنْ يَدْعُونَهُمْ إِلَى التَّعَايُشِ السَّلْمِيِّ؛ بَلْ كَانُوا أَشَدَّ الْمُحَارِبِينَ لَهُمْ، يَسْخَرُونَ مِنْ دِينِهِمْ، وَيَحْرَضُونَ الْأَعْدَاءَ عَلَيْهِمْ، وَيَدُلُّونَ عَلَى عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا يَقْبَلُونَ فِي صُحُفِهِمْ وَقَضَائِيَّتِهِمْ إِلَّا مَنْ كَانَ مُؤَذَّلَجًا لِيُخْدَمَ الْأَعْدَاءُ مِثْلَهُمْ، حَتَّى سُمُوا

(٣) بثت هذه الرسائل في وسائل الإعلام المقروءة والمرئية، وعرضت صور الصبايا اليهوديات وهن يكتبن هذه الرسائل على الصواريخ والقذائف.

(٤) هذا إشارة إلى المذبحة التي قضى فيها جمع كثير من أهل قانا أكثرهم أطفال ونساء جراء القصف الإسرائيلي عليهم.

(٥) نشر هذه الفتوى مركز بيت المقدس للدراسات الوثائقية على الشبكة العالمية.

بِالْمَارِئِزِ الْعَرَبِ مِنْ شِدَّةِ تَفَانِيهِمْ فِي حَرْبِهِمْ لِإِخْوَانِهِمْ وَبُلْدَانِهِمْ، وَخِدْمَتِهِمْ لِأَعْدَائِهِمْ، فَيَا لَهُ مِنْ تَعَائِشٍ سَلَمِيٍّ نَطَقُوا بِهِ، وَدَعَوْا غَيْرَهُمْ إِلَيْهِ! وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى ظُلْمِهِمْ وَافْتِرَائِهِمْ.

تَلْكُم يَا عِبَادَ اللَّهِ حَقِيقَةُ هَذِهِ الدَّعَاوَى الَّتِي لَا يُصَدِّقُهَا مَنْ كَانَ عِنْدَهُ مُسْكَةٌ عَقْلٍ، فَضْلًا عَنْ مُؤْمِنٍ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ يَرَى أَنَّ الْأَحْدَاثَ تُكَذِّبُهَا، وَيَرَى أَنَّ تِلْكَ الشَّعَارَاتِ أَضَحَّتْ مِنْ أَسْلِحَةِ الْأَعْدَاءِ يَسْتَخْرِجُونَهَا مَتَى أَرَادُوا الْمُنَاوَرَةَ وَالْخِدَاعَ مَرَّةً أُخْرَى، وَلَا يُلْدَغُ مُؤْمِنٌ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ، وَقَدْ لُدَّعَ الْمُسْلِمُونَ فِي هَذَا الْعَصْرِ مِنْ جُحُورِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمُنَافِقِينَ عَشْرَاتِ الْمَرَّاتِ، فَمَتَى يَسْتَفِيقُونَ؟!

وَلَا خَلَاصَ لِأَهْلِ الْحَقِّ فِي هَذَا الْعَصْرِ مِنَ الذُّلِّ وَالْهَوَانِ، وَاسْتِضْعَافِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ لَهُمْ إِلَّا بِتَوْبَتِهِمْ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِفَهْمِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَتَعْظِيمِ نُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَبَنْدِ كُلِّ مَا لَا يَتَوَافَقُ مَعَهَا أَيًّا كَانَ مَصْدَرُهُ، وَمَهْمَا كَانَ قَائِلُهُ، مَعَ إِخْلَاصِ الدِّينِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَالْإِلْحَاحِ عَلَيْهِ بِالدَّعَاءِ.

وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى نَبِيِّكُمْ ...



## ٣٦٤ - القلم الطيب والقلم الخبيث

٨/٨/١٤٢٧هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ ﴿يُخَلِّقُ الْإِنْسَانَ﴾ ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٢-٤]  
 أَحْمَدُهُ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ  
 وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ تَفَرَّدَ بِالْخَلْقِ وَالْمُلْكِ وَالشَّرْعِ، فَلَا يَقَعُ شَيْءٌ إِلَّا بِأَمْرِهِ،  
 وَلَا شَرْعٌ يُوصِلُ إِلَى رِضَاهُ إِلَّا شَرْعُهُ ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿[الأعراف: ٥٤].  
 وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولُهُ؛ أَرْسَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى  
 حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، فَفَتَحَ بِهِ أَعْيُنًا عُمَيَّا، وَأَذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا، مَنْ أَطَاعَهُ  
 نَجَّى مِنَ النَّارِ، وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ، وَمَنْ عَصَاهُ فَإِنَّهُ يُضِرُّ نَفْسَهُ  
 وَلَا يَضُرُّ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ  
 وَاتَّبَاعِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَأَوْصِيكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى؛ فَإِنَّكُمْ فِي زَمَنِ  
 كَثُرَتْ فِيهِ فِتْنُ السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَغَرِقَ فِي لُجَجِهَا مَنْ غَرِقَ، وَعَصَمَ اللَّهُ تَعَالَى  
 مَنْ عَصَمَ، وَلَا نَجَاةَ إِلَّا بِالزُّومِ التَّقْوَى ﴿وَسُجِّيَ اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازِهِمْ لَا  
 يَمْسُهُمُ الشُّوْءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزُّمَر: ٦١].

أَيُّهَا النَّاسُ: كَانَتْ الْبُعْثَةُ النَّبَوِيَّةُ مِيلَادًا جَدِيدًا لِأُمَّةٍ جَدِيدَةٍ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى لَهَا  
 الْخَيْرِيَّةَ عَلَى كُلِّ الْأُمَمِ الَّتِي قَبْلَهَا، وَاخْتَصَّهَا بِأَحْسَنِ كُتُبِهِ، وَامْتَنَّ عَلَيْهَا بِخَاتَمِ  
 رُسُلِهِ ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ  
 آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾  
 [آلِ عِمْرَانَ: ١٦٤].

نَعَمْ وَاللَّهِ كَانُوا قَبْلَ بَعْتِهِ ﷺ فِي ضَلَالِ الشِّرْكِ وَالْجَهْلِ الَّذِي أَوْرَثَهُمُ الذُّلَّ وَالضَّعْفَ وَالتَّفَرُّقَ، وَسَوَّغَ لَهُمْ أَنْوَاعًا مِنَ الْإِثْمِ وَالظُّلْمِ وَالْفُسَادِ.  
 إِنَّهَا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا تَعْرِفُ الْقِرَاءَةَ وَلَا الْكِتَابَةَ وَلَا الْحِسَابَ إِلَّا نُرَاغٌ مِنْهُمْ كَانُوا يَفْرَأُونَ لَهُمْ وَيَكْتُبُونَ وَيَحْسُبُونَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسِبُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (١).

وَأَوَّلُ مَا نَزَلَ عَلَى رَسُولِهَا ﷺ الْأَمْرُ بِالْقِرَاءَةِ، وَجَاءَ ذِكْرُ الْقَلَمِ فِي أَوَّلِ الْآيَاتِ الْمُنَزَّلَةِ؛ مِمَّا يَشِي بِأَهَمِّيَّةِ الْقَلَمِ وَشَرَفِهِ وَمَكَانَتِهِ ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥].

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُعَلِّمَ الْبَشَرَ دُونَ الْحَاجَةِ إِلَى الْقَلَمِ، وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الْقَلَمُ وَسِيلَةَ التَّعْلِيمِ ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ وَزَادَ مِنْ شَرَفِهِ وَعُلُوِّهِ إِقْسَامُ اللَّهِ تَعَالَى بِهِ عَلَى الْوَحْيِ الْمَكْتُوبِ ﴿تَّوَالَّفَمَ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ۝ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿[الْقَلَمُ: ١، ٢]، وَالْقَلَمُ أَوَّلُ مَخْلُوقٍ لِيُكْتَبَ بِهِ الْقَدَرُ؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٢).

- (١) أخرجه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: البخاري في الصوم، باب قول النبي ﷺ: «لا نكتب ولا نحسب» (١٨١٤)، ومسلم في الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال (١٠٨٠).  
 (٢) أخرجه من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه: أبو داود في السنة، باب القدر (٤٧٠٠)، والترمذي في التفسير، باب ومن سورة (ن) وقال: حسن غريب (٣٣١٩)، والطيالسي (٥٧٧)، وأحمد (٣١٧/٥)، والبيهقي (٢٠٤/١٠)، وأبو القاسم البغوي في مسند ابن الجعد (٣٤٤٤)، والبزار (٢٦٨٧)، واللالكائي في السنة (٣٥٧)، وابن وهب في القدر (٢٦)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

وَكَمَا بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْقَلَمَ خُلِقَ أَوَّلًا لِكِتَابَةِ الْمَقَادِيرِ فَقَدْ بَيَّنَّ ﷺ تَارِيخَ الْقَلَمِ فِي الْبَشَرِ، وَذَكَرَ أَوَّلَ مَنْ كَتَبَ بِهِ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَ ﷺ عَنْ إِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ خَطَّ بِالْقَلَمِ»<sup>(٣)</sup>.

وَبِالْقَلَمِ تُكْتَبُ مَقَادِيرُ الْعَامِ فِي لَيْلَةِ الْقَدَرِ ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدُّخَانُ: ٤]، وَبِالْقَلَمِ يُكْتَبُ مَصِيرُ الْأَجَنَةِ فِي بُطُونِ أُمَمَاتِهِمْ؛ كَمَا رَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «يَدْخُلُ الْمَلَكُ عَلَى النُّظْفَةِ بَعْدَ مَا تَسْتَقِرُّ فِي الرَّجَمِ بِأَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسَةِ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَيَقُولُ: يَا رَبَّ أَشَقِي أَوْ سَعِيدٌ؟ فَيَكْتُبَانِ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ أَذْكَرُ أَوْ أَثْنَى؟ فَيَكْتُبَانِ، وَيُكْتَبُ عَمَلُهُ وَأَثَرُهُ وَأَجَلُهُ وَرِزْقُهُ، ثُمَّ تَطْوَى الصُّحُفُ فَلَا يُزَادُ فِيهَا وَلَا يُنْقَصُ»<sup>(٤)</sup>.

وَبِالْقَلَمِ يُكْتَبُ الْمَلَائِكَةُ أَقْوَالَ الْمُكَلَّفِينَ وَأَفْعَالَهُمْ ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سُورَةُ ق: ١٨]؛ أَيُّ: بِكِتَابَةِ مَا يَصْدُرُ عَنْهُ، كَمَا فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِينَ ۝ كِرَامًا كَنِينٍ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الْأَنْفِطَارُ: ١٠-١٢].

وَبِالْقَلَمِ يُكْتَبُ النَّاسُ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَى كِتَابَتِهِ مِمَّا تَنْتَظِمُ بِهِ مَصَالِحُ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَأَعْلَى ذَلِكَ وَأَشْرَفُهُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَدْ اتَّخَذَ النَّبِيُّ ﷺ كِتَابًا يُكْتُبُونَ الْوَحْيَ، وَقَصَرَهُمْ عَلَى ذَلِكَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ ﷺ: «لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ

= وجاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعاً عند: الضياء المقدسي في المختارة (٣٦٠-٣٦١)، والطبراني في الكبير (٦٨/١٢) رقم (١٢٥٠٠).

كما جاء موقوفاً على ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند: ابن أبي شيبه (٢٥٩/٧)، والحاكم (٤٩٢/٢)، وقد مضى عرض الخلاف في أول المخلوقات في مجلد (١) خطبة رقم (١) بداية الخلق والتكليف، حاشية (٤).

(٣) أخرجه من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أحمد (٢٦٥/٥)، والطيالسي (٤٧٨)، وأبو نعيم في الحلية (١٦٦-١٦٧)، والطبراني في الكبير (٢١٧/٨) رقم (٧٨٧١)، وصححه ابن حبان (٣٦١).

(٤) أخرجه مسلم في القدر، باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه (٢٦٤٤)، وأحمد (٦/٤).

كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمَحْهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ<sup>(٥)</sup>.

ثُمَّ رَخَّصَ لَهُمْ فِي كِتَابَةِ كُلِّ مَا يَصْدُرُ عَنْهُ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، كَمَا رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رضي الله عنه فَقَالَ: «كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُرِيدُ حِفْظَهُ فَتَهَنِّئِي قُرَيْشٌ عَنْ ذَلِكَ، وَقَالُوا: تَكْتُبُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي الْعَصَبِ وَالرِّضَا؟ فَأَمْسَكْتُ حَتَّى ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: اكْتُبْ؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ» رَوَاهُ أَحْمَدُ<sup>(٦)</sup>.

وَرَبَّمَا قَدِمَ عَلَيْهِ وَقَدْ مِنَ الْوُفُودِ فَعَلَّمَهُمْ سُنَّةَ مِنَ السُّنَنِ، وَبَلَّغَهُمْ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ فَيَطْلُبُ بَعْضُهُمْ أَنْ يُكْتُبَ لَهُ ذَلِكَ، فَيَقُولُ ﷺ: «اَكْتُبُوا لِأَبِي فُلَانٍ»<sup>(٧)</sup>.

وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ مِمَّا يَجْرِي أَجْرُهُ لِلْمُسْلِمِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا يُنْتَفَعُ بِهِ، وَأَعْظَمُ وَسِيلَةٍ لِحِفْظِ هَذَا الْعِلْمِ الْمُتَنَفِّعِ بِهِ: كِتَابَتُهُ، وَانْظُرُوا إِلَى كَثْرَةِ مَا خَطَّتْهُ أَقْلَامُ أَسْلَافِكُمْ مِنْ أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ حَتَّى وَصَلَ إِلَيْكُمْ تُدْرِكُوا قِيمَةَ الْقَلَمِ وَالْكِتَابَةِ.

وَبِالْقَلَمِ تُكْتُبُ تَوَارِيخُ الْأُمَمِ وَأَيَّامُهُمْ، وَتُدَوِّنُ أَقْوَالُ الْعُلَمَاءِ وَالْحُكَمَاءِ

(٥) أخرجه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: مسلم في الزهد والرقائق، باب الثبوت في الحديث وحكم كتابة العلم (٣٠٠٤)، والنسائي في الكبرى (٨٠٠٨)، وأحمد (١٢/٣)، والدارمي (٤٥٠)، وأبو يعلى (١٢٨٨).

(٦) أخرجه أبو داود في العلم، باب كتاب العلم (٣٦٤٦)، وأحمد (١٦٢/٢)، والدارمي (٥٠١) والطبراني في الكبير (٤٢٢/١٣) رقم (١٤٢٦٤)، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي (١٠٤/١-١٠٥).

(٧) أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: البخاري في العلم، باب كتابة العلم (١١٢)، ومسلم في الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلالها ... (١٣٥٥)، وهذا الرجل المبهم هو أبو شاه، وهو من أهل اليمن كما جاء في الروايات الأخرى للبخاري، وكذلك سُمِّي في رواية مسلم.



وَأَخْبَارُهُمْ، وَتُحْفَظُ تَجَارِبُهُمْ وَأَعْمَالُهُمْ، وَمَا وَصَلَتِ الْبَشَرِيَّةُ إِلَى مَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ فِي هَذَا الْعَصْرِ مِنْ تَنَوُّعِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ، وَتَقَدُّمِ الْعُمَرَانِ وَالصَّنَاعَاتِ إِلَّا بِمَا دُونَ مِنْ تَجَارِبِ السَّابِقِينَ وَأَبْحَاثِهِمْ وَخِبْرَاتِهِمْ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَخَيَّلَ حَالُ الْبَشَرِ فِي هَذَا الْعَصْرِ بِلَا قَلَمٍ وَعِلْمٍ وَكِتَابَةٍ، إِلَّا كَحَالِ الْحَيَوَانِ الَّذِي لَا يَعْقِلُ شَيْئًا.

وَبِالْقَلَمِ تُكْتَبُ عُقُودُ النَّاسِ وَشُرُوطُهُمْ فِي السَّلَامِ وَالْحَرْبِ، وَفِي التَّجَارَةِ وَالْبَيْعِ، وَفِي الْقَرْضِ وَالرَّهْنِ وَالذَّيْنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِيكَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاصْكُتُوا﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وَفِي صَلَاحِ الْحُدُودِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَلِيِّ ﷺ: «اُكْتُبِ الشَّرْطَ بَيْنَنَا»<sup>(٨)</sup>، «هَذَا مَا صَلَّحَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قُرَيْشًا»<sup>(٩)</sup>، وَدَعَا ﷺ مُلُوكَ الْعَالَمِ إِلَى الْإِسْلَامِ بِكُتُبِ كِتَابِهَا وَأَرْسَلَهَا إِلَيْهِمْ.

وَبَلَغَ مِنْ عِنَايَتِهِ ﷺ بِالْقَلَمِ أَنَّهُ جَعَلَ فِدَاءَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِدَاءَ نَفْسِهِ بِالْمَالِ مِنْ أَسْرَى الْمُشْرِكِينَ فِي بَذْرِ أَنْ يُعْلَمَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ عَشْرَةً مِنْ غِلْمَانِ الْمَدِينَةِ الْكِتَابَةِ، فَكَثُرَتْ الْكِتَابَةُ فِي الْمَدِينَةِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الصَّامِتِ ﷺ: «عَلِمْتُ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الصُّفَةِ الْكِتَابَةِ وَالْقُرْآنَ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ<sup>(١٠)</sup>.

(٨) أخرجه من حديث البراء ﷺ في حديث طويل في قصة الحديبية: البخاري في المغازي، باب عمرة القضاء (٤٠٠٥)، ومسلم في الجهاد والسير، باب صلح الحديبية واللفظ له (١٧٨٣).

(٩) أخرجه من حديث علي ﷺ في حديث طويل في قصة مقاتلة علي ﷺ للخوارج: أحمد (٨٦/١)، وأبو يعلى (٤٧٤)، والبيهقي (٨/١٨٠)، وصححه الحاكم وقال: على شرط الشيخين (١٦٦/٢)، وقال الهيثمي: رجاله ثقات (١٣٧/٦).

(١٠) أخرجه أبو داود في الإجارة، باب في كسب المعلم (٣٤١٦)، وابن ماجه في التجارات، باب الأجرة على تعلم القرآن (٢١٥٧)، وابن أبي شيبه (٤/٣٤١)، وأحمد (٥/٣١٥)، وصححه الحاكم (٢/١٢٥)، والضياء المقدسي في المختارة (٣٠٤-٣٠٦)، والبيهقي (٦/١٢٥)، وضعفه الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الهداية، وذكر له شاهدًا آخر من حديث أبي ﷺ (٢/١٨٨)، لكن صححه الألباني في صحيح أبي داود وابن ماجه.

وَرَحَّصَ ﷺ لِلنِّسَاءِ فِي تَعْلُمِ الْكِتَابَةِ؛ كَمَا فِي حَدِيثِ الشَّفَاءِ بِنْتِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: «دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا عِنْدَ حَفْصَةَ فَقَالَ لِي: أَلَا تُعَلِّمِينَ هَذِهِ رُفِيَّةَ النَّمْلَةِ كَمَا عَلَّمْتِيهَا الْكِتَابَةَ» رَوَاهُ أَحْمَدُ<sup>(١١)</sup>.

وَالْكَلِمَةُ الْمَنْطُوقَةُ وَالْمَكْتُوبَةُ إِمَّا أَنْ تَكُونَ مِمَّا يَنْفَعُ النَّاسَ فِي مَعَاشِهِمْ أَوْ مَعَادِهِمْ، وَتِلْكَ هِيَ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ مِمَّا يَضُرُّ النَّاسَ وَهِيَ الْكَلِمَةُ الْخَبِيثَةُ.

وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ كَالشَّجَرَةِ الطَّيِّبَةِ، كَمَا أَنَّ الْكَلِمَةَ الْخَبِيثَةَ كَالشَّجَرَةِ الْخَبِيثَةِ، وَهَذَا التَّقْسِيمُ ضَرَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَثَلًا فِي الْقُرْآنِ؛ لِيُسَارِعَ النَّاسُ إِلَى طَيِّبِ الْكَلِمِ، وَيُجَانِبُوا خَبِيثَهُ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿١٤﴾ تُوْقِّ أَكْلُهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٥﴾ وَمِثْلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ

(١١) أخرجه أبو داود في الطب، باب ما جاء في الرقى (٣٨٨٧)، وأحمد (٣٧٢)، وابن أبي شيبة (٤٣/٥)، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٣١٧٧)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٢١٨٤)، والطبراني في الكبير (٣١٣/٢٤) رقم (٧٩٠)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٣٢٦/٤)، وصححه الحاكم وقال: على شرط الشيخين (٦٣/٤)، وأخرجه عبد الرزاق بلاغا من حديث الزهري رحمه الله تعالى (١٩٧٦٨).

وقد جاء ما يعارض هذا الحديث وهو ما رُوي عن عائشة ؓ قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تسكنوهن الغرف، ولا تعلموهن الكتابة، وعلموهن المغزل وسورة النور» أخرجه الحاكم وصححه وتعبه الذهبي فقال: بل هو موضوع، وآفته عبد الوهاب، قال أبو حاتم: كذاب (٤٣٠/٢)، واستكره ابن الجوزي في الموضوعات (٢٦٩/٢).

وعبد الوهاب هو ابن الضحاك، قال أبو حاتم: كان يكذب. الجرح والتعديل (٧٤/٦)، وجاء من طرق عن ابن عباس ؓ، ولكن لا يصح شيء منها، والحديث منكر في متنه فكيف يرد فيه: لا تسكنوهن الغرف، والنبي ﷺ أسكن نساءه الغرف، وقد أفاض محمد شمس الحق آبادي في رد ذلك في عون المعبود (٢١٧/١٠)، وأفرد رسالة بعنوان: (عقود الجمان في جواز تعليم الكتابه للنسوان).

مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿ [إبراهيم: ٢٤-٢٦].

وَأِنَّمَا يُعَرِّفُ الْكَلَامُ الطَّيِّبُ مِنَ الْخَبِيثِ مَنْطُوقًا كَانَ أَمْ مَكْتُوبًا بِعَرْضِهِ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ دُونَ اعْتِبَارِ لِقَائِهِ وَمَصْدَرِهِ، فَمَا كَانَ مُوَافِقًا لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَهُوَ الْكَلَامُ الطَّيِّبُ الَّذِي يُرْفَعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

وَمَا كَانَ مُعَارِضًا لَهُمَا فَهُوَ الْكَلَامُ الْخَبِيثُ، وَلَا يَصْدُرُ الْكَلَامُ الطَّيِّبُ إِلَّا مِنْ طَيِّبٍ وَطَيِّبَةٍ، كَمَا أَنَّ مَصْدَرَ الْكَلَامِ الْخَبِيثِ كُلُّ خَبِيثٍ وَخَبِيثَةٍ ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [النور: ٢٦] قَالَ جُمْهُورُ السَّلَفِ: الْكَلِمَاتُ الْخَبِيثَةُ لِلْخَبِيثِينَ، وَمِنْ كَلَامٍ بَعْضُهُمْ: الْأَقْوَالُ وَالْأَفْعَالُ الْخَبِيثَةُ لِلْخَبِيثِينَ (١٢).

(١٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٤٣/١٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول، والطيبات من القول للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من القول. أخرجه الطبري (١٠٦/١٨-١٠٧). وروى الطبري مثله عن مجاهد وابن نجيح والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وعطاء رحمة الله تعالى عليهم. ينظر: تفسير الطبري (١٠٨/١٨).

وقيل: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء. قاله ابن زيد فيما رواه الطبري (١٠٨/١٨). ورجح الطبري القول الأول؛ لأن الآيات في سياق حادثة الإفك، ومقولتهم الخبيثة في عائشة رضي الله عنها، ورجحه القرطبي بقوله سبحانه: ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ [النور: ٢٦]؛ أي: عائشة وصفوان رضي الله عنهما مبرَّءون مما يقولون الخبيثون والخبيثات فيهم. ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٢١١/١٢).

وقال ابن كثير -رحمه الله تعالى-: «ووجهه بأن الكلام القبيح أولى بأهل القبح من الناس، والكلام الطيب أولى بالطيبين من الناس، فما نسب أهل النفاق إلى عائشة رضي الله عنها من كلام هم أولى به، وهي أولى بالبراءة والنزاهة منهم، ولهذا قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾» (٢٧٩/٣).

وَالْكَذِبُ مِنْ أَخْبَثِ الْكَلَامِ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ تَرْوِيرِ الْحَقَائِقِ، وَتَرْوِيجِ الْبَاطِلِ،  
وَعِشِّ النَّاسِ، فَإِذَا كَانَ هَذَا الْكَذِبُ يَبْلُغُ الْآفَاقَ عَبْرَ صَحِيفَةٍ مَكْتُوبَةٍ، أَوْ قَنَآةٍ  
مَعْرُوضَةٍ، أَوْ إِذَاعَةٍ مَسْمُوعَةٍ؛ ارْدَادَ خُبْنًا إِلَى خُبْنِهِ. وَلَمَّا كَانَ بَعْضُ الْقَائِمِينَ  
عَلَى وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ فِي هَذَا الْعَصْرِ مِنْ أَصْنَافِ الْخَيْثِ وَالْخَيْثَاتِ، فَإِنَّهُمْ  
يُرَوِّجُونَ لِكُلِّ فِكْرٍ وَمَنْهَجٍ وَسُلُوكٍ خَيْثٍ، وَيَمْتَهِنُونَ الْكَذِبَ الْمَفْضُوحَ فِي ذَلِكَ،  
وَلَا يَحْتَرِمُونَ عُقُولَ الْمُتَلَقِّينَ عَنْهُمْ، وَلَا يَخْجَلُونَ مِنْ كَذِبِهِمْ، وَقَدْ دَأَبَ عَوَامُ  
النَّاسِ عَلَى وَصْفِ مَا يُشْكَكُونَ فِي صِحَّتِهِ بِأَنَّهُ كَلَامُ جَرَائِدَ، أَوْ كَلَامُ إِعْلَامٍ.  
وَقَدْ حَذَّرَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ خُطُورَةِ هَذَا الْمَسْلَكِ الْخَيْثِ، وَبَيَّنَ «أَنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ  
بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا يَزِلُّ بِهَا إِلَى النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» مُتَّفَقٌ  
عَلَيْهِ (١٣).

وَرَأَى ﷺ مِنْ أَصْنَافِ الْمُعَدِّينَ: كَذَّابًا يَبْلُغُ كَذِبُهُ الْآفَاقَ، فَسَأَلَ جَبْرِيلَ عَنْهُ،  
فَقَالَ ﷺ: «أَمَّا الَّذِي رَأَيْتُهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالْكَذِبَةِ فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى  
تَبْلُغَ الْآفَاقَ، فَيُضَنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٤).

وَالْمُسْلِمُ كَمَا هُوَ مَأْمُورٌ بِمُجَانِبَةِ كُلِّ خَيْثٍ وَخَيْثَةٍ مِنَ النَّاسِ، فَهُوَ كَذَلِكَ  
مَأْمُورٌ بِمُجَانِبَةِ الْخَيْثِ مِنَ الْكَلَامِ سَمَاعًا مِنْ قَنَآةٍ أَوْ إِذَاعَةٍ، أَوْ قِرَاءَةٍ مِنْ صَحِيفَةٍ  
أَوْ مَجَلَّةٍ أَوْ رِوَايَةٍ أَوْ كِتَابٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ الْخَيْثِ يُفْسِدُ قَلْبَهُ، وَيَصْرِفُهُ  
عَنْ طَيِّبِ الْكَلَامِ.

وَإِذَا كَانَ الْمُسْلِمُ مَأْمُورًا بِاجْتِنَابِ اللَّغْوِ مَنْطُوقًا كَانَ أَمْ مَكْتُوبًا وَهُوَ فِي الشَّرِّ

(١٣) أخرجه من حديث أبي هريرة ؓ: البخاري في الرقاق، باب حفظ اللسان (٦١١٢)،  
ومسلم في الزهد والرقائق، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار (٢٩٨٨).

(١٤) أخرجه من حديث سمرة بن جندب ؓ في حديث طويل في رؤيا النبي ﷺ: البخاري في  
الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين (١٣٢٠).

وَالْإِفْسَادِ أَخَفُّ مِنَ الْخَبِيثِ، فَكَيْفَ إِذْنُ بِخَبِيثِ الْمَنْطُوقِ وَالْمَكْتُوبِ، وَمِنْ صِفَاتِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِئُ الْجَهْلِيلِينَ﴾ [القصص: ٥٥]، وَالْإِعْرَاضُ عَنِ اللَّغْوِ يَكُونُ بِالْإِعْرَاضِ عَنْ مَصَادِرِهِ وَوَسَائِلِهِ الَّتِي ابْتُلِيَ النَّاسُ بِهَا فِي هَذَا الزَّمَانِ أَشَدَّ ابْتِلَاءً.

وَجَاءَ التَّهْيِي عَنْ حُضُورِ الْمَجَالِسِ الَّتِي يُخَاضُ فِيهَا بَيِّنِ اللَّهِ تَعَالَى جَهْلًا أَوْ اسْتِكْبَارًا، وَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَهْلَهَا ظَالِمِينَ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

بَلْ جَاءَ أَنَّ مَنْ جَالَسَ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ مِنْهُمْ وَلَوْ لَمْ يَكْتُبْ أَوْ يَقُلْ شَيْئًا ﴿وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠] فَكَمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَقْتَنِي مِنْ وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ مِنْ صُحُفٍ وَمَجَلَّاتٍ وَفَضَائِلَاتٍ قَدْ كَرَسَتْ مُهِمَّتَهَا لِلِاسْتَهْزَاءِ بِدِينِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالتَّلَاعِبِ بِشَرِيعَتِهِ، وَإِخْضَاعِهَا لِأَرَءَاءِ الْبَشَرِ وَتَخَبُّطَاتِهِمْ، وَلَا يُحَرِّكُ ذَلِكَ سَاكِئًا عِنْدَ مَنْ يَقْتَنِيهَا!!

بَلْ يَضْحَكُ مِلءٌ فِيهِ، وَيَنَامُ مِلءٌ جَفْنِهِ، وَكَأَنَّ دِينَ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَعْنِيهِ، وَلِسَانُ حَالِهِ أَنَّ لِلْبَيْتِ رَبًّا يَحْمِيهِ، وَقَدْ أَسْلَمَ نَفْسُهُ وَأَهْلُهُ وَلَدَهُ لِمَا يَكْتُبُ وَيُنْطِقُ مِنْ خَبِيثِ الْكَلَامِ وَرَدِيئِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ سَيُحَاسَبُ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَنَعُودُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ اسْتِحْكَامِ الْعَقْلَةِ، وَتَمَكُّنِ الْهَوَى، وَذَهَابِ الْغَيْرَةِ عَلَى حُرُمَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُخَفِّفَ عَنَّا وَعَنِ الْمُسْلِمِينَ.

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ . . .



## الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ؛ أَنَارَ الطَّرِيقَ لِلسَّائِرِينَ، وَجَعَلَ مِنْ عِبَادِهِ هُدَاةً مُهْتَدِينَ، لَا ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ، أَحَمَدُهُ حَمْدَ الشَّاكِرِينَ، وَأَسْتَغْفِرُهُ اسْتِغْفَارَ الْمُذْنِبِينَ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَإِلَهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِمَامُ الْمُرْسَلِينَ، وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَسَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ أَجْمَعِينَ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى وَأَطِيعُوهُ، وَاحْذَرُوا الذُّنُوبَ فَإِنَّهَا رَافِعَةُ النَّعَمِ، جَالِبَةُ النَّقَمِ ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُجُوكُمْ لَمَنِ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَمَنِ كَفَرَتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

أَيُّهَا النَّاسُ: الْكِتَابَةُ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى يُمْنٌ بِهَا عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَلَا خَيْرَ فِي قَلَمٍ لَا يَنْفَعُ صَاحِبَهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِذَا كَانَ قَلَمُهُ مُصَدَّرَ ضَرَرٍ عَلَيْهِ فِي دِينِهِ فَبُئْسَ الْقَلَمُ، وَبُئْسَ صَاحِبُهُ، وَكَسْرُهُ خَيْرٌ مِنْ بَقَائِهِ.

إِنَّ الْكِتَابَةَ أَضَحَتْ حِرْفَةً فِي هَذَا الزَّمَنِ، وَكُلُّ صَاحِبٍ فِكْرٍ وَمَبْدَأٍ يُنَافِحُ عَنْ فِكْرِهِ وَمَبْدَأِهِ بِقَلَمِهِ، وَمِنَ الْكُتَّابِ مَنْ يَتَأَكَّلُ بِكِتَابَتِهِ فَيَنْتَقِلُ مِنْ أَقْصَى الشَّامِلِ إِلَى أَقْصَى الْيَمِينِ، وَيُثْنِي الْيَوْمَ عَلَى مَنْ كَانَ يَشْتُمُ بِالْأَمْسِ؛ لِأَنَّهُ يَكْتُبُ لِمَنْ يَدْفَعُ أَكْثَرَ، أَوْ يَدُورُ مَعَ الْقَوِيِّ حَيْثُ كَانَ، وَكَثِيرٌ مِنْ كُتَّابِ الصُّحُفِ وَالْمَجَلَّاتِ كَانُوا أَيَّامَ الْمَارِكِسِيَّةِ مِنْ أَشَدِّ أَعْدَاءِ اللَّيْبِرَالِيَّةِ الْإِمْبِرِيَالِيَّةِ، وَبَعْدَ أَقُولِ الشُّيُوعِيَّةِ انْتَقَلُوا

بِكُلِّ صَفَاقَةٍ وَوَضَاعَةٍ إِلَى اللَّيْبَرَالِيَّةِ يَتَسَوَّلُونَ عَلَى أَبْوَابِهَا، وَيَحْطُبُونَ وَدَّ أَصْحَابِهَا، حَتَّى صَارُوا أَشَدَّ إِمْبِرْيَالِيَّةً مِنْ أَهْلِهَا.

وَمِنْ أَصْحَابِ الْأَقْلَامِ مَنْ يَتَأَكَّلُ بِالشَّهَوَاتِ وَالْغَرَائِزِ، فَيَتَقَيَّأُ انْجِرَافَاتِهِ وَشُدُودَاتِهِ الْجَنَسِيَّةَ عَلَى أَوْرَاقِهِ؛ لِيُسَكَّلَ مِنْهَا رِوَايَةٌ تُغْوِي الْقَارِئِينَ وَالْقَارِئَاتِ، وَتَسْتَهْوِي الْمُرَاهِقِينَ وَالْمُرَاهِقَاتِ، وَإِذَا مَا أَرَادَ شُهْرَةً وَاسِعَةً، وَرَوَاجًا لِرِوَايَتِهِ، وَحِمَايَةً لَهُ وَلَهَا فِي الدَّوَائِرِ الصَّهْيُونِيَّةِ وَالصَّلِيبِيَّةِ وَالْعِلْمَانِيَّةِ فَمَا عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَضْمَنَ رِوَايَتَهُ سُخْرِيَّةً بِاللَّهِ تَعَالَى وَبِمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ؛ وَعَلَى قَدْرِ سُخْرِيَّتِهِ بِمُقَدَّسَاتِ الْمُسْلِمِينَ يَنَالُ نَصِيْبَهُ مِنَ الْحِمَايَةِ وَالرَّعَايَةِ، وَيَحْصُدُ الْجَوَائِزَ وَالْهَبَاتِ وَالْأَوْسِمَةَ، وَلَرُبَّمَا بَلَغَ بِذَلِكَ جَائِزَةَ نُوبَلٍ لِلْأَدَبِ، كَمَا حَازَهَا الْكَاتِبُ الْهَالِكُ نَجِيبٌ مَحْفُوظٌ عَلَى رِوَايَتِهِ الَّتِي سَخَّرَ فِيهَا بِكُلِّ مُقَدَّسَاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَعْلَنَ فِي نَهَايَتِهَا مَوْتَ الْإِلَهِ لِصَالِحِ الْمَادِّيَّةِ، فِي رَمْزِيَّةٍ جَبَانَةٍ، وَإِلْحَادٍ صَارِخٍ، وَزَنْدَقَةٍ ظَاهِرَةٍ، تَعَالَى اللَّهُ عَنِ الْإِلْحَادِ عُلُوًّا كَبِيرًا<sup>(١٥)</sup>.

إِنَّ هَذَا الْكَاتِبَ الْهَالِكَ الَّذِي امْتَلَأَتِ الصُّحُفُ بِالْكِتَابَةِ عَنْهُ، وَأَفْرَدَتْ لِسِيرَتِهِ وَعَوَايَتِهِ صَفَحَاتٍ كَامِلَةً<sup>(١٦)</sup> لَا تُفْرَدُ لِمَوْتِ الْعُلَمَاءِ، بَلْ وَلَا لِلزُّعَمَاءِ، مَا هُوَ فِي

(١٥) وهي رواية «أولاد حارتنا» التي صور فيها الدنيا بالحارة، وأولادها هم البشر والملائكة والشياطين، وجعل الجبلاوي المتسلط في روايته على البقية رمزًا لله تعالى، وقاسم رمزًا للنبي ﷺ، وجبل رمزًا لموسى ﷺ، ورفاعة رمزًا لعيسى ﷺ، وعرفة رمزًا للعلم الذي يقتل الجبلاوي.

(١٦) أكثر الصحف أفردت بين ثلاث وأربع صفحات كاملة، وبعضها ملونة عن هذا الروائي الهالك، وخلعوا عليه ألقابًا، ووصفوه بأوصاف لم يحظ بعشرها كبار العلماء ولا الزعماء ولا كبار الأطباء والمهندسين. هذا في يوم الخميس المنصرم، ويتوقع أن يستمر هذا التطويل عدة أيام أخرى، كما أن القنوات الفضائية العربية قد خصته ببرامج طويلة عن حياته وأقواله ورواياته، وعرضت أقوال أقرانه وتلامذته والمعجبين به، فيها تلييس عجيب وخداع لعامة الناس.

وَأَقَعَ الْأَمْرَ إِلَّا خَبِيثٌ يَحْمِلُ قَلَمًا خَبِيثًا، سَطَرَ بِهِ فِكْرَهُ الْخَبِيثَ، فَهُوَ حَامِلٌ هَمَّ إِخْيَاءِ الْفِكْرِ الْفِرْعَوْنِيِّ، وَهُوَ الدَّاعِي إِلَى الْفِكْرِ الْإِشْتِرَاقِيِّ، وَيَكْفِيهِ سَبْقًا فِي الْإِلْحَادِ وَالزُّنْدَقَةِ أَنَّهُ التَّلْمِيزُ الْوَفِيُّ لِلنَّصْرَانِيِّ الْقِبْطِيِّ سَلَامَةَ مُوسَى الْحَاقِدِ عَلَى كُلِّ شَعِيرَةٍ مِنْ شَعَائِرِ الْمُسْلِمِينَ، الَّذِي كَانَ يَتَطَلَّعُ إِلَى ثَقُلِ مَضَرٍّ مِنْ إِسْلَامِهَا إِلَى الْفِرْعَوْنِيَّةِ (١٧).

إِنَّ هَذَا الرُّوَايَةَ الْهَالِكَةَ لَمْ يَخْرُجْ فِي جُلِّ رِوَايَاتِهِ عَنْ أَصْلَيْنِ عَاشَ حَيَاتُهُ مِنْ

(١٧) يقول نجيب محفوظ: كان سلامة موسى هو الراعي والمربي الأدبي لي، نشر لي وأنا بعد في الثانوي، ثم في الجامعة عشرات المقالات وكتابًا مترجمًا وأول رواياتي، إنه أستاذي العظيم. ينظر: نجيب محفوظ بين الإلحاد والإيمان، ديب علي حسن (ص: ٣٠).

ويقول أيضًا: كان لسلامة موسى أثر قوي في تفكيري؛ فقد وَجَّهَنِي إِلَى شَيْئَيْنِ مَهْمَيْنِ هُمَا: الْعِلْمُ وَالْإِشْتِرَاقِيَّةُ، وَمِنْذَ دَخَلَا مَعَيَّ لَمْ يَخْرُجَا مِنْهُ إِلَى الْآنَ. ينظر: نجيب محفوظ يتذكر، لجمال الغيطاني (ص: ٨٨).

قلت: والاشتراكيون يريدون بالعلم: المادة التي يلزم منها إنكار الغيب بما فيه إنكار الرب جل في علاه.

ويقول أستاذه سلامة موسى: إذا خرج الدين من دائرة علاقة الإنسان بالكون، وأخذ مقرر أصول المعاملة بين الناس من تجارة وزواج وامتلاك وحكومة ونحو ذلك، فإنه عندئذ يقرر الموت لكل من يؤمن به. ينظر: مؤلفاته الكاملة (١/٢٣).

ويقول أيضًا: الرابطة الدينية وقاحة؛ فإننا أبناء القرن العشرين أكبر من أن نعتمد على الدين جامعة تربطنا. المؤلفات الكاملة (١/٦٦١).

يريد بذلك الوصول إلى أن فكرة الدين والإيمان بالرب جل جلاله سيقضي عليها العلم المادي، حتى يصبح الناس ملاحدة على شاكلته وشاكلته أساتذته الماديين الملحدين، تعالى الله سبحانه وتقدس عن إِفْكِهِ وَزَعْمِهِ، وسيبقى لعدو الله تعالى مايسوؤه من بقاء الدين وعُلُوِّهِ وَأَنْدَحَارِ الْإِلْحَادِ وسفوله. ينظر في روايته الإلحادية: دراسة المضمون الروائي في أولاد حارتنا، عبدالله المهنا، دار عالم الكتب. وجوانيات الرموز المستعارة لكبار أولاد حارتنا، د. عبد العظيم المعطني، والطريق إلى نوبل عبر حارة نجيب محفوظ د. محمد يحيى ومعتز شكري، ومجلة البيان، الأعداد (١٠٩-١١٠-١٢٩).



أَجْلِهَمَا، وَكَرَسَ قَلَمَهُ فِي خِدْمَتِهِمَا: وَهُمَا الدَّعْوَةُ إِلَى الْإِلْحَادِ بِاسْمِ الْعِلْمِ فِي مُقَابِلِ الدِّينِ، وَنَشْرُ الْإِبَاحِيَّةِ وَالشُّذُوذِ فِي أَوْسَاطِ الْمُسْلِمِينَ.

قَابَلَهُ أَحَدُ الْمُعْجَبِينَ بِهِ فَقَالَ لَهُ: مِنْ الْوَاضِحِ أَنَّكَ أَصَبَحْتَ تَمِيلُ إِلَى الْفِكْرِ الْمَارْكِسِيِّ؛ فَالْمَارْكِسِيُّونَ فِي رِوَايَاتِكَ هُمْ الْأَبْطَالُ الشُّهَدَاءُ، وَحَامِلُو الرُّهُورِ الْحَمْرَاءِ، وَهُمْ الَّذِينَ يُضِيئُونَ الْحَيَاةَ بِنُورِ الْأَمَلِ فِي الظُّلُمَاتِ ... فَرَدَّ عَلَيْهِ الرِّوَائِيُّ الْهَالِكُ: لَقَدْ شَخَّصْتَنِي فَأَجَدْتُ التَّشْخِصَ<sup>(١٨)</sup>.

وَقَامَ أَحَدُ مُرِيدِيهِ وَالْمُعْجَبِينَ بِهِ وَبِرِوَايَاتِهِ بِقِرَاءَتِهَا وَسَبْرِ مَوَادِّهَا، فَعَرَفَ الْقَاسِمَ الْمُشْتَرَكَ بَيْنَهَا، وَأَعْلَنَ نَتِيجَةَ ذَلِكَ فَقَالَ: حَفَلْتُ رِوَايَاتُهُ بِحَشْدٍ هَائِلٍ مِنَ الْبَغَايَا وَالرَّاقِصَاتِ وَالْقَوَادِينِ وَالِدِّيُوثِينَ وَاللُّصُوصِ وَالنَّشَالِينَ وَالْفُتُوتِ وَصَانِعِي الْعَاهَاتِ وَالْمُرْتَشِينَ وَالْمُلْحِدِينَ<sup>(١٩)</sup>.

وَفِي مَقَامٍ آخَرَ يَزْعُمُ أَنَّ الْغُرَبِيِّينَ حَلُّوا الْمُسْكَلَةَ الْجِنْسِيَّةَ بِنَشْرِ الْإِبَاحِيَّةِ، وَأَنَّ هَذَا الْحَلَّ فِي نَظَرِهِ نَاجِعٌ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، فَيَقُولُ: أَمَّا عَنْ حَلِّ الْمُسْكَلَةِ الْجِنْسِيَّةِ فِي مُجْتَمَعِنَا فَأَنَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَهُ، وَلَا أَنْتَ تَكْتُبُهُ! وَلَكِنِّي أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَ: «أُورُوبَا تَمَكَّنَتْ مِنْ حَلِّ الْمُسْكَلَةِ الْجِنْسِيَّةِ بِطَرِيقَتِهَا الْخَاصَّةِ، تَجِدُ أَنَّ الْبِنْتَ عُمْرُهَا خَمْسَةَ عَشَرَ عَامًا تَلْتَقِي فِي حُرِّيَّةٍ تَامَةٍ مَعَ أَيِّ شَابٍّ، لَا مُسْكَلَةَ جِنْسِيَّةٍ، وَلَا مُسْكَلَةَ عَقَافٍ وَلَا بَكَارَةٍ، وَحَتَّى إِذَا أُنْمِرَتِ الْعَلَاقَةُ طِفْلًا، فَالطِّفْلُ يَذْهَبُ إِلَى الدَّوْلَةِ كَيْ تَرْيِيهِ إِذَا كَانَتْ أُمُّهُ لَا تُرِيدُ»<sup>(٢٠)</sup>.

وَهَكَذَا يُرِيدُ لِبَنَاتِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَكُنَّ بَغَايَا وَفَاسِقَاتٍ كَمَا كَانَ نِسَاءُ الْغُرَبِ.

(١٨) قائل ذلك هو خليل عبد الكريم، كما نقله أنور الجندي في كتابه: كتاب العصر (٢٠١).

(١٩) المصدر السابق (٢٠١).

(٢٠) نجيب محفوظ بين الإلحاد والإيمان، ديب علي حسين (ص: ١٤٤).

لَقَدْ مَضَى هَذَا الْهَالِكُ إِلَى رَبِّ عَدْلٍ سَيَحَاسِبُهُ عَلَى مَا خَطَّ بِقَلَمِهِ وَلَا يَظْلِمُهُ شَيْئًا، وَلَكِنَّ الْجَرِيمَةَ كُلَّ الْجَرِيمَةِ، وَالتَّزْوِيرَ كُلَّ التَّزْوِيرِ مَا يُمَارِسُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْإِعْلَامِيِّينَ وَالصَّحَفِيِّينَ مِنْ تَضْلِيلِ الْعُقُولِ، وَمُمَارَسَةِ الْكَذِبِ عَلَى الْمَكْشُوفِ بِالْإِسَادَةِ بِهَذَا الْهَالِكِ، مَعَ إِخْفَاءِ حَقِيقَةِ فِكْرِهِ وَانْحِرَافِهِ عَنِ النَّاسِ، بَلْ وَالْإِسْتِمَاتَةِ فِي الدِّفَاعِ عَنْهُ، وَالتَّيْلِ مِمَّنْ يَفْضَحُونَهُ.

وَسَيَلْتُهُمْ فِي ذَلِكَ: الْكَذِبُ وَالتَّزْوِيرُ، فَأَيْنَ اخْتِرَامُ الْعُقُولِ؟! بَلْ أَيْنَ اخْتِرَامُ زَبَائِنِهِمْ مِنْ قُرَاءِ صُحُفِهِمْ؟! أَفَلَا كَانَ عَنْدهُمْ مِنَ الشَّجَاعَةِ قَدْرٌ يُظْهِرُونَ بِهِ حَقِيقَةَ فِكْرِهِ لِقُرَائِهِمْ، ثُمَّ يَخْتَارُ الْقُرَاءَ بَيْنَ دِينِهِمْ وَبَيْنَ رِوَايَتِهِمُ الْهَالِكِ؟!!

لَقَدْ كَذَبُوا ثُمَّ كَذَبُوا، وَدَافَعُوا عَنْ إِلْحَادِهِ وَزُنْدَقَتِهِ، وَوَصَفُوهُ بِالرَّاحِلِ الْكَبِيرِ، وَبِالْقَامَةِ الشَّامِخَةِ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، وَنَقَلُوا كَمَا كَبِيرًا مِنْ أَقْوَالِ زُمَلَائِهِ وَتَلَامِذَتِهِ وَمُرِيدِيهِ، وَلَمْ يَنْقُلُوا شَيْئًا مِنْ أَقْوَالِ مَنْ أَبَانُوا حَقِيقَةَ فِكْرِهِ، بَلْ هَاجَمُوهُمْ وَوَصَفُوهُمْ بِأَبْشَعِ الْأَوْصَافِ، فَأَيْنَ هِيَ الْمَوْضُوعِيَّةُ الَّتِي يَتَشَدَّقُونَ بِهَا؟ وَأَيْنَ هِيَ دَعْوَتُهُمْ إِلَى قَبُولِ الْآخِرِ وَاخْتِرَامِ الْآرَاءِ الْآخَرَى؟

وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ مِنْ وَصْفِ بَعْضِ الصُّحُفِ لِرِوَايَتِهِمْ بِأَنَّهُ مُتَدَيِّنٌ، فَيَا لِصَّحَالَةِ عُقُولِهِمْ! وَيَا لِسَخَافَةِ أَفْلَامِهِمْ! وَلَوْ خَرَجَ صَاحِبُهُمْ مِنْ قَبْرِهِ لَوَبَّخَهُمْ أَشَدَّ التَّوْبِيخِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يُفَاخِرُ بِحَرْبِهِ لِلدِّينِ، فَكَيْفَ يَصِفُونَهُ بِالْمُتَدَيِّنِ؟! نَعُودُ بِاللَّهِ مِنَ الْهَوَى وَالرَّدَى، وَنَسْأَلُهُ الْهُدَى وَالتَّقَى.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ إِنَّ هَذَا الرَّوَائِي قَدْ تَطَاوَلَ عَلَى رُبُوبِيَّتِكَ وَعَلَى مَلَائِكَتِكَ وَكُتُبِكَ وَرُسُلِكَ، وَسَخَرَ بِشَعَائِرِ دِينِكَ، اللَّهُمَّ فَعَامِلُهُ بِمَا يَسْتَحِقُّ فَأَنْتَ الْحَكَمُ الْعَدْلُ.

اللَّهُمَّ مَنْ أَنْتَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَعْلَمُ حَالَهُ فَاحْشُرْهُ مَعَهُ، وَمَنْ أَنْتَ عَلَيْهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ

حَالَهُ فَتُبَّ عَلَيْهِ مِنْ زَلَّتِهِ، وَأُنِزَ بِصِيرَتِهِ، وَخُذَ بِيَدِهِ لِلْبِرِّ وَالتَّقْوَى .  
 اللَّهُمَّ وَاهِدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، وَأَصْلِحْ أَحْوَالَهُمْ، وَأَمِّنْهُمْ فِي أَوْطَانِهِمْ،  
 وَاخْفِهِمْ شَرَّ الْأَشْرَارِ وَكَيْدِ الْفُجَّارِ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .  
 اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ...





## ٣٦٥- الحرب على اللغة العربية

١٤٢٨/٣/٤ هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ جَعَلَنَا مِنْ أُمَّةِ الْأُمِّيِّينَ، وَأَرْسَلَ إِلَيْنَا خَاتَمَ الْمُرْسَلِينَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ الْكَرِيمَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ؛ نَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا وَاجْتَبَانَا، وَنَشْكُرُهُ عَلَى مَا أَوْلَانَا وَأَعْطَانَا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ ابْتَلَى عِبَادَهُ بِالرُّسُلِ، وَابْتَلَى الرُّسُلَ بِعِبَادِهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ، وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ عَلَّمَهُ رَبُّهُ ﷺ فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهُ، وَأَدَّبَهُ فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهُ، آتَاهُ جَوَامِعَ الْكَلَامِ، وَأَعْطَاهُ مَعَايِدَ الْبَيَانِ، وَبَعَثَهُ لِيُتِمَّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَاتَّبَاعِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى وَأَطِيعُوهُ، وَرَاقِبُوهُ فِي كُلِّ أَحْوَالِكُمْ وَأَحْيَانِكُمْ، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨].

أَيُّهَا النَّاسُ: لِكُلِّ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ شَعَائِرُهَا وَمَنَاسِكُهَا الَّتِي تَنْسُكُهَا، وَتَتَمَسَّكُ بِهَا، وَتَدْعُو إِلَيْهَا، ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، وَفِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ [الحج: ٦٧].

وَلِسَانُ الْقَوْمِ هُوَ وَسِيلَةُ الْخِطَابِ بَيْنَهُمْ، وَلَعَنَهُمْ هِيَ وَعَاءُ مَنْسِكِهِمْ وَشَعِيرَتِهِمْ وَدِينِهِمْ، وَكُلُّ قَوْمٍ يُفَاخِرُونَ بِلِسَانِهِمْ، وَيَدْعُونَ إِلَى لُغَتِهِمْ.

وَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أُمَّةِ الْعَرَبِ بِأَفْصَحِ لِسَانٍ، وَأَقْوَى بَيَانٍ، ثُمَّ كَانَ نَاجِزَ ذَلِكَ وَتَتَمَّتْهُ بَعَثَةُ أَفْصَحِ الْبَشَرِ ﷺ مِنْهُمْ، وَنُزُولُ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى بِلِسَانِهِمْ، ﴿وَلِئَلَّا

لِنَزِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿الشُّعْرَاءُ: ١٩٢-١٩٥﴾، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ<sup>(١)</sup>.

وَحُفِظَتِ الْعَرَبِيَّةُ بِحِفْظِ الْقُرْآنِ، حَتَّى قِيلَ: لَوْلَا الْقُرْآنُ مَا كَانَتْ عَرَبِيَّةٌ<sup>(٢)</sup>.  
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وَلَمْ تُحَفَظْ سَائِرُ لُغَاتِ الْبَشَرِ، بَلْ كَانَتْ عَبْرَ الْعُصُورِ تَتَدَثَّرُ وَتَتَبَدَّلُ وَتَتَغَيَّرُ، وَبَقِيَتْ عَرَبِيَّةُ الْيَوْمِ هِيَ عَرَبِيَّةُ صَدْرِ الْإِسْلَامِ.

إِنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ هِيَ شِعَارُ الدِّينِ وَوَعَاوُهُ، وَالْقُرْآنُ لَا يُقْرَأُ كَمَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا بِالْعَرَبِيَّةِ، وَلَا يُتَعَبَّدُ بِتِلَاوَتِهِ إِلَّا بِهَا، وَكُلُّ النُّصُوصِ الَّتِي جَاءَ فِيهَا فَضْلُ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّمَا مُرَادُهَا قِرَاءَتُهُ بِلِسَانِ الْعَرَبِ، وَمِنْ هُنَا كَانَ تَعَلُّمُ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ دَائِرًا بَيْنَ الْوَاجِبِ وَالْمُسْتَحَبِّ؛ فَمَا لَا تَتِمُّ الْعِبَادَةُ إِلَّا بِهِ، كَقِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَقْرَأَهَا الْأَعْجَمِيُّ بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ، وَلَا تُغْنِيهِ تَرْجُمَتُهَا أَوْ فَهْمُ مَعَانِيهَا شَيْئًا، وَلَا تَصِحُّ صَلَاتُهُ إِلَّا بِهَا.

يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ مِنَ الدِّينِ، وَمَعْرِفَتُهَا فَرَضٌ وَاجِبٌ؛ فَإِنْ فَهَمَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ فَرَضٌ، وَلَا يُفْهَمُ إِلَّا بِفَهْمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَمَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ، ثُمَّ مِنْهَا مَا هُوَ وَاجِبٌ عَلَى الْأَعْيَانِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ وَاجِبٌ عَلَى الْكِفَايَةِ»<sup>(٣)</sup>.

وَلِأَجْلِ هَذَا كَانَتِ الْعَرَبِيَّةُ مِنْ شَعَائِرِ الدِّينِ، وَكَانَ الْمَسَاسُ بِهَا، أَوْ اخْتِقَارُهَا

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة ؓ: البخاري في الجهاد والسير، باب قول النبي ﷺ: «نصرت

بالرعب مسيرة شهر» (٢٩٧٧)، ومسلم في أوائل كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥٢٣).

(٢) فصول في فقه اللغة العربية، لرمضان عبد التواب (٩٠).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (٢٠٧).

اِحْتِقَارًا لِلدِّينِ، وَلِلْقُرْآنِ الَّذِي أُنْزِلَ بِهَا، وَمُحَارَبَتَهَا مُحَارَبَةً لِلدِّينِ، وَالِدَّعْوَةَ إِلَى غَيْرِهَا دَعْوَةً ضِدَّ دِينِ الْإِسْلَامِ؛ وَقَدْ جَاءَ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «تَعَلَّمُوا الْعَرَبِيَّةَ؛ فَإِنَّهَا مِنْ دِينِكُمْ»<sup>(٤)</sup>. وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «اللِّسَانُ الْعَرَبِيُّ شِعَارُ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَاللُّغَاتُ مِنْ أَعْظَمِ شَعَائِرِ الْأُمَمِ الَّتِي بِهَا يَتَمَيَّزُونَ»<sup>(٥)</sup>.

وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ هِيَ مَنْزِلَةُ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ؛ فَإِنَّ أَعْدَاءَ الْمِلَّةِ كَرَّسُوا حَرْبَهُمْ لَهَا، وَسَلَقُوا أَلْسِنَتَهُمْ بِتَحْقِيرِهَا وَتَضْغِيرِهَا، وَسَتُّوا أَقْلَامَهُمْ لِنَقْدِهَا وَعَيْبِهَا؛ لِأَنَّهَا لِسَانُ الْقُرْآنِ وَبَيَانُهُ، وَلِعَلِّمَهُمْ أَنَّهَا وَعَاءُ الْإِسْلَامِ وَشِعَارُهُ، فَتَنْفِيرُ النَّاسِ مِنْهَا، وَصَرْفُهُمْ عَنْهَا، مَا هُوَ إِلَّا صَرْفٌ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَنْ دِينِ الْإِسْلَامِ.

لَقَدْ اشْتَدَّتْ عَلَى لُغَةِ الْقُرْآنِ حَرْبُهُمْ، وَتَنَوَّعَتْ أَسَالِبُهُمْ وَوَسَائِلُهُمْ، وَمَا وَهَنْتْ عَزِيمَتُهُمْ، وَلَا يَسُوءُ مِنْ تَحْقِيقِ مُرَادِهِمْ، وَكَانَ مِنْ مُحَاوَلَاتِهِمْ الْبَائِسَةِ ادِّعَاؤُهُمْ ضُعُوبَةَ الْعَرَبِيَّةِ، وَدَعْوَتُهُمْ إِلَى إِصْلَاحِهَا وَالتَّعْدِيلِ عَلَيْهَا، فَمِنْهُمْ مَنْ دَعَا إِلَى الْغَاءِ الْإِعْرَابِ وَتَسْكِينِ أَوَاخِرِ الْكَلِمَاتِ، وَمِنْهُمْ مَنْ دَعَا إِلَى تَدْمِيرِ

(٤) الاقتضاء (٢٠٧)، ولم أقف عليه مسندًا بهذا اللفظ، لكن جاء عن أبي رجاء مُحمَّد بن سيف قَالَ: سَأَلْتُ الْحَسَنَ عَنْ مَصْحَفٍ يَنْقُطُ بِالْعَرَبِيَّةِ، قَالَ: لَا بَأْسَ بِهِ، أَوْ مَا بَلَغَكَ عَنْ كِتَابِ عُمَرَ أَنَّهُ كَتَبَ: تَعَلَّمُوا الْعَرَبِيَّةَ وَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَأَحْسِنُوا عِبَارَةَ الرُّوْيَا؟ أَخْرَجَهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ (٢/٣١٤).

وقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تَعَلَّمُوا الْعَرَبِيَّةَ؛ فَإِنَّهَا تَثْبِتُ الْعَقْلَ وَتَزِيدُ فِي الْمَرْوَةِ» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْكُنَى (٦٣٣)، وَالْبَلَاذُرِيُّ فِي أَنْسَابِ الْأَشْرَافِ (٣/٣٩٩)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الشَّعْبِ (١٦٧٦). وَعَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: تَعَلَّمُوا الْعَرَبِيَّةَ كَمَا تَعَلَّمُونَ حِفْظَ الْقُرْآنِ. أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (١١٦/٦).

(٥) الاقتضاء (٢٠٣).

قَوَاعِدِ الْكِتَابَةِ، وَقَالَ قَائِلُهُمْ فِي ذَلِكَ: إِنَّ سَبَبَ تَرَاجُعِ الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ تَمَسُّكُهَا بِالشَّدِيدِ وَالتَّوْبِينِ<sup>(٦)</sup>.

وَسَخَّرَ أَحَدُهُمْ مِنْ قَوَاعِدِ الْعَرَبِيَّةِ، وَدَعَا إِلَى تَرْكِهَا فِي مَقَالَةٍ عَنُونَهَا بِقَوْلِهِ: «هَذَا الصَّرْفُ وَهَذَا النَّحْوُ. أَمَا لِهَذَا اللَّيْلِ مِنْ آخِرٍ؟!»<sup>(٧)</sup>.

وآخَرُونَ مِنْهُمْ رَكَّزُوا هُجُومَهُمْ عَلَى الْحِطِّ الْعَرَبِيِّ، وَدَعَا إِلَى كِتَابَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْأَحْرَفِ اللَّاتِينِيَّةِ، بَعْدَ أَنْ أَفْنَعَهُمْ بَعْضُ الْمُسْتَشْرِقِينَ بِهَذَا الْإِثْمِ الْمُبِينِ، وَأَلْفَوْا كُتُبًا فِي ذَلِكَ، وَقَامُوا بِتَجَارِبِ وَمُحَاوَلَاتٍ اسْتَجْلَبُوهَا مِنْ فِعْلِ التَّرْكِ لَمَّا كَتَبُوا اللُّغَةَ التَّرْكِيَّةَ بِالْأَحْرَفِ اللَّاتِينِيَّةِ<sup>(٨)</sup>.

وكَانَتْ أَكْبَرَ مُحَاوَلَةٍ لِإِلْغَاءِ لُغَةِ الْقُرْآنِ دَعْوَةٌ بَعْضُهُمْ إِلَى اللَّهْجَاتِ الْعَامِيَّةِ الْمَحَلِّيَّةِ بَدِيلًا عَنِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَنَشِطَ الْمُسْتَشْرِقُونَ وَأَذْنَابُ الْمُسْتَعْمِرِينَ لِإِنْجَاحِ هَذِهِ الْمُحَاوَلَةِ، وَفِي الْقَرْنِ الْمَاضِي بَذَلُوا جُهُودًا مُضْنِيَّةً فِي هَذَا السَّبِيلِ الْمُظْلِمِ، وَتَفَرَّغَ بَعْضُ الْأُورُيَّيْنِ لِدِرَاسَةِ لَهْجَاتِ مُدُنِ مِصْرَ وَالشَّامِ، وَأَلْفَوْا كُتُبًا فِيهَا، وَوَضَعُوا -بِزَعْمِهِمْ- قَوَاعِدَ لَهَا، وَدَعَا أَحَدُهُمْ إِلَى أَنْ تَكُونَ اللَّهْجَةُ الْعَامِيَّةُ هِيَ اللُّغَةُ الْوَحِيدَةُ لِلْبِلَادِ الْمِصْرِيَّةِ، وَأَلْفَى مُسْتَشْرِقٌ مُحَاضِرَةً قَالَ فِيهَا بِكُلِّ صَفَاقَةٍ وَوَقَاحَةٍ: إِنَّ مَا يُعِيقُ الْمِصْرِيِّينَ عَنِ الْإِخْتِرَاعِ هُوَ كِتَابَتُهُمْ بِالْفُصْحَى!

(٦) هو «لطفی السید» الذي يسمونه أستاذ الجيل، ينظر: الاتجاهات الوطنية، محمد محمد حسين (٢/٣٦٩).

(٧) قائل ذلك هو «أنيس فريحة» خريج الجامعة الأمريكية في بيروت، وهذا المقال نشره في مجلة أبحاث عام ١٩٥٥م وكله سخريه من اللغة العربية، ينظر: لماذا يزيفون التاريخ ويعبثون بالحقائق؟ إسماعيل الكيلاني (٣٣٣).

(٨) هو «عبد العزيز فهمي» عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة، وبدلاً من دفاعه عن الحرف العربي يحاربه. ينظر: الاتجاهات الوطنية (٢/٣٦٥).



وَأَعْلَنَ فِي آخِرِ مُحَاضَرَتِهِ عَنِ مُسَابَقَةِ لِلْخَطَابَةِ بِالْعَامِيَّةِ، وَمَنْ تَكُونُ خُطْبَتُهُ جَيِّدَةً نَاجِحَةً فَلَهُ مُكَافَأَةٌ مُجْزِيَّةٌ<sup>(٩)</sup>.

وَتَوَجَّ هَذَا الضَّلَالُ وَالْإِنْجِرَافُ قِبَطِي شُيُوعِي، حِينَ كَتَبَ كِتَابًا دَعَا فِيهِ إِلَى كَسْرِ رَقَبَةِ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَإِلَى الْكِتَابَةِ بِالْعَامِيَّةِ<sup>(١٠)</sup>.

وَتَعَدَّى هَذَا الْعُدْوَانُ عَلَى لُغَةِ الْقُرْآنِ مِصْرَ إِلَى الشَّامِ، فَكَرَّسَ أَحَدُ الْمُنْحَرِفِينَ وَقْتَهُ فِي ضَبْطِ أَحْوَالِ الْعَامِيَّةِ فِي لُبْنَانَ، وَتَقْيِيدِ شَوَارِدِهَا؛ لِاسْتِخْدَامِهَا فِي كِتَابَةِ الْعُلُومِ، وَادَّعَى أَنَّهُ وَجَدَ أَسْبَابَ التَّخَلُّفِ فِي التَّمَسُّكِ بِالْفُصْحَى، ثُمَّ وَرِثَ ابْنُهُ عَنْهُ ضَلَالَهُ، فَأَكْمَلَ مَسِيرَةَ أَبِيهِ الضَّلَالَةَ، وَزَعَمَ الْإِبْنُ بَعْدَ أَبِيهِ أَنَّ اخْتِلَافَ لُغَةِ الْحَدِيثِ عَنِ لُغَةِ الْكِتَابَةِ هُوَ أَهَمُّ أَسْبَابِ تَخَلُّفِهِمْ! ثُمَّ قَالَ: وَلِي أَمَلٌ بِأَنْ أَرَى الْجَرَائِدَ الْعَرَبِيَّةَ وَقَدْ غَيَّرَتْ لُغَتَهَا، وَهَذَا أَعْدُهُ أَعْظَمَ خُطُوءَ نَحْوِ النَّجَاحِ، وَهُوَ غَايَةُ أَمَلِي<sup>(١١)</sup>. وَتَمَتَّى أَحَدُ مَوَارِنَةِ الشَّامِ أَنْ يَرَى عَمَلًا عَسْكَرِيًّا سِيَاسِيًّا يَفْرِضُ اللَّغَةَ الْعَامِيَّةَ عَلَى النَّاسِ<sup>(١٢)</sup>.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَيَّبَ أَمَلَهُمْ أَجْمَعِينَ، فَبَقِيَ لَهُمْ مَا يَسُوؤُهُمْ مِنْ قُوَّةِ لُغَةِ الضَّادِ وَمَتَانَتِهَا، وَحَاجَةِ الْعَرَبِ إِلَيْهَا.

وَلَيْسَ الْعِرَاقُ بَعِيدًا عَنِ الشَّامِ، إِذْ وَصَلَتْ إِلَيْهِ دَعْوَةُ الْغَيَاءِ الْعَرَبِيَّةِ، وَدَعَا

(٩) هو مهندس الري في مصر إبان الاحتلال الإنجليزي لمصر «وليام كولكس»، قال ذلك في محاضرة ألقاها عام ١٨٩٣م بعنوان: (لم لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين إلى الآن؟).

(١٠) هو «لويس عوض». ينظر: الهجمة على اللغة العربية، إبراهيم بن سعد الحقييل، مجلة البيان عدد (١٤٧) ص (٤٦).

(١١) هو الماروني اللبناني «عيسى إسكندر المعلوف». ينظر كلامه في: لماذا يزيغون التاريخ (٣٢٦).

(١٢) قائل ذلك هو «أنيس فريحة». ينظر كلامه في: لماذا يزيغون التاريخ؟ (٣٣٣).

أَنَّهَا سَبَبُ التَّخَلُّفِ، فَهَذَا شَاعِرٌ عِرَاقِيٌّ يَقُولُ: فَتَشَتْ طَوِيلًا عَنِ انْحِطَاطِ  
الْمُسْلِمِينَ، فَلَمْ أَجِدْ غَيْرَ سَبَبَيْنِ: أَوَّلُهُمَا: حِجَابُ الْمَرْأَةِ، وَالثَّانِي: هُوَ كَوْنُ  
الْمُسْلِمِينَ -وَلَا سِيَّما الْعَرَبُ مِنْهُمْ- يَكْتُبُونَ بِلُغَةٍ غَيْرِ الَّتِي يَحْكُمُونَهَا<sup>(١٣)</sup>.

وَفِي الْقَرْنِ الْفَائِتِ تَزَامَنَ فِي دَوْلِ الْمَشْرِقِ الْعَرَبِيِّ مَعَ الدَّعْوَةِ إِلَى الْعَامِيَّةِ  
إِضْدَارُ جَرَائِدَ وَمَجَلَّاتٍ وَكُتِبَ بِاللَّهْجَاتِ الْعَامِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ، حَتَّى بَلَغَتْ سَبْعَ  
عَشْرَةَ جَرِيدَةً وَمَجَلَّةً عَامِيَّةً<sup>(١٤)</sup>، غَيْرَ عَشْرَاتٍ مِنْ قَصَصِ الْأَطْفَالِ وَالنَّاشِئَةِ تُكْتَبُ  
بِاللَّهْجَاتِ الْمَحَلِّيَّةِ؛ لِتَرْبِيَةِ أَوْلَادِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهَا، وَإِحْلَالِهَا مَحَلًّا لُغَةً  
الْقُرْآنِ<sup>(١٥)</sup>.

وَتَسَابَقَ الْمُسْتَشْرِفُونَ عَلَى إِضْدَارِ عَشْرَاتِ الدَّرَاسَاتِ وَالْكَتُبِ عَنِ اللِّهْجَاتِ  
الْعَامِيَّةِ، وَأَصُولِهَا، وَمُحَاوَلَةِ وَضْعِ الْقَوَاعِدِ لَهَا؛ وَكُلُّهَا مُحَاوَلَاتٌ فَشَلَتْ بِحَمْدِ  
اللَّهِ تَعَالَى أَمَامَ عَظَمَةِ لُغَةِ الضَّادِ، وَهَلَكَ أَصْحَابُهَا، وَهَلَكَتْ مَسَارِيرُهُمْ  
التَّخْرِيْبِيَّةُ.

وَلَمَّا اخْتَرَعَتِ الْإِدَاعَةُ وَالتَّلْفُزَةُ نَشِطَتْ هَذِهِ الدَّعَوَاتُ الْآثِمَةُ مِنْ جَدِيدٍ، وَتَبَنَّى  
الدَّعْوَةَ إِلَيْهَا تَلَامِيذُهُ الْمُفْسِدِينَ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَدَعَوْا فِي حَوَارَاتٍ وَبَرَامِجٍ إِلَى إِمَاتَةِ  
لُغَةِ الْقُرْآنِ وَاسْتِبْدَالِ غَيْرِهَا بِهَا، وَسَخَّرُوا الْمَشَاهِدَ التَّمثِيلِيَّةَ وَالْمَسْرُحِيَّةَ الْهَزْلِيَّةَ  
لِهَذِهِ الْمُهْمَةِ الْقُدْرَةَ، فَصَوَّرُوا مُدْرِّسِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي أَشْكَالِهِمْ وَحَرَكَاتِهِمْ  
وَلِبَاسِهِمْ فِي صُورِ الْبُلْهِ وَالْمَعَاتِيهِ وَالْدَّرَاوِيَشِ، وَجَعَلُوهُمْ أَضْحُوكَةً لِلْمَشَاهِدِينَ  
وَالْمُسْتَمْعِينَ، وَمَا مِنْ نَقِيصَةٍ إِلَّا أَلْصَقُوهَا بِهِمْ، وَلَا مَحْمَدَةٍ إِلَّا نَفَوْهَا عَنْهُمْ،

(١٣) تيارات مسمومة ونظريات هدامة، أنور الجندى (١٩٦).

(١٤) الفصحى لغة القرآن، أنور الجندى (١٢٧).

(١٥) وقد رأيت جملة منها في بعض زياراتي لمصر، منها ما هو في المكتبات العامة ومكتبات  
الجامعات للاطلاع، ومنها ما هو معروض للبيع في سوق الأزبكية.

فَوَصَّمُوهُمْ بِالْغَشِّ وَالْكَذِبِ وَالِاسْتِغْلَالِ وَالْجَهْلِ وَالتَّخْلِفِ وَالْجُبْنِ؛ لِيَنْقَدِحَ فِي ذَهْنِ الْمُسْتَمِعِ وَالْمُشَاهِدِ أَنَّ هَيْئَتَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ مُسْتَمَدَّةٌ مِمَّا يُدْرَسُونَ مِنْ قَوَاعِدِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَبَلَاغَتِهَا وَنَحْوِهَا وَصَرَفِهَا، فَيُنْصَرِفُ النَّاسُ عَنْهُمْ وَعَنِ الْمَوَادِّ الَّتِي يُدْرَسُونَهَا، وَتُلْقَى فِي قُلُوبِهِمْ كَرَاهِيَّتُهَا.

وَفِي مُقَابِلِ هَذِهِ الصُّورَةِ الْمُهِينَةِ الَّتِي ظَلَمُوا بِهَا مُعَلِّمِي الْعَرَبِيَّةِ، فَإِنَّهُمْ يَصَوِّرُونَ مُدْرِّسِي اللُّغَاتِ الْأَجْنِبِيَّةِ فِي أَحْسَنِ هَيْئَةٍ وَأَبْهَى حُلَّةٍ، وَيَخْلَعُونَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَوْصَافِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْعِلْمِ وَالثَّقَافَةِ وَالْكَرَمِ وَالشَّجَاعَةِ مَا أَكْثَرُهُ كَذِبٌ وَتَزْيِيفٌ؛ لِيَسْتَقَرَّ فِي ذَهْنِ الْمُشَاهِدِ وَالْمُسْتَمِعِ أَنَّ هَيْئَتَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ وَثِقَاتَهُمْ مُسْتَمَدَّةٌ مِنَ اللُّغَاتِ الْأَجْنِبِيَّةِ الَّتِي يُدْرَسُونَهَا؛ فَيَحِبُّهُمْ النَّاسُ، وَيَتَمَنَّوْنَ لِأَوْلَادِهِمْ مَا لَهُمْ.

وَهُنَاكَ عَشْرَاتُ الْمَشَاهِدِ التَّمثِيلِيَّةِ وَالْمَسْرُحِيَّةِ الْمَحْفُوظَةِ شَاهِدَةٌ عَلَى هَذَا التَّزْيِيفِ وَالِإِضْلَالِ لِلنَّاسِ، وَهَكَذَا تُصَاغُ الْعُقُولُ عَبْرَ الْإِعْلَامِ، وَيُطْبَعُ عَلَى الْقُلُوبِ، وَتُزَيَّفُ الْحَقَائِقُ، وَتُزَوَّرُ الْمَعْلُومَاتُ بِمَا يُوَافِقُ رَغَبَاتِ الْمُسْتَعْمِرِينَ وَأَذْنَابِهِمْ.

وَإِذَا كَانَ كُلُّ هَذَا الْإِضْلَالِ قَدْ وَقَعَ فِي الْمَشْرِقِ الْعَرَبِيِّ فَإِنَّ الْمَغْرِبَ الْعَرَبِيَّ قَدْ نَالَ حَظَّهُ الْوَافِرَ مِنْ حَرْبٍ عَلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَعُلُومِهَا، وَعَلَى مَنْ بَلَغَ قُرْآنُهَا وَدِينُهَا؛ إِذْ أَصْبَحَتْ لُغَةُ الْقُرْآنِ لُغَةً ثَانِيَةً بَعْدَ الْفَرَنْسِيَّةِ، وَجَاءَ فِي تَقْرِيرِ أَعَدَّتِهِ لَجَنَةُ الْعَمَلِ الْمَغَارِبِيَّةِ الْفَرَنْسِيَّةِ: إِنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ فِي هَذِهِ السَّبِيلِ هُوَ التَّقْلِيلُ مِنْ أَهَمِّيَّةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَصَرَفُ النَّاسِ عَنْهَا، بِإِحْيَاءِ اللَّهْجَاتِ الْمَحَلِّيَّةِ وَاللُّغَاتِ الْعَامِيَّةِ فِي شَمَالِ إفريقيا<sup>(١٦)</sup>.

(١٦) أجنحة المكر الثلاثة، عبد الرحمن الميداني (٣٧٦).

وَبَلَغَ مِنْ اسْتِمَاتَةِ الْفَرَنْسِيِّينَ فِي الْقَضَاءِ عَلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بَعْدَ أَنْ عَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ بِفَرَنْسِيَّتِهِمْ أَنَّهُمْ اخْتَرَعُوا قَوَاعِدَ لِلُّغَةِ الْبَرْبَرِيَّةِ الْأَمَازِغِيَّةِ، وَأَقْنَعُوا كَثِيرًا مِنَ الْمَغَارِبَةِ أَنَّ أَصُولَهُمْ بَرْبَرِيَّةٌ، وَأَنَّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَنْبِذُوا الْعَرَبَ وَمَا جَاءَهُمْ بِهِ نَبِيُّ الْعَرَبِ ﷺ، وَأَنْ يُحْيُوا ثِقَافَتَهُمْ وَلُغَتَهُمْ، وَيَعْتَزُّوا بِأَصْلِهِمْ بَدَلِ انْتِمَائِهِمْ لِأُمَّةِ الْعَرَبِ.

يَقُولُ أَحَدُ الْبَاحِثِينَ: شَعَرَ الْمُسْتَعْمِرُ بِاسْتِحَالَةِ اقْتِلَاعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَرْضِ الْجَزَائِرِ وَعَرَسَ اللُّغَةَ الْفَرَنْسِيَّةَ مَكَانَهَا، فَلَجَّؤُوا إِلَى وَسِيلَةٍ مُسَاعِدَةٍ أُخْرَى، وَهِيَ الْإِيحَاءُ لِأكْبَرِ عَدَدٍ مِنْ أَبْنَاءِ الْجَزَائِرِ بِأَنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ لَيْسَتْ لُغَةً أَصْلِيَّةً فِي الْجَزَائِرِ، وَإِنَّمَا اللُّغَةُ الْأَصْلِيَّةُ لِسُكَّانِ الْجَزَائِرِ هِيَ اللُّغَةُ الْبَرْبَرِيَّةُ لُغَةُ الْأَمَازِغِ، وَقَدْ تَطَوَّعَ الْفَرَنْسِيُّونَ لِوَضْعِ أَبْجَدِيَّةٍ لَهَا كَيْمَا يُمَكِّنُ كِتَابَتَهَا<sup>(١٧)</sup>.

وَفَرَنْسَا تَقُومُ بِمَعُونَاتٍ ثَقَافِيَّةٍ مَجَانِيَّةٍ بِإِرْسَالِ مُدَرِّسِي اللُّغَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ، وَإِغْرَاقِ الْأَسْوَاقِ الْمَغْرِبِيَّةِ بِالْكَتُبِ وَالْأَفْلَامِ الْفَرَنْسِيَّةِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى الْبَرَامِجِ التِّلْفِزِيُونِيَّةِ؛ وَأَوْقَفَ مَشْرُوعَ التَّعْرِيبِ فِي الْبُلْدَانِ الْمَغْرِبِيَّةِ بِحُجَّةٍ أَنَّ التَّعْرِيبَ أَدَى لِلْأُصُولِيَّةِ وَالتَّطَرُّفِ!

وَوَقَّفَ أَحَدُ الْمُسَوِّقِينَ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُسْلِمِينَ لِلُّغَةِ الْأَمَازِغِيَّةِ حَظِيًّا فِي أَتْبَاعِهِ يَقُولُ: إِذَا كَانَ الْعَرَبُ فِي وَقْتِ سَابِقٍ قَدْ وَصَلُوا فَوْقَ النِّبَاقِ إِلَى الْمَغْرِبِ الْعَرَبِيِّ، فَأَنَا سَأَكُونُ مَعَهُمْ رَفِيقًا وَأُعِيدُهُمْ عَلَى مَثَنِ «الْبُونِغ» إِلَى بِلَادِهِمْ الْأَصْلِيَّةِ فِي الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ<sup>(١٨)</sup>.

(١٧) القائل هو الكاتب والمترجم السوري «شهادة الخوري». ينظر: الهجمة على اللغة العربية، مجلة البيان عدد (١٤٧) ص (٤٦).

(١٨) الأمازيغ بين تأمر الحكم والهيمنة الفرنكفوانية، حسن الرشيدى، مجلة البيان، عدد (١٦٤)، ص (٧٨).

وَمَا عَلِمَ هَذَا الْجَاهِلُ الْمَخْبُولُ الْمَرْدُولُ أَنَّ أَجْدَادَهُ الْبَرَبَرِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى - هُمْ مَنْ فَتَحُوا الْأَنْدَلُسَ، وَهُمْ مَنْ عَلَّمُوا أَهْلَهَا الْعَرَبِيَّةَ، وَدَعَوْهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، بِقِيَادَةِ طَارِقِ بْنِ زِيَادِ الْأَمَازِغِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - بَعْدَ أَنْ عَبَرَ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ إِلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ عَبْرَ مَضِيقِ سُمِّيَ بِاسْمِهِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا.

وَأَوَّلُ مَا يَتَعَلَّمُ الطُّلَابُ الْعَرَبِيَّةَ فَإِنَّهُمْ يَعْتَمِدُونَ مَتْنَ الْأَجْرُومِيَّةَ فِي مَبَادِئِ الْعَرَبِيَّةِ، وَيَدِينُونَ بِالْفَضْلِ الْعَظِيمِ لِمَوْلَاهُ، وَيَتَرَحَّمُونَ عَلَيْهِ عِنْدَ قِرَاءَةِ جُزْءٍ مِنْ مَتْنِهِ، وَهُوَ مَغْرِبِيُّ أَمَازِغِيٍّ بَرَعَ فِي النَّحْوِ، فَكَتَبَ فِيهِ هَذَا الْمَتْنَ الْمُخْتَصَرَ الْمُفِيدَ، فَكَانَ مَرْجِعًا لَطُلَّابِ الْعَرَبِيَّةِ فِي طُولِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ وَعَرْضِهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَةً وَاسِعَةً (١٩).

وَكَثِيرٌ مِمَّنْ كَتَبُوا فِي النَّحْوِ وَالبَلَاغَةِ وَعُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ لَمْ تَكُنْ أُصُولُهُمْ عَرَبِيَّةً، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَنَّ عَلَيْهِمْ بِالْإِسْلَامِ، وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَابَ اللُّغَةِ وَمَعَالِيقَهَا، فَبَرَعُوا فِيهَا كَمَا لَوْ كَانَتْ أُصُولُهُمْ عَرَبِيَّةً، فَاسْتَفَرُّوا كَلَامَ الْعَرَبِ وَشِعْرَهُمْ، وَاسْتَخَرُوا مِنْهُ قَوَاعِدَ اللُّغَةِ وَقَانُونَهَا، فَجَمَعَهُمُ الْإِسْلَامُ مِنْ شَتَى الْأَجْنَاسِ وَالْأَعْرَاقِ، فَاتَّحَدَتْ عَصِيَّتُهُمْ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِدِينِ الْإِسْلَامِ، وَانْحَازُوا عَنْ لُغَاتِهِمُ الْأَعْجَمِيَّةِ إِلَى لُغَةِ الْقُرْآنِ، فَتَعَلَّمُوهَا دِيَانَةً لِلَّهِ تَعَالَى، وَاسْتَعَذَّبُوهَا تَذَبُّرًا لِكِتَابِهِ سُبْحَانَهُ، فَرَزَقَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فَهْمَهَا وَتَفْعِيدَهَا.

ثُمَّ نَبَتْ مِنْ أَبْنَائِهِمْ نَبْتَةٌ عَاقَّةٌ سَيِّئَةٌ تُنَادِي بِالرُّجُوعِ إِلَى عَصِيَّاتِهِمُ الْجَاهِلِيَّةِ، وَتُطَالِبُ بِنَبَذِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، لُغَةِ الْقُرْآنِ الَّذِي آمَنُوا بِهِ، وَأَكْرَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ أَجْدَادَهُمْ؛ فَتَقَلَّهْمُ بِهِ مِنَ الرِّقِّ وَالْعُبُودِيَّةِ إِلَى الْعِلْمِ وَالْقِيَادَةِ وَالسِّيَادَةِ.

كَمَا نَبَتْ فِي الْعَرَبِ نَبْتَةٌ سَيِّئَةٌ تَدْعُو النَّاسَ إِلَى نَبَذِ لُغَتِهِمْ وَاسْتِبْدَالِ اللُّغَاتِ

الْأَجْنَبِيَّةِ بِهَا، بِحُجَّةِ أَنَّهَا لُغَاتُ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ.  
وَلَنْ يَكِلَ أَهْلُ الْبَاطِلِ عَنِ الدَّعْوَةِ إِلَى بَاطِلِهِمْ، وَمُحَاوَلَةَ دَخْصِ الْحَقِّ بِهِ،  
وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُبْطِلٌ كَيْدَهُمْ، وَمُحْبِطٌ عَمَلَهُمْ، وَمُظْهِرٌ دِينَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ  
كَرِهَ الْكَافِرُونَ.

فَاسْتَمْسِكُوا -عِبَادَ اللَّهِ- بِدِينِكُمْ، وَاعْرِفُوا مَكَانَةَ لُغَتِكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّهَا بَابٌ  
مِنْ أَبْوَابِ عِزِّكُمْ، فَإِيَّاكُمْ إِيَّاكُمْ أَنْ تُفَرِّطُوا فِيهَا! فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
عَنْهَا: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ  
وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿[الرُّحُوف: ٤٣، ٤٤].  
بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ ...



### الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ  
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يُوسُف: ٤٠]، نَحْمَدُهُ حَمْدًا كَثِيرًا، وَنَشْكُرُهُ شُكْرًا مَزِيدًا،  
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ،  
صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهِدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ  
الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى وَأَطِيعُوهُ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا  
تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢].

أَيُّهَا النَّاسُ: لَمْ تَكُنِ الدُّوَلُ الْخَلِيجِيَّةُ بَعِيدَةً عَنِ الْمُسْتَعْمِرِينَ وَأَذْنَابِهِمْ فِي  
حَرْبِهِمْ عَلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ؛ إِذْ سَلَّطُوا عَلَيْهَا اللُّغَاتِ الْأَجْنَبِيَّةَ، وَمَكَّنُوا لَهَا لِتَزَاحِمَ

العَرَبِيَّةَ فِي الْمَدَارِسِ وَالْمَعَاهِدِ وَالْجَامِعَاتِ، وَمَا فَرَضُ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ عَلَى طُلَّابِ التَّعْلِيمِ الْعَامِّ إِلَّا خُطْوَةٌ فِي هَذَا الْمَشْرُوعِ التَّدْمِيرِيِّ لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، ثُمَّ كَانَتْ الْكَارِثَةُ الْكُبْرَى بِالسَّمَّاحِ لِلْمَدَارِسِ الْأَهْلِيَّةِ أَنْ تَضَعَ مِنْهَا جَهًا، وَتُدْرَسَ طُلَّابُهَا بِاللُّغَةِ الَّتِي تَخْتَارُهَا؛ لِتَتَوَرَّعَ غَدًا أَوْ بَعْدَ غَدِ الْمَدَارِسِ الْأَهْلِيَّةِ عَلَى لُغَاتِ الْعَالَمِ، وَيُضَيَّحَ مُجْتَمَعُنَا مَجْمَعًا لِتِلْكَ اللُّغَاتِ، وَانْتِمَاءُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أَبْنَائِهِ وَوَلَاؤُهُ لِأَهْلِ اللُّغَةِ الَّتِي أَضَحَتْ لُغَتَهُ التَّعْلِيمِيَّةَ الْأُولَى؛ لِأَنَّهُ دَرَسَهَا فِي كُلِّ مَرَحَلَةٍ مِنْ مَرَاكِحِ دِرَاسَتِهِ.

إِنَّ لِلُّغَةِ تَأْثِيرًا كَبِيرًا فِي تَرْسِيخِ الْوَلَاءِ، وَتَكْرِيسِ الْإِنْتِمَاءِ، وَالْوَاحِدُ مِنَ النَّاسِ يَأْلَفُ مَنْ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانِهِ، وَيَقْتَرِبُ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ، وَمَنْ تَتَبَعَ أَحْوَالَ الْمُسَافِرِينَ فِي مَحَطَّاتِ سَفَرِهِمْ ثَبَّتَ لَهُ تِلْكَ الْحَقِيقَةُ.

وَالْمُعْتَرِبُونَ لِلدِّرَاسَةِ أَوْ لِلْعَمَلِ أَوْ لِلْعِلَاجِ تُؤَلِّفُهُمُ اللُّغَةُ، وَتَجْمَعُهُمْ بُلْدَانُهُمْ، فَكُلُّ أَهْلِ بَلَدٍ لَهُمْ رَابِطَةٌ تَوَحِّدُهُمْ، وَمُسْتَقَرٌّ يَجْمَعُهُمْ، وَأَقْوَى دَافِعٍ لَهُمْ فِي ذَلِكَ كَوْنُ لَهْجَاتِهِمْ وَاحِدَةً.

وَكُلُّ دَوْلَةٍ غَرِيبَةٍ نَرَاهَا تَسْتَمِيتُ فِي نَشْرِ لُغَاتِهَا فِي أَدْعَالِ أَفْرِيقِيَّةِ، وَفِي الْبُلْدَانِ الْفَقِيرَةِ، وَتَبْذُلُ أَمْوَالًا طَائِلَةً فِي هَذَا السَّبِيلِ، وَالسَّبَاقُ بَيْنَ الدُّوَلِ الْغَرِيبَةِ عَلَى أَشَدِّهِ فِي هَذَا الْمَضْمَارِ. فَلِمَاذَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ؟ وَمَاذَا يَنْشُدُونَ مِنْ أَفْرَادٍ يَعْلَمُونَهُمْ لُغَتَهُمْ وَهُمْ مُتَخَلِّفُونَ عَنْ حَضَارَتِهِمْ بِمِائَاتِ السِّنِينَ؟!

إِنَّهُمْ يَنْشُدُونَ وَلَاءَهُمْ، وَيَطْلُبُونَ انْتِمَاءَهُمْ، وَيَدْرِكُونَ أَنَّ تَبْدِيلَ أَلْسِنِ هَذِهِ الشُّعُوبِ إِلَى لِسَانِهِمْ يُكْرِسُ تَبْعِيَّتَهُمْ لَهُمْ، وَالدُّوَلُ الْمُسْتَعْمِرَةُ مِنْ أَوَّلِ مَا تَقُومُ بِهِ إِذَا احْتَلَّتْ بَلَدًا أَنْ تَضَعَ لِلُّغَتِهَا مَوْضِعَ قَدَمٍ فِيهِ.

يَقُولُ الرَّافِعِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «مَا ذَلَّتْ لُغَةُ شَعْبٍ إِلَّا ذُلًّا، وَلَا انْحَطَّتْ

إِلَّا كَانَ أَمْرُهُ فِي ذَهَابٍ وَإِدْبَارٍ، وَمِنْ هَذَا يَفْرَضُ الْأَجَنِيُّ الْمُسْتَعْمِرُ لُغَتَهُ فَرَضًا عَلَى الْأُمَّةِ الْمُسْتَعْمَرَةِ، وَيَرْكَبُهُمْ بِهَا، وَيُشْعِرُهُمْ عَظَمَتَهُ فِيهَا، وَيَسْتَلْحِقُهُمْ مِنْ نَاجِيَتِهَا، فَيَحْكُمُ عَلَيْهِمْ أَحْكَامًا ثَلَاثَةً فِي عَمَلٍ وَاحِدٍ:  
أَمَّا الْأَوَّلُ: فَحَبْسُ لُغَتِهِمْ فِي لُغَتِهِ سَجْنًا مُؤَبَّدًا.

وَأَمَّا الثَّانِي: فَالْحُكْمُ عَلَى مَا ضِيَهُمْ بِالْقَتْلِ مَحْوًا وَنَسْيَانًا.  
وَأَمَّا الثَّالِثُ: فَتَقْيِيدُ مُسْتَقْبَلِهِمْ فِي الْأَغْلَالِ الَّتِي يَصْنَعُهَا، فَأَمْرُهُمْ مِنْ بَعْدِهَا لِأَمْرِهِ بَعْبُ<sup>(٢٠)</sup>.

وَالرَّافِعِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- حِينَ يَكْتُبُ هَذَا الْكَلَامَ فَإِنَّهُ قَدْ عَاصَرَ  
الِاسْتِعْمَارَ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، وَرَأَى مَا يَفْعَلُ الْغَزَاةُ مِنْ طَمَسِ لِلُغَةِ مَنْ  
يَسْتَعْمِرُهُمْ وَإِحْلَالِ لُغَتِهِ مَكَانَهَا.

إِنَّ الْيَهُودَ قَدْ أَخْرَجُوا عِبْرِيَّتَهُمْ مِنْ قَبْرِهَا، وَأَحْيَوْا مَوَاتَهَا، وَجَعَلُوهَا اللِّسَانَ  
الْوَحِيدَ بَيْنَهُمْ، وَارْتَضَوْهَا لُغَةً التَّدْرِيسِ لِطُلَّابِهِمْ، حَتَّى فِي الْمَوَادِّ الْعِلْمِيَّةِ  
وَالتَّجْرِبِيَّةِ لَا يُدْرَسُونَهَا لِأَوْلَادِهِمْ إِلَّا بِالْعِبْرِيَّةِ.

وَالْيَابَانِيُّونَ الَّذِينَ بَلَّغُوا مِنَ التَّقَدُّمِ مَا بَلَّغُوا حَافِظُوا عَلَى لُغَتِهِمْ، وَجَعَلُوهَا لُغَةً  
الْعِلْمِ فِي بِلَادِهِمْ، وَتَرَجَّمُوا كُتُبَ الْعَرَبِيِّينَ إِلَيْهَا، وَلَمْ يَفْرَضُوا اللُّغَاتِ الْغَرِبِيَّةَ  
عَلَى طُلَّابِهِمْ.

وَهَكَذَا فَعَلَ الْكُورِيُّونَ، وَهُمْ فِي الصَّنَاعَةِ وَالتَّقْنِيَّاتِ مَا تَعْلَمُونَ، وَأَمَّا  
الصِّينِيُّونَ فَأَمْرُهُمْ عَجَبٌ؛ إِذْ مَا يَصْدُرُ الْيَوْمَ كِتَابٌ عِلْمِيٌّ فِي الْغَرْبِ إِلَّا وَيَنْبَرِي لَهُ  
الْمُتَرَجِّمُونَ لِيُطْبَعَ مِنَ الْغَدِ بِاللُّغَةِ الصِّينِيَّةِ.

وَأَمَّا الْبِلَادُ الْعَرَبِيَّةُ الَّتِي رَضِيَتْ لِطُلَّابِهَا أَنْ تُزَاحِمَهُمُ اللُّغَاتُ الْأَجَنِيَّةُ فِي



مَدَارِسِهِمْ، فَتُفْسِدَ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَذْوَاقُهُمْ، فَمَا رَأَيْنَاهَا تَقَدَّمَتْ بِهَذِهِ اللُّغَاتِ الْأَجْنِبِيَّةِ، وَقَدْ عَاشَتْ فِي هَذَا الصَّلَالِ عُقُودًا كَثِيرَةً، بَلْ هِيَ تَرُسُفُ فِي أَغْلَالِ التَّخْلُفِ وَالضَّعْفِ وَالتَّبَعِيَّةِ لِلْغَيْرِ!

أَيَغَارُ الْيَهُودُ وَأَهْلُ الْبَصِينِ وَالْيَابَانِ وَكُورِيَا عَلَى لُغَاتِهِمْ، وَيُحَافِظُونَ عَلَى أَلْسِنِ طُلَابِهِمْ، مَعَ أَنَّ لُغَاتِهِمْ لَا تُسَاوِي شَيْئًا أَمَامَ لُغَةِ الْقُرْآنِ فِي مُفْرَدَاتِهَا وَجُمْلِهَا وَبَلَاغَتِهَا، وَاسْتِيفَائِهَا لِحَاجَاتِ الْعَصْرِ وَمُضْطَلَحَاتِهِ وَمُتَطَلِّبَاتِهِ؛ وَيَتَنَكَّرُ الْعَرَبُ لِلُّغَتِهِمُ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي اخْتَارَهَا اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ، وَأَنْزَلَ كِتَابَهُ بِهَا، فَيَزَاحِمُونَهَا بِاللُّغَاتِ الْأَجْنِبِيَّةِ بِحُجَّةِ التَّقَدُّمِ وَالتَّطَوُّرِ، وَاسْتِيفَاءِ حَاجَاتِ الْعَصْرِ؟!

كَيْفَ يَقْعُلُونَ ذَلِكَ وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ الْبِلَادَ الْعَرَبِيَّةَ الَّتِي زَااحَمَتْ عَرَبِيَّتَهَا بِاللُّغَاتِ الْأَجْنِبِيَّةِ مَا أَفْلَحَتْ وَلَا تَقَدَّمَتْ؟ وَيَرَوْنَ أَنَّ الْبِلَادَ الْوُثْنِيَّةَ الَّتِي تَقَدَّمَتْ فِي الشَّرْقِ قَدْ حَافِظَتْ عَلَى لِسَانِهَا، وَطَوَّعَتْ الْعُلُومَ لِللُّغَاتِهَا، وَمَا ضَرَّهَا ذَلِكَ؟!

وَمِنْ أَعْجَبِ مَا يَكُونُ أَنْ يَدْعُو الدَّاعُونَ إِلَى الْوَحْدَةِ الْوُطْنِيَّةِ، وَالْإِنْتِمَاءِ الْوُطْنِيِّ، ثُمَّ تَفْرَضَ عَلَيْهِمُ اللُّغَاتُ الْأَجْنِبِيَّةُ، وَيُمْكِنُ لَهَا فِي بِلَادِهِمْ؛ لِتَحُلَّ مَحَلَّ الْعَرَبِيَّةِ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ اللُّغَةَ هِيَ وَعَاءُ الْوَلَاءِ وَالْإِنْتِمَاءِ، فَكَيْفَ يَنْتَمِي قَوْمٌ لِبِلَادٍ رَضِيَتْ أَنْ تُزَاحِمَ لُغَتَهَا لُغَاتُ أَجْنِبِيَّةٍ؟!

وَمَنْ تَعَلَّمَ مِنْذُ صِغَرِهِ لُغَةً حَتَّى أَضَحَتْ لُغَتَهُ الْأُولَى فَلَا بُدَّ أَنْ يَتَعَلَّمَ جُدُورَهَا وَتَقَاتِفَهَا وَتَارِيخَ أَهْلِهَا، فَيَنْتَمِي إِلَيْهِمْ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بِلَادِهِمْ، وَكَثِيرٌ مِمَّنْ نَشُّوا مِنْ أَبْنَاءِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَلْسِنِ الْعَرَبِ وَلُغَاتِهِمْ كَانَ وَلَاوُهُمْ إِلَيْهِمْ أَكْثَرَ مِنْ وَلَائِهِمْ لِأُمَّتِهِمْ وَبِلَدَانِهِمْ.

أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ، وَاعْرِفُوا فَضْلَ لُغَتِكُمْ، وَمَكَانَتَهَا مِنْ دِينِكُمْ، وَقَوْمُوا بِهَا أَلْسِنَ أَوْلَادِكُمْ؛ فَإِنَّهَا لُغَةُ الْقُرْآنِ، وَلُغَةُ الصَّلَاةِ وَالْعِبَادَةِ، وَكَانَ السَّلَفُ يَعْتَنُونَ

بِهَا، وَيُؤَدَّبُونَ أَوْلَادَهُمْ عَلَى اللَّحْنِ فِيهَا. قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- :  
«مَنْ تَكَلَّمَ فِي مَسْجِدِنَا بِغَيْرِ الْعَرَبِيَّةِ أُخْرِجَ مِنْهُ»<sup>(٢١)</sup>.  
وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ...



## ٣٦٦- تفضيل الرجال على النساء

١٤٢٦/٢/١هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ؛ خَالِقِ الْخَلْقِ، وَمَالِكِ الْمُلْكِ، وَمُدَبِّرِ الْأَمْرِ، أَحْمَدُهُ كَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُحْمَدَ، وَأَشْكُرُهُ فَهُوَ أَحَقُّ أَنْ يُشْكَرَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ كُلُّ الْخَلْقِ طَوْعُ أَمْرِهِ، خَاضِعُونَ لِحُكْمِهِ، سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣]، ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَمْ قَنِتُونَ﴾ [الروم: ٢٦]. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَخَيْرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ؛ اصْطَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْعَالَمِينَ، فَجَعَلَهُ خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَأَوْصِيكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ ﷻ، فَاتَّقُوهُ حَقَّ التَّقْوَى، وَاسْتَمْسِكُوا بِمَا أَنْزَلَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْهُدَى، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا نَجَاةَ فِي الدُّنْيَا وَلَا فَوْزَ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا بِتَعْظِيمِ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالتَّزَامِ شَرِيعَتِهِ، وَطَاعَةِ رَسُلِهِ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

أَيُّهَا النَّاسُ: مِنْ سُنَنِ اللَّهِ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ: أَنْ جَعَلَ كُلَّ نَوْعٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ فِي الْأَرْضِ شَطْرَيْنِ؛ فَشَطْرٌ ذَكَورٌ، وَالشَّطْرُ الْآخَرُ إِنَاثٌ، مِنْ إِنْسٍ وَجِنٍّ وَحَيَوَانٍ وَطَيْرٍ وَحَشَرَاتٍ وَنَبَاتٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ .. بَلْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ

السُّنَّة الرَّبَّانِيَّةَ وَذَلِكَ الْقَانُونُ الْإِلَهِيُّ عَامٌّ فِي كُلِّ شَيْءٍ: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩] <sup>(١)</sup>.

(١) روى الطبري عن مجاهد، في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ قال: «الكفر والإيمان، والشقاوة والسعادة، والهدى والضلالة، والليل والنهار، والسماء والأرض، والإنس والجن» (٤٣٩/٢٢).

وقال البغوي: «صنفين ونوعين مختلفين كالسماء والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، والبر والبحر، والسهل والجبل، والشتاء والصيف، والجن والإنس، والذكر والأنثى، والنور والظلمة، والإيمان والكفر، والسعادة والشقاوة، والحق والباطل، والحلو والمر» ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، فتعلمون أن خالق الأزواج فرد» (٣٧٩/٧).

وقال ابن كثير: «أي: جميع المخلوقات أزواج: سماء وأرض، وليل ونهار، وشمس وقمر، وبر وبحر، وضياء وظلام، وإيمان وكفر، وموت وحياة، وشقاء وسعادة، وجنة ونار، حتى الحيوانات، جن وإنس، ذكور وإناث، والنباتات، ولهذا قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: لتعلموا أن الخالق واحد لا شريك له» تفسير ابن كثير (٤٢٤/٧).

وقال الراغب في المفردات: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩]، فتنبيه أن الأشياء كلها مركبة من جوهر وعرض، ومادة وصورة، وأن لا شيء يتعرى من تركيب يقتضي كونه مصنوعاً، وأنه لا بد له من صانع تنبيهاً أنه تعالى هو الفرد، وقوله: ﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩]، فيبين أن كل ما في العالم زوج من حيث إن له ضدّاً، أو مثلاً ما، أو تركيباً ما، بل لا ينفك بوجه من تركيب، وإنما ذكر هاهنا زوجين تنبيهاً أن الشيء - وإن لم يكن له ضدّ، ولا مثل - فإنه لا ينفك من تركيب جوهر وعرض، وذلك زوجان» المفردات (٣٨٥).

وقال الشيخ عطية سالم في تكملة الأضواء: «ثبت علمياً أنه لا يوجد كائن موجود بمعنى التوثر قط حتى الحصاة الصغيرة، فإنه ثبت أن كل كائن جماد أو غيره مكون من ذرات، والذرة لها نواة ومحيط، وبينهما ارتباط وعن طريقهما التفجير الذي اكتشف في هذا العصر، حتى في أدق عالم الصناعة؛ كالكهرباء؛ فإنها من سالب وموجب، وهكذا لا بد من دورة كهربائية للحصول على النتيجة من أي جهاز كان، حتى الماء الذي كان يظن به البساطة؛ فهو زوج وشفع من عنصرين: أوكسجين وهيدروجين، ينفصلان إذا وصلت درجة حرارة الماء إلى مائة - أي: الغليان - ويتآلفان إذا نزلت الدرجة إلى حد معين فيتقاطران ماء، وهكذا.

وَهَذَا التَّقْسِيمُ هُوَ مِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ ﷻ وَوَحْدَانِيَّتِهِ؛ وَلِذَا جَاءَ  
الْإِسْتِدْلَالُ بِهِ فِي مَعْرِضِ الرَّدِّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّرِّيَّاتِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ۝٤٥﴾  
مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴿النجم: ٤٦﴾، كَمَا اسْتُدِلَّ بِهِ عَلَى الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ: ﴿أَنحَسِبُ الْإِنْسَانُ  
أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ۝٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَطَلَقَ فَسَوَى ۝٣٨﴾ فَعَمَلَ مِنْهُ  
الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿القيامة: ٣٦-٣٩﴾، وَمِنْ هَذَيْنِ الزَّوْجَيْنِ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ يَكُونُ  
التَّنَاسُلُ وَالتَّكَاثُرُ عَبْرَ الْإِتِّصَالِ وَالتَّزَاوُجِ، وَفِي مَا يَخْصُ بَنِي آدَمَ قَالَ اللَّهُ  
تَعَالَى: ﴿يَتَّخِذُهَا النَّاسُ إِنَاءً خَلَقْتَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ [الحجرات: ١٣].

وَالْأَصْلُ فِي هَذَا الْخَلْقِ الرَّجُلُ، ثُمَّ خُلِقَتِ الْأُنْثَى مِنْهُ كَمَا بَيَّنَّهُ قَوْلُ اللَّهِ  
تَعَالَى: ﴿يَتَّخِذُهَا النَّاسُ أَتَقْوَا رَبَّكُمْ أَلَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١]،  
وَفِي آيَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ  
إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩].

فَهَذَا الْبَيَانُ الْعَظِيمُ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ يُبَيِّنُ لَنَا كَيْفَ وُجِدَ الْبَشَرُ . . وَيَكْشِفُ عَنِ  
الْأَصْلِ الَّذِي تَنَاسَلُوا مِنْهُ. وَهَذِهِ حَقِيقَةُ بَدْهِيَّةٍ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛ إِذْ هُمْ  
يَتَلَقَّوْنَهَا عَنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى مُبَاشَرَةً صِغَارًا وَكِبَارًا، رِجَالًا وَنِسَاءً، وَهِيَ مِنَ  
الْوُضُوحِ بِمَا لَا يُحِيجُ الْمُتَلَقِّينَ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى تَفْسِيرِهَا أَوْ مُرَاجَعَةِ أَحَدٍ

= ونفس الهواء عدة غازات وتراكيب، فلم يبق في الكون شيء قط فردًا وترًا بذاته، إلا ما  
نص عليه الحديث: «إن الله وتر يحب الوتر»، ويمكن حمل الحديث على معنى الوتر فيه  
مستغن بذاته عن غيره، والواحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ فصفاته كلها وتر؛  
كالعلم بلا جهل والحياة بلا موت .. إلخ. بخلاف المخلوق، وقلنا: المستغني بذاته عن  
غيره؛ لأن كل مخلوق شفع، فإن كل عنصر منه في حاجة إلى العنصر الثاني؛ ليكون معه  
ذاك الشيء والله سبحانه بخلاف ذلك» (٨ / ٥٢٢).

فِي فَهْمِهَا، وَلِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: فَلِمَ إِذْنُ تُذَكِّرُ فِي هَذَا الْوَقْتِ، وَيَتِمُّ التَّأْكِدُ عَلَيْهَا بِسَرْدِ الْآيَاتِ فِي إِثْبَاتِهَا؟

إِنَّنَا -أَيُّهَا الْإِخْوَةُ- فِي زَمَنِ صَارَتْ فِيهِ الْحَقَائِقُ أَوْهَامًا، وَأَضَحَتْ الثَّوَابِتُ ظُنُونًا، وَقَلَبَ الْحَقُّ إِلَى بَاطِلٍ؛ بِسَبَبِ الدَّعَايَاتِ الْإِعْلَامِيَّةِ الْكَاذِبَةِ، الْمُؤَيَّدَةِ بِالْقُوَى الْإِلْحَادِيَّةِ الظَّالِمَةِ الْمُسْتَكْبِرَةِ الَّتِي تَفْرِضُ رُؤْيَيْهَا الْإِلْحَادِيَّةَ الشَّاذَّةَ لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِلْبَشَرِ عَلَى كَافَّةِ الشُّعُوبِ وَالْأُمَمِ. وَمَعَ كَثْرَةِ الطَّرِيقِ الْإِعْلَامِيِّ، وَالضُّغُوطِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ، وَالتَّخْوِيفِ بِالْقُوَّةِ الْعَسْكَرِيَّةِ تَتَغَيَّرُ كَثِيرٌ مِنَ الْفَنَاعَاتِ تَأَثُّرًا بِتِلْكَ الْأُطْرُوحَاتِ الْآثِمَةِ، أَوْ مُسَايَرَةً لِلْوَاقِعِ الضَّاعِطِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَشَرِيعَتِهِ.

إِنَّ النُّصُوصَ الْقُرْآنِيَّةَ -الْآيَاتِ ذِكْرَهَا- تُقَرَّرُ أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْوُجُودِ الْبَشَرِيِّ هُوَ الْجِنْسُ الذَّكَرِيُّ، وَمِنْ ثَمَّ خُلِقَتِ الْمَرْأَةُ مِنَ الرَّجُلِ، فَالرَّجُلُ أَصْلُ الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةُ فَرْعٌ عَنْهُ، وَهِيَ جُزْءٌ مِنْهُ، وَالْفَرْعُ لَا يَكُونُ مِثْلَ الْأَصْلِ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ أَعْلَى مِنْهُ.

وَهَذِهِ الْحَقِيقَةُ الَّتِي قُرِّرَتْ فِي الْقُرْآنِ لَا تُرْضِي الْمَلَاحِدَةَ وَمَنْ وَافَقَهُمْ فِي ادِّعَائِهِمُ الْقَاضِي بِالمُسَاوَاةِ بَيْنَ الْجِنْسَيْنِ؛ حَتَّى بَلَغُوا مَا بَلَغُوا فِي إِحَادِهِمْ بِزَعْمِهِمْ إلْغَاءَ تَقْسِيمِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ الْجِنْسَ الْبَشَرِيَّ إِلَى ذَكَرٍ وَأُنْثَى، وَإِبَاحَةَ تَغْيِيرِ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى بِاسْتِزْجَالِ النِّسَاءِ وَتَأْنِيثِ الرِّجَالِ، وَاكْتِفَاءِ الرِّجَالِ بِالرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ بِالنِّسَاءِ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْهَوَى وَالرَّدَى، وَالتَّعَدِّي عَلَى رُبُوبِيَّةِ الرَّبِّ الْأَعْلَى.

إِنَّ اللَّهَ ﷻ هُوَ خَالِقُ الْخَلْقِ، وَمُقَسِّمُ الْبَشَرِ إِلَى ذَكَرٍ وَأُنْثَى، وَهُوَ الَّذِي يَصْطَفِي مِنْ عِبَادِهِ مَنْ يَشَاءُ أَفْرَادًا؛ كَالْأَنْبِيَاءِ، وَقَبَائِلَ؛ كَقُرَيْشٍ، وَجَنْسًا؛

كَالْعَرَبِ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ أَنْ يَعْتَرِضَ عَلَى ذَلِكَ، وَإِلَّا لَكَانَ مُنَازِعًا لِلَّهِ تَعَالَى فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَخَلْقِهِ وَحُكْمِهِ ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الفصص: ٦٨].

وَقَدْ خَلَقَ جَلَّ فِي عِلَالِهِ جِنْسَ الرِّجَالِ، وَخَلَقَ جِنْسَ النِّسَاءِ مِنْ ضِلَعِ أَوَّلِ رَجُلٍ خَلَقَهُ، وَفَضَّلَ الرِّجَالَ عَلَى النِّسَاءِ؛ فَجَعَلَ النُّبُوَّةَ فِيهِمْ وَلَا نُبُوَّةَ فِي النِّسَاءِ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيَ إِلَيْهِمْ﴾ [يوسف: ١٠٩].

وَالْوِلَايَةُ الْعَامَّةُ، وَالنِّيَابَةُ عَنْهَا، كَالْقَضَاءِ وَالْوِزَارَةِ وَغَيْرَهَا لَا تَكُونُ إِلَّا لِلرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ، وَلَا يُعْرَفُ خِلَافُ ذَلِكَ فِي الْفَقْهِ الْإِسْلَامِيِّ إِلَّا سُذُودًا لَا يُعْتَدُّ بِهِ، اجْتَرَأَ بَعْضُ الْمُفْتُونِينَ بِالْحَضَارَةِ الْمُعَاصِرَةِ؛ لِيَجْعَلُوهُ حُجَّةً عَلَى النُّصُوصِ الْوَاضِحَةِ؛ وَقَدْ قَالَ الْمُبَلِّغُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ أَهْلَ فَارِسَ قَدْ مَلَكُوا عَلَيْهِمْ بِنْتُ كِسْرَى قَالَ: «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَمَرَهُمْ امْرَأَةٌ» (٢).

وَالْمَرْأَةُ لَا تَمْلِكُ وَلَا يَتَّهَى عَلَى نَفْسِهَا فِي النِّكَاحِ فَلَا تُنْكَحُ إِلَّا بِوَلِيِّهَا فَهُوَ الَّذِي يَتَوَلَّى ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ يَحُصُّهَا، فَكَيْفَ إِذَنْ بِوَلَايَتِهَا عَلَى غَيْرِهَا؟! وَطَلَّاقُهَا لَيْسَ بِيَدِهَا، بَلْ هُوَ فِي يَدِ مَنْ يَمْلِكُ عِصْمَتَهَا وَهُوَ زَوْجُهَا، وَأَوْلَادُهَا فِي تَسْمِيَّتِهِمْ لَا يُنْسَبُونَ إِلَى قَبِيلَتِهَا وَإِنْ كَانَتْ هِيَ الْحَامِلُ وَالْمُرْضِعُ وَالْحَاضِنُ؛ وَلَوْ كَانَتْ بِنْتُ الْأَشْرَفِينَ، وَكَانَ زَوْجُهَا ابْنُ الْأَرْدَلِيِّينَ؛ بَلْ يُنْسَبُونَ إِلَى أَبِيهِمْ وَلَوْ كَانَ فَاسِقًا فَاجِرًا، وَلَوْ كَانَ كَافِرًا وَلَوْ لَمْ يُؤَدِّ حُقُوقَهَا عَلَيْهِ.

(٢) أخرجه من حديث أبي بكرة رضي الله عنه: البخاري في المغازي، باب في كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر (٤١٦٣)، والترمذي في الفتن، باب (٧٥) (٢٢٦٢)، والنسائي في آداب القضاة، باب النهي عن استعمال النساء في الحكم (٢٢٧/٨)، وأحمد (٥٠/٥).

وَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ فِي الْمِيرَاثِ، وَشَهَادَةُ الرَّجُلِ عَنْ شَهَادَةِ امْرَأَتَيْنِ: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن رَضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ من الآية [البقرة: ٢٨٢].

وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ النِّسَاءَ نَاقِصَاتُ عَقْلٍ وَدِينٍ <sup>(٣)</sup>، وَلَمْ يَقُلْ ذَلِكَ فِي الرِّجَالِ. وَأُطْلِعَ ﷺ فِي النَّارِ قَالَ: «فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ <sup>(٤)</sup>، وَلَا ذَكَرَ ذَلِكَ فِي حَقِّ الرِّجَالِ.

وَالْمَوْلُودُ الذَّكَرُ يُعَقُّ عَنْهُ بِشَاتَيْنِ، وَالْأُنْثَى بِشَاةٍ وَاحِدَةٍ، وَدِيَةُ الْمَرْأَةِ نِصْفُ دِيَةِ الرَّجُلِ.

وَالْمَرْأَةُ قَدْ وُضِعَ عَنْهَا الْجِهَادُ لِضَعْفِهَا وَعَجْزِهَا وَشِدَّةِ عَاطِفَتِهَا، وَغَايَةُ جِهَادِهَا الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ. وَالْجُمُعُ وَالْجَمَاعَاتُ وَالنِّدَاءُ لِلصَّلَاةِ كُلُّ ذَلِكَ مِنْ خَصَائِصِ الرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ.

وَالرَّجُلُ يُسَافِرُ مَتَى شَاءَ، وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَلَا يَحِلُّ لَهَا أَنْ تُسَافِرَ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ؛ كَمَا صَحَّ ذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ <sup>(٥)</sup>.

(٣) كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: البخاري في الحيض، باب ترك الحائض للصوم (٢٩٨).

وأخرجه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: مسلم في الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات (٧٩).

(٤) أخرجه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: البخاري في الكسوف، باب طول السجود في الكسوف (١٠٠٤)، ومسلم في الكسوف، باب ما عرف عن النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار (٩٠٧).

وجاء من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه: البخاري (٤٩٠٢).

(٥) أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: البخاري في تقصير الصلاة، باب في كم تقصر الصلاة (١٠٣٨)، ومسلم في الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره (١٣٣٨).



وَالْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، وَالرَّجُلُ لَيْسَ كَذَلِكَ، وَالْبَنَاتُ ابْتِلَاءٌ يَبْتَلِي اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مَنْ شَاءَ مِنَ الْآبَاءِ؛ لِضَعْفِهِنَّ وَحَاجَتِهِنَّ لِمَنْ يَقُومُ بِشُؤْنِهِنَّ؛ وَلِذَلِكَ رُتِّبَ عَلَى رِعَايَتِهِنَّ مِنَ الْأُجُورِ لِلْآبَاءِ مَا لَمْ يُرْتَّبْ عَلَى رِعَايَةِ الذُّكُورِ مِنَ الْأَوْلَادِ؛ كَمَا رَوَى الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ»<sup>(٦)</sup>، فَجَعَلَهُنَّ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ جُمْلَةِ مَا يُبْتَلَى بِهِ الْآبَاءُ، وَلَمْ يَرِدْ ذَلِكَ فِي حَقِّ الْأَبْنَاءِ.

وَرَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ عَالَ جَارِيتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ، وَصَمَّ أَصَابِعَهُ»<sup>(٧)</sup>.

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ يُؤْوِيهِنَّ وَيَكْفِيهِنَّ وَيَرْحُمُهُنَّ فَقَدْ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْبَتَّةَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَعْضِ الْقَوْمِ: وَثْنَتَيْنِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَثْنَتَيْنِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمُرْفَدِ<sup>(٨)</sup>.

وَالزَّوْجُ قَائِمٌ عَلَى زَوْجَتِهِ لَا خُرُوجَ لَهَا عَنْ أَمْرِهِ، إِلَّا إِذَا أَمَرَهَا بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِذَا أَرْضَتْ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا فَقَدْ أَرْضَتْ رَبَّهَا، وَإِذَا أَغْضَبَتْهُ أَغْضَبَتْ رَبَّهَا، وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِهَا الْجَنَّةَ: طَاعَتُهَا لِزَوْجِهَا.

(٦) أخرجه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: البخاري في الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمره والقليل من الصدقة (١٣٥٢)، ومسلم في البر والصلة والآداب، باب فضل الإحسان إلى البنات (٢٦٢٩).

(٧) أخرجه مسلم في الكتاب والباب السابقين (٢٦٣١)، والترمذي في البر والصلة، باب ما جاء في النفقة على البنات والأخوات (١٩١٤)، والبخاري في الأدب المفرد (٨٩٤).

(٨) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧٨).

وجاء بنحوه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند: أحمد (٨٤٢٥)، والبيهقي في الشعب (٨٦٧٨).  
وجاء بنحوه عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند: أحمد (١٢٥٩٣)، وأبي يعلى (٣٤٤٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٩٥).

وَهَذَا الْقِيَامُ الَّذِي اخْتَصَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ الرِّجَالَ دُونَ النِّسَاءِ بَيْنَ الْقُرْآنِ أَنَّ عِلَّتَهُ تَفْضِيلُ جِنْسِ الرِّجَالِ عَلَى جِنْسِ النِّسَاءِ: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤]<sup>(٩)</sup>، وَفِي آيَةٍ أُخْرَى

(٩) قال البغوي: «أي: مسلطون على تأديبهن، والقَوَّامُ والقَيِّمُ بمعنى واحد، والقَوَّامُ أبلغ، وهو القائم بالمصالح والتدبير والتأديب ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ يعني: فَضَّلَ الرجال على النساء بزيادة العقل والدين والولاية، وقيل: بالشهادة، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكُمْ فِي الْجَمْعَةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَقِيلَ: بِالْجِهَادِ، وَقِيلَ: بِالْعِبَادَاتِ مِنَ الْجَمْعَةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَقِيلَ: هُوَ أَنَّ الرَّجُلَ يَنْكَحُ أَرْبَعًا وَلَا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ إِلَّا زَوْجٌ وَاحِدٌ، وَقِيلَ: بِأَنَّ الطَّلَاقَ بِيَدِهِ، وَقِيلَ: بِالْمِيرَاثِ، وَقِيلَ: بِالْبَدِيَّةِ، وَقِيلَ: بِالنَّبُوَّةِ» تفسير البغوي (٢/٢٠٧). وقال الزمخشري: «يقومون عليهن أمرين ناهين، كما يقوم الولاء على الرعايا. وسموا قَوَّامًا لذلك. والضمير في ﴿بَعْضُهُمْ﴾ للرجال والنساء جميعًا، يعني: إنما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال، على بعض وهم النساء. وفيه دليل على أَنَّ الولاية إنما تُسْتَحَقُّ بالفضل، لا بالتغلب والاستطالة والقهر. وقد ذكروا في فضل الرجال: العقل، والحزم، والعزم، والقوة، والكتابة في الغالب، والفروسية، والرمي، وأنَّ منهم الأنبياء والعلماء، وفيهم الإمامة الكبرى والصغرى، والجهاد، والأذان، والخطبة، والاعتكاف، وتكبيرات التشريق عند أبي حنيفة، والشهادة في الحدود، والقصاص، وزيادة السهم، والتعصيب في الميراث، والحمل، والقسامة، والولاية في النكاح والطلاق والرجعة، وعدد الأزواج، وإليهم الانتساب، وهم أصحاب اللحي والعمائم» تفسير الزمخشري (١/٥٠٥).

وقال السعدي: «أي: قوامون عليهن بالزامهن بحقوق الله تعالى، من المحافظة على فرائضه وكفهن عن المفاسد، والرجال عليهم أن يلزموهن بذلك، وقوامون عليهن أيضًا بالإتفاق عليهن، والكسوة والمسكن، ثم ذكر السبب الموجب لقيام الرجال على النساء فقال: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ أي: بسبب فضل الرجال على النساء وإفضالهم عليهن، فتفضيل الرجال على النساء من وجوه متعددة: من كون الولايات مختصة بالرجال، والنبوة، والرسالة، واختصاصهم بكثير من العبادات كالجهاد والأعياد والجمع. وبما خصهم الله به من العقل والرزانة والصبر والجلد الذي ليس للنساء مثله. وكذلك خصهم بالنفقات على الزوجات، بل وكثير من النفقات يختص بها الرجال ويتميزون عن النساء.

ذَكَرَ اللَّهُ ﷻ أَحْكَامَ الطَّلَاقِ؛ وَقَرَّرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا طَلَّقَ زَوْجَتَهُ فَلَهُ مُرَاجَعَتُهَا بِلَا اخْتِيَارِهَا مَا دَامَتْ فِي الْعِدَّةِ، ثُمَّ خَتَمَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَىٰ نَفْسِهِمْ فِي الْكُلُوبِ أَهْلِيَّتٌ خَالِصَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨] (١٠)، وَقَدْ أَقَرَّ اللَّهُ ﷻ مَقُولَةَ امْرَأَةِ عِمْرَانَ حِينَ رُزِقَتْ

= ولعل هذا سر قوله: ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا﴾، وحذف المفعول ليدل على عموم النفقة. فعُلمَ مِنْ هذا كُلِّهِ أَنَّ الرجل كالوالي والسيد لامرأته، وهي عنده عانية أسيرة خادمة، فوظيفته أن يقوم بما استرعاه الله به. ووظيفتها: القيام بطاعة ربها، وطاعة زوجها، فلهذا قال: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ﴾ أي: مطيعات لله تعالى ﴿حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ أي: مطيعات لأزواجهن حتى في الغيب تحفظ بعلمها بنفسها وماله، وذلك بحفظ الله لهن وتوفيقه لهن، لا من أنفسهن، فَإِنَّ النفس أمارة بالسوء، ولكن مَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ كَفَاهُ مَا أَهَمَّهُ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ» تفسير السعدي (١٧٧).

(١٠) قال أبو بكر بن العربي: «هذا نص في أنه مُفَضَّلُ عَلَيْهَا مُقَدَّمٌ فِي حَقُوقِ النِّكَاحِ فَوْقَهَا، لَكِنِ الدَّرَجَةُ هَاهُنَا مَجْمَلَةٌ غَيْرُ مَبِينٍ مَا الْمُرَادُ بِهَا مِنْهَا؟ وَإِنَّمَا أَخَذْتُ مِنْ أُدْلَةٍ أُخْرَى سِوَى هَذِهِ الْآيَةِ، وَأَعْلَمُ اللَّهُ تَعَالَى النِّسَاءَ هَاهُنَا أَنَّ الرِّجَالَ فَوْقَهُنَّ، ثُمَّ بَيَّنَّ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ذَلِكَ. وَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْمُرَادِ بِهَذِهِ الدَّرَجَةِ عَلَى أَقْوَالٍ كَثِيرَةٍ؛ فَقِيلَ: هُوَ الْمِيرَاثُ، وَقِيلَ: هُوَ الْجِهَادُ، وَقِيلَ: هُوَ الْحَيَاةُ؛ فَطَوَّبَى لِعَبْدٍ أَمْسَكَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ، وَخُصُوصًا فِي كِتَابِ اللَّهِ الْعَظِيمِ.

ولا يخفى على لبيب فضل الرجال على النساء، ولو لم يكن إلا أن المرأة خلقت من الرجل فهو أصلها. لكن الآية لم تأت لبيان درجة مطلقة حتى يتصرف فيها بتعدد فضائل الرجال على النساء؛ فتعين أن يطلب ذلك بالحق في تقدمهن في النكاح؛ فوجدناها على سبعة أوجه:

الأول: وجوب الطاعة، وهو حق عام.

الثاني: حق الخدمة، وهو حق خاص، وله تفصيل، بيانه في مسائل الفروع.

الثالث: حجر التصرف إلا بإذنه.

الرابع: أن تقدم طاعته على طاعة الله تعالى في النوافل، فلا تصوم إلا بإذنه، ولا تحج إلا معه.

الخامس: بذل الصداق.

السادس: إدراار الإنفاق.

= السابع: جواز الأدب له فيها» أحكام القرآن (١/٢٥٦-٢٥٧).

ونقل القرطبي كلام ابن العربي السابق ثم قال: «وعلى الجملة فدرجة تقتضي التفضيل، وتشعر بأن حق الزوج عليها أوجب من حقها عليه، ولهذا قال ﷺ: «ولو أُمِرْتُ أَحَدًا بالسجود لغير الله لأُمِرْتُ المرأة أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا». وقال ابن عباس: الدرجة إشارة إلى حض الرجال على حسن العشرة، والتوسع للنساء في المال والخلق، أي أن الأفضل ينبغي أن يتحامل على نفسه. قال ابن عطية: وهذا قول حسن بارع. قال الماوردي: يحتمل أنها في حقوق النكاح، له رفع العقد دونها، ويلزمها إجابته إلى الفراش، ولا يلزمه إجابتها. قلت: ومن هذا قوله ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ دَعَاَهَا زَوْجُهَا إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ عَلَيْهِ لَعَنَتَهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ» تفسير القرطبي (٣/١٢٥).

وللرازي كلام جيد في ذلك، قال: «واعلم أن فضل الرجل على النساء حاصل من وجوه كثيرة، بعضها صفات حقيقية، وبعضها أحكام شرعية:

أما الصفات الحقيقية: فاعلم أن الفضائل الحقيقية يرجع حاصلها إلى أمرين: إلى العلم، وإلى القدرة، ولا شك أن عقول الرجال وعلومهم أكثر، ولا شك أن قدرتهم على الأعمال الشاقة أكمل، فلهذين السببين حصلت الفضيلة للرجال على النساء في العقل والحزم والقوة، والكتابة في الغالب والفروسية والرمي، وإن منهم الأنبياء والعلماء، وفيهم الإمامة الكبرى والصغرى والجهاد والأذان والخطبة والاعتكاف والشهادة في الحدود والقصاص بالاتفاق، وفي الأنكحة عند الشافعي ﷺ، وزيادة النصيب في الميراث والتعصيب في الميراث، وفي تحمل الدية في القتل والخطأ، وفي القسامة والولاية في النكاح والطلاق والرجعة وعدد الأزواج، وإليهم الانتساب، فكل ذلك يدل على فضل الرجال على النساء. والسبب الثاني: لحصول هذه الفضيلة: قوله تعالى: ﴿وَيِمَّا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ يعني: الرجل أفضل من المرأة؛ لأنه يعطيها المهر وينفق عليها» تفسير الرازي (١٠/٧١).

واستدل الرازي بآية المواريث على فضل الرجال على النساء ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾ ... ﴿وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ﴾ [النساء: ١٢] فقال: في الآية ما يدل على فضل الرجال على النساء؛ لأنه تعالى حيث ذكر الرجال في هذه الآية ذكرهم على سبيل المخاطبة، وحيث ذكر النساء ذكرهن على سبيل المغيبة، وأيضاً: خاطب الله الرجال في هذه الآية سبع مرات، وذكر النساء فيها على سبيل الغيبة أقل من ذلك، وهذا يدل على تفضيل الرجال على النساء، وما أحسن ما راعى هذه الدقيقة؛ لأنه تعالى فَضَّلَ الرجال على النساء في النصيب، وَتَبَّهَ بهذه الدقيقة على مَزِيدِ فَضْلِهِمْ عَلَيْهِنَّ» تفسير الرازي (٩/٥٢١).

بِمَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، وَقَلَّلْتَ مِنْ شَأْنِ الْأُنْثَى إِزَاءَ الذَّكَرِ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا الْإِخْبَارَ مِنْهَا قُرْآنًا يُتْلَى مَا دَامَتِ الدُّنْيَا: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦] <sup>(١١)</sup>.

(١١) قال الطبري: «﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾؛ لأن الذكر أقوى على الخدمة وأقوم بها، وأن الأنثى لا تصلح في بعض الأحوال لدخول القدس والقيام بخدمة الكنيسة؛ لما يعترها من الحيض والنفاس. ثم نقل الطبري بسنده عن قتادة قال: كانت المرأة لا يستطيع أن يصنع بها ذلك، يعني: أن تحرر للكنيسة، فتجعل فيها، تقوم عليها وتكنسها فلا تبرحها مما يصيبها من الحيض والأذى، فعند ذلك قالت: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾» تفسير الطبري (٦/ ٣٣٤-٣٣٥)

وقال ابن عطية: «وبدأت بذكر الأهم في نفسها، وإلا فسياق قصتها يقتضي أن تقول: وليست الأنثى كالذكر، فتضع حرف النفي مع الشيء الذي عندها، وانتفت عنه صفات الكمال للغرض المراد» المحرر الوجيز (١/ ٤٣٢).

وقال الزمخشري: «﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ﴾ وما أرادت إلى هذا القول؟ قلت: قالته تحسراً على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها، فتحزنت إلى ربها؛ لأنها كانت ترجو وتقدر أن تلد ذكراً، ولذلك نذرته محرراً للسدانة، ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزن قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ تعظيماً لموضوعها، وتجهيلاً لها بقدر ما وهب لها منه، ومعناه: والله أعلم بالشيء الذي وضعت، وما علّق به من عظام الأمور، وأن يجعله وولده آية للعالمين، وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئاً، فلذلك تحسّرت، وفي قراءة ابن عباس: (والله أعلم بما وضعت) على خطاب الله تعالى لها، أي: إنك لا تعلمين قدر هذا الموهوب، وما علم الله من عظم شأنه وعُلُو قدره، وقرئ (وضعت) بمعنى: ولعلّ لله تعالى فيه سرّاً وحكمة، ولعل هذه الأنثى خير من الذكر؛ تسلية لنفسها» الكشف (١/ ٣٨٤).

وذكر الرازي قولين في الآية:

«الأول: أن مرادها تفضيل الولد الذكر على الأنثى، وسبب هذا التفضيل من وجوه:

أحدها: أن شرعهم أنه لا يجوز تحرير الذكور دون الإناث.

والثاني: أن الذكر يصح أن يستمر على خدمة موضع العبادة، ولا يصح ذلك في الأنثى؛ لمكان الحيض، وسائر عوارض النسوان.

والثالث: الذكر يصلح لقوته وشدته للخدمة دون الأنثى؛ فإنها ضعيفة لا تقوى على الخدمة.

والرابع: أن الذكر لا يلحقه عيب في الخدمة والاختلاط بالناس وليس كذلك الأنثى. =

= والخامس: أن الذكر لا يلحقه من التهمة عند الاختلاط ما يلحق الأنثى.

فهذه الوجوه تقتضي فضل الذكر على الأنثى في هذا المعنى.

والقول الثاني: أن المقصود من هذا الكلام ترجيح هذه الأنثى على الذكر، كأنها قالت: الذكر مطلوب، وهذه الأنثى موهوبة الله تعالى، وليس الذكر الذي يكون مطلوباً كالأنثى التي هي موهوبة لله، وهذا الكلام يدل على أن تلك المرأة كانت مستغرقة في معرفة جلال الله، عالمة بأن ما يفعله الرب بالعبد خير مما يريده العبد لنفسه» تفسير الرازي (٢٠٤/٨). وقال أبو السعود: «أي: ليس الذكر الذي كانت تطلبه وتخل في كمال قصاره أن يكون كواحد من السدنة كالأنثى التي وُهبَتْ لها؛ فإن دائرة علمها وأمنيتها لا تكاد تحيط بما فيه من جلائل الأمور، هذا على القراءتين الأوليين، وأما على التفسير الأخير للقراءة الأخيرة فمعناه: وليس الذكر كهذه الأنثى في الفضيلة، بل أدنى منها، وأما على التفسير الأول لها فمعناه: تأكيد الاعتذار ببيان أن الذكر ليس كالأنثى في الفضيلة والمزية وصلاحية خدمة المتعبدات؛ فإنهن بمعزل من ذلك، فاللام للجنس» تفسير أبي السعود (٢٨/٢-٢٩).

وقال السعدي: «كأن في هذا الكلام نوع تضرع منها، وانكسار نفس؛ حيث كان نذرهما بناء على أنه يكون ذكراً يحصل منه من القوة والخدمة والقيام بذلك ما يحصل من أهل القوة، والأنثى بخلاف ذلك، فجَبَرَ الله قلبها، وتَقَبَّلَ الله نَذْرَهَا، وصارت هذه الأنثى أَكْمَلَ وَأَتَمَّ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الذَّكُورِ، بل مِنْ أَكْثَرِهِمْ، وحصل بها من المقاصد أعظم مما يحصل بالذكر، ولهذا قال: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ أي: ربيت تربية عجيبة، دينية، أخلاقية، أدبية، كملت بها أحوالها، وصلحت بها أقوالها وأفعالها، ونما فيها كمالها، ويسر الله لها زكريا كافلاً» تفسير السعدي (٩٦٦).

وحاصل كلام المفسرين المنقول:

الأول: تفضيل جنس الذكورة على الأنوثة، وأن امرأة عمران عليها السلام رغبت في ذكر؛ لأنه الأفضل والأكمل لنذرهما، والناذر يطلب الكمال فيما ينذر، فلما وضعتها أنثى تحسرت لفوات هذا الكمال.

الثاني: أن فيه ترجيح هذه الأنثى بخصوصها على الذكر الذي تطلبه، فهي أفضل من كثير من الذكور، وما وقع بعد ذلك لمريم عليها السلام من قنوتها وعبادتها وحملها بالمسيح عليه السلام بلا وطاء دليل على أن هذا هو المعنى المقصود.

الثالث: بعض المفسرين نحا إلى أن الآية لا تدل على فاضل ومفضل، وإنما تدل على =

أَفْبَعَدَ هَذِهِ النُّصُوصِ الْقُرْآنِيَّةِ الْمُحْكَمَةِ الَّتِي يَجِبُ الْوُقُوفُ عِنْدَهَا، وَالتَّحَاكُمُ إِلَيْهَا؛ يَأْتِي أَفَّاكُونَ مُنَافِقُونَ، أَوْ أَغْرَارُ جَاهِلُونَ؛ أَوْ جُبَنَاءُ مَحْذُولُونَ لَيَقُولُوا لَنَا: إِنَّ الذَّكَرَ كَالْأُنْثَى وَلَا فَرْقَ؟! وَيُصَدِّقُهُمْ مُسْلِمُونَ خَاضِعُونَ لِلَّهِ تَعَالَى، يَتْلُونَ كِتَابَهُ،

= أن نذر امرأة عمران لا يمكن أن يتحقق إلا بذكر، فلما وضعت أنثى فاتها الوفاء بنذرها؛ لعدم صلاحية الأنثى للمهمة التي نَذَرَتْ المولود لأجلها.  
هذا موجز كلام المفسرين مما نقلته وما وقفت عليه مما لم أنقله خشية الإطالة، ولم أقف على من استدل بهذه الآية على تفضيل جنس النساء على جنس الرجال، كيف؟ وصريح القرآن يدل على خلاف ذلك في آيات كثيرة، ويدل على تفضيل جنس الرجال على النساء، كما في الآيات المذكورة في صلب الخطبة، وقال تعالى عن امرأتي نوح ولوط عليهما السلام: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ﴾ [التَّحْرِيم: ١٠] فجعل سبحانه الزوجة تحت الزوج، فلا تكون مساوية له فضلاً عن أن تكون أفضل منه من جهة جنسه وجنسها، وقد خلقت المرأة مِنَ الرجل، فهي جزء منه، ولا يكون الجزء أفضل من الأصل ولا مساوياً له، والأدلة في ذلك كثيرة.

هذا فيما يتعلق بجنس الذكورة والأنوثة، لكن في آحاد النساء مَنْ هُنَّ أفضل من كثير من الرجال، وأسد رأياً، وأكمل عقلاً، ومؤمنة واحدة أفضل من كل الكفار من الرجال.  
وما دعاني لكتابة هذا أنني اطلعت في زمن العجائب هذا على مقولة لامرأة استدلت بمقولة امرأة عمران: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ [آل عمران: ٣٦] على تفضيل النساء على الرجال، وذلك في الملتقى النسائي المفتوح الذي عُقِدَ هذه الأيام في جدة لمناقشة وضع المرأة السعودية، فقالت رئيسة جمعية الإيمان الخيرية، ورئيسة لجنة الأسرة في منظمة حقوق الإنسان «الجوهرة العنقري» ما نصه: «إن مفهوم الآية القرآنية في سورة آل عمران ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ يعني: أن الأنثى أفضل من الرجل، فليس الرجل مثل المرأة» ووافقتها في هذا الخطأ الدكتور «وفاء عز» بقولها: «من المعروف في قواعد البلاغة أن هناك المشبه والمشبه به، فهنا امرأة عمران تخبر ربها بأنها وضعت أنثى وليس الذكر كالأنثى، فالأفضلية للأنثى، مثلما نقول: الرجل ليس كالأسد، فالأسد هنا هو الأفضل» ونشر كلامهما في الصحف التي غطت وقائع الملتقى، ينظر: صحيفة الشرق الأوسط: ١٨/٣/١٤٢٦.  
وهذا التقرير الذي ادعته المشاركتان في الملتقى شذوذ من القول، مصادم لنصوص الكتاب والسنة، ولم يقل به أحد من أهل التفسير قديماً وحديثاً - فيما وقفت عليه من كتبهم - والنصوص المذكورة في الخطبة تدل على خطأ هذه الفهم للآية الكريمة.

وَيَجِدُونَ فِيهِ هَذِهِ الْمُفَاضِلَةَ بَيْنَ الْجَنَسَيْنِ، وَالْفُرُوقَاتِ الْكَثِيرَةَ بَيْنَهُمَا، أَهْمُ أَعْلَمُ  
 أَمَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ الْخَلْقَ وَدَبَّرَهُمْ، وَشَرَعَ لَهُمْ شَرَائِعَ تَنَاسَبَ وَسُنَنَهُ الْكُونِيَّةَ فِي  
 الْأَنْفُسِ وَالْآفَاقِ، فَمَنْ انْحَرَفَ عَنْهَا فَهُوَ يَجْنِي عَلَى نَفْسِهِ، وَإِنْ نَشَرَ انْحِرَافَهُ فِي  
 النَّاسِ جَنَى عَلَيْهِمْ؟! فَإِنْ كَانَ الْإِنْحِرَافُ عَنْ شَرِيعَةِ اللَّهِ تَعَالَى يُقْتَنُ عَالَمِيًّا،  
 وَيُفْرَضُ عَلَى الْبَشَرِ بِالْقُوَّةِ، فَوَيْلٌ لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، وَوَيْلٌ لِمَنْ وَافَقَهُمْ فِي  
 ضَلَالِهِمْ، وَلِمَنْ حَرَفَ شَرِيعَةَ اللَّهِ تَعَالَى لِتَوَائِمِ الْإِحَادِهِمْ، وَيَلُ لَّهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنْ  
 عُقُوبَاتٍ عَاجِلَةٍ ظَهَرَ بَعْضُهَا فِي أَمْرَاضٍ فَتَّاكَةٍ، وَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ  
 لَا يُنْصَرُونَ.

نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَحْفَظَنَا وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ مُوجِبَاتِ سَخَطِهِ، وَنَسْأَلُهُ الثَّبَاتَ  
 عَلَى الْإِسْلَامِ إِلَى الْمَمَاتِ، آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].  
 بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ...



## الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا  
 إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم  
 وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ  
 الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ -عِبَادَ اللَّهِ- وَأَطِيعُوهُ: ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا  
 أَنَّكُمْ مُلْقَوْنَهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣].



أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ قَضِيَّةَ تَفْضِيلِ الرِّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ فِي الْجُمْلَةِ، هِيَ قَضِيَّةٌ مُسَلِّمَةٌ شَرْعًا، لَا يُجَادِلُ فِيهَا إِلَّا مُكَابِرٌ يُمَارِي فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يُنْكِرُهَا إِلَّا مُجَازِفٌ بِتَكْذِيبِ آيِ الْقُرْآنِ، وَرَدِّ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ.

وَلَا يَمْنَعُ مِنْ تَقْرِيرِ ذَلِكَ أَنْ يُوجَدَ مِنْ أَحَادِ النِّسَاءِ مَنْ هُنَّ أَفْضَلُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الرِّجَالِ، بَلْ إِنَّ الْمَرْأَةَ الْمُسْلِمَةَ الطَّائِعَةَ لِرَبِّهَا الْمُحْصِنَةَ لِفَرْجِهَا هِيَ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أُمَّةٍ كَامِلَةٍ مِنَ الْكُفْرَةِ وَالْمُنَافِقِينَ.

وَهَذَا التَّفْضِيلُ لِجِنْسِ الرِّجَالِ عَلَى جِنْسِ النِّسَاءِ يَجِبُ أَنْ يَرْضَى بِهِ كِلَا الْجِنْسَيْنِ؛ لِأَنَّهُ حُكْمُ اللَّهِ تَعَالَى؛ وَالْمُشَاقَّةُ فِيهِ مُشَاقَّةٌ لِلَّهِ تَعَالَى فِي أَحْكَامِهِ، وَمَنْ اعْتَرَضَ عَلَى ذَلِكَ فَيَلْزِمُهُ الْإِعْتِرَاضُ عَلَى اضْطِفَاءِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى سَائِرِ الرِّجَالِ وَهُمْ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ؛ لِيَكُونَ فِي عِدَادِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، فَرَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وَالتَّبَوُّهُ لَا تُكْتَسَبُ، بَلْ هِيَ اضْطِفَاءٌ وَاخْتِيَارٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

بَلْ لَا يَجُوزُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَتَمَنَّى مَنَزِلَةَ الرَّجُلِ أَوْ عَمَلَهُ، وَلَمَّا قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَغْزُو الرِّجَالُ وَلَا نَغْزُو، وَإِنَّمَا لَنَا نِصْفُ الْمِيرَاثِ؟ أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢] (١٢).

(١٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٦٢٤)، والترمذي في التفسير، باب ومن سورة النساء (٣٠٢٢)، وقال: هذا حديث مرسل ورواه بعضهم عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مرسلًا أن أم سلمة قالت: ... فذكره، وأحمد (٣٢٢/٦)، وعبد الرزاق في تفسيره (١٥٦/١)، والطبري في تفسيره (٢٦٢/٨)، وأبو يعلى (٦٩٥٩)، والحاكم وصححه، وقال: على =

فَإِذَا نَهَى عَنْ مُجَرَّدِ تَمَنِّي أَحَدِ الْجِنْسَيْنِ مَنْزِلَةَ الْجِنْسِ الْآخَرِ فَكَيْفَ إِذَا بِمَنْ  
يُنَازِعُ اللَّهَ تَعَالَى فِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَيَرُدُّ حُكْمَهُ، وَيَنْفِي حِكْمَتَهُ؛ بِتَقْرِيرِ الْمُسَاوَاةِ بَيْنَ  
الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ؛ مُوَافَقَةً لِأَهْلِ الْإِلْحَادِ فِي إِلْحَادِهِمْ؟!

وَأَيُّ إِسْلَامٍ يَدَّعِيهِ مَنْ تَلَطَّحَ بِهَذَا الْإِثْمِ الْمُبِينِ، وَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَصِيحُونَ بِذَلِكَ،  
وَهُمْ لَا يُدْرِكُونَ مَعَبَّةَ مَا يَفْعَلُونَ! نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى الْهِدَايَةَ وَالْعِصْمَةَ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: احْتَفَلَ الْمُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ قَبْلَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ بِالْيَوْمِ الْعَالَمِيِّ  
لِلْمَرْأَةِ<sup>(١٣)</sup>، وَتَنَادَوْا مِنْ كُلِّ حَدَبٍ وَصَوْبٍ، وَرَفَعُوا عَقِيرَتَهُمْ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ  
وَمَغَارِبِهَا مُطَالِبِينَ بِرَفْعِ وَصَايَةِ الرِّجَالِ عَنِ النِّسَاءِ فِي الْبِلَادِ الْمُسْلِمَةِ، فِي الْوَقْتِ  
الَّذِي تَنْشُرُ فِيهِ صُحُفُهُمُ الْفَاجِرَةَ إِحْصَائِيَّاتٍ مُخِيفَةً عَنْ وَاقِعِ الْأُسْرَةِ فِي الْبِلَادِ  
الْغُرَبِيَّةِ بَعْدَ رَفْعِ وَصَايَةِ الرَّجُلِ عَنْهَا، وَإِحْصَائِيَّاتٍ أُخْرَى عَنْ تَزَايُدِ الْعُنْفِ  
الْأُسْرِيِّ لَدَيْهِمْ، وَفِي بِلَادِ التَّنْوِيرِ الْحَدِيثِ، وَثَوْرَةِ الْحُرِّيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ تُفِيدُ  
تَقَارِيرُهُمْ أَنَّ رِجَالَهُمُ الْمُتَحَرِّرِينَ يَضْرِبُونَ نِسَاءَهُمُ الْمُتَحَرَّرَاتِ ضَرْبَ غَرَائِبِ  
الْإِبِلِ<sup>(١٤)</sup>، فَأَيُّ حَيَاةٍ يَعِيشُونَهَا؟ وَأَيُّ اسْتِقْرَارٍ أُسْرِيٍّ يَهْنُؤُونَ بِهِ؟ كَمَا تُفِيدُ

= شرط الشيخين ووافقه الذهبي (٢/٣٠٥)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ أَحْمَدُ شَاكِرٌ فِي تَعْلِيْقِهِ عَلَى  
تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ، وَأَثْبَتَ فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ أَنَّ الْحَدِيثَ مُتَّصِلٌ، وَأَنَّ مُجَاهِدًا رَوَاهُ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ  
مُبَاشَرَةً (٨/٢٦٢-٢٦٣).

وَيُنْظَرُ حَوْلَ هَذَا الْمَعْنَى كَلَامُ نَفِيسٍ لِلشَّيْخِ الْعَلَامَةِ بِكَرِّ أَبِي زَيْدٍ فِي رِسَالَتِهِ الْمَتِينَةِ «حِرَاسَةُ  
الْفَضِيلَةِ» طَبَعَ مَكْتَبَةُ السَّنَةِ فِي مِصْرَ (١٧-١٩).

(١٣) كَانَ يَوْمُ الثَّلَاثَاءِ ٢٧/١/١٤٢٦ هـ.

(١٤) بِمُنَاسَبَةِ الْيَوْمِ الْعَالَمِيِّ لِلْمَرْأَةِ بَثَّتْ شَبْكَةُ التَّلْفِزَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ الَّتِي تُسَمَّى بِلَادِ النُّورِ وَالْعُطُورِ  
بِرَامِجٍ مُخَصَّصَةً لِحَمَلَةِ ضَخْمَةٍ ضِدَّ مَا يُسَمُّونَهُ (العنف الزوجي)، بَعْدَ تَزَايُدِ ضَرْبِ رِجَالِهِمْ  
لِنِسَائِهِمْ ضَرْبًا مُبَرِّحًا، يُحَدِّثُ عَاهَاتٍ وَتَوْسِيمًا فِي الْوَجْهِ، وَيَصِلُ أحيانًا إِلَى حَدِّ الْقَتْلِ،  
وَذَكَرَتْ تَقَارِيرُهُمْ أَنَّهُ فِي فَرَنْسَا تَمُوتُ سِتُّ نِسَاءٍ كُلِّ شَهْرٍ نَتِيجَةَ ضَرْبِ أَزْوَاجِهِمْ لِهِنَّ،  
وَتَمُوتُ فِي فَرَنْسَا سِتُّ نِسَاءٍ كُلِّ شَهْرٍ نَتِيجَةَ الْعُنْفِ الَّذِي يَحْدُثُ فِي الْبُيُوتِ.

تَقَارِيرُهُمْ بِأَنَّ الْفَقْرَ قَدْ تَأَثَّرَتْ بِنِسْبَةِ الثُّلُثَيْنِ، أَي: أَنَّ سَبْعِينَ فِي الْمِائَةِ مِنَ الْفَقْرِ فِي الْعَالَمِ هُوَ مِنْ نَصِيبِ النِّسَاءِ<sup>(١٥)</sup>، وَهَذَا لَيْسَ بِمُسْتَعْرَبٍ عِنْدَ مَنْ يَعْرِفُ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ

= وتشير آخر إحصائية رسمية إلى أن وَاحِدَةً مِنْ كُلِّ عَشْرِ نِسَاءٍ تَتَعَرَّضُ للعنف الزوجي. وتراوح أشكال العنف ما بين الضغوط النفسية والاعتداءات الجسدية والاغتصاب أو غيره من ممارسات مهينة للمرأة. وتستند هذه الإحصائية إلى أولئك اللواتي يتقدمن بشكاوى فقط، ولا تشمل النساء اللواتي يفضلن الصمت والإذعان للواقع.

ودفعت هذه المشكلة -التي من النادر أن يتحدث عنها الفرنسيون علناً- مخرجين شابين هما فرنسوا راب وفليسي دوتيرتر إلى التبرع بعمل سلسلة من اللقطات التلفزيونية المعبرة عن معاناة النساء المضروبات. واستغرق عمل هذه الأفلام القصيرة جداً سنة من الجهد، ووافقت جميع القنوات العاملة في فرنسا على بثها اعتباراً مِنْ هَذَا الأسبوع فِي حملة وطنية ضد العنف الزوجي. ولجأ المخرجان إلى أسلوب الصدمة للتعبير عن عمق معاناة الزوجات المضروبات. وتضمنت الأفلام لقطات قوية لنساء يختبئن تحت قطع الأثاث هرباً من اللطمات، أو لنساء ينتهين في أدراج المشرحة بسبب ضربة من زوج هائج أو سكير أو مُذْمَن على المخدرات. وتسعى تشريعات جديدة في فرنسا إلى حماية النساء من عنف الأزواج. ولم تكن مراكز الشرطة تأخذ بكثير من الاهتمام البلاغات التي تقدم بها النساء ضد شركائهن، رغم وجود تقارير طبية تؤكد وقائع تعرضهن للعنف الجسدي. لكن الإجراءات الجديدة بدأت تتيح إحالة الزوج إلى المحكمة إذا ثَبَّتَ أَنَّهُ تسبب لزوجته بضرر يُعيقها عن العمل لأربعة أيام. وتشير تقارير معهد الطب الشرعي في باريس إلى أن ٦٥% من النساء اللواتي تعرّضن للقتل خلال العقد الأخير من القرن العشرين مِتْنَ على يَدِ الزَّوْجِ أو الصديق. صحيفة الشرق الأوسط، الاثنين ٢٧ محرم ١٤٢٦ هـ ٧ مارس ٢٠٠٥ العدد (٩٥٩٦).

(١٥) في مقالة للصحفية ثريا الشهري بعنوان (يوم المرأة لم يتغير شيء للأسف) تعترف بما يحصل للمرأة من امتحان وأذى في الدول الديمقراطية، وهي من الداعيات لتحرير المرأة وفي جزء من مقالاتها تقول: فلا يخطئنا القول إذا اعترفنا بأن العولمة بسوقها الاقتصادي العالمي قد استوعبت المرأة في جميع مراحلها العمرية، إلا أنها في الوقت ذاته قد همّشت من مكانتها، ورسمت لها تخطيطاً آخر جرّها بقوة مغناطيسية نحو الأسواق الاستهلاكية. فبينما استطاعت النساء من خلال تكامل السوق العالمية أن يحصلن على أماكن عمل أوسع من الرجال نسبياً، نكتشف أنهن خسرن أجراً ونوعية. ففي بلد يتوقع له أن ينافس على قطبية العالم في السنوات القادمة، وهو الصين، نجد أن جنوبه المتفوق على شماله =

طَبِيعَةَ الرَّجُلِ وَطَبِيعَةَ الْمَرْأَةِ، وَمَا كَانَ الْبَشَرُ يَحْسُبُونَ إِحْصَائِيَّاتِ الْفَقْرِ وَالْغِنَى  
بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْفَرْدِيَّةِ الْغَرِيبَةِ إِلَّا لَمَّا فَصَلُوا الْمَرْأَةَ عَنِ الرَّجُلِ فِي تَكْوِينِ الْأُسْرَةِ  
ثُمَّ هَا هُمْ يَشْتَكُونَ الْأَرْقَامَ الْمُزَعَبَةَ الَّتِي تُثَبِّتُ فَقْرَ النِّسَاءِ لِصَالِحِ الرِّجَالِ.

فَاسْتَمْسِكُوا بِدِينِكُمْ -أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ- وَرَبُّوا عَلَيْهِ أَبْنَاءَكُمْ وَبَنَاتَكُمْ،  
وَأَخْبِرُوهُمْ بِحُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الدَّعَوَاتِ الْوَافِدَةَ  
الْآثِمَةَ لَا يُبْطَلُهَا إِلَّا التَّمَسُّكُ بِالشَّرِيعَةِ الْعَرَاءِ، وَقَنَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ بِهَا رِجَالًا  
وَنِسَاءً؛ لِقَطْعِ الطَّرِيقِ عَلَى كُلِّ نَاعِقٍ وَنَاعِقَةٍ، وَمُفْسِدٍ وَمُفْسِدَةٍ، يُرِيدُونَ تَبْدِيلَ

= في معادلة مقلوبة، تشتغل فيه أكثر من مليوني امرأة في معامل مشبعة بمواد كيميائية خطيرة  
وعلى ماكينات قديمة، وساعات عمل إضافية إلزامية، ترتفع فيها نسبة الحرائق والتسمم  
من دون أية حماية أو ضمان صحي، فإذا نطقت المغبونة واحتجت ضد الظروف التعسفية  
كما حدث مع عاملات النسيج في نهاية عام ١٩٩٦ في كمبوديا، هددت ثلاثون شركة في  
هونغ كونغ وماليزيا وتايوان، بالانسحاب الفوري من البلاد، ما لم تحم الحكومة  
استثماراتها.

ثم هل لنا أن ننسى أن هذا العصر الكارثي على النساء قد بعث معه عبوديتهن من رقادهما  
والمتمثلة هذه المرة في مهنة الخادومات، لإحصائيات العالم الليبرالي تُقَرِّرُ أن أربعة ملايين  
فلسطينية أُمْتَهَنَّ الخدمة خارج الوطن، ناهيك من البولونيات اللاتي يهاجرن للعمل في مواسم  
الصيف، ليرغمن فيما بعد على عمل من نوع آخر يتعامل مع أجسادهن وحدها، بل وربما  
تباع الواحدة منهن إلى أية جهة طالبة، والكلام عن مافيات تجارة النساء عابرة للقارات،  
وهو جزء منظم لجريمة ترتبط بتجارة المخدرات والسيارات، فأَيُّ امتهان أبشع؟!

باختصار، مع العولمة تدمر الضمان والنسيج الاجتماعي، وقضى على ما بقي للأثني من  
أوقات فراغ كانت ملكًا لها ولأسرتها، ثم تركها تبحث عن هوية ثقافية غير هويتها، عدا  
عمًّا ولده لديها من قلق متزايد حاصر إحساسها بالاستقرار، الذي هو أهم عنصر في  
حياتها. فإذا عرفنا أن الفقر قد تأثت نتيجة إحصائية تقول إن ٧٠% من مجموع فقراء العالم  
هم من النساء، ومع هذا فإنهن يعولن ٣٥% من مجموع الأسر في العالم، فلا تستمروا  
معسر الرجال في ترديد: ماذا يردن النساء؟

صحيفة الشرق الأوسط، الاثنين ٢٧ محرم ١٤٢٦ هـ ٧ مارس ٢٠٠٥ العدد (٩٥٩٦).

كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَعْطِيلَ شَرِيعَتِهِ، وَاسْتِبْدَالَ الْمَنَاهِجِ الْمُنْحَرِفَةِ بِهَا. تِلْكَ  
 الْمَنَاهِجَ الَّتِي مَا أَنْتَجَتْ فِي بِلَادِ الْكَافِرِينَ إِلَّا هَدْمَ أُسْرِهِمْ، وَتَدْمِيرَ بُيُوتِهِمْ،  
 وَضَيَاعَ نِسَائِهِمْ.  
 وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ...





## ٣٦٧- تحرير المرأة

٥/٨/١٤١٥هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، خَلَقَ الْخَلْقَ فَأَبْدَعَهُ، وَسَنَّ الدِّينَ وَشَرَعَهُ، أَحْمَدُهُ وَأَشْكُرُهُ،  
وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، لَمْ يَزَلْ عَلَى الْخَلْقِ مُسْتَعْلِيًّا، وَبِالْجَلَالِ وَالْكَمَالِ مُتَّصِفًا،  
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا يَبْقَى إِلَّا وَجْهُهُ، وَلَا يَدُومُ إِلَّا  
مُلْكُهُ، وَالْمَصِيرُ إِلَى حُكْمِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ كَمَلَ نَسَبًا  
وَأَصْلًا، وَزَانَ خَلْقًا وَخُلُقًا، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ؛  
فَتَحُّوا فِي الْإِسْلَامِ أَقْفَارًا، وَدَكُّوا لِلْكَفْرِ وَالنِّفَاقِ حُصُونًا، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ  
بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَأَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ ﷻ؛ فِتْلِكَ وَصِيَّةُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴿وَلَقَدْ  
وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].  
أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُؤْمِنُونَ: الْإِسْلَامُ دِينٌ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَرَتَّبَ  
الْمَسْئُولِيَّاتِ عَلَى كُلِّ بِحْسَبِهِ، وَالْأُسْرَةُ فِي الْإِسْلَامِ مَحَلُّ عِنَايَةٍ وَاهْتِمَامٍ ابْتِدَاءً  
بِمَعَايِيرِ اخْتِيَارِ الزَّوْجَةِ، وَانْتِهَاءً بِتَنْشِئَةِ الْجِيلِ نَشَاءً صَالِحَةً.

وَأَحْكَامُ الْمَرْأَةِ وَوَاجِبَاتُ الزَّوْجَةِ وَحُقُوقُهَا اسْتَحْوَذَتْ عَلَى أَبْوَابٍ مِنَ الْفِقْهِ  
كَامِلَةٍ، وَاسْتَعْرِقَتْ أَحْكَامًا مِنَ الشَّرْعِ كَثِيرَةً، فَالْنِّسَاءُ فِي الْإِسْلَامِ شَقَائِقُ  
الرِّجَالِ، وَالْمُسْلِمَةُ فِي ظِلِّ دِينِهَا لَيْسَتْ سِلْعَةً تُبَاعُ وَتُشْتَرَى، وَلَا هِيَ عَشِيقَةٌ  
مِزَاجٍ وَهْوَى، وَإِنَّمَا هِيَ نِصْفُ الْمُجْتَمَعِ، وَقِيَامُ النِّصْفِ الْآخَرِ عَلَى يَدَيْهَا؛ فَهِيَ  
الْمُجْتَمَعُ كُلُّهُ، لَهَا حُقُوقُهَا، وَعَلَيْهَا مَسْئُولِيَّتُهَا.

الْعَالِمُ وَالْقَائِدُ، وَالْمُفَكِّرُ وَالصَّانِعُ، وَالطَّبِيبُ وَالْمُعَلِّمُ، وَالْمُنْتَجُونَ مِنْ أَبْنَاءِ

المُجْتَمَع، هَلْ وَجِدُوا مِنْ غَيْرِ نِسَاءٍ؟! وَهَلْ تَرَبُّوا إِلَّا عَلَى أَيْدِي النِّسَاءِ؟  
 أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْمُؤْمِنُونَ: لَقَدْ تَوَالَتِ الْحَمَلَاتُ الْيَهُودِيَّةُ وَالصَّلِيبِيَّةُ عَلَى الْمَرْأَةِ  
 الْمُسْلِمَةِ، وَلَقَدْ نَعَقَ النَّاعِقُونَ بِشِعَارَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ؛ لِهَذَا النِّبْتِ الْمُسْلِمِ، وَتَقْوِيضِ  
 دَعَائِمِ الْفَضِيلَةِ فِي الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ بِاسْمِ الْحُرِّيَّةِ وَالْعَمَلِ، وَالْمُسَاوَاةِ فِي  
 الْحُقُوقِ، وَالتَّثْقِيلِ الْجِنْسِيِّ.

وَهَذِهِ الْحُرِّيَّةُ الَّتِي لَا يَزَالُ الْعَرَبُ وَعَمَلَاؤُهُمْ مِنَ الْعَرَبِ يَصِيحُونَ بِهَا طَاغُوتٌ  
 يَسْتَمْسِكُونَ بِهِ.

خَدَعُوا بِهِ جَمَاهِيرَ الْأُمَّةِ، وَلَبَسُوا بِهِ عَلَى جُهَالِ الْمُسْلِمِينَ وَضَعْفَائِهِمْ، وَهُوَ  
 شِعَارٌ اخْتَرَعَهُ الْيَهُودُ؛ لِيَخْتَرِقُوا بِهِ الشُّعُوبَ، وَلَقَدْ قَالَ قَائِلٌ مِنَ الْيَهُودِ: «كُنَّا  
 قَدِيمًا أَوَّلَ مَنْ صَاحَ فِي النَّاسِ بِالْحُرِّيَّةِ وَالْمُسَاوَاةِ، إِنَّ صَيِّحَتَنَا بِالْحُرِّيَّةِ  
 وَالْمُسَاوَاةِ قَدْ جَلَبَتْ إِلَى صُفُوفِنَا فِرْقًا كَامِلَةً مِنْ زَوَايَا الْعَالَمِ الْأَرْبَعِ عَنْ طَرِيقِ  
 وَكَلَانِئِنَّا الْمُغْفَلِينَ، وَقَدْ حَمَلَتْ هَذِهِ الْفِرْقُ الْوَيْتَنَا فِي نَشْوَةٍ. إِنَّ الطَّبَقَاتِ الْمُتَعَلِّمَةَ  
 سَتَحْتَالُ زَهْوًا أَمَامَ أَنْفُسِهَا بِعِلْمِهَا، وَسَتَأْخُذُ جُرَافًا فِي مُزَاوَلَةِ الْمَعْرِفَةِ الَّتِي  
 حَصَلَتْهَا مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي قَدَّمَهُ إِلَيْهَا وَكَلَاؤُنَا؛ رَغْبَةً فِي تَرْبِيَةِ عُقُولِهَا حَسَبَ  
 الْإِتِّجَاهِ الَّذِي تَوَخَّيْنَاهُ. سَوْفَ نَقُولُ: حَقُّ الْحُرِّيَّةِ وَوَاجِبُ الْمُسَاوَاةِ، وَبِهَا  
 سَنَمْسِكُ الثَّوَرَ مِنْ قَرْنَيْهِ» اهـ<sup>(١)</sup>.

أَيُّهَا الإِخْوَةُ: وَهَذِهِ الْحُرِّيَّةُ الْمَزْعُومَةُ هِيَ الْحُرِّيَّةُ فِي التَّمَرُّدِ عَلَى الدِّينِ  
 وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ، حُرِّيَّةٌ فِي تَمَرُّدِ الْبَنَاتِ عَلَى وَاجِبِ الْوَالِدَيْنِ فِي حِفْظِهِنَّ،  
 وَحُرِّيَّةٌ فِي تَمَرُّدِ الزَّوْجَةِ عَلَى زَوْجِهَا، وَحُرِّيَّةٌ فِي إِسْقَاطِ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ فِي  
 مَهَاوِي الرِّذِيلَةِ وَالْفَاحِشَةِ، هَذَا هُوَ مَقْهُومُ الْحُرِّيَّةِ عِنْدَ الْأَعْدَاءِ مِنْ صَهَايِنَةِ

(١) أجنحة المكر الثلاثة، عبد الرحمن حبنكة (٦٥٠).



وَصَلِيبَيْنِ، لَكِنْ لَمْ تَكُنِ الْحُرِّيَّةُ مَضْمُونَةً لِلْبَنَاتِ الْمُسْلِمَاتِ اللَّائِي يَرْتَدِينَ الْحِجَابَ، بَلْ طُرِدْنَ مِنْ مَدَارِسِهِنَّ، فَأَيْنَ هُوَ حَقُّ الْحُرِّيَّةِ؟ وَلَمْ تَكُنِ الْحُرِّيَّةُ الْمَرْغُومَةُ مَضْمُونَةً لِلنِّسَاءِ الْمُسْتَمْسِكَاتِ بِدِينِهِنَّ، الدَّاعِيَاتِ إِلَيْهِ، بَلْ حُورِبْنَ بِشَتَّى الطَّرِيقِ وَالْوَسَائِلِ، وَاتُّهِمْنَ بِالْعِمَالَةِ أَوْ التَّخْلُفِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ: مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ هَذَا لِلْمُجْتَمَعَاتِ شُبُوحُ الْفَاحِشَةِ، وَأَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ عَبْرَ وَسَائِلِهِمُ الْمُخْتَلَفَةِ يَسْعَوْنَ بِقُوَّةٍ فِي ذَلِكَ، فَعَقِبَ عُهُودُ الْإِسْتِعْمَارِ أَلْقَى الْمُسْتَعْمِرُونَ فِي غَزْوِهِمُ الثَّقَافِيَّ بَثْقَلٍ كَبِيرٍ عَلَى الْمَرْأَةِ، وَجَعَلُوا الْمَرْأَةَ الَّتِي تُنَادِي بِالتَّحَرُّرِ وَبَبَدْ الْحِجَابِ بَطَلَةً مِنْ أَبْطَالِ الْحُرِّيَّةِ، وَرَمَزًا مِنْ رُمُوزِ التَّقَدُّمِ وَالثَّقَافَةِ، وَلَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ فِي حَادِثَةٍ مِنْ حَوَادِثِ التَّحَرُّرِ، كَيْفَ جَاءَتِ النِّسَاءُ الْمُتَحَرِّرَاتُ وَوَقَفْنَ أَمَامَ الْمُسْتَعْمِرِ، وَأَلْقَيْنَ الْحِجَابَ، وَأَحْرَقْنَهُ بِالنَّارِ، وَوَطَّنَهُ بِالْأَقْدَامِ، وَهُنَّ يَهْتَفْنَ بِالْحُرِّيَّةِ، وَالْمُسْتَعْمِرُ يُصَفِّقُ لَهُنَّ بِحَرَارَةٍ، وَيَرُسِّمُ عَلَى شَفَتِهِ ابْتِسَامَةَ الرِّضَا، ثُمَّ يُدِيرُ مَدْفَعَهُ وَأَسْلِحَتَهُ وَيُعِيدُهَا إِلَى بِلَادِهِ، فَيَحْصُلُ الْإِسْتِفْالُ، فَإِذَا النَّاسُ يُصَابُونَ بِدَهْشَةٍ، حِينَمَا يُعْلَنُ أَنَّ تِلْكَ النِّسَاءَ الْمُتَحَرِّرَاتِ طُرِدْنَ الْمُسْتَعْمِرَ فَيَجِبُ عَلَى النِّسَاءِ أَنْ يَحْذُونَ حَذَوْهِنَّ، وَيُنْسَى جِهَادُ شَعْبٍ كَامِلٍ، وَلَمْ يُدْرِكِ النَّاسُ وَقْتُهَا أَنَّ الْمُسْتَعْمِرَ لَمْ يَخْرُجْ إِلَّا بَعْدَ أَنْ نَصَّبَ أَفْرَاحَهُ أُمْنَاءَ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ وَأَعْرَاضِهِمْ.

وَتَبْدَأُ بَعْدَهَا السَّيْنَمَا وَفَنُ التَّمْثِيلِ الَّذِي مَا بَدَأَ فِي الْعَرَبِ إِلَّا بِعَنَاصِرِ يَهُودِيَّةٍ، أَوْ تَرَبَّتْ فِي أَحْضَانِ الْيَهُودِ، فَيَزْدَهَرُ سُوقُهُ، فَتَنْشُرُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ الْأَفْلَامُ وَالْمُسْلَسَلَاتُ وَالْمَسْرَحِيَّاتُ الْهَابِطَةُ، يُحِيطُ بِهَا زَحَمٌ كَبِيرٌ مِنَ الْقَصَصِ وَالْمَجَلَّاتِ، وَصُحُفِ الْفَنِّ وَأَهْلِهِ، أَخْبَارُهُمْ وَأَحْوَالُهُمْ، لِبَاسُهُمْ وَأَكْلُهُمْ وَشَرَابُهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ أَصْبَحُوا شَيْئًا مُهِمًّا فِي الْمُجْتَمَعِ، فَهُمْ يُجَاهِدُونَ بِفَنِّهِمْ،

وَالْعُدُوَّ يَخَافُهُمْ، فَتَأْمَلُوا . . كَيْفَ تُرَوِّرُ الْحَقَائِقُ، وَتُقَلِّبُ الْمَوَازِينَ، فَيُصْبِحُ سَقَطُ الْمَتَاعِ، وَشَذَاذُ النَّاسِ، وَعَالَةُ الْمُجْتَمَعِ عُظَمَاءَ الْأُمَّةِ، وَرَوَادًا يُسَجِّلُهُمُ التَّارِيخُ، وَلَا يَزَالُونَ يَصِيحُونَ بِكُلِّ صَفَاقَةٍ أَنَّ الْأُمَّةَ لَنْ تَسْتَطِيعَ الْعَيْشَ بِدُونِهِمْ، وَلَوْ نَظَرْتَ إِلَى إِنْتَاكِهِمْ فِي فَتْنِهِمُ الْمَرْعُومِ لَوَجَدْتَ أَنَّ أَكْثَرَهُ مُسَلِّطٌ لِإِفْسَادِ الْمَرَأَةِ وَالنَّاشِئَةِ.

أَفَلَا مَهُمُّهُمْ وَمُسْلَسَلَاتُهُمْ فِيهَا مُحَارَبَةُ التَّعَدُّدِ، فَيَصَوِّرُ الرَّجُلُ الَّذِي يَنْوِي تَعَدُّدَ الزَّوْجَاتِ عَلَى أَنَّهُ مُجْرِمٌ، وَإِذَا فَعَلَ مَا نَوَى صُوِّرَتْ حَيَاتُهُ بِأَنَّهَا عَذَابٌ دَائِمٌ، وَجَحِيمٌ مُسْتَمِرٌّ، عَلَى نِسَائِهِ وَأَوْلَادِهِ وَنَفْسِهِ، وَأَنَّ الْعِلَاجَ فِي الطَّلَاقِ.

وَفِي إِنْتَاكِ الْفَنِّ لَا يُسْرَعُ التَّعَدُّدُ أَبَدًا حَتَّى وَلَوْ كَانَتْ الزَّوْجَةُ الْأُولَى لَا تُنْجِبُ، فَإِذَا كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الْإِنْجَابِ وَجَبَ طَلَاقُ الْأُولَى قَبْلَ الدُّخُولِ بِالثَّانِيَةِ، هَذَا مَا يُنْتِجُهُ الْفَنُّ وَأَهْلُهُ وَيَقْذِفُونَ بِهِ بَيُوتَنَا. وَأَمَّا فِي الْإِسْلَامِ فَإِنَّ الْأَصْلَ تَعَدُّدُ النِّسَاءِ، إِلَّا إِذَا خِيفَ مِنَ الْمِيلِ.

وَفِي إِنْتَاكِ الْفَنِّ إِذَا طُلِّقَتِ الْمَرَأَةُ حَرَّمَ عَلَيْهَا الزَّوْاجُ مَرَّةً أُخْرَى؛ لِأَنَّهَا عِنْدَهُمْ لَا تُنْجِحُ زَوْجَةً! وَأَمَّا إِذَا مَاتَ زَوْجُهَا فَمِنَ الْخِيَانَةِ الْعُظْمَى لِحَقِّهِ أَنْ تَتَزَوَّجَ بَعْدَهُ! وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ نِسَاءِ الصَّحَابَةِ؛ إِذْ كَانَتْ الْوَاحِدَةُ مِنْهُنَّ إِذَا تَرَمَّلَتْ تَزَوَّجَتْ، فَاسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ تَزَوَّجَهَا جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَلَمَّا مَاتَ تَزَوَّجَهَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَبَعْدَهُ تَزَوَّجَهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام أَجْمَعِينَ (٢).

(٢) قيل : أسلمت قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، وهاجر بها زوجها جعفر الطيار إلى الحبشة، فولدت له هناك : عبد الله، ومحمدًا، وعونًا. فلما هاجرت معه إلى المدينة سنة سبع، واستشهد يوم مؤتة، تزوج بها أبو بكر الصديق، فولدت له محمدًا وقت الإحرام، فحجبت حجة الوداع، ثم توفي الصديق، فغسلته، وتزوج بها علي بن أبي طالب. سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٨٣).

وَأَمَّا الْمُسَاوَاةُ فِي الْحُقُوقِ وَالْمُسَاوَاةُ فِي الْعَمَلِ، فَشِعَارٌ يُرْفَعُ فِي كُلِّ مَنَاسِبَةٍ، وَيُذَكَّرُ فِي كُلِّ مَجَالٍ، يُظْهِرُونَ الشَّفَقَةَ عَلَى الْأُمَّةِ مِنْ أَنَّ نِصْفَهَا يَقْبُعُ فِي الْمَنْزِلِ وَلَا يَعْمَلُ، وَيَحِيلُونَ تَأَخَّرَ الْأُمَّةِ، وَتَخَلَّفَهَا الْمَادِّيَّ، وَضَعْفَهَا الْاِقْتِصَادِيَّ عَلَى عَدَمِ مُشَارَكَةِ الْمَرْأَةِ لِلرَّجُلِ فِي الْعَمَلِ، وَأَمَّا بَاطِنُهُمْ فَيَنْضَحُ بِالْفَسَادِ وَالْإِفْسَادِ . . . يَزْعُمُونَ ذَلِكَ وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ الْمَرْأَةَ فِي الْمُجْتَمَعَاتِ الْمُتَحَضَّرَةِ لَا تَزَالُ تَصْرُخُ وَتَسْتَجِدِّي مَنْ يُرْجِعُهَا إِلَى مَنْزِلِهَا، وَيُعِيدُهَا إِلَى مُهِمَّتِهَا الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ ﷻ لَهَا .

وَمِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ أَنَّ أَوْلَئِكَ الْمُتَحَرِّرِينَ يَحْشُدُونَ جَمِيعَ النُّصُوصِ وَالْقَصَصِ الَّتِي فِيهَا أَنَّ الْمَرْأَةَ عَمِلَتْ وَخَرَجَتْ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ، وَكَانَتْ تُنْتِجُ وَتُدَاوِي الْجُرْحَى، وَتَسْقِي الْمَاءَ، وَتَتَاجَرُ فِي السُّوقِ، وَلَا يُمَيِّزُونَ صَحِيحَهَا مِنْ سَقِيمِهَا، وَلَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْأَحَادِيثِ وَالْأَخْبَارِ التَّارِيخِيَّةِ، وَيَتَغَافَلُونَ عَنْ هَيْئَةِ الْمَرْأَةِ وَلُبْسِهَا حَالَ خُرُوجِهَا إِذَا احتَاجَتْ لِلخُرُوجِ، هَلْ كَانَتْ سَافِرَةً مُتَبَرِّجَةً؟ وَهَلْ كَانَتْ مُتَبَدِّلَةً لِلرِّجَالِ؟ وَهَلْ شَارَكَتِ الرِّجَالَ فِي أَعْمَالِهِمُ الَّتِي يَخْتَصُّونَ بِهَا؟ وَهَلْ خَالَطَتْهُمْ فِي مَحَلَّاتِهِمْ؟ كَلَّا، وَلَوْ كَذَبُوا وَافْتَرَوْا .

أَيْنَ هُمْ مِنْ نُّصُوصِ الْحِجَابِ وَالْعِفَافِ ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢] ﴿وَلَا يَضُرَّيَنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]؟ وَهَلْ طَبَّقَ هَذِهِ النُّصُوصَ النِّسَاءُ الْمُتَحَرَّرَاتُ الْمُتَبَدِّلَاتُ فِي عَصْرِنَا؟!

= قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى-: «وأخرج ابن السكّن بسند صحيح، عن الشعبي، قال: تزوّج عليّ أسماء بنت عميس، فتفاخر ابناها محمد بن جعفر ومحمد بن أبي بكر، فقال كل منهما: أنا أكرم منك، وأبي خير من أهلك، فقال لها عليّ: اقضي بينهما. فقالت: ما رأيت شاباً خيراً من جعفر، ولا كهلاً خيراً من أبي بكر، فقال لها عليّ: فما أبقيت لنا؟!» الإصابة (١٦/٨).

وَأَمَّا تَمَسُّكَ الْمُسْلِمَاتِ بِالْحِجَابِ فَهُوَ أَمْرٌ أَرْعَجَهُمْ جِدًّا، فَلَا زَالُوا يَسْحَرُونَ مِنْ تِلْكَ الْمَرْأَةِ الْمُتَحَجِّبَةِ فِي كُلِّ مَقَامٍ وَمَقَالٍ، فَيَعْرِضُونَ فِي مُسَلْسَلَاتِهِمْ وَأَفْلَامِهِمْ وَرِوَايَاتِهِمْ الْمَرْأَةَ الَّتِي عَطَّتْ شَعْرَهَا وَجَلَسَتْ فِي مُصَلَّاها، وَأَخْفَتْ كَثِيرًا مِنْ زِينَتِهَا وَإِنْ كَانَ وَجْهَهَا بَادِيًا ... يَعْرِضُونَهَا فِي حَالَةٍ مِنَ الْعَبَاءِ وَالذَّرُوشَةِ وَالْجَهْلِ وَعَدَمِ الْإِذْرَاكِ؟ فَهِيَ عِنْدَهُمْ لَا تَهْتَمُّ بِعَمَلِهَا وَلَا بِبَيْتِهَا، بَلْ هِيَ مَشْغُولَةٌ بِعِبَادَتِهَا وَمُصَلَّاها، وَلَا يُهَمُّهَا أَمْرٌ أَوْ لَدِيهَا وَتَرْبِيَّتُهُمْ، وَيُرْجِعُونَ ذَلِكَ إِلَى تَزَمُّتِهَا بِالْحِجَابِ، فَهَلِ الْمُحَجَّبَاتُ مِنَ الْمُسْلِمَاتِ الطَّاهِرَاتِ كَذَلِكَ؟! أَلَا سَاءَ مَا يَصِفُونَ! كَيْفَ وَفِي الْمُتَقَبَّاتِ وَالْمُحَجَّبَاتِ مَنْ يَحْمِلْنَ أَعْلَى الْمُؤَهَّلَاتِ، وَيَذَرْنَ أَدَقَّ التَّخْصُّصَاتِ، وَقَدْ بَرَعْنَ فِي ذَلِكَ بِمَا لَا يُنْكِرُهُ مُنْصِفٌ. فَمَاذَا يُرِيدُ الْأَعْدَاءُ مِنَ الْمَرْأَةِ حِينَمَا يُتَّفَرَّغُونَ مِنَ التَّعَدُّدِ، وَيُسَهِّلُونَ أَسْبَابَ الطَّلَاقِ، وَيَضَعُونَ الْعَرَاقِيلَ أَمَامَ الزَّوْاجِ، وَيَفْتَحُونَ أَبْوَابَ الْإِخْتِلَافِ؟

إِنَّهُمْ يُرِيدُونَ إِفْسَادَ الْبَيْتِ الْمُسْلِمِ، وَالْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ؛ فَالْمَرْأَةُ عَمَلُهَا أَهَمُّ مِنَ الزَّوْاجِ وَالْأَوْلَادِ، وَإِذَا حَدَّثَ ذَلِكَ فَعَرَفَ النِّسَاءُ عَنِ الزَّوْاجِ لِأَجْلِ الْعَمَلِ فَلَا بُدَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْجِنْسَيْنِ أَنْ يُشْبِعَ رَغْبَتَهُ الْجِنْسِيَّةَ خَارِجَ الْإِطَارِ الْمَشْرُوعِ، وَحِينَذَاكَ سَيَرَفَعُونَ شِعَارَ الْحُرِّيَّةِ الْجِنْسِيَّةِ، وَإِبَاحَةِ الْفَاحِشَةِ، وَالتَّيَجُّهُ فَسَادِ الْأُسْرَةِ، وَكَثْرَةِ اللَّقْطَاءِ، وَانْتِشَارِ الْفَوَاحِشِ، وَتَدْمِيرِ الْأُمَّةِ، أَبْطَلَ اللَّهُ كَيْدَهُمْ، وَأَخْبَطَ عَمَلَهُمْ.

اللَّهُمَّ احْفَظْنَا مِنْ كَيْدِ الْأَعْدَاءِ، وَحَرْبِ الْفُجَّارِ، وَاسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وَأَمِّنْ رُوعَاتِنَا، وَاحْفَظْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَمِنْ خَلْفِنَا، وَعَنْ أَيْمَانِنَا وَعَنْ شِمَائِلِنَا. وَأَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ.



## الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَلَا عُذْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ،  
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلِيَّ الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا  
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ النَّبِيُّ الْأَمِينُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ  
وَالتَّابِعِينَ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ وَافْتَقَى أَثَرُهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى كَمَا أَمَرَ، وَاحْذَرُوا الْفَوَاحِشَ مَا بَطَنَ مِنْهَا وَمَا  
ظَهَرَ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ: إِنَّ نَجَاحَ الْمُجْتَمَعِ وَنُهُوضَ الْأُمَّةِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِحِفْظِ  
شَبَابِهَا وَنَاشِئَتِهَا مِنَ الْإِنْحِرَافِ، وَحِفْظِ الشَّبَابِ وَالنَّاشِئَةِ مَرْهُونٌ بِحِفْظِ نِسَاءِ  
الْأُمَّةِ، فَالْمَرْأَةُ هِيَ الْمَرْبِيَّةُ فِي الْمَنْزِلِ، وَإِذَا حُفِظَتِ الْبِنْتُ فَلَنْ يَجِدَ الشَّابُّ مَا  
يُفْتِنُ بِهِ فَتَسْتَقِيمَ وَيَسْتَقِيمَ.

وَأِنَّ الْمَرْأَةَ الْمُسْلِمَةَ الْمُسْتَمْسِكَةَ بِدِينِهَا وَطَهْرِهَا لَا زَالَتْ بِحِجَابِهَا تَقْهَرُ  
الْأَعْدَاءَ قَهْرًا يَفُوقُ قُوَّةَ السَّلَاحِ، وَخِدَاعَ السِّيَاسَةِ، وَلَنْ تَكُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَكُونَ  
مَرْجِعُهَا كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى قَوْلًا وَعَمَلًا.

أَخَذَ الْمُسْتَعْمِرُونَ عَدَدًا مِنْ بَنَاتِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ لِتَرْبِيَتِهِنَّ وَتَعْلِيمِهِنَّ،  
ثُمَّ إِرْجَاعِهِنَّ رَائِدَاتٍ فِي بِلَادِهِنَّ، وَبَعْدَ سَنَوَاتٍ مِنَ التَّلْوِثِ الْفِكْرِيِّ، وَالْمَسْخِ  
الْأَخْلَاقِيِّ، كَانَ هَؤُلَاءِ النِّسْوَةِ يُخْفِينَ تَمْسُكَهُنَّ بِدِينِهِنَّ، وَيُجَارِينَ الْوَضْعَ الَّذِي  
فُرِضَ عَلَيْهِنَّ، وَفِي حَقْلِ التَّخْرِيجِ وَأَمَامَ جَمَهَرَةٍ مِنَ النَّاسِ كَانُوا يَنْتَظِرُونَ خُرُوجَ  
أُولَئِكَ الْفَتَيَاتِ سَافِرَاتٍ مُتَبَرِّجَاتٍ، وَكَانَ الْأَسْيَادُ وَالْمُرَبُّونَ يَنْتَظِرُونَ هَذِهِ اللَّحْظَةَ  
الْحَاسِمَةَ بِغَبْطَةٍ بِالْعَوَةِ؛ لِيُبْرِهِنُوا نَجَاحَهُمْ فِي إِفْسَادِ الشُّعُوبِ الْمُسْلِمَةِ، فَإِذَا  
بِالْفَتَيَاتِ يُفَاجِئْنَ الْحُضُورَ بِالْخُرُوجِ مُتَحَجِّبَاتٍ مُحْتَشِمَاتٍ، فَيَصَابُ الْمُسْتَعْمِرُونَ

بِالصَّدْمَةِ، وَيَقُولُ كَثِيرُهُمْ: وَمَاذَا أَصْنَعُ إِذَا كَانَ الْقُرْآنُ أَقْوَى مِنَّا؟! (٣).

إِنَّ الْمَرْأَةَ الْمُسْلِمَةَ عَلَى مَرِّ التَّارِيخِ كَانَتْ بِدِينِهَا تَوَجُّهُ صَفَعَاتٍ مُوجِعَةٍ لَوْجُوهِ  
الْأَعْدَاءِ وَالْمُسْتَعْمِرِينَ، وَهِيَ الْمَرْأَةُ مِنْ جَدِيدٍ تَعُودُ لِرَبِّهَا، وَتَنْزِيًا بِحِجَابِهَا فِي  
كُلِّ مَكَانٍ مِنَ الْعَالَمِ، مَعَ مَا تَوَاجَّهَتْ مِنْ ضُغُوطٍ وَمُضَايَقَاتٍ، وَلَكِنَّهَا لَا تَزَالُ أَيْبَةً  
قَوِيَّةً، لَا يَهْمُهَا أَنْ تُفْصَلَ مِنْ مَدْرَسَتِهَا أَوْ جَامِعَتِهَا إِذَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ حِجَابِهَا  
وَفِي مَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا تَلْتَفِتُ الْمُمَثَّلَاتُ وَالْمُعَنِّيَاتُ إِلَى انْتِقَادَاتِ أَهْلِ  
الْعَفَنِ الْفَنِيِّ إِذَا هِيَ خَرَجَتْ مِنْ جَحِيمِهِمْ وَعَادَتْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، حَتَّى أَصْبَحَ  
الْحِجَابُ -وَلِلَّهِ الْحَمْدُ- ظَاهِرَةً فِي كُلِّ مَكَانٍ حَتَّى فِي دَوْلِ الْإِنْجِلَالِ، بَعْدَ  
سَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ مِنْ غُرْبَةِ الْحِجَابِ فِي أَوْسَاطِ النِّسَاءِ.

وَصَارَتْ تَوْبَةُ نِسَاءِ الْفَنِّ اللَّاتِي قَضَيْنَ فِيهِ سَنَوَاتٍ طَوَالًا أَمْرًا مَلْحُوظًا، عَادَ  
كَثِيرٌ مِنْهُنَّ إِلَى رَبِّهِنَّ رَغْمَ أَنْوْفِ الْمُفْسِدِينَ، فَتَنَفَّسَتْ الْأَحْقَادُ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَبَدَتْ  
عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، فَرُجُوعُ النَّاسِ إِلَى رَبِّهِمْ أَثَارَ حَنْقِهِمْ وَعُضْبِهِمْ، فَسَوَّدُوا الصُّحُفَ،

(٣) في ذكرى مرور مائة عام على احتلال فرنسا للجزائر وقف الحاكم الفرنسي في الجزائر  
يقول: (يجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم ... ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم  
حتى نتنصر عليهم) مجلة المنار ٩/ ١١/ ١٩٦٢.

وبعد ذلك بسنوات قلائل: قامت فرنسا -من أجل القضاء على القرآن في نفوس شباب  
الجزائر- بتجربة عملية، فتم انتقاء عشر فتيات مسلمات جزائريات أدخلتهن الحكومة  
الفرنسية في المدارس الفرنسية، وَلَقِّنَتْهُنَّ الثقافة الفرنسية، وعلمتهن اللغة الفرنسية،  
فأصبحن كالفرنسيات تمامًا. وبعد أحد عشر عامًا من الجهود هيات لهن حفلة تخرج  
رائعة، دُعِيَ إليها الوزراء والمفكرون والصحفيون .. ولما ابتدأت الحفلة فوجئ الجميع  
بالفتيات الجزائريات يدخلن بلباسهن الإسلامي الجزائري .. فثارت ثائرة الصحف الفرنسية  
وتساءلت: ماذا فعلت فرنسا في الجزائر إذن بعد مرور مائة وثمانية وعشرين عامًا؟! أجاب  
(لاكوست) وزير المستعمرات الفرنسي: وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا؟!  
جريدة الأيام عدد ٧٧٨٠ - بتاريخ ٦ كانون الأول ١٩٦٢. عن عودة الحجاب (١/ ٢٨٩).

وَكَتَبُوا الْمَقَالَاتِ مُعْلِنِينَ حَرْبًا لَا هَوَادَةَ فِيهَا عَلَى التَّائِبِينَ الْآيِسِينَ وَالتَّائِبَاتِ الْآيَاتِ، أَلَا كَسَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَقْلَامَهُمْ، وَشَلَّ أَرْكَانَهُمْ، وَأَخْرَسَ أَلْسِنَتَهُمْ، وَسَوَّدَ صَحَائِفَهُمْ، وَنَكَّسَ رَايَاتِهِمُ النِّفَاقِيَّةَ.

وَرَعِمَ الْإِنْتِقَادَاتِ الشَّدِيدَةِ لِلتَّائِبِينَ وَالتَّائِبَاتِ، وَالْحَرْبِ الْإِعْلَامِيَّةِ الشَّرِسَةِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ ظَاهِرَةَ الصَّحْوَةِ وَالتَّوْبَةِ تَزْدَادُ نُمُوًا وَقُوَّةً.

وَكَمْ هُوَ جَمِيلُ كَلَامِ رَجُلٍ غَرِيبٍ أَسْلَمَ وَوَصَفَ حَالَ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ الصَّابِرَةِ عَلَى دِينِهَا، الْمُتَأَبِّبَةِ عَلَى التَّغْرِيبِ رَعِمَ مَا تَتَعَرَّضُ لَهُ مِنْ إِهَانَةٍ وَإِذَاءٍ، قَالَ: فَكُنْتُ أَعْجَبُ مِنْ صَبْرِهَا وَجَلَدِهَا، فَلَمَّا أَسْلَمْتُ وَقَرَأْتُ الْقُرْآنَ أَذْرَكْتُ أَنَّ السَّرَّ فِي ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- وَاسْتَمْسِكُوا بِدِينِكُمْ، وَاحْفَظُوا عَوْرَاتِكُمْ. اللَّهُ اللَّهُ فِي نِسَائِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَأَخَوَاتِكُمْ، احْفَظُوهُنَّ، وَلَا يَكُنِ التَّرَفُّ سَبَبًا فِي إِهْمَالِهِنَّ وَضْيَاعِهِنَّ، فَالْغَيْرَةُ عَلَى الْعُرْضِ مَحْمُودَةٌ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَغَارُ، وَغَيْرُهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ تُنْتَهَكَ مَحَارِمُهُ، وَالِدْيُوثُ هُوَ الَّذِي يَقْرَأُ الْحَبْتَ فِي أَهْلِهِ، وَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ، وَمُقَدِّمَاتُ الْفُسَادِ وَالْإِنْجِلَالِ: التَّبَرُّجُ وَالسُّفُورُ، وَعَدَمُ الْحَذَرِ مِنَ الْأَجَنَّبِيِّ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَلَوْ كَانَ سَائِقًا أَوْ خَادِمًا، وَالِاخْتِلَاطُ بِالرِّجَالِ فِي الْأَسْوَاقِ وَغَيْرِهَا. فَكُلُّهَا مُقَدِّمَاتُ لِدَهَابِ الْحَيَاءِ، وَانْتِزَاعِ الْخَجَلِ، وَالْمَرْأَةُ لَا تَصْلُحُ إِلَّا بِالْحَيَاءِ.

أَدَامَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمَاتِ السَّتْرَ وَالْعَفَافَ، وَحَفِظَهُنَّ مِنْ أَهْلِ الشَّرِّ وَالْفِتْنَةِ وَالْفُسَادِ :

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].





## ٣٦٨- مؤتمر المرأة في بكين

١٣/٤/١٤١٦هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]،  
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ الرَّجُلَ وَالْمَرْأَةَ فِي مِيزَانِ الْإِسْلَامِ جَنَاحَانِ لَا تَقُومُ الْحَيَاةُ الْبَشَرِيَّةُ إِلَّا بِهِمَا، وَلَا تُنْتِجُ أُسْرَةٌ صَالِحَةٌ إِلَّا بِالْمُؤَامَّةِ بَيْنَهُمَا؛ فَالْحِكْمَةُ مِنْ خَلْقِ الْمَرْأَةِ هِيَ الْحِكْمَةُ الَّتِي خُلِقَ مِنْ أَجْلِهَا الرَّجُلُ، وَهِيَ عِبَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وَعَلَّقَ ﷺ سَعَادَةَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ بِأَدَاءِ هَذِهِ الْمُهَمَّةِ الْجَلِيلَةِ، وَجَعَلَ التَّعَاسَةَ وَالشَّقَاءَ فِي الْإِعْرَاضِ عَنْهَا ﴿فَمَنْ أَتْبَعَ هَذَا فَلَا يُضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿٣٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤].

وَالْإِسْلَامُ فِي تَعَالِيهِ لَمْ يَجْعَلْ عِلَاقَةَ الرَّجُلِ بِالْمَرْأَةِ عِلَاقَةَ صِرَاعٍ وَمُنَافَسَةٍ، يُثَبِّتُ فِيهَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَجُودَهُ عَلَى حِسَابِ الْآخَرِ، وَيَفْرِضُ آرَاءَهُ دُونَهُ، بَلْ بَيَّنَّ الْإِسْلَامُ عِلَاقَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْجِنْسَيْنِ بِالْآخَرِ؛ فَالزَّوْجَانِ فِي بَيْتِ الزَّوْجِيَّةِ

لِكُلِّ مِنْهُمَا عَلَى الْآخِرِ حُقُوقُهُ وَعَلَيْهِ وَاجِبَاتُهُ، وَلِلْأَوْلَادِ حُقُوقٌ أُخْرَى، وَالْقَرَابَةُ لَهُمْ حُقُوقُهُمْ.

وَحَقُّ الْمُجْتَمَعِ عَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تَتَزَيَّأَ بِالْحِجَابِ، وَتَتَخَلَّقَ بِالْحَيَاءِ، وَلَا تَفْتِنَ الرِّجَالَ. وَحَقُّ الْمُجْتَمَعِ عَلَى الرَّجُلِ أَنْ لَا تَمْتَدَّ عَيْنُهُ إِلَى غَيْرِ مَحَارِمِهِ، وَلَا يَبْحَثَ عَنْ سِوَى أَهْلِهِ.

وَوَاجِبٌ عَلَى الْمَرْأَةِ الْعِنَايَةُ بِالزَّوْجِ وَالْأَوْلَادِ وَالْبَيْتِ، وَزَوْجُهَا يَضْرِبُ فِي الْأَرْضِ لِيُوفِّرَ الْغِذَاءَ وَاللِّبَاسَ وَالْمَسْكَنَ ﴿وَأُخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠]، وَهَكَذَا تَكُونُ الْأُسْرَةُ سَوِيَّةً تَسِيرُ عَلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ، وَلَيْسَ فِي الْإِسْلَامِ صِرَاعٌ بَيْنَ الْجِنْسَيْنِ عَلَى تَقْرِيرِ الْمَصِيرِ، أَوْ فَرْضِ الْحُقُوقِ، فَذَلِكَ مُنْتَظَمٌ فِي نُصُوصِ الشَّرْعِ؛ حَيْثُ خَاطَبَ اللَّهُ الرَّجَالَ وَالنِّسَاءَ بِذَلِكَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ، وَإِذَا خَاطَبَ الشَّرْعُ الرَّجَالَ دَخَلَ النِّسَاءَ مَعَ الرَّجَالِ فِي الْخُطَابِ، إِلَّا فِيمَا يَخْصُصُهُمْ.

مُنَاسَبَةٌ هَذَا الْحَدِيثِ -أَيُّهَا الْإِخْوَةُ- مَا تَسْمَعُونَ بِهِ مِنْ مُؤْتَمَرِ الْمَرْأَةِ الَّذِي يُعْقَدُ فِي بَكِينٍ، وَلَيْسَ الْحَدِيثُ عَنْ بُنُودِهِ وَوَثِيقَتِهِ الْمَلِيَّةِ بِالشُّذُودِ وَالْفُسَادِ، وَالظُّلْمِ لِلْمَرْأَةِ وَلِلطُّفْلِ وَالْأُسْرَةِ؛ فَذَلِكَ أَمْرٌ ظَهَرَ لِلنَّاسِ، وَتَحَدَّثَ عَنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَكِنَّ الْجَدِيرَ بِالتَّأَمُّلِ هُوَ ذَلِكَ الصَّحِيجُ الَّذِي يُثِيرُهُ الْعَرَبُ وَأَدْنَابُهُمُ الْعُلَمَائِيُّونَ حَوْلَ تَحْرِيرِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ، وَرَفْعِ الظُّلْمِ عَنْهَا كَمَا يَزْعُمُونَ.

يَقُولُونَ: نُرِيدُ تَحْرِيرَهَا مِنْ قِيُودِ الدِّينِ الَّذِي يُعِيقُ انْطِلَاقَهَا مِنَ الْمَنْزِلِ، وَمُنَافَسَتَهَا لِلرِّجَالِ فِي الْأَعْمَالِ وَالسِّيَاسَةِ؛ لَكِنِّي تَبَوَّأُ مَكَانَةً عَالِيَةً، وَتُحْفَظُ كَرَامَتُهَا، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الشَّعَارَاتِ الْبَرَّاقَةِ الَّتِي يَلُوحُونَ بِهَا مِنَ الْحُرِّيَّةِ، وَالْمُسَاوَاةِ، وَحَقِّ التَّعْلِيمِ، وَحَقِّ الْعَمَلِ، وَحَقِّ السِّيَاسَةِ. وَالْعَجِيبُ أَنَّ الْعَرَبَ

وَمِنْ وَرَائِهِمْ أَذْنَابُهُمْ مِنَ الْعُلَمَائِينَ الْعَرَبِ حِينَمَا يَهْتَفُونَ بِالْعَدْلِ وَالْمُسَاوَاةِ بَيْنَ الْجَنْسَيْنِ لَمْ يَكُنْ يُعْرَفُ عَنْهُمْ الْعَدْلُ، بَلْ هُمْ أَهْلُ الْقَهْرِ وَالظُّلْمِ وَالتَّسْلُطِ عَلَى الْغَيْرِ.

كَمْ نَاصَرَتْ تِرْسَانَةُ الْعَرَبِ الْعَسْكَرِيَّةُ الظُّلْمَ وَالْعُدْوَانَ؟ وَقَدْ حَلَّتْ أَقْلَامُ الْعُلَمَائِينَ وَالسِّتُّهُمْ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ! هَذَا مُؤْتَمَرُهُمْ لَمْ يَتَعَرَّضْ مِنْ قَرِيبٍ وَلَا مِنْ بَعِيدٍ لِحُقُوقِ أَكْثَرِ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفًا مِنْ نِسَاءِ الْبُوسْنَةِ الْمُعْتَصَبَاتِ، وَلَمْ يَذْكُرْ شَيْئًا عَنْ حُقُوقِ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي كَشْمِيرَ، وَالشَّيْشَانِ، وَفِلَسْطِينَ، وَالْفِلِيبِينَ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُنْكُوبَةِ مِمَّنْ يُوَاجِهْنَ أَبْشَعَ صُورِ الْإِهَانَةِ وَالْإِحْتِقَارِ وَالْإِغْتِصَابِ.

لَمْ يَتَنَاوَلْ مُؤْتَمَرُهُمُ الْمَرْأَةَ الْمُسْلِمَةَ الَّتِي قُتِلَ زَوْجُهَا، وَسُرِقَ أَطْفَالُهَا، وَأُخْرِجَتْ مِنْ دَارِهَا، وَبِيعَتْ إِلَى تُجَّارِ الْبَعَاءِ فِي سُوقِ الرِّقِيقِ الْأُورَبِيِّ! هَلْ يُوجَدُ ظُلْمٌ لِلْمَرْأَةِ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا الظُّلْمِ، أَمْ أَنَّ الْمُسْلِمَةَ لَيْسَ لَهَا حُقُوقٌ؟! أَيْنَ هُمْ الْعَرَبُ الْمُتَحَرَّرُونَ؟ فَلْيَنْطِقُوا وَلْيَكْتُبُوا أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ هَذِهِ الْمُؤْتَمَرَاتِ هُوَ إِفْسَادُ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ.

وَالْإِصَاقُ ظُلْمُ الْمَرْأَةِ بِأَحْكَامِ الْإِسْلَامِ أَمْرٌ قَدْ انْكَشَفَ عَوَارُهُ، وَظَهَرَ لَجَمَاهِيرِ الْأُمَّةِ زُورُهُ، بَلْ إِنَّ كَثِيرًا مِنْ مُفَكِّرِي الْعَرَبِ يَعْلَمُونَ أَنَّ تِلْكَ الْمَقُولَةَ الْقَدِيمَةَ مَا هِيَ إِلَّا ضَرْبٌ مِنْ ضُرُوبِ الزُّورِ وَالْبُهْتَانِ؛ فَالَّذِينَ عَاشُوا الْمُسْلِمِينَ، وَعَرَفُوا الْإِسْلَامَ يَذَرُّونَ أَنَّ الْمَرْأَةَ الْمُسْلِمَةَ تَتَبَوَّأُ فِي الْمُجْتَمَعِ الَّذِي يُطَبِّقُ الْإِسْلَامَ مَكَانَهُ عَالِيَةً، مَكَانَهُ حَفِظَتْ لَهَا كَرَامَتَهَا وَآدَمِيَّتَهَا، وَصَانَتْ عِفَافَهَا.

لَمْ يَعْتَبِرِ الْإِسْلَامُ الْمَرْأَةَ جُرْثُومَةً خَبِيثَةً، أَوْ سَبَبًا لِلْخَطِيئَةِ الْأُولَى كَمَا اعْتَبَرَتْهَا الْيَهُودِيَّةُ وَالنَّصْرَانِيَّةُ، بَلْ إِنَّ الْإِسْلَامَ يُقَرِّرُ الْحَقِيقَةَ الْمُهِمَّةَ الَّتِي تُزِيلُ الْإِهَانَةَ عَنِ

الْمَرْأَةِ، وَقَدْ وَصَمَتْهَا بِهَا الْأَذْيَانُ الْمُحَرَّفَةُ. إِنَّ الْإِسْلَامَ يَثْبُتُ أَنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنَ الرَّجُلِ، وَأَنَّ خَلْقَ الْمَرْأَةِ كَانَ نِعْمَةً يَنْبَغِي أَنْ يَحْمَدَ الرَّجَالُ رَبَّهُمْ سُبْحَانَهُ عَلَيْهَا ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

وَالْمَرْأَةُ مِثْلُ الرَّجُلِ فِي أَحْكَامِ الشَّرْعِ؛ تَتَنَاولُهَا الْأَوَامِرُ وَالنَّوَاهِي الشَّرْعِيَّةُ، وَهِيَ تُحْمَدُ إِذَا اسْتَجَابَتْ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَتُذَمُّ إِنْ تَنَكَّبَتِ الصَّرَاطَ السَّوِيَّ ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُحْزَنُ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٤٠]، ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

وَالْتَنَاصُرُ فِي الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ، وَالْقِيَامُ بِالْأَعْبَاءِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، يَشْمَلُ الرَّجَالَ وَالنِّسَاءَ ﴿وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ يُؤْقِمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]، وَإِيْدَاءُ الْمُؤْمِنَاتِ هُوَ مِثْلُ إِيْدَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، يَمُقَّتُ اللَّهُ تَعَالَى صَاحِبَهُ، وَيَسْتَوْجِبُ عُقُوبَتَهُ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

كُلُّ هَذِهِ التَّصَوِّصِ وَغَيْرِهَا تَظْهَرُ بِجَلَاءٍ وَوُضُوحٍ أَنَّ الْإِسْلَامَ حَمَلَ الْمَرْأَةِ الْمَسْئُولِيَّةَ كَمَا حَمَلَهَا الرَّجُلُ، لِكِنَّهُ اسْتَشْنَى الْمَرْأَةَ مِنْ بَعْضِ الْأُمُورِ الَّتِي فِي صَالِحِهَا أَنْ تُسْتَشْنَى مِنْهَا.

يُرِيدُ قَوْمُنَا الْمُتَحَرَّرُونَ مِنْ تَعَالِيمِ الشَّرِيعَةِ أَنْ تَكُونَ الْمَرْأَةُ عِنْدَنَا كَمَا هِيَ فِي الْغَرْبِ، لَيْسَتْ ذَاتُ مَسْئُولِيَّةٍ وَلَا مَنْزِلٍ، وَلَا زَوْجٍ وَلَا أَوْلَادٍ، تُقَدَّسُ الْعَمَلُ، وَتَدُورُ الْعُوبَةُ فِي أَيْدِي الرِّجَالِ، يَلْعُونَ فِيهَا كَمَا تَلْعُ الْكِلَابُ الْمَسْعُورَةُ فِي فَرِسَتِهَا.

يُرِيدُونَهَا أَنْ تَكُونَ مُسْتَنْقَعًا لِلْقَاذُورَاتِ، وَمَصْرِفًا لِلشَّهَوَاتِ، فَهُمْ -قَاتَلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى- يَعْلَمُونَ أَنَّ الْإِسْلَامَ حَفِظَ حَقَّ الْمَرْأَةِ، وَحَفِظَهَا مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ يُخْفُونَ تِلْكَ الْحَقِيقَةَ؛ لِأَنَّ شَهَوَاتِهِمْ تَأْبَى إِظْهَارَهَا، وَهَا هُوَ الْمُجْتَمَعُ الْغَرِبِيُّ الْمُنْحَلُّ يَغْرِقُ فِي الْإِثْمِ، وَيَجْنِي ثَمَنَ الْفَاحِشَةِ .. أَوْبَنَةُ وَجَرَائِمَ وَمُشْكِلَاتٍ، سَبَبُهَا الْأَعْظَمُ اخْتِرَافُ كَثِيرٍ مِنْ نِسَائِهِمُ الْبِغَاءَ، وَإِطْلَاقُ الْحُرِّيَّةِ الْجِنْسِيَّةِ بِلا ضَوَابِطٍ إِلَّا التَّرَاضِي بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ، حَتَّى قَالَتْ عَجُوزُ أَيْرْلَنْدِيَّةٌ ثَمَانِيَّةٌ وَهِيَ تَنْظُرُ إِلَى التَّفَكُّكِ الْأَسْرِيِّ بِسَبَبِ الْفَسَادِ الْمُسْتَشْرِى: إِنِّي أَعِيشُ وَحِيدَةً .. أَوْلَادِي وَأَخْفَادِي يَعِيشُونَ فِي مُونْتِرِيَال، أَتَلَقَّى مِنْهُمْ الرِّسَائِلَ بِانْتِظَامٍ، وَأَشْعُرُ أَنَّ عَمَلِيَّةَ تَنَاقُلِ الرِّسَائِلِ بَاتَتْ (مِيكَانِيكِيَّةً)؛ لِأَنَّهَا خَالِيَّةٌ مِنَ الْوُدِّ الْحَقِيقِيِّ .. هَذَا لَيْسَ ذَنْبُهُمْ ..، أَعُوذُ سِتِينَ عَامًا إِلَى الْوَرَاءِ، عِنْدَمَا كَانَتْ حَيَاتُنَا أَشْبَهَ بِالْمَهْرَجَانِ الدَّائِمِ، الْآنَ تَبَدَّلَ كُلُّ شَيْءٍ، وَيَبْدُو أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ يَسِيرُونَ (فِي) جَنَازَةٍ هُمْ الْأَمْوَاتُ فِيهَا<sup>(١)</sup>.

وَذَكَرْتُ تَقَارِيرَهُمْ أَنَّ سَبَبَ ارْتِفَاعِ مُعَدَّلِ جَرِيمَةِ النِّسَاءِ: هُوَ أَنَّ الْمَرْأَةَ مُنَحَتْ حُقُوقًا مُتَسَاوِيَةً مَعَ الرَّجُلِ، وَأَنَّ ذَلِكَ شَجَّعَهَا عَلَى ارْتِكَابِ نَفْسِ الْجَرَائِمِ الَّتِي يَرْتَكِبُهَا الرَّجَالُ؛ لِأَنَّهَا صَارَتْ مِثْلَهُمْ.

إِنَّ عُقَلَاءَ الْغَرْبِ وَمُفَكِّرِيهِمْ مِنْ نِسَاءٍ وَرِجَالٍ يَصِيحُونَ بِقُوَّةٍ لِإِرْجَاعِ الْمَرْأَةِ الْغَرِبِيَّةِ إِلَى مَنْزِلِهَا، ذَكَرْتُ بَاحِثَةً مِنْهُمْ الْحُرِّيَّةَ الَّتِي تَعِيشُهَا الْمَرْأَةُ فِي بِلَادِهِمْ فَقَالَتْ: إِنَّ الْمَرْأَةَ السُّوَيْدِيَّةَ فَجَاءَ اكْتَشَفَتْ أَنَّهَا اشْتَرَتْ وَهْمًا هَائِلًا -تَقْصِدُ الْحُرِّيَّةَ- بِثَمَنِ مُفْرَعٍ هُوَ سَعَادَتُهَا الْحَقِيقِيَّةُ<sup>(٢)</sup>، فَهِيَ تُرِيدُ الْآنَ أَنْ تَتَنَازَلَ عَنْ

(١) من واقع الحضارة الغربية، أبو البراء عبد العزيز بن محمد، مجلة البيان، عدد (٤١) ص (٣٧).

(٢) قائلة ذلك هي القاضية السويدية: بريجيت أوف هاهر.

مُعْظَمِ حُرِّيَّتِهَا فِي سَبِيلِ كُلِّ سَعَادَتِهَا.

أَلَمْ يَقْرَأْ دُعَاءَ تَحْرِيرِ الْمَرْأَةِ هَذَا الْكَلَامَ الصَّادِرَ مِنْ نَفْسِ الْبِلَادِ الْمُتَحَرِّرَةِ؟ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ نِسَاءَ الْغَرْبِ تُمَزَّقُهُنَّ مَأْسَاءَ مُؤَلِمَةً؟ فَهِنَّ يَحْمِلْنَ عَلَى أَكْتَافِهِنَّ ظُلْمَ الرِّجَالِ وَصُعُوبَةَ الْحَيَاةِ . . يَحْمِلْنَ عَلَى أَكْتَافِهِنَّ أَطْفَالًا حُرُمُوا حَنَانَ الْأَبُوَّةِ، لَا تَزَالُ الْمَرْأَةُ تَحْمِلُ فِي أَحْشَائِهَا طِفْلًا لَا تَدْرِي مَنْ هُوَ أَبُوهُ. الْمَرْأَةُ فِي عَالَمِ التَّحْرِيرِ لَمْ تَخْسِرِ الْحَيَاةَ فَقَطْ، بَلْ خَسِرَهَا النَّاسُ وَالْمُجْتَمَعُ، خَسِرَتْ الْمُجْتَمَعَاتُ فِيهَا الْمُرِيَّةَ الْكَبِيرَةَ لِلْأَجْيَالِ الضَّائِعَةِ.

خَسِرَ الْغَرْبُ صَانِعَةَ الْحَنَانِ فِي مُجْتَمَعٍ سَادَتْ فِيهِ الْمَادَّةُ، خَسِرُوا الزَّوْجَةَ الْكَرِيمَةَ، وَالشَّرِيكَةَ الْفَاضِلَةَ الْمُحَافِظَةَ؛ فَقَدْ شَغَلَتِ الْمَرْأَةُ بِالْعَمَلِ وَتَحْصِيلِ الْمَتَاعِ الرَّخِيسِ.

هَا هِيَ الْمَرْأَةُ فِي الْمُجْتَمَعَاتِ الْمُتَحَرِّرَةِ تُطَالِبُ بِمَنْعِ اسْتِغْلَالِ جَسَدِهَا وَمَفَاتِنِهَا فِي الدُّعَايَاتِ التِّجَارِيَّةِ، حَتَّى إِنَّ أَفْجَرَ الْمُثْمَلَاتِ وَالرَّاقِصَاتِ بَدَأْنَ يَشْعُرْنَ بِسُقُوطِ الْمَرْأَةِ أَمَامَ قَدَمِي الرَّجُلِ وَنَفْسِيَّتِهِ الْجَشِعَةِ فِي ظِلِّ الْحُرِّيَّةِ الْمَرْغُومَةِ.

وَلَعَلَّكُمْ قَرَأْتُمْ ذَلِكَ الْخَبَرَ عَنْ مُمَثِّلَةٍ فَرَنْسِيَّةٍ كَانَتْ تُمَثِّلُ مَشْهَدًا قَدْرًا أَمَامَ الْكَامِيرَا، فَثَارَتْ ثَوْرَةٌ عَارِمَةٌ، وَصَاحَتْ فِي وَجْهِ الْمُمَثِّلِ وَالْمُخْرِجِ، وَكَأَلَتْ لَهُمْ سَيِّلاً مِنَ الشَّتَائِمِ الْمُقْذَعَةِ، ثُمَّ قَالَتْ: أَنْتُمْ الرِّجَالُ، لَا تُرِيدُونَ مِنَّا النِّسَاءَ إِلَّا أَجْسَادَنَا؛ حَتَّى تُصْبِحُوا مِنْ أَصْحَابِ الْمَلَائِينَ عَلَى حِسَابِنَا، ثُمَّ انْفَجَرَتْ بَاكِئَةً.

لَقَدْ اسْتَيْقَظَتْ فِطْرَةُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ، عَلَى الرَّغْمِ مِنَ الْحَيَاةِ الْفَاسِدَةِ الَّتِي تَغْرِقُ فِيهَا، اسْتَيْقَظَتْ لِتَقْدِمَ الدَّلِيلَ الْقَاطِعَ عَلَى الْمَأْسَاءِ الْكُبْرَى الَّتِي تَعِيشُهَا الْمَرْأَةُ الَّتِي قَالُوا: إِنَّهَا مُتَقَدِّمَةٌ وَمُتَحَضِّرَةٌ فِي الْبِلَادِ الَّتِي يَرَاهَا قَوْمُنَا

بِلَادِ التَّحْضُرِ وَالتَّطَوُّرِ. هَذِهِ هِيَ الْحَقِيقَةُ الَّتِي يُحَاوِلُ الْمُنَافِقُونَ إِخْفَاءَهَا.  
رَدَّ اللَّهُ تَعَالَى كَيْدَهُمْ فِي نُحُورِهِمْ، وَجَعَلَ تَدْبِيرَهُمْ تَدْمِيرَهُمْ، وَأَرَاهُمْ فِي  
أَنْفُسِهِمْ مَا يَكْرَهُونَ، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.  
وَأَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ.



### الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَلَا عُذْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ،  
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلِيُّ الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا  
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ النَّبِيُّ الْأَمِينُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ  
وَالتَّابِعِينَ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ وَاقْتَفَى أَثَرَهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.  
أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى وَأَطِيعُوهُ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُؤْمِنُونَ: لَقَدْ وَاجَهَتِ الشُّعُوبُ الْإِسْلَامِيَّةُ أَنْوَاعًا مِنَ الْغَزْوِ  
الْفِكْرِيِّ، وَالتَّسْلُطِ الْعَسْكَرِيِّ، وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ هَدَفًا مُهِمًّا لِلْغَازِي، وَنَجَحَ ذَلِكَ  
الْغَزْوُ حِينًا، وَفَشَلَ أَحْيَانًا أُخْرَى، فَالْمَرْأَةُ الْمُسْلِمَةُ يَتَجَادَبُهَا طَرَفَانِ: تَعَالِيمُ دِينِهَا  
وَمَبَادِئُهَا وَأَخْلَاقُهَا الْمَصْحُوبَةُ بِالْفَقْرِ وَالْفَقْرِ وَالتَّسْلُطِ مِنْ قِبَلِ الْأَعْدَاءِ؛ فَلَا تَرَالُ  
تُتَّهَمُ بِأَنَّهَا رَجَعِيَّةٌ، وَأَنَّ دِينَهَا سَبَبٌ فَقْرَها.

وَطَرَفٌ آخَرُ مُفْسِدٌ يَجْبِدُهَا إِلَيْهِ وَيَبْدِيهِ زَهْرَةُ الدُّنْيَا، وَمَكَافَأَةُ الْمُسْتَعْمِرِ،  
وَمُغْرِبَاتُ الْغُزَاةِ، بِاسْمِ الْفَنِّ وَالثَّقَافَةِ وَالْحُرِّيَّةِ. تُعْطَى الْأَوْسَمَةُ، وَتُمنَحُ الْأَمْوَالُ  
وَالْجَوَائِزُ، وَتُرَاضَى أَعْلَفَةُ الْمَجَلَّاتِ، وَتُعْرَضُ فِي الدَّعَايَا نَظِيرَ تَخْلِيلِهَا عَنْ  
دِينِهَا، وَقَتْلِ حَيَاتِهَا، فَانْزَلَقَ نِسَاءٌ فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ الرَّدِيئَةِ، وَحَقَّقْنَ مُرَادَ

الْمُسْتَعْمِرِينَ، وَتَحَلَّى أُخْرِيَّاتِ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ عَلَى شَطَفِ الْعَيْشِ، وَفَلَّةِ ذَاتِ الْيَدِ، وَسَيْلِ الْإِثْهَامَاتِ الْمُتَدَفِّقِ مِنَ أَلْسِنِ الشَّائِئِينَ، وَأَقْلَامِ الْمُنَافِقِينَ. صَبْرًا مِنْ أَجْلِ دِينِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ، ثُمَّ فِي عَصْرِنَا هَذَا تَنَبَّهَ كَثِيرٌ مِمَّنِ انْزَلَقْنَ فِي الْمُسْتَنْقَعَاتِ الْأَسِنَّةِ مِنَ الْمُسْلِمَاتِ إِلَى أَنَّهُنَّ كُنَّ يَسْرُنَ فِي طَرِيقِ الْخُطِيئَةِ، فَعُدْنَ إِلَى دِينِهِنَّ وَحِجَابِهِنَّ، حَتَّى فِي الْبِلَادِ الَّتِي رَسَخَتْ فِيهَا الْعُلَمَائِيَّةُ وَدَعَاوَى تَحْرِيرَ الْمَرْأَةِ.

وَلَكِنَّ الْمُلْفِتَ لِلنَّظَرِ، وَالْجَدِيرَ بِالتَّأْمُلِ هُوَ أَنَّ ذَلِكَمُ النَّجَاحِ وَالْفَشْلَ الَّذِي يَدُورُ الْغَزَاةُ فِي فَلَكِهِ لَهُ سَبَبٌ مُهِمٌّ فِي كِلَا الْجَانِبَيْنِ؛ فَسَبَبُ نَجَاحِهِمْ وَجُودُ الْقَابِلِيَّةِ لِلْفَسَادِ وَالتَّحَرُّرِ مِنْ قِيُودِ الدِّينِ فِي الْبِلَادِ الَّتِي يَسْتَعْمِرُونَهَا. وَسَبَبُ الْفَشْلِ يَكُونُ بِإِضْرَارِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى التَّمَسُّكِ بِدِينِهِمْ، وَإِضْرَارِ الْمُسْلِمَاتِ عَلَى حِجَابِهِنَّ وَعَفَافِهِنَّ.

فَإِذَا لَمْ تَوْجَدْ الْقَابِلِيَّةَ لِلِاسْتِعْمَارِ وَالْإِفْسَادِ لَدَى الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ فَلَنْ يَسْتَطِيعَ الْغَازِي بِقَنَوَاتِهِ وَمُعْرِيَاتِهِ، وَلَا بِدُورِ أَرْيَائِهِ وَمَجَلَّاتِهِ أَنْ يُغَيِّرَ الْمَرْأَةَ، وَيُفْسِدَ دِينَهَا، وَيُذْهَبَ أَخْلَاقُهَا. كَمَا لَنْ يَسْتَطِيعَ الْمُسْتَعْمِرُ بِدَبَابَتِهِ وَبُنْدُوقَتِهِ أَنْ يَنْزِعَ حِجَابَ الْمَرْأَةِ بِالْقُوَّةِ، وَهَذِهِ حَقِيقَةٌ ثَابِتَةٌ، وَسُنَّةٌ تَارِيخِيَّةٌ.

وَلَكِنْ مَتَى تَوْجَدُ الْقَابِلِيَّةُ لِقَبُولِ مَا عِنْدَ الْمُسْتَعْمِرِينَ الْمُفْسِدِينَ؟ وَمَتَى لَا تَوْجَدُ؟ لَا تَوْجَدُ حِينَمَا يَكُونُ عِنْدَ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ حَصَانَةٌ شَرْعِيَّةٌ، وَتَدْنِي صَادِقٌ، وَاتِّبَاعٌ صَحِيحٌ، وَابْتِعَادٌ عَنِ الْمُغْرِيَّاتِ.

لَا تَوْجَدُ الْقَابِلِيَّةُ لِلْفَسَادِ حِينَمَا تُدْرِكُ الْمَرْأَةُ أَنَّ فُوزَهَا وَسَعَادَتُهَا هِيَ فِي دِينِهَا، وَأَنَّ عَدُوَّهَا يُرِيدُ إِخْرَاجَهَا مِنْهُ.

لَا تَوْجَدُ حِينَمَا يَأْبَى الْمُجْتَمَعُ كُلُّهُ أَيَّ لَوْنٍ مِنْ أَلْوَانِ التَّبَعِيَّةِ وَالتَّقْلِيدِ،



وَمَشْرُوعَاتِ الْإِفْسَادِ وَالتَّعْرِيبِ، وَيَرْفُضُ أَسَالِيبَ الْعُلَمَائِيِّينَ فِي الْإِفْسَادِ، وَيَعُدُّهُمْ جُرْثُومَةً تَضُرُّ الْمُجْتَمَعَ وَالْأُسْرَةَ، وَأَنَّ أَفْكَارَهُمْ وَأُطُرُوحَاتِهِمْ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُلْقَى فِي النُّفَايَاتِ.

وَتُوجَدُ الْقَابِلِيَّةُ لِلْفَسَادِ وَالْإِفْسَادِ، وَنَجَاحِ حُطْطِ الْمُسْتَعْمِرِينَ وَالتَّعْرِيبِيِّينَ إِذَا أُشْرِبَتِ الْأُمَّةُ حُبَّ التَّقْلِيدِ الْأَعْمَى، وَالتَّبَعِيَّةِ الْبَغِيضَةِ، وَالْحُرِّيَّةِ بِمَقَاهِيمِهَا الْعَرَبِيَّةِ.

وَتُوجَدُ الْقَابِلِيَّةُ إِذَا عَقَلَتِ الْمَرْأَةُ عَنْ دِينِهَا، وَتَعَاوَلَتْ عَنْهَا وَلِيَّهَا، وَأَصْبَحَ الْأَمْرُ وَالتَّهْيُّ فِي أَيْدِي النِّسَاءِ، وَتَمَكَّنَ أَرْبَابُ الْفَسَادِ وَالتَّعْرِيبِ مِنْ نَشْرِ عِيْهِمْ وَفَسَادِهِمْ.

وَسَوْفَ تُوجَدُ الْقَابِلِيَّةُ حِينَمَا تُقْبَلُ الْبُيُوتُ عَلَى الْقَنَوَاتِ الْفَضَائِيَّةِ، وَتَكْثُرُ أَعْدَادُ الْمُسَافِرِينَ بِاسْمِ السِّيَاحَةِ لِلْبِلَادِ الْكَافِرَةِ، وَيَكْثُرُ ابْتِعَاثُ الْجَنَسَيْنِ لِلدِّرَاسَةِ بِلَا حَاجَةٍ مُلِحَةٍ.

سَوْفَ تُوجَدُ الْقَابِلِيَّةُ حِينَمَا تُضَيَّقُ سُبُلُ الزَّوْاجِ، وَيُعَالَى فِي الْمُهْوَرِ، وَيُضْبَحُ عَمَلُ الْمَرْأَةِ ضَرُورَةً تُقَدَّمُ عَلَى الْبَيْتِ وَالزَّوْجِ وَالْأَوْلَادِ.

سَوْفَ تُوجَدُ الْقَابِلِيَّةُ حِينَمَا يُكْسَى عَمَلُ الْمَرْأَةِ بِالصَّبْغَةِ الْمُقَدَّسَةِ، وَتُخَدَعُ بِأَنَّهَا الْمُتَبَجِّةُ وَالْمُدَبِّرَةُ خَارِجَ الْمَنْزِلِ، وَتَتَوَلَّى الْعِمَامَةَ الْمُتَحَرِّفَةَ، وَاللَّحِيَّةَ الْمُتَأَكَّلَةَ بِالذِّينِ عَمَلِيَّةَ إِفْقَاعِهَا بِتَزْوِيرِ أَحْكَامِ الدِّينِ، وَإِبَاحَةِ الْمُحَرَّمَاتِ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنَ الْإِخْتِلَاطِ وَالْخُلُوةِ وَالتَّبَرُّجِ وَالسُّفُورِ.

سَتُوجَدُ الْقَابِلِيَّةُ لِإِفْسَادِ الْمَرْأَةِ وَالْأُسْرَةِ حِينَ يَخْدَعُونَ النَّاسَ بِالْكَلامِ الْمُنَمَّقِ، وَالْعِبَارَاتِ الْجَمِيلَةِ، وَالشَّعَارَاتِ الرَّنَّانَةِ الرَّائِفَةِ الَّتِي خَدَعُوا بِهَا الْمَرْأَةَ الْمُتَحَرِّرَةَ الْمِسْكِينَةَ فِي شَتَّى بِقَاعِ الْعَالَمِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ: إِنَّ الْعَالَمَ كُلَّهُ بِشَرْقِهِ وَغَرْبِهِ لَا يَحْسُدُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى شَيْءٍ كَمَا  
يَحْسُدُهُمْ عَلَى الْحَيَاةِ الْأَسْرِيَّةِ السَّوِيَّةِ الَّتِي يَعِيشُهَا الْمُسْلِمُونَ، فَهَلْ نَفْسُهَا  
بِأَيْدِينَا؟!!

إِنَّ التَّحَدِّيَ الَّذِي نُوَاجِهُهُ كَبِيرٌ لَا يَسَعُنَا التَّعَافُلُ عَنْهُ، أَوِ التَّقْلِيلُ مِنْ خَطَرِهِ  
وَشَرِّهِ.

يَجِبُ أَنْ نُنْذِرَكَ أَنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهَا، وَأُفْسِدَتْ أَخْلَاقُهَا قَادَتِ  
الْمُجْتَمَعَ كُلَّهُ إِلَى بُؤْرِ الدَّمَارِ وَالْهَلَاكِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ مِنْ كُلِّ مَا يَخْدِشُ الْحَيَاءَ، وَيُخِلُّ بِالْأَخْلَاقِ، فَصَلِّحُوا النِّسَاءَ  
هُوَ صَلَاحُ الْأَوْلَادِ، وَالْأَوْلَادُ هُمْ عِمَادُ الْأُمَّةِ وَمُسْتَقْبَلُهَا.  
وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ...



## ٣٦٩- منتدى المرأة والألفية

١٤٢٦/١١/٢١ هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ لَهُ الْحِكْمَةُ الْعَظِيمَةُ فِيمَا شَرَعَ، وَلَهُ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فِيمَا حَكَمَ، وَلَوْ شَاءَ سُبْحَانَهُ لَهْدَى الْعِبَادَ أَجْمَعِينَ ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يُونُس: ٩٩]، أَحْمَدُهُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى؛ فَقَدْ هَدَانَا صِرَاطَهُ الْمُسْتَقِيمَ، وَمَنْ عَلَيْنَا بِهِذَا الدِّينِ الْعَظِيمِ. وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ خَلَقَ عِبَادَهُ حُنَفَاءَ مُؤْمِنِينَ، فَاجْتَالَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ عَنِ الدِّينِ الْقَوِيمِ إِلَى سُبُلِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ لَا خَيْرَ إِلَّا دَلَّنَا عَلَيْهِ، وَلَا شَرَّ إِلَّا حَذَرْنَا مِنْهُ، تَرَكْنَا عَلَى بَيْضَاءَ لَيْلُهَا كَنْهَارُهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ؛ اسْتَيْقَظَ ﷺ لَيْلَةً فَرِعَا وَهُوَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْخَرَائِنِ؟ وَمَاذَا أَنْزَلَ مِنَ الْفِتَنِ؟ مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحُجَرَاتِ؟ -يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ لِكَيْ يُصَلِّيْنَ- رَبِّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٌ فِي الْآخِرَةِ»<sup>(١)</sup>، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَأَوْصِيَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ ﷻ؛ فَاتَّقَوْهُ حَقَّ التَّقْوَى؛ فَإِنَّ الْفِتْنَ تَثْرَى، وَلَا يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرُّ مِنْهُ، وَلَا نَجَاةَ إِلَّا لِمَنْ نَجَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَالنَّجَاةُ يُدْرِكُهَا الْعَبْدُ بِالْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى.

أَيُّهَا النَّاسُ: مِنْ عَظِيمِ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ أَنْ كَرَّمَهُمْ عَلَى سَائِرِ

(١) أخرجه من حديث أم سلمة رضي الله عنها: البخاري في الفتن، باب لا يأتي على الناس زمان إلا والذي بعده شر منه (٦٦٥٨).

الْحَيَوَانِ بِالْعُقُولِ، وَفَتَحَ لَهُمْ بِعُقُولِهِمْ كَثِيرًا مِنْ مَغَالِيقِ الْعُلُومِ ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ  
بُطُونِ أُمَهْنِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ لَعَلَّكُمْ  
تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]. وَالْعَقْلُ مَا خُوذَ مِنْ عِقَالِ الْإِبِلِ؛ ذَلِكَ أَنَّهُ يَمْنَعُ صَاحِبَهُ  
مِمَّا لَا يَحْسُنُ بِهِ، قَالَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «إِذَا عَقَلَكَ عَقْلَكَ  
عَمَّا لَا يَنْبَغِي، فَأَنْتَ عَاقِلٌ»<sup>(٢)</sup>.

وَالْعَقْلُ حَجَرٌ يَحْجُرُ الْعَاقِلَ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ الَّتِي تَكُونُ سَبَبًا فِي  
هَلَاكِهِ، وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِدَىٰ حَجَرٍ﴾ [الفجر: ٥]  
أَيُّ: لِذِي لُبٍّ وَعَقْلٍ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «وَأِنَّمَا سُمِّيَ الْعَقْلُ  
حَجَرًا؛ لِأَنَّهُ يَمْنَعُ الْإِنْسَانَ مِنْ تَعَاطِي مَا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ»<sup>(٣)</sup>.  
فَالْعَقْلُ إِذَنْ قَيْدٌ يُقَيِّدُ صَاحِبَهُ، يَهْتَدِي فِي هَذَا التَّقْيِيدِ بِشَرْعٍ مُنَزَّلٍ، أَوْ بِعُرْفٍ  
سَادَ فِي النَّاسِ، وَمَنْ رَفَضَ هَذَا الْقَيْدَ فَهُوَ يُرِيدُ إِلْغَاءَ الْعَقْلِ لِصَالِحِ الشَّهْوَةِ،  
بَحِثْ لَا يَكُونُ ثَمَّةَ فَرْقٍ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ إِلَّا النُّطْقُ بِكَلَامٍ مَفْهُومٍ.  
وَالْعَقْلُ لَا يَسْتَقِلُّ بِمَعْرِفَةٍ كُلِّ حَسَنِ وَقَبِيحٍ، وَلَا كُلِّ نَافِعٍ وَضَارٍّ؛ وَلِذَا أَنْزَلَ  
اللَّهُ تَعَالَى الشَّرَائِعَ لِتُكْمَلَ مَا فِي الْعَقْلِ مِنْ نَقْصٍ، وَتُسَدَّ مَا فِيهِ مِنْ عَجْزٍ عَنْ  
إِدْرَاكِ ذَلِكَ؛ فَكَانَتِ الشَّرِيعَةُ نِعْمَةً أُخْرَى يَهْتَدِي بِهَا الْعِبَادُ لِتَحْصِيلِ مَصَالِحِهِمْ  
الْعَاجِلِ مِنْهَا وَالْآجِلِ.

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ خَالِقُ الْبَشَرِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَاهِبُ الْعُقُولِ، وَمُنَزِّلُ الشَّرَائِعِ،  
فَمَصْدَرُ الْعَقْلِ وَالشَّرِيعَةِ وَاحِدٌ فَلَا تَعَارُضَ بَيْنَهُمَا، وَإِذَا وَقَعَ التَّعَارُضُ عِنْدَ بَعْضِ  
النَّاسِ فَهُوَ لِحَلَلٍ فِي عُقُولِهِمْ وَطَرَائِقٍ تَفْكِيرِهِمْ، أَوْ فِي مَا نُسِبَ إِلَى الشَّرِيعَةِ

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العقل وفضله (٣٥)، وابن عساكر في تاريخه (٢٦/٢٧).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/٥٠٨).

وَلَيْسَ مِنْهَا. وَشَرَعُ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ الْحَاكِمُ، وَالْعَقْلُ تَبَعَ لِدَلِّكَ، وَلَا يُفْضَى بِالْعَقْلِ عَلَى الشَّرْعِ؛ لِقُصُورِ الْعَقْلِ عَنْ إِدْرَاكِ كُلِّ شَيْءٍ، وَلِشُمُولِ الشَّرِيعَةِ كُلِّ شَيْءٍ ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، هَذَا فِي شَرِيعَةِ مُوسَى ﷺ، وَدِينُ الْأَنْبِيَاءِ وَاحِدٌ كَامِلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، شَامِلٌ لِكُلِّ مَا يَحْتَاجُهُ النَّاسُ مِنْ أَوَّلِ الزَّمَانِ إِلَى آخِرِهِ، وَفِي خُصُوصِ الْقُرْآنِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [التخل: ٨٩].

وَمَنْ عَارَضَ ذَلِكَ فَهُوَ مُضَادٌّ لِلْعَقْلِ وَالْفِطْرَةِ، مُتَّبِعٌ لِهَوَاهُ، مُسْتَنَكِفٌ عَنْ عِبَادَةِ مَوْلَاهُ، وَقَدْ سَمَى اللَّهُ تَعَالَى الْهَوَى إِلَهًا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣]، وَفِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

وَمِنْ صُورِ اتِّخَاذِ الْهَوَى إِلَهًا مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى: مُعَارَضَةُ الشَّرِيعَةِ الْمُنَزَّلَةِ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ بِأَفْكَارِ الْبَشَرِ وَنَظَرِيَّاتِهِمْ وَتَحْبِطَاتِهِمْ، وَتَقْدِيمِ أَقْوَالِهِمْ عَلَى أَقْوَالِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَقْوَالِ رَسُولِهِ ﷺ، وَقَدْ اسْتَشْرَى ذَلِكَ فِي الْبَشَرِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَجَالَاتِ بَعْدَ انْتِشَارِ مَوْجَاتِ الْإِلْحَادِ وَإِنْكَارِ الْغَيْبِ فِي دُولِ الْعَرَبِ، وَلَمْ تَسْلَمْ مِنْ شَرِّهِ دُولُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَلَا سِيَّمَا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِشُؤُونِ الْأُسْرَةِ وَالْمَرْأَةِ؛ فَقَدْ أَجْلَبَ الْمُنَافِقُونَ وَالشَّهَوَانِيُّونَ وَالْجَاهِلُونَ فِي دِيَارِ الْمُسْلِمِينَ بِخَيْلِهِمْ وَرَجْلِهِمْ عَلَى أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى فِي شَأْنِ الْمَرْأَةِ يُرِيدُونَ تَغْيِيرَهَا، وَيَرْفَعُونَ عَقِيرَتَهُمْ بِتَبْدِيلِهَا، مُدْعِينَ أَنََّّهُمْ يُحْطَمُونَ الْأَغْلَالَ الَّتِي غَلَّتْهَا، وَيَرْفَعُونَ وَصَايَةَ الرَّجُلِ عَنْهَا؛ لِيَنْقُلُوهَا لَوْ اسْتَطَاعُوا مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى عِبَادَةِ الْمَبَادِئِ الْغَرِيبَةِ الْإِلْحَادِيَّةِ.

إِنَّ هَذِهِ الْقَضِيَّةَ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ قَدْ كَثُرَ الْقَوْلُ فِيهَا، وَسُودَتْ فِيهَا أُلُوفُ الْكُتُبِ وَالْمَقَالَاتِ، وَأَفْرَدَتْهَا بِالْبَحْثِ وَالنَّقَاشِ مِائَاتُ الصُّحُفِ وَالْمَجَلَّاتِ، وَتَنَاطَرَ فِيهَا الْمُتَنَاطِرُونَ، وَاخْتَصَمَ مِنْ أَجْلِهَا الْمُخْتَصِمُونَ، وَعَقِدَتْ لِبَحْثِهَا الْمُؤْتَمَرَاتُ، وَشَكَلَتْ لَهَا عَشْرَاتُ اللَّجَانِ وَالْجَمْعِيَّاتِ، وَالْبَشَرُ مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ مُنْذُ مِائَةِ عَامٍ وَزِيَادَةٍ وَهُمْ يَدُوكُونَ فِيهَا، وَيُنَاقِشُونَ تَفَاصِيلَهَا، وَتَالَلِهِ لَهَا أَيْسَرُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ لَوْلَا الضَّلَالُ وَالْهَوَى، وَالتَّقْلِيدُ عَلَى غَيْرِ هُدًى.

إِنَّ الْقَضِيَّةَ بِكُلِّ يُسِرِّ وَاخْتِصَارٍ تَتَلَخَّصُ فِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الذَّكَرَ، وَمِنَ الذَّكَرِ خَلَقَ الْأُنْثَى، وَجَعَلَهُمَا سُبْحَانَهُ جِنْسَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ فِي التَّرْكِيبِ الْبَدَنِيِّ وَالْعَقْلِيِّ وَالنَّفْسِيِّ ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴿٤٥﴾ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ [النجم: ٤٥، ٤٦]، ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكْ نُطْفَعُ مِنْ مَنِيِّ يَمْنَى ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴿٣٨﴾ فَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ [القيامة: ٣٦-٣٩]، فَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ اخْتِلَافَ كُلِّ جِنْسٍ مِنْهُمَا عَنِ الْآخَرِ، فَسَمَّى أَحَدَهُمَا ذَكَرًا، وَسَمَّى الْآخَرَ أُنْثَى، وَلَوْ كَانَا وَاحِدًا لَمَا سَمَّاهُمَا زَوْجَيْنِ، وَلَمَا أَفْرَدَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِوَصْفٍ يَخْتَصُّ بِهِ.

وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ كُلَّ جِنْسٍ مِنْهُمَا يُكْمِلُ الْجِنْسَ الْآخَرَ، وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ، وَلَا تَكْتَمِلُ سَعَادَتُهُ إِلَّا بِهِ ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لِهِنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، ﴿وَمِنْ عَابَتِهِ أَن يَخْلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الرُّوم: ٢١]، وَلَوْ كَانَا مُتَمَاثِلَيْنِ لَمَا احتَاجَ أَحَدُهُمَا إِلَى الْآخَرِ، وَلَجَازَ أَنَّ يَسْتَقِلَّ بِنَفْسِهِ عَنِ زَوْجِهِ.

بَلْ إِنَّ مِنْ دَلَائِلِ تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى زَوْجِهِ ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذَّارِيَات: ٤٩]، فَلَا أَحَدَ

صَمَدًا يَحْتَاجُ الْخَلْقُ إِلَيْهِ وَهُوَ غَيْبٌ عَنْهُمْ إِلَّا اللَّهَ تَعَالَى .

وَلَا أَدَلَّ عَلَى هَذَا التَّفْرِيقِ بَيْنَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى مِنَ النَّصِّ عَلَى ذَلِكَ صَرَاحَةٌ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ؛ إِذْ حَكَى اللَّهُ تَعَالَى عَنِ امْرَأَةٍ عِمْرَانَ أَنَّهَا قَالَتْ : ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ﴾ [آلِ عِمْرَانَ : ٣٦] ، وَأَقْرَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَقُولِهَا تِلْكَ ، وَلَمْ يُنْكِرْهَا مِنْهَا ، أَوْ يُعَقِّبَ عَلَيْهَا .

وَجَاءَتْ شَرَائِعُ اللَّهِ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ ﷺ مُوَافِقَةً لِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا الْوَحْيُ وَالْعَقْلُ وَالْفِطْرَةُ وَالْجِسُّ ؛ فَتَمَّةٌ أَحْكَامٌ يَشْتَرِكُ فِيهَا الْجِنْسَانِ ، وَهِيَ أَغْلَبُ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ ، وَأَحْكَامٌ يَخْتَصُّ بِهَا جِنْسٌ دُونَ الْآخَرِ ، كَاخْتِصَاصِ الرِّجَالِ بِالْجِهَادِ وَالْجُمُعِ وَالْجَمَاعَاتِ ، وَاخْتِصَاصِ النِّسَاءِ بِالرِّضَاعَةِ وَالْحَضَانَةِ ، وَلَمْ يُسَوِّ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَهُمَا فِي الْمِيرَاثِ وَالنَّفَقَةِ وَلَا فِي الْوِلَايَةِ وَالْقَوَامَةِ ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ ﴾ [النِّسَاءُ : ١٧٦] ، ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ [النِّسَاءُ : ٣٤] ، ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [البَقَرَةُ : ٢٢٨] ، وَالرَّجُلُ يَنْفِقُ عَلَى الْمَرْأَةِ أَمَّا كَانَتْ أَمَ زَوْجَةً أَمَ بِنْتًا ، وَلَوْ كَانَ أَفْقَرَ النَّاسِ وَهِيَ أَغْنَاهُمْ .

وُلَعَاتُ الْبَشَرِ عَلَى اخْتِلَافِ بُلْدَانِهِمْ وَأَدْيَانِهِمْ وَأَجْنَاسِهِمْ مُنْذُ الْقِدَمِ قَدْ مَيَّزَتِ الذَّكَرَ عَنِ الْأُنْثَى ، وَخَصَّتْ كُلَّ جِنْسٍ مِنْهُمَا بِخَصَائِصٍ فِي التَّسْمِيَةِ وَالْخِطَابِ وَالضَّمِيرِ وَالنِّدَاءِ .

وَعَلَى هَذِهِ الْفِطْرَةِ السَّوِيَّةِ فِي التَّمْيِيزِ بَيْنَ هَذَيْنِ الْجِنْسَيْنِ الْمُخْتَلِفَيْنِ عَاشَ الْبَشَرُ قُرُونًا تَبَاعًا ، إِلَى أَنْ جَاءَ مَلَايِدَةُ هَذَا الْعَصْرِ بِيَدَعَةِ الْمُسَاوَاةِ بَيْنَ الْجِنْسَيْنِ ، وَالْقَضَاءِ عَلَى كُلِّ أَشْكَالِ التَّمْيِيزِ بَيْنَهُمَا مَهْمَا كَانَ مَصْدَرُهُ ، وَلَوْ كَانَ قُرْآنًا مُتْرَلًا مِنْ عِنْدِ الْخَالِقِ ﷻ ، أَوْ كَانَ حُكْمًا مِمَّنْ لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﷻ ، وَيُرِيدُونَ فَرَضَ هَذَا الضَّلَالِ عَلَى كُلِّ الْبَشَرِ بِالْبَطْشِ وَالْقُوَّةِ ، وَأَعَانَهُمْ بَعْضُ

الْمُتَعَاوِنِينَ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ مِنَ الْمُتَافِقِينَ وَالشَّهَوَانِيِّينَ بِتَسْوِيقِ هَذَا الْفَسَادِ  
وَالْإِلْحَادِ فِي أَوْسَاطِ الْمُسْلِمِينَ، وَالِدَّاعِيَةِ الْفَجَّةِ لَهُ، وَمُخَادَعَةِ الْمَغْرُورِينَ بِهِ،  
وإِرْهَابِ كُلِّ مَنْ يُعَارِضُهُ أَوْ يَنْتَقِذُهُ أَوْ يُنَاقِشُهُ، وَتَهْدِيدِهِ بِقُوَّةِ الْأَعْدَاءِ.

إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَ بِالمُسَاوَاةِ بَيْنَ جِنْسِ النِّسَاءِ وَجِنْسِ الرِّجَالِ مِنْ أَوْلَادِ  
الْمُسْلِمِينَ، وَالْقَضَاءِ عَلَى كُلِّ أَشْكَالِ التَّمْيِيزِ بَيْنَهُمَا وَلَوْ كَانَ مَصْدَرُ هَذَا التَّمْيِيزِ  
شَرِيعَةَ اللَّهِ تَعَالَى، يَلْزَمُهُمْ أَنْ يُلْحَدُوا، وَيُنْكَرُوا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَالِقُ الذَّكَرِ  
وَالْأُنْثَى، عَلَى غِرَارِ مَا يَدِينُ بِهِ مَلَاحِدَةُ الْعَرَبِ الَّذِينَ ابْتَدَعُوا نَظْرِيَّةَ الْمُسَاوَاةِ بَيْنَ  
الْجِنْسَيْنِ؛ إِذْ هُمْ يُنْكَرُونَ الْخَالِقَ جَلَّ وَعَلَا، وَيَجْعَلُونَ الْحَيَاةَ مَادَّةً أَوْجَدَتْهَا  
الصُّدْفَةُ، أَوْ أَفْرَزَتْهَا الطَّبِيعَةُ.

فَإِنْ كَانَ الْمُسَوِّقُونَ لِهَذِهِ الْبِدْعَةِ النُّكْرَاءِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى  
خَالِقُ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، فَلْيَخْضَعُوا إِذَنْ لِشَرِيعَتِهِ، وَلْيَرْضَوْا بِحُكْمِهِ، وَلْيَقْبَلُوا تَمْيِيزَهُ  
بَيْنَ خَلْقِهِ؛ إِذْ إِنَّ مِنَ الْمُتَقَرَّرِ عِنْدَ الْعُقَلَاءِ أَنَّ الصَّانِعَ أَدْرَى بِصَنْعَتِهِ مِنْ غَيْرِهِ،  
فَالْخَالِقُ كَذَلِكَ أَعْلَمُ بِخَلْقِهِ مِنْهُمْ ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾  
[التَّحَلُّ: ١٧]، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الْمُلْكُ: ١٤].

فَإِنْ أَبَوْا إِلَّا عُلُوءًا وَاسْتِكْبَارًا، وَأَصْرُوا عَلَى خَطِيئَتِهِمْ وَضَلَالِهِمْ؛ فَلْيَخْلُقُوا خَلْقًا  
آخَرَ غَيْرَ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلْيَعْبُثُوا فِيهِ مَا شَاءُوا، وَلْيَجْعَلُوهُ جِنْسَيْنِ مُتَمَاثِلَيْنِ  
لَا تَمَازِيْرَ بَيْنَهُمَا، أَمَّا وَإِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ ذَلِكَ، فَلْيَدْعُوا الْخَلْقَ لِلْخَالِقِ سُبْحَانَهُ  
يَحْكُمُ فِيهِ بِمَا شَاءَ، وَيُمَيِّزُ بَيْنَهُ كَيْفَ يَشَاءُ، فَيَجْعَلُ لِلذَّكَرِ مَا لَهُ، وَلِلْأُنْثَى مَا لَهَا،  
فَلَا رَادَّ لِأَمْرِهِ، وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ جَلَّ فِي عِلَّاهُ، وَلْيَتْرَكُوا لِلْمُسْلِمِينَ دِينَهُمُ الَّذِي  
ارْتَضَاهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ، وَمَا لَهُمْ وَلِلنَّاسِ قَدْ ارْتَضَوْا شَرِيعَةَ اللَّهِ تَعَالَى فَلَا يَبْغُونَ  
عَنْهَا حَوْلًا، وَلْيَبْنَحُوا لَهُمْ عَنْ بِلَادٍ أُخْرَى غَيْرِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ لِيُسَوِّقُوا إِلْحَادَهُمْ



فِيهَا؛ كَفَى اللَّهُ تَعَالَى الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ شَرَّهُمْ، وَرَدَّ كَيْدَهُمْ إِلَى نُحُورِهِمْ، وَأَذَاقَهُمْ  
ذُلَّ الدُّنْيَا قَبْلَ خِزْيِ الْآخِرَةِ، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

أَمَّا بِاللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ، وَرَضِينَا بِهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا  
وَرَسُولًا، وَبِشَرِيعَتِهِ مِنْهَجًا وَإِمَامًا، وَلَيَقُلْ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى  
الثَّبَاتَ عَلَى دِينِنَا إِلَى الْمَمَاتِ، وَأَنْ نَلْقَاهُ غَيْرَ مُغَيَّرِينَ وَلَا مُبَدَّلِينَ، آمِينَ يَا رَبَّ  
الْعَالَمِينَ ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿[نوح: ١٣، ١٤]﴾ خَلَقَكُمْ  
مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمَنِهَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقَكُمْ فِي  
بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ  
إِلَّا هُوَ فَآفَنَ تَصْرُفُونَ ﴿١﴾ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنَى عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ  
تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ  
تَعْمَلُونَ إِنَّكُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿[الزمر: ٦، ٧].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ...



### الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ؛ قَضَى بِالْحَقِّ، وَحَكَمَ بِالْعَدْلِ ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ  
الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، أَحْمَدُهُ وَأَشْكُرُهُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَشْهَدُ أَلَا إِلَهَ  
إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ  
صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١٦) ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقُ  
كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿[الأنعام: ١٠١، ١٠٢]. وَأَشْهَدُ أَنَّ

مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ  
اهْتَدَى بِهَدَاهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَقَّوهُ وَبَشِيرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾  
[البقرة: ٢٢٣].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: شَأْنُ الْمَرْأَةِ فِي الْإِسْلَامِ كَبِيرٌ، وَقَدْ أَكْرَمَهَا اللَّهُ ﷻ بِمَا كَلَّفَهَا  
بِهِ مِنْ أَحْكَامٍ، وَأَوْجَبَ عَلَيْهَا مِنْ حُقُوقٍ وَوَاجِبَاتٍ تُجَاهَ زَوْجِهَا وَأُسْرَتِهَا  
وَأُمَمَتِهَا، وَحَفِظَ لَهَا حَقَّهَا، وَصَانَ لَهَا كِرَامَتَهَا وَعِفَّتَهَا بِمَا لَمْ يَكُنْ لَهَا قَبْلَ  
الْإِسْلَامِ، وَلَكِنَّ مَرْضَى الْقُلُوبِ يَأْبُونَ إِلَّا إِهَانَتَهَا بِمُزَاحَمَتِهَا لِلرِّجَالِ، وَالصَّدَامَ  
مَعَهُمْ صِدَامًا تَخْسَرُ فِيهِ نَفْسَهَا وَدِينَهَا وَبَيْتَهَا وَزَوْجَهَا وَوَلَدَهَا، وَيَخْسَرُهَا الْمُجْتَمَعُ  
أَمَّا حَايِيَّةٌ، وَزَوْجَةٌ فَاضِلَةٌ، وَبَيْتًا غَافِلَةٌ مُحْصَنَةٌ.

لَقَدْ كَانَ الْمُنَافِقُونَ وَمَرْضَى الْقُلُوبِ مِنْ دُعَاةِ تَحْرِيرِ الْمَرْأَةِ يَرَاهُنُونَ عَلَى نَجَاحِ  
الْمَرْأَةِ إِنْ تَمَسَّكَتْ بِحِجَابِهَا وَعَفَافِهَا، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ دِينَهَا وَأَخْلَاقَهَا أَغْلَالٌ قَدْ  
غَلَّتْهَا عَنِ الرُّقِيِّ وَالتَّقْدُمِ، وَيَجْعَلُونَ مَثَلَهَا الْأَعْلَى فِي ذَلِكَ عَرَايَا بَنِي الْأَصْفَرِ  
اللَّائِي ابْتِذَلْنَ أَعْظَمَ ابْتِذَالٍ، ثُمَّ أُلْقِينَ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ كَمَا يُلْقَى الْمَتَاعُ  
الْقَدِيمُ؛ لِتَوَاجِهَ الْوَاحِدَةُ مِنْهُنَّ صَحْبَ الْحَيَاةِ وَمُشْكَلَاتِهَا وَحَدَهَا، فَلَا أَبَ يَخْنُو  
عَلَيْهَا، وَلَا زَوْجَ يَرْعَاهَا وَيَصُونُهَا، وَلَا وَلَدَ يَرْحُمُ شَيْبَتَهَا إِنْ بَلَغَتْ مِنَ الْكِبَرِ  
عَتِيًّا.

فَلَمَّا خَسِرَ رِهَانُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ وَالشَّهَوَانِيِّينَ بِقُدْرَةِ الْمَرْأَةِ عَلَى الْجَمْعِ بَيْنَ  
دِينِهَا وَحِجَابِهَا وَبَيْنَ دِرَاسَتِهَا وَعَمَلِهَا، وَأَبْدَعَتْ فِي ذَلِكَ أَيَّمَا إِبْدَاعٍ، وَحَازَتْ  
شَهَادَاتٍ عُليًّا، وَأُثْبِتَتْ عَمَلِيًّا أَنَّ الْمَرْأَةَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجْمَعَ بَيْنَ وَاجِبَاتِ دِينِهَا  
وَمُتَطَلِّبَاتِ دِرَاسَتِهَا وَعَمَلِهَا، إِذَا تَمَّ فَضْلُهَا كُلِّيًّا عَنْ مَجَالَاتِ الرِّجَالِ وَأَعْمَالِهِمْ

وَمَدَارِسِهِمْ. وَكَانَتْ هَذِهِ الْبِلَادُ الْمُبَارَكَةُ أَنْمُودَجًا يُحْتَذَى فِي ذَلِكَ وَلَا سِيَّما فِي تَعْلِيمِ الْبَنَاتِ، فَلَمَّا نَجَحَتْ فِي ذَلِكَ، وَأَغَاضَتْ الْمُنَافِقِينَ وَالشَّهَوَانِينَ؛ رَاحَ الْأَبَالِسَةُ مِنْهُمْ يُضَيِّقُونَ مَجَالَاتِ عَمَلِ الْمَرْأَةِ الْمُتَفَصِّلِ عَنِ الرِّجَالِ، وَيُوسِّعُونَ مَجَالَاتِ الْإِخْتِلَاطِ، وَلَا يَقْبَلُونَ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَنْ كَانَتْ عَلَى شَاكِلَتِهِمْ، وَمَنْ تَمَسَّكَتْ بِحِجَابِهَا -رَغْمَ مَا يَفْعَلُونَ- تَتَمُّ مُضَاقِقَتُهَا، وَالتَّسَلُّطُ عَلَيْهَا لِتَتْرَكَ عَمَلَهَا؛ لِأَنَّ مَنْظَرَهَا يُزْعِجُهُمْ، وَيَجْعَلُ أُخْرِيَّاتٍ يَقْتَدِينَ بِهَا.

يَفْعَلُونَ ذَلِكَ وَهُمْ يَصِيحُونَ بِأَعْلَى أَصْوَاتِهِمْ مُطَالِبِينَ بِمَجَالَاتٍ أَكْثَرَ لِعَمَلِ الْمَرْأَةِ، وَلَقَدْ بَانَ لِلنَّاسِ مَاذَا يُرِيدُونَ، وَعُرفَ مَاذَا يَقْصِدُونَ؟!

إِنَّهُمْ يُرِيدُونَ مَجَالَاتٍ أَوْسَعَ لِلِإِخْتِلَاطِ وَالْخُلُوةِ، وَنَشْرِ السُّوءِ وَالرَّذِيلَةِ، وَالْقَضَاءِ عَلَى الْعَفَافِ وَالْفَضِيلَةِ، وَإِزَاحَةِ الْقِيُودِ الدِّينِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ الَّتِي تُقَيِّدُهُمْ فِي ذَلِكَ، وَتُعِيقُهُمْ عَنْ تَنْفِيذِ مَشْرُوعَاتِهِمْ التَّخْرِيْبِيَّةِ فِي الْمُجْتَمَعِ الَّتِي يُسَمُّونَهَا زُورًا وَبُهْتَانًا بِالمَشْرُوعَاتِ التَّقْدِيمِيَّةِ، وَحَجَّتُهُمُ الَّتِي مَلَّ النَّاسُ تَكَرَّارَهَا: أَنَّ الْعَالَمَ سَبَقَنَا وَلَا زِلْنَا نَتَأَخَّرُ، وَلَا تَقَدَّمَ فِي مَفْهُومِهِمْ إِلَّا بِالْفَسَادِ وَالْإِفْسَادِ، وَلَقَدْ حَرَمُوا نِسَاءً كَثِيرَاتٍ مِنَ الْعَمَلِ؛ لِأَنَّهُنَّ لَمْ يَجِدْنَ إِلَّا مَجَالَاتٍ مُلَوَّنَةً بِالِإِخْتِلَاطِ وَالسُّفُورِ.

وَفِي الْوَقْتِ الَّذِي ثَبَتَ فِيهِ لِلْعَالَمِ بِشَرْقِهِ وَغَرْبِهِ مَا خَلَفَهُ إِخْتِلَاطُ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ مِنْ مُشْكَلَاتٍ لَا عِلَاجَ لَهَا إِلَّا بِالْفَضْلِ بَيْنَ الْجِنْسَيْنِ، لَا يَزَالُ كَثِيرٌ مِمَّنْ هُمْ فِي غِيَّهِمْ يَعْمَهُونَ يُصِرُّونَ عَلَى الْمُكَابَرَةِ وَالْإِفْسَادِ؛ فَفِي أَمْرِيكَا الَّتِي يَحْتَدُونَهَا فِي التَّقَدُّمِ وَالْقُوَّةِ وَالصَّنَاعَةِ صَرَّحَ رَئِيسُهَا بَوْشُ بِلُزُومِ فَضْلِ الطَّلَابِ عَنِ الطَّلِبَاتِ فِي الدِّرَاسَةِ، بَعْدَ أَنْ أُثْبِتَتِ الدَّرَاسَاتُ التَّرْبَوِيَّةُ أَنَّ إِخْتِلَاطَ الْجِنْسَيْنِ أَدَّى إِلَى ضَعْفِ التَّحْصِيلِ فِي الدِّرَاسَةِ.

وَفِي دَوْلِ الْإِتِّحَادِ الْأُورُبِّيِّ صَدَرَتْ دِرَاسَاتٌ مِيدَانِيَّةٌ وَأَبْحَاثٌ جَادَّةٌ تُثَبِّتُ أَنَّ  
أَعْظَمَ وَبَالٍ مُنِيتٌ بِهِ الْحَضَارَةُ الْمُعَاَصِرَةُ هُوَ اخْتِلَاطُ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ .  
وَفِي الشَّرْقِ الْوُثْنِيُّ عَمِلُوا عَلَى الْفَضْلِ بَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فِي الْحَافِلَاتِ  
وَالْقِطَارَاتِ، بِسَبَبِ كَثْرَةِ شِكَايَةِ النِّسَاءِ مِنْ تَحَرُّشِ الرِّجَالِ بِهِنَّ .

كُلُّ هَذَا -وَعِيزُهُ كَثِيرٌ- يُثَبِّتُ مَا تَنَعَّمُ بِهِ بِلَادُنَا -وَلِلَّهِ الْحَمْدُ- مِنْ خَيْرٍ عَظِيمٍ  
بِالْفَضْلِ بَيْنَ الْجِنْسَيْنِ فِي الدِّرَاسَةِ وَالْعَمَلِ، وَلَكِنَّ فِتَامًا مِنْ بَنِي قَوْمِنَا مِنَ  
الْمُنَافِقِينَ وَالشَّهْوَانِيِّينَ لَا يَزَالُونَ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَفْكَارٍ قَدِيمَةٍ مُتَخَلِّفَةٍ تَلَقَّوْهَا  
قَبْلَ خَمْسِينَ سَنَةً، فَاسْتَقَرَّتْ فِي عُقُولِهِمْ، وَتَغَيَّرَ الْعَالَمُ وَلَمْ تَتَغَيَّرْ عُقُولُهُمْ بَعْدُ،  
بَلْ شَابُوا عَلَى ضَلَالِهِمْ وَسَفَاهَتِهِمْ، وَلَا حِيلَةَ فِي سَفَهِ الشَّيْخِ؛ إِذْ لَا حُلْمَ بَعْدَهُ!  
وَحِينَ تُعْقَدُ الْمُؤْتَمَرَاتُ وَالْمُنْتَدِيَّاتُ الْفِكْرِيَّةُ الَّتِي تُعْنَى بِشَأْنِ الْمَرْأَةِ<sup>(٤)</sup>  
لَا يُرْشَحُونَ لَهَا مَنْ يُمَثِّلُ نِسَاءَ الْمُجْتَمَعِ مِنَ النِّسَاءِ الْمُتَعَلِّمَاتِ الْمُهَذَّبَاتِ، وَإِنَّمَا  
يَعْمِدُونَ إِلَى عَجَائِزَ لِيَبْرَالِيَّاتٍ أَضْعَفُ أَعْمَارُهُنَّ فِي الْأَفْكَارِ الضَّائِعَةِ، وَشَرِبْنَ مِنَ  
الْمُسْتَنْفَعَاتِ الْأَسِنَّةِ حَتَّى ثُمِلْنَ، وَلَا يَعْرِفْنَ عَنْ مُجْتَمَعَاتِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا أَقْلًا  
الْقَلِيلِ، فَيُطَالِنَ بِمَا يُعَارِضُ شَرَعَ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَرْفُضُهُ الْكَثَرَةُ الْكَاثِرَةُ مِنْ نِسَاءِ  
وَرِجَالِ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَشْتَكِي فِيهِ هَذِهِ الْفَصِيلَةُ مِنَ  
الْمَخْلُوقَاتِ مِنْ تَأَخُّرِ ثِقَافَةِ الْحَوَارِ، وَعَدَمِ قَبُولِ الْآخَرِ، وَهُمْ وَهْنٌ لَا يُحَاوِرُونَ  
إِلَّا أَنْفُسَهُمْ، وَلَا يَقْبَلُونَ إِلَّا مَنْ كَانَ عَلَى شَاكِلَتِهِمْ، فَأَيُّ حَوَارٍ يَدْعُونَ إِلَيْهِ؟  
وَأَيُّ آخَرٍ يَقْبَلُونَهُ؟

إِنَّهُمْ فِتَّةٌ قَلِيلَةٌ فِي النَّاسِ لَا تُمَثِّلُ إِلَّا نَفْسَهَا، وَمَعَ ذَلِكَ يُرِيدُونَ خَرَقَ سَفِينَةٍ

(٤) ومن ذلك: منتدى المرأة والألفية الذي عقد هذا الأسبوع في الرياض من ١٥-١٧

المُجْتَمَع، وإِعْرَاقَهُ فِي لُجَجٍ مِنَ الرَّدَائِلِ وَالشَّهَوَاتِ الْمُحَرَّمَةِ لَا عَافِيَةَ مِنْهَا، وَمَا  
الْبِلَادُ الْإِسْلَامِيَّةُ الَّتِي سَبَقَتْ إِلَى إِفْسَادِ الْمَرْأَةِ وَتَحْرِيرِهَا مِنْ قُيُودِ الدِّينِ  
وَالْأَخْلَاقِ إِلَّا أَمْثَلَةٌ شَاهِدَةٌ عَلَى مَا يُرِيدُ هَؤُلَاءِ الْمُفْسِدُونَ وَالشَّهَوَانِيُّونَ أَنْ  
يُوصِلُوا مُجْتَمَعَنَا وَنِسَاءَنَا إِلَيْهِ.

وَوَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يُجَاهِدَهُمْ بِمَا يَسْتَطِيعُ مِنْ فَضْحِ مُحْطَطَاتِهِمْ،  
وَكَشْفِ عَوْرَاتِهِمْ، وَتَحْذِيرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ خَطَرِ أَفْكَارِهِمْ وَأَطْرُوحَاتِهِمْ، مَعَ  
تَحْصِينِ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَفَتَيَاتِهِمْ مِنْ أَفْكَارِهِمُ الضَّالَّةِ الَّتِي يُزَوِّرُونَهَا بِزُخْرَفِ  
الْقَوْلِ، وَيُرَوِّجُونَهَا بِشَعَارَاتِ بَرَاقَةٍ تَنْظِلِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ لَا يَعْرِفُ حَقِيقَتَهُمْ،  
وَحَقِيقَةَ مَا يَدْعُونَ إِلَيْهِ مِنْ فَسَادٍ وَانْحِلَالٍ، وَلَا أَجْدُ وَضْفاً أَدَقَّ فِيهِمْ مِنْ أَنَّهِمْ:  
دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ قَدْفُوهُ فِيهَا.

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَكْفِيَ الْمُسْلِمِينَ شُرُورَهُمْ، وَأَنْ يُحْبِطَ كَيْدَهُمْ، وَأَنْ يُرِيَهُمْ  
مَا يَسُوؤُهُمْ مِنْ تَمَسُّكِ الْمُسْلِمِينَ رِجَالًا وَنِسَاءً، وَفَتَيَاتٍ وَفَتَيَانًا بِتَعَالِيمِ دِينِهِمْ،  
إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِهِ  
وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.





## ٣٧٠- نقض دعوى حرية الرأي

١٩/٢/١٤٢٨هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ خَلَقَ الْخَلْقَ فَأَحَاطَهُمْ بِقُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ، وَقَضَى فِيهِمْ بِحُكْمِهِ وَحِكْمَتِهِ ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الْقَصص: ٦٨]، نَحْمَدُهُ عَلَى جَزِيلِ عَطَائِهِ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى عَظِيمِ امْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الْقَصص: ٧٠]، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ أَرْسَلَهُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَقَضَى بِهِيْمَتَهُ دِينَهُ عَلَى كُلِّ الْأَفْكَارِ وَالْمِلَلِ، وَالْأَرَءَاءِ وَالنُّحُلِ ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الْمَائِدَة: ٤٨]، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ؛ أَنْقَى هَذِهِ الْأُمَّةَ قُلُوبًا، وَأَزَكَّهُمْ أَعْمَالًا؛ أَخْلَصُوا لِرَبِّهِمْ، وَاتَّبَعُوا نَبِيَّهُمْ، وَنَصَرُوا دِينَهُمْ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَأَوْصِيكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ ﷻ؛ فَإِنَّكُمْ فِي زَمَنِ كَثُرَتْ فِتْنَتُهُ، وَاشْتَدَّتْ مِحْنَتُهُ، وَازْدَادَتْ غُرْبَةُ الدِّينِ وَأَهْلِهِ فِيهِ، فَتَمَسَّكُوا بِدِينِكُمْ وَلَوْ تَفَلَّتِ النَّاسُ مِنْهُ، وَالزَّمُوا هَدْيَ نَبِيِّكُمْ ﷺ وَلَوْ أَحْدَثُوا فِيهِ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ يُسْأَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ عَمَلِهِ لَا عَنْ عَمَلِ غَيْرِهِ ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ④ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمُكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿[الزُّحْرُف: ٤٣، ٤٤].

أَيُّهَا النَّاسُ: يَحْتَكَمُ الْبَشَرُ فِيمَا بَيْنَهُمْ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ إِلَى مَا يَرْتَضُونَهُ مِنْ شَرِيعَةٍ أَوْ عُرْفٍ أَوْ قَانُونٍ؛ فَاتَّبَاعُ الشَّرِيعَةِ الرَّبَّانِيَّةِ لَا يَرْضَوْنَ بِغَيْرِ شَرِيعَةِ رَبِّهِمْ

حَكَمًا بَيْنَهُمْ، فَهِيَ قَانُونُهُمْ وَنِظَامُهُمْ، يَقْفُونَ عِنْدَ حُدُودِهَا، وَيَلْتَزِمُونَ قِيُودَهَا. وَأَهْلُ الشَّرَائِعِ الْمُحَرَّفَةِ أَوْ الْمُبَدَّلَةِ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ فِيمَا ارْتَضَوْهُ مِنْ شَرَائِعِهِمْ، وَالْمَلَاحِدَةُ لَهُمْ قَانُونٌ يَلْتَزِمُونَهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ، بَلْ إِنَّ جَهْلَةَ النَّاسِ مِنْ أَغْرَابِ الصَّحَرَاءِ، وَمَنْ يَعِيشُونَ فِي الْأَدْعَالِ، وَلَمْ يَطْلِعُوا عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْحَضَارَاتِ وَالْمَعَارِفِ لَهُمْ أَغْرَافُهُمْ وَأَنْظُمَتُهُمْ الَّتِي يُنْظِمُونَ بِهَا شُؤْنَهُمْ، وَيَعْرِفُ أَفْرَادُهُمْ بِوَاسِطَتِهَا حُقُوقَهُمْ، وَلَا يُوْجَدُ بَشَرٌ مَهْمَا كَانُوا لَيْسَ لَهُمْ نِظَامٌ وَلَا قَانُونٌ يَلْتَزِمُونَهُ. وَهَذَا مِنْ أَبْيَنِ الْأَدِلَّةِ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ مُقْتَرِفٌ لِلْعُبُودِيَّةِ؛ فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِخَالِقِهِ سُبْحَانَهُ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِمَخْلُوقٍ مِثْلِهِ، وَلَا يُوْجَدُ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ يُسَمَّى حُرِّيَّةً مُطْلَقَةً، لَا فِي الْأَفْعَالِ وَلَا فِي الْأَقْوَالِ، خِلَافًا لِمَا يَزْعُمُهُ الرَّاعِمُونَ مِنْ أَنَّ الْإِنْسَانَ وَلَدَ حُرًّا بِلَا قِيُودٍ عَلَيْهِ، فَلَهُ أَنْ يَدِينَ بِمَا يَشَاءُ، وَأَنْ يُفَكِّرَ كَيْفَ يَشَاءُ، وَأَنْ يَقُولَ وَيَفْعَلَ مَا يَشَاءُ، وَيَكْتُبَ وَيَنْشُرَ مَا يَشَاءُ، وَهَذِهِ كُلُّهَا دَعَاوَى عَرِيضَةٍ لَيْسَ لَهَا وُجُودٌ فِي وَاقِعِ الْبَشَرِ، لَا فِي زَمَانِنَا هَذَا وَلَا قَبْلَهُ، وَلَا فِي دَوْلِ الشَّرْقِ وَلَا فِي دَوْلِ الْغَرْبِ، بَلِ الْمَوْجُودُ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ وَفِي كُلِّ الدُّوَلِ وَعِنْدَ كُلِّ الْبَشَرِ أَنْظُمَةٌ وَقَوَانِينُ تَضْبِطُ أَقْوَالَ النَّاسِ وَأَفْعَالَهُمْ، وَلَيْسَ مِنْ حَقِّ أَحَدٍ فِي أَيِّ جُزْءٍ مِنَ الْأَرْضِ أَنْ يَقُولَ مَا يَشَاءُ، أَوْ يَفْعَلَ مَا يَشَاءُ، أَوْ يَنْشُرَ مَا يَشَاءُ. هَذَا هُوَ الْوَاقِعُ الْمُشَاهَدُ.

وَفِي شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ، لِلْعَبْدِ حُدُودٌ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ لَا يَجُوزُ لَهُ تَجَاوُزُهَا، وَإِلَّا حُوسِبَ عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧]، وَفِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وَفِي آيَةٍ ثَالِثَةٍ: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق: ١].



وَفِي الْإِسْلَامِ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَقُولَ مَا يَشَاءُ، أَوْ يَكْتُبَ مَا يَشَاءُ، أَوْ يَنْشُرَ مَا يَشَاءُ؛ فَقَدْ يَقُولُ كَلِمَةً أَوْ يَكْتُبَهَا أَوْ يَنْشُرُهَا فَيَكْفُرُ بِهَا، وَيَسْتَحِقُّ الْقَتْلَ بِسَبَبِهَا، وَقَدْ يَقُولُ الشُّوْءَ فِي شَخْصٍ فَيَجْلُدُ حَدًّا أَوْ تَعْزِيرًا. فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُسْلِمًا فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَسُبَّ اللَّهُ تَعَالَى أَوْ رَسُولُهُ ﷺ أَوْ دِينَ الْإِسْلَامِ، وَإِلَّا اسْتَحَقَّ الْقَتْلَ. وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَقْذِفَ بِالشُّوْءِ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَإِلَّا عُوقِبَ، هَكَذَا يُؤَاخِذُ الْإِنْسَانُ بِمَا يَقُولُ وَبِمَا يَكْتُبُ، مُسْلِمًا كَانَ أَمْ كَافِرًا.

وَالرَّأْيُ أَوْ الْكَلِمَةُ الَّتِي يَزْعُمُ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ الْإِنْسَانَ حُرٌّ فِيهَا قَدْ تُودِي بِالْإِنْسَانِ إِلَى النَّارِ، وَتَسْتَجْلِبُ غَضَبَ الْجَبَّارِ جَلًّا وَعَلَا، وَهِيَ مُجَرَّدُ كَلِمَةٍ أَوْ رَأْيٍ قَالَهُ؛ كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ يَنْزِلُ بِهَا فِي النَّارِ أَبَعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَفِي لَفْظٍ لِلتِّرْمِذِيِّ: «يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

وَلَمَّا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ أَنْ يَكْفُوا أَلْسِنَتَهُمْ عَمَّا لَا يَنْفَعُ مِنَ الْكَلَامِ، قَالَ لَهُ مُعَاذُ ﷺ: «وَأَنَا لُمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ! وَهَلْ يَكُتُبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في الرقاق، باب حفظ اللسان (٦١١٢-٦١١٣)، ومسلم في الزهد والرقائق، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار (٢٩٨٨)، والترمذي في الزهد، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس (٢٣١٤)، وابن ماجه في الفتن، باب كف اللسان في الفتنة (٣٩٧٠).

(٢) أخرجه من حديث معاذ ﷺ: الترمذي في الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة وقال: حديث حسن صحيح (٢٦١٦)، والنسائي في الكبرى (١١٣٩٤)، وابن ماجه في الفتن، باب كف اللسان في الفتنة (٣٩٧٣)، وعبد الرزاق (٢٠٣٠٣)، وأحمد (٢٣١/٥)، والطيالسي (٥٦٠)، وعبد بن حميد (١١٢)، والطبراني في الكبير (٧٣/٢٠) رقم =

وَفِي كُلِّ قَوَانِينِ الْبَشَرِ الْوَضْعِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ ضَوَابِطٌ لِمَا يُقَالُ وَمَا يُكْتَبُ وَمَا يُنْشَرُ، وَعُقُوبَاتٌ لِتَجَاوُزِ هَذِهِ الضَّوَابِطُ، خِلَافًا لِمَا يَزْعُمُهُ دُعَاةُ الْحُرِّيَّةِ بِأَثْوَابِهَا الْغَرْبِيَّةِ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ؛ وَلِذَا قَرَنُوا فِي تَعْرِيفَاتِهِمْ لِلْحُرِّيَّةِ بَيْنَ الْحُرِّيَّةِ وَالْمَسْئُولِيَّةِ، وَجَعَلُوا حُرِّيَّةَ الشَّخْصِ تَنْتَهِي عِنْدَ حُرِّيَّةِ الْآخَرِ، وَجَعَلُوا مِنْ ضِمْنِ الْأَذَى الْمَمْنُوعِ فِي بَابِ حُرِّيَّةِ الرَّأْيِ: الْأَذَى بِالْقَوْلِ أَوْ الْكِتَابَةِ؛ كَالْكَذِبِ عَلَى الْأَشْخَاصِ، أَوْ التَّمِيمَةِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، أَوْ نَشْرِ إِشَاعَةٍ مُغْرِضَةٍ تَضُرُّ بَعْضَهُمْ، وَقَوَانِينُهُمْ تُعَاقِبُ عَلَى كُلِّ هَذِهِ التَّصَرُّفَاتِ الَّتِي يُسَمُّونَهَا غَيْرَ مَسْئُولَةٍ، وَلَا يُجِيزُونَهَا بِدَعْوَى حُرِّيَّةِ الرَّأْيِ أَوْ حُرِّيَّةِ الْكِتَابَةِ وَالنَّشْرِ. وَكَمْ سَمِعْنَا مِنْ قَضَايَا رُفِعَتْ عَلَى أَقْوَامٍ تُسَمَّى دَعَاوَى التَّشْهِيرِ.

وَلَوْ صَاحَ بِالنَّاسِ إِنْسَانٌ فِي أَكْبَرِ بِلَادِ الدُّنْيَا حُرِّيَّةً أَنْ حَرِيقًا قَدْ اشْتَعَلَ بِالْقُرْبِ مِنْهُمْ، أَوْ أَنْ قُنْبَلَةً قَدْ وُضِعَتْ فِي طَائِرَتِهِمْ، وَكَانَ كَاذِبًا مُتَعَمِّدًا لِلْكَذِبِ لَعُوقِبَ عَلَى ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ مِنْ بَابِ الْأَذَى لِلنَّاسِ وَتَرْوِيْعِهِمْ، وَالْإِزْعَاجِ لِلسُّلْطَاتِ الْمَسْئُولَةِ، وَلَا تَشْفَعُ دَعْوَى حُرِّيَّةِ الرَّأْيِ، أَوْ مَحَبَّةِ الْمِرَاحِ لِصَاحِبِهَا فِي مِثْلِ ذَلِكَ، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَعْتَدِ عَلَى أَحَدٍ لَا يَقُولُ وَلَا يَفْعَلُ.

وَكُلُّ دَوْلَةٍ فِيهَا مِنَ الْقَوَانِينِ مَا يُجْرِمُ إِفْشَاءَ الْأَسْرَارِ لِلدُّوَلِ الْأُخْرَى، وَقَدْ

= (١٣٧)، وصححه الحاكم وقال: على شرط الشيخين (٤٤٧/٢).

وأعله الحافظ ابن رجب بعلتين:

الأولى: أنه من رواية أبي وائل - رحمه الله تعالى - عن معاذ رضي الله عنه ولم يثبت سماعه منه، وإن أدركه بالسن مع اختلاف بلديهما.

الثانية: أنه يرويه حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن شهر بن حوشب عن معاذ رضي الله عنه. قال الدارقطني: وهو أشبه بالصواب؛ لأنه حديث معروف من رواية شهر على اختلاف عليه فيه. قال ابن رجب: رواية شهر عن معاذ مرسله يقيناً، وشهر مختلف في توثيقه وتضعيفه. جامع العلوم والحكم (٢٦٩/١).

تَصِلُ عُقُوبَةُ ذَلِكَ إِلَى الْقَتْلِ، مَعَ أَنَّ مُفْشِيَ الْأَسْرَارِ لَمْ يَتَجَاوَزْ إِلَّا أَنْ قَالَ قَوْلًا، أَوْ كَتَبَ كِتَابًا نَبَذَهُ إِلَى مَنْ يَنْتَفِعُ مِنْهُمْ.

وَلَوْ شَهِدَ شَاهِدٌ عَلَى قَضِيَّةٍ ثُمَّ اتَّضَحَ كَذِبُهُ فِي شَهَادَتِهِ لَعَاقَبْتُهُ كُلُّ قَوَائِنِ الْقَضَاءِ فِي الْأَرْضِ، شَرِيعَةً كَانَتْ أَمْ وَضْعِيَّةً، مَعَ أَنَّهُ بِشَاهِدَتِهِ لَمْ يَخْرُجْ عَنْ إِطَارِ الْقَوْلِ، وَبَعْضُ النَّاسِ قَدْ يَكُونُ مُوَلَّعًا بِشَهَادَةِ الزُّورِ، أَوْ يَتَأَكَّلُ بِهَا، وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ إِنَّ شَهَادَةَ الزُّورِ تَجُوزُ مِنْ بَابِ حُرِّيَةِ الرَّأْيِ<sup>(٣)</sup>.

وَفِي الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ تُنَمَّعُ الْكُتُبُ، وَتُحَجَّبُ الْمَقَالَاتُ، وَتَقَيَّدُ حُرِّيَةُ الرَّأْيِ وَالْكِتَابَةِ وَالنَّشْرِ إِذَا خَالَفَتْ سِيَاسَةَ الْمُهَيِّمِينَ عَلَى الْأَحْزَابِ الْمُتَنَفِّذَةِ، أَوْ كَانَ فِيهَا فَضْحٌ لِمُمَارَسَاتِهِمْ، أَوْ تَجِيِشٌ لِلْجَمَاهِيرِ ضِدَّهُمْ، أَوْ كَانَ فِيهَا مَا يُعَكِّرُ عَلَى مَشَارِعِهِمُ الْإِسْتِعْمَارِيَّةَ.

وَفِي الدَّوْلَةِ اللَّيْبَرَالِيَّةِ الْأُولَى فِي الْعَالَمِ مَنَعُوا كِتَابَ الْخَدِيعَةِ الْكُبْرَى<sup>(٤)</sup>؛ لِمَا فِيهِ مِنْ تَشْكِيكِ فِيمَا يُعْرَفُ بِأَحْدَاثِ سِبْتَمْبَرِ، مَعَ أَنَّهُ لَا يَعْدُو أَنْ يَكُونَ رَأْيًا رَأَاهُ صَاحِبُهُ، وَحَلَّلَ الْحَدَّثَ بِمُوجِبِ رَأْيِهِ.

وَلَمَّا وَقَفَتِ الصَّحَفِيَُّّةُ الْأَمْرِيكِيَّةُ رِيْتِشِلْ كُورِي أَمَامَ بِلْدُوزَرِ يَهُودِيٍّ فِي مُحَاوَلَةٍ مِنْهَا لِمَنْعِ سَائِقِهِ مِنْ تَدْمِيرِ مَنْزِلِ فِلَسْطِينِيٍّ، فَدَهَسَهَا الْبِلْدُوزَرُ عَنْ عَمْدٍ ثُمَّ عَادَ إِلَى

(٣) ينظر: سخافة التعلل بحرية التعبير، د. شيخ جعفر إدريس، مجلة البيان، عدد (٢٢٣) ص(٣٢).

(٤) كتاب الخديعة الكبرى ألفه الصحفي الفرنسي، تيري ميسان، وفكرته تقوم على أن أحداث سبتمبر صنعتها أمريكا وخدعت العالم بها؛ لتمرير سياسات معينة، وتبرير غزوها للدول الأخرى، وذكر عددًا من الأدلة على ذلك، وأيد كلامه في مقابلة تلفزيونية إلى أن الإدارة الأمريكية منعت محاكمة جادة في هذه العملية وخلفياتها، وأن عائلات الضحايا التي استلمت تعويضًا طلب منهم أن يوقعوا على وثيقة يتنازلون فيها عن حقوقهم في رفع دعوى أمام محكمة أمريكية جنائية أو مدنية. وكتابه المذكور ممنوع من البيع في أمريكا.

الْخَلْفَ لِيَذْهَبَهَا مَرَّةً أُخْرَى، لَمَّا فَعَلْتَ ذَلِكَ وَفَقَدْتَ حَيَاتَهَا -ثَمَّنَّا لِمَوْقِفِهَا الشُّجَاعِ- تَفَاعَلْتَ مَعَهَا زَمِيلَةً لَهَا، فَأَرَادَتْ أَنْ تَعْمَلَ مَسْرَحِيَّةً بِاسْمِهَا، فَمِئَعَتْ مِنْ ذَلِكَ فِي بِلَادِ الْحُرِّيَّةِ الَّتِي يُؤْمُّهَا دُعَاةُ الْحُرِّيَّةِ عِنْدَنَا، وَهَذَا الْمَنْعُ الَّذِي يُعَدُّ اغْتِيَالًا لِحُرِّيَّةِ الرَّأْيِ، عُلِّقَ عَلَيْهِ أَشْهُرُ الصَّحَفِيِّينَ الْإِنْجِلِيزِ سَاخِرًا وَهُوَ يَقُولُ: كَانَتْ شَجَاعَةُ رِيْشِلُ مِنْ النَّوعِ الْخَطِّ، وَكَانَتْ تُدَافِعُ عَنْ حُرِّيَّةِ الشَّعْبِ الْخَطِّ<sup>(٥)</sup>.

وَبَاحِثَةُ أَمْرِيكِيَّةٌ نَضْرَانِيَّةٌ دَرَسَتْ كُتُبَ الشَّيْخِ الْمُجَدِّدِ ابْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-، وَخَلَصَتْ فِي مُقَابَلَةٍ لَهَا إِلَى أَنْ كُتِبَ الشَّيْخِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- لَا عَلاَقَةَ لَهَا بِمَا يَجْرِي فِي الْأَرْضِ مِنْ عُنْفٍ وَإِرْهَابٍ، خِلَافًا لِمَا يُرَوِّجُهُ زَنَادِقَةُ الْعَصْرِ، فَاتُّهِمَتْ بِأَنَّهَا وَهَابِيَّةٌ وَهِيَ نَضْرَانِيَّةٌ، وَلَمْ تَشْفَعْ لَهَا حُرِّيَّةُ الرَّأْيِ، وَكُونُهَا بَاحِثَةٌ مُتَجَرِّدَةٌ فِي ذَلِكَ<sup>(٦)</sup>.

(٥) قائل ذلك هو الصحفي البريطاني المشهور (روبرت فيسك) وهو الذي كتب عن قصة صاحبة المسرحية الممنوعة وهي بعنوان (اسمي ريتشل كوري)، ومنتجة المسرحية (روبال كورت)، وذكر في نفس مقالته: أن صديقه (انتوني لونسينستين) وهو صحفي وأكاديمي يهودي استرالي قد تم التضيق عليه بسبب كتاب له عن الصراع الفلسطيني الإسرائيلي. وذكر أنه وصلته رسالة من الإسرائيلية الأمريكية (باربارة جولة شيدر) ذكرت فيها أنها تتعرض لهجوم شديد بسبب أنها اختارت عنواناً عربياً لروايتها عن الصراع الفلسطيني الإسرائيلي وعنوان روايتها (النكبة: الصراع الفلسطيني الإسرائيلي).

وذكر فيسك في مقالته أن له مقالة عن حرب لبنان سحبت من النشر، واعتذر منه الناشر بأنه لا يقوى على نشرها خوفاً من الملاحقة القضائية، ثم ختم مقالته بعد أن أورد الأمثلة السابقة من كبت حرية الرأي والبحث بقوله: علي أن أتذكر أن درجة الإهانة والتهديدات المباشرة التي يتعرض لها أي شخص يجروء على انتقاد إسرائيل قد ارتفعت إلى حد كبير، إن محاولة إجبار الصحافة على إطاعة قوانين وقواعد إسرائيل أصبحت دولية وتتنامى باستمرار. اهـ من الإندبندنت. ومنقول إلى صحيفة الوطن، الجمعة ١٧/٢/١٤٢٧هـ.

(٦) هي الدكتورة ناتانا دي لونج، ورسالتها الدكتوراه في الشيخ محمد بن عبد الوهاب =

وَلَنْ يَجِدَ أَيُّ سَائِحٍ أَوْ بَاحٍ فِي كُلِّ الْبِلَادِ الْغَرِبَةِ الَّتِي هِيَ قَبْلَهُ حُرِّيَّةُ الرَّأْيِ فِي هَذَا الْعَصْرِ أَيَّ كِتَابٍ يُشَكِّكُ فِي الْمَحَارِقِ النَّازِيَّةِ لِلْيَهُودِ، أَوْ يُقَلِّلُ مِنْ خَسَائِرِهَا، أَوْ يُوجِدُ مُسَوِّغَاتٍ لَهَا، وَلَوْ سَوَّلَتْ لِكَاتِبٍ غَرِيبٍ نَفْسُهُ أَنْ يَبْحَثَ عَنْ حَقِيقَةِ ذَلِكَ، وَيَنْشُرُهُ عَلَى النَّاسِ لَكَانَ مَصِيرُهُ الْمُحَاكَمَةَ وَالسَّجْنَ، وَلَحُوسِبَتْ دَارُ النُّشْرِ الَّتِي تَنْشُرُ لَهُ، وَلَسُحِبَ كِتَابُهُ مِنَ الْأَسْوَاقِ تَحْتَ دَعْوَى مُعَادَاةِ السَّامِيَّةِ، مَعَ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَخْرُجُ عَنْ مُجَرَّدِ الرَّأْيِ وَالْبَحْثِ. وَقَدْ أُوذِيَ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ عَدَدٌ مِنَ الْبَاحِثِينَ وَالْمُؤَرِّخِينَ وَالصَّحَفِيِّينَ الْغَرِيبِينَ.

وَفِي الْبِلَادِ الْأُولَى فِي الْحُرِّيَّةِ فُصِّلَتْ مُؤَرَّخَةٌ أَمْرِيكِيَّةٌ مِنْ مَجْلِسِ النُّوَابِ لِمُجَرَّدِ أَنَّهَا قَالَتْ: وَجْهَةٌ نَظَرِ النَّازِيِّينَ بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنْ عَدَمِ شَعْبِيَّتِهَا لَا تَزَالُ وَجْهَةٌ نَظَرٍ، وَلَا تَأْخُذُ حَقَّهَا فِي التَّعْبِيرِ<sup>(٧)</sup>.

وَفِي كَنْدَا حَكَمَ قَاضٍ عَلَى امْرَأَةٍ بِالسَّجْنِ مَدَى الْحَيَاةِ؛ لِأَنَّهَا ذَبَحَتْ زَوْجَهَا بِسِكِّينٍ، ثُمَّ عَلَّقَ عَلَى بَشَاعَةِ جَرِيمَتِهَا بِقَوْلِهِ: لَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ الْمَرْأَةَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَكُونَ أَكْثَرَ عُنْفًا مِنَ الرَّجُلِ، حَتَّى النَّازِيُّ لَمْ يُعَدِّبْ ضَحَايَاهُ الْيَهُودَ قَبْلَ قَتْلِهِمْ. فَثَارَتْ ثَوْرَةُ الْجَمْعِيَّاتِ النَّسُوبِيَّةِ وَالْيَهُودِيَّةِ عَلَيْهِ حَتَّى أَفْقَدَتْهُ مَنْصِبُهُ، بِسَبَبِ هَذَا التَّعْلِيلِ

= -رحمه الله تعالى-، وقد قرأت أهم كتب الشيخ ومنها: كتاب التوحيد، وكشف الشبهات، وكثيراً من فتاواه ورسائله، وخلصت إلى أن ابن تيمية وابن عبد الوهاب وسيد قطب -رحمهم الله تعالى- لا تحوي كتبهم أي مواد متطرفة أو تدعو إلى العنف، وقد ذكرت ذلك في مقابلة لها مع صحيفة الشرق الأوسط في ١٢/١٢/١٤٢٧هـ أثناء زيارتها للمملكة، ثم علمت من أحد الإخوة الفضلاء أن اللوبي الصهيوني تحرك ضدها في أمريكا بسبب هذه المقابلة، وأنها أُوذيت وهددت حتى همت بالاعتذار عما قالت، لولا أنها استشارت من أوصاها بأن لا تتعجل في الاعتذار.

(٧) انظر: حرية التعبير في الغرب .. الحقيقة والوهم، د. أحمد محمد الدغشي، مجلة البيان عدد (٢٢٢) ص(٦٠) وقد ذكر أمثلة كثيرة جداً على انتهاكات الغربيين لحرية الرأي والنشر، فيحسن الرجوع إليه لمن يهمله الموضوع.

الْبَسِيطِ الَّذِي لَا يَخْرُجُ عَنْ كَوْنِهِ رَأْيًا رَأً<sup>(٨)</sup>.

وَحُوسِبَ أَسْتَاذُ جَامِعِي فِي فَرَنْسَا؛ لِأَنَّهُ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ الْأَرْمَنُ قَدْ تَعَرَّضُوا  
لِلْإِبَادَةِ جَمَاعِيَّةً عَلَى أَيْدِي الْقُوَاتِ الْعُثْمَانِيَّةِ فِي الْقَرْنِ الْفَائِتِ<sup>(٩)</sup>.

وَكَمْ مِنْ كُتُبٍ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ صُودِرَتْ، وَمَقَالَاتٍ حُجِبَتْ، وَمَسْرَحِيَّاتٍ  
أُلْغِيَتْ! وَكَمْ مِنْ كُتَابٍ حُوسِبُوا وَسُجِنُوا عَلَى قَضَايَا فِكْرِيَّةٍ، وَأَرَءِ رَأَوْهَا،  
وَلَا سِيَّمَا إِذَا تَعَلَّقَ ذَلِكَ بِالْيَهُودِ وَتَارِيخِهِمْ!

وَقَدْ بَانَ بِهَذِهِ الْحَوَادِثِ - وَغَيْرِهَا كَثِيرٌ - أَنَّهُ لَا يُوجَدُ حُرِّيَّةٌ مُطْلَقَةٌ فِي الْكِتَابَةِ  
وَالنَّشْرِ وَالرَّأْيِ فِي أَيِّ مَكَانٍ فِي الْأَرْضِ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ فِي الْعَرَبِ قَدْ يُجْرَمُ  
وَيُعَاقَبُ عَلَى رَأْيٍ رَأً، أَوْ كِتَابٍ أَصْدَرَهُ، أَوْ مَقَالٍ نَشَرَهُ، أَوْ قَوْلٍ أَدَاعَهُ إِذَا  
خَالَفَ قَوَانِينَهُمْ، أَوْ أزعَجَ الْمُتَنَفِّذِينَ فِي بِلَادِهِمْ.

وَالْمُسَوِّقُونَ لِضَاعَتِهِمُ الرَّدِيئَةِ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ يُرَدِّدُونَ خَلْفَهُمْ كَالْبُلْهِ  
وَالْمَعَاتِيهِ مَا يُلْقُونَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ دُرُوسِ الْحُرِّيَّةِ، دُونَ نَظَرٍ أَوْ مُنَاقَشَةٍ أَوْ سُؤَالٍ عَمَّا  
يَنْتَهِكُونَهُ هُمْ مِنْ حُرِّيَّاتِ الرَّأْيِ وَالنَّشْرِ، إِذَا لَمْ تَتَوَافَقَ مَعَ أَهْوَائِهِمْ.

وَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ حَجْمُ مَنْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ مُفَكِّرُونَ وَمُتَقَفُّونَ، وَيَتَنَفِّخُونَ عَلَى النَّاسِ  
بِالْقَابِهِمُ الَّتِي لَا تُسَاوِي شَيْئًا أَمَامَ الْحَقَائِقِ، وَهُمْ يَسْتَوِرِدُونَ أَسْوَأَ الْبُضَائِعِ  
الْعَرَبِيَّةِ؛ لِيَفْرِضُوهَا فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ بِالْإِسْتِبْدَادِ وَالْكَذِبِ وَالتَّخْوِيفِ.

حَمَى اللَّهُ تَعَالَى بِلَادَنَا وَبِلَادَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ شَرِّهِمْ وَكَيْدِهِمْ، وَرَدَّهُمْ عَلَى  
أَعْقَابِهِمْ خَاسِرِينَ؛ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ.

وَأَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ ...

(٨) تنظر قصة ذلك في المصدر السابق.

(٩) المصدر السابق.

## الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ؛ اضْطَفَانَا مِنْ عِبَادِهِ مُؤْمِنِينَ، وَجَعَلَنَا مِنْ خَيْرِ أُمَّمِ الْعَالَمِينَ، نَحْمَدُهُ عَلَى مَا اضْطَفَانَا وَاجْتَبَانَا، وَنَشْكُرُهُ عَلَى مَا أَوْلَانَا وَأَعْطَانَا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ اهْتَدَى بِهَدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى وَأَطِيعُوهُ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ وَبَشِيرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: يَعْتَقِدُ الْمُؤْمِنُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْخَالِقُ الْمُدَبِّرُ، لَهُ الْأَمْرُ وَلَهُ الْحُكْمُ فِي خَلْقِهِ، لَا رَادَّ لِأَمْرِهِ وَلَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ، وَأَمَّا الْبَشَرُ فَهُمْ عِيدٌ مَخْلُوقُونَ؛ فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ حُدُودٌ يَنْتَهُونَ إِلَيْهَا وَلَا يُجَاوِزُونَهَا فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَأَفْكَارِهِمْ، وَلَكِنَّ الرِّيَاضَةَ يَرْفُضُونَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا الْإِنْسَانَ مَرْكَزَ الْكَوْنِ وَالْمُتَصَرِّفَ فِيهِ بِمَا يَشَاءُ، وَتِلْكَ هِيَ الْفِكْرَةُ الَّتِي انْطَلَقَ مِنْهَا مَلَا حِدَةُ الْغَرْبِ، ثُمَّ تَلَقَّفَهَا عَنْهُمْ مَلَا حِدَةُ الْعَرَبِ؛ لِيُيْحُوا لِلْإِنْسَانِ بِهَا فِعْلَ مَا يَشَاءُ، وَقَوْلَ مَا يَشَاءُ، وَاعْتِقَادَ مَا يَشَاءُ، وَأَيُّ قِيُودٍ دِينِيَّةٍ أَوْ أَخْلَاقِيَّةٍ أَوْ عُرْفِيَّةٍ عَلَى ذَلِكَ فَهِيَ مَرْفُوضَةٌ عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْمَلَا حِدَةِ؛ لِأَنَّهَا تُعَارِضُ الْحُرِّيَّةَ الْمُقَرَّرَةَ عِنْدَهُمْ، الْمَبْنِيَّةَ عَلَى فِكْرَةِ تَأْلِيهِ الْإِنْسَانِ، وَكَوْنِهِ مَرْكَزَ الْكَوْنِ.

إِنَّهُمْ يَصِيحُونَ فِي مُجْتَمَعَاتِهِمْ وَعَلَى حُكُومَاتِهِمْ يُطَالِبُونَهُمْ بِحُرِّيَّةِ الرَّأْيِ، وَحُرِّيَّةِ النَّسْرِ، وَتَحْطِيمِ الْقِيُودِ الرَّقَابِيَّةِ عَلَى مَا يَنْشُرُونَهُ مِنْ قَبَحِ أَفْكَارِهِمْ، وَرَدِّغَةِ شَهَوَاتِهِمْ؛ سَوَاءً كَانَتْ قِيُودًا دِينِيَّةً أَمْ سِيَاسِيَّةً أَمْ أَخْلَاقِيَّةً، مُسْتَشْهِدِينَ بِدَسَاتِيرِ الْغَرْبِ وَمُنْظَمَاتِهِ الْحَقُوقِيَّةِ، وَكَأَنَّهَا الْحَقُّ الَّذِي لَا بَاطِلَ فِيهِ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ بَانَ لَنَا أَنَّ

حُرِّيَّةَ الرَّأْيِ وَالنَّشْرِ فِي الْبِلَادِ الْغَرِيبَةِ لَا تَخْلُو مِنْ انْتِقَائِيَّةٍ ظَالِمَةٍ، وَلَيْسَتْ مُطْلَقَةً مِنْ كُلِّ الْفُيُودِ.

ثُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُنْحَرِفِينَ الَّذِينَ ابْتُلِيَتْ بِهِمْ أُمَّةُ الْإِسْلَامِ يُمَارِسُونَ مَا هُوَ أَبْسَعُ مِنْ انْتِقَائِيَّةِ الْعَرَبِ، فَلَا يَسْمَحُونَ لِأَحَدٍ بِانْتِقَادِهِمْ وَلَا مُنَاقَشَةِ أَفْكَارِهِمْ، وَلَا مَنَعَ حَبَالِهِمْ، وَيَفْرِضُونَ فِكْرَهُمُ الْحَيْثَ عَلَى جُمْهُورِ الْمُسْلِمِينَ بِأَشَدِّ جَرَائِمِ التَّزْوِيرِ وَالْإِسْتِدَادِ، وَالْإِفْصَائِيَّةِ وَالْإِزْهَابِ.

إِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ لَا يَرْتَضُونَ فِي بَابِ حُرِّيَّةِ الرَّأْيِ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ، وَالتَّشْهِيرَ بِهِمْ، وَبَثَّ الشَّائِعَاتِ الْمُغْرِضَةَ ضِدَّهُمْ، وَهُمْ يَقْتَرُونَ الْكَذِبَ عَلَى الْعُلَمَاءِ وَالِدُّعَاةِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُشْهَرُونَ بِهِمْ، وَيَخْتَلِقُونَ الْإِشَاعَاتِ عَلَيْهِمْ.

وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ لَا يُبِيحُونَ فِي بَابِ الْحُرِّيَّاتِ أَذْيَةَ الْغَيْرِ وَلَوْ بِالرَّأْيِ، وَأَيُّ أَذَى أَعْظَمُ مِنْ أَذْيَتِهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي رَبِّهِمْ جَلَّ جَلَالُهُ، وَقَدْ رَوَّجُوا لِكُتُبِ انْتِقَادِهِ، وَزَعَمَ مَوْتَهُ وَالْإِنْتِصَارَ عَلَيْهِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ إِفْكِهِمْ عُلُوءًا كَبِيرًا، وَأَذَوْا الْمُؤْمِنِينَ فِي الْمَلَائِكَةِ وَالرُّسُلِ ﷺ فَفَسَحُوا لِكُتُبِ السُّخْرِيَّةِ بِهِمْ، وَتَكْذِيبِهِمْ، وَأَذَوْا الْمُؤْمِنِينَ فِي شَرِيعَةِ رَبِّهِمْ فَمَلَأُوا مَعْرِضَهُمْ بِكُتُبِ الطَّعْنِ فِيهَا وَانْتِقَاصِهَا وَرَدَّهَا وَتَكْذِيبِهَا وَتَحْرِيفِهَا<sup>(١٠)</sup>.

نَاهِيكُمْ عَنْ رِوَايَاتِ الْإِثْمِ وَالْفُجُورِ، وَكُتُبِ الْعُهْرِ وَالشُّذُودِ، وَدَوَاوِينِ الْفِسْقِ وَالْمُجُونِ لِأَشْهَرِ زَنَادِقَةِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، تُعَرِّضُ لِلْمُرَاهِقِينَ وَالْمُرَاهِقَاتِ، وَالنِّسَاءِ وَالرِّجَالِ، وَكَأَنَّهُمْ يُسَوِّقُونَ بِضَاعَتَهُمُ الْفَاسِدَةَ فِي قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ تَعَالَى وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَكَأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا

(١٠) هذا إشارة إلى المعرض الدولي للكتاب الذي نظمته وزارة الإعلام في مركز المعارض في الرياض، ولم يكن فيه رقابة على كتب الفجور والإلحاد والشهوات حتى بيعت فيه كتب وروايات ممنوعة في معرض القاهرة الذي هو أكثر المعارض انفتاحًا.



وَإِذَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ نَهَى عَنْ سَبِّ آلِهَةِ الْمُشْرِكِينَ مَعَ اسْتِحْقَاقِهَا لِلْسَّبِّ؛  
لِئَلَّا يَسُبُّوا اللَّهَ تَعَالَى ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ

عَلَيْهِ ﴿[الأنعام: ١٠٨]﴾؛ فَكَيْفَ إِذَا بِإِجَازَةِ الْكُتُبِ الَّتِي تَسُبُّ اللَّهَ تَعَالَى وَمَلَائِكَتَهُ وَكُتُبَهُ وَرُسُلَهُ؛ لَتَأْخُذَ مَوَاقِعَهَا فِي بُيُوتِ الْمُسْلِمِينَ وَمَكْتَبَاتِهِمْ؟! نَعُودُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ الْهَوَى وَالضَّلَالِ، وَنَسْأَلُهُ الْهُدَى وَالرَّشَادَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا قَالُوا وَمِمَّا فَعَلُوا وَمِمَّا نَشَرُوا، اللَّهُمَّ إِنْ أَنْزَلْتَ عَذَابًا بِسَبَبِ مَا فَعَلُوا فَخُصِّصْهُمْ بِهِ وَلَا تَجْعَلْهُ عَامًّا عَلَى عِبَادِكَ.

اللَّهُمَّ احْفَظْ بِلَادَنَا وَبِلَادَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كَيْدِ الْكَائِدِينَ، وَفَسَادِ الْمُفْسِدِينَ، وَتَرْبُصِ الْمُتَرْبِّصِينَ، وَرُدِّهِمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ خَاسِرِينَ، أَنْتَ مَوْلَانَا فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ.



## ٣٧١- الحرب الدينية والحرب القومية

١٢/١/١٤١٩هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]،  
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ الْفِتْنَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ تَتَلَا حَقٌّ، تُصِيبُ أَقْوَامًا فَيَنْحَرِفُونَ، وَيُثَبِّتُ اللَّهُ تَعَالَى أَقْوَامًا فَلَا يَتَزَعَّزَعُونَ، وَمِنْ أَعْظَمِ الْفِتَنِ: إِطْبَاقُ الْمَلَلِ شَتَّى عَلَى حَرْبِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ هُمْ يَرُسِفُونَ فِي أَغْلَالِ الذَّلِّ وَالْهَوَانِ، بِسَبَبِ التَّفْرِيطِ فِي الدِّينِ، وَالْخَلَلِ فِي التَّوْحِيدِ، وَالْبُعْدِ عَنِ الشَّرِيعَةِ، مِمَّا يَجْعَلُهُمْ مَظْمَعًا لِلظَّالِمِينَ، وَهَدَفًا لِلْحَاقِدِينَ، وَمَرْمًى لِلْمُتَرَبِّصِينَ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا مُضْدَاقًا لِلْخَبَرِ النَّبَوِيِّ الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ رَسُولُنَا ﷺ قَبْلَ أَرْبَعَةِ عَشَرَ قَرْنًا، حِينَمَا قَالَ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ، كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ عَلَى فَصْعَتِهَا» فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةِ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُنَاءٌ كَغُنَاءِ السَّيْلِ، وَلَكِنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْدِرَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ» فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ

اللَّهُ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ<sup>(١)</sup>.

إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ عَلَّمَ مِنْ أَعْلَامِ النَّبَوَّةِ؛ فَلَقَدْ نَزَعَتْ مَهَابَةُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ، وَمَعَ كَثَرَتِهِمْ فَهُمْ غَنَاءُ كَغَنَاءِ السَّيْلِ، وَأَحْبُوا الدُّنْيَا وَتَنَافَسُوهَا، بَلْ تَقَاتَلُوا عَلَيْهَا، وَكَرِهُوا الْمَوْتَ فَعَظَلُوا الْجِهَادَ، وَرَاحُوا يُعْلَقُونَ ضَعْفَهُمْ وَعَجْزُهُمْ عَلَى غَيْرِهِمْ، وَجَعَلُوا حَرْبَهُمْ مَعَ عَدُوِّهِمْ حَرْبًا سِيَاسِيَّةً أَوْ اقْتِصَادِيَّةً أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ لَا عِلَاقَةَ لَهَا بِالدِّينِ، وَوَاللَّهِ مَا ذُلُّوا إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَبْعَدُوا الدِّينَ عَنْ مَيْدَانِ الْمَعْرَكَةِ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ الْعَدُوُّ يَنْطَلِقُ فِيهَا مِنْ أَصُولِ دِينِيَّةٍ بِخَلْفِيَّاتٍ تَارِيخِيَّةٍ.

إِنَّ مُحَضَّصَ الْحَقِيقَةِ فِي صِرَاعِنَا مَعَ الْيَهُودِ وَأَعْوَانِهِمْ كَفَانَا الْقُرْآنُ مُؤَنَّةً اسْتِكْنَاهَا؛ حَيْثُ رَاحَتْ سِيَاقَاتُهُ تُكْرِسُ الْمَفَاصِلَةَ الْعَقْدِيَّةَ، نَعَمْ، الْمَفَاصِلَةَ الْعَقْدِيَّةَ لَيْسَ غَيْرُ، وَتَمْنَحُنَا آيَاتُهُ بُعْدًا صَحِيحًا فِي فَهْمِ الْعَقْلِيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ ضِمْنَ رُؤْيٍ مُسْتَقْبَلِيَّةٍ<sup>(٢)</sup>. ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَى حَتَّى تَبِيعَ بِلْتَمِهِمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

هَذِهِ هِيَ الْحَقِيقَةُ الْقُرْآنِيَّةُ أَنَّ الصَّرَاعَ صِرَاعَ عَقَائِدَ، وَلَكِنَّ الْعَرَبَ سَحَبُوا إِلَى الْمَعْرَكَةِ الْحَرَبِيَّةِ وَالسَّلْمِيَّةِ بِفَضْلِ تَامٍ عَنِ الدِّينِ، وَبِالتَّنَادِي عَلَى الْقَوْمِيَّةِ، وَنَجَحَ

(١) أخرجه من حديث ثوبان رضي الله عنه: أبو داود في الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام (٤٢٩٧)، وأحمد (٢٧٨/٥)، وأبو نعيم في الحلية (١/١٨٢)، والبخاري في شرح السنة (٤٢٢٤)، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة من طريقين، ثم قال: فالحديث بمجموع الطريقين صحيح عندي (٩٥٨).

(٢) في موسم الجفاف يجتث نخلنا وينمو غرقدهم، خالد بن صالح السيف، مجلة البيان، عدد (٤٩) ص (٥٤).

الْيَهُودُ فِي هَذَا الْبَثْرِ، وَصَرَّحُوا بِهَذَا النَّجَاحِ قَبْلَ عَشْرِينَ عَامًا مِنَ الْيَوْمِ؛ حَيْثُ جَاءَ فِي إِحْدَى صُحُفِهِمُ الْمَشْهُورَةِ: «إِنَّ عَلَى وَسَائِلِ إِعْلَامِنَا أَنْ لَا تَتَّسَى حَقِيقَةُ هَامَّةٍ هِيَ جُزْءٌ مِنْ اسْتِرَاطِيَجِيَّةِ إِسْرَائِيلَ فِي حَرْبِهَا مَعَ الْعَرَبِ، هَذِهِ الْحَقِيقَةُ هِيَ أَنَّ قَدْ نَجَحْنَا بِجُھُودِنَا وَجُھُودِ أَصْدِقَائِنَا فِي إِبْعَادِ الْإِسْلَامِ عَنْ مَعْرَكَتِنَا مَعَ الْعَرَبِ طَوَالَ ثَلَاثِينَ عَامًا، وَيَجِبُ أَنْ يَبْقَى الْإِسْلَامُ بَعِيدًا عَنِ الْمَعْرَكَةِ إِلَى الْأَبَدِ؛ وَلِهَذَا يَجِبُ أَلَّا نَغْفَلَ لَحْظَةً وَاحِدَةً عَنْ تَنْفِيذِ خُطَّتِنَا فِي مَنْعِ اسْتِيقَاطِ الرُّوحِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِأَيِّ شَكْلِ وَبِأَيِّ أُسْلُوبٍ...» اهـ<sup>(٣)</sup>.

وَإِذَنْ فَإِنَّ أخطرَ شَيْءٍ يَخْشَاهُ الْيَهُودُ أَنْ تَتَحَوَّلَ حَرْبُهُمْ مَعَ الْعَرَبِ إِلَى حَرْبٍ بَيْنَ الْيَهُودِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ، وَقَدْ سَاوَرَهُمُ الْقَلَقُ مِنْ ذَلِكَ حِينَمَا قَالَ مَسْئُولٌ مِنْهُمْ: «إِنَّ الَّذِي يُثِيرُ قَلَقَنَا هُوَ أَنَّ مَوَاقِفَ الْعَرَبِ دَاخِلَ إِسْرَائِيلَ بَدَأَتْ تَتَحَوَّلُ مِنْ مَوَاقِفَ مَبْنِيَّةٍ عَلَى قَاعِدَةٍ قَوْمِيَّةٍ إِلَى مَوَاقِفَ تَسْتَنِدُ إِلَى قَوَاعِدَ دِينِيَّةٍ» اهـ<sup>(٤)</sup>.

إِنَّ الْيَهُودَ يُرِيدُونَ أَنْ تَكُونَ الْحَرْبُ بَيْنَ الْيَهُودِيَّةِ وَالْقَوْمِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ أَوْ الْكُنْعَانِيَّةِ، لَا يُرِيدُونَ أَنْ تَكُونَ بَيْنَ الْيَهُودِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ مَهْمَا كَلَّفَ الْأَمْرُ، وَقَدْ نَجَحُوا نَجَاحًا مُدْهَشًا فِي ذَلِكَ، حَيْثُ كَانَ مَسْئُولٌ قَوْمِيٌّ عَرَبِيٌّ يَصِيحُ بِجَمَاهِيرٍ تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ الْحَرْبُ دِينِيَّةً قُبِيلَ الْهَزِيمَةِ الَّتِي سُمِّيتْ نَكْسَةً، فَيَقُولُ: دَعُونَا مِنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَصَلَّاحِ الدِّينِ، لَا تُثِيرُوهَا حَرْبًا دِينِيَّةً<sup>(٥)</sup>. وَكَانَتْ كَوَكْبُهُمْ تَصْدَعُ مُعْنِيَّةً، فِي وَقْتِ

(٣) صحيفة: يديعوت أحرنوت، بتاريخ ١٨/٣/١٩٧٨ م عن الإسلام والعلمانية وجهًا لوجه، للدكتور يوسف القرضاوي (٢٢١).

(٤) كما في صحيفة هآرتس اليهودية في ٢ شباط ١٩٧٩ م، عن الإسلام والعلمانية وجهًا لوجه (٢٢٥).

(٥) ينظر كتاب: رحلة الضياع للإعلام العربي المعاصر، ليوسف العظم (٦٣).

كَانَ الدِّمُّ الْعَرَبِيُّ يَسِيلُ بِغَزَارَةٍ، وَقُوَّاتُهُ تَنْدَحِرُ عَلَى أَيْدِي الْيَهُودِ<sup>(٦)</sup>.

وَلَا زَالَتِ الصَّفَعَاتُ تَتَابَعُ عَلَى الْوَجْهِ الْعَرَبِيِّ، وَالتَّعْطُرُ الْيَهُودِيُّ يَزْدَادُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، وَيَنْتَشِي وَهُوَ يُمَسِّكُ بِزِمَامِ الْمُبَادَرَةِ، وَيَفْرُضُ قُوَّتَهُ وَإِرَادَتَهُ. نَحْتَاجُ إِلَى أَنْ نُنْذِرَ بِشِعَارِ قَادَةِ الْيَهُودِ أَيَّامَ حَرْبِهِمْ لِلْقَوْمِيِّينَ الْعَرَبِ، الَّذِي كَانَ يَقُولُ: أَنَا أُحَارِبُ إِذَنْ أَنَا مُوجُودٌ، أَنَا أَسَالِمُ إِذَنْ أَنَا أُخَالِفُ شَرِيعَةَ التَّلْمُودِ<sup>(٧)</sup>.  
كَانَ هَذَا شِعَارَ قَادَتِهِمْ آنَ ذَاكَ.

وَفِي هَذِهِ الْأَيَّامِ يَحْتَفِلُ الْيَهُودُ بِمُرُورِ خَمْسِينَ عَامًا عَلَى إِعْلَانِ دَوْلَةِ إِسْرَائِيلَ، تِلْكَ الدَّوْلَةُ الْمَسْنُوحَةُ الَّتِي زَرَعَتْهَا أَحْقَادُ الْغَرْبِ، بَيْنَمَا تَعَاهَدَتْهَا بِالرِّيِّ وَالنَّمَاءِ أخطاءُ الْعَرَبِ.

فَمَا كَانَتْ إِسْرَائِيلُ لِبَقْيَى وَتَعْلُو، أَوْ لِتُوجَدَ أَضْلًا لَوْلَا سِلْسِلَةٌ مِنْ أخطاءٍ تَتَرَادَفُ، وَخطايا تَتَرَاكُمُ، وَلَوْلَا تَعَمُّدُ الْعَرَبِ أَنْ يُفْرِغُوا هَذَا الصَّرَاعَ مِنْ مُحْتَوَاهُ الْإِعْتِقَادِيِّ وَخَلْفِيَّتِهِ الدِّينِيَّةِ مِنْ جَانِبِنَا، فِي مُقَابِلِ تَعَمُّدِ الْيَهُودِ أَنْ يَصْبُغُوا حَرْبَهُمْ بِالصَّبْغَةِ الْعَقَائِدِيَّةِ فِي كُلِّ جُزْئِيَّاتِهِ، فَاسْمُ الدَّوْلَةِ (إِسْرَائِيلُ)، وَرَمْزُهَا (نِجْمَةُ دَاوُدَ)، وَدُسْتُورُهَا (التَّوْرَةُ وَالتَّلْمُودُ)، وَشِعَارُهَا (أَرْضُ المِيعَادِ)، وَحُلْمُهَا التَّارِيخِيُّ (إِعَادَةُ بِنَاءِ هَيْكَلِ سُلَيْمَانَ فِي أُورُشَلِيمَ الْقُدْسِ)، فَكُلُّ جُزْءٍ مِنْهَا عَقِيدَةٌ وَدِينٌ، أَمَّا بَنُو قَوْمِنَا فَتَحَّتِ الرَّايَاتِ الْعِلْمَانِيَّةُ الْمُتَعَدِّدَةَ قَدْ جَدُّوا وَاجْتَهَدُوا فِي إِبْعَادِ الْإِسْلَامِ عَنِ الْمَعْرَكَةِ، وَإِقْصَاءِ الْقُرْآنِ عَنْ تَوْجِيهِهَا، وَتَنْجِيَةِ الْعَقِيدَةِ الْحَقَّةِ عَنْ مُوَاجَهَةِ الْعَقِيدَةِ الْبَاطِلَةِ، فَكَانَتِ النَّيْجَةُ نَكْسَةً مِنْ بَعْدِ نَكْسَةٍ، وَذُلًّا تَبِعَهُ ذُلٌّ<sup>(٨)</sup>.

(٦) المصدر السابق (٧٨).

(٧) اليهود وتذكرة قبل أن نفقد الذاكرة، للدكتور رمضان حافظ (١٨٥).

(٨) بتصرف من: الصراع العربي الإسرائيلي تحت الرايات العلمانية خمسون عامًا من الفشل، عبد العزيز كامل، مجلة البيان عدد (١١٥) ص (٦٨).

إِنَّ الْخَمْسِينَ عَامًا الْمَاضِيَةَ مِنَ الصَّرَاحِ بِجَمِيعِ فُضُولِهَا وَمَسَرَّحِيَّاتِهَا، وَفِي كُلِّ مَرَّاحِلِهَا فِي حَرْبِهَا وَسَلْمِهَا، وَاتِّفَاقَاتِهَا وَمُعَاهِدَاتِهَا لَتَدُلُّ عَلَى تَفَوُّقِ الْمَشْرُوعِ الْيَهُودِيِّ التَّوْرَاتِيِّ التِّلْمُودِيِّ، وَفَشَلِ الْمَشْرُوعِ الْعَرَبِيِّ الْقَوْمِيِّ الْعِلْمَانِيِّ، فَحَقٌّ لِلْيَهُودِ أَنْ يَحْتَفِلُوا بِتَدْنِيسِ الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ خَمْسِينَ عَامًا، وَإِقَامَةِ دَوْلَتِهِمُ الَّتِي مَا عَرَفَتْ إِلَّا الْمَدَّ وَالتَّوَسُّعَ، وَالْقَتْلَ وَالْدَّمَارَ خِلَالَ الْخَمْسِينَ عَامًا الْمَاضِيَةَ، تَحْتَ وَابِلِ قَذَائِفِ الْعَرَبِ الْكَلَامِيَّةِ، وَقَنَابِلِهِمُ اللَّفْظِيَّةِ الَّتِي كَانَ مِنْهَا: الْقِتَالُ حَتَّى آخِرِ قَطْرَةٍ مِنَ الدَّمِ، وَتَحْرِيرُ كُلِّ شِبْرٍ مِنَ الْأَرْضِ، وَالنِّصَالُ لِتَحْرِيرِ كُلِّ حَبَّةٍ مِنَ الرَّمْلِ، وَأَبْوَأُفُهُمُ الَّتِي كَانَتْ تُزْمَجُرُ وَتَعُدُّ بِالْقَاءِ إِسْرَائِيلَ فِي الْبَحْرِ، هَذِهِ الشُّعَارَاتُ الَّتِي مَا حَرَّرَتْ أَرْضًا، وَلَا أَعَادَتْ حَقًّا، وَلَا صَانَتْ عِرْضًا.

وَبَعْدَ خَمْسِينَ عَامًا مِنَ الصَّرَاحِ يُطْرَحُ هَذَا السُّؤَالُ: هَلْ حَقًّا ضَاعَتْ الْقُدُسُ بِلا رَجْعَةٍ كَمَا يُرَوِّجُ الْغَرْبُ وَمِنْ وَرَائِهِمُ الْعِلْمَانِيُّونَ؟!

كَلَّا وَاللَّهِ! لَنْ يَسْتَمِرَّ ضَيَاعُهَا، فَرَعَمَ مَظَاهِرِ الْقِتَامَةِ وَالْعَتَامَةِ الَّتِي تُوجِي بِهَا مَشَاهِدُ الْحَاضِرِ الْمَهْزُومِ، وَالْمُسْتَقْبَلِ الْغَامِضِ الْمَأْزُومِ، وَرَعَمَ تَكْدُسِ مَعَالِمِ الْفَشَلِ الْعَرَبِيِّ الْقَوْمِيِّ فِي ظِلِّ الْعِلْمَانِيَّةِ الْمُتَسَلِّطَةِ الْمُنْهَزِمَةِ، رَعَمَ كُلِّ هَذَا فَإِنَّا -مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ- نَرَى مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا، وَنُصْرًا عَظِيمًا، تَوَهَّجَتْ أَنْوَارُهُ، لِتُكْشَفَ عَنْ رَايَاتِ أَمَلٍ تَخْفِقُ فِي سَمَاءِ مَدِينَةِ الْأَنْبِيَاءِ الْقُدُسِ الشَّرِيفِ، لَيْسَ هَذَا تَحَدُّثًا مِنْ مُنْطَلَقِ السِّيَاسَةِ الْقَاصِرَةِ، وَلَا مِنْ مُنْطَلَقِ خُرَافَةِ ذَاهِلَةٍ، وَلَا هُوَ مِنْ مُعْطِيَّاتِ الْوَاقِعِ الْمَرِيرِ الْيَائِسِ، وَلَكِنَّهَا رُوحٌ مِنَ الْأَمَلِ الدَّافِعِ لِلْعَمَلِ الَّذِي تَعْرِسُهُ فِينَا -أَهْلُ الْإِسْلَامِ- حَقَائِقُ الْوَحْيِ الرَّبَّانِيِّ، وَهَدَايَاتُ السُّنَّةِ الْخَاتَمَةِ، نَعَمْ! لَنْ تَضِيعَ الْقُدُسُ؛ لِأَنَّ الَّذِي أَكْرَمَهَا بِسَكَنِ الْأَنْبِيَاءِ لَنْ يُدِيمَهَا سَكَنًا لِقَتْلَةِ الْأَنْبِيَاءِ<sup>(٩)</sup>.

(٩) لا لن تضيع القدس، عبد العزيز كامل، مجلة البيان عدد (١١٣) ص(٩٣).

وَأِنَّا -مَعَشَرَ الْمُؤْمِنِينَ- لَنَسْتَبْشِرُ دَائِمًا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ، يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ»<sup>(١٠)</sup>.

وبهذا الحديث نُمَرِّقُ غِشَاءَ التَّشَاؤُمِ، وَنُحَرِّقُ أَسْبَالَ الْهَزِيمَةِ، وَنُتْلِفُ أَعْمَةَ الْجُبْنِ وَالْهَوَانِ، كُلُّ ذَلِكَ نَسْتَدْعِيهِ بِأَسْبَابِ التَّمَكِينِ، وَأَدَوَاتِ النَّصْرِ عَلَى امْتِدَادِ أَجْيَالِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَوَمَهَا يَنْضَمُّ الْحَجَرُ وَالشَّجَرُ مَعَ الْمُسْلِمِ لِقِتَالِ الْيَهُودِ الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ إِلَّا الْغَرْقَدَ وَحْدَهُ؛ حَيْثُ يُحَالِفُ الْيَهُودَ فَلَا يُخْبِرُ عَنْهُمْ خِيَانَةً وَعَدْرًا، فَأَيُّ سَلَامٍ مَعَ أَقْوَامٍ هَذِهِ طِبَاعُ شَجَرِهِمْ؟! هَلْ يَسْلُمُونَ مِنَ الْخِيَانَةِ وَمَا سَلِمَ مِنْهَا غَرْقَدُهُمْ؟!

إِنَّ إِرْهَاصَاتِ قُرْبِ هَذَا الْوَعْدِ النَّبَوِيِّ تَتَكَاثَرُ وَتَتَوَارَدُ؛ حَيْثُ سَخَّرَ اللَّهُ ﷻ الْيَهُودَ لِرِاعَةِ الْغَرْقَدِ حَوْلَ الْمُسْتَوْطِنَاتِ الَّتِي أَقَامُوهَا عَلَى أَرْضِ فَلَسْطِينَ عَلَى هَيْئَةِ أَسْوَارٍ نَبَاتِيَّةٍ مَانِعَةٍ؛ لِأَنَّ لَهُ أَشْوَكَاً قَوِيَّةً حَادَّةً<sup>(١١)</sup> تَحْمِي الْيَهُودَ، وَتُوَمِّنُ جُبْنَهُمْ، وَتُهْدِي رَوْعَهُمْ.

فَالْوَعْدُ قَرِيبٌ، وَلَكِنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى عَوْدَةٍ صَادِقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بِفَهْمِ سَلَفِ الْأُمَّةِ، وَحِينَهَا يَكُونُ النَّصْرُ ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١]، ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ ..

(١٠) أخرجه البخاري في الجهاد، باب قتل اليهود (٧٥١٦)، ومسلم في الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء (٢٩٢٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١١) الموسوعة في علوم الطبيعة، إدوار غالب (٢٠٣)، عن: مجلة البيان عدد (٤٩) ص (٥٧).



## الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ، حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، أَحْمَدُهُ وَأَشْكُرُهُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ مِنَ الْإِنْحِطَاطِ الْعَرَبِيِّ، وَالتَّزْوِيرِ الْإِعْلَامِيِّ الَّذِي يَحْجُبُ نَصْرَ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَجْعَلُ الْيَهُودَ وَأَعْوَانَهُمْ فِي غَايَةِ التَّمَكُّنِ وَالْقُوَّةِ: طَرَحَ الدِّينَ، وَالتَّنَادِيَّ عَلَى الْقَوْمِيَّةِ الْبَغِيضَةِ، وَالتَّعَصُّبَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ، حِينَمَا يُفْجَعُ الْإِعْلَامُ الْعَرَبِيُّ بِهَلَاكِ شَاعِرِ الْإِلْحَادِ وَالزُّنْدَقَةِ، وَأَدِيبِ الْجِنْسِ وَالْإِبَاحِيَّةِ<sup>(١٢)</sup>، فَتَسْوَدُّ صَحَائِفُهُمُ السُّودُ بِبُكَائِهِ وَرِثَائِهِ، وَخَلَعَ الْأَلْقَابِ الْعَظِيمَةِ عَلَيْهِ، وَإِخْفَاءِ حَقِيقَتِهِ؛ إِمْعَانًا فِي تَسْطِيحِ عَقْلِ الْقَارِي وَالْمُشَاهِدِ، وَإِيغَالًا فِي التَّضْلِيلِ وَالْخِدَاعِ.

لَقَدْ رَضَعَ هَذَا الشَّاعِرُ الْهَالِكُ لَبَنَ الْإِسْتِعْمَارِ حَتَّى ارْتَوَى فَلَمْ يَعُدْ يُعْجِبُهُ إِلَّا لَبَنُهُ، وَلَمْ يَعُدْ يَتَذَوَّقُ إِلَّا فُنُونَهُ، وَلَمْ يَعُدْ يُعْرِيه إِلَّا أَفْكَارُهُ وَمَذَاهِبُهُ فِي الْحَيَاةِ<sup>(١٣)</sup> الَّتِي أُسِّسَتْ عَلَى الْكُفْرِ وَالْإِلْحَادِ.

كَانَ مِنْ أَمْرِهِ قَرِيبًا أَنَّهُ انْبَهَرَ بِعَمَلِيَّةِ الْإِسْتِنْسَاخِ الشَّهِيرَةِ، فَسَجَلَ بِرِيشَتِهِ الْإِلْحَادِيَّةِ مَقَالََةً يَحَادُّ اللَّهَ تَعَالَى فِيهَا؛ حَيْثُ قَالَ أَخْزَاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَعَامَلَهُ بِمَا يَسْتَحِقُّ: وَمَعْنَاهُ أَنَّ الْعُلَمَاءَ بَدَّؤُوا بِتَحْدِي السَّمَاءِ. وَمَعْنَى هَذَا: أَنَّ الْإِنْسَانَ لَمْ يَعُدْ لَهُ رَبٌّ يُؤْمَنُ بِهِ، وَيَرْكَعُ فِي مَحْرَابِهِ، وَيُصَلِّي لَهُ، وَيَطْلُبُ رِضَاهُ وَغُفْرَانَهُ؛

(١٢) هو الشاعر نزار قباني، قد توفي في يوم الجمعة الموافق ١٤١٩/١/٥ هـ، وقد طبل له الإعلام العربي، خاصة الصحافة والفضائيات.

(١٣) ينظر: الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد، د. أحمد بسام ساعي (١١٣-١١٤).

لِأَنَّ الْمُخْتَبَرَاتِ الْعِلْمِيَّةَ أَخَذَتْ مَكَانَ الرَّبِّ ... إِلَى أَنْ قَالَ: كَانَ أَسْهَلَ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَسْتَعْمَلَ قَالِبًا وَاحِدًا لِصِنَاعَةِ الْبَشَرِ مِثْلَمَا تَفْعَلُ مَصَانِعُ الْبَلَاطِ وَالْقَرَامِيدِ وَالْأَحْذِيَّةِ وَالْمَلَابِسِ الْجَاهِزَةِ!!<sup>(١٤)</sup>. تَعَالَى اللَّهُ عَنْ قَوْلِهِ عُلُوءًا كَبِيرًا. وَتَأَمَّلُوا اسْتَهْزَاءَهُ بِخَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ سُبْحَانَهُ؛ إِذْ يَقْيِسُهَا بِصِنَاعَةِ الْأَحْذِيَّةِ وَالْمَلَابِسِ الْجَاهِزَةِ.

كَانَ رَافِضًا لِلْعَرَبِيَّةِ، سَاخِرًا مِنْهَا يُسَمِّيهَا اللَّغَةَ الْمُتَعَجَّرَةَ<sup>(١٥)</sup>. كَمَا كَانَ يُصْرِّحُ بِرَفْضِهِ لِكُلِّ مَا هُوَ شَرْعِيٌّ وَيَقُولُ: أَنَا ضِدُّ الشَّرْعِيَّةِ بِكُلِّ صُورِهَا<sup>(١٦)</sup>، وَأَمَّا إِسْهَامُهُ الْكَبِيرُ فِي هَذِهِ الْأُسْرَةِ وَامْتِهَانِ الْمَرْأَةِ، فَإِنَّهُ سَحَرَ قَلَمَهُ لِذَلِكَ مُعْظَمَ حَيَاتِهِ، وَيَكْفِي فِي ذَلِكَ مَقُولَتُهُ الْكُفْرِيَّةُ: لَوْ كُنْتُ حَاكِمًا لَأَلْعَيْتُ مُؤَسَّسَةَ الزَّوْاجِ، وَخَتَمْتُ أَبْوَابَهَا بِالشَّمْعِ الْأَحْمَرِ!<sup>(١٧)</sup>. وَقَوْلُهُ أَخْزَاهُ اللَّهُ تَعَالَى: الْعُرْيُ أَكْثَرُ حِشْمَةٍ مِنَ التَّسْتُرِ<sup>(١٨)</sup>.

وَيَنْقُمُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ عَدَمَ قَبُولِهِمْ تَهْتِكُهُ وَاسْتِخْفَافَهُ فَيَقُولُ: شُعْرَاءُ الْغَزَلِ الْحِسِّيِّ فِي أَوْرُبَا وَكُتَابُ الرِّوَايَاتِ الْمَسْرُوحَةِ لَا يَخُوضُونَ حَرْبًا صَلِيبِيَّةً مَعَ مُجْتَمَعِهِمْ كَمَا يَخُوضُهَا الْكُتَّابُ الْعَرَبُ<sup>(١٩)</sup>.

وَهُوَ فِي حَدِيثِهِ عَنِ الْمَرْأَةِ لَا يَتَعَلَّقُ إِلَّا بِالْجَسَدِ عَلَى نَحْوِ عَنِيفٍ مِنَ الْإِبْغَالِ فِي مَفَاهِيمِ الْإِسْتِهْيَاءِ وَالْإِفْتِتَانِ؛ إِذْ يَغْتَبِرُ الْجِنْسَ هُوَ الْحَيَاةُ كُلُّهَا، يَلْعَنُ فِي شِعْرِهِ

(١٤) نشر مقاله في جريدة الحياة يوم ١١/٥/١٤١٧هـ.

(١٥) موسوعة مقدمات العلوم والمناهج، أنور الجندي (٥٦٦/٤).

(١٦) المصدر السابق (٥٦٦/٤)، وينظر: دراسات في الأدب العربي الحديث، د. مصطفى هدارة (١٣٥).

(١٧) الصحافة والأقلام المسمومة، أنور الجندي (١٦٨).

(١٨) المصدر السابق (١٦٨).

(١٩) قصتي مع الشعر، لنزار قباني (١٣٤)، ودراسات في الأدب العربي الحديث (١٤١).

المرأة، ويثور عليها، ويرفض الالتزام بمجتمعها وقيمه، ويسخر من الموضوعات الاجتماعية، ويدعو إلى لون من الفوضى والإباحية<sup>(٢٠)</sup>.

والواقع أن شاعرهم الذي احتفوا به وبالعوا في تأيينه ورثائه ما هو إلا نبأ أجنبي مسموم، يحاول أن يسوق شعره عن المرأة جملة من المفاهيم الفاسدة المنحلة التي يطمع النفوذ الغربي أن تنتشر في بلاد المسلمين، وتصبح من المسلمات عند الشباب الجديد، حينما يشرح جسد المرأة على قارعة الطريق وفق شريعة الغاب الحيوانية، وأكثر شعره كان مادة موائد السكارى والمخمورين واللاهين والعابثين<sup>(٢١)</sup>.

فأين هي الموضوعية في التناول الإعلامي المحلي والعربي، والصدق في المعلومة، وأمانة الكلمة؟ يا ترى هل يرضى مسلم تلميحه لو سمع زندقته وإلحاده؟!

كلاً! ولكن تأبى بعض الأفلام والأصوات إلا تسطيح عقل القارئ والسامع، وممارسة أفبح صور التضييل والخداع برفع شأن الكفرة والزنادقة والمتردين، وتجاهل أعلام المسلمين من العلماء والمجاهدين، بل والنبل منهم على غرار فعل الصهاينة والصليبيين.

هلك شاعرهم الزنديق غير مأسوف عليه، إلا عند أشباه الرجال والشهوانيين والمنافقين، لا رحمه الله تعالى ولا عفا عنه، ولا غفر له ..

اللهم إن شاعرهم الهالك قد تطاول عليك وعلى شريعتك فعامله بما يستحق

(٢٠) موسوعة مقدمات العلوم والمناهج (٥٦٦/٤).

(٢١) كما يعترف بذلك في كتابه: قصتي مع الشعر؛ حيث ذكر أن قصيدته (نهداك) كان الطلبة العراقيون يسكرون عليها على ضفاف دجلة. واللبنانيون كانوا يمزونها على موائد العرق في زحلة. ينظر: قصتي مع الشعر (٩٥)، ودراسات في الأدب العربي الحديث (١٤٧).

فِي قَبْرِهِ، وَعِنْدَ نَشْرِهِ وَحَشْرِهِ، اللَّهُمَّ مَنْ أَحَبَّهُ وَرَثَاهُ وَهُوَ يَعْلَمُ حَالَهُ فَاحْشُرْهُ مَعَهُ،  
وَمَنْ أَحَبَّهُ أَوْ رَثَاهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ حَالَهُ فَاعْفِرْ لَهُ وَارْزُقْهُ التَّوْبَةَ وَالْإِنَابَةَ، وَاهْدِ ضَالَّ  
الْمُسْلِمِينَ، وَاحْفَظْ بِلَادَنَا مِنْ كَيْدِ الْكَائِدِينَ، وَسِهَامِ الْحَاقِدِينَ، وَاحْفَظْ عُقُولَنَا  
مِنَ التَّضْلِيلِ، وَقُلُوبَنَا مِنَ الزَّيْغِ وَالضَّلَالِ.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا  
تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].



## القضايا الإسلامية

- ٣٧٢- الاعتداء على المسجد الأقصى.
- ٣٧٣- طبيعة الصراع على بيت المقدس.
- ٣٧٤- كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله.
- ٣٧٥- ولتعلن علوًا كبيرًا.
- ٣٧٦- بين التجمع اليهودي والتفرق العربي.
- ٣٧٧- علاقة النصارى بالمسلمين.
- ٣٧٨- حقوق الأسرى في الإسلام.
- ٣٧٩- مأساة البوسنة (١).
- ٣٨٠- مأساة البوسنة (٢).
- ٣٨١- الشرق الإسلامي بين المشروع الروماني والطمع الفارسي.
- ٣٨٢- الدولة الصفوية (١) نشأتها، عقيدتها، جرائمها.
- ٣٨٣- الدولة الصفوية (٢) اختطاف قضية فلسطين.



## ٣٧٢- الاعتداء على المسجد الأقصى

١٤٢٨/١/٢٨ هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى؛ أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَقَضَى بِأَنْ يَكُونَ مَوْطِنَ أَكْثَرِ الْأَنْبِيَاءِ، نَحْمَدُهُ عَلَى فَضْلِهِ وَإِنْعَامِهِ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ لَا رَادَّ لِأَمْرِهِ وَلَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ خَتَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ النَّبُوَّةَ وَالرَّسَالَةَ، وَأَوْجَبَ عَلَى الْبَشَرِ تَصَدِيقَهُ وَاتِّبَاعَهُ، وَقَضَى بِأَنْ يَكُونَ دِينُهُ ظَاهِرًا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، بِطَائِفَةِ مُؤْمِنَةٍ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ؛ أَقَامُوا الدِّينَ، وَنَصَرُوا الشَّرِيعَةَ، وَصَانُوا الْمُقَدَّسَاتِ، وَعَظَّمُوا الْحُرُمَاتِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَأَوْصِيكُمْ -يَا أَيُّهَا النَّاسُ- وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى؛ فَلَقَدْ كَثُرَتْ ذُنُوبُنَا، وَعَظُمَتْ آثَامُنَا؛ فَكَانَتْ سَبَبَ ذُلِّنَا، وَتَسَلُّطِ الْأَعْدَاءِ عَلَيْنَا، وَاعْتِدَائِهِمْ عَلَيْنَا مُقَدَّسَاتِنَا، وَأَذِيَّتِهِمْ لِإِخْوَانِنَا، فَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ ذُنُوبِكُمْ؛ كَشْفًا لِعُصِيَّتِكُمْ، وَنَصْرًا لِأُمَّتِكُمْ، وَرَفْعًا لِدُلُكُمُ، وَجَلْبًا لِنَصْرِ رَبِّكُمْ ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [مُحَمَّد: ٧].

يَا أَيُّهَا النَّاسُ: الْحَيْدَةُ عَنْ مَنْهَجِ اللَّهِ تَعَالَى سَبَبٌ لِلتَّخَبُّطِ وَالضِّيَاعِ، وَتَعْطِيلِ شَرِيعَتِهِ عَنْوَانُ الْفَسْلِ وَالنِّزَاعِ. وَالْعَرَبُ أُمَّةٌ مَا اجْتَمَعَتْ إِلَّا فِي الْإِسْلَامِ، وَلَا يَفَرِّقُهَا إِلَّا تَرْكُهُ، وَلَا حُلُولَ لِمُشْكَلاتِهَا إِلَّا بِشَرِيعَتِهِ. وَلَقَدْ كَانَ كَافِيًا لِلْأُمَّةِ مَا تَجَرَّعَتْهُ خِلَالَ الْعُقُودِ الْمَاضِيَةِ مِنْ تَجَارِبِ مُخْزِيَةٍ مَرَّةٍ، وَاسْتِجْلَابِ حُلُولِ

مُسْتَوْدَعَةٌ مَا زَادَتْ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا ضَعْفًا وَذُلًّا وَتَفَرُّقًا.

وَقَضِيَّةُ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى هِيَ الْقَضِيَّةُ الْفَاضِحَةُ الَّتِي فَضَحَتْ عَجَزَ الْمُسْلِمِينَ فِي هَذَا الْعَصْرِ عَنْ حَلِّهَا، وَأَبَانَتْ عَنْ ذُلِّهِمْ وَهَوَانِهِمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ؛ إِذْ ظَلُّوا نِصْفَ قَرْنٍ وَزِيَادَةً أَلْعُوبَةَ بَيْنَ الدُّوَلِ الْكُبْرَى، وَالْمُنْظَمَاتِ الْأُمَمِيَّةِ، يَتَقَادَفُونَ قَضِيَّتَهُمْ كَمَا يَتَقَادَفُ الصَّبِيَّانِ كُرْتَهُمْ!!

وَفِي هَذِهِ الْأَيَّامِ يَضِجُ الْعَالَمُ الْإِسْلَامِيُّ، وَتُحَذَّرُ دَوْلُهُ وَمُنْظَمَاتُهُ مِنْ مَسَاسِ الْيَهُودِ بِالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَقَدْ بَدَأَتْ جَرَافَاتُهُمْ تَعْمَلُ عَمَلَهَا فِي مُحِيطِهِ؛ إِذْ يَشْهَدُ جِسْرُ بَابِ الْمَعَارِبَةِ الْقَرِيبِ مِنْ حَائِطِ الْبِرَاقِ بِالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الْمُبَارَكِ عَمَلِيَّاتٍ هَذِمَ وَتَغَيَّرَ، وَيُذَكَّرُ أَنَّ الْهَدَفَ الْحَقِيقِيَّ مِنْ هَذِهِ الْعَمَلِيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ هُوَ بِنَاءُ كَنِيسٍ دَاخِلِ الْحَائِطِ الْغَرْبِيِّ لِلْمَسْجِدِ، بِمَا يَغْنِي تَحْوِيلَ مَسْجِدِ الْبِرَاقِ إِلَى كَنِيسٍ لِلْمُصَلِّيَّاتِ الْيَهُودِيَّاتِ.

وَلَيْسَ هَذَا هُوَ الْإِغْتِدَاءُ الْأَوَّلُ عَلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى؛ إِذْ سَبَقَهُ إِغْتِدَاءَاتٌ كَثِيرَةٌ مِنْذُ الْإِخْتِلَالِ، هَدَفُهَا النَّهَائِيُّ: هَذِمُ مَسْجِدِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَصَلَّى فِيهِ كُلُّ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ، وَتَحْوِيلُهُ إِلَى هَيْكَلٍ يَهُودِيٍّ يُبْنَى عَلَى الشَّعَائِرِ الشَّرِكِيَّةِ، وَالنَّبُوءَاتِ الْخُرَافِيَّةِ.

وَالدَّوْلَةُ الْيَهُودِيَّةُ الصَّهْيُونِيَّةُ مَا زُرِعَتْ فِي فَلَسْطِينَ إِلَّا لِأَجْلِ هَذَا الْهَدَفِ الَّذِي يَلْتَقِي عَلَيْهِ صَهَابِنَةُ الْيَهُودِ مَعَ صَهَابِنَةِ النَّصَارَى، وَأُذِيبَتْ فِي سَبِيلِهِ الْخِلَافَاتُ التَّارِيخِيَّةُ، وَالنِّزَاعَاتُ الدِّينِيَّةُ بَيْنَ الْأُمَمَيْنِ الضَّالَّتَيْنِ: الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.

إِنَّ الْأَرْضَ الْمُبَارَكَةَ فِي الشَّامِ الَّتِي بُورِكَتْ بِالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى لَهَا تَارِيخٌ طَوِيلٌ مِنَ النَّزَاعِ حَوْلَ هَذِهِ الْبُقْعَةِ، تَقَاتَلَتْ لِأَجْلِهِ جُيُوشٌ، وَفَنِيَتْ فِي سَبِيلِهِ أُمَمٌ، وَتَنَازَعَ عَلَيْهِ أُمَّةُ الْحَقِّ وَأُمَمُ الْبَاطِلِ مِنْذُ فَتْحِهِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا، وَالْمَلَا حِمُّ الْكُبْرَى



فِي آخِرِ الزَّمَانِ سَتَكُونُ فِي الْأَرْضِ الْمُبَارَكَةِ، وَفِي أَكْثَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ .  
لَقَدْ كَانَتْ حَادِثَةُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ، وَإِمَامَةُ النَّبِيِّ ﷺ بِالْأَنْبِيَاءِ ﷺ فِي  
الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى إِعْلَانًا بِأَحَقِّيَّةِ الْمُسْلِمِينَ بِهَذِهِ الْأَرْضِ الْمُبَارَكَةِ؛ لِأَنَّ دِينَهُمْ هُوَ  
دِينُ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ، وَالْأَرْضُ الْمُبَارَكَةُ هِيَ أَرْضُ الْأَنْبِيَاءِ، فَكَانَ أَتْبَاعُ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ  
أَحَقُّ بِهَا مِنَ الْأَعْدَاءِ، وَأَعْدَاءُ الْأَنْبِيَاءِ هُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، وَكُلُّ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ  
بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ قَدْ أَقْرَأُوا لَهُ بِالرِّسَالَةِ، وَصَلُّوا  
خَلْفَهُ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ لَوْ بَعِثَ وَهُمْ أَحْيَاءَ لَيُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرُنَّهُ ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ  
مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ  
لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ  
فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ  
الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٨١، ٨٢].

فَوَصَفَ اللَّهُ تَعَالَىٰ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنِ الْإِيمَانِ بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِالْفُسْقِ، فَهَلْ  
يَسْتَحِقُّ أَهْلُ الْفُسْقِ أَنْ يَبْقُوا فِي الْبِلَادِ الَّتِي بَارَكَهَا اللَّهُ تَعَالَىٰ؟!  
وَلِأَجْلِ ذَلِكَ سَعَى الْمُسْلِمُونَ فِي السَّنَوَاتِ الْأُولَىٰ مِنَ الْخِلَافَةِ لِفَتْحِ بَيْتِ  
الْمَقْدِسِ وَتَظْهِيرِهِ مِنْ رِجْسِ عَبْدِ الصَّلِيبِ وَشُرَكَاهُمْ، وَسِيرَتِ الْجُيُوشِ لِلشَّامِ فِي  
عَهْدِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَتَّى سَقَطَتْ فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ، فَسَافَرَ الْخَلِيفَةُ مِنَ الْمَدِينَةِ  
لِاسْتِلَامِ مَفَاتِيحِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، وَلَمْ يُبْنَ عَنهُ أَحَدًا فِي هَذِهِ الْمِهْمَةِ الْجَلِيلَةِ؛  
مِمَّا يَدُلُّ عَلَى مِيزَةِ هَذَا الْفَتْحِ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الْفَتْوحِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْكَثِيرَةِ<sup>(١)</sup>.

لَقَدْ فُتِحَتْ فِي عَهْدِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سُورِيَّةٌ وَهِيَ عَاصِمَةُ هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، وَأَكْبَرُ  
دَوْلَةٍ فِي الْأَرْضِ آنَ ذَاكَ، وَمَا سَارَ الْخَلِيفَةُ إِلَيْهَا لِاسْتِلَامِهَا رَغْمَ أَهْمِيَّتِهَا آنَ ذَاكَ،

(١) ينظر تفصيل ذلك في خطبة: الفتح الأول لبيت المقدس مجلد (٣) خطبة رقم (١٤٢).

وَفُتِحَتِ الْمَدَائِنُ عَاصِمَةُ الْفُرْسِ الَّتِي شُهِرَتْ بِالْحَضَارَةِ وَالْعُمَرَانِ، وَامْتَلَأَتْ  
بِالْأَمْوَالِ وَالْخَيْرَاتِ، وَمَا سَارَ الْخَلِيفَةُ إِلَيْهَا بَلْ نَقَلَتْ نَفَائِسُهَا وَكُنُوزَهَا إِلَيْهِ فِي  
الْمَدِينَةِ، وَفُتِحَتْ بِلَادٌ كَثِيرَةٌ مَا خَرَجَ إِلَيْهَا الْخَلِيفَةُ، وَلَكِنَّهُ خَرَجَ إِلَى الْأَرْضِ  
الْمُقَدَّسَةِ، وَصَلَّى فِيهَا، وَعَادَ بَعْدَ أَنْ اسْتَلَمَهَا وَأَدْخَلَهَا فِي حَظِيرَةِ الْإِسْلَامِ.

وَلَمَّا انْتَزَعَ الصَّلَيبِيُّونَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فِي الْقَرْنِ الْخَامِسِ مَا هَنِئَ الْمُسْلِمُونَ  
بِعَيْشٍ حَتَّى أَعَادُوهَا عَلَى يَدِ صَلاَحِ الدِّينِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - بَعْدَ مَا يُقَارِبُ  
تِسْعِينَ سَنَةً مِنْ اخْتِلَالِهَا<sup>(٢)</sup>.

وَطَلَّتِ الْأَرْضُ الْمُقَدَّسَةُ مُسْتَقَرًّا لِكَثِيرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ جَاوَرُوا فِي أَرْضِهَا،  
وَمَوَئِلًا لِلْمُسْلِمِينَ يَشُدُّونَ رِحَالَهُمْ إِلَيْهَا لِرِيزَارَةِ مَسْجِدِهَا، وَإِذْ ذَاكَ كَانَتْ أَعْيُنُ  
أَهْلِ الْكِتَابِ تَرْمُقُهَا، يُرِيدُونَ الْإِنْقِضَاضَ عَلَيْهَا، وَسَلْبَهَا وَالْإِسْتِيطَانَ فِيهَا،  
فَسِيرُوا الْحِمَلَاتِ الصَّلَيبِيَّةَ تَلَوْا الْحِمَلَاتِ لِاخْتِلَالِهَا وَلَكِنَّهُمْ فَشِلُوا.

وَفِي الْقَرْنِ الْمَاضِي بَلَغَ ضَعْفُ الْمُسْلِمِينَ وَتَقَرُّفُهُمْ مَدَاهُ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي  
تَشَكَّلَتْ فِيهِ الْمَوْسَسَةُ الصَّهْيُونِيَّةُ الْحَدِيثَةُ، وَأَخَذَتْ تُطَالِبُ بِعَوْدَةِ الْيَهُودِ إِلَى  
الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ لِإِحْيَاءِ التُّبُوءَاتِ التَّوْرَانِيَّةِ الْمُحَرَّفَةِ، وَتَأَزَّرَتْ فِي سَبِيلِ تَحْقِيقِ  
هَذَا الْهَدَفِ الْحَيْثِ الصَّهْيُونِيَّةُ النَّصْرَانِيَّةُ مَعَ الصَّهْيُونِيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ، وَرَفَعَ الْخِلَافُ  
الدِّينِيَّ التَّارِيخِيَّ بَيْنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى إِلَى أَجَلٍ غَيْرِ مُسَمًّى لِمُوَاجَهَةِ الْمُسْلِمِينَ،  
وَانْتِزَاعِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ مِنْهُمْ، وَتَمَّ لَهُمْ ذَلِكَ؛ إِذْ دَخَلَتْ جَحَافِلُ الْمُسْتَعْمِرِينَ  
مِنْ صَهَايْنَةِ النَّصَارَى بِلَادَ الشَّامِ، وَأَخْضَعَتِ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ لِإِتْدَابِهَا، وَأَبَى  
قَائِدُهُمْ إِلَّا أَنْ يُفْصَحَ عَنِ الْهَدَفِ الدِّينِيِّ الصَّهْيُونِيِّ لِهَذَا الْإِسْتِعْمَارِ حِينَ قَالَ: «الْآنَ

(٢) ينظر تفصيل ذلك في خطبة: سلب الأقصى واسترداده مجلد (٣) خطبة رقم (١٤٥)،

وخطبة: معركة حطين مجلد (٣) خطبة رقم (١٤٧).

انْتَهَتْ الْحُرُوبُ الصَّلِيبِيَّةُ<sup>(٣)</sup>. وَوَقَفَ جِيزَالٌ آخَرُ عَلَى قَبْرِ صَلَاحِ الدِّينِ - رَحِمَهُ  
اللَّهُ تَعَالَى - وَضَرَبَ الضَّرِيحَ بِسَيْفِهِ قَائِلًا: «أَنَا مِنْ أَحْفَادِ الصَّلِيبِيِّينَ، فَأَيْنَ  
أَحْفَادُكَ يَا صَلَاحَ الدِّينِ؟!»<sup>(٤)</sup>.

وَدَخَلَتِ الْأُمَّةُ النَّجِسَةُ الْأَرْضَ الطَّاهِرَةَ الْمُقَدَّسَةَ، وَالْمَسْجِدَ الْأَقْصَى لَا يَزَالُ  
تَحْتَ حُكْمِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَشْعَلَتِ الْحُرُوبُ تَلَوُ الْحُرُوبِ عَلَى هَذَا الْمَسْجِدِ  
الْمُبَارَكِ حَتَّى كَانَتْ النِّكْسَةُ الَّتِي هُزِمَتْ فِيهَا جُيُوشُ الْعَرَبِ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدُ  
الْأَقْصَى تَحْتَ حُكْمِ الصَّهَابِيَّةِ وَسَيَّطَرَتْهُمْ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي تَارِيخِ الْمُسْلِمِينَ، وَفَرَحَ  
الْيَهُودُ بِذَلِكَ أَشَدَّ الْفَرَحِ، وَهَتَفُوا بِثَارَاتِ خَيْبَرَ، وَنَادَوْا بِاسْتِعَادَةِ يَثْرِبَ، وَأَنْشَدُوا  
نَشِيدًا مَرْقُ أَكْبَادَ أَصْحَابِ الْعِيرَةِ وَالنَّخْوَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛ إِذْ كَانُوا يَرْتَجِزُونَ  
قَائِلِينَ: «مُحَمَّدٌ مَاتَ وَخَلَفَ بَنَاتٌ» يُرَدُّونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ وَالْعَبْرِيَّةِ<sup>(٥)</sup>.

وَلَكِنْ بَقِيَ الْمُسْلِمُونَ الْمَقَادِسَةُ مُحَافِظِينَ عَلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى رَغْمَ خُصُوعِهِ  
لِحُكْمِ الْيَهُودِ وَسُلْطَانِهِمْ، يَقْدُونَهُ بِأَرْوَاحِهِمْ، وَيَتَنَاقَبُونَ عَلَى حِرَاسَتِهِ وَحِمَايَتِهِ،  
وَيُرْمَمُونَ مَا تَلَفَ مِنْ أَجْزَائِهِ، وَلَا تَزَالُ أَعْيُنُ الصَّهَابِيَّةِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى عَلَى  
هَدْمِ الْمَسْجِدِ الْمُبَارَكِ، وَبِنَاءِ هَيْكَلِهِمْ مَكَانَهُ، وَلَكِنَّهُمْ يَجُسُّونَ نَبْضَ الْمُسْلِمِينَ فِي  
ذَلِكَ، وَيُحَاوِلُونَ إِمَاتَةَ شُعُورِهِمْ تُجَاهَ الْمَسْجِدِ الْمُبَارَكِ، بِأَعْمَالِ الْحَفْرِ وَالْهَدْمِ  
لِحَرِيمِهِ وَشَوَارِعِهِ وَجُسُورِهِ، وَتَسْلِيطِ مُتَعَصِّبَتِهِمْ عَلَى الْإِعْتِدَاءِ عَلَيْهِ بِالْحَرْقِ  
وَالْهَدْمِ وَالتَّفْجِيرِ لِبَعْضِ أَجْزَائِهِ؛ رَجَاءً أَنْ يَسْقُطَ مِنْ جَرَاءِ ذَلِكَ.

وَفِي مَا يُسَمَّى بِالنَّكْبَةِ قَبْلَ أَرْبَعِ وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَإِبَانِ إِعْلَانِ الْيَهُودِ عَنْ قِيَامِ

(٣) حركة التجديد في القرن السادس الهجري، محمد بن حامد الناصر، مجلة الجندي  
المسلم، عدد (١١٠).

(٤) الحروب الصليبية، أحمد شلبي (١٨).

(٥) رؤية إسلامية في الصراع العربي الإسرائيلي، محمد عبد الغني النواوي (٥٠٥).

دَوَّلَتْهُمْ فِي الْأَرْضِ الْمُبَارَكَةِ، وَجَعَلَ الْقُدْسَ عَاصِمَةً لَهَا؛ حَاوَلَ الْأَنْجَاسُ هَذِمَ  
الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى فَأَلْقَتْ عَلَيْهِ قُوَّاتُهُمْ خَمْسًا وَخَمْسِينَ قُنْبُلَةً، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى  
سَلَّمَ.

وَفِي مَا يُسَمَّى بِالنَّكْسَةِ قَبْلَ مَا يُقَارِبُ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَصَفَ الْيَهُودُ الْمَسْجِدَ  
الْمُبَارَكَ بِمَدَافِعِ الْهََاوِنِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَفِظَهُ.

وَعَقِبَ ذَلِكَ بِسِتَتَيْنِ أَقْدَمَ السَّائِحُ الْيَهُودِيُّ مَايْكِلُ دَيْنِيسَ عَلَى إِحْرَاقِ مَنَبَرِ  
صَلَاحِ الدِّينِ وَأَجْزَاءِ كَبِيرَةٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَتَبَاطَأَ الْمُحْتَلُونَ فِي إِخْمَادِ النَّيْرَانِ،  
وَأَعَاقُوا جُهُودَ الْمَقَادِسَةِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ هَبُّوا لِإِخْمَادِهَا فَتَضَرَّرَ الْمَسْجِدُ بِذَلِكَ<sup>(٦)</sup>.

أَمَّا مُحْطَطَاتُ نَسْفِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى فَهِيَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ، وَالْمُنْظَمَاتُ  
الصَّهْيُونِيَّةُ الَّتِي أُنْشِئَتْ لِهَذِمِ الْمَسْجِدِ وَبِنَاءِ الْهَيْكَلِ تَزِيدُ عَلَى عِشْرِينَ مُنْظَمَةً،  
وَالْمُحَاوَلَاتُ الْفَرْدِيَّةُ وَالْجَمَاعِيَّةُ الْعُدْوَانِيَّةُ عَلَى الْمَسْجِدِ بِإِحْتِلَالِهِ أَوْ حَرْقِهِ  
أَوْ تَفْجِيرِهِ أَوْ إِرْهَابِ الْمُصَلِّينَ فِيهِ تُعَدُّ بِمِائَاتِ الْمُحَاوَلَاتِ، وَمَا عَمَلِيَّاتُ الْهَذْمِ  
فِي حَرِيمِ الْمَسْجِدِ وَشَوَارِعِهِ إِلَّا وَاحِدَةٌ مِنْ تِلْكَ الْمُحَاوَلَاتِ الْكَثِيرَةِ، الَّتِي لَمْ  
يَمَلِّ الْيَهُودُ مِنْ تَكَرَّرِهَا، وَهُمْ مُصْرُونَ عَلَى النَّجَاحِ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهَا.

(٦) مايكل دینیس یهودی اِستِراِلی یُنتمی اِلی «کَنِیسه الرب» الّتی تُؤمن بنبوءات التوراة القاضية  
بأن المسيح ﷺ سينزل بعد بناء الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى، وتواطؤ السلطات  
اليهودية معه ثابت من وجهين:

الأول: أنه حاول قبل عام من فعلته الشنيعة حرق المسجد الأقصى لكنه اكتشف، وتسترت  
عليه سلطات اليهود ليقوم بما عزم عليه بعد سنة.

الثاني: تعمدت سلطات اليهود قطع المياه عن منطقة المسجد الأقصى قبل نشوب الحريق  
وأثناءه، وتأخير سيارات الإطفاء في القدس عن الوصول إليه وإعاقتها. لكن المسلمين  
هبوا لإطفاء الحريق إلى أن قدمت سيارات إطفاء من الخليل ورام الله فتم إخماد الحريق  
بعد أن ألحق الحريق بالمسجد أضرارًا جسيمة.

وَقِصَّةُ هَذَا الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الْمُبَارَكِ فِي الْعَقْلِيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ تَرْتَبُطُ فِي هَذَا الْعَصْرِ بِثَلَاثِ خَطَرٍ يُقْنِعُهُمْ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ بِالِاقْتِرَابِ كَثِيرًا مِنْ مُحْطَطِهِمْ الْإِجْرَامِيِّ لِتَحْقِيقِ النُّبُوءَاتِ التَّوْرَاتِيَّةِ، وَأَوَّلُ أَرْكَانِ هَذَا الثَّلَاثِ يَتِمَثَّلُ فِي تَسَلُّطِ قُوَى الْإِسْتِكْبَارِ الْعَالَمِيِّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَبُلْدَانِهِمْ، وَدَعْمِهَا الْمُطْلَقِ لِلْمَشْرُوعَاتِ الصَّهْيُونِيَّةِ، مَعَ عَجْزِ الدَّوَلِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَنْ إِيقَافِ ذَلِكَ، وَإِشْغَالِهَا بِنَفْسِهَا عَنْ مُقَدَّسَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَمَسَاجِدِهِمْ.

وَتَانِي أَرْكَانِ هَذَا الثَّلَاثِ يَتِمَثَّلُ فِي انْتِشَارِ الْمَدَارِسِ وَالْمَعَاهِدِ الدِّينِيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ الَّتِي تَنْفُخُ نَارَ الْأَحْقَادِ فِي قُلُوبِ الشَّيْبَةِ الْيَهُودِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَقُدْسِهِمْ، وَتُقَوِّي عَزَائِمَهُمْ عَلَى بِنَاءِ الْهَيْكَلِ مَكَانَ الْمَسْجِدِ، وَأَنَّهُ لَا قِيَمَةَ لِدَوْلَتِهِمْ بِدُونِ الْقُدْسِ، وَلَا قِيَمَةَ لِلْقُدْسِ بِدُونِ الْهَيْكَلِ، وَتُخْرِجُ هَذِهِ الْمَعَاهِدُ وَالْمَدَارِسُ الْأَلْفَافَ مِنَ الطَّلَبَةِ، وَهِيَ مُخْتَصَّةٌ بِالْهَيْكَلِ، وَتَسْمَى بِهِ.

وَتَالِثُ أَرْكَانِ الثَّلَاثِ يَتِمَثَّلُ فِي النُّبُوءَاتِ التَّوْرَاتِيَّةِ الَّتِي أَحْيَاها الْبُرْتِسَانَتُ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ، وَأَزَالُوا بِسَبَبِهَا الْعِدَاءَ بَيْنَ الْأُمَمَتَيْنِ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ. وَلِإِيْمَانِهِمُ الْمُطْلَقِ بِتِلْكَ الْخُرَافَاتِ، وَسَعْيِهِمُ الْحَثِيثَ لِتَحْقِيقِهَا وَطَنُوا الْيَهُودَ فِي الْأَرْضِ الْمُبَارَكَةِ؛ لِيَكُونُوا وَسِيلَةً لِنُزُولِ الْمُخْلِصِ، وَمِنْ ثَمَّ إِبَادَةُ الْمُسْلِمِينَ عَنْ بَكْرَةِ أَبِيهِمْ فِي هَرَمِجُدُونَ حَسَبَ مُعْتَقَدَاتِهِمْ.

لَقَدْ تَحَوَّلَ اعْتِقَادُ الْيَهُودِ فِي الْهَيْكَلِ مِنْ مُجَرَّدِ حُلْمٍ يَرَوْنَ ضَرُورَتَهُ لِحُكْمِ الْأَرْضِ كُلِّهَا إِلَى عَقِيدَةٍ يُعْتَقِدُونَ بِمُوجِبِهَا أَنَّ كُلَّ بَلَاءٍ يُحِيطُ بِالْيَهُودِ فِي فَلَسْطِينَ وَخَارِجِهَا إِنَّمَا كَانَ بِسَبَبِ تَبَاطُئِهِمْ فِي هَدْمِ الْمَسْجِدِ وَبِنَاءِ الْهَيْكَلِ، وَأَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ زَالَ عَنْهُمْ ذَلِكَ الْبَلَاءُ مِنْ تَفْجِيرِ الْفِلَسْطِينِيِّينَ لَهُمْ، وَمِنْ إِخْلَاءِ مُسْتَوَظَنَاتِهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَفِي هَذَا الْمَعْنَى يَرَى الْحَاخَامُ مُرْدَخَايَ الْيَاهُو: أَنَّ بَقَاءَ جَبَلِ الْهَيْكَلِ تَحْتَ السَّيْطَرَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ يُضْعَفُ وَبِشْكَلٍ مُسْتَمِرٍّ إِمْكَانِيَّةٌ "إِسْرَائِيلَ" فِي التَّعَاطِي وَالتَّعَامُلِ مَعَ مُشْكِلاتِهَا وَالضُّغُوطِ النَّازِلَةِ عَلَيْهَا، سَوَاءً كَانَتْ هَذِهِ الْمَشَاكِلُ أَوْ الضُّغُوطُ مَحَلِّيَّةً أَوْ خَارِجِيَّةً<sup>(٧)</sup>.

وَهَذَا التَّحَوُّلُ فِي الْقَنَاعَاتِ عِنْدَ أَيْمَةِ الْيَهُودِ يُشْكَلُ أَكْبَرَ خَطَرٍ عَلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى فِي تَارِيخِهِ كُلِّهِ؛ إِذْ مَا عَادَتْ الْمَسْأَلَةُ مُتَعَلِّقَةً بِنُبُوءَاتٍ مُسْتَقْبَلِيَّةٍ يَنْتَظِرُونَهَا، وَيَسْعَوْنَ خُطْوَةً خُطْوَةً لِتَحْقِيقِهَا. بَلْ أَضْحَى هَذَا الْمَسْجِدَ وَبِنَاءَ الْهَيْكَلِ سَبَبًا لِلْقَضَاءِ عَلَى مَشَاكِلِهِمْ، وَبُطُؤُهُمْ فِي ذَلِكَ هُوَ مَا يُسَبِّبُ كُلَّ الْمَشْكِلاتِ لَهُمْ، وَيَسْعَى أَئِمَّتُهُمْ لِإِقْنَاعِ عَوَامِّهِمْ بِعَقِيدَتِهِمْ تِلْكَ.

حَمَى اللَّهُ تَعَالَى الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى وَالْأَرْضَ الْمُبَارَكَةَ، وَسَائِرَ مَسَاجِدِ الْمُسْلِمِينَ وَمُقَدَّسَاتِهِمْ مِنْ كَيْدِهِمْ وَمَكْرِهِمْ، وَرَدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ خَاسِرِينَ خَائِبِينَ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ.

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ ...



## الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، نَحْمَدُهُ وَنَشْكُرُهُ، وَنَسْتَعِينُ بِهِ وَلَا نَكْفُرُهُ، وَنَخْلَعُ مَنْ يَفْجُرُهُ، هُوَ رَبُّنَا وَمَعْبُودُنَا، عَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْهِ أَنْبَأْنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ تَرَكْنَا عَلَى بَيْضَاءِ

(٧) المسجد الأقصى في خطر، مقال منشور في منتدى صوت الأمة العربية على الشبكة العالمية.

لَيْلُهَا كَنَهَارُهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَاتَّبَاعِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى وَأَطِيعُوهُ، وَاحْذَرُوا الْمَعَاصِيَ فَإِنَّهَا سَبَبُ كُلِّ شَرٍّ وَبَلَاءٍ وَعَذَابٍ، وَمَا نَزَلَ بَلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ وَمَا رُفِعَ إِلَّا بِتَوْبَةٍ؛ فَتَوَبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: يَطِيبُ لِكَثِيرٍ مِنَ الْكُتَّابِ وَالْمُفَكِّرِينَ تَوْصِيفُ الصِّرَاعِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَعْدَائِهِمْ عَلَى أَنَّهُ صِرَاعُ أَرْضٍ وَمَصَالِحِ دُنْيَوِيَّةٍ فَحَسْبُ، وَيَتَشَنَّجُونَ حِينَ يَنْبَرِي بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ لِبَيَانِ الْخَلْفِيَّاتِ الدِّيْنِيَّةِ وَالتَّارِيخِيَّةِ لِهَذَا الصِّرَاعِ الطَّوِيلِ.

إِنَّ كَثِيرًا مِنْ هَؤُلَاءِ الْكُتَّابِ وَالْمُفَكِّرِينَ قَدْ نَبَذُوا دِينَهُمْ وَرَاءَهُمْ ظَهْرِيًّا، وَيُحَلِّلُونَ الْأَحْدَاثَ تَحْلِيلًا مَادِّيًّا بَحْتًا، بَلْ حَتَّى التَّارِيخُ أَسْقَطُوا عَلَيْهِ تَحْلِيلَاتِهِمُ الْمَادِّيَّةَ فَأَفْسَدُوهُ وَزَوَّرُوهُ، وَيَظُنُّونَ أَنَّ الْمُفَكِّرِينَ وَالسِّيَاسِيِّينَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى قَدْ نَبَذُوا دِينَهُمْ مِثْلَهُمْ، وَأَنَّ مُعْتَقَدَاتِهِمْ لَا تُسِيرُ كَثِيرًا مِنْ سِيَاسَاتِهِمْ، وَلَا تُبْنَى عَلَيْهَا اسْتِرَاطِيஜِيَّاتُهُمْ، وَنَظَرَتُهُمُ الْقَاصِرَةُ هِيَ الَّتِي أُوْرَدَتْ الْأُمَّةُ الْمَهَالِكُ، وَأَوْصَلَتْهَا إِلَى هَذَا الذُّلِّ الْعَظِيمِ، وَضَيَّعَتْ أَكْثَرَ قَضَايَاهَا، فَلَا حَفِظُوا لِلْمُسْلِمِينَ دُنْيَاهُمْ كَمَا يَعِدُونَ، وَلَا أَبَقُوا لَهُمْ دِينَهُمْ وَمُقَدَّسَاتِهِمْ.

وَكَثِيرًا مَا سَمِعْنَاهُمْ وَقَرَأْنَا لَهُمْ يَصِيحُونَ بِالْمُسْلِمِينَ زَاعِمِينَ أَنَّ زُعَمَاءَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى عُلَمَائِيُونَ مِثْلَهُمْ، وَأَنَّ النُّبُوءَاتِ الدِّيْنِيَّةَ لَا تُمَثِّلُ أَيَّ شَيْءٍ عِنْدَهُمْ، وَلَا تَرُسُّمُ سِيَاسَاتِهِمْ.

وَلِتَعْلَمُوا -أَيُّهَا الْإِخْوَةُ- أَنَّ الْيَهُودَ مَا غَرَسُوا فِي فَلَسْطِينَ إِلَّا لِأَهْدَافٍ دِينِيَّةٍ تَوْرَاتِيَّةٍ اجْتَمَعَ عَلَى الْإِعْتِقَادِ بِهَا صَهَايْنَةُ النَّصَارَى الْإِنْجِيلِيَّةُونَ مَعَ صَهَايْنَةِ الْيَهُودِ

التَّوْرَاتِيَّينَ، وَإِلَّا فَإِنَّ الْمُسْكِلَةَ الْيَهُودِيَّةَ لَمَّا تَفَاقَمَتْ فِي أَوْرُبَّا إِبَّانَ التَّوْرَتَيْنِ الصَّنَاعِيَّةِ وَالتَّجَارِيَّةِ، وَطَالَبَ كِبَارُ الْيَهُودِ بِدَوْلَةٍ لَهُمْ، اقْتَرَحَتْ عِدَّةُ دُولٍ لَمْ تَكُنْ فَلِسْطِينُ ضِمْنَهَا، فَاقْتَرَحَتْ مُوزَمْبِيْقُ ثُمَّ الْكُونْغُو، كَمَا اقْتَرَحَتْ الْأَرْجَنْتِينُ وَقُبْرُصُ وَسَيْنَاءُ ثُمَّ أَوْغَنْدَا<sup>(٨)</sup>، وَلَكِنَّ هَذِهِ الدُّوَلُ رُفِضَتْ مِنْ مُهَنْدِسِي الصَّهْيُونِيَّةِ مَوْطِنًا لِلْيَهُودِ؛ لِأَنَّ الْعَقَائِدَ الْأُصُولِيَّةَ الْبُرُوتَسْتَانِيَّةَ مَعَ الْعَقَائِدِ الْيَهُودِيَّةِ التَّوْرَاتِيَّةِ لَا تَلْتَقِي فِيهَا، فَاخْتِيرَتْ فَلِسْطِينُ؛ لِأَنَّهَا مَجْمَعُ عَقَائِدِهِمْ، وَمُنْتَهَى آمَالِهِمْ.

وَالْعَجِيبُ -أَيُّهَا الْإِخْوَةُ- أَنَّ هِرْتِزْلَ مُؤَسَّسَ الْحَرَكَةِ الصَّهْيُونِيَّةِ الْمَعَاصِرَةِ الَّذِي يُجْمَعُ الْعُلَمَائِيُّونَ الْعَرَبُ عَلَى أَنَّهُ عِلْمَانِيٌّ صَرَفٌ، وَلَا يُؤْمِنُ بِالْخُرَافَاتِ التَّوْرَاتِيَّةِ مَا دَفَعَهُ لِتَأْسِيسِ حَرَكَتِهِ تِلْكَ إِلَّا رُؤْيَا دِينِيَّةً رَأَاهَا فِي مَنَامِهِ، وَقَدْ سَجَلَ ذَلِكَ فِي يَوْمِيَّاتِهِ؛ فَهَلْ هُمْ أَعْلَمُ بِهِ مِنْ نَفْسِهِ، أَمْ أَنَّهُمْ يُخَدَّرُونَ الْمُسْلِمِينَ وَيَخَدَعُونَهُمْ بِإِنْعَادِ الدِّينِ عَنْ مَيْدَانِ الْمَعْرَكَةِ.

يَقُولُ هِرْتِزْلُ فِي مَذْكُرَاتِهِ عَنْ رُؤْيَا رَأَاهَا: «ظَهَرَ لِي الْمَسِيحُ عَلَى صُورَةِ رَجُلٍ مُسِنٍّ فِي مَظْهَرِ الْعِظَمَةِ وَالْوَقَارِ، فَطَوَّقَنِي بِذِرَاعَيْهِ، وَحَمَلَنِي بَعِيدًا عَلَى أَجْنَحَةِ الرِّيحِ . . . وَالتَّقَيْنَا عَلَى إِحْدَى تِلْكَ الْغُيُومِ الْقُرْجِيَّةِ بِصُورَةِ مُوسَى، فَالْتَقَفَتِ الْمَسِيحُ إِلَى مُوسَى مُحَاطِبًا إِيَّاهُ: مِنْ أَجْلِ هَذَا الصَّبِيِّ كُنْتُ أَصْلِي، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ لِي: اذْهَبْ وَأَعْلِنِ لِلْيَهُودِ بِأَنَّنِي سَوْفَ آتِي عَمَّا قَرِيبٍ لِأَجْتَرِحَ الْمُعْجَزَاتِ الْكَبِيرَةَ، وَأُسَدِّي الْأَعْمَالَ الْعَظِيمَةَ لِشَعْبِي وَلِلْعَالَمِ»<sup>(٩)</sup>.

وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ عَقِيدَةَ «الْمَسِيحِ الْمُنتَظَرِ» مَحَوْرٌ يَدُورُ حَوْلَهُ الْمُسْلَسَلُ التَّارِيخِيُّ الْيَهُودِيُّ الْقَدِيمُ وَالْمَعَاصِرُ، وَهِيَ عَقِيدَةٌ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَدَّعِي بِأَنَّهَا فِكْرَةٌ عِلْمَانِيَّةٌ!

(٨) فلسطين مسلمة د. علي جريشة، بحث منشور على الشبكة العالمية.

(٩) دولة اليهود بين العجز والإعجاز، د. عبدالعزيز كامل، مجلة البيان، عدد (١١٨) ص (٦٦).



وَفِي الصَّفْحَةِ الْأُولَى مِنْ يَوْمِيَّاتِهِ نَجْدٌ هَزْتِزْلٌ يَتَحَدَّثُ عَنْ «الْأَرْضِ الْمَوْعُودَةِ»  
الَّتِي اتَّخَذَهَا عُنْوَانًا لِرِوَايَةِ عَقْدِ الْعَزْمِ عَلَى كِتَابَتِهَا، وَهِيَ الَّتِي قَرَّرَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ  
يُتْرَجِمَهَا إِلَى بَرْنَامِجٍ عَمَلِيٍّ، تَمَثَّلَ هَذَا الْبَرْنَامِجُ فِي قِيَامِ دَوْلَةِ الْيَهُودِ فِي الْأَرْضِ  
الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُبَارَكَةِ<sup>(١٠)</sup>.

ثُمَّ تَوَسَّعَتْ هَذِهِ الدَّوْلَةُ حَتَّى ابْتَلَعَتْ الْقُدْسَ، وَرَزَحَ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى تَحْتَ  
حُكْمِهَا، وَلَا يَزَالُ الصَّهَابِيُّ طَامِعِينَ فِي تَوْسِيعِهَا؛ لِتَشْمَلَ كُلَّ الدُّوَلِ الَّتِي بَيْنَ  
النَّيْلِ وَالْفُرَاتِ، وَلَنْ يَتَحَقَّقَ ذَلِكَ لَهُمْ إِلَّا بِنَاءِ الْهَيْكَلِ عَلَى أَنْقَاضِ الْمَسْجِدِ  
الْمُبَارَكِ.

وَأِنْ وَقَعَ ذَلِكَ - لَا قَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى - فَإِنَّهُ عَارٌ وَأَيُّ عَارٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ  
يَعْجِزُوا عَنِ الدَّفَاعِ عَنْ مَقَدَّسَاتِهِمْ، وَلَوْ نَجَحَ الصَّهَابِيُّ فَلَنْ يُوقِفَهُمْ عَنْ بَاقِي  
أَطْمَاعِهِمْ أَيُّ شَيْءٍ؛ فَوَاجِبٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَسْعَوْا بِكُلِّ الطَّرِيقِ وَالْوَسَائِلِ لِإِفْشَالِ مُحْطَطَاتِ  
وَصِيَانَةِ مَقَدَّسَاتِهِمْ وَبُلْدَانِهِمْ أَنْ يَسْعَوْا بِكُلِّ الطَّرِيقِ وَالْوَسَائِلِ لِإِفْشَالِ مُحْطَطَاتِ  
أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَرْضِ الْمُبَارَكَةِ؛ فَهِيَ لِلْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ، وَلَيْسَتْ  
لِأَهْلِ فَلَسْطِينَ وَحَدَّهُمْ، وَلْيَعْلَمُوا أَنََّّهُمْ إِنْ تَخَلَّوْا عَنْ إِخْوَانِهِمْ الْيَوْمَ فَسَتَقِفُ غَدًا  
جَحَافِلُ الْمُسْتَعْمِرِينَ عَلَى أَطْرَافِ بُلْدَانِهِمْ، وَلَنْ يَنْفَعَهُمْ أَنْ يَقُولُوا حِينَئِذٍ: أَكَلْتُ  
يَوْمَ أَكَلِ الثَّوْرُ الْأَبْيَضَ.

أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ، وَتُوبُوا مِنْ دُنُوبِكُمْ، وَانصُرُوا إِخْوَانَكُمْ، وَحَافِظُوا عَلَى  
مَقَدَّسَاتِكُمْ، وَاعْلَمُوا مَا يَحِيكُ لَكُمْ أَعْدَاؤُكُمْ، وَاكْثُرُوا مِنَ الدَّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ بَيْنَ  
يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى بِأَنْ يَرُدَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا، وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا.  
وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى نَبِيِّكُمْ ...



## ٣٧٣- طبيعة الصراع على بيت المقدس

١٤٢٨/١١/٢٠ هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ؛ خَلَقَ الْبَشَرَ فَجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ: أَهْلَ حَقِّ وَأَهْلَ بَاطِلٍ، وَقَضَى بَقَاءَ الصَّرَاحِ بَيْنَهُمَا إِلَى آخِرِ الزَّمَانِ؛ فَلَا يَجْتَمِعَانِ وَلَا يَرْتَفِعَانِ؛ ابْتِلَاءً مِنْهُ سُبْحَانَهُ لِعِبَادِهِ ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَبِلُوا بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [مُحَمَّد: ٤]، نَحْمَدُهُ كَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُحْمَدَ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى عَظِيمِ مَنْهُ وَوَاسِعِ فَضْلِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ لَا يَقْضِي قَضَاءَ لِلْمُؤْمِنِينَ إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُمْ؛ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَعَلَيْهِ السَّخَطُ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، خَتَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ النُّبُوتَ، وَقَضَى بِهِمِنَهُ شَرِيعَتَهُ عَلَى الشَّرَائِعِ كُلِّهَا؛ فَلَا حَقَّ يُوصِلُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَرِضْوَانِهِ إِلَّا مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَمَا عَارَضَهُ فَهُوَ الْبُعْدُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَرِضْوَانِهِ ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الْمَائِدَة: ٤٨] صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ؛ فَضَمُوا بِالْحَقِّ وَبِهِ كَانُوا يَعْدِلُونَ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- وَاعْمَلُوا صَالِحًا؛ فَإِنَّ أَمَامَكُمْ كُرْبَاتٍ وَشِدَائِدَ لَا ثَبَاتَ فِيهَا، وَلَا مَخْرَجَ مِنْهَا إِلَّا بِتَقْوَى اللَّهِ ﷻ، وَقُوَّةِ الْيَقِينِ بِهِ، وَالْإِلْتِجَاءِ إِلَيْهِ، وَصِدْقِ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِغٌ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطَّلَاق: ٢، ٣].

أَيُّهَا النَّاسُ: مِنْ عَدْلِ اللَّهِ تَعَالَى فِي عِبَادِهِ أَنْ جَعَلَ السِّيَادَةَ وَالرِّيَادَةَ لِمَنْ يَدِينُ بِدِينِهِ وَيُقِيمُ شَرِيعَتَهُ، دُونَ اعْتِبَارِ لِحْنِسِهِ وَلَوْنِهِ وَلِسَانِهِ وَمَالِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَهَؤُلَاءِ هُمْ أَهْلُ الْحَقِّ، وَالْحَقُّ أَقْوَى مِنَ الْبَاطِلِ -وإنَّ طَعَى أَهْلُهُ وَظَلَمُوا- ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]، وَأَهْلُ الْحَقِّ غَالِبُونَ وَلَوْ كَانُوا قَلَّةً مُسْتَضَامِينَ مُسْتَضْعَفِينَ؛ لِأَنَّهُمْ جُنْدُ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وإنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣].

وَبَنُو إِسْرَائِيلَ أُمَّةٌ قَدْ فَضَّلَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَنْ كَانُوا قَبْلَهَا مِنَ الْأُمَمِ، بِمَا آتَاهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْحُكْمِ وَالتَّبَوَّةِ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالتَّبَوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الباقية: ١٦]، وَفِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الدخان: ٣٢]. وَإِذَا أُطْلِقَ «إِسْرَائِيلُ» فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ<sup>(١)</sup>، جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْبِيَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ

(١) ذكر الرازي -رحمه الله تعالى-: «اتفاق المفسرين على أن إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، ويقولون إن معنى إسرائيل عبد الله لأن (إسرا) في لغتهم هو العبد و(إيل) هو الله، وكذلك جبريل هو عبد الله، وميكائيل عبد الله. قال القفال: قيل: إن (إسرا) بالعبرانية في معنى إنسان، فكانه قيل: رجل الله» التفسير الكبير (٢٨/٣).

وذكر فيه ابن كثير -رحمه الله تعالى- حديثاً مسنداً فقال: «فإسرائيل هو يعقوب، بدليل ما رواه أبو داود الطيالسي: حدثنا عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب قال: حَدَّثَنِي عبد الله بن عباس قال: حضرت عصابة من اليهود نبي الله ﷺ فقال لهم: هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب؟ قالوا: اللهم نعم، فقال النبي ﷺ: اللهم اشهد» تفسير ابن كثير (٨٣/١). قلت: هو حديث طويل اختصره ابن كثير، وأخرجه الطيالسي (٢٧٣١)، وأحمد (٢٧٣/١)، وابن سعد في الطبقات (١٧٤/١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٣٣)، والطبري في تفسيره (٤٣١/١)، والطبراني في الكبير (٢٤٦/١٢) رقم (١٣٠١٢)، وغيرهم من طرق لا تخلو من ضعف عن ابن عباس عليه السلام، وضعف الهشمي طريق الطبراني في مجمع الزوائد (٣١٦-٣٥١/٦).

مِنْ دُرِّيَّتِهِ، وَكَانَ مَوْطِنُهُمْ بَيْتَ الْمَقْدِسِ بَعْدَ أَنْ اتَّخَذَهُ جَدُّهُمْ الْخَلِيلُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

= قال الطبري -رحمه الله تعالى-: «وكان يعقوب يدعى إسرائيل بمعنى: عبد الله وصفوته من خلقه و(إيل) هو الله، و(إسرا) هو العبد؛ كما قيل: جبريل، بمعنى: عبد الله، ثم أسند إلى ابن عباس عليه السلام قوله: إن إسرائيل كقولك عبد الله» تفسير الطبري (١/٢٤٨). ونقل القرطبي في تفسيره (١/٣٣٠) عن ابن الجوزي قوله: «وليس في الأنبياء من له اسمان غيره إلا نبينا محمد ﷺ فإن له أسماء كثيرة ذكره في كتاب (فهوم الآثار) له، ثم قال القرطبي: قلت: وقد قيل في المسيح: إنه اسم علم لعيسى عليه السلام غير مشتق، وقد سماه الله روحاً، وكلمة، وكانوا يسمونه أيل الأيلين، ذكره الجوهري في الصحاح، وذكر البيهقي في دلائل النبوة عن الخليل بن أحمد خمسة من الأنبياء ذوي اسمين: محمد وأحمد نبينا ﷺ، وعيسى والمسيح، وإسرائيل ويعقوب، ويونس وذو النون، وإلياس وذو الكفل صلى الله عليهم وسلم. قلت (القرطبي): ذكرنا أن لعيسى أربعة أسماء، وأما نبينا ﷺ فله أسماء كثيرة بيّناها في مواضعها، وإسرائيل اسم أعجمي؛ ولذلك لم ينصرف، وهو في موضع خفض بالإضافة، وفيه سبع لغات:

- ١- إسرائيل وهي لغة القرآن.
  - ٢- وإسرائيل بمدة مهموزة مختلصة حكاها شنيوذ عن ورش.
  - ٣- وإسرائيل بمدة بعد الياء من غير همز، وهي قراءة الأعمش وعيسى بن عمر.
  - ٤- وقرأ الحسن والزهري بغير همز ولا مد.
  - ٥- وإسرائيل بغير ياء بهمزة مكسورة.
  - ٦- وإسرائيل بهمزة مفتوحة.
  - ٧- وتميم يقولون إسرائيل بالنون.
- ومعنى إسرائيل:

- ١- عبد الله قال ابن عباس عليه السلام: إسرا بالعبرانية هو عبد وإيل هو الله.
- ٢- وقيل: إسرا هو صفوة الله وإيل هو الله.
- ٣- وقيل إسرا من الشد فكأن إسرائيل الذي شده الله وأتقن خلقه، ذكره المهدوي.
- ٤- وقال السهيلي: سمي إسرائيل؛ لأنه أسرى ذات ليلة حين هاجر إلى الله تعالى، فسمي إسرائيل، أي: أسرى إلى الله، ونحو هذا، فيكون بعض الاسم عبرانياً وبعضه موافقاً للعرب، والله أعلم. اهـ من تفسير القرطبي (١/٣٣٠-٣٣١)، وينظر: زاد المسير (١/٧٢)، وتفسير البيضاوي (١/٣٠٧)، والدر المنثور (١/١٥٣).

مَوْضِعًا يَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ، إِلَى أَنْ جَرَى عَلَى يُوسُفَ مَا جَرَى عَلَيْهِ مِنَ الْمِحْنَةِ وَالْإِبْتِلَاءِ، ثُمَّ الرُّفْعَةُ وَالتَّمَكُّينِ، فَهَاجَرَ يَعْقُوبُ بَيْنَهُ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَى مِصْرَ؛ كَمَا فِي سُورَةِ يُوسُفَ ﴿١٢٤﴾ ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوِيهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [يُوسُفَ: ٩٩]، وَمَكَّثُوا فِيهَا أَرْبَعَةَ قُرُونٍ وَزِيَادَةً.

كَانَ الْكُنْعَانِيُّونَ الْوَثْنِيُّونَ يَحْكُمُونَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَيُسَمُّونَ الْعَمَالِقَةَ وَالْجَبَّارِينَ، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى مِنْ نَسْلِ يَعْقُوبَ ﴿١٢٥﴾، وَجَرَى عَلَيْهِ مَا جَرَى مَعَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى ﴿١٢٦﴾، وَفَرَضَ فِيهَا الْجِهَادَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ<sup>(٢)</sup>، فَأَمَرُوا بِقِيَادَةِ مُوسَى ﴿١٢٧﴾ أَنْ يُطَهِّرُوا بَيْتَ الْمَقْدِسِ

(٢) كان من سنة الله تعالى في المكذبين من عباده أن يهلكهم بعذاب من السماء، كما جرت هذه السنة على قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط وقوم شعيب وفرعون وهامان وقارون وجندهم، فلما شرع الله تعالى الجهاد في شريعة موسى ﴿١٢٨﴾ أمسك عذابه عنهم، وجعله بأيدي المؤمنين بالجهاد الشرعي الذي هو باق إلى آخر الزمان، حين يجاهد عيسى ﴿١٢٩﴾ والعصبة المؤمنة معه المسيح الدجال ومن معه من اليهود، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة، وتضافرت فيه أقوال المفسرين والعلماء:

١- قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٣]، وفيما أنزل الله تعالى على موسى الجهاد بدليل قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُ أَدَّكُرُوا يَغْنَمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَيْنَاكُمْ مَا تُمْنُونَ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٠﴾ يَتَقَوَّمُ أَدَّكُرُوا الْأَرْضَ الْمَقْدَسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَزْدُورُوا عَلَىٰ أَذْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢١].

٢- ذكر الله تعالى قصة نوح ﴿١٣١﴾ في سورة (المؤمنون) وذكر القرون المهلكة بعده في قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلُّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ رُسُلُنَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بِعَصَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعَدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٤]، ثم ذكر سبحانه إرسال موسى وهارون ﴿١٣٢﴾ إلى فرعون وقومه، وقال سبحانه عنهم: ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٩] فهذا يدل على أن نزول التوراة كان بعد هلاك فرعون وجنده، وفي التوراة شرع الجهاد.

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عَزَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لَا يَتَّبِعُنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَنْبِيَّ بِهَا وَلَمَّا يَنْبِيَّ بِهَا، وَلَا أَحَدٌ بَنَى بُيُوتًا وَلَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا، وَلَا أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خِلْفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ وَلَادَهَا، فَغَزَا فَدَنَّا مِنَ الْقَرْيَةِ صَلَاةَ الْعَصْرِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: إِنَّكَ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ، اللَّهُمَّ احْسِبْهَا عَلَيْنَا، فَحُسِبَتْ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَجَمَعَ الْغَنَائِمَ، فَجَاءَتْ -يَعْنِي: النَّارُ- لِتَأْكُلَهَا فَلَمْ تَظْعَمَهَا، فَقَالَ: إِنْ فِيكُمْ غُلُولٌ، فَلْيَبِيعُنِي قَبِيلَتُكَ، فَلَزَقَتْ يَدُ رَجُلٍ، فَلَزَقَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمْ الْغُلُولُ، فَلْيَبِيعُنِي قَبِيلَتُكَ، فَلَزَقَتْ يَدُ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمْ الْغُلُولُ، فَجَاؤُوا بِرَأْسٍ مِثْلِ رَأْسِ بَقَرَةٍ مِنَ الذَّهَبِ، فَوَضَعُوهَا، فَجَاءَتْ النَّارُ فَأَكَلَتْهَا، ثُمَّ أَحَلَّ اللَّهُ لَنَا الْغَنَائِمَ؛ رَأَيْ صُغْفَنَا وَعَجَزَنَا فَأَحَلَّهَا لَنَا» أخرجه البخاري (٢٩٥٦)، ومسلم (١٧٤٧).

وهذا النبي المبهم هنا هو يوشع بن نون عليه السلام كما جاء مُعِينًا في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تُحْبَسْ عَلَى بَشَرٍ إِلَّا لِيُوشَعَ لِيَالِي سَارَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ» أخرجه أحمد (٣٢٥/٢). وكانت هذه الحادثة بعد وفاة موسى عليه السلام.

٤- ما قص الله تعالى علينا في سورة البقرة من خبر المعركة بين طالوت وجالوت، وقتل داود لجالوت، وداود عليه السلام من أنبياء بني إسرائيل، وهو بعد موسى عليه السلام.

٥- حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «مَا أَهْلَكَ اللَّهُ قَوْمًا وَلَا قَرْيَةً وَلَا أُمَّةً، وَلَا أَهْلَ قَرْيَةٍ مِنْذُ أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ بَعْدَ أَنْ بَدَأَ مِنَ السَّمَاءِ غَيْرَ أَهْلِ الْقَرْيَةِ الَّتِي مَسَخَتْ قَرْدَةً، أَلَمْ تَرَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بِصَافِرٍ لِلنَّاسِ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٣] أخرجه الطبري في تفسيره (١٦٢/٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٩٢٨)، والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (٤٤٢/٢).

وجاء مرفوعًا وموقوفًا، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه البزار موقوفًا ومرفوعًا ورجالهما رجال الصحيح (٨٨/٧)، وقال الألباني بعد أن ساق قول الهيثمي: وأقول: كلاهما صحيح، ولا مخالفة بينهما، فمن الواضح أن الموقوف على الصحابي في حكم المرفوع فيما يتعلق بالتفسير، حتى ولو لم يرد مرفوعًا، فكيف وقد صح مرفوعًا أيضًا؟ سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٢٥٨).

ومن أقوال المفسرين على قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بِصَافِرٍ لِلنَّاسِ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٣]. =

١- قال ابن عطية -رحمه الله تعالى-: «وقالت فرقة: إن الآية مضمنة أن إنزال التوراة على موسى هو بعد أن رفع الله تعالى عذاب الأمم، فلم تعذب أمة بعد نزول التوراة إلا القرية التي مُسِخَتْ قردة فيما روي» المحرر الوجيز (٢٨٩/٤).

٢- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: «قال موسى ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الأعراف: ١٠٥]، إلى قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ؕ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٣]، إلى قوله: ﴿فَاغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٦]، وليس المراد بالآيات هنا كتابًا منزلاً؛ فإن موسى لما ذهب إلى فرعون لم تكن التوراة قد نزلت، وإنما أنزلت التوراة بعد أن غرق فرعون، وخلص بني إسرائيل، فاحتاجوا إلى شريعة يعملون بها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى﴾ [القصص: ٤٣]، ولكن تكذيبهم بآياته إنكارهم أن تكون آية من الله وقولهم إنها سحر» اهـ من النبوات (١٦٧-١٦٨).

٣- وقال في موضع آخر: «والله تعالى قد جعل أكمل المؤمنين إيمانًا أعظمهم بلاء كما قيل للنبي: «أي الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء ثم الصَّالِحُونَ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَلَا مَثَلَ، يُبْتَلَى الرجلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ؛ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابةٌ زِيدَ فِي بَلَاءِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ، وَلَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى الْأَرْضِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ». ومن هذا أن الله شرع من عذاب الكفار بعد نزول التوراة بأيدي المؤمنين في الجهاد ما لم يكن قبل ذلك، حتى إنه قيل: لم ينزل بعد التوراة عذاب عام من السماء للأمم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٣]، فإنه قبل ذلك قد أهلك قوم فرعون وقوم شعيب ولوط وعاد وثمود وغيرهم، ولم يهلك الكفار بجهاد المؤمنين، ولما كان موسى أفضل من هؤلاء، وكذلك محمد، وهما الرسولان المبعوثان بالكتابين العظيمين كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكَ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ [المزمل: ١٥]، وقال تعالى: ﴿قَالُوا لَوْلَا آؤُفٌ مِّثْلَ آؤُفٍ مُّوسَىٰ أَوَّلَمَ يَكْفُرُوا بِمَا آؤُفٌ مُّوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ [القصص: ٤٨] إلى قوله: ﴿قُلْ فَأَنذَرْتُكُمْ يَكُنتُ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَبَعُهُ﴾ [القصص: ٤٩]، وأمر الله هذين الرسولين بالجهاد على الدين، وشريعة محمد أكمل؛ فلهذا كان الجهاد في أمته =



= أعظم منه في غيرهم، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأُنْصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بَعْضًا﴾ [محمد: ٤]، وقال تعالى للمنافقين: ﴿وَنَحْنُ نَرَبِّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِمَّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ [التوبة: ٥٢] اه من قاعدة في المحبة ١٥٠-١٥١.

٤- وقال أيضًا: «إن الله ﷻ كانت سنته قبل إنزال التوراة إذا كُذِّبَ نبي من الأنبياء ينتقم الله من أعدائه بعذاب من عنده، كما أهلك قوم نوح بالغرق، وقوم هود بالريح الصرصر، وقوم صالح بالصيحة، وقوم شعيب بالظلة، وقوم لوط بالحاصب، وقوم فرعون بالغرق قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٣]، فلما أنزل التوراة أمر أهل الكتاب بالجهاد، فمنهم من نكل ومنهم من أطاع، وصار المقصود بالرسالة لا يحصل إلا بالعلم والقدرة، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨] الجواب الصحيح ١٠٠/٥-١٠١.

٥- وقال ابن كثير -رحمه الله تعالى-: «وقد كان تعالى إنما يعاقب الأمم السالفة المكذبة للأنبياء بالقوارع التي تعم تلك الأمم المكذبة، كما أهلك قوم نوح بالطوفان، وعادًا الأولى بالدبور، وثمود بالصيحة، وقوم لوط بالخسف والقلب وحجارة السجيل، وقوم شعيب بيوم الظلة، فلما بعث الله تعالى موسى وأهلك عدوه فرعون وقومه بالغرق في اليم، ثم أنزل على موسى التوراة شرع فيها قتال الكفار، واستمر الحكم في بقية الشرائع بعده على ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ﴾ [القصص: ٤٣]، وقتل المؤمنين للكافرين أشد إهانة للكافرين وأشفى لصدور المؤمنين، كما قال تعالى للمؤمنين من هذه الأمة: ﴿فَقَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَضَعُ يَدَهُمْ وَيَكْفُفُ يَدَهُمْ قَوْمٌ مُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٤]، ولهذا كان قتل صناديد قريش بأيدي أعدائهم الذين ينظرون إليهم بأعين ازدراهم أنكى لهم وأشفى لصدور حزب الإيمان» اه تفسير ابن كثير (٢/٢٩٢).

٦- وقال في موضع آخر: «يخبر تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله موسى الكليم عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم من إنزال التوراة عليه بعد ما أهلك فرعون وملأه، وقوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾ يعني: أنه بعد إنزال التوراة لم يعذب أمة =

= بعامة، بل أمر المؤمنين أن يقاتلوا أعداء الله من المشركين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا فَرَعُونَ مِن قَبْلِهِ وَالْمَوْتِفَكَتُ بِالْخَاطِئَةِ ۖ﴾ ① فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمُ أَخَذَةً رَّابِيَةً ﴿[الحاقة: ٩-١٠]﴾ تفسير ابن كثير (٣/٣٩١).

٧- وقال السعدي -رحمه الله تعالى-: «مرَّ عليَّ منذ زمان طويل كلام لبعض العلماء لا يحضرني الآن اسمه، وهو أنه بعد موسى ونزول التوراة رفع الله العذاب عن الأمم، أي: عذاب الاستتصال، وشرع للمكذبين المعاندين بالجهاد، ولم أدر من أين أخذه، فلما تدبرت هذه الآيات -يقصد آيات سورة المؤمنين المذكورة آنفاً- مع الآيات التي في سورة القصص تبين لي وجهه. أما هذه الآيات -آيات سورة (المؤمنون)- فلا أن الله ذكر الأمم المهلكة المتتابعة على الهلاك ثم أخبر أنه أرسل موسى بعدهم وأنزل عليه التوراة فيها الهداية للناس، ولا يرد على هذا إهلاك فرعون فإنه قبل نزول التوراة، وأما الآيات التي في سورة القصص فهي صريحة جداً؛ فإنه لما ذكر هلاك فرعون قال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٣]، فهذا صريح أنه آتاه الكتاب بعد هلاك الأمم الباغية، وأخبر أنه أنزله بصائر للناس وهدى ورحمة، ولعل من هذا ما ذكر الله في سورة يونس من قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ ۖ﴾ أي من بعد: نوح ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ. مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطِيعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُتَعَدِّينَ ۖ﴾ ② ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿يونس: ٧٤، ٧٥﴾ [الآيات، والله أعلم] اهـ تفسير السعدي (٥٥٢).

فائدة: ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- أن جهاد الكفار أصلح من هلاكهم بعذاب سماء من وجوه:

أحدها: أن ذلك أعظم في ثواب المؤمنين وأجرهم وعلو درجاتهم؛ لما يفعلونه من الجهاد في سبيل الله لأن تكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله.

الثاني: أن ذلك أنفع للكفار أيضاً؛ فإنهم قد يؤمنون من الخوف، ومن أسر منهم وسيم من الصغار يسلم أيضاً، وهذا من معنى قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] قال أبو هريرة: وكنتم خير الناس للناس تأتون بهم في الأقياد والسلاسل حتى تدخلوهم الجنة. فصارت الأمة بذلك خير أمة أخرجت للناس، وأفلح بذلك المقاتلون، وهذا هو مقصود الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا من معنى كون محمد ما أرسل إلا رحمة للعالمين؛ فهو رحمة في حق كل أحد بحسبه، حتى =

مِنْ وَثْنِيَّةِ الْكَنْعَانِيِّينَ؛ فَامْتَنَعَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَنِ الْقِيَامِ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَالُوا: ﴿يَمْوَسَّى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [المائدة: ٢٢]، فَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالنَّيِّهِ عَلَى عُصْيَانِهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً عَلَى مَا جَاءَ ذِكْرُهُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ. تُوفِّيَ فِيهَا هَارُونُ ثُمَّ مُوسَى عليه السلام.

وَنَشَأَ جِيلٌ جَدِيدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَقْوَى إِيْمَانًا، وَأَصْلَبَ عُودًا، وَأَمْضَى عَزِيمَةً، فَقَادَهُمُ يُوْشَعُ بْنُ نُونٍ عليه السلام إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَفَتَحَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى يَدَيْهِ، وَطَهَّرَتِ الْأَرْضُ الْمُبَارَكَةُ مِنْ شُرْكِ الْكَنْعَانِيِّينَ الْوَثْنِيِّينَ. وَعَمَرَهَا أَتْبَاعُ مُوسَى بِتَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى أَنْ دَبَّ الشُّرْكُ وَالْعُصْيَانُ فِي بَعْضِهِمْ؛ فَكَانَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُوَحِّدُونَ، كَمَا كَانَ فِيهِمْ مُشْرِكُونَ.

فَلَمَّا كَثُرَ الْعُصْيَانُ فِيهِمْ سَلَطَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمُ الْجَبَابِرَةَ مِنَ الْكَنْعَانِيِّينَ، فَاحْتَلُّوا بَيْتَ الْمَقْدِسِ، وَنَكَلُوا بِهِمْ، فَضَاعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَتَفَرَّقُوا، فَعَمِدُوا إِلَى نَبِيِّ لَهُمْ؛ لِيُنْصَبَ عَلَيْهِمْ مَلِكًا يَسُوْسُهُمْ، وَيُعِيدُ مَمْلَكَةَ الْقُدْسِ لَهُمْ، فَأُرْسِلَ إِلَيْهِمْ طَالُوتُ. فَكَانَتِ الْمَعْرَكَةُ الْعَظِيمَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ الَّتِي انْتَصَرَ فِيهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى الْوَثْنِيِّينَ، وَبَرَزَ فِيهَا دَاوُدَ عليه السلام حِينَ قَتَلَ جَالُوتَ، ثُمَّ آلَ الْمُلْكُ إِلَيْهِ بَعْدَ طَالُوتَ، وَآتَاهُ اللَّهُ تَعَالَى النُّبُوَّةَ، فَافْتَتَحَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، وَسَمِيَتْ مَدِينَةُ دَاوُدَ، فَعَزَمَ عَلَى أَنْ يَبْنِيَ لِلَّهِ تَعَالَى مَسْجِدًا، سَمَاهُ الْيَهُودُ: بَيْتَ الرَّبِّ، أَوْ الْهَيْكَلُ <sup>(٣)</sup>.

= المكذبين له هو في حقهم رحمة أعظم مما كان غيره؛ ولهذا لما أرسل الله إليه ملك الجبال، وعرض عليه أن يقلب عليهم الأخشيين قال: «لا، استأني بهم لعل الله أن يخرج من أصلاهم من يعبد الله وحده لا شريك له».

الثالث: أن ذلك أعظم عزة للإيمان وأهله، وأكثر لهم، فهو يوجب من علو الإيمان وكثرة أهله ما لا يحصل بدون ذلك. قاعدة في المحبة (١٥٢-١٥٣).

(٣) كتب د. عبد العزيز كامل - حفظه الله تعالى - مقالة نفيسة بعنوان (بناء الهيكل الثالث ... سابق مع الزمن) في البيان عدد (١٣٥) ص (٧٨) جاء فيها:

=

= الهيكل تسمية قديمة للمكان المختار للعبادة قبل الإسلام، والهيكل الذي كان موجودًا في الأرض المقدسة يمثل مراحل المسجد الأقصى فيما قبل الرسالة المحمدية، وقد صبح أنه ثاني مسجد وضع في الأرض، فقد بناه إبراهيم عليه السلام بعد أن بنى الكعبة بأربعين سنة، وكان الهيكل في القدس قبله لكل أنبياء بني إسرائيل طيلة عهودهم، واستمر المسلمون يصلّون إلى بيت المقدس زمانًا، حتى تحولت قبله المسلمين إلى الكعبة، ولكن حادثة الإسراء كانت إيذانًا بانتقال أرض القبلة الأولى إلى إرث الأمة الإسلامية؛ لأنها أرض مقدسة لا يصلح أن تبقى تحت أيدي أهل الملل الكفرية والعبادات الشركية؛ ولهذا كانت أرض بيت المقدس في مقدمة الأراضي التي اتجهت إليها جهود الفتح، بدءًا من غزوة تبوك، حتى تم فتحها في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

إن اليهود كانوا يتبادلون طوال أزمته الشتات تحية يقولون فيها: (غداً نلتقي في أورشليم!) وبعد أن وصلوا إلى أورشليم أو (القدس) واستولوا على حائط (البراق) الذي يسمونه حائط (المبكى)، ابتدع لهم حاخاماتهم دعاء يرددونه في كل صلاة أمام الحائط، وهو عبارة عن قَسَم وعهد على إعادة بناء الهيكل، ويدعون على أنفسهم بآكين بأن تلتصق ألسنتهم في حلوقهم إذا هم نسوه! وأول من ردد ذلك الدعاء والتزم هذا التعهد هم القادة العسكريون عندما دخلوا القدس عام ١٩٦٧م، ووقتها لم يتقدم (موشيه دايان) وزير الدفاع لدخول المدينة المقدسة إلا وراء الحاخام الأكبر للجيش الإسرائيلي (شلومو غورين)!، أما (إسحاق رابين) رئيس أركان حرب الجيش الإسرائيلي آنذاك والذي تحول بعد إلى (ركن من أركان السلام)، فقد كتب في مذكراته يصف حرارة لحظات دخول القدس والاقتراب من مكان الهيكل فيقول: «كان صبرنا قصيرًا .. كان يجب أن لا نضيع الفرصة التاريخية، كنا كلما اقتربنا من حائط المبكى ازداد الانفعال .. حائط المبكى الذي يميز إسرائيل، لقد كنت أحلم دومًا بأن أكون شريكًا .. ليس فقط في تحقيق قيام إسرائيل، وإنما في العودة للقدس، وإعادة أرض حائط المبكى إلى السيطرة اليهودية .. والآن عندما تحقق هذا الحلم، تعجبت: كيف أصبح هذا ملك يدي؟! وشعرت بأنني لن أصل إلى مثل هذا السمو طيلة حياتي!» ينظر: الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي، لإسماعيل كيلاني، ص ٣٥. ولكن .. هل اليهود وحدهم، أو النصارى معهم فقط المعنيون بإعادة بناء الهيكل؟! .. لا، إن هناك جماهير غفيرة من المغفلين أولي الديانات والثقافات المختلفة، ينجح اليهود في استدراجهم للعمل لحسابهم تحت مظلة الأندية الماسونية العالمية، تلك الماسونية التي =

وَتُوْفِّي ﷺ قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ لَهُ ذَلِكَ، فَخَلَفَهُ ابْنُهُ سُلَيْمَانُ ﷺ، وَآتَاهُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُلْكَ وَالنُّبُوَّةَ، فَابْتَنَى الْمَسْجِدَ عَلَى هَيْئَةٍ عَظِيمَةٍ تَلِيْقُ بِمُلْكِهِ وَمُلْكِ أَبِيهِ ﷺ<sup>(٤)</sup>.

= عرفها المستشرق الهولندي (دوزي) بأنها: جمهور كبير من مذاهب مختلفة، يعملون لغاية واحدة هي: إعادة بناء الهيكل الذي هو رمز إسرائيل. ينظر: الماسونية في العراق، محمد على الزعبي، ص ١٦٣.

ويستوي في ذلك ماسون الغرب وماسون العرب، فقد جاء في النشرة الماسونية الصادرة في نيويورك عام ١٩٠١م: «إن الماسونية الأوروبية ستشيد بناءً حيث يعبد إله إسرائيل إلى الأبد» ينظر: جذور البلاء، لعبد الله التل، ص ١٢٧.

ويقول إدريس راغب، وهو من أبرز الماسونيين العرب: «إن الاعتقاد بوجود إقامة الهيكل يقوِّي إيماننا بالوعود المذكورة في الكتاب» ينظر: الماسونية في العراق، ص ١٠٥.

(٤) جاء في السنة النبوية أن سليمان ﷺ هو باني بيت المقدس في حديث عبد الله بن عمرو ﷺ عن رسول الله ﷺ: «أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ ﷺ لَمَّا بَنَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ سَأَلَ اللَّهُ ﷻ خَلَالًا ثَلَاثَةً: سَأَلَ اللَّهُ ﷻ حُكْمًا يُصَادَفُ حُكْمُهُ فَأُوتِيَهُ، وَسَأَلَ اللَّهُ ﷻ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ فَأُوتِيَهُ، وَسَأَلَ اللَّهُ ﷻ حِينَ فَرَعَ مِنْ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ أَنْ لَا يَأْتِيَهُ أَحَدٌ لَا يَنْهَرُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ فِيهِ أَنْ يُخْرِجَهُ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» أخرجه النسائي (٣٤/٢)، وابن ماجه (١٤٠٨)، وأحمد (١٧٦/٢)، وصححه ابن خزيمة (١٣٣٤)، وابن حبان (١٦٣٣) والحافظ في الفتح (٤٠٨/٦).

قال ابن كثير -رحمه الله تعالى-: «وعند أهل الكتاب أن يعقوب ﷺ هو الذي أسس المسجد الأقصى وهو مسجد إيليا بيت المقدس شرفه الله، وهذا متجه، ويشهد له ما ذكرناه من الحديث -يريد حديث أبي ذر في بناء المسجدين الحرام والأقصى- فعلى هذا يكون بناء يعقوب وهو إسرائيل ﷺ بعد بناء الخليل وابنه إسماعيل المسجد الحرام بأربعين سنة سواء، وقد كان بناؤهما ذلك بعد وجود إسحاق؛ لأن إبراهيم ﷺ لما دعا قال في دعائه كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ ... الآيات، وما جاء في الحديث من أن سليمان بن داود ﷺ لما بنى بيت المقدس سأل الله خلافاً ثلاثاً ..... فالمراد من ذلك -والله أعلم- أنه جدّد بناءه كما تقدم من أن بينهما أربعين سنة، ولم يقل أحد إن بين سليمان وإبراهيم أربعين سنة سوى ابن حبان في تقاسيمه وأنواعه، وهذا القول لم يُوافَقْ عَلَيْهِ ولا سُبِقَ إِلَيْهِ البداية والنهاية (١/١٦٢). وقال في موضع آخر: «ولما عاد -أي: سليمان ﷺ- أمر ببناء بيت المقدس فبناه بناء =

= محكمًا، وقد قدمنا أنه جده، وأن أول من جعله مسجدًا إسرائيل عليه السلام، كما ذكرنا ذلك عند قول أبي ذر: قلت: يا رسول الله، أي مسجد وضع أول؟ قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ قال: مسجد بيت المقدس، قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة. ومعلوم أن بين إبراهيم الذي بنى المسجد الحرام وبين سليمان بن داود عليه السلام أزيد من ألف سنة. دع أربعين سنة» البداية والنهاية (٢/٢٦).

تنبيه: أشار الحافظ في الفتح (٦/٤٠٨): إلى حديث يفيد أن داود ابتدأ في بناء البيت فأكمله سليمان، فقال الحافظ: وفي الطبراني من حديث رافع بن عميرة أن داود عليه السلام ابتدأ ببناء بيت المقدس ثم أوحى الله إليه: إني لأقضي بناءه على يد سليمان وفي الحديث قصة. اهـ.

قلت: هو حديث رافع بن عُمَيْرٍ قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «قال الله ﷻ لِدَاوُدَ ﷺ: ابن لي بيتًا في الأرض، فَبَنَى دَاوُدُ بَيْتًا لِنَفْسِهِ قَبْلَ الْبَيْتِ الَّذِي أُمِرَ بِهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ ﷻ إليه: يا دَاوُدُ نَصَبْتُ بَيْتَكَ قَبْلَ بَيْتِي، قال: يا رَبِّ هَكَذَا قُلْتُ فِيمَا قَضَيْتَ: من مَلَكٍ اسْتَأْثَرَ، ثُمَّ أَخَذَ فِي بِنَاءِ الْمَسْجِدِ، فلما تَمَّ السُّورُ سَقَطَ ثُلَاثُهُ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ ﷻ، فَأَوْحَى اللَّهُ ﷻ إليه أَنَّهُ لَا يَضِلُّحُ أَنْ تَبْنِيَ لِي بَيْتًا، قال: أَيُّ رَبِّ وَلِمَ؟ قال: لِمَا جَرَتْ عَلَى يَدَيْكَ مِنَ الدَّمَاءِ، قال: أَيُّ رَبِّ أَوْ لِمَ يَكُنْ فِي هَوَاكَ وَمَحَبَّتِكَ؟ قال: بَلَى، وَلَكِنَّهُمْ عِبَادِي وَأَنَا أَرْحَمُهُمْ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ ﷻ إليه: لَا تَحْزَنْ فَإِنِّي سَافِضِي بِنَاءَهُ عَلَى يَدَيْ ابْنِكَ سُلَيْمَانَ، فلما مَاتَ دَاوُدُ أَخَذَ سُلَيْمَانُ فِي بِنَائِهِ، فلما تَمَّ قَرَّبَ الْقُرَابِينَ وَذَبَحَ الذَّبَائِحَ، وَجَمَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَوْحَى اللَّهُ ﷻ إليه: قد أَرَى سُرُورًا بَيْنِي بَيْنِي فَسَلِّنى أُعْطِكَ، قال: أَسْأَلُكَ ثَلَاثَ خِصَالٍ: حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَكَ، وَمُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي، وَمَنْ أَنَّى هَذَا الْبَيْتُ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ فِيهِ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ. قال رسول الله ﷺ: أَمَّا ائْتِسْنِ فَقَدْ أُعْطِيَهُمَا، وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يَكُونَ قد أُعْطِيَ الثَّالِثَةُ» رواه الطبراني الكبير (٢٤/٥) رقم (٤٤٧٧)، وفي مسند الشاميين (٥٣)، وأبو نعيم في الحلية (٥/٢٤٦-٢٤٧)، وابن حبان في المجروحين (١٠٠٥).

وهذا الحديث منكر سندًا ومتنًا، أما السند فهو من رواية محمد بن أيوب بن سويد الرملي وهو وَضَّاعٌ، قال ابن حبان في المجروحين: يروي عن أبيه عن الأوزاعي الأشياء الموضوععة لا يحل الاحتجاج به ولا الرواية عنه. اهـ (٢/٢٩٩) وقال الحافظ ابن حجر: «ضعفه الدارقطني، وقال ابن حبان: لا تحل الرواية عنه، قال أبو زرعة: رأيته قد أدخل في =

وَزَلَّ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ تَعَالَى فِي الْمَسْجِدِ أَوْ الْهَيْكَلِ عَلَى وَفْقِ شَرِيعَةِ مُوسَى ﷺ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ، وَمَعَ تَقَادُمِ الْعَهْدِ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَتَحَلَّلُونَ مِنْ شَرَائِعِ أَنْبِيَائِهِمْ شَيْئًا شَيْئًا، فَيَعْتُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ أَنْبِيَاءَ يَدْعُونَهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ وَإِقَامَةِ الدِّينِ، فَرُبَّمَا صَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِمْ أَوْ آذَوْهُمْ أَوْ قَتَلُوهُمْ، فَيَسْلُطُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ كَمَا سَلَطَ عَلَيْهِمُ الْفِرَاعِنَةَ وَالْبَابِلِيِّينَ، وَنَتَجَ عَنْ

= كتب أيه أشياء موضوعة، قلت: من ذلك حديث: لما بنى داود المسجد فسقط، فقليل له إنه لا تصلح أن تتولى بناءه، قال: لم يا رب؟ قال: لما جرى على يديك من الدماء، قال: أولم يكن في هواك؟ قال: بلى ولكنهم عبادي أرحمهم .. الحديث بطوله. انتهى. وقال الحاكم وأبو نعيم: روى عن أبيه أحاديث موضوعة» اهـ من لسان الميزان (٨٧/٥) وساق الهيثمي حديثه هذا ثم قال: «رواه الطبراني في الكبير وفيه محمد بن أيوب بن سويد الرملي، وهو متهم بالوضع» مجمع الزوائد (٨/٤).

وأما نكارة المتن فقوله: «فلما تم السور سقط ثلثاه، فشكا ذلك إلى الله ﷻ أنه لا يصلح أن يبنى لي بيتًا، قال رب: لم؟ قال: لما جرت على يديك من الدماء، قال: أي رب أولم يكن ذاك في هواك ومحبتك؟ قال: بلى ولكنهم عبادي وأنا أرحمهم». ونكارتة من وجهين:

الأول: أن ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأعمال كالجهاد في سبيل الله تعالى لا يكون سببًا في العقوبة، وليس محل ذم الشرع، بل صاحبه محمود، وقد أمر الله ﷻ بجهاد الكفار، والإغلاظ عليهم، والإثخان فيهم، ولا يُظن بنبي الله تعالى داود ﷺ إلا أنه قتل من يستحق القتل من الكفار، وهذا مصرح به في هذا الحديث الموضوع، فكيف يكون سبب عقوبة داود بحرمانه من بناء بيت المقدس، والله تعالى قد أمره بذلك وأحبه منه، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

الثاني: أن قوله: «ولكنهم عبادي وأنا أرحمهم» معارض لما ثبت في القرآن والسنة من أن رَحْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَنْالُهَا إِلَّا الْمُوَحِّدُونَ بخلاف المشركين، قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾

ذَلِكَ هَدْمُ الْمَسْجِدِ أَوْ الْهَيْكَلِ، وَخُرْبَتْ مَدِينَةُ الْقُدْسِ فِي السَّنَةِ الْبَابِلِيَّةِ، ثُمَّ أُعِيدَ بِنَاؤُهَا وَبِنَاءُ الْهَيْكَلِ لَمَّا انتَصَرَ الْفُرسُ عَلَى الْبَابِلِيِّينَ.

وَاسْتَقَرَّ الْحُكْمُ بَعْدَ حُرُوبٍ كَثِيرَةٍ لِلرُّومَانِ عَلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَاسْتَرْضَوْا بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِمْ، وَلَكِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَمَادَوْا فِي الْبُغْيِ وَالظُّلْمِ، فَبَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ زَكَرِيَّا وَيَحْيَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَكَانَ زَكَرِيَّا رَئِيسَ الْمَسْجِدِ أَوْ الْهَيْكَلِ، وَهُوَ الَّذِي كَفَلَ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ الْمُنْذُورَةَ لِيُخْدِمَةَ الْهَيْكَلِ، وَمِنْ مَرْيَمَ جَاءَ الْمَسِيحُ عِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِلَا أَبٍ بِمُعْجَزَةٍ رَبَّانِيَّةٍ مَذْكُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ.

وَبَلَغَ مِنْ فَسَادِ بَنِي إِسْرَائِيلَ -كَمَا فِي أَخْبَارِ كُتُبِهِمْ- أَنَّهُمْ قَتَلُوا زَكَرِيَّا، ثُمَّ قَتَلُوا وَلَدَهُ يَحْيَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ؛ لِأَنَّهُ رَفَضَ الْفُتْيَا لَهُمْ بِجَوَازِ الْبِغَاءِ لِأَحَدٍ مُلُوكِهِمْ، وَرَمَوْا مَرْيَمَ بِالْإِلْفِكَ وَالْبُهْتَانِ.

وَلَمَّا بُعِثَ فِيهِمْ عِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ انْقَسَمَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى فَرِيقَيْنِ: فَرِيقٍ آمَنَ بِعِيسَى -وَهُمُ الْأَقْلُ وَالْأَضْعَفُ- وَهُمْ النَّصَارَى، وَفَرِيقٍ كَفَرَ بِهِ -وَهُمُ الْأَكْثَرُ وَالْأَقْوَى- وَهُمْ الْيَهُودُ، فَوَعَظَهُمْ عِيسَى وَذَكَرَهُمْ، وَكَانَتْ عَقَائِدُهُمْ وَأَخْلَاقُهُمْ قَدْ بَلَغَتْ الْمُنتَهَى فِي الْفَسَادِ وَالْإِنْحِطَاطِ؛ حَتَّى إِنَّهُمْ جَعَلُوا مَسْجِدَ دَاوُدَ مَلْهَى لَهُمْ، وَسُوقًا لِلْمُرَابِينَ مِنْهُمْ، فَحَذَرَهُمْ عِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مِنْ عُقُوبَةِ اللَّهِ تَعَالَى<sup>(٥)</sup>.

وَانْتَشَرَتْ دَعْوَةُ عِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَمَوَاعِظُهُ بَيْنَ النَّاسِ، وَتَأَثَّرُوا بِهِ، فَخَافَ الْمُتَنَفِّذُونَ مِنْ رِجَالِ الدِّينِ وَالسِّيَاسَةِ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى نُفُوذِهِمْ مِنْ دَعْوَتِهِ،

(٥) جاء في إنجيل متى أن عيسى عليه السلام دخل الهيكل، وأخرج جميع الذين يشترون ويبيعون فيه، وقلب عليهم موائد الصيرافة ثم قال: «مكتوب بيتي بيت الصلاة وأنتم جعلتموه مغارة لصوف» متى (١٢/٢١-١٣)، ولما استيأس عليه السلام منهم حذرهم من أن الهيكل سوف يهدم، فقال لهم: «الحق أقول لكم: إنه لا يترك ها هنا حجر على حجر لا ينقض» إنجيل متى (٢/٢٤)، وقد وقع ما حذرهم منه عيسى عليه السلام.



وَحَكَمَتِ الْمَجَامِعُ الدِّينِيَّةُ الْيَهُودِيَّةُ بِقَتْلِ عِيسَى ﷺ، وَأَغْرَوْا الْحَاكِمَ الرُّومَانِيَّ بِذَلِكَ، وَفَرَّ عِيسَى ﷺ وَمَنْ مَعَهُ بِدِينِهِمْ، وَقِيلَ: سُمِّيَ الْمَسِيحَ لِسِيَاخَتِهِ فِي الْأَرْضِ، وَكَثْرَةِ تَنَقُّلِهِ؛ خَوْفًا مِنَ الْيَهُودِ، إِلَى أَنْ عَثَرُوا عَلَيْهِ فَتَجَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُمْ، وَرَفَعَهُ إِلَيْهِ <sup>(٦)</sup>.

(٦) اختلف العلماء في تسميته بالمسيح على أقوال:

- ١- مسيح فعيل بمعنى الفاعل، مثل عليم وعالم، قال ابن عباس رضي الله عنه: سمي عيسى ﷺ مسيحًا؛ لأنه ما مسح ذا عاهة إلا برأ.
- ٢- أنه من فعيل، صرف من مفعول إلى فعيل، وإنما هو ممسوح، يعني مسحه الله فطهره من الذنوب؛ ولذلك قال إبراهيم النخعي: المسيح الصديق، ويكون المسيح بمعنى الكذاب، وبه سمي الدجال، والحرف من الأضداد.
- ٣- وقال آخرون: مسح بالبركة.
- ٤- وقيل: لأنه خرج من بطن أمه ممسوحًا بالدهن.
- ٥- وقيل: مسحه جبريل بجناحه حتى لم يكن للشيطان عليه سبيل.
- ٦- وقيل: لأنه كان مسيح القدم لا أخمص له، وسمي الدجال مسيحًا؛ لأنه كان ممسوح إحدى العينين.
- ٧- وقيل: سُمِّيَ بذلك؛ لأنه كان يسبح في الأرض ولا يقيم في مكان، وعلى هذا القول تكون الميم فيه زائدة.
- ٨- وقيل: لأن الجمال مسحه، أي: أصابه وظهر عليه.
- ٩- وقال أبو الهيثم: المسيح ضد المسيح، يقال: مسحه الله أي: خلقه خلقًا حسنًا مباركًا، ومسحه؛ أي: خلقه خلقًا ملعونًا قبيحًا.
- ١٠- وقال أبو عبيد: المسيح أصله بالعبرانية مشيحًا، فعرب كما عرب موسى بموسى، وأما الدجال فسمى مسيحًا؛ لأنه ممسوح إحدى العينين، وقد قيل في الدجال: مسيح بكسر الميم وشد السين، وبعضهم يقول كذلك بالخاء المنقوطة، وبعضهم يقول: مسيح بفتح الميم وبالخاء والتخفيف. والأول أشهر وعليه الأكثر، سُمِّيَ به؛ لأنه يسبح في الأرض؛ أي: يطوفها ويدخل جميع بلدانها، إلا مكة والمدينة وبيت المقدس، فهو فعيل بمعنى فاعل، فالدجال يمسح الأرض محنة، وابن مريم يمسحها منحة، وعلى أنه ممسوح العين فعيل بمعنى مفعول.

وَبَعْدَ سَنَوَاتٍ مِنْ رَفَعِ عِيسَى ﷺ، وَأَذِيَّةِ أَتْبَاعِهِ بِأَيْدِي الْيَهُودِ؛ سُلِّطَ الْيَهُودُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَحَاوَلُوا التَّمَرُّدَ عَلَى الْحَاكِمِ الرُّومَانِيِّ، فَاسْتَبَاحَهُمْ، وَسَبَى كَثِيرًا مِنْهُمْ إِلَى رُومًا، وَأَحْرَقَ الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ، وَهُدِمَ الْهَيْكَلُ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ، وَتَحَقَّقَتْ فِيهِمْ نُبُوءَةُ عِيسَى ﷺ فَلَمْ يَبْقِ الرُّومَانُ فِي الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ حَجَرًا عَلَى حَجَرٍ، وَانْتَهَى أَمْرُ الْيَهُودِ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَتَفَرَّقُوا فِي أَرْجَاءِ الْأَرْضِ، وَانْتَقَلَتْ أَحَقِيَّةُ الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى النَّصَارَى؛ لِشُرْكِ الْيَهُودِ وَتَوْحِيدِ النَّصَارَى.

وَلَكِنَّ أَتْبَاعَ عِيسَى ﷺ -وَهُمُ النَّصَارَى- مَا لَبِثُوا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى بَدَأَ الْإِنْحِرَافُ يَدُبُّ فِيهِمْ، وَلَمْ يَبْقَ عَلَى التَّوْحِيدِ مِنْهُمْ إِلَّا طَائِفَةٌ قَلِيلَةٌ؛ إِذْ بَعْدَ ثَلَاثَةِ قُرُونٍ مِنْ رَفَعِ الْمَسِيحِ ﷺ أَعْلَنَ حَاكِمُ الرُّومِ «قُسْطَنْطِينُ» عَقِيدَةَ الثَّلَاثَةِ عَقِيدَةً مُوَحَّدةً لِلنَّصَارَى، وَدَخَلَتِ الْأُمَّةُ الرُّومَانِيَّةُ فِي النَّصْرَانِيَّةِ الْمُحَرَّفَةِ، وَهَرَبَ الْمُوَحِّدُونَ مِنْ أَتْبَاعِ عِيسَى ﷺ فِي الْبَرَارِي وَالْأَدْعَالِ؛ خَوْفًا مِنْ بَطْشِ أَهْلِ الشُّرْكِ وَالثَّلَاثَةِ. وَابْتُنِيَتِ الْكَنَائِسُ فِي مَدِينَةِ الْقُدْسِ وَغَيْرِهَا عَلَى هَذِهِ الْعَقِيدَةِ الشَّرِكِيةِ، وَأُقِيمَتْ فِيهَا التَّمَاثِيلُ، وَصُوِّرَتْ فِيهَا التَّصَاوِيرُ الَّتِي تُنَاقِضُ دِينَ الْمَسِيحِ ﷺ. وَظَلَّ مَسْجِدُ دَاوُدَ ﷺ سُورًا خَالِيًا لَا بِنَاءَ فِيهِ.

وَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى مُحَمَّدًا ﷺ، وَأَسْرَى بِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَأَمَّ فِيهِ الْأَنْبِيَاءَ ﷺ، كَانَ ذَلِكَ إِذَا نَا بِإِنْتِقَالِ الْحَقِّ فِي الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ مِنَ النَّصَارَى إِلَى الْمُسْلِمِينَ.

= ١١- أن المسيح اسم لعيسى غير مشتق سماه الله به، فعلى هذا يكون عيسى بدلاً من المسيح من البديل الذي هو هو، وعيسى اسم أعجمي فلذلك لم ينصرف، وإن جعلته عربياً لم ينصرف في معرفة ولا نكرة؛ لأن فيه ألف تانيث ويكون مشتقاً من عاسه يعوسه: إذا ساسه وقام عليه. ينظر: تفسير الطبري (٣/٢٧٠)، وتفسير البغوي (١/٣٠١-٣٠٢)، وتفسير القرطبي (٤/٨٩)، وتفسير ابن كثير (١/٣٦٤).

وَتَمَّ ذَلِكَ فِي فُتُوحِ الشَّامِ فِي عَهْدِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي رَحَلَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى بَيْتِ  
الْمَقْدِسِ لِيَتَسَلَّمَ مَفَاتِيحَهُ مِنْ كِبَارِ النَّصَارَى، وَدَخَلَتِ الْمَدِينَةُ الْمُقَدَّسَةُ وَمَسْجِدُهَا  
-مَسْجِدُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ- فِي حَظِيرَةِ الْإِسْلَامِ، وَشُرِعَ شَدُّ الرَّحَالِ إِلَى مَسْجِدِهَا كَمَا  
شُرِعَ لِحَرَمَيْ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وَلَا حَقَّ فِيهَا لِغَيْرِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ؛ بِنَاءً عَلَى أَنَّهَا مِنْ  
حَقِّ مَنْ يُقِيمُ دِينَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا دِينَ حَقًّا بَعْدَ بَعَثَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا دِينُ الْإِسْلَامِ.  
وَأَمَّا الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فَانْحَرَفُوا عَنْ شَرَائِعِ أَنْبِيَائِهِمْ، فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ أَوْلَى  
بَأَنْبِيَائِهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْيَهُودِ: «نَحْنُ أَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ» مُتَّفَقٌ  
عَلَيْهِ <sup>(٧)</sup>.

وَفِي شَأْنِ عِيسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ <sup>(٨)</sup>.  
وَعِيسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ يَنْزِلُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ يُقَاتِلُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى عَلَى  
شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ بِهَا <sup>(٩)</sup>.  
نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُبَيِّنَنَا عَلَى الْحَقِّ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَنْصَارِهِ، وَأَنْ يَكْتِبَ  
أَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَنْ يَرُدَّ كَيْدَهُمْ إِلَى نُحُورِهِمْ، وَأَنْ يَجْعَلَهُمْ خَائِبِينَ  
خَاسِرِينَ؛ إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.  
أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى لِي وَلَكُمْ ...



(٧) أخرجه من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: البخاري في مناقب الأنصار، باب إتيان اليهود النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حين قدم المدينة (٣٩٤٣)، ومسلم في الصيام، باب صوم يوم عاشوراء (١١٣٠).

(٨) أخرجه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: البخاري في أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مريم: ١٦] (٣٤٤٢)، ومسلم في الفضائل

باب فضائل عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢٣٦٥).

(٩) ينظر: خطبة نزول عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مجلد (٤)، خطبة رقم (١٩٣).

## الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى وَأَطِيعُوهُ ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: كَانَ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى عَلَى مَرِّ التَّارِيخِ مَسْجِدًا لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُوجَدَ الْيَهُودُ وَمِنْ بَعْدِ مَا وَجَدُوا؛ فَإِبْرَاهِيمُ ؑ هُوَ أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ تِلْكَ الْبُقْعَةَ مَسْجِدًا، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧].

وَلَيْسَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ -يَهُودًا كَانُوا أَوْ نَصَارَى- عِلَاقَةٌ بِالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى إِلَّا فِي الْفَتَرَاتِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُسْلِمِينَ مَعَ أَنْبِيَائِهِمُ الْمُسْلِمِينَ ﷺ، أَمَّا بَعْدَ كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَشَتْمِهِمْ إِيَّاهُ، وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ فَقَدْ انْبَثَّتْ عِلَاقَتُهُمْ بِهَذَا الْمَسْجِدِ الَّذِي تَحَوَّلَ إِلَى إِرْثِ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ بِجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ.

وَلَكِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى فِي هَذَا الزَّمَنِ لَا يُسَلِّمُونَ بِذَلِكَ، وَيَحَارِبُونَ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ؛ إِذْ يَعْتَقِدُ الْيَهُودُ أَنَّ بِنَاءَ الْهَيْكَلِ الثَّالِثِ سَيُخْرِجُ مَلِكًا مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ ؑ يَحْكُمُونَ بِهِ الْعَالَمَ، وَيَقْتُلُونَ غَيْرَ الْيَهُودِ، كَمَا يَعْتَقِدُ النَّصَارَى أَنَّ نَزُولَ الْمَسِيحِ سَيَكُونُ فِي الْأَرْضِ الْمُبَارَكَةِ، وَأَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ أَتْبَاعَهُ، وَيَقْتُلُونَ بِهِ غَيْرَ النَّصَارَى؛ فَالضَّرَاعُ عَلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ هُوَ صِرَاعٌ دِينِيٌّ عَقَائِدِيٌّ، يَعْتَقِدُ صَهَاينُهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَنَّهُمْ لَنْ يَسْتَطِيعُوا حُكْمَ الْعَالَمِ إِلَّا بَعْدَ بِنَاءِ الْهَيْكَلِ فِيهِ؛ وَلِذَا فَلَنْ يَتَنَازَلُوا عَنْهُ مَهْمَا كَلَّفَ الْأَمْرُ.

وَأَمَّا الْمَلَاحِدَةُ وَالْعُلَمَائِيُّونَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ فَيَرَوْنَ أَنَّ هَذِهِ الْعَقَائِدَ الدِّينِيَّةَ الَّتِي تُحَرِّكُ صَهَايَتَهُمْ فُرْصَةً سَانِحَةً لِإِقْنَاعِ شُعُوبِهِمْ وَتَحْرِيكِهِمْ نَحْوَ اسْتِعْمَارِ مَنْطَقَةِ الشَّرْقِ الْإِسْلَامِيِّ، وَبَسْطِ نُفُوذِهِمْ فِيهَا؛ لِتَحْقِيقِ مَكَاسِبِ سِيَاسِيَّةٍ وَاقْتِصَادِيَّةٍ بِهَذِهِ الْمُعْتَقَدَاتِ.

وَالْعَجِيبُ أَنَّ الْأَهْدَافَ الصَّهْيُونِيَّةَ الدِّينِيَّةَ وَالْأَهْدَافَ الْعُلَمَائِيَّةَ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى قَدْ اتَّفَقَتْ عَلَى هَذِهِ الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ، وَاتَّفَقَتْ عَلَى لُزُومِ السَّيْطَرَةِ عَلَيْهَا، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ وَإِنْ كَانَتْ لَهُ مَسَوِّغَاتُهُ وَمَشَارِيعُهُ فَإِنَّهُ يَدْعُمُ الْفَرِيقَ الْآخَرَ وَيُؤَيِّدُهُ، بِخِلَافِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَإِنَّ الْعُلَمَائِيِّينَ مِنْهُمْ يُرِيدُونَ التَّخْلِيَّ عَنِ الْأَرْضِ الْمُبَارَكَةِ، وَيَبْعَثُهَا وَمَسْجِدَهَا لِلْأَعْدَاءِ بِشَمَنِ بَخْسٍ؛ بَلْ بِلَا ثَمَنِ، وَيُحَارِبُونَ مَنْ لَا يُوَافِقُهُمْ فِي خِيَانَتِهِمْ بِلَا هَوَادَةٍ.

إِنَّ الْأَرْضَ الْمُبَارَكَةَ هِيَ أَرْضُ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَسْجِدُهَا أَقِيمَ لِتَوْحِيدِهِ سُبْحَانَهُ، وَلَيْسَ مِنْ حَقِّ أَحَدٍ -كَائِنًا مَنْ كَانَ- أَنْ يَتَنَازَلَ عَنْ شَيْءٍ مِنْهَا لِلْأَعْدَاءِ؛ فَهِيَ مِلْكٌ لِلَّهِ تَعَالَى، وَأَمَانَةٌ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَنْ تُحَرَّرَ مِنْ رَجْسِ الْيَهُودِ إِلَّا بِالتَّزَامِ دِينَ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَحْكِيمِ شَرِيعَتِهِ، وَالتَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي الَّتِي هِيَ سَبَبُ الذُّلِّ وَالْهَوَانِ الْمَضْرُوبِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ.

إِنَّ الْأَرْضَ الْمُبَارَكَةَ بِمَسْجِدِهَا الْمُقَدَّسِ لَنْ تُحَرَّرَهَا مُؤْتَمَرَاتُ ثِقَامِ هُنَا أَوْ هُنَاكَ، يَعْقِدُهَا مَنْ سَعَرُوا الْحُرُوبَ لِإِشْبَاعِ نَزَوَاتِهِمْ؛ فَاسْتَعْمَرُوا الْبُلْدَانَ، وَخَرَّبُوا الْعُمَرَانَ، وَنَهَبُوا الثَّرَوَاتِ، وَقَتَلُوا الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ وَالْوِلْدَانَ، هُمْ الْخَصْمُ فِي مُؤْتَمَرَاتِهِمْ وَهُمْ الْحَكَمُ، وَهُمْ مَنْ يُمْلُونَ الْإِتْفَاقِيَّاتِ، وَيَشْتَرِطُونَ الشُّرُوطَ، وَيَفْرِضُونَ إِرَادَتَهُمُ الظَّالِمَةَ بِالْقُوَّةِ وَالْبَطْشِ وَالتَّخْوِيفِ وَالتَّهْدِيدِ، مَا يَعْقِدُونَ مُؤْتَمَرَاتِهِمْ إِلَّا طَمَعًا فِي تَنَازُلَاتٍ جَدِيدَةٍ، وَلَنْ يَكُونَ حِطُّ الْمُسْلِمِينَ مِنْ

مُؤْتَمَرِهِمُ الْآخِرِ إِلَّا كَحَظِّهِمْ مِنْ اتِّفَاقَاتِ مَدْرِيْدَ وَأَسْلُو وَغَيْرِهَا مِنْ مُؤْتَمَرَاتِ الْأَعْدَاءِ.

لَنْ يَنَالَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهَا إِلَّا تَكْرِيسَ الْإِخْتِلَالِ، وَمُكَافَأَةَ الظَّلْمَةِ، وَجَلْدَ الصَّحِيَّةِ، وَتَشْرِيعَ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ؛ فَلَا أَمَلَ فِيهِمْ وَلَا فِي مُؤْتَمَرَاتِهِمْ؛ وَإِنَّمَا الْأَمَلُ فِي اللَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ فِي رِجَالٍ مُؤْمِنِينَ مُرَابِطِينَ فِي الْأَرْضِ الْمُبَارَكَةِ، قَدْ تَحَمَّلُوا عَنِ الْأُمَّةِ كُلِّهَا مَسْئُولِيَّةَ الدِّفَاعِ عَنِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، فَفَدَوْهُ بِدِمَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، مَا وَهَنْتَ لَهُمْ عَزِيمَةٌ، وَلَا لَانتَ لَهُمْ عَرِيكَةٌ، جَوَّعَهُمْ أَهْلُ الْأَرْضِ عَلَى مَا اخْتَارُوا فَصَبَرُوا وَمَا ضَجُرُوا .. هَدَمَ الْيَهُودُ دِيَارَهُمْ، وَأَتْلَفُوا زُرُوعَهُمْ، وَفَعَلُوا بِهِمْ مَا لَا يَحْتَمِلُهُ غَيْرُهُمْ، وَهُمْ صَابِرُونَ صَامِدُونَ مُرَابِطُونَ، فَلَهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ حَقُّ الدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ بِأَنْ يُفَرِّجَ اللَّهُ تَعَالَى كُرْبَتَهُمْ، وَيُقَوِّيَ عَزِيمَتَهُمْ، وَيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَيَنْصُرَهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، وَيُحَرِّرَ الْأَقْصَى عَلَى أَيْدِيهِمْ ﴿وَمَا أَلْتَضَرُّ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].  
وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ...



### ٣٧٤- كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفاها الله

١٤٢٧/٧/٢٤هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ؛ تَفَرَّدَ بِالْجَلَالِ وَالْكَمَالِ، وَبِالْقُوَّةِ وَالْقَهْرِ وَالسُّلْطَانِ، لَا يَذِلُّ مَنْ  
وَالَاهُ، وَلَا يَعْزُ مَنْ عَادَاهُ، أَحْمَدُهُ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ  
وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ، الْكَبِيرُ  
الْمُتَعَالِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ كَانَ أَعْلَمَ الْخَلْقِ بِرَبِّهِ، وَأَشَدَّهُمْ ثِقَةً  
فِيهِ، وَأَكْثَرَهُمْ تَوَكُّلاً عَلَيْهِ، وَإِنَابَةً إِلَيْهِ، وَتَصَدِيقًا بِمَوْعُودِهِ، حَاصِرُهُ الْمُشْرِكُونَ  
فَمَا تَزْعُزَعُ يَقِينُهُ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَأَجْمَعَ النَّاسُ حَرْبَهُ فَمَا رَدَّهُ ذَلِكَ عَنْ تَبْلِيغِ دِينِهِ،  
وَفِي هِجْرَتِهِ وَقَفَ الْمُشْرِكُونَ عَلَى بَابِ الْغَارِ حَتَّى قَالَ صَاحِبُهُ ﷺ: يَا رَسُولَ  
اللَّهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرْنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ ﷺ: «يَا أَبَا بَكْرٍ مَا  
ظَنُّكَ بِاِثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِيَهُمَا»<sup>(١)</sup>، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ  
وَأَزْوَاجِهِ وَاتَّبَاعِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى وَأَطِيعُوهُ، وَرَاقِبُوهُ فَلَا تَعْصُوا، وَاعْتَصِمُوا بِهِ  
وَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ ١ وَيزُفُّهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ  
عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿الطَّلَاق: ٢، ٣﴾.  
أَيُّهَا النَّاسُ: مَنْ نَظَرَ فِي أَحْوَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَا أَصَابَهُمْ مِنْ ضَعْفٍ وَهَوَانٍ،  
وَتَفَرُّقٍ وَاخْتِلَافٍ أَتَقَنَ بِأَنَّ عِلْلَهُمْ كَثِيرَةً، وَأَذْوَاءَهُمْ خَطِيرَةً، وَقَدْ شَمِلَتْ مَجَالَاتِ

(١) أخرجه من حديث أنس رضي الله عنه: البخاري في التفسير، باب قوله: ﴿ثَانِيكَ أَتَيْنَ إِذْ هُمَا فِي  
الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَجِدُ اللَّهَ مُعْتَكِفًا﴾ [التوبة: ٤٠] (٤٦٦٣)، ومسلم في

فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٢٣٨١).

كَثِيرَةٌ؛ فَفِيهِمْ مِنَ الْعِلَلِ السِّيَاسِيَّةِ مَا جَعَلَهُمْ مُسْتَضَائِمِينَ مُسْتَضْعَفِينَ، يَسْتَجِدُونَ غَيْرَهُمْ لِلْوُقُوفِ مَعَهُمْ، وَيَطْلُبُونَ الْحِمَايَةَ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَأَعْدَاؤُهُمْ يُشْعِلُونَ الْحُرُوبَ فِي أَرَاضِيهِمْ وَيُوقِفُونَهَا مَتَى أَرَادُوا، وَلَا مَشُورَةَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ، بَلْ وَيُضْذِرُونَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْقَرَارَاتِ مَا يُضْعِفُهُمْ، وَيَشْتَرِطُونَ عَلَيْهِمْ مِنَ الشُّرُوطِ مَا يَذِلُّهُمْ وَيُهِينُهُمْ.

وَفِيهِمْ مِنَ الْأَدْوَاءِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ مَا جَعَلَ أَكْثَرَ الدُّوَلِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَالَةً عَلَى غَيْرِهِمْ، يَشْتَرُونَ خُبْرَهُمْ بِبَيْعِ سِيَادَتِهِمْ، وَيُهْدِرُونَ كَرَامَتَهُمْ فِي سَبِيلِ بَقَائِهِمْ، وَقَدْ عَلَتْهُمْ الدُّوَلُ الْمُسْتَكْبِرَةُ بِالمُسَاعَدَاتِ وَالْقُرُوضِ الرَّبَوِيَّةِ. وَتَرَوَاتُهُمْ لِغَيْرِهِمْ وَلَيْسَتْ لَهُمْ، وَلَا يَسْمَحُ أَعْدَاؤُهُمْ لَهُمْ بِالْعِتْقِ مِنْ رِقِّهِ وَأَسْرِهِ، حَتَّى إِذَا مَا أَرَادَ الْعَدُوُّ افْتِرَاسَ بَلَدٍ مُسْلِمٍ، وَهَبَّتِ الدُّوَلُ الْإِسْلَامِيَّةُ لِنَجْدَتِهِ أَوْ الْإِنْكَارِ عَلَى عَدُوِّهِ؛ رَفَعَ الْأَصْدِقَاءُ الْأَعْدَاءَ أَوْ رَاقِ الْمُسَاعَدَاتِ وَالْقُرُوضِ فِي وَجْهِهَا، فَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى حِرَاكِ مَعَهَا، وَأَعْلَى نِسْبَةٍ فَقْرٍ عَالَمِيَّةٍ هِيَ فِي بَعْضِ دُولِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ.

وَفِي الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْأَدْوَاءِ الْإِعْلَامِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ مَا أَفْقَدَ كَثِيرًا مِنْهُمْ شَخْصِيَّتَهُمْ، وَأَذَابَهُمْ فِي الْمَنَاهِجِ الْمُنْحَرِفَةِ، وَمَنْ رَأَى أَكْثَرَ الْقَنَوَاتِ الْفَضَائِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالصُّحُفِ وَالْمَجَلَّاتِ عَلِمَ أَنَّهَا لَا تُمَثِّلُ شَخْصِيَّةَ الْأُمَّةِ، وَلَا تُدَافِعُ عَنْ حُقُوقِهَا، وَلَا تَسْعَى لِنَشْرِ دِينِهَا وَثِقَافَتِهَا، بَلْ هِيَ أَشَدُّ مَا تَكُونُ حَرْبًا عَلَى دِينِ الْمُسْلِمِينَ وَقِيَمِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ، فِي مُقَابِلِ الدَّعَايَةِ الْفَجَّةِ وَالتَّرْوِيجِ الْفَاضِحِ لِلْمَنَاهِجِ الْمُنْحَرِفَةِ، وَالسُّلُوكِيَّاتِ الْمُنْحَطَّةِ، وَالْأَخْلَاقِ الرَّدِيئَةِ، عَنْ طَرِيقِ اسْتِنْسَاحِ كَامِلِ لِبَرَامِجِ مَلَاحِدَةِ الْغَرْبِ وَفَسَاقِهِمْ.

وَفِي الْمُسْلِمِينَ مِنَ أَدْوَاءِ التَّفَرُّقِ وَالْإِخْتِلَافِ مَا يَجْعَلُ ثِقَةً كَثِيرًا مِنْهُمْ فِي أَعْدَائِهِمْ أَكْثَرَ مِنْ ثِقَتِهِمْ فِي إِخْوَانِهِمْ، وَالْخِيَانَاتُ الْمُتَتَابِعَةُ الَّتِي مَرَّتْ بِهَا قَضِيَّةُ



فَلَسْطِينَ مِثَالٌ شَاهِدٌ عَلَى ذَلِكَ؛ سَوَاءٌ فِي عُهُودِ الْحُرُوبِ وَالْمُدَافَعَةِ، أَمْ فِي مَرَاحِلِ التَّفَاوُضِ وَالسَّلَامِ وَالْمُنَاقَشَةِ، الَّتِي وَقَعَهَا الْأَعْدَاءُ مَعَ كُلِّ دَوْلَةٍ عَلَى حَدِّهِ؛ لِيَزِيدَهُمْ ضَعْفًا إِلَى ضَعْفِهِمْ، وَتَفَرُّقًا إِلَى تَفَرُّقِهِمْ.

وَمَعَ هَذِهِ الْعِلَلِ الْمُهْلِكَةِ، وَتِلْكَ الْآفَاتِ الْمُرْدِيَةِ، يَأْتِي الْمُنَافِقُونَ بِهَمَّتِهِمْ وَمُهِمَّتِهِمْ فِي الْقَضَاءِ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالتَّخْذِيلِ وَالْإِرْجَافِ، وَالْوَعِيدِ وَالتَّخْوِيفِ -إِنْ أَصَرَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى دِينِهِمْ، وَلَمْ يَحِيدُوا عَنْ قُرَائِهِمْ- زَاعِمِينَ أَنَّ بَلَاءَ الْمُسْلِمِينَ وَانْكِسَارَهُمْ وَتَخَلُّفَهُمْ إِنَّمَا كَانَ بِسَبَبِ الْمَوْرُوثَاتِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي لَا تُنَاسِبُ الزَّمَنَ، مُؤَكِّدِينَ عَلَى أَنَّ الْأُمَّةَ الْأُخْرَى مَا تَقَدَّمَتْ وَعَزَّتْ وَانْتَصَرَتْ إِلَّا لَمَّا نَبَذَتْ مَوْرُوثَاتِهَا وَرَاءَهَا ظَهْرِيًّا، فَرَادَ هَؤُلَاءِ الْمَحْذِلُونَ وَالْمُرْجِفُونَ فِي ضَعْفِ الْأُمَّةِ وَتَمَزُّقِهَا وَتَقَهُّرِهَا.

إِنَّهَا أَدَوَاءٌ عَظِيمَةٌ، وَفِتْنٌ كَبِيرَةٌ، أَصَابَتْ كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَقَاتِلِهِمْ، وَطَاشَتْ بِهَا عُقُولُهُمْ، فَتَغَيَّرَتْ قَنَاعَتُهُمْ، وَتَبَدَّلَتْ مَوَاقِفُهُمْ، وَصَارُوا أَبَوَاقًا لِلْأَعْدَاءِ بَدَلَ الدِّفَاعِ عَنْ حُقُوقِهِمْ، وَدِعَايَةً لِلْمَنَاهِجِ الْمُنْحَرِفَةِ بَدَلَ الدَّعْوَةِ إِلَى دِينِهِمْ.

وَلَقَدْ شَهِدْنَا فِي خِصْمِ هَذِهِ الْفِتَنِ وَالْمِحَنِ تَحَوُّلَاتٍ كَثِيرَةً مِنَ الْإِيمَانِ إِلَى النِّفَاقِ، وَمِنَ الْإِسْلَامِ إِلَى الزُّنْدَقَةِ وَالْإِلْحَادِ، وَمِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى التَّمَسُّكِ بِالشَّرِيعَةِ إِلَى الْإِضْرَارِ عَلَى التَّقَلُّبِ مِنْهَا ..

بَلْ رَأَيْنَا وَسَمِعْنَا ذَوِي دَعْوَةٍ وَحِجَا قَدْ نَقَلُوا أَحَادِيثَهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَى الْمَذَاهِبِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَالْإِحْوَاءِ الْبَشَرِيِّ، وَانْتَقَلُوا فِي اسْتِدْلَالَاتِهِمْ مِنْ نُصُوصِ الْوَحْيَيْنِ إِلَى أَقْوَالِ الْمُفَكِّرِينَ الْغَرَبِيِّينَ.

وَأَصَابَتْ هَذِهِ الْأَدَوَاءُ الْمُهْلِكَةُ جُمُهورَ الْمُسْلِمِينَ بِالْيَأْسِ وَالْإِحْبَاطِ؛ لِأَنَّهُمْ

يَرَوْنَ أَحْوَالَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ سَيِّئٍ إِلَى أَسْوَأَ، وَلَمْ يَثْبُتْ عَلَى قَنَاعَتِهِ بِدِينِهِ كُلِّهِ، وَلَمْ يَتَنَازَلَ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ إِلَّا نِزَاعٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالِدُّعَاةِ وَالصَّالِحِينَ فِي كُلِّ بَلَدٍ مِنْ بُلْدَانِ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ رَبَطَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى قُلُوبِهِمْ وَثَبَّتَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ.

إِنَّ النَّاسَ فِي حَالِ السَّلَامَةِ وَالْعَافِيَةِ يَثْبُتُونَ، وَلَكِنْ إِذَا تَعَاظَمَتِ الْفِتْنُ، وَاسْتَحْكَمَتِ الْمِحَنُ، وَازْدَادَتِ الشُّرُورُ، وَتَسَلَّطَ الْكَافِرُونَ وَالْمُنَافِقُونَ فَلَا يَثْبُتُ إِلَّا مَنْ ثَبَّتَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَفْذَاذِ الرِّجَالِ، وَيَوْمَ ارْتَدَّ الْمُتَرَدُّونَ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ لَمْ يَثْبُتْ إِلَّا الصَّدِيقُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَثَبَّتَ اللَّهُ تَعَالَى الْأُمَّةَ بِشَبَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَيَوْمَ قَالَتِ الْمُبْتَدِعَةُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَامْتَحَنُوا النَّاسَ عَلَى ذَلِكَ لَمْ يَثْبُتْ عَلَى كَثْرَةِ الْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ إِلَّا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ؛ فَرَفَعَ اللَّهُ تَعَالَى بِشَبَابِهِ الْمِحْنَةَ، وَنَصَرَ السُّنَّةَ.

إِنَّ الْمُسْلِمِينَ إِزَاءَ هَذِهِ الْأَحْوَالِ الْمُتَرَدِّيَةِ، وَالْفِتَنِ الْمُتَلَاطِمَةِ أَخَوْجُ مَا يَكُونُونَ إِلَى اسْتِحْضَارِ هَذِي النَّبِيِّ ﷺ فِي ذَلِكَ؛ فَقَدْ أُوذِيَ ﷺ، وَأُوذِيَ أَصْحَابُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَهَجَرُوا مِنْ دِيَارِهِمْ، وَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ قُوَى الشَّرِّ وَالطُّغْيَانِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَمَا رَأَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ مُتَنَازِلًا أَوْ مُبَدَّلًا، وَلَا يَأْتِسَا مُحْبَطًا؛ بَلْ تَحْكِي سِيرَتُهُ ﷺ أَنَّهُ فِي حَالِ الْمِحَنِ وَالْفِتَنِ، وَاشْتِدَادِ الْكَرْبِ، وَاجْتِمَاعِ النَّاسِ عَلَيْهِ وَعَلَى دَعْوَتِهِ، يَكُونُ أَشَدَّ ثَبَاتًا وَعَزْمًا، وَأَكْثَرَ تَفَاؤُلًا وَاسْتِيشَارًا، وَقَدْ زَحَرَتْ سِيرَتُهُ الْعِطْرَةُ بِأَمْثِلَةٍ كَثِيرَةٍ عَلَى ذَلِكَ.

وَفِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ شَكَا الْمُسْتَضْعِفُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا يَلْقَوْنَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَقَالُوا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ ﷺ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيَجْعَلُ فِيهِ، فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِأَنْتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ

لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهُ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكِيبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوِ الذُّبَّ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ (٢).

لَقَدْ حَثَّهُمْ ﷺ عَلَى الثَّبَاتِ، وَحَكَى لَهُمْ أَخْبَارَ الثَّابِتِينَ مِمَّنْ كَانُوا قَبْلَهُمْ، وَيَسِّرُهُمْ بِالنَّصْرِ رَغَمَ حَالَةِ الضَّعْفِ الَّتِي يَعِيشُونَهَا.

وَفِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ تَحَزَّبَتِ الْأَحْزَابُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَحَاصَرُوا الْمَدِينَةَ، وَنَقَضَتْ يَهُودُ مِنْ دَاخِلِ الْمَدِينَةِ عَهْدَهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاشْتَدَّ الْكَرْبُ، وَعَظُمَتِ الْمِحْنَةُ، وَيَكْفِي فِي وَصْفِ ذَلِكَ الْمَوْقِفِ الْعَصِيبِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ۝﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿[الأحزاب: ١٠، ١١].

وَلَكِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ وَاثِقًا بِرَبِّهِ، مُوقِنًا بِوَعْدِهِ وَنَصْرِهِ، وَكَانَ فِي تِلْكَ الشَّدَةِ يُبَشِّرُ أَصْحَابَهُ بِالْكُنُوزِ وَالْفَتْوحِ وَالنَّصْرِ؛ كَمَا رَوَى الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: «لَمَّا أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَحْفِرَ الْخَنْدَقَ عَرَضَ لَنَا فِيهِ حَجَرٌ لَا يَأْخُذُ فِيهِ الْمِعْوَلُ، فَاشْتَكَيْنَا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَلْقَى ثَوْبَهُ وَأَخَذَ الْمِعْوَلَ وَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، فَضْرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَ الصَّخْرَةِ وَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللَّهُ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ الْآنَ مِنْ مَكَانِي هَذَا، قَالَ: ثُمَّ ضْرَبَ أُخْرَى وَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، وَكَسَرَ ثُلُثًا آخَرَ، وَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، وَاللَّهُ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَ الْمَدَائِنِ الْأَبْيَضِ الْآنَ، ثُمَّ ضْرَبَ ثَالِثَةً وَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، فَقَطَعَ الْحَجَرُ، وَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ

(٢) أخرجه من حديث خباب بن الارت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: البخاري في المناقب، باب علامات النبوة في

الْيَمَنَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ بَابَ صَنْعَاءَ» رَوَاهُ أَحْمَدُ<sup>(٣)</sup>.

إِنَّهُ لَمَوْقِفٌ عَظِيمٌ، وَتَنْثِيَتٌ عَجِيبٌ، يَعِدُهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِالْأَمْنِ وَهُمْ فِي شِدَّةِ الْخَوْفِ، وَيُبَشِّرُهُمْ بِكُنُوزِ الْأُمَمِ وَهُمْ فِي عَوَزٍ وَجُوعٍ وَمَخْمَصَةٍ، وَيَذْكُرُ لَهُمْ فَتْحَ الْمُدُنِ الْكُبْرَى فِي وَقْتِهِ وَهُمْ مُحَاصِرُونَ فِي الْمَدِينَةِ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُدُنِ الَّتِي بَشَّرَ بِفَتْحِهَا أُمَيَّالٌ وَأُمَيَّالٌ ..

إِنَّهُ الْإِيْمَانُ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَالثِّقَةُ بِهِ، وَتَصْدِيقُ وَعْدِهِ ..

إِنَّهُ ثَبَاتٌ لَا تُرْغِزُهُ الْمَحَنُ، وَلَا تَمِيدُ بِهِ الْفِتَنُ، بَلْ تَزِيدُهُ شِدَّةً وَصَلَابَةً فِي الْحَقِّ، وَإِضْرَارًا عَلَى تَبْلِيغِ دِينِ اللَّهِ تَعَالَى .. فَثَبَّتَ الْمُؤْمِنُونَ مَعَهُ، وَفَرَحُوا بِهَذَا الْفَأَلِ وَهَذِهِ الْبِشَارَةِ ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الْأَحْزَابُ: ٢٢].

وَأَمَّا الْمُنَافِقُونَ فَقَالُوا مَا قَالُوا، وَخَذَلُوا وَأَرْجَفُوا، وَذَهَبُوا خَاسِئِينَ مَذْمُومِينَ، وَكَذَبُوا وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَجَاءَ الْأَمْنُ بَعْدَ الْخَوْفِ، وَالْغِنَى بَعْدَ الْعَوَزِ، وَدَخَلَ الْمُسْلِمُونَ مَكَّةَ وَطَافُوا بِالْبَيْتِ، وَدُجِرَ أَهْلُ الشِّرْكِ وَالْوَيْتَةِ، وَفُتِحَتِ الْمُدُنُ الَّتِي بَشَّرَ النَّبِيُّ ﷺ بِفَتْحِهَا، وَجُلِبَتِ إِلَى الْمَدِينَةِ كُنُوزُهَا، وَوُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْطَاعٌ عَلَيْهَا الْأَمْوَالُ الْعَظِيمَةُ؛ مِنْ ذَهَبٍ وَبِاقٍ وَزَبَرَجِدٍ وَلَوْلُوٍ يَتَلَأَلُ، فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَيْنَ سُرَاقَةُ بْنُ جُعْشَمٍ، فَأَتَيْتُ بِهِ أَشْعَرَ الذَّرَاعَيْنِ دَقِيقَهُمَا، فَأَعْطَاهُ عُمَرُ سُوَارِي كِسْرَى، فَقَالَ: الْبَسْهُمَا، فَفَعَلَ، فَقَالَ: قُلِ: اللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ: قُلِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَلَبَهُمَا مِنْ

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (٨٨٥٨)، وابن أبي شيبة (٣٧٨/٧)، وأحمد (٣٠٣/٤)،

وأبو يعلي (١٦٨٥)، والرويانى في مسنده (٤١٠)، وحسنه الحافظ في الفتح (٣٩٧/٧).

كَسَرَىٰ بَنِي هُرْمُرَ وَالْبَسَهُمَا سُرَاقَةَ بَنِي جُعْشَمٍ أَغْرَابِيًّا مِنْ بَنِي مُدَلِجٍ<sup>(٤)</sup>.  
 إِنَّ خَالَكُمْ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - فِي هَذَا الزَّمَنِ كَحَالِ أَسْلَافِكُمْ مِنْ قَبْلُ؛ فَتَنَّةٌ  
 وَامْتِحَانٌ وَابْتِلَاءٌ، وَإِنْ تَفَاوَتْ ذَلِكَ بَيْنَ قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ، وَشَدِيدٍ وَأَشَدٍّ، وَسَيَكُونُ فِي  
 الْأُمَّةِ مُنَافِقُونَ كَمَا كَانُوا مِنْ قَبْلُ، وَسَيَكُونُ فِي الْمُسْلِمِينَ سَمَاعُونَ لِأَرَاغِفِهِمْ  
 وَأَبَاطِيلِهِمْ، وَتَخْوِيفِهِمْ بِالْكَافِرِينَ كَمَا كَانَ ذَلِكَ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ، وَسَيَبُتُ  
 رِجَالٌ فِي عَصْرِنَا هَذَا رَعْمَ شِدَّةِ الْبَلَاءِ، وَعَظَمِ الْكُرْبِ، قَدْ امْتَلَأَتْ قُلُوبُهُمْ إِيْمَانًا  
 بِاللَّهِ تَعَالَى، وَثِقَةً بِنَصْرِهِ، وَنَصْدِيقًا بِوَعْدِهِ؛ فَإِنْ أَذْرَكُوا وَقْتَ النَّصْرِ فَازُوا  
 بِالْحُسْنَيْنِ: حَسَنَةَ الدُّنْيَا وَحَسَنَةَ الْآخِرَةِ، وَإِنْ قَبِضُوا قَبْلَ ذَلِكَ لَقُوا رَبَّهُمْ ثَابِتِينَ  
 عَلَى دِينِهِمْ، مُسْتَمْسِكِينَ بِشَرِيعَتِهِمْ، فَكُونُوا - يَا عِبَادَ اللَّهِ - مِنْهُمْ، وَاسْأَلُوهُ أَنْ  
 يَنْظِمَكُم فِيهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ قَلِيلٌ فِي خَلْقٍ كَثِيرٍ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ  
 الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].  
 بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ.



### الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ، أَحْمَدُهُ وَأَشْكُرُهُ،  
 وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ  
 مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَحُجَّةً عَلَى الْخَلْقِ

(٤) أخرجه البيهقي في السنن (٣٥٧/٦)، وفي معرفة السنن والآثار (٤٠١٤) عن الشافعي

رحمه الله تعالى، وهو في الأم (١٥٧/٤)، وفي مختصر المزني (١٥٣/١).

أَجْمَعِينَ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَاتَّبَاعِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى وَأَطِيعُوهُ ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: مُنْذُ أَنْ ابْتَلَى اللَّهُ ﷻ الْمُسْلِمِينَ بِاسْتِطْطَانِ الْيَهُودِ فِي فَلَسْطِينَ الْمُخْتَلَّةِ، وَمِنْطَقَةِ الشَّرْقِ الْإِسْلَامِيِّ لَمْ تَهْنَأْ بَعِيشٌ، وَلَا نَعِمَ أَهْلُ فَلَسْطِينَ بِأَمْنٍ؛ ذَلِكَ أَنَّ الْإِخْتِلَالَ الْإِسْطِطَانِيَّ هُوَ شَرُّ أَنْوَاعِ الْإِخْتِلَالِ، وَلَا يُكْتَبُ لَهُ النَّجَاحُ إِلَّا بِإِبَادَةِ شَامِلَةٍ لِأَهْلِ الْبِلَادِ الْأَصْلِيِّينَ، وَتَهْجِيرِ مَنْ يَبْقَى مِنْهُمْ -كَمَا فَعَلَ الْكَاثُولِيكُ بِالْمُسْلِمِينَ فِي الْأَنْدَلُسِ وَالْبُرُوسْتَانِ بِالْيَهُودِ الْحُمْرِ فِي أَمْرِيكَا<sup>(٥)</sup>-، وَلَمْ يَنْجَحِ الْيَهُودُ فِي هَذَا الْمَسْعَى الْأَثِمِ بِفَضْلِ اللَّهِ ﷻ ثُمَّ بَشَاتِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْأَرْضِ الْمُبَارَكَةِ، وَتَمَسَّكَهُمْ بِحَقِّهِمْ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَزَادَ مِنْ مُشْكَلَةِ الْإِسْطِطْطَانِ الْيَهُودِيِّ أَنَّهُمْ مُحَاطُونَ بِأَعْدَائِهِمْ، وَقَدْ لَعِبَ بِهِمْ مَنْ وَطَنُوهُمْ فِي أَرْضٍ لَيْسَتْ لَهُمْ، وَزَرَعُوهُمْ فِي وَسْطِ أَعْدَائِهِمْ؛ وَلَا بَقَاءَ لِلْيَهُودِ إِلَّا بِافْتِعَالِ الْحُرُوبِ فِي الْمِنْطَقَةِ، وَهَذَا دَأْبُهُمْ مُنْذُ أَنْ اخْتَلُّوا الْأَرْضَ الْمُبَارَكَةَ، وَبَصَّرَحَ سَاسَتُهُمْ بِذَلِكَ فَرَّسَتْهُمْ الْهَالِكُ بِيَجَنُ يَقُولُ: «نَحْنُ نَحَارِبُ، فَنَحْنُ إِذَنْ نَكُونُ».

وَمِنْ سِيَاسَتِهِمُ الْمُعْلَنَةِ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ عَشْرِ سَنَوَاتٍ لَا بُدَّ أَنْ يُشْعِلُوا حَرْبًا جَدِيدَةً، وَقَدْ يُقْلَصُونَ الْمُدَّةَ إِذَا دَعَتْهُمْ الْحَاجَةُ إِلَى ذَلِكَ، وَفِي هَذَا يَقُولُ شَامِيرُ: «يَتَعَيَّنُ عَلَيْنَا فِي كُلِّ عَشْرِ سَنَوَاتٍ مَرَّةً أَنْ نُجْلِسَ الْعَرَبَ عَلَى كُرْسِيِّ

(٥) ينظر في أفعال الكاثوليك بالمسلمين في الأندلس: دولة الإسلام في الأندلس، عبد الله عنان، المجلد الأخير منه، ففيه وثائق ومعلومات ثرية عن ذلك. وينظر في أفعال البروستات بالهند الحمر: حق التضحية بالآخر، منير العكش، ففيه توثيق لكثير من المذابح والإبادات.

طَيِّبِ الْأَسْنَانَ؛ كَيْ نَقْلَعَ أَسْنَانَهُمُ الَّتِي نَبَتَتْ حَتَّى لَا يَعْضُونَا بِهَا»<sup>(٦)</sup>.  
وَقَدْ أَخْبَرَنَا الْقُرْآنُ عَنْهُمْ بِأَنَّهُمْ يَسْعَوْنَ بِالْفَسَادِ، وَيُسْعِلُونَ الْحُرُوبَ، وَكَانَ مَا  
رَأَى الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ لَا يَعْدُو قَوْلُ الْقُرْآنِ فِيهِمْ: ﴿كُلَّمَا أَوقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ  
وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

فَقِطَارُ السَّلَامِ لَا يَرْكَبُهُ الْيَهُودُ إِلَّا لِلْوُصُولِ عَبْرَ مَحَطَّاتِهِ إِلَى مَيْدَانِ الْحَرْبِ؛  
وَهَذَا أَمْرٌ وَاضِحٌ لِمَنْ رَاقَبَ أَحْوَالَ الْقَوْمِ فِي الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ.  
وَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِعِبَادِهِ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يُظْفِي نَارَ الْحُرُوبِ الَّتِي يَفْتَعِلُونَهَا،  
وَيَرُدُّ كَيْدَهُمْ وَكَيْدَ حُلَفَائِهِمْ فِي نُحُورِهِمْ.

وَمِنَ الْمُبَشِّرَاتِ الْعَظِيمَةِ أَنَّ إِظْفَاءَ نِيرَانِ حُرُوبِهِمْ دَلِيلٌ عَلَى هَزِيمَتِهِمْ  
وَحُسْرَانِهِمْ، وَمُسْعَرٌ بِنَهَايَةِ أَمْرِهِمْ، وَاضْمِحْلَالِ دَوْلَتِهِمْ، وَهَذَا مَا يُنْذِرُ بِهِ  
مُؤَرِّخُوهُمْ وَمَحَلِّلُوهُمْ بَعْدَ فَشْلِهِمْ فِي عُدْوَانِهِمْ عَلَى لِبْنَانٍ<sup>(٧)</sup>؛ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي  
أَظْفَأَ نَارَ حَرْبِهِمْ، وَكَسَرَ شَوْكَتَهُمْ، وَرَدَّهُمْ خَاسِئِينَ خَاسِرِينَ.

وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ أَلَّا يُخْدَعُوا بِيَهُودَ وَمَنْ وَرَاءَهُمْ، وَبِمَبَادِرَاتِهِمْ وَمَسَارِيْعِهِمْ  
الَّتِي تُرِيدُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْإِسْتِسْلَامَ الْكَامِلَ لَهُمْ، وَجَعَلَ مَفَاتِيحَ الْمِنْطَقَةِ بِأَيْدِيهِمْ،  
فَهُمْ قَوْمٌ غَدْرٌ بُهْتُ لَا يُوقِفُهُمْ عَنْ أَظْمَاعِهِمْ، وَلَا يَرُدُّهُمْ عَنْ غِيهِمْ وَإِفْسَادِهِمْ إِلَّا  
الْقُوَّةُ، وَلَا قُوَّةَ لِلْمُسْلِمِينَ إِلَّا بِاللَّهِ تَعَالَى، وَلَا نَصْرَ لَهُمْ إِلَّا بِنَصْرِ دِينِهِ، وَإِعْلَاءِ  
كَلِمَتِهِ، وَتَحْكِيمِ شَرِيعَتِهِ ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾  
[مُحَمَّد: ٧].

(٦) حَمَى سنة ٢٠٠٠ .. عود على بدء، الألفية الثالثة وتفاعلاتها الخطرة، عبد العزيز كامل،  
مجلة البيان، عدد (١٥٧) ص(٧٨).

(٧) ظهر مصطلح جديد في إسرائيل (المؤرخون الجدد) وهو يطلق على مجموعة من الباحثين  
لهم كتابات كثيرة تنذر بزوال الدولة العبرية، وتحكي بأن ذلك وشيك.

فَانْصُرُوا اللَّهَ تَعَالَى - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - بِإِلَاسْتِمْسَاكِ بِيَدِيهِ، وَالثَّبَاتِ عَلَيْهِ،  
وَعَدَمِ التَّنَازُلِ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ مَهْمَا كَلَّفَ الْأَمْرُ.  
انْصُرُوهُ سُبْحَانَهُ بِتَحْكِيمِ شَرِيعَتِهِ فِي الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ، وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ،  
وَالْجَلِيلِ وَالْحَقِيرِ.

اعْمَلُوا بِشَرِيعَتِهِ فِي أَنْفُسِكُمْ وَأَهْلِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَرَاقِبُوا اللَّهَ تَعَالَى  
فِي ذَلِكَ وَلَا تُرَاقِبُوا خَلْقًا مِثْلَكُمْ.

انْصُرُوهُ سُبْحَانَهُ بِإِقَامَةِ فَرَائِضِ دِينِكُمْ، وَمُجَانِبَةِ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ رَبُّكُمْ.  
انْصُرُوهُ سُبْحَانَهُ بِأَدَاءِ الْأَمَانَاتِ الَّتِي أَثْقَلَتْ كَوَاهِلَكُمْ، وَتَحْمِلِ الْمَسْئُولِيَّاتِ  
الَّتِي عَلَيْكُمْ.

انْصُرُوهُ سُبْحَانَهُ بِالثِّقَةِ بِهِ وَبِيَدِيهِ، وَأَنَّهُ الْحَقُّ الَّذِي لَا بَاطِلَ فِيهِ، وَأَنَّ مَا  
عَارَضَهُ فَهُوَ الْبَاطِلُ الَّذِي لَا حَقَّ فِيهِ.

انْصُرُوهُ بِإِخْلَاصِ الْعَمَلِ لَهُ، وَكَثْرَةِ الْإِلْتِجَاءِ إِلَيْهِ، وَالِإِعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ، وَالتَّوَكُّلِ  
عَلَيْهِ؛ فَإِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ نَصَرَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَعْدَائِكُمْ، وَلَنْ تَقِفَ قُوَّةٌ مَهْمَا  
بَلَغَتْ أَمَامَكُمْ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَعَكُمْ ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [الْمُدَّثِّرُ: ٣١].

وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَبِّكُمْ ...





## ٣٧٥- ولتعلن علوًّا كبيرًا

٥١٤٢٧/٦/٢٥ هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، اتَّصَفَ بِالْكِبَرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ، وَتَفَرَّدَ بِالْجَبَرُوتِ وَالْقَهْرِ وَالْقُوَّةِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «الْكِبَرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، مَنْ نَارَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ»<sup>(١)</sup>، أَحْمَدُهُ حَمْدًا يَلِيْقُ بِجَلَالِ وَجْهِهِ، وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، كَتَبَ الْبَلَاءُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ؛ تَكْفِيرًا لِسَيِّئَاتِهِمْ، وَرَفْعًا لِدَرَجَاتِهِمْ ﴿وَنَبَلُّوكُمُ بِالْإِسْرِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الْأَنْبِيَاءُ: ٣٥]. وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ؛ اضْطَفَاهُ رَبُّهُ نَبِيًّا وَرَسُولًا، وَجَعَلَهُ عَبْدًا شَكُورًا، وَلَمَّا تَحَزَبَتِ الْأَحْزَابُ وَحَاصَرُوا الْمَدِينَةَ، وَعَظُمَ الْكَرْبُ، وَاشْتَدَّتِ الْمِحْنَةُ لَجَأَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَدَعَاهُ قَائِلًا: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعِ الْحِسَابِ، اللَّهُمَّ اهْزِمِ الْأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلِّزْلَهُمْ»<sup>(٢)</sup> صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَأَوْصِيَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ ﷻ؛ فَهِيَ الْعُدَّةُ لِلْبَلَاءِ وَالْمِحْنَةِ ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطَّلَاق: ٤].

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة ﷺ: مسلم في البر والصلة والآداب، باب تحريم الكبر (٢٦٢٠)، وأبو داود واللفظ له في اللباس، باب ما جاء في الكبر (٤٠٩٠)، وابن ماجه في الزهد، باب البراءة من الكبر والتواضع (٤١٧٤).

(٢) أخرجه من حديث عبد الله بن أبي أوفى: البخاري في الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة (٢٩٣٣)، ومسلم في الجهاد والسير، باب كراهة تمنى لقاء العدو وباب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو (١٧٤٢).

أَيُّهَا النَّاسُ: الْعُلُوُّ عَلَى النَّاسِ، وَالْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ، هُوَ حَصِيلَةُ قَنَاعَاتٍ عَقْلِيَّةٍ، وَاعْتِقَادَاتٍ بَاطِنِيَّةٍ بِالتَّمَيُّزِ وَالتَّفَوُّقِ، تَقُودُ إِلَى الْكِبَرِ، ثُمَّ إِلَى الْعُلُوِّ وَالْفَسَادِ؛ وَلِذَا جَاءَ الْإِسْلَامُ بِحَسْمِ هَذِهِ الْمَادَّةِ الْفَاسِدَةِ، وَاسْتِصَالِهَا مِنْ نُفُوسِ الْبَشَرِ، وَذَلِكَ بَيَانٌ أَنَّ أَضْلَ الْبَشَرِ وَجَنَسَهُمْ وَاحِدٌ، وَأَنَّ التَّفَاضُلَ بَيْنَهُمْ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحُجُرَات: ١٣].

وَمَا كَانَ هَذَا النِّدَاءُ الْعَظِيمُ، وَالْبَيَانُ الْكَبِيرُ الَّذِي جَاءَ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ إِلَّا حِمَايَةً لِلْبَشَرِ مِنَ الْكِبَرِ وَالْعُلُوِّ أَنْ يَسْرِيَ إِلَى قُلُوبِهِمْ، وَيَفْتِكَ بِأَخْلَاقِهِمْ، فَيَنْتِجَ عَنْهُ الْفَسَادُ وَالذَّمَارُ، وَاسْتِسْهَالُ قَتْلِ النَّاسِ، وَاسْتِرْخَاصُ الدِّمَاءِ، وَتَسْوِيعُ كُلِّ أَشْكَالِ الْحُرُوبِ وَالذَّمَارِ، كَمَا وَقَعَ كَثِيرًا -وَلَا يَزَالُ يَقَعُ- بِأَيْدِي الصَّهَابَةِ الْإِنْجِيلِيِّينَ، وَالصَّهَابَةِ التَّوْرَاتِيِّينَ؛ فَقَتْلُ وَاحِدٍ مِنْ أَفْرَادِهِمْ أَوْ أَسْرُهُ يُقِيمُ الدُّنْيَا وَلَا يُقْعِدُهَا، وَقَتْلُ مِائَةٍ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَأَسْرُ آلَافٍ مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ، وَمَلَأُ السُّجُونِ بِهِمْ، وَتَدْمِيرُ بُلْدَانٍ، وَتَشْرِيدُ أُمَمٍ، وَتَبْيِيتُ أَطْفَالٍ، وَتَرْمِيلُ نِسَاءٍ لَا يُحْرَكُ سَاكِنًا، بَلْ هُوَ أَمْرٌ مُشْرُوعٌ، وَدِفَاعٌ عَنِ النَّفْسِ، مَا دَامَ هَذَا الذَّمَارُ عَلَى غَيْرِ جَنَسِهِمْ وَعَرْقِهِمْ.

إِنَّ شَرِيعَةَ الْإِسْلَامِ قَدْ أَبَدَتْ وَأَعَادَتْ فِي صِفَةِ الْكِبَرِ الذَّمِيمَةِ، وَبَيَّنَتْ أَنَّهَا سَبَبٌ لِلْآثَامِ، وَطَرِيقٌ إِلَى رَفْضِ الْحَقِّ، وَنَضْرٍ الْبَاطِلِ، وَغَمَطٍ النَّاسِ؛ وَاللَّهُ ﷻ قَالَ لِإِبْلِيسَ الطَّرِيدِ اللَّعِينِ حِينَ أَخْرَجَهُ مِنَ الْجَنَّةِ بِسَبَبِ كِبَرِهِ: ﴿فَاهْطِ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٣]، فَعَامَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِتَقْيِضِ مَا أَرَادَ مِنَ الْعُلُوِّ وَالْعَظَمَةِ، وَكَتَبَ عَلَيْهِ الصَّغَارَ أَبَدًا، وَالصَّغَارَ أَشَدَّ الذُّلِّ وَالْهَوَانِ، وَفِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿قَالَ أَخْرَجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا﴾ [الأعراف: ١٨].

إِنَّ مِنْ اتَّصَفَ بِالْكِبَرِ وَالْعُلُوِّ لَا يَنَالُ إِلَّا الْهَوَانَ وَالصَّغَارَ بِحُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى الْمُتَكَبِّرِ الْمُتَعَالِ<sup>(٣)</sup> الَّذِي حَكَمَ عَلَى مَنْ رَفَضُوا الْحَقَّ، وَجَادَلُوا فِيهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ فِيهِمْ: ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبَرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦]، وَبَيَّنَ ﷺ أَنَّ أَهْلَ الْعُلُوِّ وَالِاسْتِكْبَارِ مَصْرُوفُونَ عَنْ تَدَبُّرِ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى الشَّرْعِيَّةِ، وَعَنْ فَهْمِ سُنَنِهِ الْكُونِيَّةِ ﴿سَاصِرُفٌ عَنْ ءَايَتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

وَوَاللَّهِ الَّذِي لَا يُخْلَفُ إِلَّا بِهِ إِنَّ هَذِهِ الْأَوْصَافَ لَمَوْجُودَةٌ فِي قُوَى الظُّلْمِ وَالطُّغْيَانِ فِي هَذَا الْعَصْرِ، وَمَنْ وَافَقَهُمْ فِي ظُلْمِهِمْ وَسَوْعَهُ لَهُمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَالظَّالِمِينَ وَالْجَاهِلِينَ.

وَلِقَبَاحَةِ الْعُلُوِّ وَالِاسْتِكْبَارِ، وَمَا يَخْلُفُهُ مِنَ الْأَفْعَالِ الرَّدِيئَةِ، وَالْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ؛ تَعَوَّذَ مُوسَى ﷺ مِنْ أَهْلِهِ، وَقَدْ رَأَى فَتَكَهُ بِقَلْبٍ فِرْعَوْنُ ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ٢٧].

وَأُمَّةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أُمَّةٌ قَدْ اصْطَفَاهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَهَا مِنَ الْأُمَمِ، وَفَضَّلَهَا عَلَيْهِمْ، وَجَعَلَ النَّبُوَّةَ فِيهِمْ، وَامْتَنَّ عَلَيْهِمْ سُبْحَانَهُ بِذَلِكَ ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧]. وَذَكَرَهُمْ نَبِيُّهُمْ مُوسَى ﷺ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ، فَقَالَ لَهُمْ: ﴿يَقَوْمِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَّا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٠]. وَلَكِنَّ كُفَّارَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَدَّلُوا دِينَ مُوسَى وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ ﷺ، ثُمَّ قَتَلُوا

يَحْيَى وَزَكَرِيَّا ۖ فِي جُمْلَةٍ مِّنَ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ قَتَلُوهُمْ، ثُمَّ كَذَّبُوا عِيسَى وَمُحَمَّدًا ۖ وَوَضَعُوا السَّيْلَ لِأَفْضَلِ الْبَشَرِ، وَخَاتَمِ الرُّسُلِ ۖ فَمَاتَ مُتَأَثِّرًا بِسُمِّهِمْ، وَحَاوَلُوا قَتْلَ عِيسَى ۖ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَجَّاهُ مِنْهُمْ، وَرَفَعَهُ إِلَيْهِ، وَسَيَّرَ لَهُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ؛ لِقَاتِلِهِمْ عَلَى دِينِ خَاتَمِ الرُّسُلِ مُحَمَّدٍ ۖ

إِنَّ أَفْعَالَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْقَبِيحَةَ مِنْ تَكْذِيبِ الرُّسُلِ وَقَتْلِهِمْ، وَاحْتِقَارِ غَيْرِهِمْ مِنَ الْبَشَرِ وَظُلْمِهِمْ، وَبَطْرِ الْحَقِّ، وَغَمْطِ النَّاسِ مَا كَانَ إِلَّا بِسَبَبِ كِبَرِ وَعُلُوِّ امْتَلَأَتْ بِهِ نَفْسُهُمْ، وَاسْوَدَّتْ بِهِ قُلُوبُهُمْ، وَفَسَدَتْ بِهِ أَخْلَاقُهُمْ، فَلَا يَرَوْنَ الْحَقَّ إِلَّا فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، وَلَا عَجَبَ حِينَئِذٍ أَنْ نَرَى الْيَهُودَ يَعْتَدُونَ عَلَى الدُّوَلِ (٤)، وَيُبِيدُونَ الْبَشَرَ، وَلَا يَذَرُونَ حَجَرًا عَلَى حَجَرٍ، وَلَا عَجَبَ أَيْضًا أَنْ يُؤَيِّدَهُمْ فِي عُلوِّهِمْ وَظُلْمِهِمْ، وَيُبَارِكُهُ لَهُمْ إِخْوَانُهُمْ مِنْ صَهَابَةِ النَّصَارَى الْإِنْجِيلِيِّينَ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ الْيَهُودَ بَظْلَمِهِمْ وَإِجْرَامِهِمْ إِنَّمَا يُدَافِعُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ فَحَسْبُ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ مَشْرَبَ الطَّائِفَتَيْنِ وَاحِدٌ، وَثَقَافَةُ الْعُلُوِّ وَالِاسْتِكْبَارِ تَرُدُّهُنَّ مِنْ مَصْدَرٍ وَاحِدٍ؛ مِنْ تَوَرَّاقِ مُحَرَّفَةٍ، وَتَلْمُودِ مُؤَلَّفٍ، جَعَلَ لَهُنَّ مِيزَاتٍ عَلَى سَائِرِ الْبَشَرِ، وَمَنَحَهُنَّ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا مِلْكًا لَهُنَّ يَفْعَلُونَ بِهَا وَبِأَهْلِهَا مَا يَشَاءُونَ، مُبَارِكِينَ مِنَ الرَّبِّ ۖ هَكَذَا يَعْتَقِدُونَ فَيَعْمَلُونَ بِمَا يَعْتَقِدُونَ؛ تَعَالَى اللَّهُ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ عَنْ إِفْكِهِمْ وَظُلْمِهِمْ، وَعَامَلَهُمْ سُبْحَانَهُ بِمَا يَسْتَحِقُّونَ.

وَعُلُوُّهُمْ الَّذِي أَخْبَرَ عَنْهُ الْقُرْآنُ لَا يُخْفُونَهُ هُمْ عَنِ النَّاسِ، بَلْ يُظْهِرُونَهُ

(٤) هذا إشارة إلى الحرب الشرسة التي أشعلتها إسرائيل ضد الفلسطينيين لما فازت حماس في الانتخابات، ثم بعد أسابيع ضد لبنان زاعمة القضاء على حزب الله الرافضي الذي خطف أفرادَه جنديين إسرائيليين، ولا تزال دولة اليهود تقصف المرافق الحيوية في لبنان، وتدمر كل شيء حتى الجسور والعمران، بدعوى القضاء على الحزب الرافضي الذي هو في مأمن من اليهود والصليبيين!! وزعمت أمريكا أن ذلك دفاع عن النفس.

وَيُعْلِنُونَهُ، وَيُفَاخِرُونَ بِهِ عَلَى غَيْرِهِمْ، فِي غُنْصَرِيَّةٍ بَغِيضَةٍ، وَاحْتِقَارٍ لِعَيْرِهِمْ مَمْقُوتٍ.

وَدُونُكُمْ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - بَعْضًا مِنْ أَقْوَالِهِمْ؛ لِتَعْرِفُوا مَدَى عُلوِّهِمْ، وَتَفْهَمُوا لِمَ يَفْعَلُونَ مَا يَفْعَلُونَ فِي هَذَا الزَّمَانِ الَّذِي سَادَ فِيهِ رِعَاةُ الْبَقَرِ، وَأَكْلَةُ الْخَنَزِيرِ، وَزَعْمُوا أَنَّهُ عَصْرُ التَّحَضُّرِ وَالرُّقْيِ الْبَشَرِيِّ، يَقُولُ كَبِيرُ الصَّهَابَةِ التَّوْرَاتِيِّينَ فِي وَقْتِهِ، رَئِيسُهُمْ ابْنُ جُوزِيوْنٍ عَقِبَ انْتِهَاءِ عَمَلِيَّاتِ الْعُدْوَانِ الثَّلَاثِي عَلَى مِصْرَ مُحَاطَبًا جُنْدَهُ: «لَقَدْ أَرْجَعْتُمُونَا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أُعْطِينَا فِيهِ الْقَانُونُ، وَفِيهِ كَلَّفْنَا الرَّبَّ بِأَنْ نَكُونَ شَعْبًا مُخْتَارًا»<sup>(٥)</sup>.

وَيَقُولُ آخَرُ مِنْهُمْ: «سَيَسُودُ شَعْبُنَا الْيَهُودِيُّ كُلُّ الشُّعُوبِ الْآخَرَى. إِنَّ إِسْرَائِيلَ هَذِهِ هِيَ الْأُمَّةُ الْعُلْيَا الَّتِي تَمْلِكُ الْقُدْرَةَ عَلَى التَّوَسُّعِ، وَأَنْ تُصْبِحَ سَيِّدَةَ الْعَالَمِ دُونَ النَّظَرِ بَعَيْنِ الْإِعْتِبَارِ إِلَى مَا يُمَكِّنُ أَنْ يُكَلِّفَ هَذِهِ الشُّعُوبَ الْأَذْنَى مَقَامًا؛ لِأَنَّ الْأُمَّةَ الْعُلْيَا وَحْدَهَا فَقَطْ هِيَ زَهْرَةُ الْبَشَرِيَّةِ وَذِرْوَتُهَا، وَمَا خُلِقَتِ الْأُمَمُ الْآخَرَى جَمِيعًا إِلَّا لِتَخْدِمَ هَذِهِ النُّجْبَةَ»<sup>(٦)</sup>.

وَيَخْطُبُ أَحَدَهُمْ فِيهِمْ فَيَقُولُ: «كُلُّ إِنْسَانٍ آخَرَ عَلَى الْخَطَا، وَأَنْتَ الْيَهُودِيُّ وَحْدَكَ عَلَى الصَّوَابِ، لَا تُوجَدُ إِلَّا حَقِيقَةٌ وَاحِدَةٌ فِي الْعَالَمِ وَهِيَ بِكَامِلِهَا مِلْكُكَ أَنْتَ». ثُمَّ يَقُولُ: «إِنَّ التَّوْرَةَ وَالسَّيْفَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَعًا»<sup>(٧)</sup>. مُشِيرًا إِلَى

(٥) قال ذلك في رسالة وجهها للجيش اليهودي في ٧/ تشرين الثاني ١٩٥٦م، ينظر محتوى التعاليم الدينية اليهودية، النزعة العدوانية، بحث منشور في موقع المركز الفلسطيني للإعلام على الشبكة العالمية.

(٦) القائل هو اليهودي آشيز جنز برج، ينظر: المذهب العسكري الإسرائيلي، هيثم الكيلاني، مركز الأبحاث بيروت ١٩٦٩م ص(٢٥).

(٧) القاتل هو: الصهيوني المتعصب زئيف فلاديمير جابوتنسكي، كما في الشخصية اليهودية راهنا والحل القرآني، منشور في الشبكة العالمية.

الْعَقِيدَةَ وَالْقُوَّةَ الْمُعْتَمِدَةَ عَلَى السَّيْفِ وَالسَّلَاحِ.

وَيَقُولُ أَحَدُ حَاخَامَاتِهِمْ: «إِنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ الْيَهُودِيِّ وَبَيْنَ غَيْرِ الْيَهُودِيِّ كَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ الرُّوحِ الْإِلَهِيِّ وَالْبَشَرِ؛ فَشَعْبُ إِسْرَائِيلَ صَفْوَةُ الشُّعُوبِ؛ إِذْ هُوَ مَخْلُوقٌ مِنْ رُوحِ اللَّهِ، بَيْنَمَا أَرْوَاحُ الشُّعُوبِ الْأُخْرَى مَخْلُوقَةٌ مِنْ التَّجَاسَّاتِ الثَّلَاثِ»<sup>(٨)</sup>. تَعَالَى اللَّهُ عَنْ إِفْكِهِمْ عُلُوءًا كَبِيرًا.

فَلَا تَعْجَبُوا -أَيُّهَا الْإِخْوَةُ- مِنْ أَفْعَالِهِمُ الَّتِي تُنْقِلُ إِلَيْكُمْ هَذِهِ الْأَيَّامَ لَحْظَةً بِلَحْظَةٍ فِي فِلَسْطِينَ وَلَبْنَانَ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ غَيْرَهُمْ إِلَّا بِحَسَبِ مَقُولَاتِهِمْ وَقَنَاعَاتِهِمْ تِلْكَ.

وَلَا تَعْجَبُوا أَيْضًا مِنْ سُكُوتِ مُخْتَلَفِ طَوَائِفِ النَّصَارَى الْعَرَبِيِّينَ مِمَّنْ يَمْلِكُونَ الْقُدْرَةَ عَلَى الْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ، وَوَضَعَ حَدَّ لِحَرَائِمِهِمْ؛ لِأَنَّ الْجَمِيعَ مِنْ كُفَّارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَوْ زَعَمُوا أَنَّهُمْ أَتْبَاعُ عِيسَى ﷺ، وَعَبَدُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَلَسَوْفَ يُقَاتِلُهُمْ مَعَ الطَّائِفَةِ الْمُؤْمِنَةِ مِنْ أَتْبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَكْسِرُ صَلَيبَهُمْ، وَيَقْتُلُ خِزِيرَهُمْ.

وَأَمَّا أُمَّةُ الْعَرَبِ فَقَدْ ضَيَعُوا أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى، فَوَكَّلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أَنْفُسِهِمْ، فَذَلُّوا وَهَانُوا، وَاسْتَيْسَحُوا شَرًّا اسْتَبَاحَ؛ إِذْ أَدَارَ الْمَعَارِكَ الْأُولَى مَعَ الْيَهُودِ قَوْمٌ مِنَ الْعَرَبِ أَدَارُوا ظُهُورَهُمْ لِدِينِهِمْ، وَتَنَكَّرُوا لِكِتَابِ رَبِّهِمْ، وَرَفَعُوا شِعَارَاتِ الْقَوْمِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي مُقَابِلِ الْقَوْمِيَّةِ الطُّورَانِيَّةِ التُّرْكِيَّةِ، فَتَقَلُّوا الْمَعْرَكَةَ مِنْ مِيدَانِهَا الدِّينِيِّ الشَّرْعِيِّ إِلَى جَاهِلِيَّةِ عَمِيَاءَ، وَعَصَبِيَّةِ خَرَفَاءَ، وَرَكِبُوا مَا رَكِبَ الْيَهُودُ مِنْ عَصَبِيَّةِ الدَّمِ وَالْعِرْقِ، فَضُرِبُوا فِي النَّكْبَةِ، ثُمَّ قُضِيَ عَلَيْهِمْ فِي النَّكْسَةِ، فَأَعْلَنُوا

(٨) القائل هو الحاخام سنيورسن أحد قيادي منظمة حاباد الصهيونية الدينية، عن المصدر

الِاسْتِسْلَامَ، وَاسْتَجَدُّوا السَّلَامَ مِنَ الْيَهُودِ وَحُلَفَائِهِمْ فِي الْعَرَبِ، وَوَعَدُوا شُعُوبَهُمْ إِنْ قَبِلُوا الْإِسْتِسْلَامَ بِأَحْلَامٍ وَرَدِيَّةٍ، وَجَنَّةٍ شَرْقٍ أَوْسَطِيَّةٍ، عَبْرَ السَّلَامِ الْبَارِدِ ثُمَّ الدَّافِئِ ثُمَّ سَلَامِ الشُّجْعَانِ؛ لِيُعْلَنَ هَذِهِ الْأَيَّامُ أَمِينُ الْمُنَظَّمَةِ الْعَرَبِيَّةِ عَنْ مَوْتِ عَمَلِيَّةِ السَّلَامِ وَانْتِهَائِهَا بَعْدَ أَكْثَرِ مِنْ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً<sup>(٩)</sup> مِنَ التَّخْطِيطِ وَالضَّبَائِعِ، وَالتَّعْلُقِ بِالْأَوْهَامِ، وَإِحْسَانِ الظَّنِّ بِالْأَعْدَاءِ، فَيَا لِلْفَضِيحَةِ الَّتِي دَوَّنَهَا التَّارِيخُ بِمَدَادِ الْخِزْيِ وَالْعَارِ فِي هَذَا الزَّمَانِ!

وَكَيْفَ يَظُنُّ هَؤُلَاءِ الْمَخْدُوعُونَ أَنَّ الَّذِينَ صَنَعُوا لِلْيَهُودِ دَوْلَةً فِي عُمْرِ دِيَارِنَا، وَمَكَّنُوهُمْ مِنَ التَّفَوُّقِ عَلَى مَجْمُوعِ قُوَّاتِنَا وَجُيُوشِنَا يُمَكِّنُ لَهُمْ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ أَنْ يَقْنُفُوا مَعَنَا ضِدَّ الْيَهُودِ، أَوْ يُمَكِّنُونَا مِنْ صَدِّهِمْ أَوْ إِضْعَافِهِمْ؟! هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ! قَالَهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَصْمِ أَوْلِيَائِهِ بَعْضٌ﴾ [الْأَنْقَال: ٧٣].

وَالْعَجِيبُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْعَرَبِ لَا يَزَالُونَ يَتَصَوَّرُونَ أَنَّهُ لَا حَلََّ لِلْأَرْزَمَةِ مَعَ الْيَهُودِ إِلَّا بِكَسْبِ صَدَاقَةِ أَصْدِقَاءِ الْيَهُودِ، وَالْمَرَاهَنَةِ عَلَى الضُّغُوطِ، الَّتِي تُمَارِسُهَا ضِدَّهُمُ الدُّوَلُ الْكُبْرَى وَالْمُنَظَّمَاتُ الدَّوْلِيَّةُ، وَهَذَا وَهُمْ آخَرُ؛ قَالَهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدْمِينًا ﴿[الْمَائِدَةُ: ٥١، ٥٢]﴾.

وَقَدْ أَزَالَتْ هَذِهِ الْأَحْدَاثُ كَثِيرًا مِنَ الْأَوْهَامِ، وَأَثْبَتَتْ مَا قَرَّرَهُ الْقُرْآنُ مِنْ

(٩) وذلك منذ أول سلام للعرب مع اليهود على يد مصر في كامب ديفد الأولى، ووقعه أنور السادات مع مناحيم بيغن، بإشراف الرئيس الأمريكي جيمي كارتر، وقد أعلن عمرو موسى أمين عام جامعة الدول العربية قبل أسبوع حين قصفت إسرائيل لبنان بأن عملية السلام قد ماتت، وأن الصهاينة كانوا يخدعون العرب.

حَقِيقَةُ الْأَعْدَاءِ، وَلَا مَخْرَجَ لِلأُمَّةِ مِنْ هَذِهِ الْأَزْمَةِ الْعَظِيمَةِ إِلَّا بِالرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالِاسْتِمْسَاكِ بِدِينِهِ، وَالثِّقَةِ بِهِ وَخَدَهُ دُونَ غَيْرِهِ، وَنَبْذِ كُلِّ الْأَسْبَابِ الْبَشَرِيَّةِ الَّتِي مَا زَادَتْ الْأُمَّةَ إِلَّا ضَعْفًا وَوَهْنًا، وَزَادَتْ الْأَعْدَاءَ تَسَلُّطًا وَبَغْيًا، وَقَطَعَ كُلَّ الْحَبَالِ إِلَّا حَبْلَ اللَّهِ تَعَالَى، فَهُوَ حَبْلُ النَّصْرِ وَالْعِزِّ وَالتَّمَكُّنِ ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نُّصِرُوا اللَّهُ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [مُحَمَّدٌ: ٧]. ﴿أَيَبْنَعُونَ عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النِّسَاءُ: ١٣٩].

جَعَلَنَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَنْصَارِ دِينِهِ، وَمِنْ أَهْلِ عِزَّتِهِ وَكَرَامَتِهِ.

اللَّهُمَّ يَا غَوْثَ الْمُسْتَغِيثِينَ، وَيَا نَاصِرَ الْمُسْتَضْعَفِينَ، انصُرِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْيَهُودِ وَمَنْ خَالَفَهُمْ، وَأَنْجِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي لُبْنَانَ وَفِي فَلَسْطِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ يَا قَاصِمَ الْجَبَابِرَةِ، وَيَا كَاسِرَ الْأَكَاسِرَةِ، وَيَا مُذِلَّ الْفَيَاصِرَةِ، أَنْزِلِ الذِّلَّ وَالْهَوَانَ وَالْعَذَابَ عَلَى الْيَهُودِ وَخُلَفَائِهِمْ، وَاجْعَلْهُمْ غَنِيمَةً لِلْمُسْلِمِينَ، أَنْتَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَأَنْتَ مَوْلَانَا فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَالنَّصِيرُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.



## الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَأَطِيعُوهُ ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا



سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿الأحزاب: ٧٠، ٧١﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدْ قَضَى اللَّهُ تَعَالَى -وَقَضَاؤُهُ نَافِذٌ لَا مَحَالَةَ- بِأَنَّ ذِلَّةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَهَوَانَهُمْ دَائِمٌ مَعَهُمْ، مُلَازِمٌ لَهُمْ، أَيْنَمَا كَانُوا، وَفِي أَيِّ زَمَانٍ عَاشُوا، إِلَّا بِحَبْلَيْنِ اثْنَيْنِ لَا ثَالِثَ لَهُمَا: حَبْلٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِدُخُولِهِمْ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ كَمَا دَخَلَ فِيهِ سَيِّدُهُمْ وَابْنُ سَيِّدِهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ ﷺ، أَوْ بِدُخُولِهِمْ تَحْتَ دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ بِعُقُودِ أَمَانٍ أَوْ ذِمَّةٍ.

وَأَمَّا الْحَبْلُ الثَّانِي فَهُوَ حَبْلُ الْقُوَى النَّافِذَةِ مِنَ الْبَشَرِ، وَهُوَ حَبْلُ النَّاسِ ﴿صُزِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبَعْضٌ مِنَ اللَّهِ وَصُزِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢].

وَمَنْ قَرَأَ تَارِيخَ الْيَهُودِ طِيلَةَ عُهُودِهِمُ الَّتِي أَعْقَبَتْ عَهْدَ الْإِصْطِفَاءِ يَجِدُ أَنَّهُمْ مَا خَرَجُوا عَمَّا قَضَاهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ مِنَ الذِّلِّ وَالْهَوَانِ إِلَّا بِهَذَيْنِ الْحَبْلَيْنِ؛ فَفِي دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ دَخَلُوا تَحْتَ حِمَايَةِ الْمُسْلِمِينَ بِعَقْدِ الذِّمَّةِ حَتَّى سَقَطَتْ خِلَافَةُ بَنِي عُثْمَانَ، فَانْحَارَ الْيَهُودُ إِلَى قُوَى الْإِسْتِعْمَارِ يَتَعَلَّقُونَ بِحَبْلِهَا، وَيَسْتَمْدُونَ الْقُوَّةَ مِنْهَا إِلَى يَوْمِنَا هَذَا.

وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَنْفَرِدَ الْيَهُودُ بِقُوَّةٍ وَحْدَهُمْ، وَلَا أَنْ يُوَاجِهُوا غَيْرَهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ، فَلَا بُدَّ مِنْ جِبَالٍ عَسْكَرِيَّةٍ وَسِيَاسِيَّةٍ وَافْتِصَادِيَّةٍ تَمُدُّهُمْ بِالْمَعُونَةِ وَالْقُوَّةِ، هَذَا هُوَ قَدَرُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ، وَحُكْمُهُ فِيهِمْ؛ جَرَاءَ عُلُوِّهِمْ وَإِفْسَادِهِمْ.

ثُمَّ قَضَى ﷺ فِيهِمْ بِالْهَلَاكِ وَالْذَّمَارِ إِنْ أَفْسَدُوا فِي الْأَرْضِ الْمُبَارَكَةِ، وَهِيَ أَرْضُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَمَا حَوْلَهَا، وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ سَيُفْسِدُونَ مَرَّتَيْنِ، وَأَنَّ عُلُوَّهُمْ

سَيَزِدَادُ، وَأَنْ تَسْلِيَطَ عَدُوٌّ عَلَيْهِمْ يَسْتَيْحِيْهِمْ يَكُوْنُ فِيْ أَوْجِ عُلُوْهِمْ وَاسْتِكْبَارِهِمْ،  
وَأَنَّهُمْ إِنْ عَادُوا إِلَى الْفَسَادِ وَالْعُلُوِّ عَادَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِالْعَذَابِ وَالنَّكَالِ عَلَى  
أَيْدِي بَعْضِ عِبَادِهِ، وَتِلْكَ سُنَّةٌ دَائِمَةٌ ثَابِتَةٌ فِيهِمْ، قَرَّرَهَا الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، وَوَقَعَتْ  
فِي تَارِيخِهِمْ ﴿وَفَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لِنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلُنَ  
عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ ٤ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا  
خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَاتَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ  
وَبَنِيْنَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ ٥ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا  
جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْفُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّأُوا  
مَا عُلُوًّا تَبَيَّرًا ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُثِرْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾  
[الإِسْرَاءُ: ٤-٨].

إِنْ قَضَاءُ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِمْ ظَاهِرٌ، وَحُكْمُهُ فِيهِمْ وَاضِحٌ، وَسُنَّتُهُ فِيهِمْ ثَابِتَةٌ ﴿وَإِنْ  
عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ أَيُّ: إِنْ عُدْتُمْ إِلَى الْعُلُوِّ وَالْفَسَادِ عُدْنَا عَلَيْكُمْ بِالْعُقُوبَةِ وَالْعَذَابِ،  
وَقَدْ عَادُوا إِلَى الْعُلُوِّ وَالْفَسَادِ، فَسَلَّطَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمُ الْبَابِلِيِّينَ، فَخَرَّبُوا  
عُمْرَانَهُمْ، وَأَبَادُوا خَضِرَاءَهُمْ. ثُمَّ عَادُوا إِلَى الْفَسَادِ وَالْعُلُوِّ بَعْدَ بَعَثَةِ النَّبِيِّ ﷺ،  
فَسَلَّطَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ فِي غَزَوَاتِ النَّضِيرِ وَقَيْنَقَاعَ وَقَرْيَظَةَ وَخَبِيرَ،  
فَكَانُوا بَيْنَ الْقَتْلِ وَالسَّبْيِ، وَبَيْنَ الطَّرْدِ وَالْجَلَاءِ، ثُمَّ عَادُوا لِلْعُلُوِّ وَالْفَسَادِ فَسَلَّطَ  
اللَّهُ عَلَيْهِمْ أُمَّةَ الْأَلَمَانِ النَّازِيَّةَ، فَطَارَدُوهُمْ وَعَذَّبُوهُمْ وَحَرَّفُوهُمْ.

وَبَعْدَ تَوَطُّبِهِمْ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ زَادَ عُلُوُّهُمْ، وَاسْتَفْهَلَ فَسَادُهُمْ، وَأَمَدَّهُمْ  
إِخْوَانُهُمْ وَحُلَفَاؤُهُمْ وَالْمُسَارِعُونَ فِيهِمْ بِجِبَالِهِمْ؛ لِيَعْلُوا عُلُوًّا كَبِيرًا، وَلِيُتَبَرَّأُوا مَا  
عَلَوْا تَتَبِيرًا، وَلَسَوْفَ يَحِقُّ عَلَيْهِمْ وَعْدُ اللَّهِ تَعَالَى، وَتُذَرِّكُهُمْ سُنَّتُهُ الْأَبَدِيَّةُ ﴿وَإِنْ  
عُدْتُمْ عُدْنَا﴾، وَسُنَّةُ اللَّهِ تَعَالَى فَوْقَ إِرَادَةِ الْبَشَرِ، وَقُدْرَتُهُ سُبْحَانَهُ غَالِبَةٌ لِأَسْلِحَتِهِمْ

وَأَسْلِحَهِ مَنْ يَصِلُونَهُمْ بِجِبَالِهِمْ، وَمَا نَفَعَ أَجْدَادَهُمْ مِنْ قَبْلُ مَا تَوَثَّقُوا بِهِ مِنْ جِبَالِ  
الْبَشَرِ، وَقَطَعَتْ سُنَّةُ اللَّهِ تَعَالَى كُلَّ حَبْلٍ مَمْدُودٍ إِلَيْهِمْ ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ  
الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فَاطِر: ٤٣].

وَكَلَّمَا زَادَ عُلُوَّهُمْ، وَاسْتَفْحَلَ فَسَادُهُمْ؛ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى قُرْبِ عَذَابِهِمْ، وَدُنُوِّ  
هَلَاكِهِمْ، عَجَّلَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ، وَحَفِظَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ شَرِّهِمْ  
وَعُلُوِّهِمْ وَفَسَادِهِمْ.

أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ، وَاسْتَمْسِكُوا بِدِينِكُمْ، وَانصُرُوا إِخْوَانَكُمْ فِي الْأَرْضِ  
الْمُبَارَكَةِ بِكُلِّ مَا تَسْتَطِيعُونَ مِنْ أَنْوَاعِ النُّصْرَةِ، وَمِنْ أَعْظَمِ ذَلِكَ الدُّعَاءُ الْخَالِصُ  
الصَّادِقُ، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ، إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.  
أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى نَبِيِّكُمْ.





## ٣٧٦- بين التجمع اليهودي والتفرق العربي

١٩/١٠/١٤٢٧هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى؛ كَتَبَ الْعِزُّ وَالنَّصْرَ لِمَنْ حَكَمَ شَرْعَهُ، وَضَرَبَ الذِّلَّ وَالْهَوَانَ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ، لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَاهُ، وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَاهُ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ ٢٥ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَکَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿[المجادلة: ٢٠، ٢١]. أَحْمَدُهُ وَأَشْكُرُهُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَشْهَدُ أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ ابْتَلَى الْعِبَادَ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ، وَالْكَفْرِ وَالْإِيمَانِ، وَالْمَعْصِيَةِ وَالطَّاعَةِ، وَجَعَلَ لِكُلِّ مِنْهُمَا أَنْصَارًا وَدُعَاءَ يَدْعُونَ إِلَيْهِمَا؛ فَدُعَاءٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، وَدُعَاءٌ عَلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ﴿وَنَبَلُوكُم بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِنتِنَا تَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠]. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ؛ لِيَهْدِيَ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَيُبْصِرَ بِهِ مِنَ الْعُمَايَةِ، فَبَلَغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ، وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ؛ أَقَامُوا الْعَدْلَ، وَرَفَعُوا الظُّلْمَ، وَنَشَرُوا دِينَ اللَّهِ تَعَالَى، وَحَكَّمُوا بَيْنَ النَّاسِ بِشَرِيعَتِهِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى حَقَّ التَّقْوَى؛ فَلَا رَافِعَ لِلذِّلِّ وَالْهَوَانِ، وَلَا مُنْجِيَ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وَإِنَّمَا تُنَالُ رَحْمَتُهُ، وَيُنَجَّى مِنْ عَذَابِهِ، وَيَنْزِلُ نَصْرُهُ بِتَقْوَاهُ سُبْحَانَهُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا، حَقِيرِهَا وَجَلِيلِهَا.

أَيُّهَا النَّاسُ: أَكْرَمَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْأُمَّةَ بِدِينٍ جَمَعَ شَتَاتَهَا، وَوَحَّدَ كَلِمَتَهَا،

وَأَزَالَ أَسْبَابَ فُرْقَتِهَا، وَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِ أُنْبَائِهَا ﴿وَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣].

فَتَأَخَى فِي دِينِ الْإِسْلَامِ الْحَبَشِيُّ بِلَالٌ، وَالرُّومَانِيُّ صُهَيْبٌ، وَالْفَارِسِيُّ سَلْمَانٌ، مَعَ الْعَرَبِيِّ الْقُرَشِيِّ، وَاجْتَمَعَتْ قَبَائِلُ الْعَرَبِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَقَدْ فُرِّقَتْهَا الْجَاهِلِيَّةُ سَنَوَاتٍ عِدَّةً، وَأَفْنَتْ أُنْبَاءَهَا حُرُوبٌ سَعَرَتْ فِي سَبِيلِ فَرَسٍ سَبَقَتْ، أَوْ نَاقَةٍ عُقِرَتْ، أَوْ كَلِمَةٍ قِيلَتْ، يَتِمُّ بِسَبَبِهَا أَطْفَالٌ، وَرُمِلَتْ نِسَاءٌ، وَأُزْهِقَتْ أَرْوَاحٌ.

لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ بِرَابِطَةٍ هِيَ أَقْوَى مِنْ رَابِطَةِ الدِّمِ وَالنَّسَبِ، وَالتُّرَابِ وَالْوَطَنِ، وَالْجَنْسِ وَالْعِرْقِ، وَاللِّسَانِ وَاللُّغَةِ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، يَسْعَى بِدِمَتِهِمْ أَذْنَاهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، يَرُدُّ مُشِدَّهُمْ عَلَى مُضْعِفِهِمْ، وَمُتَسَرِّبِهِمْ عَلَى قَاعِدِهِمْ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ<sup>(١)</sup>.

وَمَثَلُهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِالْجَسَدِ الْوَاحِدِ الَّذِي إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ تَأَلَّمَتْ سَائِرُ الْأَعْضَاءِ الْأُخْرَى بِسَبَبِهِ<sup>(٢)</sup>، وَقَطَعَ ﷺ كُلَّ طَرِيقٍ لِلنُّعْرَاتِ وَالْعَصَبِيَّاتِ الْجَاهِلِيَّةِ،

(١) أخرجه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ﷺ: أبو داود في الجهاد، باب في السرية ترد على أهل العسكر (٢٧٥١)، وأحمد (٢/ ٢١٥)، وابن الجارود (١٠٧٣). وأخرجه بنحوه من حديث ابن عباس ﷺ: ابن ماجه في الديات، باب المسلمون تتكافأ دماؤهم (٢٦٨٣).

(٢) وذلك في حديث النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» أخرجه مسلم في البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (٢٥٨٦).

فَأَعْلَنَ فِي أَصْحَابِهِ قَائِلًا: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَّرَهَا بِالْأَبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لِبَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخَرَهُمْ بِأَقْوَامٍ إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لِيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجَعْلَانِ الَّتِي تَذْفَعُ بِأَنْفِهَا التَّنَّ»<sup>(٣)</sup>.

وَلَمَّا عَيَّرَ رَجُلٌ رَجُلًا بِنَسَبِهِ أَغْلَظَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: «إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»<sup>(٤)</sup>.

وَلَمَّا تَفَاخَرَ بَعْضُ الْأَنْصَارِ بِأَيَّامِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَانْتَحَوْا بِهَا غَضِبَ ﷺ وَقَالَ: «أَبْدَعُوايَ الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ»<sup>(٥)</sup>.

وَكُلُّ هَذَا النِّكِيرِ لِأَيِّ عَصِيَّةٍ إِلَّا عَصِيَّةَ الْإِسْلَامِ إِنَّمَا أَرَادَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تَتَّحَدَ الْأُمَّةُ عَلَى دِينِ اللَّهِ تَعَالَى؛ لِيَكُونَ أَقْوَى لَهَا، وَأَجْمَعَ لِأَمْرِهَا، وَأَمْضَى لِعَزْمِهَا، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَعْظَمَ سَبَبًا لِلْفُشْلِ وَالْهَزِيمَةِ مِنَ التَّفَرُّقِ وَالْإِخْتِلَافِ ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وَفِي قَضِيَّةِ فَلَسْطِينِ الَّتِي تُعَدُّ أَطْوَلَ قَضِيَّةٍ مُعَاَصِرَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ، وَأَكْثَرَ قَضَايَاهُمْ

(٣) أخرجه من حديث أبي هريرة ﷺ: أبو داود في الأدب، باب في التفاخر بالأحساب (٥١١٦)، والترمذي في المناقب، باب فضل الشام واليمن، وقال: حسن غريب (٣٩٥٥)، وأحمد (٣٦١/٢)، وصححه ابن تيمية في الاقتضاء (٧٣).

(٤) أخرجه من حديث أبي ذر ﷺ: البخاري في الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن (٥٧٠٣)، ومسلم في الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل، وإلباسه مما يلبس، ولا يكلفه ما يغلبه (١٦٦١).

(٥) أخرجه من حديث زيد بن أسلم -رحمه الله تعالى-: الطبري في تفسيره (٢٣/٤-٢٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور لابن إسحاق وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ (٢٧٨/٢).

تَعْقِيدًا، وَظَهَرَ فَشَلُ الْمُسْلِمِينَ فِي حَسْمِهَا حَرْبًا، كَمَا فَشَلُوا فِي حَلِّهَا سِلْمًا؛  
نَجِدُ أَنَّ أَعْظَمَ سَبَبٍ لِهَذَا الْفَشَلِ: التَّفَرُّقُ وَالْإِخْتِلَافُ الَّذِي نَتَجَّ عَنْ إِلْغَاءِ الرَّابِطَةِ  
الدِّينِيَّةِ وَإِحْلَالِ الرِّوَابِطِ الْقَوْمِيَّةِ وَالْوَطَنِيَّةِ، وَنُقِلَتْ بِسَبَبِهِ الْقَضِيَّةُ مِنْ مِيدَانِهَا  
الشَّرْعِيِّ إِلَى مِيَادِينِ الْجَاهِلِيَّةِ.

لَقَدْ فَتَحَ الْعَرَبِيُّ الْقُرَشِيُّ الْمُسْلِمُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه بَيْتَ الْمَقْدِسِ،  
وَاسْتَلَمَهُ مِنْ أَيْمَةِ النَّصَارَى، وَكَانَ فِي جَيْشِهِ رُومَانٌ وَفُرسٌ وَأَحْبَاشٌ مُسْلِمُونَ،  
كَمَا كَانَ فِي جَيْشِهِ أَخْلَاطٌ مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ الْمُخْتَلِفَةِ لَا يَتَنَحَوْنَ إِلَّا بِالْإِسْلَامِ،  
وَلَا يَعْرِفُونَ رَابِطَةً غَيْرَ رَابِطَةِ الْإِيمَانِ<sup>(٦)</sup>.

وَلَمَّا اخْتَلَّ الصَّلِيبِيُّونَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فِي وَقْتٍ ضَعْفٍ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ وَاخْتَلَفُوا  
وَتَفَرَّقُوا أَعَادَهَا إِلَى حَظِيرَةِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ تِسْعِينَ سَنَةً مِنَ الْإِخْتِلَالِ صَلَاحِ الدِّينِ  
الْأَيُّوبِيِّ الْكُرْدِيِّ الْمُسْلِمِ<sup>(٧)</sup>، وَكَانَ جَيْشُهُ أَخْلَاطًا مِنَ الْعَرَبِ وَالْفُرسِ وَالْكَرْدِ  
وَالتُّرْكِ وَغَيْرِهِمْ، لَا يَجْمَعُهُمْ إِلَّا الْإِسْلَامُ، فَلَمْ يَنْسُبُوا هَذِهِ الْمَنْقَبَةَ الْعَظِيمَةَ  
لِجَنْسٍ دُونَ جَنْسٍ، وَلَا اسْتَعْلَى بِهَا عِرْقٌ عَلَى عِرْقٍ، بَلْ كَانَتْ مَنَقِبَةً لِلْمُسْلِمِينَ  
لِكُونِهِمْ مُسْلِمِينَ وَكَفَى.

وَلَمَّا ضَعُفَتِ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي الْقُرْنِ الْمَاضِي، وَطَمَعَ فِي ضَعْفِهَا شَيَاطِينُ  
الْعَرَبِ مِنْ أَحْقَادِ الصَّلِيبِيِّينَ، وَأَبْنَاءِ الصَّهَابِيَّةِ، وَرَأَوْا أَنَّ الْفُرْصَةَ مُوَاتِيَةً لِتَوْطِينِ  
الْيَهُودِ فِي فِلَسْطِينَ تَمَسَّكَ بِهَا السُّلْطَانُ الْعُثْمَانِيُّ التُّرْكِيُّ عَبْدُ الْحَمِيدِ الثَّانِي،  
وَأَصْدَرَ الْقَرَارَاتِ تَلَوَ الْقَرَارَاتِ لِلْحِفَاطِ عَلَيْهَا، وَمَنَعَ الْيَهُودَ مِنَ الْهَجْرَةِ إِلَيْهَا.  
وَرَغِمَ مَا كَانَتْ تُعَانِي مِنْهُ الدَّوْلَةُ الْعُثْمَانِيَّةُ مِنَ الضَّعْفِ وَالْإِنْحِطَاطِ، وَانْهِيَارِ

(٦) ينظر خبر هذا الفتح في خطبة: الفتح الأول لبيت المقدس مجلد (٣)، خطبة رقم (١٤٢).

(٧) ينظر خبر ذلك في خطبتي: سلب الأقصى واسترداده مجلد (٣) خطبة رقم (١٤٥)، ومعركة  
حطين مجلد (٣) خطبة رقم (١٤٧).



الإقصاد، وتراكم الديون؛ فإن السلطان العثماني التركي لم يبع فلسطين العربية الإسلامية لليهود، وقد حاول كبار اليهود والنصارى المرة بعد المرة؛ لإغرائه بذلك، وقابله كبير الصهاينة آنذاك هرتزل ثلاث مرات لشراء فلسطين من الخلافة العثمانية التركية، ولكن السلطان رفض ذلك، وكاتبوه فيها كثيرا فلم يفلحوا. وأراد -رحمه الله تعالى- أن يئسهم من طمعهم فيه، فأرسل رئيس وزرائه إليهم برسالة يقول فيها: «انصحو الدكتور هرتزل بالألا يتخذ خطوات جدية في هذا الموضوع، إنني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض؛ فهي ليست ملك يميني، بل ملك الأمة الإسلامية التي جاهدت في سبيلها، ورونها بدمائها؛ فليحتفظ اليهود بملايينهم، وإذا مزقت دولة الخلافة يوما فإنهم يستطيعون أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن، أمّا وأنا حيّ فإن عمل المبضع في بدني لأهون عليّ من أن أرى أرض فلسطين قد بُترت من الدولة الإسلامية، وهذا أمر لا يكون. إنني لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة»<sup>(٨)</sup>.

لقد حافظ السلطان -رحمه الله تعالى- عليها من منطلق إسلامي، لا من منطلق قومي أو وطني أو عرقي، وإلا لباعها لليهود، وسلمت له دولته التركية، ولتلق العرب مصيرهم مع اليهود. وما ظفر اليهود بفلسطين إلا على أنقاض الدولة العثمانية بعد أن عملت جمعياتهم عملها في المسلمين، ففقتهم ومزقتهم، وأبدلت انتماءهم إلى القوميات العرقية بدل انتمائهم إلى دينهم، فاستبدل ملاحدة الترك بدينهم القومية التركية الطورانية، واستبدل ملاحدة

(٨) ينظر: مذكرات السلطان عبد الحميد (٣٤)، وصحوة الرجل المريض د. موفق بن المرجه

(٢٢٤-٢٢٥)، وينظر: تاريخ الدولة العثمانية يلماز اوزتونا، ترجمة: عدنان محمود

سليمان (١٥٧/٢-١٥٩)، وانهيار الدولة العثمانية (١٩٠-١٩٥).

الْعَرَبِ بِدِينِهِمُ الْقَوْمِيَّةَ الْعَرَبِيَّةَ، فَقَسَمَتِ الْأُمَّةُ الْوَاحِدَةَ إِلَى عَرَبٍ وَتُرْكٍ، ثُمَّ إِلَى قَوْمِيَّاتٍ أُخْرَى مُتَفَرِّقَةٍ، وَقَسَمَتِ بُلْدَانَهُمْ إِلَى دُولٍ شَتَّى، فَفَرَّقَتْهُمْ الْعَصَبِيَّاتُ الْجَاهِلِيَّةُ وَقَدْ جَمَعَهُمُ الْإِسْلَامُ.

وَفِي أُخْرِيَّاتِ الْقُرْنِ الْمَاضِي زَادُوا التَّفَرُّقَ تَفَرُّقًا بِاخْتِلَافِهِمْ فِي التَّحَالُفِ مَعَ الْقَوَّتَيْنِ الْعُظْمَايَيْنِ؛ فَدُوَلٌ مِنْهُمُ أَعْلَنَتْ وَلَاءَهَا لِلْمُعَسْكَرِ الْإِلْحَادِيِّ الشُّيُوعِيِّ الشَّرْقِيِّ، وَدُوَلٌ أُخْرَى انْضَمَّتْ إِلَى الْمُعَسْكَرِ الْإِلْحَادِيِّ اللَّيْبِرَالِيِّ الْعَرَبِيِّ، وَاشْتَدَّتِ الْعَدَاوَاتُ بَيْنَهُمْ فِي سَبِيلِ تِلْكَ التَّحَالُفَاتِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ فِي صَالِحِهِمْ، وَسَعَرَتْ حُرُوبٌ فِي بُلْدَانِهِمْ تَسْتَنْزِفُ أَمْوَالَهُمْ، وَتُدَمِّرُ عُمرَانَهُمْ، وَتُهْلِكُ شُعُوبَهُمْ، لَيْسَ لَهُمْ فِيهِ نَصْرٌ، وَهَزِيمَتُهَا عَلَيْهِمْ، فَضَرُّهُمْ فِيهَا لِلدُّوَلِ الْعُظْمَى الَّتِي تُحَرِّكُهُمْ.

ثُمَّ لَمَّا اسْتَفَاقُوا بَعْدَ خَسَارَتِهِمُ الْعَدِيدَ مِنَ الْحُرُوبِ مَعَ الْيَهُودِ، وَانْتِهَاءِ الْحَرْبِ الْبَارِدَةِ، وَبَدَلُ أَنْ يَجْتَمِعُوا عَلَى رَابِطَةِ الْإِسْلَامِ وَقَدْ تَجَرَّعُوا غُصَصَ التَّفَرُّقِ عُقُودًا مُتَتَابِعَةً؛ عَادُوا مَرَّةً أُخْرَى إِلَى تَفَرُّقٍ جَدِيدٍ بِاسْمِ الْوَطَنِيَّةِ وَالْقُطْرِيَّةِ، وَصَارَ دُعَاةُ الْقَوْمِيَّةِ بِالْأَمْسِ يَلْعَنُونَهَا الْيَوْمَ، وَيَسْخَرُونَ مِنْ رِفَاقِ الْأَمْسِ، وَيَهْزَأُونَ بِشِعَارَاتِهِمْ، وَيَدْعُونَ إِلَى الْإِنْكَفَاءِ عَلَى الْأَوْطَانِ، وَعَدَمِ الْإِهْتِمَامِ بِالْآخَرِينَ مَهْمَا كَانَتْ حَاجَتُهُمْ إِلَيْنَا، وَلَوْ كَانُوا إِخْوَةً لَنَا.

وَفِي مَرَاجِلِ هَذَا التَّحَوُّلِ مِنَ الْأُمَّةِ الْجَمَاعَةِ الَّتِي تَنْضَوِي تَحْتَ لَوَاءِ الْإِسْلَامِ إِلَى دُوْنِيَّاتٍ وَجَمَاعَاتٍ مُتَفَرِّقَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، بَيْنَهَا مِنَ التَّنَاحُرِ وَالْعَدَاوَاتِ أَشَدُّ مِمَّا بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَعْدَائِهَا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، نَجِدُ أَنَّ الْقَضِيَّةَ الْمَرْكَزِيَّةَ وَهِيَ قَضِيَّةُ فَلَسْطِينِ انْتَقَلَتْ إِلَى مَرَاجِلِ التَّفَرُّقِ هَذِهِ، وَتَأَثَّرَتْ بِكُلِّ مَرَحَلَةٍ مِنْهَا؛ فَانْتَقَلَتْ فِي أَوَّلِ مَرَحَلَةٍ مِنْ كَوْنِهَا قَضِيَّةً إِسْلَامِيَّةً، جَاءَتْ نُصُوصٌ شَرْعِيَّةٌ فِي فَضْلِهَا وَفَضْلِ

مَسْجِدَهَا إِلَى قَضِيَّةٍ عَرَبِيَّةٍ لَا دَخَلَ لِعَرَبٍ فِيهَا؛ فَأَدْخَلَ غَيْرُ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا مِنْ نَصَارَى الْعَرَبِ وَيَهُودِهِمْ وَمَلَاحِدَتِهِمْ، وَأَخْرَجَ الْمُسْلِمُونَ غَيْرَ الْعَرَبِ مِنْهَا، وَهُمْ أَكْثَرُ مِنَ الْعَرَبِ وَأَقْوَى، فَضَعُفَ حِطُّ الْعَرَبِ فِيهَا، وَلَمْ يَخْجَلُوا حِينَ أَخْرَجُوا أَعَاجِمَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا وَهُمْ يَقْرَأُونَ فِي التَّارِيخِ أَنَّ كُرْدِيًّا أَعَادَهَا إِلَيْهِمْ مِنْ بَرَاثِنِ الصَّلَيبِيِّينَ، وَأَنَّ تُرْكِيًّا خَسِرَ سُلْطَانَهُ وَلَمْ يَتَنَارَلَ عَنْهَا، وَمُرُقَتْ دَوْلَتُهُ بِسَبَبِهَا، ثُمَّ لَمَّا انْفَرَدَ الْعَرَبُ بِقَضِيَّتِهِمْ أَضَاعُوهَا.

وَمَا مَضَتْ سَنَوَاتٌ قَلِيلٌ إِلَّا وَدَخَلَتِ الْقَضِيَّةُ الْمَرَحَلَةَ الثَّانِيَةَ مِنَ التَّفَرُّقِ، فَانْتَقَلَتْ مِنْ كَوْنِهَا قَضِيَّةً عَرَبِيَّةً تُهَمُّ كُلَّ عَرَبِيٍّ إِلَى قَضِيَّةٍ قُطْرِيَّةٍ وَطَنِيَّةٍ، شَأْنُهَا لِأَهْلِهَا وَلِلْمُجَاوِرِينَ لَهَا مِنْ دَوْلِ الطُّوقِ، وَلَا عِلَاقَةَ لِبَقِيَّةِ الْعَرَبِ بِهَا.

ثُمَّ دَخَلَتِ الْقَضِيَّةُ مَرَحَلَةَ التَّفَرُّقِ الثَّالِثَةِ، فَأُضْحَتْ قَضِيَّةً فِلَسْطِينِيَّةً لَا شَأْنَ لِأَحَدٍ بِهَا إِلَّا أَهْلِهَا، وَانْفَرَدَتْ دَوْلُ الطُّوقِ بِصُلْحٍ وَاتِّفَاقَاتٍ مَعَ الْعَدُوِّ الْغَاصِبِ؛ لِيَتْرَكُوا إِخْوَانَهُمْ فِي الدِّينِ وَالْعُرُوبَةِ يُوَاجِهُونَ عَدُوَّهُمْ وَخَدِّمَهُمْ. وَلَرُبَّمَا أَعَانَ بَعْضُهُمُ الْيَهُودَ عَلَى إِخْوَانِهِمْ مِنْ بَابِ الْمَصْلَحَةِ الْوَطَنِيَّةِ الَّتِي اسْتَقَرَّ الْعَرَبُ فِي آخِرِ تَفَرُّقٍ لَهُمْ عَلَيْهَا، مُلْغِينَ كُلَّ الرِّوَابِطِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْعِرْقِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِهِمْ.

بَلْ تَجْرِي مُحَاوَلَاتٌ حَثِيثَةٌ مِنَ الْيَهُودِ وَأَعْوَانِهِمْ لِمَشْرُوعِ تَفَرُّقٍ رَابِعٍ بَيْنَ الْفِلَسْطِينِيِّينَ أَنْفُسِهِمْ، وَإِسْعَالِ الْحُرُوبِ وَالْفِتْنَةِ بَيْنَ فَصَائِلِهِمْ وَأَحْزَابِهِمْ؛ لِيُفْنِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَسْتَرِيحَ الْيَهُودُ مِنْ حَرْبِهِمْ مَعَهُمْ.

وَأَمْرَاضُ التَّفَرُّقِ الَّتِي أَصَابَتْ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى حَلَّتِ الْأَثَرَةَ مَحَلَّ الْإِثَارِ، وَسَادَ حُبُّ الذَّاتِ فِي النَّاسِ، وَاسْتَعْلَتْ الْمَصَالِحُ الشَّخْصِيَّةُ الْآيِيَّةُ عَلَى الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ لَيْسَ أَهْلُ فِلَسْطِينَ بِمَنَآئٍ عَنْهَا؛ فَهِيَ أَوْبِيَّةٌ انْتَشَرَتْ فِي الْمُسْلِمِينَ لَمَّا

اِسْتَبَدُّوْا بِرَابِطَةِ الدِّيْنِ الَّتِي جَمَعَتْهُمْ وَقَوَّتَهُمُ الرِّوَابِطُ الْجَاهِلِيَّةُ الَّتِي فَرَقَتْهُمْ وَأَضَعَفَتْهُمْ.

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْأَعْدَاءَ الصَّهَابِيَّةَ وَالصَّلَيبِيِّينَ لَمْ يُرْضِهِمْ بَعْدُ مَا فِي الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَدْوَاءِ التَّفَرُّقِ وَالْإِخْتِلَافِ، وَيُرِيدُونَ تَقْسِيمَ الْمُقَسَّمِ، وَتَجْزِئَةَ الْمُجْزَأِ، بِإِثَارَةِ النُّعْرَاتِ الْعِرْقِيَّةِ وَالطَّائِفِيَّةِ فِي الدَّوْلَةِ الْوَاحِدَةِ لِيُقَسِّمُوهَا إِلَى دُوْنِيَّاتٍ أُخْرَى، وَيُعْلِنُونَ ذَلِكَ عَلَى الْمَلَأِ، وَيَنْشُرُونَهُ فِي وَسَائِلِ إِعْلَامِهِمْ، وَمَا حَرَكَ ذَلِكَ سَاكِنًا فِي الْمُسْلِمِينَ، وَلَا دَفَعَهُمْ لِلْإِحْسَاسِ بِالْخَطَرِ عَلَى دُوْلِهِمْ، وَمُحَاوَلَةِ جَمْعِ أَمْرِهِمْ، وَتَوْحِيدِ صَفِّهِمْ، وَمُقَاوَمَةِ تِلْكَ الْمَشَارِيعِ التَّوْشِيعِيَّةِ الصَّهْيَوْنِيَّةِ.

وَفِي ذَاتِ الْوَقْتِ نَرَى الصَّهَابِيَّةَ يَجْمَعُونَ فِي فَلَسْطِينَ مَا تَفَرَّقَ مِنْ أَبْنَاءِ الْيَهُودِ عَلَى اخْتِلَافِ بُلْدَانِهِمْ وَأَعْرَاقِهِمْ وَلُغَاتِهِمْ، فَبِهِمْ مَنْ أَتَوْا بِهِمْ مِنْ أَسْوَاقِ الْبُورْصَاتِ الْعَالَمِيَّةِ فِي الدَّوْلِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَفَبِهِمْ مَنْ أَتَوْا بِهِمْ مِنْ جِبَالِ الْيَمَنِ وَأَدْعَالِ أَفْرِيقِيَّةِ، وَلَمْ يَمْنَعَهُمْ هَذَا التَّبَايُنُ بَيْنَهُمْ مِنْ أَنْ تَجْمَعَهُمُ الرَّابِطَةُ الْيَهُودِيَّةُ، حَتَّى جَمَعُوهُمْ فِي دَوْلَتِهِمُ النَّشَازِ مِمَّا يَزِيدُ عَلَى سِتِّينَ دَوْلَةً فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ. فَوَاعَجَبَا لِأَهْلِ الْحَقِّ وَهُمْ لَمْ يَجْتَمِعُوا عَلَى حَقِّهِمْ، وَوَاعَجَبَا لِأَهْلِ الْبَاطِلِ وَقَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَإِلَى اللَّهِ تَعَالَى الْمُشْتَكَى مِنْ أَهْلِ الذَّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ وَقَدْ صَارُوا فِي هَذَا الزَّمَنِ أَهْلُ عِزَّةٍ وَقُوَّةٍ! وَمِنْ أَهْلِ الْعِزَّةِ وَالْقُوَّةِ وَقَدْ فَرَطُوا فِي أَسْبَابِ عِزَّتِهِمْ وَقَوَّتِهِمْ، فَصَارُوا إِلَى مَا تَرَوْنَ مِنَ الضَّعْفِ وَالْهَوَانِ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ إِنَّا وَلَكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ

ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ [المائدة: ٥٤-٥٦].  
بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ.



### الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَاصِرٍ أَوْلِيَّائِهِ، وَمُذِلٍّ أَعْدَائِهِ، أَحَمَدُهُ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ  
كَمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ  
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَاتَّبَاعِهِ  
إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - وَأَطِيعُوهُ؛ فَإِنَّ مَا فِي الْمُسْلِمِينَ مِنْ  
أَذْوَاءِ التَّفَرُّقِ وَالضَّعْفِ وَالْهَوَانِ لَا يُرْفَعُ إِلَّا بِنَصْرِ مَنْ اللَّهُ تَعَالَى، وَنَصْرُهُ سُبْحَانَهُ  
لَا يُنَالُ إِلَّا بِتَقْوَاهُ وَطَاعَتِهِ ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾  
[محمد: ٧].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: يَنْطَلِقُ الْيَهُودُ فِي مَذَابِحِهِمْ ضِدَّ أَهْلِ فَلَسْطِينَ مِنْ مُنْطَلَقَاتِ  
دِينِيَّةٍ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَتَفَرَّبُونَ بِهَا إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ! تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ظُلْمِهِمْ وَإِجْرَامِهِمْ  
عُلُوءًا كَبِيرًا.

وَلَا يَرَى الْيَهُودُ فَرْقًا بَيْنَ الْمُقَاتِلِينَ وَغَيْرِ الْمُقَاتِلِينَ، وَلَا بَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ  
وَالْأَطْفَالِ؛ فَالْجَمِيعُ هَدَفٌ لِمَذَابِحِهِمُ التَّوْرَانِيَّةِ التَّلْمُودِيَّةِ، بَلْ إِنَّ فِي عَقَائِدِهِمْ  
الْمُحَرَّفَةِ أَنَّهُمْ إِذَا سَيَّطَرُوا عَلَى الْأَرْضِ أَبَادُوا الْمُسْلِمِينَ، وَأَبَادُوا النَّصَارَى  
مَعَهُمْ، وَأَبَادُوا كُلَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا، وَهَذِهِ الْعَقِيدَةُ مُقَرَّرَةٌ فِي كُتُبِهِمُ الَّتِي

يَتَعَبَّدُونَ بِهَا، وَيَصُدُّونَ عَنْهَا، وَتَرَسُّمُ سِيَاسَتِهِمْ مَعَ الْآخَرِينَ وَيُعْلِنُ بِهَا حَاخَامَاتُهُمْ عَلَى الْمَلَا دُونَ خَوْفٍ وَلَا وَجَلٍ، يَقُولُ الْحَاخَامُ أَبْرَاهَامُ شَايِر فِي رِسَالَةٍ وَجَّهَهَا لِلشَّيْبَةِ الْيَهُودِ: «نُرِيدُ شَبَابًا يَهُودِيًّا قَوِيًّا أَوْ شَدِيدًا، نُرِيدُ شَبَابًا يَهُودِيًّا يُدْرِكُ أَنَّ رِسَالَتَهُ الْوَحِيدَةَ هِيَ تَطْهِيرُ الْأَرْضِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ مُنَازَعَتَنَا فِي أَرْضِ الْمِيعَادِ، يَجِبُ أَنْ تُثَبِّتُوا لَهُمْ أَنَّكُمْ قَادِرُونَ عَلَى اجْتِثَائِهِمْ مِنَ الْأَرْضِ، يَجِبُ أَنْ نَتَخَلَّصَ مِنْهُمْ كَمَا يَتِمُّ التَّخَلُّصُ مِنَ الْمِيكْرُوبَاتِ وَالْجَرَائِمِ»<sup>(٩)</sup>.

وَيُصَرِّحُونَ بِأَنَّ الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ وَالْتِّزَامَ تَعَالِيْمِهِ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَالْعَمَلَ بِهِ هُوَ الْعُقْبَةُ الْكَادَاءُ الَّتِي تَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَشَارِيعِهِمُ التَّوَسُّعِيَّةِ الْإِجْرَامِيَّةِ، يَقُولُ الْحَاخَامُ الشَّرْقِيُّ الْأَكْبَرُ لِإِسْرَائِيلَ مُرَدَّحَايُ إِلْيَاهُو: «لَنَا أَعْدَاءُ كَثِيرُونَ، وَهُنَاكَ مَنْ يَتَرَبَّصُ بِنَا وَيَنْتَظِرُ الْفُرْصَةَ لِلانْقِضَاظِ عَلَيْنَا، وَهَؤُلَاءِ بِإِمْكَانِنَا عَبْرَ الْإِجْرَاءَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ أَنْ نُوَاجِهَهُمْ، لَكِنْ مَا لَا نَسْتَطِيعُ مُوَاجَهَتَهُ هُوَ ذَلِكَ الْكِتَابُ الَّذِي يُسَمُّونَهُ (قُرْآنًا) هَذَا عَدُوُّنَا الْأَوْحَدُ، هَذَا الْعَدُوُّ لَا تَسْتَطِيعُ وَسَائِلُنَا الْعَسْكَرِيَّةُ مُوَاجَهَتَهُ»<sup>(١٠)</sup>.

وَيَقُولُ الْحَاخَامُ إِسْحَاقُ بِيرِيَتْس: «إِذَا اسْتَمَرَّ ارْتِفَاعُ الْأَذَانِ الَّذِي يَدْعُو الْمُسْلِمِينَ لِلصَّلَاةِ كُلِّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ فِي الْقَاهِرَةِ وَعَمَّانَ وَالرِّبَاطِ فَلَا تَتَحَدَّثُوا عَنِ السَّلَامِ»<sup>(١١)</sup>.

إِذَنْ؛ فَالْمُرَادُ هُوَ إِبْعَادُ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كِتَابِ رَبِّهِمْ مَصْدَرِ قُوَّتِهِمْ وَعِزَّتِهِمْ،

(٩) نقلًا عن مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية على الشبكة العنكبوتية.

(١٠) المصدر السابق، وفيه أن هذا الحاخام خاطب به مجموعة من الشبان الذين يلتحقون بالجيش اليهودي.

(١١) المصدر السابق، وهذا الحاخام قال ذلك في خطبة أمام مجندين يهود.

وَسَلَّحُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ دِينِهِمْ حَتَّى لَا يُنَادَى بِالْأَذَانِ فِيهِمْ، هَذَا مَا يُرِيدُهُ الْيَهُودُ كَمَا هُوَ وَاضِحٌ مِنْ نُصُوصِهِمْ، وَهَذَا مَا يَقُومُ بِهِ وَكَلَاءُ الْيَهُودِ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ تَجْفِيفِ مَنَابِعِ التَّدْيِينِ، وَمُحَارَبَةِ الدَّعْوَةِ، وَحَلَقَاتِ تَحْفِيزِ الْقُرْآنِ، وَالسَّعْيِ لِلْقَضَاءِ عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ بِاسْمِ مُحَارَبَةِ التَّطَرُّفِ وَالْإِرْهَابِ الَّذِي هُوَ الْإِسْلَامُ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَوُكَلَائِهِمْ.

وَالْعَجِيبُ أَنَّ مِنْ أَدْيَاتِ الْيَهُودِ، وَمُقْتَضِيَاتِ عَقَائِدِهِمْ: عَدَمُ التَّوَرُّعِ عَنْ قَتْلِ وَكَلَائِهِمْ، وَالنَّاشِرِينَ لِمَشْرُوعَاتِهِمْ، وَالْمُسَوِّقِينَ لِمَبَادِيهِمْ فِي الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ، وَلَا يُخْرِجُونَهُمْ مِنْ أَهْدَافِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ يَحْتَقِرُونَ عِرْقَهُمْ وَجَنَسَهُمْ، وَلَوْ كَانُوا دَوِي خِدْمَةِ لَهُمْ، وَفِي حَرْبٍ ثَلَاثَةِ وَسَبْعِينَ وَزَعًا عَلَى قُوَّاتِهِمُ الَّتِي تَحُوضُ الْحَرْبَ كِتَابًا يَتَضَمَّنُ تَعْلِيمَاتٍ لِحُجْنِدِهِمْ قَالُوا فِيهِ: «يَنْبَغِي عَدَمُ الثِّقَةِ بِالْعَرَبِيِّ فِي أَيِّ ظَرْفٍ مِنَ الظُّرُوفِ، حَتَّى وَإِنْ أَعْطِيَ انْطِبَاعًا بِأَنَّهُ مُتَمَدِّنٌ، فَفِي الْحَرْبِ يُسَمَحُ لِقُوَّاتِنَا وَهِيَ تُهَاجِمُ الْعَدُوَّ، بَلْ إِنَّهَا مَأْمُورَةٌ بِقَتْلِ حَتَّى الْمَدَنِيِّينَ الطَّيِّبِينَ؛ أَيِ: الْمَدَنِيِّينَ الَّذِينَ يَبْدُونَ طَيِّبِينَ فِي الظَّاهِرِ»<sup>(١٢)</sup>.

تِلْكَ عَقَائِدُهُمُ الَّتِي يَنْطَلِقُونَ مِنْهَا فِي قَتْلِ إِخْوَانِنَا فِي فَلَسْطِينَ، وَقَدْ سَمِعْتُمْ وَرَأَيْتُمْ الْمَذَابِجَ الَّتِي قَامُوا بِهَا هَذِهِ الْأَيَّامَ، وَلَمْ يُفَرِّقُوا فِيهَا بَيْنَ طِفْلِ وَلَا امْرَأَةٍ وَلَا شَيْخٍ مُسِنٍّ، وَقَدْ عَجَزَ الْعَرَبُ عَنْ فِعْلِ شَيْءٍ كَمَا يَعْجِزُونَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ<sup>(١٣)</sup>. إِنَّهُ لَا مَخْرَجَ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ هَذَا الضَّغْفِ وَالْهَوَانِ إِلَّا بِاجْتِمَاعِ كَلِمَتِهِمْ، وَالْقَضَاءِ عَلَى أَسْبَابِ تَفَرُّقِهِمْ، وَلَكِنْ يَجْمَعُهُمْ إِلَّا دِينُ اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا لَمْ يَجْتَمِعِ

(١٢) المصدر السابق.

(١٣) هذا إشارة إلى المجازر التي ارتكبتها اليهود في حق إخواننا في بيت حانون وما حولها، ولا يزال اليهود يحاصرونهم إلى ساعة كتابة هذه الخطبة، فَرَجَّ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ إِخْوَانِنَا وَنَصَرَهُمْ عَلَى إِخْوَانِ الْقَرْدَةِ وَالْخَنَازِيرِ.

الْعَرَبُ فِي تَارِيخِهِمْ، وَلَمْ يَنَالُوا الْعِزَّةَ وَالسِّيَادَةَ إِلَّا بَعْدَ بَعَثَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَانْضِواءِ الْعَرَبِ تَحْتَ لَوَاءِ الْإِسْلَامِ، وَلَنْ يَتِمَّ لِلْمُسْلِمِينَ اجْتِمَاعٌ وَتَّحَدُّ كَلِمَتُهُمْ إِلَّا بِالتَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ، وَالرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَتَعْظِيمِ أَمْرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ، وَتَحْكِيمِ شَرِيعَتِهِ.

يَجِبُ عَلَى أَهْلِ السِّيَاسَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ خَطَايَاهُمْ السِّيَاسِيَّةِ الَّتِي يَنْشُورُ بِهَا الْعَلَقَاتِ عَلَى الْمَذَاهِبِ الْبُرْجُمَاتِيَّةِ النَّفْعِيَّةِ بَعِيدًا عَنِ الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ وَالْمَبَادِي وَالْقِيَمِ.

كَمَا يَجِبُ عَلَى أَهْلِ الْاِقْتِصَادِ أَنْ يَتُوبُوا مِنْ خَطَايَا الرِّبَا وَالْغِشِّ وَالِاخْتِكَارِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْمَعَامَلَاتِ الْمُحَرَّمَةِ.

وَيَجِبُ عَلَى أَهْلِ الْإِعْلَامِ أَنْ يَتُوبُوا مِنْ خَطَايَا تَرْوِيرِ الْحَقَائِقِ، وَالْكَذِبِ عَلَى النَّاسِ، وَالِاسْتِمَاتَةِ فِي صَرْفِهِمْ عَنْ دِينِهِمْ بِالْقَاءِ الشُّبُهَاتِ فِي قُلُوبِهِمْ، وَإِفْسَادِهِمْ بِأَنْوَاعِ الشَّهَوَاتِ.

وَيَجِبُ عَلَى كُلِّ عَاصٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتُوبَ مِنْ مَعْصِيَتِهِ؛ طَلَبًا لِنَصْرِ رَبِّهِ، وَجَلْبًا لِعِزَّةِ أُمَّتِهِ، وَلِيَشْعُرَ أَنَّ ذَنْبَهُ كَانَ سَبَبًا فِي تَسَلُّطِ الْيَهُودِ عَلَى إِخْوَانِهِ فِي فَلَسْطِينَ، وَهُوَ سَبَبٌ لِسَلْطَةِ الْأَعْدَاءِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ؛ فَإِنْ أَحَسَّ كُلُّ مُسْلِمٍ بِهَذَا الْإِحْسَاسِ، وَسَيَظَرَ عَلَيْهِ هَذَا الشُّعُورُ، نَجَّوْا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ تَبَعَةِ الذُّنُوبِ، وَمِنَ التَّقْصِيرِ فِي حَقِّ إِخْوَانِهِمُ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَتَنْزَلَ نَصْرُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ ﴿وَمَا أَتَّصِرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى نَبِيِّكُمْ ...





## ٣٧٧- علاقة النصارى بالمسلمين

١٤٢٧/٨/٢٩ هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ؛ أَنَارَ الطَّرِيقَ لِلسَّائِرِينَ، وَأَقَامَ الْحُجَّةَ عَلَى الْعَالَمِينَ، أَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا، وَأَشْكُرُهُ عَلَى مَا أَعْطَانَا، فَهُوَ خَالِقُنَا وَرَازِقُنَا، وَهُوَ رَبُّنَا وَمَعْبُودُنَا، لَا رَبَّ لَنَا سِوَاهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ وَفَقَّ لِلْهُدَى مَنْ شَاءَ لَهُ السَّعَادَةُ، وَضَلَّ عَنْ دِينِهِ مَنْ كُتِبَتْ عَلَيْهِ الشَّقَاوَةُ ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠]. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ خَتَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ النُّبُوَّةَ وَالرَّسَالَةَ، وَأَوْجَبَ عَلَى مَنْ أَدْرَكَهُ مِنَ النَّبِيِّينَ تَصَدِيقَهُ وَاتِّبَاعَهُ ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَاتَّبَاعِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.  
أَمَّا بَعْدُ: فَأَوْصِيكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ ﷻ، وَالثَّبَاتِ عَلَى الْحَقِّ إِلَى الْمَمَاتِ، فِتْلِكَ وَصِيَّةُ آبَائِكُمْ مِنَ النَّبِيِّينَ إِلَيْكُمْ ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

أَيُّهَا النَّاسُ: بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ ﷺ إِلَى أُمَّةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُصَدِّقًا لِدِينِ مُوسَى ﷺ، وَمُبَشِّرًا بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَانْقَسَمَ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِيَالَ دَعْوَتِهِ ﷺ إِلَى فَرِيقَيْنِ: فَرِيقٍ آمَنَ بِهِ وَهُمْ النَّصَارَى، وَفَرِيقٍ كَفَرَ بِهِ وَهُمْ الْيَهُودُ

﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَثَامَنْتَ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ﴾ [الصف: ١٤].

ثُمَّ إِنَّ الْكُفَّارَ بِدِينِ عِيسَى ﷺ أَوْغَلُوا صَدْرَ الْحَاكِمِ الرُّومَانِيِّ عَلَيْهِ، وَزَعَمُوا أَنَّهُ يَنَازِعُهُ الْمُلْكَ، فَصَدَرَ حُكْمُ مَلِكِ الرُّومَانِ فِي فَلَسْطِينَ بِقَتْلِهِ ﷺ، فَاحْتَفَى هُوَ وَأَتْبَاعُهُ مِنْ جُنْدِ الرُّومَانِ، وَوَشَى بِهِ أَحَدُ أَصْحَابِهِ، وَدَلَّهُمْ عَلَى مَكَانِهِ، فَأَلْقَى اللَّهُ تَعَالَى شِبَهَ عِيسَى ﷺ عَلَى هَذَا الْوَأَشِيِّ فَقُتِلَ وَصُلِبَ، وَرَفَعَ اللَّهُ تَعَالَى عِيسَى إِلَيْهِ، وَاشْتَدَّ الْأَذَى عَلَى أَتْبَاعِهِ ﷺ فَطُورِدُوا وَعَذَّبُوا وَسُجِنُوا، وَقُتِلَ مِنْهُمْ مَنْ قُتِلَ، وَظَلَّ الْبَاقُونَ عَلَى التَّوْحِيدِ الَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ عِيسَى ﷺ.

ثُمَّ إِنَّ أَحَدَ الْيَهُودِ الَّذِينَ بِالْغُوَا فِي تَكْذِيبِ عِيسَى ﷺ، وَنَلَطَخَتْ يَدَاهُ بِتَعْذِيبِ أَتْبَاعِهِ زَعَمَ أَنَّهُ رَأَى عِيسَى ﷺ، وَأَظْهَرَ الْإِيمَانَ بِهِ، وَتَظَاهَرَ بِنَدَمِهِ عَلَى مَا فَعَلَ بِأَتْبَاعِهِ، فَلَمَّا تَمَكَّنَ عِنْدَ النَّصَارَى، وَعَلَا شَأْنُهُ، أَدْخَلَ كَثِيرًا مِنَ الْعَقَائِدِ الْوَثْنِيَّةِ الْيُونَانِيَّةِ وَالْيَهُودِيَّةِ فِي النَّصْرَانِيَّةِ، وَدَعَا إِلَى عَقِيدَةِ الْحُلُولِ وَالِاتِّحَادِ بِزَعْمِ أَنَّ الرَّبَّ جَلَّ جَلَالُهُ حَلَّ فِي الْمَسِيحِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ بِالتَّثْلِيثِ، وَبِعِبَادَةِ الصَّلِيبِ، فَحَرَّفَ هَذَا الْيَهُودِيَّ النَّصْرَانِيَّةَ مِنَ التَّوْحِيدِ إِلَى الشُّرْكِ، وَقَاوَمَ أَفْكَارَهُ بَعْضُ الْمُوَحِّدِينَ مِنَ النَّصَارَى، لَكِنْ بَعْدَ ثَلَاثَةِ قُرُونٍ تَمَكَّنَتِ الْوَثْنِيَّةُ مِنْ دِينِ النَّصَارَى الَّتِي تَوَلَّى كِبَرَ إِحْدَائِهَا وَنَشَرَهَا الْيَهُودِيُّ بُولْسُ الَّذِي يُسَمَّى فِي الْكُتُبِ الْيَهُودِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ شَاوُول<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر في تخريب بولس (شاول اليهودي) عقائد النصرانية وإدخال الشرك والتثليث فيها، وإباحة الخمر والخنزير، ومنع الختان وغير ذلك من تبديل الشرائع:

١- الجواب الصحيح لابن تيمية.

٢- اليهودية العالمية وحررها المستمرة على المسيحية، إيليا أبو الروس، منشورات دار

وَلَاَنَّ عَقِيدَةَ التَّثْلِيثِ مُسْتَمَدَّةٌ مِنَ الْعَقَائِدِ الْوُثْنِيَّةِ الْقَدِيمَةِ الْمَبْنِيَّةِ عَلَى تَعَدُّدِ  
الْإِلَهَةِ، وَهِيَ عَقِيدَةٌ تَتَعَارَضُ مَعَ الْعَقْلِ وَالْفِطْرَةِ؛ فَإِنَّ النَّصَارَى اخْتَلَفُوا اخْتِلَافًا  
كَبِيرًا فِيهَا، وَجَمَعُوا فِيهَا بَيْنَ نَقِيضَيْنِ فَقَالُوا: تَثْلِيثٌ فِي وَحْدَانِيَّةٍ أَوْ وَحْدَانِيَّةٌ فِي  
تَثْلِيثٍ، وَلِذَا قِيلَ: لَا يَسْتَطِيعُ نَصْرَانِيَّانِ أَنْ يَتَّفَقَا عَلَى مَعْنَى مُحَدَّدٍ لِهَذِهِ الْعَقِيدَةِ  
الْمُتَنَاقِضَةِ لَا يَخْتَلِفَانِ فِيهِ.

وَمِنْ هُنَا فَإِنَّ زَعَمَ بَابَا الْفَاتِيكَانِ أَنَّ مَشِيئَةَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

- = ٣- محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة.
- ٤- بولس وتأثيره في المسيحية، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير غير منشور، وهيب أحمد البكري، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض.
- ٥- النصرانية من التوحيد إلى التثليث، محمد أحمد الحاج، دمشق، دار القلم.
- ٦- تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، محمد عزت دروزة، القاهرة، المكتبة العصرية.
- ٧- انزعوا قناع بولس عن وجه المسيح، أحمد زكي، الرياض، مكتبة الشقري.
- ٨- المسيحية، أحمد شلبي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.
- ٩- موقف بولس من تعاليم عيسى ﷺ، عماد الدين عبد الله الشنطي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة آل البيت، المفرق، الأردن.
- ١٠- اليهودي شاوول (بولس) الطرسوسي وأثره في العقائد الوثنية النصرانية، محمد أحمد ملكاوي، الرياض، دار الإسرائ.
- ١١- أثر اليهودية في تحريف الفكر الديني، بولس وعبد الله بن سبأ أنموذجاً، هاني علي البلوي، رسالة ماجستير في العقيدة غير منشورة، الجامعة الأردنية.
- ١٢- المسيحية دين الله الذي أنزله على المسيح أم هي ديانة بولس، نبيل نيقولا، وهو كان نصرانياً واهتدى للإسلام، ط٢٠٠٧، بدون بيانات طبع.
- ١٣- بولس وتحريف المسيحية، هيم ماكبي، ترجمة: سميرة عزمي الزين، المعهد الدولي للدراسات الإنسانية.
- ١٤- نصرانية عيسى ومسيحية بولس، صلاح العجاوي، طبع في مصر لحساب المؤلف ١٤٠٩هـ.

مُنْقَطَعَةٌ عَنِ الْعَقْلِ<sup>(٢)</sup> إِنَّمَا هُوَ فِي وَاقِعِ الْأَمْرِ وَصِفَتْ لِعَقِيدَتِهِ الْبَاطِلَةِ الَّتِي يَعْتَنِقُهَا، وَيَضْحَكُ هُوَ وَرُهْبَانُهُ بِهَا عَلَى الشُّعُوبِ النَّصْرَانِيَّةِ الَّتِي أَضْلَوْهَا، وَإِلَّا فَأَيُّ عَقْلِ فِي زَعْمِهِمْ بِحُلُولِ اللَّهِ تَعَالَى فِي عَيْسَى ﷺ، ثُمَّ قَوْلِهِمْ بِنُوتِهِ لَهُ سُبْحَانَهُ، وَهُوَ ﷻ لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْوًا أَحَدًا؟!

وَأَيُّ عَقْلٍ وَمَنْطِقٍ فِي عَقِيدَةٍ تَجْعَلُ الْإِلَهَ ثَلَاثَةً: الْأَبَ وَالْإِبْنَ وَرُوحَ الْقُدُسِ، فَمَنْ يَعْبُدُونَ وَمَنْ يَدْعُونَ، وَعِنْدَ الشَّدَائِدِ إِلَى أَيِّ الثَّلَاثَةِ يُلْجَأُونَ؟!

وَأَيُّ عَقْلٍ وَمَنْطِقٍ فِي الْخَلْطِ بَيْنَ اللَّاهُوتِ وَالنَّاسُوتِ، ثُمَّ عَدَمِ الْقُدْرَةِ عَلَى الْفَصْلِ بَيْنَهُمَا، بَلْ وَالْعَجْزِ عَنِ إِفْهَامِ أَتْبَاعِهِمْ مَبَادِي تِلْكَ الْعَقِيدَةِ الَّتِي تَجْمَعُ النَّقَائِضُ؛ وَلِذَا فَإِنَّهُ عَلَى الرَّغْمِ مِمَّا يُنْفِقُهُ الْمُنْصَرُّونَ مِنْ أَمْوَالٍ طَائِلَةٍ، وَمَا يَبْذُلُونَهُ مِنْ جُهُودٍ جَبَّارَةٍ فِي سَبِيلِ إِقْنَاعِ النَّاسِ بِعَقِيدَتِهِمْ فَإِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ إِقْنَاعَهُمْ بِهَا، وَجُلُّ الَّذِينَ تَنْصَرُّوا إِنَّمَا فَعَلُوا ذَلِكَ جَرِيًّا خَلْفَ مَنَافِعَ مَادِّيَّةٍ، وَلَيْسَ قَنَاعَةً بِدِينِ الضَّالِّينَ مِنَ النَّصَارَى.

ثُمَّ إِنَّ النَّصَارَى بَعْدَ هَذَا الضَّلَالِ الَّذِي أُدْخِلَ فِي عَقِيدَتِهِمْ اخْتَلَفُوا فِي مِقْدَارِ مَا فِي عَيْسَى ﷺ مِنَ الْإِلَهِيَّةِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ، وَهُوَ مَا يُعْرَفُ بِالْخِلَافِ عَلَى اللَّاهُوتِ وَالنَّاسُوتِ، فَانْقَسَمَ النَّصَارَى بِسَبَبِهِ إِلَى طَائِفَتَيْنِ: الْكَاثُولِيكِ وَالْأَرْتُذُوكْسِ، فَكَانَ الْكَاثُولِيكُ هُمْ نَصَارَى الْغَرْبِ وَعَاصِمَتُهُمْ رُومِيَّةٌ، وَكَانَ الْأَرْتُذُوكْسُ هُمْ نَصَارَى الشَّرْقِ وَعَاصِمَتُهُمْ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ.

وَلَمَّا أَكْرَمَ اللَّهُ تَعَالَى الْبَشَرِيَّةَ بِبَعَثِهِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقُرَشِيِّ ﷺ

(٢) ألقى بابا الفاتيكان بنديكت السادس محاضرة في جامعة ريتسبون الألمانية ادعى فيها أن المشيئة في الإسلام منقطعة عن العقل، وأن إرادة الله تعالى لا تخضع لمحاكمة العقل أو المنطق، واتهم النبي ﷺ بأنه لم يأت إلا بأشياء شريرة، وانتقد الجهاد في الإسلام.

انْقَسَمَ النَّصَارَى تَجَاهَ دَعْوَتِهِ إِلَى طَائِفَتَيْنِ: فَطَائِفَةٌ آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، وَعَرَفُوا أَنَّ مَا جَاءَهُمْ بِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، قَدْ بَشَّرَتْ بِهِ كُتُبُهُمْ، وَعَلَى رَأْسِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ: صُهَيْبُ الرُّومِيِّ، وَتَمِيمُ الدَّارِيُّ، وَالنَّجَاشِيُّ الْحَبَشِيُّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ.

وَفِيهِمْ وَأَمْثَالُهُمْ مِمَّنْ آمَنُوا بِنَبِيِّهِمْ ثُمَّ آمَنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ لَمَّا بُعِثَ نَزَلَتْ آيَاتُ كَثِيرَةٍ تَمْدَحُهُمْ، وَتُثْنِي عَلَيْهِمْ، وَتُبَيِّنُ عَظِيمَ ثَوَابِهِمْ ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشَعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩]، وَصَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ...»، وَذَكَرَ مِنْهُمْ: «وَمُؤْمِنُ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِي كَانَ مُؤْمِنًا، ثُمَّ آمَنَ بِالنَّبِيِّ ﷺ فَلَهُ أَجْرَانِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (٣).

وَالطَّائِفَةُ الْأُخْرَى مِنَ النَّصَارَى لَمْ يُؤْمِنُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ وَهُمْ فَرِيقَانِ: فَرِيقٌ خَضَعُوا لِسُلْطَانِ الْإِسْلَامِ قَبْلَ الْقِتَالِ، وَصَالَحُوا النَّبِيَّ ﷺ، وَدَفَعُوا الْجِزْيَةَ، فَكَانُوا مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، وَمِنْ هَذَا الْفَرِيقِ: نَصَارَى نَجْرَانَ، وَنَصَارَى دُومَةَ الْجَنْدَلِ.

وَفَرِيقٌ آخَرٌ لَمْ يَخْضَعُوا لِسُلْطَانِ الْإِسْلَامِ، وَقَاتَلُوا الْمُسْلِمِينَ، وَهَؤُلَاءِ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ لِقَاتِلِهِمْ، وَأَرْسَلَ السَّرَايَا إِلَيْهِمْ؛ وَمِنْ هَؤُلَاءِ: نَصَارَى مُؤَتَةَ، وَنَصَارَى تَبُوكَ.

وَأَوَّلُ مُوَاجَهَةٍ قِتَالِيَّةٍ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالنَّصَارَى كَانَتْ فِي مُؤَتَةَ، ثُمَّ عَزَمَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى مُوَاجَهَتِهِمْ فِي تَبُوكَ، لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُقَدِّرْ قِتَالًا، ثُمَّ بَعْدَ وَفَاةٍ

(٣) أخرجه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: البخاري في الجهاد والسير، باب فضل من أسلم من أهل الكتاب (٢٨٤٩)، ومسلم في الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ جميع الملل بملته (١٥٤).

النَّبِيِّ ﷺ سَارَتِ الْجِيُوشُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي عَهْدِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ، فَفَتَحَتْ كَثِيرًا مِنْ بِلَادِ النَّصَارَى، وَأَخْضَعَتْهَا لِسُلْطَانِ الْإِسْلَامِ، وَرَفَعَتْ عَنْ أَهْلِهَا عَسْفَ الرُّهْبَانِ، وَتَسَلَّطَ الْقِيَاصِرَةُ، وَاعْتَرَفَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ النَّصَارَى بِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا أَرْحَمَ بِهِمْ مِنْ سَاسَتِهِمْ وَرُهْبَانِهِمْ، وَأَنَّ أَكْثَرَ الشُّعُوبِ النَّصْرَانِيَّةِ إِنَّمَا دَخَلَتْ فِي الْإِسْلَامِ طَوَاعِيَّةً لِمَا رَأَوْهُ مِنْ عَدْلِ الْمُسْلِمِينَ مَعَهُمْ، وَرَحْمَتِهِمْ بِهِمْ. يَقُولُ الْمُؤَرِّخُ النَّصْرَانِيُّ جُوسْتَاْف لِثُون: وَمَا كَانَتْ انْصَارَاتُ الْعَرَبِ لِتُعْمِي أَبْصَارَهُمْ لِأَوَّلِ أَمْرِهِمْ، وَتَحْمِلَهُمْ عَلَى الْإِفْرَاطِ الْمَأْلُوفِ عِنْدَ الْفَاتِحِينَ فِي الْعَادَةِ، وَلَا اسْتَدُّوا فِي إِرْهَاقِ الْمَغْلُوبِينَ عَلَى أَمْرِهِمْ، وَلَا فَرَضُوا عَلَيْهِمْ بِالْقُوَّةِ دِينَهُمُ الْجَدِيدَ الَّذِي كَانُوا يُرِيدُونَ بَثَّهُ فِي أَقْطَارِ الْعَالَمِ، وَلَوْ عَمِلُوا ذَلِكَ لَأَهَاجُوا عَلَيْهِمْ جَمِيعَ الشُّعُوبِ الَّتِي لَمْ تَخْضَعْ لَهُمْ، فَاتَّقُوا حَقَّ الثَّقَاةِ هَذِهِ التَّهْلُكَةَ الَّتِي لَمْ يَنْجُ مِنْهَا الصَّلِيبِيُّونَ الَّذِينَ دَخَلُوا الشَّامَ فِي الْقُرُونِ الْوَالِيَةِ، بَلْ رَأَيْنَاهُمْ حَيْثُ دَخَلُوا فِي الشَّامِ وَمِصْرَ وَأَسْبَانِيَا يُعَامِلُونَ الشُّعُوبَ بِمُنْتَهَى الرَّفْقِ، تَارِكِينَ لَهُمْ أَنْظِمَتَهُمْ وَأَوْضَاعَهُمْ وَمُعْتَقَدَاتِهِمْ، غَيْرَ ضَارِبِينَ عَلَيْهِمْ فِي مُقَابِلِ السَّلَامِ الَّذِي ضَمِنُوهُ هُمْ إِلَّا جِزْيَةً ضَيْلَةً كَانَتْ عَلَى الْأَغْلَبِ أَقَلٌّ مِنَ الضَّرَائِبِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهِمْ أَداؤها مِنْ قَبْلُ، وَمَا عَرَفَتِ الشُّعُوبُ فَاتِحًا بَلَغَ هَذَا الْقَدْرَ مِنَ الْمُسَامَحَةِ، وَلَا دِينًا حَوَى فِي مَطَاوِيهِ هَذِهِ الرَّقَّةَ وَاللَّطْفَ<sup>(٤)</sup>.

وَمِنْ هُنَا نَعْرِفُ أَنَّ وَصَفَ الْبَابَا الضَّالِّ لِلْإِسْلَامِ بِالْذَمِّوِيَّةِ، وَبِأَنَّهُ إِنَّمَا انْتَشَرَ بِحَدِّ السَّيْفِ<sup>(٥)</sup> هُوَ مِنَ الْكَذِبِ الْمَكْشُوفِ الَّذِي يُحَاوِلُ فِيهِ أَئِمَّةُ النَّصَارَى

(٤) الإسلام والحضارة العربية، لمحمد كرد علي (١/١٤٤).

(٥) استشهد البابا بحوار بين إمبراطور بيزنطة ومثقف فارسي، فقال الإمبراطور: أرني ما الجديد الذي جاء به محمد، لن تجد فيه إلا أشياء شريرة وغير إنسانية، مثل أمره بنشر الدين الذي يبشر به بحد السيف.

الْمُحَرِّفُونَ صَرَفَ النَّاسِ عَنِ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، وَتِلْكَ الْأَوْصَافُ الَّتِي أَظْلَقَهَا  
إِنَّمَا هِيَ أَوْصَافُ دِينِهِ الْمُحَرَّفِ، وَأَوْصَافُ حَمَلَتِهِ الَّذِينَ يُضِلُّونَ النَّاسَ عَنِ الْحَقِّ  
إِلَى الْبَاطِلِ.

إِنَّ الْأُمَّةَ الْكَاثُولِيكِيَّةَ الَّتِي يَتَزَعَّمُ دِينَهَا الْمُحَرَّفَ بِأَبَاهُمْ الْمُنَحَرِفُ هِيَ أَسْوَأُ  
أُمَمِ النَّصَارَى، وَأَكْثَرُهَا دَمَوِيَّةً فِي التَّارِيخِ، بَلْ لَا يُبَالِغُ مَنْ يَقُولُ: لَمْ يَمُرَّ عَلَى  
الْبَشَرِيَّةِ أُمَّةٌ سَفَكَتْ مِنَ الدَّمَاءِ، وَمَزَقَتْ مِنَ الْأَشْلَاءِ أَكْثَرَ مِنَ الْكَاثُولِيكِ، وَرَعَمَ  
فِدَاخَةَ مَا عَمِلَهُ التَّارُ الِهَمَجِيُّونَ بِالْمُسْلِمِينَ إِبَّانَ إِسْقَاطِهِمُ الْخِلَافَةَ الْعَبَّاسِيَّةَ فَإِنَّ  
مَا فَعَلَهُ الْكَاثُولِيكِ بِالْمُسْلِمِينَ فِي الْحُرُوبِ الصَّلِيبِيَّةِ وَفِي إِسْقَاطِ الْأَنْدَلُسِ كَانَ  
أَشَدَّ وَأَنْكَى مِمَّا فَعَلَهُ الْمَغُولُ فِي بَغْدَادَ، وَلَسْتُ أَعْلَمُ أُمَّةً عَانَى الْمُسْلِمُونَ مِنْهَا  
الْوَلَيَاتِ طَوَالَ تَارِيخِهِمْ كَمَا عَانَوْا مِنَ الْيَهُودِ وَالْكَاثُولِيكِ.

وَفِي أُخْرِيَاتِ شَهْرِ شَعْبَانَ مِنْ عَامِ اثْنَيْنِ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ لِلْهَجْرَةِ دَخَلَتْ  
جَحَافِلُ الصَّلِيبِيِّينَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فِي الْحَمْلَةِ الصَّلِيبِيَّةِ الْأُولَى فَفَعَلُوا بِالْمُسْلِمِينَ مَا  
لَا يُحِيطُ بِهِ الْوَصْفُ، وَأَنْقَلُ لَكُمْ شَهَادَةَ مُؤَرِّخَيْنِ صَلِيبِيِّينَ حَضَرَا تِلْكَ النَّازِلَةَ،  
وَسَجَّلَا مَا شَاهَدَا بِكُلِّ فَخْرٍ وَاعْتِرَازٍ، يَقُولُ الْمُؤَرِّخُ الصَّلِيبِيُّ فُوشِيه  
الشَّارْتِرِي: «وَلَوْ أَنَّكَ كُنْتَ مَوْجُودًا هُنَاكَ لَغَاصَتْ قَدَمَاكَ حَتَّى الْعَقَبَيْنِ فِي دِمَاءِ  
الْمَذْبُوحِينَ، تُرَى مَاذَا أَقُولُ؟ لَمْ نَتْرِكْ مِنْهُمْ أَحَدًا عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ، وَلَمْ يَنْجُ حَتَّى

= والحق أن الإسلام انتشر بالدعوة والمعاملة الحسنة، وأن السيف كان لإخضاع الدول  
للانصياع لحكم المسلمين لا لإجبار الأفراد على الدخول في الإسلام، ولذا عاش أهل  
العهد والذمة في الإسلام آمنين وهم باقون على أديانهم. ولا تثريب على الإسلام في  
إخضاع الدول لسلطانها؛ وذلك لأن كل الدول المنتصرة تخضع الدول المهزومة لسلطانها،  
فكيف إذا كان الإسلام أعدل من حكومات الدول الساقطة تحت حكمه من ملوكها  
ورهبانها في حكم رعاياهم.

النِّسَاءَ وَالْأَطْفَالَ . . . ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَبْقُرُونَ بَطُونَ الْمُسْلِمِينَ بَحْثًا عَنْ ذَهَبٍ فِيهَا، وَأَنَّهُمْ جَمَعُوا فِي أَرْقَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ أَكْوَامًا مِنْ جُثَثِ الْمُسْلِمِينَ وَأَحْرَقُوهَا»<sup>(٦)</sup>. وَذَكَرَ الْمُؤَرِّخُ الصَّلِيبِيُّ رِيمُونُ الْأَجُولِرِيُّ بِأَنَّ جُنُودَهُمْ كَانُوا يُعَذِّبُونَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ يَفْذِفُونَهُمْ فِي النَّارِ وَهُمْ أَحْيَاءُ، يَقُولُ: «وَكَانَتْ أَكْوَامُ الرُّؤُوسِ وَالْأَيْدِي وَالْأَرْجُلِ تَسْتَرَعِي النَّظَرَ فِي شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ، وَكَانَ الْمَرْءُ يَشُقُّ طَرِيقَهُ بِصُعُوبَةٍ بَيْنَ جُثَثِ الرِّجَالِ وَالْخَيُْولِ، وَلَكِنَّ هَذِهِ كَانَتْ أُمُورًا صَغِيرَةً إِذَا قُورِنَتْ بِمَا جَرَى فِي مَعْبَدِ سُلَيْمَانَ، تَرَى مَا الَّذِي حَدَثَ هُنَاكَ؟ إِذَا ذُكِرَتِ الْحَقِيقَةُ فَإِنَّهَا سَتَتَعَدَّى قُدْرَتَكُمْ عَلَى التَّصْديقِ، وَلِذَا يَكْفِي أَنْ أَقُولَ: إِنَّهُ فِي مَعْبَدِ سُلَيْمَانَ كَانَ الرِّجَالُ يَخُوضُونَ فِي الدِّمَاءِ حَتَّى رُكِبَهُمْ وَحِزَامُ رِكَابِهِمْ»<sup>(٧)</sup>.

وَذَكَرَ الْمُؤَرِّخُ الْعَرَبِيُّ دِيُورَانْتُ «أَنَّ النَّسَاءَ كُنَّ يَقْتَلْنَ طَعْنًا بِالسُّيُوفِ وَالْحِرَابِ، وَالْأَطْفَالَ الرُّضْعُ يُخْتَطَفُونَ بِأَرْجُلِهِمْ مِنْ أَثْدَاءِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَيُقَذَّفُ بِهِمْ مِنْ فَوْقِ الْأَسْوَارِ، أَوْ تَهْشَمُ رُؤُوسُهُمْ بِدَقِّهَا بِالْعُمْدِ»<sup>(٨)</sup>.

وَفِي مُقَابِلِ هَذِهِ الصُّورَةِ الدِّمَوِيَّةِ الَّتِي رَسَمَهَا الْكَاثُولِيكُ فَإِنَّ صَلَاحَ الدِّينِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- لَمَّا افْتَتَحَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ عَفَا عَنِ الصَّلِيبِيِّينَ، وَسَمَحَ لَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا بِأَوْلَادِهِمْ وَنِسَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ آمِنِينَ لَا يَمَسُّهُمْ أَحَدٌ بِسُوءٍ<sup>(٩)</sup>، فَهَلْ كَانَتْ

(٦) أعمال الفرنجة حجاج بيت المقدس فوشيه الشارترى (١١٥-١٢٨)، والحملة الصليبية الأولى نصوص ووثائق تاريخية، قاسم عبده قاسم (٢٥٤-٢٥٥).

(٧) تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ريمون الأجولري، ترجمة: جوزيف نسيم يوسف (٢٤٦-٢٤٧)، والحملة الصليبية الأولى، نصوص ووثائق (٢٦٧-٢٦٩) وللمزيد من النقول في ذلك تراجع خطبة: مذابح الصليبيين في القدس مجلد (٣) خطبة رقم (١٤٦).

(٨) قصة الحضارة (٢٥/١٥).

(٩) ينظر خطبتي: سلب الأقصى واسترداده مجلد (٣) خطبة رقم (١٤٥)، ومعركة حطين مجلد (٣) خطبة رقم (١٤٧).



الدِّمَوِيَّةُ وَالْعُنْفُ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ كَمَا يَزْعُمُ الْبَابَا وَاتَّبَاعُهُ، أَمْ هِيَ فِي دِينِ الْكَاثُولِيكِ الْمُشْرِكِينَ؟!

وَلَسْتُ أَعْلَمُ أَنَّ الْمَرْجِعِيَّةَ الْكَاثُولِيكِيَّةَ فِي هَذَا الزَّمَنِ -وَهِيَ الْفَاتِيكَانُ- قَدْ اعْتَذَرَتْ لِلْمُسْلِمِينَ عَمَّا فَعَلَهُ أَجْدَادُهُمْ بِأَهْلِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي الْحَمْلَةِ الصَّلِيبِيَّةِ الْأُولَى، بَلْ إِنَّ بَابَا الْفَاتِيكَانِ الْهَالِكِ يُوحَنَّا بُولُسَ الثَّانِي لَمَّا زَارَ الشَّامَ قَبْلَ سَنَوَاتٍ فَلَا تِلَّ عَزَّ عَلَيْهِ أَنْ يَعْتَذِرَ لِأَهْلِهَا مَا فَعَلَهُ أَجْدَادُهُ بِأَجْدَادِهِمْ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْهُمْ يَحْمِلُونَ ذَاتَ الْعُقْلِيَّةِ الدِّمَوِيَّةِ الَّتِي حَمَلَهَا أَجْدَادُهُمْ مِنْ قَبْلُ، وَلَوْ اسْتَطَاعُوا لِأَبَادُوا الْمُسْلِمِينَ عَنْ بَكْرَةِ أَبِيهِمْ، وَتِلْكَ حَقِيقَةٌ مُقَرَّرَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ ﴿وَلَنْ رَضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَى حَتَّى تَتَّبِعَ يَلْتَمَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، ﴿مَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَيْبِكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥]، ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [آل عمران: ٦٩]، ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٣]. حَمَى اللَّهُ تَعَالَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ شَرِّهِمْ وَكُفْرِهِمْ، وَأَذَارَ دَوَائِرِ السُّوءِ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ سَمِيعٌ مُّجِيبٌ.

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ ...



### الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ، وَلَا أَمْنٌ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِينَ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلِيُ الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ النَّبِيُّ الْأَمِينُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم

وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.  
 أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ -عِبَادَ اللَّهِ- وَرَاقِبُوهُ، وَالزُّمُوا طَاعَتَهُ وَلَا تَعْصُوهُ ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [التور: ٥٢].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: الْحَمْلَةُ الْفِكْرِيَّةُ الَّتِي يَشْنُهَا أُمَّةُ الْبَاطِلِ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ  
 لَيْسَتْ مُسْتَنَكِرَةً، وَهَذَا دَأْبُهُمْ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ، وَهِيَ حَمْلَةٌ فِي هَذَا الْعَصْرِ  
 تُصَاحِبُ الْحَمَلَاتِ السِّيَاسِيَّةَ وَالْعَسْكَرِيَّةَ الرَّامِيَّةَ إِلَى اخْتِلَالِ بُلْدَانِ الْمُسْلِمِينَ  
 وَتَقْسِيمِهَا، وَنَهَبِ ثُرَوَاتِهَا، وَإِشْغَالِ الْمُسْلِمِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ عَنْ نَشْرِ دِينِهِمْ.

كَمَا تُصَاحِبُهَا حَمَلَاتُ الْإِفْسَادِ الْمُنَظَّمِ فِي وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ الْمُخْتَلِفَةِ الَّتِي  
 يَتَوَلَّى كِبَرَهَا، وَيَحْمِلُ وَزْرَهَا الْمُنَافِقُونَ وَالشَّهْوَانيُونَ فِي فَضَائِيَّتِهِمْ وَإِدَاعَاتِهِمْ،  
 وَصُحُفِهِمْ وَمَجَلَّاتِهِمْ، وَأَكْثَرُهُمْ يَقُومُ بِنَفْسِ الدَّورِ الَّذِي يَقُومُ بِهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى  
 ضِدَّ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ: إِنْ كَانَ كَبِيرُ النَّصَارَى قَدْ اعْتَدَى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِمَا قَالَ -عَلَيْهِ  
 مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مَا يَسْتَحِقُّ- فَإِنَّ جَمْعًا مِنْ أَبْنَاءِ الْمُسْلِمِينَ يَعْتَدُونَ عَلَى دِينِ  
 النَّبِيِّ ﷺ، وَيَسْخَرُونَ مِنْ شَرِيعَتِهِ، وَيَهْزَأُونَ بِشَعَائِرِهَا، وَيَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى نَبْذِهَا  
 وَتَرْكِهَا.

وَفِي كُلِّ سَنَةٍ يُخَصِّصُونَ رَمَضَانَ الْكَرِيمَ بِجُمْلَةٍ جَدِيدَةٍ مِنْ مَشَاهِدِ الشُّخْرِيَّةِ  
 بِشَعَائِرِ دِينِ النَّبِيِّ ﷺ كَأِكْرَامِ اللَّحَى، وَتَقْصِيرِ الثِّيَابِ، وَسُنَّةِ السَّوَالِكِ، وَحِجَابِ  
 الْمَرْأَةِ، وَتَحْرِيمِ الْخُلُوةِ بِهَا أَوْ سَفَرِهَا بِلَا مَحَرَمٍ، كَمَا يَسْخَرُونَ بِشَعِيرَةِ الْأَمْرِ  
 بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، فِي مَشَاهِدِ هَزْلِيَّةٍ يُفْطِرُ عَلَيْهَا الصَّائِمُونَ، بَلْ  
 وَيَسْخَرُونَ مِنْ عَادَاتِ النَّاسِ وَتَقَالِيدِهِمْ، وَأَلْسِنَتِهِمْ وَلَهْجَاتِهِمْ، وَيُصَوِّرُونَهُمْ فِي  
 صُورِ الدَّرَاوِيشِ وَالْمُعْقِلِينَ، وَيَزْعُمُونَ هُمْ وَمَنْ وَرَاءَهُمْ أَنَّهُمْ يَنْتَهَجُونَ النِّقْدَ الْبَنَاءَ

الَّذِي يَكُونُ سَبَبًا لِلْإِضْلَاحِ، وَأَنَّ عَمَلَهُمْ هُوَ خِدْمَةٌ لِلْوَطَنِيَّةِ الَّتِي يَتَسَدَّدُونَ بِهَا، ثُمَّ مَعَ زَعْمِهِمْ هَذَا مَا رَأَيْنَاهُمْ يَنْتَقِدُونَ الْمُفْسِدِينَ مِنْ أَصْحَابِ الْفِرْقِ الصَّالَةِ، فِي عَقَائِدِهِمُ الْفَاسِدَةِ، وَشَعَائِرِهِمُ الْبَاطِلَةِ الَّتِي يَتَقَرَّرُ مِنْهَا الْأَسْوِيَاءُ مِنْ بَنِي الْبَشَرِ، وَلَا رَأْيَانَهُمْ يَنْقُدُونَ مَشَارِيعَ الْمُتَحَرِّفِينَ مِنْ أَهْلِ التَّوَجُّهَاتِ الْمَشْبُوهَةِ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ الدَّوَائِرَ بِالْبِلَادِ وَالْعِبَادِ، وَيَنْشُرُونَ الْفَسَادَ، وَيَكِيدُونَ لِلْمُسْلِمِينَ أَعْظَمَ الْكَيْدِ!!

وَمِنْ عَجِيبِ أَمْرِ النَّاسِ أَنَّهُمْ يَغْضَبُونَ إِذَا انْتَهَكَ عِلْجٌ كَافِرٌ دِينَهُمْ، أَوْ سَخَرَ بَنِيهِمْ، وَلَكِنْ لَا يَغْضَبُ كَثِيرٌ مِنْهُمْ إِذَا صَدَرَ ذَلِكَ مِنْ أَبْنَاءِ جِلْدَتِهِمْ، فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ؟! إِلَّا أَنَّ الْمُنَافِقَ وَالْمُنْحَرِفَ أَشَدُّ خَطَرًا مِنَ الْكَافِرِ الَّذِي قَدْ عُرِفَ حِقْدُهُ، وَاتَّقَى خَطَرُهُ.

إِنَّ حُضُورَ الْمَجَالِسِ الَّتِي يُسَخَّرُ فِيهَا بِشْيءٍ مِنْ دِينِ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ مُشَارَكَةٌ مِمَّنْ حَضَرَهَا فِي تِلْكَ السُّخْرِيَّةِ، وَلَوْ كَانَتْ السُّخْرِيَّةُ بِشَعِيرَةٍ وَاحِدَةٍ، أَوْ بِحُكْمٍ شَرْعِيٍّ قَدْ لَا يَهْتَمُّ بِهِ بَعْضُ النَّاسِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ يُشَاهِدُ مِثْلَ تِلْكَ الْمَشَاهِدِ عَبْرَ الشَّاشَاتِ مُتَفَكِّهًا بِهَا، غَيْرَ مُنْكَرٍ لَهَا؛ فَإِنَّهُ مُشَارِكٌ لِأَهْلِ السُّخْرِيَّةِ فِي سُخْرِيَّتِهِمْ بِدِينِ اللَّهِ تَعَالَى، كَيْفَ؟ وَقَدْ أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى بِمُجَانَبَةِ مِثْلِ تِلْكَ الْمَجَالِسِ الْمَشْهُومَةِ الَّتِي يُسَخَّرُ فِيهَا بِدِينِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]، فَسَمَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى ظَالِمِينَ، وَنَهَى عَنِ الْقُعُودِ مَعَهُمْ، وَأَمَرَ بِالْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ، مِمَّا يُوجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ الْإِعْرَاضَ عَنْ تِلْكَ الشَّاشَاتِ الَّتِي تَبُثُّ مُشَاهِدَ السُّخْرِيَّةِ بِشْيءٍ مِنْ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ.

بَلْ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَكَمَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى عَلَى أَنَّ مَنْ شَهِدَهَا فَهُوَ مِثْلُ

المُسْتَهْزِئِ بِآيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ مَآيَةَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [النساء: ١٤٠]. يَقُولُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «أَيُّ إِنْكُمْ إِذَا ارْتَكَبْتُمُ النَّهْيَ بَعْدَ وُضُوءِهِ إِلَيْكُمْ، وَرَضِيتُمْ بِالْجُلُوسِ مَعَهُمْ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يُكْفَرُ فِيهِ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَيُسْتَهْزَأُ وَيُنْتَقَضُ بِهَا، وَأَقْرَرْتُمُوهُمْ عَلَى ذَلِكَ فَقَدْ شَارَكْتُمُوهُمْ فِي الَّذِي هُمْ فِيهِ»<sup>(١٠)</sup>.

وَأَيُّ إِفْرَارٍ أَعْظَمُ مِنَ التَّفَكُّهِ وَالضَّحِكِ أَثْنَاءَ السُّخْرِيَةِ بِشَيْءٍ مِنْ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ؟ بَلْ حَتَّى السُّخْرِيَةِ بِالنَّاسِ لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَحْضُرَ مَجَالِسَهَا إِلَّا عَلَى وَجْهِ الْإِنْكَارِ، وَمَا كَانَتِ السُّخْرِيَةُ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ سَبِيلًا لِلِإِصْلَاحِ، وَلَا عَقْلَاءُ الْبَشَرِ ذَلِكَ لَا فِي الْقَدِيمِ وَلَا فِي الْحَدِيثِ، وَلَكِنَّهُ عَمَى الْبَصَائِرِ، وَاسْتَحْكَامُ الْأَهْوَاءِ، وَاسْتِعْلَانُ الْفَسَادِ وَالنَّفَاقِ.

وَلَيْسَ مِنْ شُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى نِعْمَةٍ إِذْرَاكِ رَمَضَانَ قَضَاءَ أَوْقَاتِهِ فِي تِلْكَ الْمَشَاهِدِ الْهَازِلَةِ، وَلَيْسَ مِنَ الْفَرَحِ بِرَمَضَانَ الْفَرَحُ بِهَا، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ يَفْرَحُ بِالْمَعْصِيَةِ فِي رَمَضَانَ، نَعُودُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْخِذْلَانِ، وَنَسْأَلُهُ تَعَالَى أَنْ يَكْفِيَ السُّفَهَاءَ وَالْمُنَافِقِينَ عَنْ غَيْبِهِمْ، وَأَنْ يُبْطِلَ سَعْيَهُمْ، وَيَرُدَّ عَلَيْهِمْ كَيْدَهُمْ، كَمَا نَسْأَلُهُ تَعَالَى أَنْ يُبَلِّغَنَا هَذَا الشَّهْرَ الْعَظِيمَ، وَأَنْ يُعِينَنَا عَلَى صِيَامِهِ وَقِيَامِهِ، وَأَنْ يَقْبَلَ مِنَّا وَمِنَ الْمُسْلِمِينَ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ..  
وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ...



## ٣٧٨- حقوق الأسرى في الإسلام

١٨/٣/١٤٢٥هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]،  
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَيُّهَا النَّاسُ: كُلُّ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ تَتَعَامَلُ مَعَ غَيْرِهَا بِحَسَبِ دِينِهَا وَمَنْهَجِهَا، وَمَبَادِئِهَا وَأَخْلَاقِهَا، وَلَهَا مَصَادِرُهَا الَّتِي تَنْطَلِقُ مِنْهَا، وَتَصُدِّرُ عَنْهَا، وَعِنْدَ التَّحَاكُمِ تَرْجِعُ إِلَيْهَا.

وَالْأُمَّةُ الْقَوِيَّةُ هِيَ الَّتِي لَا يَسْتَخِفُّهَا فَرْحٌ بِنَصْرِ، وَلَا يَحِيدُ بِهَا عَنْ مَبَادِئِهَا غُرُورٌ بِقُوَّةٍ. فَإِنْ ضَعُفَتْ أَمَامَ غُرُورِ الْقُوَّةِ فَهِيَ أُمَّةٌ ضَعِيفَةٌ وَلَوْ مَلَكَتْ سِلَاحَ الْأَرْضِ كُلَّهُ.

وَأُمَّةُ الْإِسْلَامِ مَا حَكَمَتْ مُعْظَمَ الْأَرْضِ فِي سَابِقِ عَهْدِهَا لِقُوَّةِ مَادِيَّةٍ تَمْتَلِكُهَا،

أَوْ كَثْرَةً فِي عَدَدِ أَفْرَادِهَا، أَوْ لِأَنَّ لَدَيْهَا سِلَاحًا فَاتِكًا لَا يَحُوزُهُ غَيْرُهَا، وَلَا انْتَشَرَ  
الْإِسْلَامُ فِي أَرْجَاءِ الْمَعْمُورَةِ، وَدَخَلَ النَّاسُ فِيهِ أَفْوَاجًا لِأَنَّهُ فُرِضَ عَلَيْهِمْ بِالْقُوَّةِ.  
وَإِنَّمَا دَخَلَ النَّاسُ فِي الْإِسْلَامِ، وَدَانَتْ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ الْأُمَمِ؛ لِأَنَّهُ رَحْمَةٌ رَحِمَ  
اللَّهُ تَعَالَى بِهَا الْعِبَادَ، فَأَنْقَذَهُمْ بِهِ مِنْ ظُلُمَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَوْضَارِ الشُّرْكِ،  
وَوَجَدُوا فِيهِ مِنَ الْمَبَادِي وَالْقِيَمِ، وَالْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ مَا لَمْ يَجِدُوهُ فِي غَيْرِهِ.

مَبَادِيٌّ وَقِيَمٌ قَرَرَتْهَا الشَّرِيعَةُ فِي تَعَامُلِ الْإِنْسَانِ مَعَ إِخْوَانِهِ، وَفِي مُعَامَلَتِهِ  
لِأَعْدَائِهِ، وَلِلْحَرْبِ أَخْلَاقٌ كَمَا لِلسُّلْمِ أَخْلَاقٌ، وَلِلْأَعْدَاءِ حُقُوقٌ كَمَا لِلْإِخْوَانِ  
حُقُوقٌ، لَا تُصَادَرُ تِلْكَ الْحُقُوقُ لِعَجْزِ أَصْحَابِهَا عَنِ اسْتِيفَائِهَا، أَوْ الْمُطَالَبَةِ بِهَا؛  
لِضَعْفِ أَوْ هَزِيمَةِ؛ فَهِيَ حُقُوقٌ ثَابِتَةٌ بِشَرْعِ اللَّهِ تَعَالَى، يُؤَدِّيهَا الْمُسْلِمُ فِي كُلِّ  
أَحْوَالِهِ؛ طَاعَةً لِلَّهِ تَعَالَى، وَطَلَبًا لِرِضَاةِ.

وَالْحُرُوبُ فِي الْإِسْلَامِ لَهَا أَهْدَافُهَا النَّبِيلَةُ، وَغَايَاتُهَا الشَّرِيفَةُ، تَرْتَفِعُ عَنِ  
الْمَصَالِحِ الشَّخْصِيَّةِ، وَتَسْمُو فَوْقَ الْأَهْدَافِ الدُّنْيَوِيَّةِ، فَأَهْدَافُهَا تَحْرِيرُ النَّاسِ مِنَ  
الْعُبُودِيَّةِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَغَايَاتُهَا إِخْضَاعُ الْبَشَرِيَّةِ لِسُلْطَانِ الْإِسْلَامِ؛ لِأَنَّهُ  
لَا عَدْلَ إِلَّا فِي شَرِيعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَتِلْكَ حِكْمَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ حِكَمِ الْجِهَادِ فِي  
الشَّرِيعَةِ.

وَهَذِهِ الْمَعَارِكُ وَالْمُؤَاجَهَاتُ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَأَعْدَائِهِ تُخَلَّفُ مَا تُخَلَّفُ مِنْ قَتْلَى  
وَجَرْحَى وَأَسْرَى؛ فَالْقَتْلُ يُدْفَنُ وَلَا يُمَثَّلُ بِهِ، وَالْأَسِيرُ يُخَيَّرُ فِيهِ الْإِمَامُ بَيْنَ الْمَنِّ  
وَالْفِدَاءِ وَالْقَتْلِ وَالِاسْتِرْفَاقِ حَسَبَ الْمَصْلَحَةِ الشَّرْعِيَّةِ، وَوَفْقَ ضَوَائِطِ جَاءَتْ بِهَا  
النُّصُوصُ<sup>(١)</sup>.

(١) أما المن والفداء فدلَّ عليه قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوا

فَسُودُوا الْوَقَاتِ فَإِمَّا مَتًّا بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: ٤]. قال الحافظ ابن كثير في =

= تفسيره: «يقول تعالى مرشدًا للمؤمنين إلى ما يعتمدونه في حروبهم مع المشركين: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ أي: إذا واجهتموهم فاحصدوهم حصداً بالسيوف ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَغْنَتُمُوهُمْ﴾ أي: أهلكتموهم قتلاً ﴿فَتُدُّوا أَلْوَاكَ﴾ الأسارى الذين تأسروهم، ثم أنتم بعد انقضاء الحرب وانفصال المعركة مخيرون في أمرهم، إن شئتم مننتم عليهم فأطلقتم أسارهم مجاناً، وإن شئتم فاديتموهم بمال تأخذونه منهم وتشارطونهم عليه» اهـ (٢٦٥/٤) عند تفسير الآية (٤) من سورة محمد.

وأما قتل الأسير فدل عليه قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يَتُخَذَ فِي الْأَرْضِ ثَرِيدُوتٌ عَرْضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٧٧﴾ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧، ٦٨].

وهذه الآية فيها عتاب للنبي ﷺ عقب غزوة بدر على الإكثار من الأسرى في أول الإسلام، وتبين أن الأولى الإثخان في المشركين.

وليس في الآيتين ناسخ ومنسوخ كما توهمه البعض، بل فيهما تفصيل حال المسلمين، فإذا كانوا في ضعف وقلة، فالواجب الإثخان في المشركين؛ حفاظاً على الدين، وإذا كان فيهم كثرة وقوة فلهم المن والفداء.

وصح عن النبي ﷺ أنه بكى لما قبل الفداء في بدر، ونزلت آية الأنفال نعتيه، فسأله عمر عن بكائه، فقال عليه الصلاة والسلام: «أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَذْنَىٰ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ» رواه أحمد (٣٠-٣١)، ومسلم (١٧٦٣).

وقد صح في السنة النبوية أن النبي ﷺ قتل عقبة بن أبي معيط وهو من أسرى بدر في طريق رجوعهم من بدر إلى المدينة، كما في سنن أبي داود (٢٦٨٦)، وسنن البيهقي (٦٤/٩)، والمعجم الكبير للطبراني (٤٠٦/١١)، والأوسط (٢٩٤٩)، والآحاد والمثاني لابن أبي عاصم (٥٦٥)، ومصنف عبد الرزاق (٩٣٩٤)، وقد جاء من حديث ابن عباس وحديث ابن مسعود رضي الله عنهما، وصحح الحاكم حديث ابن مسعود وقال: على شرط الشيخين (١٣٥/٢)، وقال الهيثمي عن رواية الطبراني لحديث ابن عباس رضي الله عنهما: «ورجاله رجال الصحيح» مجمع الزوائد (٨٩/٦).

وأما الاسترقاق فوقع كثيراً في السنة، ومن ذلك: سبيه ﷺ لبني المصطلق كما في المسند (٢٧٧/٦)، وسنن أبي داود (٣٩٣١)، وصحيح ابن حبان (٤٠٥٤).

وَمَا دَامَ أَسِيرًا فَلَهُ حُقُوقٌ عَلَى الْجَيْشِ يَأْتُمُ الْمُسْلِمُونَ بِالتَّقْصِيرِ فِيهَا، وَمِنْ رَحْمَةِ الشَّرِيعَةِ بِالْأَسِيرِ الْكَافِرِ: أَنَّهُ قُرِنَ فِي الْقُرْآنِ بِالتَّيْمِ الْمُسْلِمِ ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨].

أَيُّ شَرِيعَةٍ أَعْظَمَ مِنْ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ؟! كَافِرٌ مُحَارَبٌ، رَفَعَ سِلَاحَهُ يُرِيدُ اسْتِصْالَ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، ثُمَّ إِذَا وَقَعَ فِي الْأَسْرِ كَانَتْ لَهُ حُقُوقٌ عَلَى مَنْ حَارَبَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى أَنْ يُقْضَى فِي شَأْنِهِ، وَيُثْنِي اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَنْ أَطْعَمَهُ كَمَا يُثْنِي عَلَى مَنْ أَطْعَمَ الْمَسْكِينَ وَالتَّيْمَ، وَيُرْتَّبُ عَلَى ذَلِكَ أَجْرًا عَظِيمًا.

وَقَدْ أَوْصَى النَّبِيُّ ﷺ بِالْأَسْرَى فِي أَوَّلِ مُوَاجَهَةِ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، وَهُمْ أَسْرَى غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَعَمِلَ الصَّحَابَةُ ﷺ بِوَصِيَّتِهِ، وَضَرَبُوا مَثَلًا عَظِيمًا فِي الْإِمْتِنَانِ وَالطَّاعَةِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْأَسِيرِ؛ حَتَّى قَدَّمُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ.

= وسيله لهوازن كما في سنن النسائي (٢٦٢/٦)، ومسند أحمد (١٨٤/٢).

وسيله عليه الصلاة والسلام لخولان ولمضر كما في مسند أبي يعلى (٦١٠٨)، وسنن البيهقي (٧٥/٩)، وصححه الحاكم والذهبي (٢٣٥/٢).

وفداء الأسرى قد يكون بالمال، وقد يكون باستجارهم للعمل عند المسلمين حتى يبلغ عملهم قيمة فدائهم، كما حصل في غزوة بدر؛ حيث كان فداء كل رجل منهم أربعة آلاف درهم؛ كما في حديث ابن عباس ؓ عند الطبراني في الكبير (٤٠٦/١١)، والأوسط (٣٠٠٣)، وعبد الرزاق في مصنفه (٩٧٢٨).

وأما العمل لمن لم يجد فداءً حتى يوفي عمله ما عليه من الفداء فقد جاء في حديث ابن عباس ؓ قال: «كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة» أخرجه أحمد (٢٤٧/١)، والبيهقي (١٢٤/٦)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١٥٢/٢).

قال ابن القيم في زاد المعاد (٦٥/٥): «ثبت عنه ﷺ في الأسرى أنه قتل بعضهم، ومنَّ على بعض، وفادى بعضهم بمال، وبعضهم بأسرى المسلمين، واسترق بعضهم، ولكن المعروف أنه لم يسترق رجلاً بالغاً» اهـ.



قَالَ أَبُو عَزِيزٍ بْنُ عُمَيْرٍ: «كُنْتُ فِي الْأَسَارَى يَوْمَ بَدْرٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْتَوْصُوا بِالْأَسَارَى خَيْرًا»، وَكُنْتُ فِي نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَكَانُوا إِذَا قَدَّمُوا غَدَاءَهُمْ وَعَشَاءَهُمْ أَكَلُوا التَّمْرَ وَأَطْعَمُونِي الْخُبْزَ بِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِيَّاهُمْ» رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ، وَفِي رِوَايَةٍ: «مَا يَقَعُ فِي يَدِ رَجُلٍ مِنْهُمْ كِسْرَةٌ خُبْزٍ إِلَّا نَفَحَنِي بِهَا فَأَسْتَحِييَ، فَأَرُدُّهَا عَلَى أَحَدِهِمْ، فِيرُدُّهَا عَلَيَّ مَا يَمْسُهَا»<sup>(٢)</sup>.

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُوتَى بِالْأَسِيرِ فَيَدْفَعُهُ إِلَى بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ وَيَقُولُ لَهُ: أَحْسِنْ إِلَيْهِ، فَيَكُونُ عِنْدَهُ الْيَوْمَيْنِ وَالثَّلَاثَةِ، فَيُؤْثِرُهُ عَلَى نَفْسِهِ»<sup>(٣)</sup>.

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ عَلَى الْأَسِيرِ لِبَاسٌ، أَوْ تَمَرَّقَ ثَوْبُهُ فِي الْمَعْرَكَةِ؛ فَإِنَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ كِسْوَتَهُ؛ لِمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ أَتَى الْعَبَّاسُ وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ ثَوْبٌ، فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ لَهُ قَمِيصًا، فَوَجَدُوا قَمِيصَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَقْدُرُ عَلَيْهِ، فَكَسَاهُ النَّبِيُّ ﷺ إِيَّاهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ<sup>(٤)</sup>.

وَإِذَا أَرَادَ الْأَسِيرُ الْإِسْلَامَ قَبْلَ مِنْهُ؛ بَلَّ يُرَغَّبُ فِي ذَلِكَ، وَيُحَسِّنُ الْإِسْلَامَ لَهُ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيُّ قُلُوبَ الَّذِينَ فِي الْأَسْرِ مِنْ أَيْدِيكُمْ مِنْ الْأَسْرِ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٠]، وَلَكِنَّهُ لَا يُكْرَهُ عَلَيْهِ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٣٩٣/٢٢) برقم (٩٧٧)، وفي الصغير (٤٠٩)، وحسنه الهيثمي في الزوائد (٨٦/٦)، والرواية الثانية لابن هشام في السيرة (٣/١٩٥)، والطبري في تاريخه (٣٩/٢).

(٣) روح المعاني للألوسي (١٥٥/٢٩).

(٤) أخرجه البخاري في الجهاد، باب الكسوة للأسارى (٣٠٠٨).

وَمَنْ قُضِيَ بِقَتْلِهِ مِنَ الْأَسْرَى لِعَدْرِهِ، أَوْ لِسِدَّةِ عَدَاوَتِهِ لِلْمُسْلِمِينَ، أَوْ لِلْخَوْفِ مِنْهُ، أَوْ لِلإِنْحَانِ فِي الْعَدُوِّ؛ فَإِنَّهُ لَا يُعَذَّبُ، وَلَا يُمَثَّلُ بِهِ، وَلَا يُحْبَسُ عَنْهُ الطَّعَامُ أَوْ الْمَاءُ، بَلْ يُطْعَمُ وَيُسْقَى حَتَّى يُؤَدَّنَ بِقَتْلِهِ<sup>(٥)</sup>.

وَلَا يُعَذَّبُ الْأَسِيرُ لِانْتِزَاعِ الْمَعْلُومَاتِ مِنْهُ، سُئِلَ الْإِمَامُ مَالِكٌ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «أَيُعَذَّبُ الْأَسِيرُ إِنْ رُجِيَ أَنْ يَدُلَّ عَلَى عَوْرَةِ الْعَدُوِّ؟ فَقَالَ: مَا سَمِعْتُ بِذَلِكَ»<sup>(٦)</sup>.

وَكَانَ الْخُلُقُ الَّذِي سَارَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَصَحَابَتُهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَفَادَةُ الْإِسْلَامِ فِي أَكْثَرِ الْأَزْمَانِ وَالْأَمْصَارِ هُوَ الْعَفْوُ عِنْدَ الْمَقْدِرَةِ، وَتَغْلِيْبِ جَانِبِ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ بِالْعَدُوِّ بَعْدَ الظَّفَرِ بِهِ عَلَى جَانِبِ الْإِنْتِقَامِ وَالشَّفْطَى.

وَكَانَتْ تِلْكَ الْأَخْلَاقُ الْكَرِيمَةُ سَبَبًا فِي إِسْلَامِ كَثِيرٍ مِنَ الْأَسْرَى بِطَوْعٍ وَاخْتِيَارٍ، وَعَنْ قَنَاعَةٍ بِأَنَّ الْإِسْلَامَ دِينُ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي ارْتَضَاهُ لِعِبَادِهِ، وَهُوَ دِينُ الْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ، هَذَا ثِمَامَةٌ بِنُ أَثَالٍ -سَيِّدُ أَهْلِ الْيَمَامَةِ- كَانَ مُحَارِبًا لِلنَّبِيِّ ﷺ، صَادًّا عَنْ دَعْوَتِهِ، وَكَادَ أَنْ يَقْتُلَ رَسُولَهُ لَوْلَا حِمَايَةُ عَمِّهِ عَامِرِ بْنِ سَلَمَةَ لِرَسُولِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَنْعُهُ مِنْ قَتْلِهِ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْنَا إِلَى نَجْدٍ فَأَسْرَوْا ثِمَامَةَ،

(٥) قال الإمام محمد بن الحسن -رحمه الله تعالى-: «وإن رأى الإمام قتل الأسارى فينبغي له ألا يعذبهم بالعطش والجوع، لكنه يقتلهم قتلاً كريماً، يعني: أنه لا ينبغي أن يمثل بهم، فقد نهى رسول الله ﷺ عن المثلة ولو بالكلب العقور، وقال عليه الصلاة والسلام في بني قريظة بعد ما احترق النهار في يوم صائف: لا تجمعوا عليهم حر هذا اليوم وحر السلاح، قِيلُوهُمْ حَتَّى يَبْرُدُوا، فَقِيلُوهُمْ حَتَّى أَبْرُدُوا، ثُمَّ رَاحُوا بِبَقِيَّتِهِمْ فَقَتَلُوهُمْ، وَقَدْ كَانَ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِأَحْمَالِ التَّمْرِ فَنَشَرَتْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، فَكَانُوا يَكْدُمُونَهَا كَدَمَ الْحُمْرِ» اهـ من السير الكبير (٣/٣٤١). وينظر المغازي للواقدي (٢/١٥) وسبل الهدى والرشاد (٥/١٢).

(٦) التاج والإكليل في شرح مختصر خليل (٤/٥٤٨).

فَرَبَطُوهُ فِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ لَهُ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» قَالَ: عِنْدِي يَا مُحَمَّدٌ خَيْرٌ: إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمَ تُنْعِمَ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ . . وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ مُحَاوَرَةِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ، وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِ قَالَ ﷺ: «أُظْلِقُوا ثُمَامَةَ»، فَأُظْلِقُوهُ، فَأَنْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاعْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ كُلِّهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ كُلِّهَا إِلَيَّ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٧).

وَأَعْظَمُ عَفْوٍ عَنِ الْأَسْرَى فِي تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ: عَفْوُ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ أَهْلِ مَكَّةَ لَمَّا تَمَكَّنَ مِنْ قَوْمٍ حَارَبُوهُ، وَأَخْرَجُوهُ مِنْ بَلَدِهِ، وَآذَوْا أَتْبَاعَهُ، وَصَدُّوا عَنْ دَعْوَتِهِ، وَمَالَتْوَا عَلَيْهِ النَّاسَ، ثُمَّ لَمَّا تَمَكَّنَ مِنْهُمْ قَالَ: «أَذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ» (٨).

وَهَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا طُعِنَ وَهُوَ يُصَلِّي قَالَ: «لَا تَعْجَلُوا عَلَيَّ قَاتِلِي» ظَنَّ أَنََّّهُمْ حَبَسُوهُ، فَلَمَّا أُخْبِرَ أَنَّهُ قَتَلَ نَفْسَهُ اسْتَرْجَعَ، فَلَمَّا أَعْلَمُوهُ أَنَّهُ الْمَجُوسِيُّ كَبُرَ (٩).

(٧) أخرجه البخاري في المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال (٤٣٧٢)، ومسلم في الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه (١٧٦٤)، وأحمد (٤٥٢/٢).

(٨) سيرة ابن هشام (٧٤/٥)، وتاريخ الطبري (١٦١/٢)، والبداية والنهاية (٣٠١/٤)، وزاد المعاد (٤٠٧/٣ - ٤٠٨)، ونقله الشافعي عن أبي يوسف كما في سنن البيهقي (١١٨/٩).

(٩) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٧٩/٧).

وَهَذَا عَلَيَّ ﷺ لَمَّا غَدَرَ بِهِ الْخَارِجِيُّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُلْجَمٍ فَضْرَبَهُ بِالسَّيْفِ، قَالَ ﷺ: «أَطْعِمُوهُ وَاسْقُوهُ، وَأَحْسِنُوا أَسَارَهُ، فَإِنْ عِشْتُ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِي أَعْفُوا إِنْ شِئْتُمْ، وَإِنْ شِئْتُمْ اسْتَقْدْتُ، وَإِنْ مِتُّ فَقَتَلْتُمُوهُ فَلَا تُمَثِّلُوا بِهِ»<sup>(١٠)</sup>.

وَقَدْ ضَرَبَ قَادَةُ الْمُسْلِمِينَ أَرْوَعَ الْأَمْثَلَةِ فِي الْإِحْسَانِ إِلَى الْأَسْرَى، وَالْعَفْوِ عِنْدَ الْمَقْدِرَةِ؛ فَصَلَّاحُ الدِّينِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- لَمَّا أَسَرَ جَمِيعَ مُلُوكِ الصَّلَيبِيِّينَ فِي مَوْقَعَةِ حَظِينٍ أَكْرَمَهُمْ وَسَقَاهُمْ، وَقَرَّبَهُمْ وَأَذْنَاهُمْ، وَلَمْ يَقْتُلْ مِنْهُمْ إِلَّا الْمَلِكَ أَرْنَاطَ؛ لِأَنَّهُ سَبَّ النَّبِيَّ ﷺ، وَنَقَضَ الْعَهْدَ، وَاعْتَدَى عَلَى قَافِلَةِ حُجَّاجٍ وَقَتْلَهُمْ، وَهُوَ يَتَوَلَّى: اذْعُوا مُحَمَّدًا يَنْصُرُكُمْ. فَلَمَّا رَأَى بَقِيَّةَ الْمُلُوكِ قَتَلَ أَرْنَاطَ خَافُوا أَنْ يَصِيرَ مَصِيرُهُمْ مَصِيرَهُ، فَأَمَنَهُمْ صَلَّاحُ الدِّينِ، وَأَخْبَرَهُمْ بِغَدْرِ أَرْنَاطَ، وَقَالَ لَهُمْ:

(١٠) أخرجه الشافعي في مسنده (١٤٧٦)، والبيهقي (٥٦/٨، ١٨٣) من حديث جعفر بن محمد عن أبيه.

وأخرجه الحاكم عن الشعبي قال: «لما ضرب ابن ملجم علياً تلك الضربة أوصى به علي فقال: قد ضربني فأحسنوا إليه، وألينوا له فراشه، فإن أعش فهضم أو قصاص، وإن أمت فعالجوه فإنني مخاصمه عند ربي ﷻ» وسكت عنه الذهبي في التلخيص (١٤٤/٣).

وقد جاء ما يخالف ذلك في مسند الإمام أحمد (٩٢-٩٣/١) من حديث شريك بن عبد الله النخعي عن عمران بن ظبيان عن أبي يحيى حكيم بن سعد قال: «لما ضرب ابن ملجم علياً الضربة، قال علي: افعلوا به كما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل برجل أراد قتله، فقال: اقتلوه ثم حرقوه»، وهذا الحديث ضعيف لضعف شريك وعمران. قال الحافظ في التقریب (٢٨٠٢): «شريك بن عبد الله النخعي الكوفي القاضي بواسط ثم الكوفة أبو عبد الله صدوق يخطئ كثيراً، تَغَيَّرَ حِفْظُهُ مِنْذُ وَلِيَ الْقَضَاءَ بِالْكُوفَةِ...» اهـ.

وقال أيضاً (٥١٩٣): «عمران بن ظبيان الكوفي ضعيف ورَمِيَ بِالتَّشْيِيعِ» اهـ. ولو سلم بصحة هذه الرواية لأنها لا تعارض الرواية السابقة، فيكون الإحسان إليه حال أسره إلى أن يقضى في أمره بالقتل ثم التحريق إلا إذا قيل: إن التحريق مثله، وقد جاء النهي عنها، وبكل حال فالحديث ضعيف.

«لَمْ تَجْرِ عَادَةُ الْمُلُوكِ أَنْ يَقْتُلُوا الْمُلُوكَ» ثُمَّ أَطْلَقَ سَرَاحَهُمْ<sup>(١١)</sup>.

وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ مِنْ مَوْفَعَةِ حِطَّيْنِ فَتَحَ صَلاَحُ الدِّينِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- بَيْتَ الْمَقْدِسِ، وَقَبَلَ مِنَ الصَّلِيبِيِّينَ فِدَاءً يَسِيرًا، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِدَاءَ نَفْسِهِ فَدَى هُوَ عَنْهُ، وَفَعَلَ قَادَتُهُ مِثْلَ فِعْلِهِ.

وَفِي فَتْحِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ أَمَّنَ السُّلْطَانُ الْعُثْمَانِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ مُرَادٍ أَهْلَهَا مَعَ أَنَّهُ فَتَحَهَا عَنُوءًا، وَعَفَا عَنْهُمْ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يَأْخُذْ مِنْهُمْ فِدَاءً، وَلَا عَاقِبَهُمْ عَلَى حَرْبِهِمْ لِلْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا فِي إِسْلَامِ كَثِيرٍ مِنْهُمْ<sup>(١٢)</sup>.

وَالتَّارِيخُ الْإِسْلَامِيُّ زَاخِرٌ بِالْحَوَادِثِ الَّتِي أَحْسَنَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ إِلَى أَسْرَاهُمْ، وَعَفَوْا عَنْ أَعْدَائِهِمْ بَعْدَ مَقْدَرَتِهِمْ عَلَيْهِمْ؛ عَمَلًا بِنُصُوصِ شَرِيعَتِهِمْ، فَنَحْمَدُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَنَسْأَلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الثَّبَاتَ عَلَيْهِ إِلَى الْمَمَاتِ، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.



## الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، أَحْمَدُهُ وَأَشْكُرُهُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ

(١١) ينظر: النواذر السلطانية للقاضي ابن شداد (١٣٠-١٣١)، والبداية والنهاية (١٢/٢٨٥)، والنجوم الزاهرة (٦/٣٠-٣١).

(١٢) ينظر: محمد الفاتح، للدكتور سالم الرشيدى (١٤٣-١٤٦).

وَمَنِ اهْتَدَىٰ بِهِدَاهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ .

أَمَّا بَعْدُ : فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلَقَوُهُ وَبَشِيرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

[البقرة: ٢٢٣] .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: بَعْدَ نَشْأَةِ مَا يُسَمَّى بِالدُّوَلِ الْمَدِينَةِ الْحَدِيثَةِ فِي أُورُبَّةَ، وَعَقِبَ قُرُونٍ طَوِيلَةٍ مِنَ الْحُرُوبِ الطَّاحِنَةِ، وَالْمَجَازِرِ الْمُرَوَّعَةِ فِي الْغَرْبِ، وَضِعَتْ الْقَوَانِينُ الدَّوْلِيَّةُ، وَالْإِتِّفَاقِيَّاتُ الَّتِي تُعْنَى بِشُؤُونِ الْحُرُوبِ، وَكَانَ مِنْ ضَمَنِ مَا وَضَعُوا: مُعَاهَدَاتُ حُقُوقِ الْأَسْرَى وَمَنْ يُسَمَّوْنَ بِالْمَدِينِيِّينَ، وَأَكْثَرُهَا بُنُودٌ جَيِّدَةٌ فِي حَقِّ الْأَسِيرِ<sup>(١٣)</sup>، جَاءَ بِهَا الْإِسْلَامُ وَبِمَا يَفُوقُهَا قَبْلَ مَا يَزِيدُ عَلَى أَرْبَعَةِ عَشَرَ قَرْنًا مِنْ وَضْعِهِمْ لِإِتِّفَاقِيَّاتِهِمْ وَمُعَاهَدَاتِهِمْ، وَطَبَّقَ الْمُسْلِمُونَ تَعَالِيمَ الْإِسْلَامِ فِي الْأَسْرَى، وَلَكِنَّ الْغَرْبَ الْحَدِيثَ، وَعَلَى رَأْسِهِ دَوْلَةُ الْقُوَّةِ وَالْقَهْرِ وَالظُّلْمِ الَّتِي تَزْعُمُ أَنَّهَا رَاعِيَةُ الْحُرِّيَّةِ وَالْديمُقْرَاطِيَّةِ، وَتُفَاخِرُ بِكَوْنِهَا حَافِظَةً حُقُوقِ الْإِنْسَانِ؛ لَمْ يَطَبِّقُوا فِي حُرُوبِهِمْ مَا وَضَعُوا مِنْ إِتِّفَاقِيَّاتٍ تَتَعَلَّقُ بِالْأَسْرَى وَاللَّاجِئِينَ، بَلْ كَانَتْ هَذِهِ الْإِتِّفَاقِيَّاتُ حِجْرًا عَلَى وَرَقٍ، تُدَاسُ بِالْأَقْدَامِ عِنْدَ أَوَّلِ نَسْوَةٍ بِالنَّصْرِ وَالْقُوَّةِ.

إِنَّهُمْ فَعَلُوا بِأَسْرَى الْعِرَاقِ مَا لَا تُصَدِّقُهُ الْأَبْصَارُ وَهِيَ تُشَاهِدُهُ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَسْمَاعُ لَوْ وُصِفَ لَهَا، وَتَتَخَلَّعُ مِنْ هَوْلِهِ الْأَفْتِدَةُ، وَلَا يَرْضَاهُ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ رَحْمَةٍ أَوْ قِيمٍ أَوْ أَخْلَاقٍ.

لَقَدْ عَذَّبُوا أَسْرَاهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا، وَأَذَلُّوهُمْ ذُلًّا عَظِيمًا، سَحَقُوا كَرَامَتَهُمْ،

(١٣) اعتمدت وعرضت للتوقيع والتصديق والانضمام من قبل المؤتمر الدبلوماسي لوضع اتفاقيات دولية لحماية ضحايا الحروب المعقود في جنيف خلال الفترة من ٢١ نيسان/ أبريل، إلى ١٢ آب/ أغسطس ١٩٤٩. تاريخ بدء النفاذ: ٢١ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٥٠ وفقًا لأحكام المادة ١٣٨.

وَأَهَانُوا أَغْرَاضَهُمْ، وَفَعَلُوا بِهِمْ مَا لَا تَفْعَلُهُ الْوَحْشُ مِنَ الْحَيَوَانِ بِعَدُوِّهَا، فَهَلْ  
مَرَّ عَلَى أَبْصَارِكُمْ، أَوْ سَمِعْتُمْ بِأَذَانِكُمْ أَنَّ وَحْشًا أَذَلَّ عَدُوَّهُ بِالتَّبَوُّلِ عَلَيْهِ، أَوْ بِفِعْلِ  
الْفَاحِشَةِ فِيهِ، أَوْ إِجْبَارِهِ عَلَى أَنْ يَفْعَلَهَا فِي أَخِيهِ؟!  
إِنَّهَا مَأْسَاءٌ قِيمٌ حَضَارِيَّةٌ، وَإِنَّهُ لَعَارٌ عَلَى كُلِّ الْبَشَرِيَّةِ الَّتِي نُقِلَتْ إِلَيْهَا فُصُولُ  
هَذِهِ الْمَأْسَاءِ.

آلافُ الصُّورِ لِأَسْرَى الْمُسْلِمِينَ قَدْ كُتِبَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَهُمْ عُرَاءٌ، وَوُضِعَ  
الْقَيْدُ فِي رِقَابِ بَعْضِهِمْ، وَتَمَّ جَرْهُهُمْ كَمَا تُجْرُ الْكِلَابُ، وَوَسَائِلُ أُخْرَى مِنْ  
التَّعْذِيبِ وَالْإِهَانَةِ وَقَعَتْ وَلَا زَالَتْ تَقَعُ فِي عَاصِمَةِ الْإِسْلَامِ، وَمَدِينَةِ السَّلَامِ،  
لَا تَخْطُرُ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، وَلَوْ لَا أَنَّ هَذِهِ الصُّورَ قَدْ سُرِّبَتْ إِلَى وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ مَا  
كَانَ أَحَدٌ يُصَدِّقُ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَفْعَلُ مِثْلَ هَذَا بِالْحَيَوَانِ، فَضْلًا عَنْ فِعْلِهِ  
بِالْإِنْسَانِ<sup>(١٤)</sup>.

إِنَّهَا أَخْلَاقُ رُعَاةِ الْبَقَرِ الَّذِينَ أَسَّسُوا عَالَمَهُمْ عَلَى بَحْرِ مِنْ دِمَاءٍ وَدُمُوعِ الْهِنْدِ  
الْحُمْرِ، وَفَعَلُوا بِهِمْ مِنْ سَلَخِ رُؤُوسِهِمْ، وَاغْتِصَابِ نِسَائِهِمْ، وَالتَّسْلِيَةِ بِأَطْفَالِهِمْ،  
وَإِهَانَةِ رِجَالِهِمْ مَا يَفْعَلُونَهُ الْآنَ بِالْعِرَاقِ.

إِنَّهُمْ يَنْطَلِقُونَ فِي ذَلِكَ مِنْ مُنْطَلَقَاتٍ غُنْصَرِيَّةٍ بَغِيضَةٍ، تُغْلِي مِنْ شَأْنِ عِرْقِهِمْ  
عَلَى سَائِرِ الْأَجْنَاسِ، زَادَتْهَا أَحْقَادُ دَفِينَةٍ غَذَّتْهَا الصَّهْيُونِيَّةُ بِاعْتِقَادَاتٍ بَاطِلَةٍ.

إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ انْتِقَامَ الرَّبِّ مِنَ الْأُمَّةِ الْبَابِلِيَّةِ جَزَاءَ مَا فَعَلَهُ قَدَمَاؤُهُمْ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ.  
لَقَدْ سَقَطَتِ الشَّعَارَاتُ الرَّائِفَةُ الَّتِي تَلْتَمِسُ الْأَعْذَارَ لِشَرِّ الْحُرُوبِ، وَاجْتِيَاحِ  
الْمُدُنِ، وَبَانَتْ أَخْلَاقُ الْقَوْمِ وَقِيمُهُمْ، فَمَاذَا سَتَكُونُ أَقْوَالُ دُعَاةِ الْحُرِّيَّةِ، وَمَنْ

(١٤) هذا إشارة لما فعله الأمريكان بأسراهم العراقيين في سجن أبو غريب في بغداد، وقد كتب  
عنه كتب ومقالات كثيرة.

بَشَرُوا بِفُتُوحِ رُعَاةِ الْبَقَرِ، وَنَشَرِهِمْ الدِّيْمُقْرَاطِيَّةَ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ؟! فَهَا هِيَ  
صُورَةٌ بِشَعَّةٍ مِنْ صُورِ تَحْرِيرِهِمْ لِلْإِنْسَانِ مِنَ الْأَنْظِمَةِ الْمُسْتَبَدَّةِ، زَعَمُوا!  
إِنَّ مِنَ الْمَفَارَقَاتِ الْعَجِيبَةِ أَنَّ مَدِينَةَ السَّلَامِ الَّتِي تُغْتَصَبُ فِي وَضَحِ النَّهَارِ،  
وَيُمَارَسُ عَلَى أبنائها أَبْشَعُ صُورِ الْإِذْلَالِ وَالْقَهْرِ قَدْ سِيرَتْ فِيمَا مَضَى مِنَ التَّارِيخِ  
جَيْشًا جَرَّارًا؛ لِأَنَّ امْرَأَةً مُسْلِمَةً وَقَعَتْ فِي الْأَسْرِ فَأُهِنَتْ وَاسْتَنْجَدَتْ بِالْمُعْتَصِمِ  
فَأَنْجَدَهَا مِنْ بَغْدَادَ، وَهَا هِيَ ذَاتُ الْمَدِينَةِ تَهَانُ وَيُهَانُ أَبْنَاؤُهَا أَشَدَّ الْإِهَانَةِ.  
إِنَّ الْأَدَمِيَّ إِذَا تَجَرَّدَ مِنْ شَرِيعَةِ رَبِّهِ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ قِيَمٌ تَرُدُّعُهُ، وَتَضْبِطُ سُلُوكَهُ؛  
فَإِنَّهُ يَكُونُ أَشَدَّ ضَرَاوَةً مِنَ الْحَيَوَانِ، وَأَكْثَرَ إِفْسَادًا مِنَ الْوَحْشِ، وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمُ  
الَّذِينَ قَدْ أَصَمُّوا الْأَذَانَ بِالْحُرِّيَّةِ وَالْدِّيْمُقْرَاطِيَّةِ وَحَفِظَ حُقُوقَ الْإِنْسَانِ قَدْ بَانَ لِكُلِّ  
ذِي بَصَرٍ وَبَصِيرَةٍ أَنَّهُمْ أَحَظُّ سُلُوكًا مِنَ الْحَيَوَانِ، وَأَشَدُّ قَسْوَةً مِنَ الْوَحْشِ، فَهَلْ  
يَعْقِلُ ذَلِكَ مَنْ يُسَوِّفُونَ بِضَاعَتَهُمْ، وَيَدْعُونَ إِلَى مَبَادِيهِمْ؟!  
كَانَ اللَّهُ فِي عَوْنِ أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ، وَنَسَأَلُهُ تَعَالَى أَنْ يُفَرِّجَ كُرْبَتَهُمْ، وَيَكْبِتَ  
عَدُوَّهُمْ، وَيُهِنَ مَنْ أَهَانَهُمْ، وَيَذِلَّ مَنْ أَذَلَّهُمْ، وَيُؤْذِيَ مَنْ آذَاهُمْ.  
اللَّهُمَّ ارْفَعْ الْبَلَاءَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَفَرِّجْ هُمُومَهُمْ، وَنَفِّسْ  
كُرُوبَهُمْ، وَانْتَقِمْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.  
أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ كَمَا أَمَرَكُم بِذَلِكَ رَبُّكُمْ.





## ٣٧٩ - مأساة البوسنة (١)

١٤/٧/١٤١٥ هـ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]،  
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُؤْمِنُونَ: لَقَدْ لَاقَى الْمُسْلِمُونَ عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ وَالْأَزْمَانِ الْكَيْدَ الْعَظِيمَ، وَالْمَكْرَ الْكُبَارَ، وَالتَّسَلُّطَ وَالظُّلْمَ وَالْإِسْتِبدَادَ مِنْ جَمِيعِ أَعْدَائِهِمْ عَلَى اخْتِلَافِ دِيَانَاتِهِمْ، سَوَاءً كَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ أَوْ أَهْلَ جُحُودٍ وَإِلْحَادٍ، وَمَا خَلَّتِ الْأَرْضُ - فِي زَمَنِ الْإِنْحِطَاطِ وَالْبُعْدِ عَنِ الدِّينِ - يَوْمًا مِنْ دَمِ مُسْلِمٍ يُسْفِكُ، أَوْ عَرْضٍ يُنْتَهَكُ، أَوْ مَالٍ يُنْهَبُ، حَتَّى سَجَلَتْ كُتُبُ التَّارِيخِ أَيَّامَ الْإِسْتِعْمَارِ أَبْشَعَ الْجَرَائِمِ الَّتِي وَقَعَتْ عَلَى الْأَرْضِ فِي حَقِّ الْبَشَرِ، مِمَّا يَدُلُّ دَلَالَةً وَاضِحَةً عَلَى أَنَّ قَادَةَ الْإِسْتِعْمَارِ كَانُوا حَاقِدِينَ أَشَدَّ الْحَقْدِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ. وَلَمَّا عَجَزَ الْأَعْدَاءُ عَنْ تَحْوِيلِ مَسَارِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى غَيْرِ دِينِهِمْ عَسْكَرِيًّا، لَجَأُوا إِلَى الْعُزْوِ الثَّقَافِيِّ وَالْمَكْرِيبِيِّ، كَانُوا يُقَدِّمُونَ دِينَهُمْ وَمُعْتَقَدَهُمْ مَعَ رَغِيبِ الْخُبْرِ،

وَجُرْعَةَ الدَّوَاءِ، وَقِطْعَةَ الْكِسَاءِ، بِاسْمِ الْمُسَاعِدَاتِ وَالْمُعُونَاتِ؛ لِيَنْشُؤُوا أَجْيَالًا عَلَى مَا يُرِيدُونَ، حَتَّى قَالَ قَائِلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَصِفُ تِلْكَ الثَّقَلَةَ فِي الْإِسْتِعْمَارِ: «جَاءُوا إِلَيْنَا يَحْمِلُونَ الْبُنْدُقِيَّةَ وَالْإِنْجِيلَ، فَأَمْطَرُونَا بِالرِّصَاصِ ثُمَّ غَمَّمُوا أَعْيُنَنَا وَوَضَعُوا أَيْدِيَنَا عَلَى الْمَحَارِيثِ نُقَلِّبُ لَهُمُ الْأَرْضَ وَنَزْرَعُهَا، وَبَعْدَ عَنَاءٍ طَوِيلٍ فَتَحْنَا أَعْيُنَنَا لِنَجِدَ بِأَيْدِيَنَا الْإِنْجِيلَ وَبِأَيْدِيهِمُ الْأَرْضَ وَالثَّرْوَةَ، وَكُنَّا قَدْ نَسِينَا اسْتِعْمَالَ السَّلَاحِ، فَنَحْنُ الْيَوْمَ نُقَلِّبُ الْإِنْجِيلَ وَنَتَقَلَّبُ فِي الْمَجَاعَةِ وَالتَّبَعِيَّةِ»<sup>(١)</sup>.

هَذَا الْكَلَامُ عَقِيبَ عُهُودِ الْإِسْتِعْمَارِ وَالْغَزْوِ الْعَسْكَرِيِّ وَالثَّقَافِيِّ، وَلَكِنْ بَعْدَ مُدَّةٍ عَادَتْ الشُّعُوبُ إِلَى فِطْرَتِهَا، وَأَبَتْ إِلَّا دِينَهَا، وَلَا تَرَى عَنْهُ مَحِيصًا، فَنَمَّا الْإِسْلَامُ مِنْ جَدِيدٍ فِي أَوْسَاطِ الْمُسْلِمِينَ، وَاطْمَأْنَنْتْ قُلُوبُهُمْ بِالْإِيمَانِ، فَطَالَبُوا بِالْإِسْلَامِ شُرْعَةً وَمِنْهَاجًا، فَأَحْبَطَ اللَّهُ تَعَالَى كَيْدَ الْأَعْدَاءِ.

نَعَمْ، لَقَدْ فَشِلَ الْإِسْتِعْمَارُ وَالْغَزْوُ الْعَسْكَرِيُّ الْقَدِيمُ فِي إِخْرَاجِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ دِينِهِمْ، كَمَا فَشِلَ الْغَزْوُ الثَّقَافِيُّ الْحَدِيثُ، فَعَادَ التَّسَلُّطُ الْعَسْكَرِيُّ مِنْ جَدِيدٍ فِي بِلَادٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَثِيرَةٍ، وَالْمُسْلِمُونَ فِي الشِّيشَانِ عَلَى أَبْوَابِ الْاِغْتِيَالِ، وَالْبُوسْنَةُ تُمَضِّي ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ عِجَافٍ مِنَ الظُّلْمِ وَالْقَهْرِ وَالْإِسْتِعْبَادِ، يُنْفَسُ عَنْ حِفْدِ الْعُصُورِ الْمَاضِيَةِ، وَيُظْهِرُ الْوَجْهَ الْحَقِيقِيَّ لِلْغَرْبِ الْمُتَحَضِّرِ.

أَعْلَمُ أَنْكُمْ - أَيُّهَا الْإِخْوَةُ - مِلَلْتُمْ الْحَدِيثَ عَنِ الْبُوسْنَةِ مِنْ شَرِّ مَا يُتْلَى وَيُعْرَضُ مِنْ مَآسٍ وَجُرُوحٍ، وَلَكِنْ فِي هَذَا الزَّمَنِ لَيْسَ لِلْمُسْلِمِ بُدٌّ مِمَّا لَا يُحِبُّ، وَلَوْ نَطَقَ الْحَجَرُ وَالشَّجَرُ فِي الْبُوسْنَةِ لَقَالَ مَا لَا يُرِيدُ.

(١) نحن والإعلام الغربي، د. محمد بن حامد الأحمري، مجلة البيان، عدد (٥٥) ص (٤)،

والكاتب نقل ذلك عن أحد أدباء كينيا.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ تَعَالَى: مَأْسَاةُ الْبُوسْنَةِ لَا يُدْرَى أَهِيَ فِي بَرَكِ الدَّمَاءِ الْمُهْدَرَةِ، أَمْ فِي الْأَشْلَاءِ الْمُقْطَعَةِ، أَمْ فِي الْأَعْرَاضِ الْمُتَهَكَّةِ؟ أَهِيَ فِي الْأَسْرِ الْمُسْرَدَةِ، أَمْ فِي الْمَسَاجِدِ وَالْأُورِ الْمُهْدَمَةِ؟

أَهِيَ فِي الْخَوْفِ وَالْفَرَعِ، أَمْ فِي الْجُوعِ وَالْعَطَشِ، أَمْ فِي الصَّقِيعِ وَالْمَرَضِ؟ هَلْ هِيَ فِي ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي يَبْحَثُ عَنْ أَهْلِهِ وَعَرَضِهِ، وَقَدْ اشْتَقَ إِلَى أَوْلَادِهِ، فِي الْمُعْتَقْلِ بُتِرَتْ سَاقُهُ، أَوْ قُطِعَتْ يَدُهُ، أَوْ سُمِلَتْ عَيْنُهُ، أَوْ مَثَلَ بِجَسَدِهِ؟

هَلِ الْمَأْسَاةُ فِي تِلْكَ الْمُسْلِمَةِ الَّتِي تَتَحَرَّكُ أَحْشَاؤُهَا بِطِفْلِ صِرْبِي عَلَى رَعْمِ أَنْفِهَا، أَمْ فِي أُمِّهَا تِلْكَ الْعَجُوزُ الْمُسِنَّةُ الَّتِي لَا تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ، لَكِنَّهَا تَحْتَمِي مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ خَلْفَ جُثِّ أَبْنَائِهَا الْقَتْلَى، أَمْ الْمَأْسَاةُ فِي ذَلِكَ الطِّفْلِ الَّذِي لَا يَهْدَأُ عَنِ الْعَوِيلِ، يُرِيدُ الْحَلِيبَ مِنْ أُمِّهِ، وَالْحِمَايَةَ مِنْ أَبِيهِ، فَإِذَا هُوَ يُخْرَجُ مِنَ الْبُوسْنَةِ لِيُعْرَضَ لِلْبَيْعِ مَعَ إِخْوَانِهِ وَأَخَوَاتِهِ فِي سُوقِ الرَّقِيقِ، فِي الْعَرَبِ الْمُتَحَضِّرِ؟!

نَعَمْ، لَقَدْ بَيَعَ بَنَاتُ الْمُسْلِمِينَ هُنَالِكَ إِلَى تُجَّارِ الْبِغَاءِ يَسْتَدِيرُونَ الْأَرْبَاحَ بِأَعْرَاضِ الْمُسْلِمَاتِ مُكْرَهَاتٍ مُهَانَاتٍ، يَعْجُزُ اللِّسَانُ أَنْ يَنْطِقَ بِهَا، وَلَكِنَّهَا الْحَقِيقَةُ الْمُدْمِيَةُ!!

لِمَاذَا يَكُونُ الْإِغْتِصَابُ مِنْ أَهَمِّ الْأَسْلِحَةِ الَّتِي يَسْتَخْدِمُهَا الْعَدُوُّ فِي مُحَارَبَةِ الْمُسْلِمِينَ؟! إِغْتِصَابُ الْمُسْلِمَاتِ سِمَةً بَارِزَةً فِي كُلِّ حَرْبٍ لِلْمُسْلِمِينَ مَعَ عَدُوِّهِمْ أَيْبًا كَانَ ذَلِكَ الْعَدُوُّ، يَا تُرَى لِمَاذَا تُغْتَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ بِتِلْكَ الصُّورَةِ الْبَشْعَةِ؟! لِمَاذَا لَمْ يُحْسِنُوا الذَّبْحَةَ إِذَا ذَبَحُوا؟!

وَالْأَذَى مِنْ هَذَا وَالْأَمْرُ أَنَّ حَوَادِثَ الْقَتْلِ الْجَمَاعِيِّ الَّتِي يَرْتَكِبُهَا الصَّرْبُ فِي

مَسَاجِدِ الْمُسْلِمِينَ تُصَوِّرُ فِي إِعْلَامِ الصَّرْبِ عَلَى أَنَّهَا فِي الْكَنِيسَةِ، حَدَّثَتْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضِدَّ النَّصَارَى، فَيَصِيرُ الظَّالِمُ مَظْلُومًا، وَالْقَاتِلُ مَقْتُولًا؛ إِضْرَامًا لِنَارِ الْحَقْدِ فِي قُلُوبِ النَّصَارَى، وَتَسْوِيعًا لِمَذَابِحِهِمْ وَانْتِهَاكَاتِهِمْ فِي الْمُسْلِمِينَ!!

إِنَّهُمْ يَرَوْنَهَا حَرْبًا دِينِيَّةً عَقَائِدِيَّةً صَلِيبِيَّةً، لَا حَرْبًا أَهْلِيَّةً وَلَا وَطَنِيَّةً كَمَا يَحُلُو لِلْعُلَمَائِيِّينَ الْعَرَبِ أَنْ يُسَمُّوهَا، اسْتَمَعُوا إِلَى أَقْوَالِ الصَّلِيبِيِّينَ، فَمَشِكَلَتْنَا -نَحْنُ الْعَرَبَ- أَنْ فَرِيقًا مِنْ مُدَّعِي الثَّقَافَةِ وَالْمَعْرِفَةِ عِنْدَنَا لَا يُصَدِّقُونَ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا كَلَامَ نَبِيِّهِ ﷺ فِي بَيَانِ حَقِيقَةِ عَدُوَّنَا مِمَّا يَضْطَرُّنَا إِلَى نَقْلِ كَلَامِ الْأَعْدَاءِ حَتَّى يُصَدِّقَ قَوْمُنَا بِمَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنَ الْعَدَاوَةِ الْأَبَدِيَّةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْكَفَّارِ.

جَرِيحٌ صَرِبِيٌّ يَقُولُ: إِنَّ سَبَبَ هَذِهِ الْحَرْبِ: أَنَّ الْمُسْلِمِينَ يُرِيدُونَ إِقَامَةَ دَوْلَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ فِي بِلَادِنَا<sup>(٢)</sup>، وَصَرِبِيٌّ آخَرُ يُمَسِّكُ بِمُدْفَعِيَّتِهِ يَرْشُقُ بِهَا مَنَاطِقَ الْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ يَقُولُ لِلْإِخْبَارِيِّينَ: الَّذِي تُحَاوِلُ الْحُكُومَةُ الْبُوسْنِيَّةُ عَمَلَهُ هُوَ إِقَامَةُ دَوْلَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ فِي أَوْرَبَا، نَحْنُ الصَّرْبُ نُقَاتِلُ الْمُسْلِمِينَ مُنْذُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَنُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ يَقُولُ: «هَذِهِ نِهَآيَةُ حَضَارَةِ»<sup>(٣)</sup>.

هَذَا عَلَى مُسْتَوَى الْأَفْرَادِ، أَمَّا عَلَى مُسْتَوَى التَّقَارِيرِ، فَتَقْرِيرُ مُرَاسِلٍ إِحْدَى الشَّبَكَاتِ الْعُرْبِيَّةِ الْإِخْبَارِيَّةِ يَقُولُ: إِنَّ أَكْثَرَ الصَّرْبِ يَقُولُونَ: إِنَّ الْقِتَالَ فِي الْبُوسْنَةِ

(٢) نقل ذلك عنه مراسل شبكة (اي. بي. سي) الأمريكية والتر رودجرز، أخبار العالم الليلة، اي بي سي ١٤ أغسطس ١٩٩٢م، عن: دماء ودموع البوسنة: على من تعرض الصور؟ د. أحمد بن راشد بن سعيد، مجلة البيان عدد (٥٥) ص (٥٨).

(٣) قاتل ذلك هو القائد العسكري الصربي لاليجا توما كوفاش، قاله لمراسلة شبكة (اي. بي. سي) شيلا ماكفيكار، أخبار العالم الليلة، أوائل يولييه ١٩٩٢م. عن المصدر السابق.

أَمْرٌ ضَرُورِيٌّ لِمَنْعِ انْتِشَارِ الْإِسْلَامِ فِي أَوْرُبَّا<sup>(٤)</sup>.

إِنَّ شِعَارَ الصَّرْبِ فِي حَرْبِهِمْ هُوَ: الدَّوْلَةُ الْوَاحِدَةُ لَا بُدَّ أَنْ تَجْمَعَ بَيْنَ الصَّرِّيِّينَ، وَإِلَّا سَتُضْبَحُ الْبَلْقَانُ مَقْبَرَةً كَبِيرَةً<sup>(٥)</sup>. وَاللَّهُ لَقَدْ أَصْبَحَتْ الْبَلْقَانُ مَقْبَرَةً لِلْمُسْلِمِينَ!

لَقَدْ عَانَى إِخْوَانُنَا فِي الْبُوسْنَةِ مِنَ الْحُرُوبِ الصَّلِيبِيَّةِ الَّتِي أَغْقَبَهَا حُكْمُ شِئُوعِي ظَالِمٍ قَاهِرٍ، ثُمَّ هَا هِيَ الْحَرْبُ الصَّلِيبِيَّةُ تَعُودُ مِنْ جَدِيدٍ، حَتَّى وَصَفَتْ صَحَافَةُ الْغَرْبِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْبُوسْنَةِ بِأَنَّهُمْ (الْفِلَسْطِينِيُّونَ الْجَدُّ لِأَوْرُبَّا)<sup>(٦)</sup>.

إِنَّ الْغَرْبَ الْمُتَحَضِّرَ بِإِنْسَانِيَّتِهِ وَدِيمُقْرَاطِيَّتِهِ يُقَدِّمُ لَنَا فِلَسْطِينَ ثَانِيَةً، وَهُوَ يَدُقُّ آخِرَ الْمَسَامِيرِ فِي نَعْشِ فِلَسْطِينَ الْأُولَى الَّتِي اغْتِيلَتْ وَبُكِيَتْ، وَهَا هِيَ فِلَسْطِينُ الْجَدِيدَةِ تُغْتَالُ وَلَسَوْفَ تُبْكِي، إِلَّا أَنْ يَرْحَمَنَا اللَّهُ ﷻ بِنَصْرِ مِنْ عِنْدِهِ.

لَقَدْ أَصْبَحَتْ فَضِيحَةُ الْقِيمِ الْغَرْبِيَّةِ وَالْحَضَارَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ فِي كَارِثَةِ الْبُوسْنَةِ

(٤) قائل ذلك مراسل شبكة (اي. بي. سي) الأمريكية والتر رودجرز، عن المصدر السابق.

(٥) البوسنة والهرسك .. محنة شعب ومأساة أمة، د. يوسف الصغير، مجلة البيان، عدد (٥٣) ص(٦٠).

(٦) حيث تقاسم الصرب والكروات أرضهم. نسبتهم ٤٥ في المائة من سكان البلاد، لكنهم يسيطرون الآن على ٥ في المائة منها فقط كما في صحيفة الايكونومست، ١ أغسطس ١٩٩٢م .. الصرب يقولون: فليذهب المسلمون إلى الجحيم. أكثرهم -كما تقول كاتبة الغارديان ماغي أوكين- في جحيم فعلاً، إما في معسكرات اعتقال مكتظة، أو في قطارات إلى استقبال بارد في أوروبا كما ذكرت الغارديان، ١٠ أغسطس ١٩٩٢م. مليون وثلاثمائة ألف شخص أخرجوا من البوسنة معظمهم من المسلمين كما ذكرت نيوزويك، ١٠ أغسطس ١٩٩٢م .. في الحادي عشر من أغسطس أعلن الصرب بوقاحة (وهم واثقون بوقوف إخوانهم الغربيين معهم) أنهم سيطردون ٢٨٠٠٠ مسلم، وأن على الأمم المتحدة أن تبحث لهم عن مكان يأوون إليه. ينظر: دماء ودموع البوسنة، على من تعرض الصور؟ مجلة البيان عدد (٥٥) ص(٥٨).

أَوْضَحَ مِنَ الشَّمْسِ فِي رَائِعَةِ النَّهَارِ، فَأَيْنَ عَرَبْنَا الْمُغْتَرِبَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ التَّقَدُّمَ  
وَالْحَضَارَةَ كَمَا هِيَ فِي الْغَرْبِ؟! فَلْيَنْظُرُوا إِلَى أَخْلَاقِ الْقَوْمِ وَحَضَارَتِهِمْ وَمَبَادِيهِمْ  
عَلَى أَرْضِ الْبُوسْنَةِ، فَفِي ذَلِكَ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. أُولَئِكَ الْمُتَحَضِّرُونَ الْبَيْضُ  
وَالشُّعُوبُ الرَّاقِيَةُ الَّتِي تَصِيحُ بِحُقُوقِ الْإِنْسَانِ، وَتَتَأَوَّهُ لِإِنْتِهَاكِ حُقُوقِ الْحَيَوَانِ،  
تَرَى أُمَّةً تَعِيشُ مَحْرَقَةً إِنْسَانِيَّةً مُكْتَمِلَةً الْفُصُولِ، فَمَا بِالْهَمِّ لَا يَنْطَفُونَ، فَهَلْ مِنْ  
شَكٍّ فِي أَنَّ الْحَرْبَ هُنَالِكَ حَرْبٌ دِينِيَّةٌ عَقَائِدِيَّةٌ صَلِيبِيَّةٌ؟ وَمَاذَا لَوْ كَانَ الْبَشَرُ  
الْمَحْرُوقُونَ مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ؟

قَالَتْ صَحَفِيَّةٌ غَرْبِيَّةٌ: «إِنَّ الْغَرْبَ مَا كَانَ لِيَتَّخِذَ هَذَا الْمَوْقِفَ اللَّامُبَالِيًا لَوْ كَانَ  
ضَحَايَا الْمَجْزَرَةِ مِنَ النَّصَارَى، وَلَوْ كَانُوا كَذَلِكَ إِذَنْ لَانْتَفَضَ الْعَالَمُ الْغَرْبِيُّ،  
وَتَحَرَّكَ الضَّمِيرُ الْعَالَمِيُّ، وَتُرْجِمَ ذَلِكَ إِلَى تَحَرُّكِ سِيَاسِيٍّ وَافْتِصَادِيٍّ وَعَسْكَرِيٍّ،  
بَدَلًا مِنْ حَالَةِ التُّعَاسِ الثَّقِيلِ الَّتِي يَغْطُ فِيهَا الْمُجْتَمَعُ الدَّوْلِيُّ»<sup>(٧)</sup>.

وَأَمَّا الْمَسْئُولُ الْعَسْكَرِيُّ فِي دَوْلَةٍ صَاحِبَةٍ قَرَارٍ ضِدَّ الْبُوسْنَةِ فَيُعْلَلُ عَدَمَ التَّدْخُلِ  
بِقَوْلِهِ: «كَيْفَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نُبَرَّرَ لِعَوَائِلِ الْجُنُودِ أَنْ أَبْنَاءَهُمْ لَمْ يَمُوتُوا فِي سَبِيلِ  
الْمَمْلَكَةِ وَالْوَطَنِ، بَلْ لِمَنْعِ الصَّرْبِ مِنْ قَتْلِ الْمُسْلِمِينَ»<sup>(٨)</sup>.

هَذَا كَانَ قَبْلَ التَّدْخُلِ الدَّوْلِيِّ، وَأَمَّا بَعْدَهُ، فَازْدَادَتِ الْكَارِثَةُ تَفَاقُمًا، وَهَذَا  
مِيزَانُهُمْ، وَتِلْكَ نَظَرَتُهُمْ، أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ!

وَلَنْ يُوقِفَ ظُلْمَهُمْ وَقَهْرَهُمْ إِلَّا الْجِهَادُ .. الْجِهَادُ الَّذِي يَخَافُهُ الْأَعْدَاءُ،

(٧) قائلة ذلك هي لاسلي غليب في النيويورك تايمز، ينظر: جذور الصراع: الصليب  
الأرثوذكسي، الغرب المتحضر، المسلمون «الهمج»! د. عبدالله عمر سلطان، مجلة  
البيان، عدد (٥٨) ص (٧٨).

(٨) هو وزير الدفاع البريطاني: الآن كلارك، عن المقال السابق، مجلة البيان، عدد (٥٨)  
ص (٧٨).

وَتَحْيَا بِهِ الْأُمَّةَ، وَيُسْتَعَادُّ بِهِ الْمَجْدُ، وَيُسْتَرَدُّ بِهِ الْحَقُّ . . الْجِهَادُ الَّذِي يُوقِفُ الظَّالِمِينَ، وَيُخْرِجُ الْمُغْتَصِبِينَ.

لَنْ يُزِيلَ الْمَاسَاةَ أَنْتِظَارُ قَرَارَاتِ الْأَعْدَاءِ فِي مَجَالِسِهِمْ وَمَحَافِلِهِمْ، فَذَلِكَ رُكُونٌ إِلَيْهِمْ وَزِيَادَةٌ فِي الْخِذْلَانِ ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَنَنَسِكُمْ النَّارَ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾ [هود: ١١٣]، ﴿إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمُ بِالْأَسْوَى وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [المتحنة: ٢]، ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٨) ﴿أَشْتَرُوا بِعَاقِبَةِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٩) لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة: ٨-١٠].

وَعِنْدَمَا أُعْلِنَ الْجِهَادُ فِي الْبُوسْنَةِ؛ هَابَ الْأَعْدَاءُ، وَتَقَدَّمَ الْمُسْلِمُونَ، فَلَمْ يُعْجَبْ ذَلِكَ أَصْحَابَ الْقَرَارَاتِ الدَّوْلِيَّةِ؛ فَفَاحَ عَفْنُ الْمُؤَامَرَةِ، وَانْتَهَكَتِ الْمَنَاطِقُ الْأَمْنَةَ، وَزُوِّدَ الْعَدُوُّ بِالسَّلَاحِ وَالْمَتَاعِ، فِي حِينٍ أَنَّهُ يُؤْخَذُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِاسْمِ الْهَيْئَاتِ الدَّوْلِيَّةِ، وَالْمَنَاطِقِ الْأَمْنَةِ، فَيُدْفَعُ لِأَعْدَائِهِمْ، وَلَا زَالَ الْمُسْلِمُونَ تَحْتَ الْحِصَارِ الْمُحْكَمِ؛ فَصَبُّوا قَصْفًا عَنيفًا، وَزُلْزَلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا، أَعَانَهُمُ اللَّهُ وَفَكَ حِصَارَهُمْ! لَيْسَ لَهُمْ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، فَالْمُسْلِمُونَ أُمَّةٌ غَائِبَةٌ، وَمَنْ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى مَعَهُ فَاللَّهُ نِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرِ.

اللَّهُمَّ فَكْ حِصَارَهُمْ، وَانْصُرْهُمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْصَّرْبِ الصَّلِيبِيِّينَ، اللَّهُمَّ خَالِفْ بَيْنَ كَلِمَتِهِمْ وَشَتَّتْ شَمْلَهُمْ، وَأَنْزِلْ عَلَيْهِمْ عَذَابَكَ وَرَجِّزْكَ إِنَّكَ أَنْتَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا

أَخَذْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِبَلَاءِ بَعْضِكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨-٤﴾ [محمد: ٨-٤].



## الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَاصِرِ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَمَلَاذِ الْمُضْطَهَدِينَ، وَأَمِنِ الْخَائِفِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، يَبْتَلِي أَقْوَامًا بِالسَّرَّاءِ وَآخَرِينَ بِالضَّرَّاءِ، فَيَنْظُرُ كَيْفَ يَعْمَلُونَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- اتَّقُوهُ فِي أَنْفُسِكُمْ، وَاتَّقُوهُ فِي إِخْوَانِكُمُ الْمَفْتُونِينَ فِي دِينِهِمْ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُؤْمِنُونَ: إِنَّ مِحْنَةَ الْبُوسَنَةِ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مِحْنَةً كُلِّ إِنْسَانٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. عَارٌ يُسَجِّلُهُ التَّارِيخُ فِي سِجْلِ صَفَحَاتِنَا وَجِيلِنَا، تَسْتَأْ مِنْهُ الْأَجْيَالُ الْقَادِمَةُ كُلَّمَا قَلَبَتْ صَفَحَاتِ تَارِيخِنَا، وَقَرَأَتْ عَنْ هُزَالِنَا وَضَعْفِنَا وَتَخَلُّينَا عَنْ إِخْوَانِنَا، كَمَا نَسْتَأْ كُلَّمَا طَالَعْنَا هُزَالَ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

يَجِبُ أَنْ نَعِيشَ الْقَضِيَّةَ وَكَأَنَّهَا قَضِيَّتُنَا، بَلْ هِيَ قَضِيَّتُنَا! نَعِيشُهَا بِأَحَاسِينَا وَوُجْدَانِنَا، بِقُلُوبِنَا وَأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا، لَا نَعْمَلُ عَنْهَا وَلَا نَنْسَاهَا، كَيْفَ نَنْسَاهَا وَفِيهَا مُسْلِمُونَ فِي دِينِهِمْ يُفْتَنُونَ؟!

يَا مُسْلِمُ، يَا مُؤْمِنُ، فَرَقٌ كَبِيرٌ بَيْنَ مَنْ يَعِيشُ مَعَ الْقَضِيَّةِ قَلْبًا وَقَالَبا، حَتَّى وَلَوْ



كَانَ بَعِيدًا فَقَلْبُهُ قَرِيبٌ مِنْهَا، يُحْسُ كَأَنَّ الْقَضِيَّةَ تَعْنِيهِ وَحْدَهُ وَلَا تَعْنِي أَحَدًا غَيْرَهُ، فَيَدْفَعُهُ ذَلِكَ إِلَى الدَّعْمِ بِالْمَالِ، وَرَفْعِ الْيَدَيْنِ بِالْذُّعَاءِ، لَا يُمْتَرُّ وَلَا يَغْفُلُ وَلَا يَنْسَى، وَلَا يَكِلُ وَلَا يَمَلُّ، لَا يَزَالُ يَحُثُّ النَّاسَ حَوْلَهُ عَلَى مُنَاصَرَتِهِمْ وَمُؤَازَرَتِهِمْ. فَرَقٌ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ مَنْ يَسْمَعُ عَنْهُمْ خَبْرًا مُفْرِعًا، أَوْ يَرَى مَشْهَدًا مُرَوِّعًا، فَيُكْتَفِي بِالْحَوْقَلَةِ وَالِاسْتِرْجَاعِ، ثُمَّ يَنْسَى بَعْدَ بُرْهَةٍ، وَكَأَنَّهُ أَعْطَى الْمَوْضُوعَ حَقَّهُ وَأَدَّى مَا عَلَيْهِ.

فَرَقٌ بَيْنَ أَنَاسٍ هُمُومُهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ، وَبَيْنَ آخَرِينَ هُمُومُهُمْ لِنَفْسِهِمْ؛ إِشْبَاعًا لِلشَّهَوَاتِ، وَتَلْيِيقًا لِلرَّغَبَاتِ، لَا يُهْمُّهُمْ قَتْلُ الشُّعُوبِ الْمُسْلِمَةِ، وَلَا جُرُوحُ الْأُمَّةِ الْمُتَمَتِّقَةِ.

يَجِبُ إِحْيَاءُ الشُّعُورِ بِالْأُمَّةِ الْوَاحِدَةِ، وَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ، يَجِبُ أَنْ تَكُونَ الرَّابِطَةُ إِيْمَانِيَّةً لَا وَطَنِيَّةً، وَلَا إِقْلِيمِيَّةً، فَأَمْرُ الْمُسْلِمِ الْبَعِيدِ أَهْمُّ وَأَوْلَى مِنْ أَمْرِ الْفَاجِرِ الْقَرِيبِ.

إِنَّ نُصُوصَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي الْجَسَدِ الْوَاحِدِ، وَالْأُخُوَّةِ الْإِيْمَانِيَّةِ لَيْسَتْ نُصُوصًا لِلْقِرَاءَةِ وَالْحِفْظِ فَحَسْبُ، كَمَا أَنَّهَا لَيْسَتْ لِلْمُفَاخَرَةِ وَالْمُبَاهَاةِ أَمَامَ الْآخَرِينَ بِدِينِنَا، وَأَنَّهُ يُحَقِّقُ التَّرَاحُمَ وَالتَّكَافُلَ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ حَقًّا، وَلَكِنَّ الْمِهْمَ هُوَ الْعَمَلُ.

يَجِبُ أَنْ تُتَرْجَمَ هَذِهِ النُّصُوصُ إِلَى وَاقِعِ عَمَلِيٍّ مَحْسُوسٍ؛ مِنْ نُصْرَةِ الضَّعِيفِ، وَنَجْدَةِ الْمَلْهُوفِ، وَبَذْلِ الْغَالِيِ وَالنَّفِيسِ فِي سَبِيلِ تَحْقِيقِ الْأُخُوَّةِ، وَتَقْوِيَةِ الرَّابِطَةِ.

إِنَّ النَّصَارَى فِي أَوْرُبَّا يَجْمَعُونَ التَّبَرُّعَاتِ لِإِخْوَانِهِمُ الصَّرْبِ تَحْتَ شِعَارٍ: ضِدَّ دُخُولِ الْإِسْلَامِ فِي أَوْرُبَّا، قَائِلِينَ: ادْفَعْ دُولَارًا أَقْتُلْ لَكَ بِهِ مُسْلِمًا! فَمَاذَا سَيَفْعَلُ

الْمُسْلِمُونَ لِإِخْوَانِهِمْ وَقَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ كَلْبُ الْعَدُوِّ، وَشِدَّةُ الْبَرْدِ، وَجَوْرُ النَّظَامِ، وَنَقْصُ الْمُؤْنَةِ، وَقِلَّةُ ذَاتِ الْيَدِ، وَخِيَانَةُ الْعَالَمِ.

يَحْتَاجُونَ إِلَى مَالٍ يُذَلِّلُ الصَّعَابَ، وَيُخَفِّفُ آلامَ السَّيَاطِ، فَهَلْ نَهَبُ لَهُمُ الْمَالَ، وَهُمْ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْمَنْ عَالَيْنَا. نِعْمَتَانِ أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِمَا عَلَيْنَا: وَفَرَةُ الْمَالِ فِي أَيْدِينَا، وَوُجُودُ جِهَةٍ يُصْرَفُ فِيهَا يَصْدُقُ عَلَيْهَا أَنَّ هَذَا الْمَالَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، فَمُسْلِمُونَ كَثِيرُونَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢]، وَقَدْ يُوجَدُ الْمَالَ، لَكِنْ لَا يُوجَدُ الْإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، هَا وَقَدْ اجْتَمَعَ الْأُمْرَانِ عِنْدَنَا، فَهَلْ نَحْنُ أَهْلُ لِسْكَرٍ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ؟

أَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزْقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

احْذَرُوا الشُّحَّ وَالْبُخْلَ ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، فَجُودُوا جَادَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، وَتَصَدَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ، وَلَا تَغْفُلُوا عَنِ الدُّعَاءِ لَهُمْ، فَهُمْ أَحْوَجُ مَا يَكُونُونَ إِلَيْهِ، وَتَحَرَّوْا أَوْقَاتَ الْإِجَابَةِ لَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى يَطْلُعَ عَلَى صِدْقِكُمْ وَإِخْلَاصِكُمْ؛ فَيَنْزِلَ نَصْرُهُ، وَيَكْبِتُ عَدُوَّهُ.

بَارَكَ اللَّهُ لَكُمْ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ وَأَعْمَارِكُمْ، وَتَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَّا وَمِنْكُمْ. ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى الرَّحْمَةِ الْمُهْدَاةِ وَالنِّعْمَةِ الْمُسَدَّاةِ، كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ رَبُّكُمْ ...



## ٣٨٠- مأساة البوسنة (٢)

١/٣/١٤١٦هـ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]،  
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧١﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا مَلِيَّةٌ بِالْمَصَائِبِ وَالْكَوَارِثِ، وَفِي طَيَّاتِهَا الْعِبرُ وَالذُّرُوسُ، فَمَنْ نَظَرَ بَعِيْنٍ فَاحِصَةً إِلَيْهَا، وَاسْتَشَفَّ الذُّرُوسَ مِنْهَا؛ اجْتَنَبَ أَسْبَابَهَا؛ فَلَمْ تَتَكَرَّرْ مَعَهُ. وَمَنْ كَانَتْ تُصِيبُهُ فِتْنَاوُهُ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ وَاعْتِبَارٍ فَسَوْفَ يَنْتَكِسُ الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ، وَيَمْشِي إِلَى الْكَوَارِثِ بِرِجْلَيْهِ، وَيَعْمَلُ أَسْبَابَهَا، ثُمَّ يَلُومُ الْآخَرِينَ عَلَيْهَا.

وَهَذِهِ الْقَضِيَّةُ لَا فَرْقَ فِيهَا بَيْنَ الْأَفْرَادِ وَالْأُمَمِ؛ إِذْ إِنَّ الْأُمَّةَ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْأَفْرَادِ، وَأَزْمَةُ الْبُوسْنَةِ كَارِثَةٌ مِنَ الْكَوَارِثِ الَّتِي لَا تَزَالُ الْأُمَّةُ بِأَفْرَادِهَا وَدَوْلَهَا وَمُقَدَّرَاتِهَا لَا تُحْسِنُ التَّصَرُّفَ فِيهَا، كَمَا هِيَ لَمْ تُحْسِنْ مِنْ قَبْلُ التَّصَرُّفَ فِي مِثْلَاتِهَا.

خَسِرَتِ الْأُمَّةُ فَلِسْطِينَ وَانْتَصَرَتْ عَلَى الْوَرَقِ، وَهِيَ تَخْسِرُ الْبُوسْنَةَ وَتَنْتَصِرُ

فِي الْمَحَافِلِ وَالْمَحَاكِمِ الدَّوْلِيَّةِ؛ إِذِ اعْتَرَفَ النَّصَارَى الْمُحَكَّمُونَ فِي قَضِيَّةِ  
الْبُوسْنَةِ بِأَنَّ الصَّرْبَ مُعْتَدُونَ، وَأَنَّهُمْ مُجْرِمُو حَرْبٍ، وَكَانَ نَصْرًا عَظِيمًا  
لِلْمُخْدُوعِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، لَكِنْ مَا هِيَ فَأَيْدَتْهُ؟! إِذَا كَانَتِ الْأَرْضُ لَا تَزَالُ  
تُحْتَلُّ، وَالشُّعُوبُ تُشْرَدُ، وَالْأَبْرِيَاءُ يُقْتَلُونَ، وَالنِّسَاءُ تُغْتَصَبُ، حَتَّى أَصْبَحَ  
الْمُسْلِمُونَ فِي الْبُوسْنَةِ يُشِيرُونَ شَفَقَةَ أَبْنَاءِ الدِّيَانَاتِ الْأُخْرَى، وَكَأَنَّهُ لَا يُوجَدُ  
مُسْلِمُونَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ يَنْصُرُونَهُمْ، وَيُخَلِّصُونَهُمْ مِنْ كَلْبِ عَدُوِّهِمْ، وَظُلْمِ  
الْعَالَمِ لَهُمْ.

اسْتَنْكَرَ فَنَاتٌ مِنَ الْكُفَّارِ الْأَعْمَالِ الْبَشِعَةِ الَّتِي يُمَارِسُهَا الصَّرْبُ ضِدَّ مُسْلِمِي  
الْبُوسْنَةِ، حَتَّى قَالَ أَحَدُ كِبَارِ مُؤَسَّسِي قَوَانِينِهِمْ: «إِنَّ الْمَسِيحِيِّينَ فِي عَصْرِنَا  
يُقَدِّمُونَ فِي حُرُوبِهِمْ عَلَى أَعْمَالٍ تَسْتَحِي مِنْهَا الْوُحُوشُ أَنْفُسَهَا»<sup>(١)</sup>.

وَلَكِنْ مَاذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ؟ هَلْ تَحَرَّكُوا لِنَجْدَةِ إِخْوَانِهِمْ، وَتَرَكُوا أَحَادِيثَ  
الْأَمَالِ وَالْأَحْلَامِ؟

كَلَّا! إِنَّ الصَّمْتَ يُخَيِّمُ عَلَيْهِمْ، وَالسُّكُونُ وَالْهُدُوءُ النَّابِعَ مِنَ الضَّعْفِ وَالْعَجْزِ  
يُلْقُهُمْ، فَمَا عَسَى تِلْكَ الْمَنَاطِرُ وَالْفَوَاجِعُ أَنْ تُحَرِّكَ أُمَّةً فَقَدَتْ الشُّعُورَ بِمَصَائِبِ  
أَبْنَائِهَا، وَمَاتَ إِحْسَاسُهَا، إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ تَعَالَى، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ!!

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ: سَوْفَ يُدَوِّنُ التَّارِيخُ شَنَاةَ هَذِهِ الْمَذَابِحِ، وَيُدَوِّنُ مَعَهَا شَنَاةَ  
قَوْمٍ شُغِلُوا بِدُنْيَاهُمْ عَنْ إِخْوَانِهِمْ. سَيُسَجِّلُ التَّارِيخُ عَدَمَ مَبَالَاةِهِمْ بِرَابِطَةِ الدِّينِ،  
وَسَوْفَ يَذْكُرُ رَدِيءَ أَفْعَالِهِمْ وَاهْتِمَامَاتِهِمْ؛ يَتَنَعَّمُونَ بَيْنَمَا إِخْوَانُهُمْ يُحَرِّقُونَ،

(١) قائل ذلك هو: هوكو خروتوس (ت ١٦٤٥م ١٠٥٠هـ) وهو أبو القانون الدولي الحديث،  
ينظر: نحو بناء إسلامي لمصطلح الأقلية، كمال السعيد حبيب، مجلة البيان، عدد (٩٠)

مُتْرَفُونَ وَإِخْوَانُهُمْ يَعِيشُونَ الْبُؤْسَ وَالْحِرْمَانَ.

سَيَذْكُرُ التَّارِيخُ أَنَّ عَشْرَاتِ الْأُلُوفِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْبُؤْسَةِ وَالْهَرَسِكِ يُسْحَقُونَ وَيُسْرَدُونَ عَلَى مَرَأَى وَمَسْمَعٍ مِنْ إِخْوَانِهِمْ، وَمَا تَحَرَّكُوا، وَلَا اهْتَزُّوا. لَقَدْ مَرَّ بِالْمُسْلِمِينَ مَذَابِجُ عِبَرٍ تَارِيخِيهِمُ الطَّوِيلِ، فَالْتَرَّتْ ذَبْحُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَالنَّصَارَى فِي الْأَنْدَلُسِ فَعَلُوا مِثْلَ ذَلِكَ، وَغَيْرُهُمْ كَثِيرٌ. وَحِينَما نَقَرَأُ وَنَسْمَعُ عَنْ تِلْكَ الْفَتَرَاتِ الْمُظْلِمَةِ مِنْ تَارِيخِ الْمُسْلِمِينَ نَقُولُ: وَأَيْنَ هُمْ إِخْوَانُهُمْ فِي الْأَقْطَارِ الْأُخْرَى؟ وَكُنَّا وَلَا نَزَالُ نَلُومُ السَّالِفِينَ مِنَّا عَلَى خِذْلَانِهِمْ لِإِخْوَانِهِمْ، وَنَعُدُّ ذَلِكَ عَارًا لِحَقِّ بِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَهَا هِيَ الْأَحْدَاثُ تَتَكَرَّرُ بِصُورَةٍ أَبْشَعَ وَأَقْدَرَ، مَعَ أَنَّ سَالِفِينَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ بَعِيدِينَ عَنْ مَوَاقِعِ إِخْوَانِهِمْ، وَأَخْبَارُهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِمْ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ نُعْفِهِمْ مِنْ مَسْئُولِيَّتِهِمْ، وَلَمْ يَعْتَذِرِ التَّارِيخُ لَهُمْ، فَمَا هُوَ عُذْرُنَا وَنَحْنُ نَشَاهِدُ بِالْصُّورَةِ الْحَيَّةِ وَالنَّقْلِ الْمُبَاشِرِ فُضُولًا مِنَ الْمَذَابِجِ وَالْجَرَائِمِ، وَنَسْمَعُ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ عَوِيلَ الْأَطْفَالِ، وَصُرَاخِ الثَّكَالَى، وَاسْتِجْدَاءَاتِ الْمُسْرِدِينَ، وَشَكَاوى الْمُنْكَوِبِينَ، ثُمَّ مَاذَا بَعْدَ ذَلِكَ؟

نَقْفِلُ الشَّاشَةَ، وَنُدِيرُ الْمِذْيَاعَ، وَنُوَلِّي الْقَضِيَّةَ ظُهُورَنَا، مُقْبِلِينَ عَلَى لَذِيذِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالنِّكَاحِ، مُهْتَمِّينَ بِمَا سَنَعْمَلُ فِي الْعَدِ وَبَعْدَ الْعَدِ، مِمَّا يُوفَّرُ كَمَا أَكْبَرَ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَالْمَلَذَّاتِ، مُعْرِضِينَ عَنْ إِخْوَانِنَا وَقَضِيَّتِهِمْ إِعْرَاضًا كُلِّيًّا، وَكَأَنَّنَا نَعِيشُ فِي كَوْكَبٍ آخَرَ، أَوْ كَأَنَّ مُسْلِمِي الْبُؤْسَةِ لَيْسُوا عَلَى دِينِنَا، وَرُبَّمَا كَانَ مُعَدُّ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ خَادِمًا نَضْرَانِيًّا أَوْ خَادِمَةً نَضْرَانِيَّةً عَلَى نَفْسِ دِينِ الصَّرْبِ وَمَذْهَبِهِمْ، وَيَحْمِلُ عَصِيَّتَهُمْ وَحِقْدَهُمْ، وَمَعَ ذَلِكَ يَأْكُلُ طَعَامَنَا، وَيَشْرَبُ شَرَابَنَا، وَيُشَاهِدُ مَذَابِجَ إِخْوَانِنَا، وَيَتَشَقَّى فِينَا فِي دِيَارِنَا، يَا لَلْعَارِ وَالذَّلَّةِ!

أُيِّهَا الْإِخْوَةُ الْمُؤْمِنُونَ: إِنَّ مَا يَجْرِي فِي الْبُوسَنَةِ خَطِيرٌ جَدًّا، لَكِنَّ الْأَخْطَرَ مِنْهُ إِعْرَاضُنَا عَنِ الْحَدَثِ وَكَأَنَّهُ لَا يَعْنِينَا، وَلَيْسَتْ مُصِيبَةُ الْمَذَابِحِ بِأَعْظَمَ مِنْ مُصِيبَةِ ذُبْحِ الْإِحْسَاسِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ كُلِّهِمْ، وَفِي الْبُوسَنَةِ ذُبْحَ الْأَلَاَفِ مِنْ أَبْنَائِهَا، وَذُبْحَ مَعَهُمْ إِحْسَاسُ الْمَلَائِكِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَإِذَا ذُبِحَ الْإِحْسَاسُ فَلَنْ يَتَحَرَّكَ النَّاسُ، وَلَوْ كَانَ الْعَدُوُّ فِي أَطْرَافِ بِلَادِهِمْ، وَهَذَا الَّذِي يَزِيدُ طُغْيَانَ الْأَعْدَاءِ، وَيَجْعَلُ الصَّرْبَ فِي مَأْمَنِ مِنْ غَضَبَةِ الْمُسْلِمِينَ.

أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ الصَّرْبَ، وَمَعَهُمْ هَيْئَةُ الْأُمَمِ الْمُتَّحِدَةِ وَدُورُ الْكُفْرِ كَافَّةً قَبْلَ أَنْ يَعْمَلُوا أَيْ عَمَلٍ يَحْسُبُونَ رَدَّةً فِعْلَ مِائَاتِ الْمَلَائِكِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، أَكَانُوا يُقْدِمُونَ عَلَى هَذَا التَّوَاطُّؤِ الرَّهِيْبِ، وَتِلْكَ الْأَعْمَالِ الشَّيْئَةِ؟!

أَرَأَيْتُمْ كَيْفَ أَنَّنَا خُدْرُنَا، وَذُبْحَ إِحْسَاسُنَا، وَفَقَدْنَا صَوَابَنَا، ثُمَّ إِذْ بِنَا نَلُومُ عَدُوَّنَا، سُبْحَانَ اللَّهِ! هَلْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَظُنُّونَ أَنَّ الْأَعْدَاءَ سَيَنَاصِرُونَ قَضَايَاهُمْ حَتَّى يَسْتَجِدُّوهُمْ، أَوْ يُحَرَّرُونَ مَا اغْتَصَبَ مِنْ أَرَاضِيهِمْ حَتَّى يَلُودُوا بِهِمْ؟!

إِنَّ مِنَ الْقَبِيحِ جَدًّا أَنْ نَلُومَ الصَّلِيبِيِّينَ عَلَى تَنْفِيذِ مُحْطَطَاتِهِمْ، وَالْحُرُوبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ تَمْتَدُّ إِلَى قُرُونٍ وَعُقُودٍ، وَمِنَ الْقَبِيحِ أَيْضًا أَنْ نَجْعَلَ الْمَسْئُولِيَّةَ عَلَى دُولِ النَّصَارَى الْعُظْمَى الَّتِي تَرَى فِي إِذْلَالِ الْمُسْلِمِينَ وَاجِبًا دِينِيًّا مُقَدَّسًا، وَتَجْعَلَ مِنْ دِمَاءِ الْبُوسَنِيِّينَ قَرَابِينَ تَقْدُمُهَا لِلصَّلِيبِ وَالْإِنْجِيلِ، وَلَا يَزَالُ فِيْنَا -نَحْنُ الْعَرَبُ- قَوْمٌ يَقُولُونَ: إِنَّ الْحَرْبَ فِي الْبُوسَنَةِ لَيْسَتْ حَرْبًا دِينِيَّةً، بَلْ حَرْبٌ وَطَنِيَّةٌ عِرْقِيَّةٌ، وَالنَّصَارَى لَيْسُوا مُتَوَاطِئِينَ مَعَ الصَّرْبِ، فَهَلْ مَنْ يَقُولُونَ ذَلِكَ الْقَوْلَ يَعِيشُونَ عَلَى الْأَرْضِ أَمْ أَيْنَ يَعِيشُونَ؟! تَصْرِيحَاتُ الصَّرْبِ وَمِنْ وَرَائِهِمُ الْعَرَبُ بِوُجُوبِ الْقَضَاءِ عَلَى آيَةِ بَوَادِرٍ لِقِيَامِ دَوْلَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ فِي أَوْرَبَّا، هَلْ سَمِعَهَا قَوْمُنَا هُوَ لَا؟ وَالْعُهُودُ الَّتِي نُفِضَتْ عَشْرَاتُ الْمَرَّاتِ، تَحْتَ مَظَلَّاتِهِمُ الدَّوْلِيَّةِ، تَمَاشِيًا مَعَ مَا

قَالَ كَبِيرٌ مِنْ أَبَاوَتِهِمْ: إِنَّ الْعُدْرَ إِثْمٌ، وَلَكِنَّ الْوَفَاءَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ أَكْبَرُ إِثْمًا<sup>(٢)</sup>.  
هَذِهِ هِيَ الْقَضِيَّةُ . . دِينٌ وَعَقِيدَةٌ، فَمَتَى يُدْرِكُ قَوْمُنَا ذَلِكَ؟  
وآخَرُونَ يَقُولُونَ: إِنَّ مُسْلِمِي الْبُوسْنَةِ مُسْلِمُونَ بِالْإِسْمِ، وَلَا يَظْهَرُ عَلَيْهِمُ  
الْإِلْتِزَامُ بِشَعَائِرِ الْإِسْلَامِ!

وَمَا عَلِمَ مَنْ يَقُولُ ذَلِكَ أَنَّ سَبَبَ ذَلِكَ نَحْنُ لَا هُمْ، ضَرَبَتِ الشُّيُوعِيَّةُ سِتَارَهَا  
الْحَدِيدِيَّ عَلَيْهِمْ رَدْحًا مِنَ الرَّمَنِ، ثُمَّ لَمَّا سَقَطَتْ تَسَلَّطَ النَّصَارَى الْحَاقِدُونَ، وَمَا  
أَدَيْنَا وَاجِبًا نَحْوَهُمْ فِي التَّعْلِيمِ وَالْإِرْشَادِ، وَالَّذِينَ ذَهَبُوا إِلَيْهِمْ مِنْ إِخْوَانِنَا  
لِيَحْكُونَ عَنْ سُرْعَةِ اسْتِجَابَتِهِمْ لِأَوَامِرِ الدِّينِ، وَتَعْطُشِهِمْ لِمَعْرِفَةِ الْمَزِيدِ مِنْ  
أَحْكَامِ الشَّرْعِ الْحَنِيفِ، وَيَكْفِي فِيهِمْ أَنَّهُمْ لَا يَزَالُونَ يُعْلِنُونَ إِسْلَامَهُمْ رَغْمَ  
الْحَدِيدِ وَالنَّارِ الَّذِي يَنْزِلُ عَلَى رِقَابِهِمْ وَأَجْسَادِهِمْ، وَرَغْمَ تَشْرِيدِهِمْ وَإِهَانَتِهِمْ،  
لَقَدْ أَصَابَهُمْ مِنَ الْكَرْبِ وَالشَّدَّةِ مَا لَوْ أَصَابَ جُمُوعًا مِنْ إِخْوَانِنَا الْعَرَبِ لَارْتَدُّوا  
عَنْ إِسْلَامِهِمْ.

وَوَظَّهَرَ فِينَا مَنْ يَقُولُ: نَحْشَى أَنْ تُنَاصِرَهُمْ فَيُعِيدُوا لَنَا ذِكْرَى الْأَفْعَانِ، فِي  
التَّفَرُّقِ وَالِاخْتِلَافِ إِلَى حَدِّ الْإِقْتِتَالِ!

وَكَمْ فِي هَذِهِ التَّعْلِيلَاتِ مِنْ تَخْذِيلٍ وَإِرْجَافٍ وَتَخَلُّ عَنْهُمْ! وَكَمْ فِي هَذَا  
الْكَلَامِ مِنْ جَرِيْمَةٍ وَدَعْمٍ لِلضَّرْبِ الصَّلِيبِيِّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ! وَكَمْ فِيهِ مِنْ مَنَّةٍ عَلَى  
اللَّهِ تَعَالَى وَأَدَى فِي الْبَدَلِ وَالْعَطَاءِ!!

إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَنْطَلِقُ فِي مُنَاصَرَتِهِ لِإِخْوَانِهِ الْمَقْهُورِينَ الْمَظْلُومِينَ، وَفِي بَذْلِ  
وَدُعَائِهِ مِنْ ثَوَابٍ إِيْمَانِيَّةٍ، وَقَوَاعِدَ شَرْعِيَّةٍ؛ فَهُوَ يُنَاصِرُ إِخْوَانَهُ لَا لِأَجْلِ حُقُوقِ

(٢) قائل ذلك هو: البابا أربانوس السادس، ينظر: نحو بناء إسلامي لمصطلح الأقلية، كمال

الْإِنْسَانِ، أَوْ لِإِرْضَاءِ الرَّأْيِ الْعَالَمِيِّ، وَلَا نُضَرَّةَ لِبَاطِنَةٍ أَوْ حِزْبٍ فِي عَصِيَّاتٍ ضَيِّقَةٍ، بَلْ هُوَ يُنَاصِرُهُمْ؛ لِأَنَّ الْمُنَاصِرَةَ عِبَادَةٌ وَطَاعَةٌ، يُؤَدِّي التَّقْصِيرُ فِيهَا إِلَى ارْتِكَابِ مُحَرَّمَ، وَتَعْطِيلِ فَرِيضَةٍ. يُؤْمِنُ بِأَنَّ التَّقْصِيرَ فِيهَا يَخْتُلُ مَعَهُ رُكْنُ الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ الَّذِي هُوَ مِنْ أَسَاسَاتِ الدِّينِ الْعِظَامِ.

إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَغْفُلُونَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، وَيَنْظُرُونَ إِلَى الْقَضِيَّةِ مِنْ جَوَانِبِ أُخْرَى لَيْسَتْ شَرْعِيَّةً، وَالْجَانِبُ الشَّرْعِيُّ هُوَ أَنَّ الْمُسْلِمَ حِينَما يُنَاصِرُ إِخْوَانَهُ الَّذِينَ يُضْطَهَدُونَ فِي دِينِهِمْ إِنَّمَا يُنَاصِرُ دِينَ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَالْمُسْلِمُونَ نَاصِرُوا الْأَفْغَانَ إِلَى أَنْ طَرَدُوا الْمُعْتَدِي، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ لَيْسُوا مُكَلَّفِينَ بِمَا حَدَثَ مِنْ شِقَاقٍ وَاخْتِلَافٍ وَافْتِتَالٍ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ مَا قَدَّمُوا لَنْ يَضِيعَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى. وَهَكَذَا يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَقْفُوا مَعَ إِخْوَانِهِمْ فِي الْبُوسَنَةِ؛ انْتِصَارًا لِدِينِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَنْ يُكَلَّفُوا بِمَا يَجْرِي بَعْدَ ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ لَهُمْ فِيهِ يَدٌ.

أَرَأَيْتُمْ -يَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ- كَيْفَ أَتْنَا نُبَاجِلُ وَنُنَاقِشُ، وَإِخْوَانُنَا تَسِيلُ دِمَاؤُهُمْ، وَتَسْقُطُ أَشْلَاؤُهُمْ، وَتُمَزَّقُ أَجْسَادُهُمْ، وَيَيْتَمُ أَطْفَالُهُمْ، وَتَنْتَهِكُ أَعْرَاضُهُمْ، وَتُخَرَّبُ دِيَارُهُمْ؟! وَتُخَرَّبُ دِيَارُهُمْ؟! وَتُخَرَّبُ دِيَارُهُمْ؟!

بَعْدَ هَذَا، أَلَيْسَ مِنَّا مَنْ يَعِيشُ عَيْشَةً عَدِيمِ الْإِحْسَاسِ، لَا نَكْتَرِثُ لَشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ إِخْوَانِنَا، كَأَنَّ دُنْيَانَا لَا تَمْتَلِئُ بِالْكَوَارِثِ وَالْأَرْزَاءِ وَالْمَصَائِبِ، وَكَأَنَّ أُمَّتَنَا لَا تُقِيمُ فِي بَعْضِ أَجْزَائِهَا مَا تَمُّ الْحُزْنُ عَلَى الضَّحَايَا وَالْمُشَرَّدِينَ، فَاللَّهُمَّ غُفْرَانَكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَبْتَ، وَإِذَا سُئِلَتْ بِهِ أَعْطَيْتَ، نَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، نَسْأَلُكَ بِأَنَّ تَرْفَعَ الْبَلَاءَ عَنْ إِخْوَانِنَا فِي الْبُوسَنَةِ،



اللَّهُمَّ اكْشِفْ ضُرَّهُمْ، وَأَزِلْ كُرْبَتَهُمْ. اللَّهُمَّ انْصُرْهُمْ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. اللَّهُمَّ أَيْدِهِمْ  
بِتَأْيِيدِكَ، وَأَنْزِلْ مَعَهُمْ مَلَائِكَتَكَ. اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْضَرْبِ الظَّالِمِينَ، وَمَنْ أَعَانَهُمْ  
فِي ظُلْمِهِمْ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ. اللَّهُمَّ أَذِقْهُمْ مِنَ الْعَذَابِ أَلْوَنًا، وَجَرِّعْهُمْ مِنْ  
الْهَرِيمَةِ كَيْزَانًا. اللَّهُمَّ أَقِرَّ أَعْيُنَنَا فِيهِمْ، وَأَرِنَا فِيهِمْ عَجَائِبَ قُدْرَتِكَ. اللَّهُمَّ أَوْقِفْ  
زَحْفَهُمْ، وَنَكِّسْ رَأْيَتَهُمْ، وَرُدِّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ خَاسِرِينَ. اللَّهُمَّ كُنْ لِلْأَرَامِلِ  
وَالْيَتَامَى وَالْمُسْتَضْعَفِينَ وَالْمُسَرَّدِينَ. اللَّهُمَّ سُدِّ جُوعَهُمْ، وَارِ عَطَشَهُمْ، وَاسْتُرْ  
عَوْرَاتِهِمْ، وَاحْفَظْ أَعْرَاضَهُمْ، وَآمِنْ خَوْفَهُمْ، وَرُدِّهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ وَأَهْلِهِمْ  
سَالِمِينَ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، أَنْتَ حَسْبُنَا وَحَسْبُهُمْ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، اسْتَجِبْ  
يَا كَرِيمُ.

وَأَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.



### الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، حَمْدًا يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ، أَحْمَدُهُ وَأَشْكُرُهُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ  
وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ  
وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا.  
أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، اتَّقُوا فِي أَنْفُسِكُمْ،  
وَاتَّقُوا فِي إِخْوَانِكُمُ الَّذِينَ يُفْتَنُونَ فِي دِينِهِمْ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُؤْمِنُونَ: بَلَغَ مِنْ وَقَاحَةِ أَعْدَائِنَا، وَأَمْنِهِمْ مِنْ غَضَبَتِنَا، أَنَّ  
مَسْئُولَهُمُ الدَّوْلِيَّ حِينَمَا أَخْبَرَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ الَّتِي سَتَسْقُطُ الْوَاحِدَةُ تَلُو الْأُخْرَى،  
وَأَنَّ قَوَّاتِهِمْ لَا تَسْتَطِيعُ إِزَاءَ ذَلِكَ عَمَلَ أَيِّ شَيْءٍ، قِيلَ لَهُ: فَمَا رَأَيْكَ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ

يَجِبُ عَلَى الضَّحَايَا ضَبْطُ النَّفْسِ!

مَا هَذِهِ الْوَقَاحَةُ؟! أَيُّ: عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَتَحَرَّكُوا، وَأَنْ يَسْتَسْلِمُوا لِلذَّبْحِ وَالْقَتْلِ، وَهُوَ لَمْ يَقُلْ مَا قَالَ إِلَّا لِيَقِينَهُ أَنَّهُ لَا أَحَدَ سَيُؤَدِّبُهُ أَوْ يُحَاسِبُهُ عَلَى هَذَا الْكَلَامِ، فَالْمُؤَامَرَةُ قَدْ وُزِعَتْ أَدْوَارُهَا فِي هَذَا الضَّعْفِ الشَّدِيدِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَكِنْ لَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ الْإِسْتِسْلَامَ وَالْخُنُوعَ، فَتَحْنُ أُمَّةٌ نَعْلَمُ يَقِينًا أَنَّنَا عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ، وَأَنَّ عَدُوَّنَا عَلَى الْبَاطِلِ وَهُوَ مُدْحُوضٌ، وَأَعْدَاؤُنَا النَّصَارَى لَا زَالُوا يَرْفَعُونَ شِعَارًا ضِدَّ دُخُولِ الْإِسْلَامِ فِي أُرُبَّاءِ، وَيَجْمَعُونَ التَّبَرُّعَاتِ لِإِخْوَانِهِمُ الصَّرْبِ تَحْتَ لَا فِتَاتٍ مَكْتُوبٍ عَلَيْهَا: ادْفَعْ دُولَارًا أَقْتُلْ لَكَ بِهِ مُسْلِمًا!

وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ الدُّوْلَارُ الْمَدْفُوعُ جَاءَ مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ وَثَرَوَاتِهِمْ عَبْرَ الْعَمَالَةِ النَّصْرَانِيَّةِ، فَمَتَى نَعْقِلُ وَنُذِرُكَ أَنَّ الْأَعْدَاءَ أَعْدَاءُ، وَلَنْ يَكُونُوا أَصْدِقَاءَ؟ وَمَتَى نَشْعُرُ بِمُصَابِ إِخْوَانِنَا؟

وَمَعَ أَنَّ دَوْلَ الصَّلِيبِ الْعُظْمَى تَقِفُ بِجَانِبِ الصَّرْبِ أَوْ عَلَى الْحِيَادِ، فَإِنَّ أَفْرَادَهُمْ أَحْسُوا بِمَسْئُولِيَّاتِهِمْ، وَأَخَذُوا يَجْمَعُونَ الْمَعُونَاتِ تَحْتَ رَايَاتِ الصَّلِيبِ؛ لِسَخِّقِ الْأُمَّةَ الْمُسْلِمَةَ فِي أُرُبَّاءِ، أَلَسْنَا أَحَقَّ بِذَلِكَ وَأَوْلَى مِنْهُمْ؟! أَيْهَا الْإِخْوَةُ: يَجِبُ أَنْ نُؤَدِّيَ حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْنَا فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ، وَلَنْ يَتَنَزَّلَ نَصْرُ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا بِذَلِكَ، يَجِبُ أَنْ يُحَسَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا أَنَّهُ وَحْدَهُ الْمَسْئُولُ أَمَامَ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّ غَيْرَهُ لَيْسَ مَسْئُولًا، فَمَاذَا عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَ؟

وَلَنَا فِي سَلَفِنَا الصَّالِحِ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ، فَهَذَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيُّ مِنْ عُلَمَاءِ الْقَرْنِ الثَّالِثِ الْهَجْرِيِّ اشْتَهَى لَحْمًا، فَقَطَعَ عَلَى نَفْسِهِ عَهْدًا أَنْ لَا يَأْكُلَهُ حَتَّى يَكُونَ مَعَ الْفَاتِحِينَ لِبِلَادِ الرُّومِ، فَمَكَثَ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَمْ يَأْكُلْ لَحْمًا حَتَّى فُتِحَتْ

وَلَنَا فِي سَلَفِنَا الصَّالِحِ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ، فَهَذَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيُّ مِنْ عُلَمَاءِ الْقَرْنِ الثَّالِثِ الْهَجْرِيِّ اشْتَهَى لَحْمًا، فَقَطَعَ عَلَى نَفْسِهِ عَهْدًا أَنْ لَا يَأْكُلَهُ حَتَّى يَكُونَ مَعَ الْفَاتِحِينَ لِبِلَادِ الرُّومِ، فَمَكَثَ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَمْ يَأْكُلْ لَحْمًا حَتَّى فُتِحَتْ

الرُّومُ، فَدَخَلَهَا فَأَكَلَهُ مِنَ الْمَغَانِمِ، وَقَدْ رَابَطَ ﷺ بِطَرُطُوسَ إِلَى أَنْ مَاتَ (٣).  
وَعُمُورِيَّةٌ فُتِحَتْ بِصَرْخَةِ امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ، حِينَما اسْتَنْجَدَتْ بِالْمُعْتَصِمِ، فَسَمِعَ  
هَذِهِ الصَّرْخَةَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي بِلَادِ الرُّومِ، فَقَطَعَ الْمَسَافَاتِ الطَّوِيلَةَ حَتَّى  
بَلَغَهَا الْمُعْتَصِمَ، وَلَمْ يَقُلْ: وَمَاذَا أَفْعَلُ وَخَدِي؟! فَكَانَتْ هَذِهِ الصَّرْخَةُ، وَذَلِكَ  
الْبَلَاغُ مِنَ الرَّجُلِ سَبِيًّا فِي جَيْشِ جَرَّارٍ أَوَّلُهُ عِنْدَ الرُّومِ وَآخِرُهُ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ.  
مَاذَا عَلَى الرَّجُلِ الَّذِي عِنْدَهُ عَمَالَةٌ مِنْ عَبَادِ الصَّلِيبِ أَنْ يَتَخَلَّى عَنْهُمْ،  
وَيَسْتَبْدِلَ بِهِمْ مُسْلِمِينَ؛ نَجْدَةً لِإِخْوَانِهِ، وَإِرْغَامًا لِلْكَفَّارِ؟

وَأَعْظَمُ شَيْءٍ يُقَدَّمُ لِإِخْوَانِنَا الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي الْبُوسَنَةِ وَالْهَرَسِكِ كَثْرَةُ الدُّعَاءِ  
لَهُمْ، وَتَحَرِّيِ أَوْقَاتِ الْإِجَابَةِ؛ فَذَلِكَ مِمَّا نُطِيقُ، فَمَا بَالُنَا نَغْفُلُ عَنِ الدُّعَاءِ  
لَهُمْ؟! مَعَ بَذْلِ الْمَالِ لَهُمْ حَسَبِ الْقُدْرَةِ وَالطَّاقَةِ.

وَيَجِبُ عَلَى أَفْرَادِ الْبَيْتِ الْمُسْلِمِ أَنْ يَعِيشُوا قَضِيَّةَ إِخْوَانِهِمْ، فَرُبُّ الْأُسْرَةِ يُذَكِّرُ  
نِسَاءَهُ وَأَوْلَادَهُ بِهَا، وَيَحْتَنُمُ عَلَى مُوَازَرَةِ إِخْوَانِهِمْ، وَإِذَا وَعَى أَفْرَادُ الْأُمَّةِ ذَلِكَ،  
وَفَهِمُوا دَوْرَهُمْ، وَأَدَّوْا وَاجِبَهُمْ تَنَزَّلَ نَصْرُ اللَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْتَلِي  
الْمُسْلِمِينَ كُلَّهُمْ بِهَذِهِ الْقَضَايَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ يَعْمَلُونَ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَيْسَ مُحْتَاجًا إِلَى  
أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ حَتَّى يُنْزَلَ نَصْرُهُ، وَلَكِنَّهُ الْإِبْتِلَاءُ وَالْإِمْتِحَانُ لَنَا، فَهَلْ نَجْتَازُهُ  
بِحُسْنِ عَمَلٍ وَاخْتِيَارٍ؟ ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَبِلُوا بِبَعْضِكُمْ بَعْضٌ﴾  
[محمد: ٤].

وَأَنَّ مَنْ ضَاقتْ نَفْسُهُ، وَتَحَسَّرَ قَلْبُهُ عَلَى مَا يُفْعَلُ بِإِخْوَانِهِ فَلَمْ يَغْمُضْ لَهُ جَفْنٌ،  
وَلَمْ يَرْقَأْ لَهُ دَمْعٌ، وَلَمْ يَهْنَأْ بِطَعَامٍ فَإِنَّهُ مَاجُورٌ عَلَى هَذَا الِهِمِّ وَالْإِحْسَاسِ، وَمَنْ  
مَدَّ يَدَهُ بِالْمَالِ وَأَكْثَرَ الدُّعَاءَ فَهُوَ مَاجُورٌ كَذَلِكَ. وَالْمُهْمُّ أَنْ لَا تَمُوتَ الْقَضِيَّةُ فِي

قُلُوبِنَا وَفِي يُبُوتِنَا وَأَسْوَاقِنَا وَأَعْمَالِنَا. وَالْفَرْجُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالنَّصْرُ بِيَدِهِ  
سُبْحَانَهُ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.  
فَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ، وَاعْرِفُوا حُقُوقَ إِخْوَانِكُمْ؛ لَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَكْشِفَ  
الضُّرَّ، وَيَزِيلَ الْكَرْبَ، وَيَسْتَجِيبَ الدُّعَاءَ.  
وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى نَبِيِّكُمْ ...



## ٣٨١- الشرق الإسلامي بين المشروع الروماني والطمع الفارسي

٣/٧/١٤٢٧هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ خَلَقَ الْخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ، وَقَضَى فِيهِمْ بِرَحْمَتِهِ وَعَدْلِهِ، لَا يَقَعُ شَيْءٌ إِلَّا بِأَمْرِهِ، وَلَا يَقْضَى شَأْنٌ إِلَّا بِعِلْمِهِ ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ يَلْقَاءَ رَبَّكُمْ تَوْفَنُونَ﴾ [الرعد: ٢]، أَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا وَأَوْلَانَا، وَأَشْكُرُهُ عَلَى مَا أَعْطَانَا وَأَوَّانَا، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ لَمْ يَقْدِرْهُ الْخَلْقُ حَقَّ قَدْرِهِ، وَلَا عَبْدُوهُ حَقَّ عِبَادَتِهِ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]. وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَحَبِيبَنَا وَقُدُونَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ؛ أَرْسَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهَدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ -عِبَادَ اللَّهِ- وَأَطِيعُوهُ؛ فَإِنَّ الْعِبَادَ مَهْمَا بَلَغُوا مُنْقَرِفُونَ إِلَى رَبِّهِمْ، مُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَحِينٍ، وَإِذَا اشْتَدَّتِ الْمِحْنُ، وَعَظُمَ الْكَرْبُ، فَلَا فَرَجَ وَلَا مَخْرَجَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيمِ الْقَدِيرِ ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَلْيَكْفُرْ اللَّهُ رَبُّكُمْ أَلَمْ يَأْتِ الْخَلْقَ قَمَازًا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣١، ٣٢].

أَيُّهَا النَّاسُ: لَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْبَشَرِ عَامَّةً بِدِينِ الْإِسْلَامِ الَّذِي هُوَ الرَّحْمَةُ وَالْعَدْلُ، ثُمَّ كَانَتِ النُّعْمَةُ الْخَاصَّةُ لِمَنْ أَسْلَمَ دِينَهُ لِلَّهِ تَعَالَى، وَاتَّبَعَ الْحَقَّ

مِنْ رَبِّهِ، وَجَانِبَ الْبَاطِلِ بِأَذْيَانِهِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَمَذَاهِبِهِ الْمُتَعَدِّدَةِ، فَانْخَلَعَ مِنْ أَدْرَانِ  
الْوُثْنِيَّةِ، وَمِنْ أَوْصَارِ الْأَذْيَانِ الْمُحَرَّفَةِ، وَسَلِمَ مِنْ ظُلُمَاتِ الْإِحْدَاثِ وَالْبِدْعَةِ،  
فَكَانَ إِسْلَامُهُ نَقِيًّا صَافِيًّا كَمَا شَرَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَارْتَضَاهُ، وَأَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ  
مُحَمَّدٍ ﷺ، وَتِلْكَ نِعْمَةٌ لَا يُدْرِكُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عِظَمَهَا وَقَدَرَهَا،  
فَلَا يَشْكُرُونَ الْمُنْعَمَ عَلَيْنَا بِهَا ﴿قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَى إِسْلَامِكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ  
لِلْإِيمَنِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحُجُرَات: ١٧].

إِنَّ الْعَرَبَ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ لَمْ يَكُونُوا شَيْئًا يُذَكَّرُ، وَلَا أُمَّةٌ تُعْرَفُ فَتَهَابُ، وَلَمْ  
يَحْسِبِ الْآخَرُونَ لَهَا أَيَّ حِسَابٍ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا قَبَائِلَ مُتَفَرِّقَةً، وَعَشَائِرَ مُتَنَاجِرَةً،  
يُفْنِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي سَبِيلِ نَاقَةٍ عُقِرَتْ، أَوْ خَيْلٍ سُبِقَتْ، أَوْ كَلِمَةٍ قِيلَتْ،  
وَكَانَتِ السِّيَادَةُ لِلْفُرْسِ وَالرُّومِ.

لَقَدْ كَانَتِ الْقَبَائِلُ الْعَرَبِيَّةُ الْمُتَاخِمَةُ لِبِلَادِ الْفُرْسِ أَوْ لِبِلَادِ الرُّومِ تَابِعَةً لِإِحْدَى  
هَاتَيْنِ الْقَوَتَيْنِ الْعَظِيمَتَيْنِ آنَ ذَاكَ؛ فَمَلُوكُهُمْ يُعَيِّنُونَ بِقَرَارَاتٍ مِنْ قُصُورِ الْأَكَاسِرَةِ  
وَالْقِيَاصِرَةِ، وَأَبْنَاؤُهُمْ يُرْمَى بِهِمْ بَيْنَ السُّيُوفِ وَالرِّمَاحِ لِصُنْعِ أَمْجَادٍ لَيْسَتْ لَهُمْ،  
وَلِنَّمَا هِيَ لِمُلُوكِ الْفُرْسِ وَالرُّومِ، فَاضْطَنَعَ الْفُرسُ قَبِيلَةَ لَحْمٍ وَمَنَحُوا رُؤُسَاءَهَا  
لَقَبَ «الْمُلُوكِ» فَكَانَ مِنْهُمْ مُلُوكُ الْمَنَازِرَةِ<sup>(١)</sup>، وَاضْطَنَعَ الرُّومُ قَبِيلَةَ تَنُوحٍ وَمَنَحُوا  
رُؤُسَاءَهَا أَيْضًا لَقَبَ «الْمُلُوكِ» فَكَانَ مِنْهُمْ مُلُوكُ عَسَانَ<sup>(٢)</sup>، وَكَمْ أُهْرِيقَتْ مِنْ دِمَاءٍ  
لِأَبْنَاءِ هَاتَيْنِ الْقَبِيلَتَيْنِ وَأَحْلَافِهِمَا فِي سَبِيلِ عَرْشِي كِسْرَى وَقَيْصَرَ.

وَالْحَرْبُ بَيْنَ فَارِسَ وَالرُّومِ قَدِيمَةٌ قَدَمَ دَوْلَتَيْهِمَا، تَكُونُ الْعَلْبَةُ لِلْفُرسِ تَارَةً،  
وَتَارَةً أُخْرَى تَكُونُ الْعَلْبَةُ لِلرُّومَانِ. وَالْفُرسُ أَسْبَقُ فِي الدَّوْلَةِ وَالْقُوَّةِ مِنَ الرُّومَانِ.

(١) ينظر: تاريخ الطبري (١/١٩٢)، وتاريخ ابن خلدون (٢/٢٠٩) وما بعدها.

(٢) ينظر تاريخ ابن خلدون (٢/٣٣٣) وما بعدها.

وَلَمَّا سُبِيَ الْيَهُودُ بِأَيْدِي الْبَابِلِيِّينَ وَنُقِلُوا إِلَى الْعِرَاقِ أَعَادَهُمْ إِمْبَرَاطُورُ فَارِسَ قُورْشُ الْإِخْمِينِي إِلَى فِلَسْطِينَ<sup>(٣)</sup> قَبْلَ مِيلَادِ الْمَسِيحِ ﷺ بِخَمْسَةِ قُرُونٍ وَزِيَادَةٍ، وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ تَقَارُبٍ تَارِيخِيٍّ بَيْنَ الْفُرسِ وَالْيَهُودِ.

وَقَبْلَ الْمِيلَادِ بِثَلَاثَةِ قُرُونٍ وَزِيَادَةٍ قَامَتِ لِلرُّومَانِ دَوْلَةٌ وَثَنِيَّةٌ قَوِيَّةٌ عَلَى يَدِ الْإِسْكَندَرِ الْمَقْدُونِي<sup>(٤)</sup> الَّذِي يَعُدُّهُ الْأَوْرُبِيُّونَ أَعْظَمَ قَائِدِ رُومَانِيٍّ فِي التَّارِيخِ، فَقَضَى عَلَى دَوْلَةِ الْفُرسِ، وَضَمَّهَا إِلَى مَمْلَكَتِهِ، وَلَكِنَّ الْفُرسَ أَعَادُوا دَوْلَتَهُمْ بَعْدَ قَرْنٍ مِنَ الزَّمَانِ، وَقَوِيَتْ دَوْلَتُهُمْ بَعْدَ قُرُونٍ خَمْسَةٍ فِي عَهْدِ السَّاسَانِيِّينَ، وَظَلَّتِ الْحُرُوبُ وَالثَّارَاتُ مُشْتَغِلَةً بَيْنَ الْفُرسِ وَالرُّومِ قُرُونًا تَبَاعًا، وَكَانَتْ قَبَائِلُ الْعَرَبِ مِنْ حَطَبِ حُرُوبِهِمْ.

وَبَعْدَ بَعْثَةِ النَّبِيِّ ﷺ شَنَّ كِسْرَى الْفُرسِ إِبْرَوِيزَ حَرْبًا ضَرُوسًا عَلَى الرُّومِ اسْتَوْلَى فِيهَا عَلَى بِلَادِ الشَّامِ وَمِصْرَ، وَسَلَبَ الرُّومَانَ صُلَيْبَهُمُ الْأَكْبَرَ، وَنَقَلَهُ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَى الْمَدَائِنِ عَاصِمَةِ الْفُرسِ.

وَهَذِهِ الْحَادِثَةُ هِيَ الَّتِي ذُكِرَتْ فِي الْقُرْآنِ ﴿الْعَلَمَ ۝ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِي أَذَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَافِلُونَ ۝﴾ فِي بَيْضِ سِنِينَ<sup>١</sup> لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿[الروم: ١-٦]؛ أَيُّ: غَلِبَهُمُ الْفُرسُ، وَسَيُغْلِبُ الْفُرسُ عَلَى أَيْدِي الرُّومَانِ بِوَعْدٍ مِنَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ؛ وَوَقَعَ ذَلِكَ؛ إِذْ تَوَلَّى هِرَقْلُ عَرْشَ الْقِيَاصِرَةِ فَشَنَّ حَرْبًا ضَرُوسًا عَلَى

(٣) ينظر: المنتظم (٤١٠/١) وما بعدها، وتاريخ ابن خلدون (١٢٦/٢-١٣٦)، والأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل لمجير الدين الحنبلي (١٥١/١) وما بعدها.

(٤) تنظر أخباره في: تاريخ الطبري (٣٣٥/١)، والمنتظم (٣٣٥/١)، والكامل (٢١٤/١) وما بعدها، وتاريخ ابن خلدون (٢٢٠/٢).

الْفُرْسِ اسْتَرَدَّ بِهَا الشَّامَ وَمِصْرَ، وَهَاجَمَ الْفُرْسَ فِي بِلَادِهِمْ، وَكَسَرَ قُوَّتَهُمْ، وَاسْتَوْلَى عَلَى أَمْوَالِهِمْ، وَفَرَضَ الْجِزْيَةَ عَلَيْهِمْ<sup>(٥)</sup>.

وَوَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا بَيْنَ الْفُرْسِ وَالرُّومِ لِيَبْدَأَ عَهْدٌ جَدِيدٌ عَلَى أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ؛ إِذْ بَشَّرَ النَّبِيُّ ﷺ بِفَتْحِ بِلَادِ الْفُرْسِ وَبِلَادِ الرُّومِ، فَقَالَ ﷺ: «إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ<sup>(٦)</sup>، وَفِي حَدِيثِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «لَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَفْتَحَنَّ كُنُوزَ كِسْرَى»<sup>(٧)</sup>.

وَبَشَّرَ ﷺ أَوَّلَ جَيْشٍ مُسْلِمٍ يَغْزُو الرُّومَ فَقَالَ ﷺ: «أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ<sup>(٨)</sup>.

وَأُخْبِرَ عَنِ الْإِسْتِيلَاءِ عَلَى قَصْرِ كِسْرَى فَقَالَ ﷺ: «عُصْبَةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَفْتَتِحُونَ الْبَيْتَ الْأَبْيَضَ بَيْتَ كِسْرَى» رَوَاهُ مُسْلِمٌ<sup>(٩)</sup>.

وَلَمَّا وَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَقَبَ صَلَاحُ الْحَدِيثِ كَتَبَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى مُلُوكِ الْعَالَمِ آنَذَاكَ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَمِنْهُمْ كِسْرَى

(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٤٢٧/٣) تفسير أول سورة الروم.

(٦) أخرجه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: البخاري في أبواب الخمس، باب قول النبي ﷺ «أحلت لكم الغنائم» (٢٩٥٢)، ومسلم في الفتن وأشراف الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر رجل بقبر رجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء (٢٩١٨).

وجاء من حديث جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند: البخاري (٢٩٥٣)، ومسلم (٢٩١٩).

(٧) أخرجه البخاري في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٣٤٠٠)، والترمذي في التفسير، باب ومن سورة الفاتحة (٢٩٥٣).

(٨) أخرجه من حديث أم حرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: البخاري في الجهاد والسير، باب ما قيل في قتال الروم (٢٧٦٦).

(٩) أخرجه من حديث جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مسلم في الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش (١٨٢٢).



وَقَيْصَرُ؛ فَأَمَّا كِسْرَى فَأَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ، وَاسْتَكْبَرَ ذَلِكَ وَاسْتَعْظَمَهُ؛ لِمَا قَامَ فِي قُلُوبِ الْفُرْسِ مِنْ احْتِقَارِ الْعَرَبِ، وَالْإِزْرَاءِ بِهِمْ، فَمَزَّقَ كِتَابَ النَّبِيِّ ﷺ، فَدَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُمَزَّقَ اللَّهُ مُلْكُهُ كُلَّ مُمَزَّقٍ<sup>(١٠)</sup>.

وَأَمَّا قَيْصَرُ الرُّومِ فَقَدْ مَشَى مِنْ حِمَصَ إِلَى الْقُدْسِ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى لِمَا نَصَرَهُ عَلَى الْفُرْسِ، فَوَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابُ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ طَلَبَ أَحَدًا مِنَ الْعَرَبِ يَسْأَلُهُمْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَكَانَ الْمَسْئُولُ أَبَا سُفْيَانَ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ، وَجَرَتْ الْمُحَاوَرَةُ الْمَشْهُورَةُ الَّتِي أَعْلَنَ فِيهَا هِرْقُلُ صِدْقَ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ لِأَبِي سُفْيَانَ: «وَأِنْ يَكُ مَا قُلْتَ حَقًّا فَيُوشِكُ أَنْ يَمْلِكَ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَلَوْ أَرَجُو أَنْ أَخْلُصَ إِلَيْهِ لَتَجَشَّسْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ قَدَمَيْهِ»<sup>(١١)</sup>، وَكَادَ هِرْقُلُ أَنْ يُسَلِّمَ؛ لَوْلَا خَوْفُهُ عَلَى مُلْكِهِ. فَخَسِرَ الْإِسْلَامُ، وَمَا بَقِيَ لَهُ الْمُلْكُ.

وَبَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَوَفَاةِ الصَّدِيقِ أَبِي بَكْرٍ ﷺ، وَفِي خِلَافَةِ الْفَارُوقِ عُمَرَ ﷺ كَسَرَ الْمُسْلِمُونَ الرُّومَ فِي وَفْعَةِ الْيَرْمُوكِ، وَفَتَحُوا الشَّامَ وَبَيْتَ الْمَقْدِسِ بِقِيَادَةِ خَالِدٍ وَأَبِي عُبَيْدَةَ ﷺ، وَوَدَّعَ هِرْقُلُ سُورِيَّةً وَدَاعَا لَا لِقَاءَ بَعْدَهُ<sup>(١٢)</sup>.

ثُمَّ كَسَرَ الْمُسْلِمُونَ الْفُرْسَ فِي الْقَادِيسِيَّةِ بِقِيَادَةِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ، وَتَتَبَعَهُمْ سَعْدٌ فِي مَوَاقِعَ كَثِيرَةٍ إِلَى أَنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْمَدَائِنَ عَاصِمَةَ الْفُرْسِ،

(١٠) كما في حديث ابن عباس ﷺ عند: البخاري في المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر (٤١٦٢).

(١١) كما في حديث ابن عباس ﷺ في قصة لقاء هرقل أبي سفيان ﷺ عند: البخاري في الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة، وأن لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله (٢٧٨٢).

(١٢) ينظر: فتوح البلدان للبلاذري (١٤٢)، والبداية والنهاية (٥٣/٧)، والكمال (٣٤١-٣٤٢/٢)، وبغية الطلب في تاريخ حلب (٥٧٤/١).

وَأَخْضَعَهَا لِلْإِسْلَامِ، وَدَخَلَ سَعْدٌ قَصْرَ كِسْرَى الْأَبْيَضِ الَّذِي بَشَّرَ النَّبِيُّ ﷺ بِفَتْحِهِ، وَصَلَّى سَعْدٌ ﷺ فِي إِيَوَانِهِ<sup>(١٣)</sup>. ثُمَّ قَضَى الْمُسْلِمُونَ عَلَى تَجَمُّعَاتِ الْفُرسِ فِي نَهَاوَنْدَ بِقِيَادَةِ النُّعْمَانِ بْنِ مُقَرَّرٍ الْمُزْنِيِّ ﷺ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ لِلْهِجْرَةِ<sup>(١٤)</sup>.

وَهَكَذَا انْتَهَتْ الدَّوْلَتَانِ الْعَظِيمَتَانِ آنَذَاكَ؛ فَارِسُ وَالرُّومُ عَلَى أَيْدِي أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَأَمَّا شُعُوبُ هَاتَيْنِ الدَّوْلَتَيْنِ، فَكَثِيرٌ مِنْهُنَّ دَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى، وَبَقِيَ كَثِيرٌ مِنْهُنَّ تَحْتَ حُكْمِ الْمُسْلِمِينَ بِعَقْدِ الذِّمَّةِ، ثُمَّ أَسْلَمَ أَكْثَرُهُمْ لَمَّا عَرَفُوا الْإِسْلَامَ، وَرَأَوْا عَدْلَ الْمُسْلِمِينَ فِيهِمْ، وَرَحْمَتَهُمْ بِهِمْ، حَتَّى كَانُوا أَرْحَمَ بِهِمْ مَنْ سَاسَتْهُمْ الَّذِينَ حَكَمُوهُمْ مِنْ قَبْلُ، وَبَعْضُهُمْ هَاجَرُوا إِلَى بِلَادٍ لَمْ يَصِلْهَا الْإِسْلَامُ، وَبَعْضُهُمْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ وَأَبْطَنَ الْكُفْرَ، وَعَمِلَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الْبَاطِنِيُّونَ عَلَى زَعَرَةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ دَاخِلِهِمْ بِبَثِّ الْفُرْقَةِ بَيْنَهُمْ، وَنَشْرِ الْأَرَاجِيفِ فِيهِمْ.

وَذَاتَ يَوْمٍ ظَهَرَ الْحَقْدُ الْفَارِسِيُّ الْمَجُوسِيُّ عَلَى عَمَرَ ﷺ الَّذِي فُتِحَتْ فَارِسُ فِي خِلَافَتِهِ؛ إِذْ طَعَنَهُ غُلَامٌ مَجُوسِيٌّ كَانَ يَمْسَحُ عَلَى رُؤُوسِ الصَّبِيَّانِ الْفُرسِ وَيَقُولُ: أَكَلَتِ الْعَرَبُ كَبِدِي، أَكَلَ عَمْرُ كَبِدِي<sup>(١٥)</sup>، فَغَدَرَ بِالْمُسْلِمِينَ وَقَدْ أَمَّنُوهُ، وَقَتَلَ خَلِيفَتَهُمْ وَهُوَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ ثُمَّ قَتَلَ نَفْسَهُ.

وَبَعْدَهَا بِسَنَوَاتٍ قَلِيلٍ أَظْهَرَ ابْنُ سَبِيٍّ الْيَهُودِيُّ الْمُنَافِقُ نِقْمَتَهُ عَلَى عُثْمَانَ ﷺ، وَأَتْبَعَهَا بِادِّعَاءِ التَّشْيِيعِ لِآلِ الْبَيْتِ، حَتَّى عَلَا كَعْبُهُ، وَظَهَرَ أَمْرُهُ،

(١٣) ينظر تفصيل ذلك في: الكامل (٢/ ٢٩٤-٣٣٤)، والبداية والنهاية (٧/ ٣٧-٦٩).

(١٤) ينظر: الكامل (٢/ ٤١٢)، والبداية والنهاية (٧/ ١٠٦).

(١٥) ينظر: طبقات ابن سعد (٣/ ٢٦٤)، وتاريخ الطبري (٢/ ٥٣٠)، وقد سبق الخبر وتخريجه في مجلد (٤) خطبة رقم (١٥٤).

وَزَادَ أَتْبَاعُهُ، فَسَارَ عَلَى رَأْسِ فِتْنَةٍ قَتَلُوا فِيهَا الْخَلِيفَةَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ <sup>(١٦)</sup>، وَمِنْ ثَمَّ  
فَرَّقُوا الْأُمَّةَ، وَقَسَمُوهَا إِلَى طَوَائِفَ وَمَذَاهِبَ، وَاسْتَحْسَنَ كَثِيرٌ مِنَ الْفُرْسِ  
الْتِمَذُّبَ بِالْمَذَاهِبِ السَّبْيِيَّةِ الْبَاطِنِيَّةِ الَّتِي تَدَّعِي التَّشْيِعَ لِآلِ الْبَيْتِ؛ بَعْضًا  
لِلْعَرَبِ، وَمُخَالَفَةً لَهُمْ، لَا مَحَبَّةَ لِآلِ الْبَيْتِ، وَتَبِعَهُمْ فِي ضَلَالِهِمْ هَذَا كَثِيرٌ مِنْ  
دَهْمَاءِ الْعَرَبِ وَجُهَالِهِمْ، وَعَادَتِ الْعُنْصُرِيَّةُ الْفَارِسِيَّةُ لِأَهْلِهَا مِنْ جَدِيدٍ، رَغَمَ أَنَّ  
الْإِسْلَامَ أَلْعَى الْعُنْصُرِيَّاتِ وَالْعَصَبِيَّاتِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْمَذَاهِبُ الْبَاطِنِيَّةُ  
قَدْ اسْتَمَدَّتْ أَكْثَرَ عَقَائِدِهَا مِنْ عَقَائِدِ الْيَهُودِ وَمَبَادِيئِهِمْ، وَكَانَ هَذَا هُوَ التَّقَارُبُ  
الثَّانِي بَيْنَ الْفُرْسِ وَالْيَهُودِ <sup>(١٧)</sup>.

(١٦) ينظر: خمس خطب متوالية في: فتنة مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في المجلد (٦) خطب رقم  
(٢١٠-٢١١-٢١٢-٢١٣-٢١٤).

(١٧) أوجه التشابه بين المذاهب الباطنية ودين اليهود كثيرة جدًا، وأبرزُ الباطنيين وأقواهم  
وأكثرهم في هذا العصر الإمامية الاثنا عشرية، وقد شابته اليهود في كثير من دينها.  
روى عبد الرحمن بن مالك بن مغول عن أبيه قال الشعبي: يا مالك، لو أردت أن أطا  
رقابهم عبيدًا، ويملؤوا بيتي ذهبًا على أن أكذب لهم على علي، ولكن والله لا أكذب عليه  
أبدًا، يا مالك إني درست الأهواء فلم أر قومًا أحق من الخشية، ولو كانوا من الدواب  
كانوا حمراء، ولو كانوا من الطير كانوا رخما، ثم قال: أحذركم الأهواء المضلة وشرها  
الرافضة؛ وذلك أن منهم يهودًا يغمصون الإسلام ليتجاوزوا بضلاتهم كما يغمص طويس بن  
شاوول ملك اليهود والنصرانية ليتجاوزوا بضلاتهم، ثم قال: لم يدخلوا في الإسلام رغبة  
عنه، ولا رهبة من الله سُبْحَانَهُ، ولكن مقتًا لأهل الإسلام ويغيًا عليهم، قد حرقهم علي بن  
أبي طالب بالنار، ونفاهم في البلدان، منهم عبد الله بن سبأ، نفاه إلى إسباط وعبد الله بن  
يسار نفاه إلى حازه وأبو الكروس، وآية ذلك أن محنة الرافضة محنة اليهود، قالت اليهود:  
لا تصلح الإمامة إلا لرجل من آل داود، وقالت الرافضة: لا تصلح الإمامة إلا لرجل من  
ولد علي بن أبي طالب. وقالت اليهود: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح  
الدجال، وينزل سبب من السماء، وقالت الرافضة: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج  
المهدي، وينادي مناد من السماء. واليهود يؤخرون صلاة المغرب حتى تشتبك النجوم،  
وكذلك الرافضة، والحديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تزال أمتي على الفطرة ما لم =

= يؤخروا صلاة المغرب حتى تَشْتَبِكَ النجوم». واليهود تزول عن القبلة شيئًا، وكذلك الرافضة. واليهود تنود في الصلاة وكذلك الرافضة، ومرو رسول الله ﷺ برجل قد سدل ثوبه فغمصه عليه، واليهود يستحلون دم كل مسلم وكذلك الرافضة. واليهود لا يرون على النساء عدة وكذلك الرافضة. واليهود لا يرون الطلاق الثلاث شيئًا وكذلك الرافضة. واليهود حرفوا التوراة وكذلك الرافضة حرفوا القرآن. واليهود يبغضون جبريل ويقولون: هو عدونا من الملائكة، وكذلك صنف من الرافضة يقولون غلط بالوحي إلى محمد ﷺ. رواه الخلال في السنة (٧٩١)، واللالكائي في السنة (٢٨٢٣).

وعلق شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- على هذا الأثر تعليقًا متينًا مليًا بالعلم والفائدة والتحقيق فقال: «هذا الأثر قد روي عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول من وجوه متعددة يصدق بعضها بعضًا، وبعضها يزيد على بعض. لكن عبد الرحمن بن مالك بن مغول ضعيف، وذم الشعبي لهم ثابت من طرق أخرى، لكن لفظ الرافضة إنما ظهر لما رفضوا زيد بن علي بن الحسين في خلافة هشام، وقصة زيد بن علي بن الحسين كانت بعد العشرين ومائة، سنة إحدى وعشرين أو اثنتين وعشرين ومائة في أواخر خلافة هشام. قال أبو حاتم البستي: قتل زيد بن علي بن الحسين بالكوفة سنة اثنتين وعشرين ومائة، وصلب على خشبة، وكان من أفاضل أهل البيت وعلمائهم، وكانت الشيعة تنتحله. قلت: ومن زمن خروج زيد افتقرت الشيعة إلى رافضة وزيدية؛ فإنه لما سئل عن أبي بكر وعمر فترحم عليهما رفضه قوم، فقال لهم: رفضتموني، فسموا رافضة؛ لرفضهم إياه، وسُمِّيَ مَنْ لَمْ يَرْفُضْهُ مِنَ الشَّيْعَةِ زَيْدِيًّا؛ لانتسابهم إليه. ولما صلب كانت العباد تأتي إلى خشبته بالليل فيتعبدون عندها، والشعبي توفي في أوائل خلافة هشام أو آخر خلافة يزيد بن عبد الملك أخيه سنة خمس ومائة أو قريبًا من ذلك، فلم يكن لفظ الرافضة معروفًا إذ ذاك. وبهذا وغيره يعرف كذب لفظ الأحاديث المرفوعة التي فيها لفظ الرافضة، ولكن كانوا يسمون بغير ذلك الاسم كما كانوا يسمون الخشبية؛ لقولهم: إنا لا نقاتل بالسيف إلا مع إمام معصوم، فقاتلوا بالخشب؛ ولهذا جاء في بعض الروايات عن الشعبي قال: ما رأيت أحق من الخشبية. فيكون المعبر عنهم بلفظ الرافضة ذكره بالمعنى، مع ضعف عبد الرحمن، ومع أن الظاهر أن هذا الكلام إنما هو نظم عبد الرحمن بن مالك بن مغول وتأليفه، وقد سمع طرقًا منه عن الشعبي، وسواء كان هو ألفه أو نظمه لما رآه من أمور الشيعة في زمانه، ولما سمعه عنهم أو لما سمع من أقوال أهل العلم فيهم أو بعضه أو مجموع الأمرين أو بعضه =

وَبَلَغَ مِنْ عَصِيَّةِ الْبَاطِنِيِّينَ وَحَقْدِهِمْ أَنَّهُمْ مَالَتْوَا أَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ طَوَالَ تَارِيخِهِمْ؛ فَالْعَبِيدِيُّونَ الْبَاطِنِيُّونَ فِي مِصْرَ وَالشَّامِ سَلَّمُوا رِقَابَ الْمُسْلِمِينَ لِلصَّلَيبِيِّينَ فِي الْحَمْلَةِ الصَّلَيبِيَّةِ الْأُولَى، وَلَمْ يَنْجُ مِنْ سُيُوفِ الصَّلَيبِيِّينَ إِلَّا حَاكِمُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ مِنْ قِبَلِ بَنِي عُبَيْدٍ وَحَاشِيَتِهِ وَأَهْلِهِ؛ إِذْ خَرَجُوا مِنَ الْقُدْسِ سَالِمِينَ بِأَعْيُنِ الصَّلَيبِيِّينَ الَّذِينَ قَتَلُوا كَافَّةَ الْمُسْلِمِينَ.

وَإِخْوَانُهُمُ الْفَرَامِطَةُ الْمَجُوسُ هُمُ الَّذِينَ قَتَلُوا الْحُجَّاجَ فِي حَرَمِ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ التَّرْوِيَةِ، وَرَدَّمُوا بِجُثَّتِهِمْ بِثَرَزْمَ، وَاقْتَلَعُوا الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ وَأَخَذُوهُ مَعَهُمْ، وَخَطَبَ رَأْسُهُمْ أَبُو طَاهِرٍ الْقُرْمِطِيُّ الْمَجُوسِيُّ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ مُدْعِيًا الرُّبُوبِيَّةَ، مُسْتَهْزِئًا بِسُورَةِ الْفِيلِ، سَائِلًا عَنِ الطَّيْرِ الْأَبَايِلِ، عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ مَا يَسْتَحِقُّ (١٨).

= لهذا وبعضه لهذا، فهذا الكلام معروف بالدليل لا يحتاج إلى نقل وإسناد وقول القائل: إن الرافضة تفعل كذا وكذا المراد به بعض الرافضة كقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّى بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة: ٦٤] لم يقل ذلك كل يهودي بل قاله بعضهم، وكذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لَهُمْ الْإِنْسَانُ إِنَّهُ الْنَّاسُ قَدْ جَعَلُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣] المراد به جنس الناس، وإلا فمعلوم أن القائل لهم غير الجامع وغير المخاطبين المجموع لهم، وما ذكره موجود في الرافضة، وفيهم أضعاف ما ذكر مثل: تحريم بعضهم للحم الأوز والجمل مشابهة لليهود، ومثل جمعهم بين الصلاتين دائماً، فلا يصلون إلا في ثلاثة أوقات؛ مشابهة لليهود، ومثل قولهم: إنه لا يقع الطلاق إلا بإشهاد على الزوج، مشابهة لليهود، ومثل تنجيسهم لأبدان غيرهم من المسلمين وأهل الكتاب وتحريمهم لذبائحهم، وتنجيس ما يصيب ذلك من المياه والمائعات، وغسل الأنية التي يأكل منها غيرهم؛ مشابهة للسامرة الذين هم شر اليهود؛ ولهذا يجعلهم الناس في المسلمين كالسامرة في اليهود، ومثل استعمالهم التقية وإظهار خلاف ما يبطنون من العداوة مشابهة لليهود، ونظائر ذلك كثير منهاج السنة النبوية (١/٣٤-٣٨) وسأورد بعد حواشي الخطبة، دراسة مختصرة رصينة للدكتور طه الدليمي رصد فيها أوجه التشابه بين الرافضة واليهود.

(١٨) البداية والنهاية (١١/١٦٠)، والعبر في خبر من غير (٢/١٧٣)، والكمال (٧/٥٣)، وتاريخ ابن خلدون (٣/٤٧٢)، والوافي بالوفيات (١٥/٢٢٥).

وَنَصِيرُ الدِّينِ الطُّوسِيِّ وَالْمُوَيْدُ ابْنُ الْعَلْقَمِيِّ سَهْلًا لِلتَّارِ عَزَّوْ بَغْدَادَ وَالْقَضَاءُ عَلَى الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ فِي مُؤَامَرَةٍ قَدَرَةٍ حَفِظَهَا التَّارِيخُ لِلْبَاطِنِيِّينَ<sup>(١٩)</sup>.

(١٩) وفي أحداث سنة ٦٥٤ قال المقرئ: «وفيها وصلت جواسيس هولكو إلى الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي، وتحدثوا معه ووعدوا جماعة من أمراء بغداد مواعيد، والخليفة في لهوه لا يعبأ بشيء من ذلك» السلوك (١/٤٩٠-٤٩١). وقال ابن كثير: «وكان الوزير ابن العلقمي قبل هذه الحادثة يجتهد في صرف الجيوش، وإسقاط اسمهم من الديوان فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر قريباً من مائة ألف مقاتل منهم من الأمراء من هو كالمملوك الأكابر الأكاسر، فلم يزل يجتهد في تقليلهم إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف، ثم كاتب التتار وأطمعهم في أخذ البلاد، وسهل عليهم ذلك، وحكى لهم حقيقة الحال، وكشف لهم ضعف الرجال؛ وذلك كله طمعاً منه أن يزيل السنة بالكلية، وأن يظهر البدعة الرافضة، وأن يقيم خليفة من الفاطميين، وأن يبید العلماء والمفتين، والله غالب على أمره، وقد رد كيد في نحره، وأذله بعد العزة القساء، وجعله حوشكاشا للتتار بعد ما كان وزيراً للخلفاء، واكتسب إثم من قتل ببغداد من الرجال والنساء والأطفال، فالحكم لله العلي الكبير رب الأرض والسماء» البداية والنهاية (١٣/٢٠٢). وقال أبو المحاسن بن تغري: «وكان الوزير ابن العلقمي مع ذلك يصانع التتار في الباطن ويكاتبهم ويهاديهم، فلما استخلف المستنصر بعد موت أبيه المستنصر، وكان المستنصر خلياً من الرأي والتدبير، فأشار عليه ابن العلقمي المذكور بقطع أرزاق أكثر الجند، وأنه بمصانعة التتار وإكرامهم يحصل بذلك المقصود، ولا حاجة لكثرة الجند ففعل الخليفة ذلك! قلت: وكلمة الشيخ مطاعة! ثم إن الوزير بعد ذلك كاتب التتار وأطمعهم في البلاد سراً، وأرسل إليهم غلامه وأخاه وسهّل عليهم فتح العراق وأخذ بغداد، وطلب منهم أن يكون نائبهم بالبلاد فوعده بذلك، وتأهبوا لقصد بغداد وكاتبوا لؤلؤاً صاحب الموصل في تهئية الإقامات والسلاح، فكاتب لؤلؤ الخليفة سراً وحذره، ثم هيا لهم الآلات والإقامات. وكان الوزير ابن العلقمي المذكور ليس لأحد معه كلام في تدبير أمر الخليفة، فصار لا يوصل مكاتبات لؤلؤ ولا غيره للخليفة، وعمى عنه الأخبار والنصائح، فكان يقرؤها هو ويجيب عنها بما يختار، فنتج أمر التتار بذلك غاية التتاج وأخذ أمر الخليفة والمسلمين في إدبار! وكان تاج الدين بن صلاحيا نائب الخليفة بإربل حذر الخليفة وحرك عزمه، والخليفة لا يتحرك ولا يستيقظ! فلما تحقق الخليفة حركة التتار نحوه سير إليهم شرف الدين بن محيي الدين ابن الجوزي رسولا يهدم بأموال عظيمة، ثم سير مائة =

وَالصَّفَوِيُّونَ الْبَاطِنِيُّونَ اسْتَعَانُوا بِأَعْدَائِهِمُ الرُّومَانَ ضِدَّ خِلَافَةِ بَنِي عُثْمَانَ، وَكَانُوا مِنْ أَهَمِّ الْأَسْبَابِ الَّتِي حَالَتْ دُونَ فَتْحِ الْعُثْمَانِيِّينَ لِأُورُشَلِيمَ الْعَرَبِيَّةِ؛ إِذْ وَقَفَتْ جُيُوشُ بَنِي عُثْمَانَ عَلَى أَبْوَابِ فَيْتَا بِسَبِيهِمْ<sup>(٢٠)</sup>. وَلِلْفَرَسِ الْمَجُوسِ

= رجل إلى الدربند يكونون فيه يطالعون الخليفة بالأخبار، فمضوا فلم يطلع لهم خبر؛ لأنّ الأكراد الذين كانوا هناك دلّوا التّار عليهم، فهجموا عليهم وقتلوه أجمعين. ثم ركب هولاء بن تولي خان بن كز خان في جيوشه من المغل والتّار وقصدوا العراق، وكان على مقدّمته الأمير بايجونوين، وفي جيشه خلق من أهل الكرخ الرافضة ومن عسكر بركة خان ابن عمّ هولاء «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (٤٨-٤٩)». وقال السيوطي: «ولم يتم للوزير ما أراد، وذاق من التّار الذل والهوان، ولم تطل أيامه بعد ذلك» تاريخ الخلفاء (٤٧٢).

وقال مؤرخ الشيعة الميرزا محمد باقر الخونساري في كتابه (روضات الجنات) الطبعة الثانية ص ٥٧٨، في ترجمة نصير الدين الطوسي: «ومن جملة أمره المشهور المعروف المنقول حكاية استيزاره للسلطان المحتشم في محروسة إيران هولاء بن تولي خان بن جنكز خان من عظماء سلاطين التتارية وأتراك المغول، ومجيئه في موكب السلطان المؤيد مع كمال الاستعداد إلى دار السلام بغداد لإرشاد العباد وإصلاح البلاد، وقطع دابر سلسلة البغي والفساد، وإخماد نائرة الجور والإلباس بإبادة دائرة ملك بني العباس، وإيقاع القتل العام من أتباع الطغام إلى أن أسال من دمائهم الأقدار كأمثال الأنهار، فانهار بها في ماء دجلة ومنها إلى نار جهنم دار البوار ومحل الأشقياء الأشرار» اهـ.

والطوائف الباطنية اليوم ليس بينهم وبين اليهود والنصارى عداً حقيقي، وهم يتفقون جميعاً على أهل السنة، وإن كانت شعارات الروافض تظهر العداء لإسرائيل وأمريكا، لكن الواقع يكذب هذه الشعارات الجوفاء، وبعض قادة اليهود يعترفون بذلك، يقول شارون في مذكراته: توسعنا في كلامنا عن علاقات المسيحيين بسائر الطوائف الأخرى، لا سيما الشيعة والدروز شخصياً طلبت منهم توثيق الروابط مع هاتين الأقليتين، حتى إنني اقترحت إعطاء قسم من الأسلحة التي منحتها إسرائيل ولو كبادرة رمزية إلى الشيعة الذين يعانون هم أيضاً مشاكل خطيرة مع منظمة التحرير الفلسطينية، ومن دون الدخول في أي تفاصيل، لم أر يوماً في الشيعة أعداء إسرائيل على المدى البعيد. مذكرات شارون (٥٨٣-٥٨٤) الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ترجمة أنطوان عبيد، مكتبة بيسان، بيروت.

(٢٠) ينظر: أزمة الخليج الرابعة، هل تعيد الصراع بين الفرس والروم، د. عبدالعزيز كامل، مجلة البيان عدد (٢٢٦) ص (٦٤).

وَأَتْبَاعِهِمْ مِنَ الْبَاطِنِيِّينَ الْعَرَبِ صَوْلَاتٌ وَجَوْلَاتٌ وَخِيَانَاتٌ أَيَّامَ الْإِسْتِعْمَارِ  
الْعَرَبِيِّ لِبِلَادِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ.

وَلَا زَالَ كَيْدُهُمْ وَمَكْرُهُمْ بِأَهْلِ الْإِسْلَامِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا، وَظَهَرَ لِكُلِّ النَّاسِ فِي  
الْحُمْلَةِ الْإِسْتِعْمَارِيَّةِ الْإِنْجِيلِيَّةِ الْجَدِيدَةِ دَوْرُ الْفُرْسِ فِي إِسْقَاطِ الْعِرَاقِ وَبِلَادِ  
الْأَفْغَانِ تَحْتَ أَفْدَامِ الْإِخْتِلَالِ، وَمُفَاخَرَتُهُمْ بِذَلِكَ وَإِعْلَانُهُ عَلَى الْمَلَأِ دُونَ حَيَاءٍ  
وَلَا مُوَارِيَّةٍ، وَمِنْ ثَمَّ عَمِلُوا مِنَ الْجَرَائِمِ الْبَشِيعَةِ بِأَهْلِ الْإِسْلَامِ مَا هَابَ الْمُحْتَلُّ  
الصَّائِلُ أَنْ يَعْمَلَ مِثْلَهُ؛ فَهَذِهِ حَالُ الْفُرْسِ الْبَاطِنِيِّينَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ.

وَأَمَّا الرُّومَانُ فَقَدْ سَيَّرُوا لِلْمَشْرِقِ الْمُسْلِمِ خِلَالَ مِثْنَيْ سَنَةٍ ثَمَانِي حَمَلَاتٍ  
صَلِيبِيَّةٍ كُبْرَى، وَقَضَوْا عَلَى الْإِسْلَامِ فِي الْأَنْدَلُسِ، وَأَبَادُوا الْمُسْلِمِينَ فِيهَا،  
وَنَصَرُوا مَنْ سَلِمَ مِنَ الْإِبَادَةِ وَالتَّهْجِيرِ. وَعَقِبَ سُقُوطِ الْخِلَافَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ انْتَهَبُوا  
أَمْصَارَ الْمُسْلِمِينَ، وَقَسَّمُواهَا بَيْنَهُمْ فِيمَا عُرِفَ بِالْإِسْتِعْمَارِ وَالْإِتْدَابِ الْأَجْنَبِيِّ،  
وَمَا خَرَجُوا مِنْهَا إِلَّا وَقَدْ سَيَّطَرُوا عَلَيْهَا سِيَاسِيًّا وَعَسْكَرِيًّا وَاقْتِصَادِيًّا، وَلَا زَالَ  
هَذَا دَأْبُهُمْ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا.

تِلْكَ كَانَتْ أَبْرَزَ الْعَنَاوِينِ فِي عِلَاقَةِ الْمُسْلِمِينَ بِالْفُرْسِ وَبِالرُّومِ، وَأَهَمُّ  
الْمَلَامِحِ مِنْ تَارِيخِ الصَّرَاعِ الرُّومَانِيِّ الْفَارِسِيِّ الَّذِي يُوشِكُ أَنْ يَنْدَلِعَ مِنْ جَدِيدٍ  
عَلَى أَرَاضِي الْمُسْلِمِينَ؛ لِيَكُونَ حَظُّهُ بِلَادَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَأَبْنَاءَهُمْ وَمُقَدَّرَاتِهِمْ،  
كَمَا كَانَ الْعَرَبُ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ حَظًّا لِحُرُوبِ فَارِسَ وَالرُّومِ.

حَفِظَ اللَّهُ بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَمَكْرُوءٍ، وَأَذَارَ الدَّائِرَةِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ،  
إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.





## الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - وَأَطِيعُوهُ، وَاشْكُرُوا نِعْمَهُ وَلَا تَكْفُرُوهُ ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَكَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ٥٥ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿[الزُّمَر: ٦٥، ٦٦].

أَيُّهَا النَّاسُ: فِي كُلِّ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ، وَفِي كُلِّ جِنْسٍ مِنْ أَجْنَاسِ الْبَشَرِ أَبْرَارٌ وَفُجَّارٌ، وَأَخْيَارٌ وَأَشْرَارٌ، وَكَمَا كَانَ فِي الْعَرَبِ أَبُو جَهْلٍ وَأَبُو لَهَبٍ كَانَ فِي الْفُرْسِ وَفِي الرُّومِ كُفَّارٌ كُفَّارِ الْعَرَبِ، وَكَمَا كَانَ فِي الْعَرَبِ مُؤْمِنُونَ صَالِحُونَ كَانَ فِي الْفُرْسِ وَالرُّومِ مُؤْمِنُونَ صَالِحُونَ، يَتَقَدَّمُهُمْ فِي الْإِيمَانِ وَالْهَجْرَةِ وَالصَّلَاحِ: سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ، وَضَهَبُ الرُّومِيِّ؛ اللَّذَانِ سَبَقَا إِلَى الْإِسْلَامِ قَبْلَ عِزِّ الْمُسْلِمِينَ، وَقَبْلَ ذِلَّةِ الرُّومِ وَفَارِسَ؛ فَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ سَلْمَانَ وَعَنْ ضَهَبٍ.

يَبْدُ أَنْ الدَّوْلَةَ الْفَارِسِيَّةَ الْمُسْتَقْوِيَّةَ فِي هَذَا الْعَصْرِ قَدْ قَدَّمَتْ عَصِيَّتَهَا لِعِرْقِهَا عَلَى إِسْلَامِهَا، وَلَا زَالَتْ تُفَاجِرُ بِفَارِسِيَّتِهَا عَلَى لُغَةِ الْقُرْآنِ، وَتَسْعَى جَاهِدَةً لِإِعَادَةِ الْأُمَجَادِ الْفَارِسِيَّةِ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ، وَيَكْفِي فِيهِمْ أَنَّهُمْ يُفَاجِرُونَ بِالْمَجُوسِيِّ الَّذِي قَتَلَ عُمَرَ رضي الله عنه، وَيَعْدُونَهُ مِنْ شُهَدَائِهِمْ، وَهُوَ لَمْ يَدْخُلْ فِي الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يَسْجُدْ سَجْدَةً وَاحِدَةً لِلَّهِ تَعَالَى! (٢١).

(٢١) جاء عن عمر رضي الله عنه أنه لما علم أن قاتله الغلام المجوسي قال: «الحمد لله الذي لم يجعله رجلاً من المسلمين يحاجني بسجدة سجدتها لله يوم القيامة» رواه ابن سعد (٣/٣٤٦)، وابن أبي شيبة (٧/٤٤٠)، والبلاذري في أنساب الأشراف (٣/٤٣٥)

وَلَا زَالُوا يُزُرُونَ بِالصَّحَابَةِ ﷺ وَيَكْفُرُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَهُمْ، وَأَشَدُّ مَا تَكُونُ  
نَقْمَتُهُمْ عَلَى عُمَرَ وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ<sup>(٢٢)</sup>؛ لِأَنَّ فَتْحَ فَارِسَ، وَإِظْفَاءَ النَّارِ الَّتِي  
كَانَ يَعْبُدُهَا أَجْدَادُهُمْ إِنَّمَا كَانَ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بِقِيَادَةِ سَعْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ عُمَرَ  
وَعَنْ سَعْدٍ وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ.

وَقَدْ تَوَارَدَتْ أَخْبَارُ مَذَابِحِ جَمَاعِيَّةٍ فِي الْعِرَاقِ لِكُلِّ مَنْ كَانَ اسْمُهُ عُمَرَ؛ وَلَوْ  
كَانَ فَاسِقًا أَوْ زَنْدِيقًا، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ مُسْلِمًا صَالِحًا<sup>(٢٣)</sup>.

وَإِذَا كَانَتْ قَبَائِلُ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَقُودًا لِحُرُوبِ فَارِسَ وَالرُّومِ؛ فَإِنَّ  
التَّارِيخَ قَدْ يُعِيدُ نَفْسَهُ فِي الْأَحْدَاثِ الْمُعَاصِرَةِ؛ إِذْ أَضْحَتْ بِلَادُ الْعَرَبِ  
وَالْمُسْلِمِينَ مَوْقِعَ تَصَارُعٍ وَتَنَافُسٍ بَيْنَ الْقَوَتَيْنِ الْفَارِسِيَّةِ الْبَاطِنِيَّةِ، وَالرُّومَانِيَّةِ  
الْإِنْجِيلِيَّةِ الصَّهْيُونِيَّةِ.

وَلْيَعْلَمْ مَنْ اخْتَارُوا الْمَذَاهِبَ الْبَاطِنِيَّةَ مِنْ أَبْنَاءِ الْعَرَبِ، وَانْضَوُّوا تَحْتَ لَوَاءِ  
الْأُمَّةِ الْمَجُوسِيَّةِ، وَكَانَ وَلَاؤُهُمْ لَهَا أَعْظَمَ مِنْ وَلَائِهِمْ لِدَوْلِهِمْ، لِيَعْلَمُوا أَنَّ  
مَذَهَبَ الْفُرسِ الْبَاطِنِيِّينَ يَقُومُ عَلَى الْعُنْصَرِيَّةِ لِلْعِرْقِ وَالْجِنْسِ، فَلَا مَكَانَ لَهُمْ فِيهِ،  
وَمَهْمَا قَدَّمُوا لِلْفُرسِ فَلَنْ يَحْظُوا عِنْدَهُمْ بِشَيْءٍ؛ لِأَنَّ أَصُولَهُمْ لَيْسَتْ فَارِسِيَّةً، إِنْ  
هُم إِلَّا أَجْرَاءُ وَعُمَالٌ يُنْفَذُونَ الْمُخَطَّطَاتِ الْفَارِسِيَّةَ فَحَسَبُ، ثُمَّ يُلْفُظُونَ كَمَا  
لُفِظَتْ قَبَائِلُ الْعَرَبِ الْمُنْضَوِيَّةُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْقَدِيمَةِ تَحْتَ اللَّوَاءِ الْفَارِسِيِّ. بَلْ إِنْ  
فِي عَقَائِدِ الْفُرسِ الْجُدُدِ أَنَّهُمْ مَتَى تَمَكَّنُوا أَبَادُوا غَيْرَ جِنْسِهِمْ مِمَّنْ هُمْ يَدِينُونَ

(٢٢) ذكر لي أحد الإخوة أنه شاهد فيلمًا على قناة إيرانية، مثلوا فيها دور سعد بن أبي وقاص  
ﷺ وهو يتعري من ثيابه في تصوير بشع لا يليق بمؤمن، فكيف بصحابي جليل  
كسعد ﷺ!؟

(٢٣) وبعد هذه الخطبة بسنوات كتبت مقالة بعنوان: (إيران واسمي عمر وعائشة) وهو منشور في  
مواقع كثيرة من الشبكة العالمية، وفيه ما يدمي القلب.

بِدِينِهِمْ، وَيَتَمَذِّهْبُونَ بِمَذْهَبِهِمُ الْبَاطِنِيِّ؛ فَاتَّبَاعُ الْمَذْهَبِ لَا يُلْغِي الْعَصِيَّةَ، وَلَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ الْعِرْقُ عَرَبِيًّا، وَالْعِرْقُ عِنْدَهُمْ فَوْقَ الدِّينِ.

وَلْيَعْلَمْ مَنْ اخْتَارُوا التَّروِيجَ وَالتَّمَكِينَ لِلْمَشَارِيعِ الْإِنْجِيلِيَّةِ الصَّهْيُونِيَّةِ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ تَحْتَ مَا يُسَمَّى بِالشَّرْقِ الْأَوْسَطِ الْكَبِيرِ أَوْ الْجَدِيدِ، أَنَّهُمْ مُجَرَّدُ عُمَّالٍ وَخَدَمٍ يَجْرِي اسْتِخْدَامُهُمْ وَانْتِعَالُهُمْ ثُمَّ اسْتِئْذَانُهُمْ، وَلَيْسُوا أَكْثَرُ مِنْ عَسَاسِنَةِ جُدُدٍ عِنْدَ رُومَانٍ جُدُدٍ، وَلَا يَزَالُ الرُّومَانُ يَحْتَقِرُونَهُمْ أَبَدَ الدَّهْرِ.

وَمَا أَضَحَّتْ بِلَادُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَمُقَدَّرَاتُهُمْ أَلْعُوبَةَ فِي أَيْدِي الْأَعْدَاءِ، وَمَيِّدَانَا لِنَتَأَفَّسَ جَدِيدَ بَيْنِ الْفُرْسِ وَالرُّومَانِ فِي هَذَا الْعَصْرِ إِلَّا بِسَبَبِ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي الَّتِي أَوْرَثَتْ الْمُسْلِمِينَ ذُلًّا وَصَغَارًا وَتَفَرُّقًا حَتَّى هَانُوا عَلَى أَعْدَائِهِمْ .. عَصَوْا اللَّهَ تَعَالَى فَذَلُّوا وَهَانُوا، وَتَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا فَضَعُفُوا وَاسْتَكَانُوا، وَلَا يَزَالُونَ مُتَرَبِّصِينَ يَنْتَظِرُونَ مَا تُسْفِرُ عَنْهُ هَذِهِ الْحُرُوبُ الْمُشْتَعِلَةُ الَّتِي تَطْحَنُ بِلَادَهُمْ، وَتَسْتَنْزِفُ أَمْوَالَهُمْ، وَتُخَرِّبُ عُمرَانَهُمْ، وَتَمَرِّتُهُمْ لِغَيْرِهِمْ، وَعَلَقْمُهَا عَلَيْهِمْ، وَلَا حَوْلَ لَهُمْ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا الْإِنْتِظَارُ وَالتَّرَبُّصُ فَهُمْ غَيْرُ قَادِرِينَ لَا عَلَى الْفِعْلِ، وَلَا عَلَى رَدِّ الْفِعْلِ، وَلَا عَلَى إِيقَافِ الْحَرْبِ. نَعُودُ بِاللَّهِ مِنَ الذُّلِّ وَالْهَوَانِ، وَلَا مَخْرَجَ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالتَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ، وَاللُّجُوءِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَإِزَالَةِ أَسْبَابِ الْفُرْقَةِ وَالِاخْتِلَافِ.

وَكُلُّ مَا يَجْرِي نَحْنُ مَسْئُولُونَ عَنْهُ أَمَامَ اللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ أَمَامَ التَّارِيخِ بِذُنُوبِنَا وَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِينَا، فَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ لَعَلَّكُمْ تُحْفَظُونَ وَتُنْصَرُونَ ﴿عسى الله أَنْ يَكْفِيَ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾ [النساء: ٨٤].

وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى نَبِيِّكُمْ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ رَبُّكُمْ ... (٢٤).

## عقيدة دينية أم عقدة نفسية؟

الدكتور: طه حامد الدليمي

خمس عقائد مشتركة:

مما يلفت الانتباه عند النظر في حديث القرآن الكريم عن اليهود جملة آيات في موضع واحد منه تطرقت إلى ذكر خمس عقائد من عقائدهم، وقد تصدرت بالتأسيس من إيمانهم بسبب وجودها عندهم. هذه العقائد الخمسة موجودة بنصها عند الشيعة! يقول تعالى:

١- ﴿وَأَنظَمُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَلْحَقُونَ مِمَّنْ بَعْدَ مَا عَقِلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]. وفي الآية الحديث عن عقيدة التحريف المشتركة بين اليهود والشيعة.

٢- ﴿وَإِذَا قَالُوا آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِغُضُوبِهِمْ إِلَى بَعْضِ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٦]. وفيها عقيدة (التقية) المحرفة عند الطرفين. ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة: ٧٧].

٣- ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨]. وغالب الشيعة -وفي مقدمتهم علماءهم- جهلة بما في الكتاب، لا يعلمون عنه ﴿إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾. وحوزاتهم ليس فيها درس للقرآن! ولا من منهاجهم حفظ جزء واحد منه! ويبقى الطالب يدرس أكثر من عشر سنين لا يمسك بيده في حجرة الدرس المصحف يوماً من الأيام! ونادراً ما سمعت معممًا شيعيًا يتلو آيات من القرآن إلا ويخطئ فيها! وقد حرفوا معانيه وطوعوها لأمانيهم وظنونهم؛ فهم أولى العالمين بقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

٤- ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩]. وهذا ما يفعله علماء الشيعة بلا استثناء.

٥- ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٨٠]. بل إن الشيعة سبقوا اليهود في هذه! فاليهود سلموا بأن النار ستمسهم أيامًا معدودة. أما الشيعة فيعتقدون أن النار لن تمسهم قط مهما عملوا من ذنوب، وارتكبوا من فواحش واجترحوا من معاصي!! والمعروف أن عقائد الشيعة وطقوسهم تتطور مع الزمن، فلا يأتي عليهم زمان إلا والذي بعده شر منه. فلعلهم طوروا هذه العقيدة بعد أن أخذوها عن اليهود.

= سلسلة من العقائد والطقوس المتشابهة:

وهذه بعض العقائد والطقوس المشتركة بين اليهود والشيعة:

اليهود	الشيعة
١- تعطيل العقل والتسليم للحاخام: أوجبت اليهود تصديق الحاخام حتى لو قال بأن يدك اليسرى هي اليمنى! جاء في التلمود: (اعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء وزيادة فإذا قال لك الحاخام: إن يدك اليمنى هي اليسرى وبالعكس فصدق ولا تجادله). الكنز المرصود في تعاليم التلمود، يوسف نصر الله، ص ٤٦.	١- تعطيل العقل والتسليم للفقهاء أو الإمام: وكذلك قالت الشيعة بوجوب تصديق الإمام حتى لو قال بأن الليل ليس بليل والنهار ليس بنهار! فقد ادعوا أن جعفر بن محمد سئل: يا ابن رسول الله إن الرجل يُعرف بالكذب يأتينا بالحديث عنكم أنرده؟ قال: يقول لكم: إن جعفر بن محمد يقول: الليل ليس بليل والنهار ليس بنهار؟ قالوا: ما يبلغ هذا الحد. فقال: إن قال لك: إن جعفر بن محمد يقول: الليل ليس بليل والنهار ليس بنهار فلا تكذبه؛ فإنك أن كذبتك إنما كذبت جعفر بن محمد. بصائر الدرجات، ص ١٥٤.
٢- الحاخامات يعلمون الملائكة الدين: يزعم اليهود أن الحاخامات (الربانيين) يعلمون أهل السماء. جاء في التلمود: (أن الربانيين يعلمون أهل السماء). همجية التعاليم الصهيونية ص ٢٥. بل قالت اليهود بأن الله يستشير الحاخامات في حلول أي مشكلة معضلة. جاء في التلمود: (إن الله يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجد معضلة لا يمكن حلها في السماء). الكنز المرصود، ص ٤٦.	٢- الأئمة يعلمون الملائكة الدين: ويزعم الشيعة أن أئمتهم هم الذين علموا الملائكة التوحيد. جاء في رواية طويلة فيما افتروه على النبي ﷺ أنه قال لعلي: (... ثم خلق الملائكة فلما شاهدوا أرواحنا نوراً واستعظموا أمورنا فسبحنا لتعلم الملائكة أنا مخلوقون، وأنه منزّه عن صفاتنا فسبحت الملائكة لتسيبنا ونزهته عن صفاتنا ... فبنا اهتدوا إلى معرفة توحيد الله وتسيبته وتهليله وتحميده وتمجيده). علل الشرائع، ص ٥.

الشيعة	اليهود
<p>٣- الشريعة كلام الأئمة أو المراجع:</p> <p>يقول الخميني دجال الشيعة: (إن تعاليم الأئمة كتعاليم القرآن لا تخص جيلاً خاصاً، وإنما هي تعاليم للجميع في كل عصر ومصر إلى يوم القيامة). الحكومة الإسلامية ١١٢.</p> <p>قارن هذا القول بما ينسبه الكليني كذباً إلى جعفر الصادق أنه قال: (ما جاء به علي (ع) آخذ به وما نهى عنه أُنْتهى عنه. المتعقب عليه في شيء من أحكامه كالمتعقب على الله وعلى رسوله، والراد عليه في صغيرة أو كبيرة على حد الشرك بالله). أصول الكافي: ١٩٦/١.</p>	<p>٣- الشريعة كلام الحاخامات:</p> <p>يتمسك اليهود في جميع أنحاء العالم بتعاليم التلمود، ويعتبرونه كتاباً منزلاً؛ إذ يرون أن الله تعالى أعطى موسى ﷺ التوراة على طور سيناء مدونة. ولكنه أعطاه التلمود مشافهة. ولا يكفي اليهود بهذا، بل يضعون التلمود في منزلة أسمى من التوراة والتلمود من ستة آلاف صفحة. جاء في التلمود: (يلزمك اعتبار أقوال الحاخامات مثل الشريعة أي التوراة). الكنز المرصود، ص ٤٥. بل جاء فيه: (من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت دون من احتقر أقوال التوراة. ولا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط؛ لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء في شريعة موسى).</p>
<p>٤- الرد على الإمام أو الفقيه كالرد على الله:</p> <p>ويعتقد الشيعة العقيدة نفسها في الإمام بأن الراد على أئمتهم كالراد على الله. يقول محمد رضا المظفر: (إن أمرهم أمر الله تعالى، ونهيهم نهيه، وطاعتهم طاعته، ومعصيتهم معصيته و... ولا يجوز الرد عليهم، والراد عليه كالراد على رسول الله، والراد على رسول الله كالراد على الله تعالى) عقائد الإمامية، ص ١٠٦.</p>	<p>٤- الرد على الحاخام كالرد على الله:</p> <p>يعتقد اليهود بأن من جادل حاخامه كمن جادل الله. جاء في التلمود: (من يجادل حاخامه أو معلمه فقد أخطأ؛ وكأنه جادل العزة الإلهية) الكنز المرصود، ٤٦.</p>

<p>وكذلك الأمر بالنسبة للفقهاء (الحاخامات) يقول محمد رضا المظفر وغيره: (عقيدتنا في المجتهد الجامع للشرائط أنه نائب عام للإمام (ع) في حال غيبته، وهو الحاكم والرئيس المطلق له ما للإمام في الفصل في القضايا والحكومة بين الناس، والراد عليه راد على الإمام، والراد على الإمام راد على الله وهو على حد الشرك بالله) عقائد الشيعة لمحمد رضا المظفر ص ٩.</p>	
الشيعة	اليهود
<p>٥- اتخاذ العلماء أرباباً من دون الله: وكذلك يفعل الشيعة بعلمائهم حذو القذة بالقذة. وما أسلفناه في الفقرة السابقة أوضح شاهد.</p>	<p>٥- اتخاذ العلماء أرباباً من دون الله: قال تعالى عن اليهود والنصارى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]. وذلك بأن أنزلوا كلامهم منزلة كلام الله أو أشد. أحلوا لهم وحرموا عليه فأطاعوهم حتى لو كان في خلاف طاعة الله.</p>

اليهود	الشيعة
<p>٦- الحاخامات أعلى مرتبة من الأنبياء:</p> <p>يدعي اليهود أن حاخاماتهم أفضل من الأنبياء ﷺ. جاء في التلمود: (اعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء لأن أقوالهم هي قول الله الحي) الكنز المرصود، ص ٤٦.</p>	<p>٦- الأئمة أعلى مرتبة من الأنبياء:</p> <p>ويدعي الشيعة أن أئمتهم أفضل من الأنبياء والرسل والملائكة المقربين ﷺ. يقول الحر العاملي: (الأئمة الاثنا عشر أفضل من سائر المخلوقات من الأنبياء والأوصياء السابقين والملائكة وغيرهم). الفصول المهمة ص ١٥٢.</p> <p>ويقول حاخام إيران الأكبر الخميني: (إن للإمام مقامًا محمودًا ودرجة سامية، وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون. وإن من ضرورات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لم يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل وورد عنهم ﷺ: إن لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل). الحكومة الإسلامية، ص ٥٢.</p>
<p>٧- عصمة الحاخام:</p> <p>يعتقد اليهود بعصمة حاخاماتهم. يقول الحاخام روسكي أحد كتبة التلمود، معلقًا على خلاف وقع بين حاخامين: (إن الحاخامين المذكورين قالوا الحق؛ لأن الله جعل الحاخامات معصومين من الخطأ) الكنز المرصود، ص ٤٧.</p>	<p>٧- عصمة (الإمام):</p> <p>ويعتقد الشيعة بعصمة أئمتهم. وهذا أمر أطبقوا عليه جميعًا، ولا يحتاج إلى شواهد. يقول محمد رضا الظفر: (ونعتقد أن الأمام كالنبي يجب أن يكون معصومًا) عقائد الإمامية ص ١٠٤.</p>



اليهود	الشيعة
<p>٨- عقيدة الرجعة:</p> <p>وقد ذكرها ابن سبأ اليهودي الفارسي يوم قال للذي نعى علياً <small>عليه السلام</small>: (كذبت! لو جئتنا بدماعه في سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلاً لعلمنا أنه لم يموت ولم يقتل، ولا يموت حتى يملك الأرض).</p>	<p>٨- عقيدة الرجعة:</p> <p>وهذه العقيدة موجودة عند الشيعة بنصها. وقد ألفوا فيها مؤلفات مستقلة. ومن رواياتهم فيها: عن أمير المؤمنين (ع) قال: أنا قسيم الله بين الجنة والنار لا يدخلها الداخل إلا على حد قسمي ... وإني لصاحب الكرات ودولة الدول. الكافي ١/١٩٨. قال في الحاشية: أي: الرجعات إلى الدنيا.</p>
<p>٩- عقيدة البداء:</p> <p>جاء في التوراة أن الله قد بدا له أن شعبه المختار شرد في الأرض، فحزن كثيراً وأخذ يبكي وينوح!!</p>	<p>٩- عقيدة البداء:</p> <p>والعقيدة نفسها يرددها الشيعة. ورووا في فضلها الكثير، منه: عن أبي عبد الله: قال: لو علم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فتروا عن الكلام فيه. الكافي: ١/١٤٨.</p>
<p>١٠- شتم عيسى <small>عليه السلام</small>:</p> <p>زعم اليهود بأن عيسى <small>عليه السلام</small> يعذب أشد العذاب في لجات الجحيم، جاء في التلمود (أن يسوع الناصري موجود بين القار والنار) الكنز المرصود، ص ١٠١.</p>	<p>١٠- شتم الصحابة <small>عليهم السلام</small>:</p> <p>وزعم الشيعة أن الخلفاء الراشدين يعذبون بتابوت في نار جهنم، يتعوذ أهل النار من حره: يروي القمي في تفسير (قل أعوذ برب الفلق) قال: الفلق جب في نار جهنم يتعوذ أهل النار من شدة حره. فسأل الله من شدة حره أن يتنفس فأذن له فتتنفس فأحرق جهنم. قال: وفي ذلك الجب صندوق من نار جهنم يتعوذ أهل الجب من حر ذلك التابوت الصندوق، وهو التابوت، وفي</p>

ذلك التابوت ستة من الأولين وستة من الآخرين. فأما الستة التي من الأولين فابن آدم الذي قتل أخاه، ونمرود إبراهيم الذي ألقى إبراهيم في النار، وفرعون موسى، والسامري الذي اتخذ العجل، والذي هود اليهود، والذي نصر النصارى. وأما الستة التي من الآخرين فهم الأول والثاني والثالث والرابع وصاحب الخوارج وابن ملجم لعنهم الله) تفسير القمي، ٢/٤٩٩.

١١- رمى السيدة عائشة بالفاحشة:  
ورمى الشيعة لعنهم الله عائشة عليها السلام بالفاحشة مع تبرئة الله لها. فبلغ الحقد في نفوس هؤلاء الشيعة أن يتهموا عائشة في عرضها. فهذا الكليني صاحب تلمودهم الكافي يصمها في عرضها ودينها وعفتها لعنه الله. يدعي هذا اللعين أن الحسن قال لأخيه الحسين: (واعلم أن سيصيني من الحميراء ما يعلم الناس من صنيعها وعداوتها لله ولرسوله صلى الله عليه وآله). وأن الحسين بن علي قال لها: (قديمًا هتكت أنت وأبوك حجاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وأدخلت بيته من لا يحب رسول الله ﷺ قربه). وأنه قال: (وقد أدخلت أنت بيت رسول الله ﷺ الرجال بغير أذنه) الكافي، ٢/٢٤٠-٢٤١. ورمى عائشة عليها السلام بالبهتان الذي يهتز له عرش الرحمن شائع في كتب الشيعة.

١١- رمى السيدة مريم بالفاحشة:  
رمى اليهود لعنهم الله مريم عليها السلام بالفاحشة مع تبرئة الله لها. جاء في التلمود: (إن يسوع الناصري موجود بين القار والنار. وقد أتت به أمه من العسكري (باندار) عن طريق الخطيئة). المصدر السابق.

اليهود	الشيعة
<p>١٢- شعب الله المختار:</p> <p>يدعي اليهود أنهم شعب الله المختار، وأنهم خاصة الله من بين كل الشعوب. وهي قضية معروفة مسلمة.</p>	<p>١٢- شعب الله المختار:</p> <p>ويدعي الرافضة أنهم شيعة الله وخاصة الله وصفوته من خلقه: فعن جعفر بن محمد أنه قال: (نحن خيرة الله من خلقه وشيعتنا خيرة الله من أمة نبيه) أمالي الطوسي ص ٧٦. ويسمون أهل السنة (عامّة)، وهم الخاصة.</p>
<p>١٣- اليهود مخلوقون من ذات الله:</p> <p>يزعم اليهود أن أرواحهم -دون باقي الأرواح- مخلوقة من الله تعالى. فقد جاء في التلمود: (تتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من والده) إبراهيم خليل، إسرائيل والتلمود.</p>	<p>١٣- الشيعة مخلوقون من ذات الله:</p> <p>ويدعي الشيعة أن أرواحهم مخلوقة من نور الله تعالى، ولم يجعل الله ذلك لأحد غيرهم إلا للأنبياء: يروي الكليني في تلمودهم الكافي عن أبي عبد الله أنه قال: (إن الله خلقنا من نور عظمته، ثم صور خلقنا من طينة مخزونة مكنونة تحت العرش فأسكن ذلك النور فيه، فكنّا خلقاً وبشراً نورانيين لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً. وخلق شيعتنا من طينتنا وأبدانهم من طينة مخزونة مكنونة أسفل ذلك الطينة، ولم يجعل لأحد في مثل الذي خلقهم منه نصيباً إلا للأنبياء. ولذلك صرنا نحن وهم الناس وسائر الناس همج للنار وإلى النار) الكافي ٣٨٩/١.</p> <p>وروا عن الصادق أنه قال: (خلقنا الله من نور عظمته، وصنعنا برحمته، وخلق أرواحكم منا) الاختصاص، ص ٢١٦.</p>

اليهود	الشيعة
<p>١٤- اليهود أفضل من الملائكة:</p> <p>يعتقد اليهود أنهم أفضل من الملائكة. جاء في التلمود: (الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة. فإذا ضرب أممي إسرائيليًا فكأنه ضرب العزة الإلهية ويستحق الموت) إسرائيل والتلمود ٨٠.</p>	<p>١٤- الشيعة أفضل من الملائكة:</p> <p>ويعتقد الشيعة أيضًا أنهم أفضل من الملائكة. روي عن أبي عبد الله أنه قال: (أنتم للجنة والجنة لكم أسماؤكم الصالحون والمصلحون وأنتم أهل الرضا عن الله يرضاه عنكم، والملائكة إخوانكم في الخير إذا اجتهدوا) صفات الشيعة وفضائل الشيعة، ص ٥٣.</p>
<p>١٥- اليهود هم الناس وغيرهم حيوانات: يدعي اليهود أنهم هم الناس، أما غيرهم فليسوا ناسًا من الناس، وإنما خلقهم الله على هذه الصورة لخدمة اليهود. جاء في التلمود: (خلق الله الأجنبي على هيئة إنسان ليكون لائقًا لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا من أجلهم) إسرائيل والتلمود، ص ٦٩.</p> <p>وجاء في التلمود: (الأمم الخارجة عن اليهود ليست فقط كلابًا بل حمير أيضًا) الكنز المرصود، ص ٦٨. وجاء في تفضيلهم الحيوانات على باقي الأمم: (إن الكلب أفضل من الأجانب؛ لأنه مصرح لليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب وليس له أن يطعم الأجانب، وغير مصرح له أيضًا أن يعطيهم لحمًا، بل يعطيه للكلب؛ لأنه أفضل منهم) المصدر السابق، ص ٦٨.</p>	<p>١٥- الشيعة هم الناس وغيرهم حيوانات: ويعتقد الشيعة كذلك أنهم والأئمة هم الناس، أما ما عداهم فليسوا ناسًا من الناس، بل أنجس من الكلب. وهذا ما نصت عليه رواياتهم وعلماءهم. ففي رواية عن أبي عبد الله أنه قال: (الشيعة هم الناس وغيرهم الله أعلم بهم ما هم؟) تفسير العياشي، ص ٤٠.</p> <p>وعن أبي بصير قال: (حججت مع أبي عبد الله، فلما كنا في الطواف قلت له: جعلت فداك يا ابن رسول الله يغفر الله لهذا الخلق؟ فقال يا أبا بصير: إن أكثر من ترى قردة وخنازير، قال: قلت له: أرنيهم؟ قال: فتكلم بكلمات ثم أمرّ يده على بصري فرأيتهم قردة وخنازير، فهالني ذلك، ثم أمرّ يده على بصري فرأيتهم كما كانوا في المرة</p>

الأولى) بصائر الدرجات للصفار،  
ص ٢٦٠.

ويروي الطوسي عن محمد بن الحنفية أنه  
كان يحدث عن أبيه أنه قال: (ما خلق  
الله ﷻ شيئاً أشر من الكلب، والناصب  
أشر منه) أمالي الطوسي ٢٧٩، وبحار  
الأنوار ٢٢١/٢٧.

١٦- الجنة للشيعية فقط وما عدا ففي النار:  
ويدعي الشيعة كذلك أنهم وحدهم  
سيدخلون الجنة، أما أعداؤهم فيدخلون  
النار. فعن علي أنه قال: (سيؤتى بالرجل  
من مقصري شيعتنا في أعماله بعد أن جاز  
الولاية والتقية ... إلخ، ويوقف بإزائه ما  
بين مائة وأكثر من ذلك إلى مائة من  
النواصب فيقال: هؤلاء فداؤك من النار،  
فيدخل هؤلاء المؤمنون الجنة وأولئك  
النواصب النار) تفسير فرات ١١٣. وفي  
رواية عن أبي عبد الله جاء في آخرها:  
(والله لا يدخل النار منكم اثنان، لا والله  
ولا واحد) الكافي ٧٨/٨.

وعنه أنه قال: (أن الله خلق المؤمن من  
طينة الجنة، وخلق الناصب من طينة النار)  
بصائر الدرجات، ص ٣٦.

١٦- الجنة لليهود فقط وما عدا ففي النار:  
يدعي اليهود أنه لا يدخل الجنة إلا اليهود  
وغيرهم ليس لهم غير النار.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ  
كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا  
بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].  
وجاء في التلمود: (هذه الجنة  
اللذيذة لا يدخلها إلا اليهود، أما الباقيون  
فيزجون في النار) همجية التعاليم الصهيونية  
ص ٥٥. وفي نص آخر: (النعيم مأوى  
أرواح اليهود ولا يدخل الجنة إلا اليهود،  
أما الجحيم فمأوى الكفار من المسيحيين  
والمسلمين فلا نصيب لهم فيه سوى  
البكاء؛ لما فيه من الظلام والعفونة  
والطين) الكنز المرصود، ص ٦٢.

الشيعة	اليهود
<p>١٧- الشيعة في الجنة مهما فعلوا: ويدعي الشيعة أيضًا الدعوى نفسها أن لا يدخل النار منهم أحد. روى البحراني أن النبي ﷺ قال لعلي: (جئت أبشرك. اعلم أن في هذه الساعة نزل عليّ جبريل وقال: الحق يقرئك السلام يقول: بشر عليًا أن شيعته الطائع والعاصي من أهل الجنة). الكشكول ١٥٣/١. والروايات فيه كثيرة. منها: عن أبي عبد الله (ع) قال: ... وإن الله ليستحيي أن يعذب أمة دانت بإمام من الله وإن كانت في أعمالها ظالمة مسيئة. أصول الكافي ٣٧٦/١.</p>	<p>١٧- اليهود في الجنة مهما فعلوا: يدعي اليهود أنهم لا يدخلون النار وإن كانوا مذنبين. جاء في التلمود: (إن النار لا سلطان لها على مذنب بني إسرائيل، ولا سلطان لها على تلامذة الحكماء) ظفر الإسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه، ص ٧٩.</p>
<p>١٨- نجاسة غير الشيعة: ويعتقد الشيعة بنجاسة مخالفهم مطلقًا، لا سيما أهل السنة، ويغسلون الإناء الذي يأكلون فيه، أو يتلفونه. وأن النجاسة لازمة لأصل خلقهم. فمن خالد القلانسي قال: قلت لأبي عبد الله: ألاقي الذمي فيصافحني، قال: امسحها بالتراب وبالحائط. قلت: فالناصب، قال: اغسلها) الأصول من الكافي ٦٥٠/٢. ويقول الخميني حاخام الشيعة الأكبر: (وأما النواصب والخوارج لعنهم الله فهما نجسان من غير توقف) تحرير الوسيلة ١/ ١٠٧.</p>	<p>١٨- نجاسة غير اليهود: يعتقد اليهود بنجاسة مخالفهم مطلقًا، وأن النجاسة لازمة لأصل خلقهم. يقول أحد كتبة التلمود: (لماذا الغويم -غير اليهود- نجسون؟ لأنهم يأكلون أطعمة رديئة وحيوانات تزحف على بطنها) فضائح التلمود، ص ٩٠. وفيه أيضًا: (محرمة الأشياء التالية الخاصة بالغويم: الحليب الذي يستدره الغويم من البقرة في غياب اليهودي، ومحرم أيضًا خبزهم) المصدر السابق، ص ١١٤.</p>

اليهود	الشيعة
<p>١٩- لولا اليهود لانعدمت البركة من الأرض : يعتقد اليهود أنه لولا اليهود لم يخلق الله هذا الكون، ولولاهم لانعدمت البركة من الأرض. جاء في التلمود: (لولم يخلق الله اليهود لانعدمت البركة من الأرض، ولما خلقت الأمطار والشمس) إبراهيم خليل، إسرائيل والتلمود، ص ٦٩.</p>	<p>١٩- لولا الشيعة لانعدمت البركة من الأرض : ويعتقد الشيعة أنه لولاهم لم يخلق الله هذا الكون، ولولاهم ما أنعم الله على أهل الأرض. فعن أبي عبد الله أنه قال: (لولا ما في الأرض منكم ما رأيت بعين عشتا أبدًا، والله لولا ما في الأرض منكم ما أنعم على أهل خلافتكم، ولا أصابوا الطيبات) الكافي ٨/ ٢١٢.</p>
<p>٢٠- كل ما في الأرض لليهود: يزعم اليهود أن كل ما في هذه الأرض هو ملك لهم، ولا يحق لغير اليهود أن يمتلك شيئًا منه. وأنه يجوز لليهودي أن يسترد الأملاك بأي وسيلة إذا امتلكها غير اليهودي. ففي التلمود: (الحقيقة المقررة عند الربانيين أنه يمكن لليهودي أن يأخذ أي شيء يخص المسيحيين أيًا كان السبب حتى بالاحتيا، ولا يمكن أن يعتبر هذا العمل لصوصية؛ لأنه (أي اليهودي) لم يأخذ سوى ما يخصه هو) فضح التلمود، ص ١٣١. وفيه أيضًا: (جميع ما يخص الغويم هو كالصحراء يستطيع أن يدعي أنها ملكه أول من يسرع متوليًا عليها) المصدر السابق. ويقول أحد أحبارهم: (إن ممتلكات النصراني بالنظر إلى اليهودي هي ممتلكات لا مالك لها مثل رمال البحار. وأول يهودي يستولي عليها عنوة يكون مالكة الأصل) همجية التعاليم الصهيونية، ص ٧٧.</p>	<p>٢٠- كل ما في الأرض للشيعة: ويزعم الشيعة أن كل ما في هذه الأرض هو ملك للأئمة، وقد منحوه لهم، وإن امتلك أحد من غير الشيعة شيئًا فإنه حرام عليه، وإذا قام القائم فسوف يسترده منه. ونسبوا ذلك للأئمة؛ فقد رووا عن أبي عبد الله أنه قال: (إن الأرض كلها لنا، وكل ما في أيدي شيعتنا من الأرض فهم فيه محللون .. وأما ما كان في أيدي غيرهم فإن كسبهم من الأرض حرام عليهم حتى يقوم قائمنا، فيأخذ الأرض من أيديهم ويخرجهم صغرة) الكافي ١/ ٤٠٨. وعن أبي عبد الله (ع) قال: ما كان لنا فهو لشييعتنا، وليس لعدونا منه شيء إلا ما غصب عليه، وإن ولينا لفي أوسع مما بين ذه إلى ذه، يعني ما بين السماء والأرض. أصول الكافي ١/ ٥٤٤.</p>

الشيعة	اليهود
<p>٢١- استحلال مال غير الشيعي:</p> <p>وكذلك الشيعة، وللسبب نفسه يستحلون أخذ مال الآخر بأي وسيلة كانت. (خذ مال الناصب حيثما وجدته وادفع إلينا الخمس) تهذيب الأحكام للطوسي ٣٨٤/١، ووسائل الشيعة للحر العاملي ٦/٣٤٠.</p> <p>وشيعة اليوم على هذه العقيدة. يقول الخميني عند حديثه عن (الخمس) في كتابه تحرير الوسيلة: (والأقوى إلحاق الناصب بأهل الحرب في إباحة ما اغتتم منهم وتعلق الخمس، بل الظاهر جواز أخذ ماله أين وجد وبأي نحو كان، ووجوب إخراج الخمس) تحرير الوسيلة ١/٢١٨. والخوئي منهاج الصالحين ١/٣٢٥.</p>	<p>٢١- استحلال مال غير اليهودي:</p> <p>وبناء على ما سبق استحلوا سرقة أو أخذ مال الغير. وهذا ما قاله الله عنهم في كتابه حين قال: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بَيْدَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُوتِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].</p>
<p>٢٢- استحلال دم غير الشيعة:</p> <p>أما موقف الشيعة من دماء المسلمين فهم يستبيحون دماء المسلمين وأموالهم، خاصة أهل السنة (الناصر، بتعبيرهم). بل قد جاءت الروايات في كتبهم بالحث على قتل أهل السنة وأخذ أموالهم أينما وجدوا. وهذه واحدة من كبائرهم:</p> <p>عن ابن فرقد قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام ما تقول في قتل الناصب؟ قال: حلال الدم، ولكن أتقي عليك، فإن قدرت أن</p>	<p>٢٢- استحلال دم غير اليهود:</p> <p>جاء في التلمود: (اقتل الصالح من غير اليهود. ومحرم على اليهودي أن ينجي أحدًا من الأجانب من هلاك، أو يخرجهم من حفرة يقع فيها، بل عليه أن يسدها بحجر) إبراهيم خليل، إسرائيل والتلمود ص ٧٢.</p>



.....

<p>تقلب عليه حائطا أو تغرقه في البحر فافعل. قال: ما تقول في ماله؟ قال: خذ ما قدرت عليه) بحار الأنوار للمجلسي، ٢٣١/٢٧.</p>	
<p>٢٣- التعامل بالربا:</p> <p>والأمر نفسه جاء في المصادر المعتمدة عند الشيعة. ففيما نسبوه زورا وبهتانا إلى جعفر الصادق أنه قال: (ليس بين المسلم وبين الذمي ربا ولا بين المرأة وبين زوجها ربا) من لا يحضره الفقيه ٣/ ١٨٠.</p> <p>ويقول خاخام إيران: (وأما ما اغتنم منهم بالسرقة والغيلة وكذا بالربا والدعوى الباطلة فالأحوط إخراج الخمس فيها من حيث كونها غنيمة) تحرير الوسيلة ١/ ٢٥١.</p>	<p>٢٣- التعامل بالربا:</p> <p>يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿فَيُظْلَمُ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٌ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۖ وَأَخْذَهُمُ الزُّبْرَىٰ وَقَدْ هُمُوهَا عَنْهُمْ وَأَخْذُهُمْ أَثْمَالُ النَّاسِ بِالْبَطْلِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٠، ١٦١].</p> <p>وفي التلمود: (أمرنا الله بأخذ الربا من الذمي، وأن لا نقرضه شيئا إلا تحت هذا الشرط وبدون ذلك نكون ساعدناه) الكنز المرصود في تعاليم التلمود، ص ٨٠.</p> <p>وفي التلمود أيضا: (غير مصرح لليهودي أن يقرض الأجنبي إلا بالربا) المرجع السابق ٨٠.</p>

الشيعة	اليهود
<p>٢٤- ضربت عليهم الذلة والمسكنة:</p> <p>مما ثبت انتماء الشيعة لليهود هو ضرب الله ﷻ عليهم الذلة والمسكنة؛ وهذه هي العلة التي من أجلها تجد الشيعة يستخدمون النفاق باسم التقية، وهي خلق اليهود كما أخبر الله عنهم في أكثر من مناسبة في كتابه، وهكذا تجدهم على مر العصور والأزمان يتقلبون في الذلة والمسكنة والهوان. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية <small>رحمته الله</small> عن الشيعة: (وليس لهم عقل ولا نقل ولا دين صحيح ولا دنيا منصور) مجموع الفتاوى ٢/٤٨٠.</p> <p>ويؤيده قول محمد رضا المظفر: (ومن المعلوم أن الأمامية وأئمتهم لاقوا من ضروب المحن وصنوف الضيق على حرياتهم في جميع العهود ما لم تلقه أية طائفة أو أمة أخرى) عقائد الأمامية، ص ١٢٣؛ فلهذا كانت الذلة والمسكنة التي ضربها الله على اليهود سبباً رئيساً ودافعاً قوياً لاتباعهم أسلوب النفاق والتقية مع مخالفيهم واللف والدوران والتذلل والخضوع لهم. وهذا عقاب من الله ﷻ في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى.</p>	<p>٢٤- ضربت عليهم الذلة والمسكنة:</p> <p>قال الله تعالى مخبراً عن اليهود: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١]. ويقول جل في علاه: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفَقَّوْا إِلَّا يَحِجِّلُ مِنَ اللَّهِ وَحِجْلٌ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢]. ولذلك يستعمل اليهود مع خصومهم تقية الشيعة كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِغَضَبٍ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا اتَّخَذُواهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ. عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٦].</p>

اليهود	الشيعة
<p>٢٥- التقيّة:</p> <p>وهذه من جنس سابقتها. جاء في التلمود: (مصرح لليهودي أن يجامل الأجنبي ظاهراً ليتقي شره على أن يضر له الشر والأذى) عبدالله التل، جذور البلاء ص ٨٠. وفي نص آخر: (إن النفاق جائز وإن الإنسان - أي: اليهودي- يمكنه أن يكون مؤدباً مع الكافرين ويدعي محبتهم كاذباً) الكنز المرصود، ص ٧٠.</p>	<p>٢٥- التقيّة:</p> <p>وهذه هي عقيدة الشيعة، روى كاذبين عن أبي عبدالله أنه قال: (خالطوهم بالبرانية وخالطوهم بالجوانية) الكافي ١٧٥/٢. وعن أبي عبدالله (ع) قال: (إن تسعة أعشار الدين في التقيّة .. ولا دين لمن لا تقيّة له) الكافي ٢١٧/٢.</p>
<p>٢٦- التلاعب بالعبارات والألفاظ:</p> <p>قال تعالى عن اليهود: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيْئَ لَا تَسْمِعَهُمْ وَأَطَعْنَا فِي الَّذِينَ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَأَنْظِرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ يَكْفُرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٤٦].</p> <p>وجاء في التلمود: (إن أحد حاخاماتهم كان يسلم على غير اليهودي بقوله: السلام معك، وإنما كان يوجه نيته إلى أستاذه وليس إلى غير اليهودي) الكنز المرصود في تعاليم التلمود، ص ١٧. وكانوا يسلمون على المسلمين بقولهم: السام عليكم.</p>	<p>٢٦- التلاعب بالعبارات والألفاظ:</p> <p>ومن أساليب الشيعة تلاعبهم بالعبارات والألفاظ في النفاق وتحريف الكلم عن مواضعه. روى النباطي في الصراط المستقيم يقول: (سلم اليأس المعدل على قوم فلم يردوا فقال: لعلكم تظنون في ما قيل من الرفض، إن أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً من أبغض واحداً منهم فهو كافر، فردوا بذلك ودعوا له) وعنى بالواحد علياً. الصراط المستقيم لمستحقي التقديم، ص ٧٣/٣. ويقول: (لقي الطافي خارجياً فقال: لا أفارقك أو تبرأ من علي. فقال: أنا من علي ومن عثمان بريء. ويعني بذلك أنه من أصحاب علي. ومن عثمان بريء) المصدر السابق.</p>

الشيعة	اليهود
<p>٢٧- استخدام الرموز للطعن:</p> <p>ويرمز الشيعة في كتبهم للخلفاء الراشدين وأمّهات المؤمنين -رضي الله عنهم أجمعين- برموز تشبّها برموز اليهود: فيرمزون لأبي بكر وعمر <small>عليهما السلام</small> (بالجبت والطاغوت) و(صنمي قريش) و(زريقوحتر) و(فرعون وهامان) و(العجل والسامري) و(الأول والثاني) و(فلان وفلان) وغيرها من الرموز. ويرمزون لعثمان <small>عليه السلام</small> ب(نعل) و(الثالث). ويرمزون لعائشة <small>عليها السلام</small> ب(بأم الشرور) و(صاحبة الجمل) و(عسكر بن هوسر). ويرمزون لمعاوية <small>عليه السلام</small> ب(الرابع) ... وهكذا.</p>	<p>٢٧- استخدام الرموز للطعن:</p> <p>يستعمل اليهود الرموز في كتبهم لمن أرادوا الطعن فيه حتى لا يفتضح أمرهم. فيرمز اليهود لعيسى <small>عليه السلام</small> ب(ذلك الرجل) و(النجار) و(ابن الخطاب). فضح التلمود، ص ٥٦.</p>
<p>٢٨- تحريف الكتاب:</p> <p>وهو صنعة الشيعة أيضًا. فبالإضافة إلى دعواهم الكاذبة التي أجمع عليها علماءهم في تحريف القرآن الكريم، تجرأوا فحرفوا بعض آيات الكتاب! فعن أبي عبد الله (ع) قال: إن القرآن الذي جاء به جبريل (ع) إلى محمد (ص) سبعة عشر ألف آية. الكافي ٦٣٤/١. وعن أبي جعفر (ع) في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] قال: إيانا عنى خاصة: أمر جميع المؤمنين إلى يوم القيامة بطاعتنا: (فإن خفتم تنازعًا في</p>	<p>٢٨- تحريف الكتاب:</p> <p>قال تعالى عن اليهود: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].</p>

<p>أمر فردوه إلى الله وإلى الرسول وإلى أولي الأمر منكم) كذا نزلت. فكيف يأمر الله ﷻ بطاعة ولاية الأمر ويرخص في منازعتهم؟ إنما قيل ذلك للمأمورين الذين قيل لهم: (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) الكافي ١/٢٧٦.</p> <p>وكتب المخدول حسين الطبرسي صاحب أحد الكتب الثمانية المعتمدة في المذهب كتابه (فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب)!!!</p>	
<p>٢٩- استحلال محاش النساء:</p> <p>وكذلك الشيعة يجوزون نكاح المرأة من دبرها. فعن عبد الله بن يعفور قال: سألت أبا عبد الله عن الرجل يأتي المرأة في دبرها؟ قال: لا بأس إذا رضيت.</p> <p>الاستبصار ٣/٣٤٣.</p> <p>وفتاوى علمائهم في ذلك معروفة مشهورة. جاء في (رسائل الشريف المرتضى، المجموعة الأولى ص ٣٠٠): مسألة سادسة وخمسون (حلية الوطاء دبرًا وقبلاً): مباح للزوج أن يطأ زوجته في كل واحد من مخرجيها. وليس في ذلك شيء من الحظر والكراهة.</p>	<p>٢٩- استحلال محاش النساء:</p> <p>اليهود يجيزون نكاح المرأة من دبرها. جاء في التلمود أن امرأة حضرت إلى الحاخام وشكت له أن زوجها يأتيها على خلاف العادة، فأجابها: (لا يمكنني أن أمنعه عن هذه المسألة يا ابنتي لأن الشرع قدمك قوتًا لزوجك) الكنز المرصود، ص ٩٧.</p> <p>وذكر أيضًا: (أنه مصرح لليهودي أن يفعل ذلك بزوجه) المصدر السابق، ص ٩٧.</p>

الشيعة	اليهود
<p>٣٠- إيقاد الحروب بين الأمم:</p> <p>وهذا هو شأن الشيعة على الدوام. وكما فعل اليهود مع الرسول ﷺ في المدينة، حين كانوا يحرضون الكفار على غزو المسلمين، كذلك كان الشيعة -وإيران من ورائهم- يفعلون على مر التاريخ. ومن أشهر شنائعهم تحريض المغول على غزو بغداد قديماً، وتحريض أمريكا وحلف الصليب على غزو بغداد حديثاً. وهذا شأن كل ضعيف وسط مجموع لا يحس بالانتماء إليهم؛ لعله يحصل على فرصة وسط الفتنة والخراب، أو ينتقم من مواطنيه الذين يحقد عليهم. كما قيل: (الهر يفرح بعزا «مأتم» أهله).</p>	<p>٣٠- إيقاد الحروب بين الأمم:</p> <p>ذكر الله تعالى في كتابه أن ديدن اليهود إثارة الفتن وإيقاد الحروب بين الأمم والشعوب. كما قال سبحانه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَيْثَرًا إِلَيْهِمْ مَا أَنزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَيْنًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَسَعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].</p>
<p>٣١- خيانة الأوطان:</p> <p>وكذلك الشيعة، ليس لهم من ولاء لأوطانهم؛ لأنهم لا يشعرون بالانتماء إليها. إنما ولاؤهم وشعورهم معلق بإيران؛ ولذلك هم دائمو التواطؤ مع الأجنبي ضد أوطانهم، إنهم الخطر الأكبر على أي بلد يكونون فيه، والعراق اليوم خير شاهد ومثال، ولكن الأمر كما قيل: ما أكثر العبر وأقل المعبرين!</p>	<p>٣١- خيانة الأوطان:</p> <p>من المعروف عن اليهود أنهم يشعرون بالضياع وعدم الانتماء إلى أي وطن يسكنونه؛ فهم دائماً يتآمرون على أوطانهم، وهذا أحد أسباب نكباتهم المستمرة على أيدي الشعوب.</p>

اليهود	الشيعة
<p>٣٢- التركيز على الفتن في عرض تاريخنا : ويتشابه اليهود والشيعة حتى في طرحهم لمواد التاريخ الإسلامي! ففي كتاب «التعليم في (إسرائيل)» للدكتور منير بشور وخالد مصطفى الشيخ يوسف: أمّا دراسة الإمبراطورية الفارسية فيجري التركيز على «كورش» وتصريحه لليهود بالعودة إلى (إسرائيل) ثم بناء الهيكل الثاني.</p> <p>وفي منهاج التاريخ للصف السادس يتكوّن التاريخ الإسلامي ٥٦% من مقرر التاريخ، لكن يتمّ التركيز في هذا المنهاج على الخلافات في التاريخ الإسلامي بين علي ومعاوية، والخلافات بين الفرق الدينية والصراع بين الأمويين والعباسيين. كما يفرد المنهاج فصلاً لما يسمّيه بالجهود اليهودية في الحضارة الإسلامية، مثل التعاون بين اليهود وبين العرب في المجالات السياسية والثقافية، ولا سيّما في الأندلس وفي مصر الفاطمية، والأمويين.</p>	<p>٣٢- التركيز على الفتن في عرض تاريخنا : والمنهج نفسه يسير عليه الشيعة في تناولهم لموضوعات التاريخ! فهم متشبهون حتى في هذه، لا يذكرون إلا أحداث الخلافات والفتن - مع التزوير والحذف والإضافة - التي وقعت بين علي ومعاوية وغيره من الصحابة، معركة الجمل، صفين، الطف، مقتل الحسين، موسى الكاظم، اجتراح ما أسموه زوراً ب(اضطهاد الأئمة). الصراع الأموي - العباسي ... إلخ. وكأنّ تاريخ الأمة الزاهر ليس سوى صراع ودسائس وظلم واضطهاد واقتتال! أين الحديث عن حضارة العرب وعدل المسلمين؟ أين الجهاد الإسلامي المشرف، ووقعات المسلمين العظيمة نشرّاً للرسالة، ودفعاً للغزاة ودفاعاً عن حياض الأمة؟ أين بدر والقادسية واليرموك ونهاوند وحنين وعين جالوت؟ أين شواهد عظمة الإسلام في حضارة الأندلس التي ينعم العالم اليوم بإنجازات الحضارة الحديثة التي هي امتداد لحضارة الأمويين وإنجازاتها في الأندلس؟ أين ؟.. أين ؟! لا شيء!</p>

الشِيعَة	اليهود
<p>٣٣- دعوى المظلومية (معاداة أهل البيت) والشِيعَة يستندون إلى الأساس نفسه، فيروجون فكرتهم بطرح مبدأ المظلومية في العراق وغيره، وتعرضهم للظلم منذ أكثر من ١٤٠٠ عام في بلاد العرب. وأرجعوا السبب لا إلى جذوره الموضوعية، وإنما أرجعوه إلى ما أسموه بـ (معاداة السامية). وهكذا بنى اليهود كياناتهم في فلسطين تحت ذريعة المظلومية.</p>	<p>٣٣- دعوى المظلومية (معاداة السامية): استند اليهود في ترويج فكرتهم على مبدأ المظلومية لليهود بسبب تعرضهم للاضطهاد في أوروبا، وأرجعوا السبب لا إلى جذوره الموضوعية، وإنما أرجعوه إلى ما أسموه بـ (معاداة السامية). وهكذا بنى اليهود كياناتهم في فلسطين تحت ذريعة المظلومية.</p>
<p>٣٤- الاعتماد على العصابات والمليشيات: والشِيعَة تمارس في العراق اليوم النهج والأسلوب الصهيوني نفسه. وذلك من خلال مليشيات جيش الدجال بقيادة مقتدى، والمجلس المسمى بـ (الأعلى) وعصابته قوات غدر، وحزب الدعوة، والجلبي، وتكوين فرق القتل والموت والخطف والاعتقال والتصفيات والتطهير المذهبي في كافة مناطق العراق، وتدعم قوات الاحتلال الأمريكي بتدمير مدن سنية كاملة وتهجيرهم منها، واللجوء إلى الخيام.</p>	<p>٣٤- الاعتماد على العصابات والمليشيات: اعتمد اليهود في تنفيذ مشروعهم على العصابات الصهيونية الممثلة بالأحزاب والحركات الصهيونية (الهاغانا) و(الاشتيرن) وغيرها التي ارتكبت المجازر الرهيبة بحق الشعب العربي الفلسطيني؛ لإخضاعهم وتهجيرهم من أرضهم ليقطنوا الخيام.</p>



.....

اليهود	الشيعة
<p>٣٥- اعتماد الدعاية والإعلام:</p> <p>اليهود يجيدون فن الإذاعة والإشاعة والإعلام ونشر الأخبار، وفن التشكي والتظلم والنياحة والبكاء، وما يتبع ذلك من التزوير والكذب والتحريف. وبذلك نشروا أفكارهم، وحشدوا العالم إلى جانب قضيتهم.</p>	<p>٣٥- اعتماد الدعاية والإعلام:</p> <p>والشيعة كذلك يجيدون فن الإذاعة والإشاعة والإعلام ونشر الأخبار، وفن التشكي والتظلم والنياحة والبكاء، وما يتبع ذلك من التزوير والكذب والتحريف. وبذلك نشروا أفكارهم، وحشدوا العالم إلى جانب قضيتهم.</p>



## ٣٨٢- الدولة الصفوية (١)

## نشأتها، عقيدتها، جرائمها

١٤٢٧/١٢/٢٣ هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ؛ خَلَقَ الْخَلْقَ وَدَبَّرَهُمْ، وَكَلَّفَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ وَابْتَلَاهُمْ، نَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا، وَنَشْكُرُهُ عَلَى مَا أَعْطَانَا، وَنَسْتَغْفِرُهُ لِحَطَايَانَا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَقَصَّ عَلَيْنَا فِيهِ أَخْبَارَ الْغَابِرِينَ؛ عِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ، وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يُوسُف: ١١١]. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ أَعْلَى اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ فِي الْعَالَمِينَ، وَجَعَلَهُ حُجَّةً عَلَى الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، وَكَتَبَ بَقَاءَ دَعْوَتِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، فَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِهِ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ؛ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التَّوْبَةُ: ١٠٠]، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى وَأَطِيعُوهُ، وَأَخْلِصُوا لَهُ دِينَكُمْ، وَأَخْسِنُوا عَمَلَكُمْ؛ فَلَا حَاجَةَ لِلَّهِ تَعَالَى عِنْدَكُمْ، إِنَّمَا خَلَقَكُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ① الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿

أَيُّهَا النَّاسُ: دِينَ اللَّهِ تَعَالَى وَاحِدٌ، وَهُوَ الْحَقُّ وَالنُّورُ وَالْهُدَى، وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي يُوصِلُ إِلَى رِضْوَانِهِ وَالْجَنَّةِ، وَأَدْيَانُ الشَّيْطَانِ كَثِيرَةٌ، وَهِيَ الْبَاطِلُ وَالضَّلَالُ وَالظُّلُمَاتُ، وَهِيَ مَا عَدَا الْحَقَّ الَّذِي فَرَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ، وَبَلَّغَتْهُ رُسُلُهُ ﷺ؛ وَلِذَا جَاءَ صِرَاطُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ مُفْرَدًا، كَمَا جَاءَ النُّورُ مُفْرَدًا، وَجَاءَتِ الظُّلُمَاتُ بِصِغَةِ الْجَمْعِ كَمَا جُمِعَتْ سُبُلُ الْبَاطِلِ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١].

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ مُسْتَقِيمًا، قَالَ: ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ السُّبُلُ لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾» [الأنعام: ١٥٣] رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَأَحْمَدُ وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ<sup>(١)</sup>.

وَهَكَذَا طَوَالَ تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ كَانَتِ الرُّسُلُ ﷺ يَهْدُونَ النَّاسَ إِلَى سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي ارْتَضَاهُ لَهُمْ، وَكَانَتِ الشَّيَاطِينُ تَحْرِفُهُمْ عَنْ ذَلِكَ السَّبِيلِ إِلَى سُبُلٍ أُخْرَى تَكُونُ سَبِيلًا فِي ضَلَالِهِمْ وَأَنْحِرَافِهِمْ، وَلَا تَكَادُ تُحْصَى الدِّيَانَاتُ وَالْأَفْكَارُ الْبَاطِلَةُ الَّتِي دَانَ -وَلَا يَزَالُ يَدِينُ- بِهَا أَكْثَرُ الْبَشَرِ.

وَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى ﷺ دَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ بَيْنَ الْحَقِّ، ثُمَّ غَيَّرُوا الدِّينَ بَعْدَهُ، وَحَرَفُوا التَّوْرَةَ، فَبَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى عِيسَى ﷺ مُصَدِّقًا لِدِينِ مُوسَى ﷺ، وَمُبَشِّرًا بِبِعْتِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَدَانَ الْحَوَارِيُّونَ وَاتَّبَاعُهُمْ بَيْنَ الْحَقِّ، حَتَّى أَدْخَلَ شَاوُوْلُ الْيَهُودِيِّ الشُّرْكَ فِي عَقِيدَةِ النَّصَارَى<sup>(٢)</sup>، وَنَقَلَهُمْ مِنَ التَّوْحِيدِ

(١) أخرجه أحمد (٤٦٥/١)، والنسائي في الكبرى (١١١٧٥)، والبخاري (١٧١٨)، وصححه الحاكم (٣٤٨/٢)، والشيخ أحمد شاكر (٤٤٣٧).

(٢) ينظر تفصيل ذلك في خطبة: علاقة النصارى بالمسلمين، خطبة رقم (٣٧٧) من هذا المجلد.

وَالْهُدَى إِلَى التَّائِيثِ وَالضَّلَالِ، فَبَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى مُحَمَّدًا ﷺ مُصَدِّقًا لِرِسَالَاتِ مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الرُّسُلِ ﷺ، وَخَاتَمًا لِلنَّبُوءَةِ فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَقَضَى اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَبْقَى دِينُهُ إِلَى آخِرِ الزَّمَانِ، وَأَمَّا أُمَّتُهُ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يُهْدَى لِدِينِهِ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَمِنْهُمْ مَنْ يَضِلُّ إِلَى أَدْيَانٍ أُخْرَى.

وَمَنْ دَانَ بِدِينِهِ ﷺ وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ مِنْهُمْ مَنْ ثَبَتَ عَلَى الدِّينِ الْحَقِّ، مُلتَزِمًا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، مُهْتَدِيًا بِهَدْيِ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَاتَّبَاعِهِمْ، وَمِنْهُمْ مَنْ انْحَرَفَ إِلَى بَدْعَةٍ مُكْفَرَةٍ أَوْ مُفْسِقَةٍ، فَأَحْدَثَ فِي الْإِسْلَامِ مَا لَيْسَ مِنْهُ، وَهَؤُلَاءِ يُسَمَّوْنَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ.

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمَّا أَهْبَطَ الْأَبْوِينَ ﷺ مِنَ الْجَنَّةِ، وَكَلَّفَهُمَا وَذُرِّيَّتَهُمَا بِالدِّينِ أَقْسَمَ إِبْلِيسُ بِعِزَّةِ اللَّهِ تَعَالَى لِيَصْرِفَنَّ ذُرِّيَّةَ آدَمَ عَنْ دِينِهِ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللَّهُ تَعَالَى. وَلَمَّا كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ خَاتَمَ الرُّسُلِ قَضَى اللَّهُ ﷻ بَقَاءَ دِينِهِ إِلَى آخِرِ الزَّمَانِ، وَسَلَامَتِهِ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وَأَمَّا أَفْرَادُ الْأُمَّةِ فَلْيَسُوا مَعْصُومِينَ مِنَ الْحَيْدَةِ عَنْ دِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ، أَوْ إِدْخَالِ شَيْءٍ فِيهِ لَيْسَ مِنْهُ، أَوْ إِخْرَاجِ مَا هُوَ مِنْهُ، فَيَضِلُّ بِسَبَبِ ذَلِكَ مَنْ يَضِلُّ، وَيَبْقَى عَلَى الدِّينِ الْحَقِّ مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الضَّلَالِ، وَهَكَذَا الْحَالُ إِلَى آخِرِ الزَّمَانِ.

وَمُحَاوَلَاتُ تَحْرِيفِ الْإِسْلَامِ، وَإِدْخَالِ عَقَائِدَ وَأَفْكَارٍ فِيهِ لَيْسَتْ مِنْهُ؛ بَدَأَتْ مُبَكَّرَةً فِي آخِرِ الْخِلَافَةِ الرَّاشِدَةِ، وَأَرَادَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَبِّ الْيَهُودِيِّ الْمُنَافِقُ أَنْ يَقُومَ فِي الْإِسْلَامِ بِذَاتِ الدَّوْرِ الَّذِي قَامَ بِهِ سَلْفُهُ شَاوُولُ فِي النُّصْرَانِيَّةِ، فَأَحْدَثَ ابْنُ سَبِّ وَاتَّبَاعُهُ الْخُرُوجَ عَلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣)، وَاسْتَبْعَوْا ذَلِكَ بِالْغُلُوِّ فِي

(٣) انظر تفصيل ذلك في خطب: فتنة مقتل عثمان مجلد (٦)، خطب رقم ٢١٠-٢١١-٢١٢-

أَلِ الْبَيْتِ، وَزَعَمُوا التَّشْيِعَ لَهُمْ، فَأَظْهَرُوا مَحَبَّتَهُمْ، ثُمَّ غَالَوْا فِي عَلِيٍّ عليه السلام،  
وَادَّعَوْا الْعِصْمَةَ لَهُ، ثُمَّ زَعَمُوا النُّبُوَّةَ فِيهِ، حَتَّى وَصَلَ بِهِمْ غُلُوبُهُمْ إِلَى خَلْعِ  
صِفَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ عَلَيْهِ وَعَلَى زَوْجِهِ وَوَلَدِهِ عليه السلام، مَعَ طَعْنِهِمْ فِي بَقِيَّةِ الصَّحَابَةِ عليهم السلام  
إِلَّا عَدَدًا قَلِيلًا مِنْهُمْ، وَسَبَّهِمْ لِلْخُلَفَاءِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ عليهم السلام، وَمَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله  
وَهُوَ رَاضٍ عَنْهُمْ.

ثُمَّ لَمَّا بَدَرَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ بَذْرَةَ الْخِلَافِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَسَقَوْهَا بِالْأَكَاذِبِ  
وَالشَّائِعَاتِ، وَعَدَّوْهَا بِالضَّغَائِنِ وَالْأَحْقَادِ، وَأَوْقَعُوا الْخُصُومَةَ بَيْنَهُمْ كَانُوا هُمْ  
أَوَّلَ مَنْ تَخَلَّى عَنْ عَلِيٍّ وَابْنَيْهِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عليهم السلام، وَخَانُوهُمْ أَعْظَمَ خِيَانَةٍ،  
حَتَّى قُتِلَ الْحُسَيْنُ عليه السلام ظُلْمًا وَعُدْوَانًا بِسَبَبِ خِيَانَةِ مَنْ زَعَمُوا التَّشْيِعَ لَهُ، وَجَعَلَ  
أُولَئِكَ الْخَوْنَةُ وَأَتْبَاعُهُمْ يَوْمَ مَقْتَلِهِ يَوْمَ مَنَاحَةِ وَلَظْمٍ وَبُكَاءٍ، وَإِخْيَاءٍ لِلضَّغَائِنِ،  
وَسَبِّ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

ثُمَّ انْشَطَرُوا فِي ضَلَالِهِمْ إِلَى مَذَاهِبٍ عِدَّةٍ، وَفَرَّقَ كَثِيرَةٌ، يَلْعَنُ بَعْضُهَا بَعْضًا،  
وَتَزَعُمُ كُلُّ فِرْقَةٍ مِنْهَا أَنَّ الْحَقَّ مَعَهَا دُونَ غَيْرِهَا، فَجَمَعَتْهُمْ بِدَعَةِ الْغُلُوِّ فِي  
أَلِ الْبَيْتِ، ثُمَّ فَرَّقَتْهُمْ تِلْكَ الْبِدْعَةُ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخْرَجَتْهُمْ بِدَعَتِهِمْ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَى  
الْكُفْرِ، وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ، وَيَكُونُ قُرْبُهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ وَبُعْدُهُمْ عَنْهُ بِحَسَبِ مَا  
تَلَبَّسُوا بِهِ مِنَ الْبِدْعَةِ.

وَمِنْ أَكْبَرِ فِرَقِهِمْ: الْإِمَامِيَّةُ الْإِثْنَا عَشَرِيَّةُ، وَقَدْ قَامَتْ لَهُمْ فِي الْقَرْنِ الْعَاشِرِ  
الْهَجْرِيِّ دَوْلَةٌ شَرِسَةٌ خَبِيثَةٌ، عَظُمَ بَلَاءُ الْمُسْلِمِينَ بِهَا، هِيَ الدَّوْلَةُ الصَّفَوِيَّةُ الَّتِي  
شَيَّعَتْ إِيرَانَ بِالْحَدِيدِ وَالنَّارِ، فَرَفَعَتْ يَبْطُشَهَا وَظَلَمَهَا نِسْبَةَ الْإِثْنِي عَشْرِيَّةِ فِيهَا مِنْ  
(١٠ %) إِلَى (٦٥ %) (٤).

(٤) يقول الباحث الألماني جرهارد كونسلمان: «كانت حدود المنطقة التي يعيش فيها الشيعة =

وَقَبْلَ ذَلِكَ سَعَى ابْنُ الْعَلْقَمِيِّ الرَّافِضِيِّ فِي الْقَرْنِ السَّابِعِ إِلَى بِنَاءِ دَوْلَةٍ لَهُمْ فِي بَغْدَادَ عَلَى أَنْقَاضِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ بَعْدَ خِيَانَتِهِ لَهَا، وَلَمْ يَتِمَّ لَهُ ذَلِكَ فَمَاتَ كَمَدًا بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى<sup>(٥)</sup>.

وَتَعَاقَبَتِ الدُّوَلُ الْمَعُولِيَّةُ وَغَيْرُهَا عَلَى بِلَادِ الْعِرَاقِ وَفَارِسَ، وَكَانَتْ دَوْلًا سُنِّيَّةً فِيهَا جَهْلٌ وَتَصَوُّفٌ، لَكِنَّهَا سَالِمَةٌ مِنْ بَدْعَةِ الشَّيْخِ، كَانَ آخِرُهَا دَوْلَةٌ لِلتُّرْكُمَانِ، زَالَتْ فِي أَوَائِلِ الْقَرْنِ الْعَاشِرِ عَلَى يَدِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ حَيْدَرَ الصَّفْوِيِّ؛ نِسْبَةً إِلَى جَدِّهِ صَفِيِّ الدِّينِ الْأَرْدَبِيلِيِّ الَّذِي كَانَ وَاعِظًا صُوفِيًّا، عَاشَ فِي الْقَرْنِ السَّابِعِ<sup>(٦)</sup>، وَمَا زَالَ أَبْنَاؤُهُ وَأَحْفَادُهُ يَمِيلُونَ لِلتَّشْيِيعِ حَتَّى اعْتَنَقُوا الْمَذْهَبَ الْإِمَامِيَّ الْإِثْنِي عَشْرِيَّ<sup>(٧)</sup>.

= تقتصر على بلاد الرافدين، أما أهل بلاد فارس فكانوا من السنة، ونضرب لذلك مثلاً: ففي تبريز تلك المدينة التي تم تنويع إسماعيل الصفوي فيها كان يعيش ٣٠٠ ألف نسمة، كان أهل الشيعة يمثلون عشرين ألف نسمة فقط منهم ... فأجبر إسماعيل الصفوي رعيته على تغيير معتقداتهم» سطوع نجم الشيعة، جرهاود كونسلمان، ترجمة محمد أبو رحمة، مكتبة مدبولي، القاهرة، الأولى ١٤١٢هـ، علماً أن هذا الكاتب الألماني متحيز للروافض، وهم يشيدون به وبكتاباته. وينظر أيضاً: الأتراك العثمانيون وحضارتهم، للمستشرق كارل بركلمان، تعريب د. نبيه فارس، ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الأولى، ١٩٤٩م ص(١٢٣).

ويقول المؤرخ الإيراني الصفوي عباس إقبال: «يعد الشاه إسماعيل بلا شبهة أحد أرشد وأكبر ملوك إيران، ومع أنه تخطى جادة الإنصاف والمروءة في تحميل مذهب التشيع على شعب إيران، وكان أغلبهم حتى ذلك الوقت من السنة، سفك دماء كثير من الأبرياء بقسوة إلا أن سياسته في هذا السبيل إيجاد الوحدة المذهبية في إيران، وجعل المذهب الشيعي رسمياً ... إلخ» تاريخ إيران بعد الإسلام، عباس إقبال، تعريب د. محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة والنشر، القاهرة ١٩٨٩م ص(٦٤٦-٦٤٧).

(٥) ينظر تفصيل ذلك في خطبتي: اجتياح المغول لبغداد مجلد (٣) خطبة رقم (١٤٩)، وسقوط بغداد مجلد (٣) خطبة رقم (١٥٣).

(٦) ينظر: سمط النجوم العوالي لعبد الملك بن حسين المكي (٨٢/٤)، وهو منسوب إلى بلدة أردبيل في جنوب آذربيجان، وكان له تكية اشتهرت شهرة كبيرة في وقته. ينظر: تاريخ الدولة العثمانية، يلماز أوزتونا (٢٠١/١) وتاريخ إيران بعد الإسلام، لعباس إقبال (٦٣٨).

(٧) أول من اعتنق المذهب الإمامي الاثني عشري من أحفاد صفي الدين الأردبيلي حفيد =

فَلَمَّا آلَ الْأَمْرُ إِلَى حَفِيدِهِ الشَّاهِ إِسْمَاعِيلَ مُؤَسِّسِ الدَّوْلَةِ الصَّفَوِيَّةِ حَارَبَ  
بِالْمُتَصَوِّفَةِ وَالشَّيْعَةِ التُّرْكُمَانَ دَوْلَتَهُمُ السَّنِيَّةَ فَقَضَى عَلَيْهَا، فَكَانَ أَوَّلَ حَاكِمٍ  
لِلدَّوْلَةِ الصَّفَوِيَّةِ، وَذَلِكَ عَامَ سَبْعَةِ وَتِسْعِمِائَةٍ لِلْهِجْرَةِ<sup>(٨)</sup>، وَاتَّخَذَ مَدِينَةَ تَبْرِيزَ  
الْإِيرَانِيَّةِ عَاصِمَةً لِدَوْلَتِهِ، وَأَوَّلَ مَا حَكَّمَ أَعْلَنَ أَنَّ مَذْهَبَ دَوْلَتِهِ الْإِمَامِيَّةُ الْإِثْنَا  
عَشْرِيَّةٌ، وَأَنَّهُ سَيَعْمَمُهُ فِي جَمِيعِ بِلَادِ إِيرَانَ، وَعِنْدَمَا نُصِحَ أَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ إِيرَانَ  
هُوَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ، قَالَ: إِنِّي لَا أَخَافُ مِنْ أَحَدٍ . . فَإِنْ تَنَطَّقِ الرَّعِيَّةُ بِحَرْفٍ  
وَاحِدٍ فَسَوْفَ أَمْتَشِقُ الْحَسَامَ، وَلَنْ أَتْرُكَ أَحَدًا عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ<sup>(٩)</sup>.

ثُمَّ صَكَ عُمَلَةً لِلْبِلَادِ كَاتِبًا عَلَيْهَا: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، عَلَيَّ  
وَلِيُّ اللَّهِ»، ثُمَّ كَتَبَ اسْمَهُ. وَأَمَرَ الْخُطَبَاءَ فِي الْمَسَاجِدِ بِسَبِّ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ

= حفيده جنيد بن إبراهيم بن سلطان خوجه بن صدر الدين موسى بن صفى الدين إسحاق  
الأردبيلي، وكان جنيد الشيخ الخامس للطريقة الصوفية التي أسسها جده صفى الدين،  
وصار يدعو أتباعه إلى المذهب الإمامي الاثني عشري، وتبعه عشرات الألوف من التركمان  
الجهلة، وقد قتل جنيد هذا عام ٨٦١هـ. ينظر: تاريخ الدولة العثمانية (١/ ٢٠١-٢٠٢).  
وكان جنيد يرمي إلى تأسيس عصبية مذهبية مرتبطة به، وهو الممهد لتأسيس أسرة صفوية  
حاكمة بنشاطه القوي في تشييع التركمان. ينظر: تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر  
الحديث، د. عبد العزيز سليمان نوار، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧١م (١/ ٢٢-٢٣).  
وعن استغلال جنيد لبسطاء الناس وتشيعهم، وادعاء الكرامات، ونشاطه في هذا السبيل،  
وإيمان أتباعه به مطلقاً حتى كانوا يظنون بعد مقتله أنه حي. ينظر: الفكر الشيعي والزعات  
الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر، د. مصطفى كامل الشيبى، مكتبة النهضة، بغداد،  
الأولى ١٣٨٦هـ (٤٠٢-٤٠٥).

(٨) ينظر: الهجرة العاملة إلى إيران في العصر الصفوي، جعفر المهاجر، دار الروضة،  
بيروت، الأولى ١٤١٠هـ ص (٢٢)، وعودة الصفويين، عبد العزيز المحمود، مكتبة الإمام  
البخاري، مصر، الأولى ١٤٢٨هـ ص (١٠) ومجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية،  
الصادرة عن جامعة البصرة، وهي مجلة فيها بحوث نفيسة، عدد (٢٠) ص (٦٨-٦٩).  
(٩) عودة الصفويين (١٠).



الثَلَاثَةِ عليه السلام، مَعَ الْمُبَالَعَةِ فِي تَقْدِيرِ الْأَئِمَّةِ الْإِثْنِي عَشَرَ<sup>(١٠)</sup>.

وَقَدْ عَانَى أَهْلُ السُّنَّةِ فِي إِيرَانَ مِنْ ظُلْمِهِ مُعَانَاةً هَائِلَةً، وَأُجْبِرُوا عَلَى اعْتِنَاقِ الْمَذْهَبِ الْإِمَامِيِّ بَعْدَ أَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ مَلِئُونَ إِنْسَانٍ سُنِّيٍّ فِي بَضْعِ سَنَوَاتٍ بِشَهَادَةِ مُؤَرِّخٍ شِيعِيٍّ<sup>(١١)</sup>.

وَزَلَّ يَجْتَاحُ بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى انْتَزَعَ بَغْدَادَ بَعْدَ سَبْعِ سَنَوَاتٍ مِنْ قِيَامِ دَوْلَتِهِ، وَكَانَ انْتِزَاعُهُ لَهَا أَيْضًا بِخِيَانَةٍ وَمُمَالَاةٍ مِنْ شِيعَتِهَا آنَ ذَاكَ. ثُمَّ أَمَرَ بِهَذْمِ مَدِينَةِ بَغْدَادَ وَقَتْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَتَوَجَّهَ إِلَى مَقَابِرِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَنَبَشَ قُبُورَ الْمَوْتَى وَأَحْرَقَ عِظَامَهُمْ. وَبَدَأَ يُعَذِّبُ أَهْلَ السُّنَّةِ سُوءَ الْعَذَابِ ثُمَّ يَقْتُلُهُمْ، وَنَبَشَ قَبْرَ أَبِي حَنِيفَةَ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-. وَقَتَلَ كُلَّ مَنْ يَنْتَسِبُ لِذُرِّيَّةِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ عليه السلام فِي بَغْدَادَ لِمُجَرَّدِ أَنَّهُمْ مِنْ نَسَبِهِ<sup>(١٢)</sup>.

وَقَدْ أَرَخَ الشَّيْعَةُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ لِهَذِهِ الْحَادِثَةِ حَتَّى قَالَ ابْنُ شَدَقَمِ الرَّافِضِيُّ يَحْكِي سِيرَتَهُ: «فَتَحَ بَغْدَادَ وَفَعَلَ بِأَهْلِهَا النَّوَاصِبَ ذَوِي الْعِنَادِ مَا لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ قَطُّ فِي سَائِرِ الدُّهُورِ بِأَشَدِّ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ، حَتَّى نَبَشَ مَوْتَاهُمْ مِنَ الْقُبُورِ»<sup>(١٣)</sup>.

(١٠) الدولة الصفوية في مواجهة التحديات، د. بدر الدين الخصوصي، بحث في مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، عدد (٤٤) ص(١٤٤) الشاه عباس الكبير بديع محمد جمعة (ص١٠).

(١١) هو علي الوردي في كتابه: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق (٤٣/١) ونقله عن ريجارد كوك في كتابه: بغداد مدينة السلام، ترجمة فؤاد جميل ومصطفى جواد، ط في بغداد عام ١٩٦٢م (٣١٣/١)، وأقره الوردي ولم يتعقبه. وينظر أيضًا: الحروب العثمانية الفارسية، د. محمد عبد اللطيف هريدي، دار الصحوة، القاهرة، الأولى ١٤٠٨هـ ص(٤٤).

(١٢) عودة الصفويين (٢٠-٢١).

(١٣) المصدر السابق (٢١) وعزاه لتحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمة الأطهار، لضمان بن شدم الحسيني، وقد اختصره يوسف جمل الليل وطبع عام ١٤٢٦هـ بواسطة مكتبة التوبة ومكتبة المعرفة.

وَقَدْ فَرَّ كَثِيرٌ مِنْ سُنَّةِ بَغْدَادَ إِلَى الشَّامِ وَمِصْرَ، وَحَكَمُوا لِلْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ مَا فَعَلَ الصَّفَوِيُّونَ بِبَغْدَادَ وَأَهْلِهَا، وَوَصَلَتْ أَخْبَارُ الْمَذَاهِبِ الْعَظِيمَةِ لِأَهْلِ السُّنَّةِ إِلَى الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ، فَاجْتَمَعَ السُّلْطَانُ الْعُثْمَانِيُّ سَلِيمُ الْأَوَّلِ فِي عَامِ عِشْرِينَ وَتِسْعِمِائَةٍ بِرِجَالِ دَوْلَتِهِ وَعُلَمَائِهَا، وَفَرَرُوا أَنَّ الدَّوْلَةَ الصَّفَوِيَّةَ تُمَثِّلُ خَطَرًا عَلَى الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ، وَأَنَّ عَلَى السُّلْطَانِ جِهَادَهَا، وَإِقَافَ ظُلْمِهَا وَتَنكِيلَهَا بِالْمُسْلِمِينَ، فَحَاوَلَ السُّلْطَانُ مُفَاوَضَةَ الصَّفَوِيِّ إِسْمَاعِيلَ فَلَمَّا لَمْ يَسْتَجِبْ لَهُ، سَارَ إِلَيْهِ بِجَيْشٍ يَقُودُهُ السُّلْطَانُ بِنَفْسِهِ قَوَامُهُ مِائَةُ أَلْفٍ، وَجَيْشُ الصَّفَوِيِّ مِائَةُ أَلْفٍ أَيْضًا، فَالْتَقَى الْجَيْشَانِ فِي صَحْرَاءِ جَالْدِيرَانَ، فَهَزَمَهُ السُّلْطَانُ هَزِيمَةً نَكْرَاءَ وَقُتِلَ أَكْثَرُ جُنْدِهِ، فَقَضَى عَلَى حُكْمِهِ فِي الْعِرَاقِ بَعْدَ أَنْ حَكَمَهَا بِالْحَدِيدِ وَالنَّارِ سِتَّ سَنَوَاتٍ (١٤).

فَمَا كَانَ مِنَ الصَّفَوِيِّ الْخَبِيثِ وَقَدْ أَحَسَّ بِالضَّعْفِ إِلَّا أَنْ كَاتَبَ قَائِدَ الْبَرْتُغَالِ الصَّلِيلِيِّينَ يَطْلُبُ نَجْدَتَهُ عَلَى أَنْ يُعْطِيَهُمْ مَضِيقَ هُرْمُزَ وَفَلَسْطِينَ، فَكَتَبَ لَهُ قَائِدُ الصَّلِيلِيِّينَ رِسَالَةً قَالَ لَهُ فِيهَا: إِنِّي أَقْدَرُ لَكَ اخْتِرَامَكَ لِلْمَسِيحِيِّينَ فِي بِلَادِكَ، وَأَعْرِضْ عَلَيْكَ الْأُسْطُولَ وَالْجُنْدَ وَالْأَسْلِحَةَ لِاسْتِخْدَامِهَا ضِدَّ قِلَاعِ التُّرْكِ فِي

(١٤) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، المستر ستيفن لونكريك (٣٥) عن عودة الصفويين (٢٢-٢٤) وينظر في معركة جالديران: الدولة الصفوية في مواجهة التحديات، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، عدد (٤٤) ص (١٤٦)، والأتراك العثمانيون وحضارتهم (٥٦٧-٥٦٨)، والعلاقات العراقية الإيرانية خلال خمسة قرون، سعد الأنصاري (٢٣ ٣٨)، وذرائع العصبيات العنصرية في إثارة الحروب، محمد بهجة الأثري، مجلة المجمع العلمي العراقي، ذو الحجة ١٤٠١هـ (١٤٢-١٤٥) وتاريخ إيران، د. فاروق عمر، ود. مرتضى النقيب، ط ١٩٨٩م جامعة بغداد. ودراسات في تاريخ الشرق الإسلامي الحديث، شفيق العياري، ط: جامعة القاهرة ١٤١٥هـ والفكر الشيعي والنزعات الصوفية (٤١٠).

الهند، وإذا أردت أن تنقّص على بلاد العرب أو تُهاجم مكة فسَتَجِدُنِي بِجَانِبِكَ فِي الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ، أَمَامَ جَدَّةٍ أَوْ فِي عَدَنَ أَوْ فِي الْبَحْرَيْنِ أَوْ الْقَطِيفِ أَوْ الْبُصْرَةِ، وَسَيَجِدُنِي الشَّاهُ بِجَانِبِهِ عَلَى امْتِدَادِ السَّاحِلِ الْفَارِسِيِّ، وَسَأَنْقُذُ لَهُ كُلَّ مَا يُرِيدُ<sup>(١٥)</sup>. وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَذَلَهُمْ؛ إِذْ اسْتَطَاعَ الْعُثْمَانِيُّونَ إِفْشَالَ مُحْطَطِهِمْ، وَظَلُّوا يَتَّبِعُونَهُمْ سُلْطَانًا بَعْدَ سُلْطَانٍ حَتَّى بَعَدَ هَلَاكِ الصَّفْوِيِّ إِسْمَاعِيلَ وَتَوَلَّى أَبْنَاؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ، حَتَّى قَضَيْ عَلَى دَوْلَتِهِمْ نِهَائِيًّا بَعْدَ قَرْنَيْنِ وَنِصْفٍ مِنَ الظُّلْمِ وَالْعُسْفِ.

هَذَا مُلْخَصُ مَا يَتَعَلَّقُ بِدَوْلَتِهِمْ، وَأَمَّا مُؤَسَّسُهَا الصَّفْوِيُّ إِسْمَاعِيلُ فَإِنَّهُ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ التَّعَصُّبِ الْمَذْهَبِيِّ وَالْعُلُوِّ وَالتَّكْفِيرِ وَبَيْنَ الدَّمَوِيَّةِ وَالتَّنْكِيلِ، وَقَدْ نَقَلَ عَنْهُ أَحَدُ الْمُؤَرِّخِينَ الْعِرَاقِيِّينَ أَنَّهُ أَكْثَرَ الْقَتْلِ، وَقَتَلَ مَلِكَ «شِرْوَانَ»، وَأَمَرَ أَنْ يُوضَعَ فِي قَدْرِ كَبِيرٍ وَيُطْبَخَ، وَأَمَرَ جُنْدَهُ بِأَكْلِهِ فَفَعَلُوا، وَكَانَ لَا يَتَوَجَّهَ لِبِلَادٍ إِلَّا فَعَلَ أَشْيَاءَ يَنْدَى لَهَا الْجَبِينُ مِنْ قَتْلِ وَنَهْبٍ<sup>(١٦)</sup>.

وَكَانَ مِنْ دَمَوِيَّتِهِ أَنَّهُ يَنْبُشُ قُبُورَ الْعُلَمَاءِ وَالْمَشَايخِ السُّنَّةِ، وَيَحْرِقُ عِظَامَهُمْ، وَكَانَ إِذَا قَتَلَ أَمِيرًا مِنَ الْأَمْرَاءِ أَبَاحَ زَوْجَتَهُ وَأَمْوَالَهُ لِمَنْ يَخْتَارُ<sup>(١٧)</sup>.

وَيَكْفِي دَلِيلًا عَلَى تَعَصُّبِهِ وَهَمَجِيَّتِهِ أَنَّهُ دَعَا أُمَّهُ لِلتَّشْيِيعِ وَكَانَتْ سُنِّيَّةً حَفِيَّةً، فَأَبَتْ ذَلِكَ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهَا فَقُتِلَتْ رَحِمَهَا اللَّهُ تَعَالَى<sup>(١٨)</sup>، وَبَلَغَ مِنْ طُغْيَانِهِ وَجَبْرُوتِهِ

(١٥) قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين، د زكريا إبراهيم بيومي (٦٣) ط عالم المعرفة ١٤١١هـ.  
(١٦) ينظر: عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، إبراهيم صبغة الله الحيدري، ط مكتبة مدبولي، القاهرة، الثانية ١٩٩٩م (١١٠) وذكر فيه أن إسماعيل ادعى بعد ذلك الربوبية، وكان جنوده يسجدون له.

(١٧) المصدر السابق (١١١).

(١٨) تاريخ الدولة العثمانية، يلماز أوزتونا وذكر أن اسمها حليلة بغي (١/٢٠٢)، ويتفق معه على ذلك عباس العزاوي في كتابه: العراق بين احتلالين، مطبعة بغداد الحديثة، الأولى ١٣٥٤هـ (٣/٢٧٠).

أَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ جُنْدَهُ بِالسُّجُودِ فَيَسْجُدُونَ لَهُ<sup>(١٩)</sup>.

وَذَكَرَ أَحَدُ كِبَارِ مَذْهَبِهِمْ وَذَوَلَّتِهِمْ فِي هَذَا الْعَصْرِ أَنَّ إِسْمَاعِيلَ الصَّفْوِيَّ كَانَ مُمَالِكًا لِلْإِنْجِلِيزِ عَلَى الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ، وَكَانَ يُعَاقِرُ الْخُمْرَةَ مَعَ قَادَتِهِمْ وَيَقُولُ لَهُمْ: «إِنِّي أَفْضَلُ حِذَاءٍ مَسِيحِيٍّ عَلَى أَكْبَرِ رِجَالِ الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ»<sup>(٢٠)</sup>.

وَأَكْثَرُ الْمَرَامِسِ الشَّاذَّةِ، وَالطُّقُوسِ الْغَرِيبَةِ، وَالْمُمَارَسَاتِ الْمُفَرَّزَةِ فِي الْمُنَاسَبَاتِ الدِّيْنِيَّةِ لَدَى الْمَذْهَبِ الْإِثْنِي عَشْرِيِّ إِنَّمَا هِيَ مِنْ إِحْدَاثِ هَذَا الْخَبِيثِ الضَّالِّ، وَظَلَّ أَتْبَاعُهُ يُمَارِسُونَهَا وَيَتَنَاقَلُونَهَا جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا، وَلَا يَتَسَعُّ هَذَا الْمَقَامُ الْمُخْتَصَرُ لِعَرْضِ مَا أَخَذْتُهُ لَهُمْ مِنْ ضَلَالٍ عَلَى ضَلَالِهِمْ

= وذكر د. عبد العزيز سليمان نوار في تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث (٢٣/١) أن والدة إسماعيل هي ابنة السلطان حسن الطويل سلطان ديار بكر، ويتفق معه على ذلك: سعد الأنصاري في كتابه العلاقات العراقية الإيرانية خلال خمسة قرون (٣٧)، ويتفق معه أيضًا: د. كامل الشيبلي في كتابه: الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري ص(٤٠٦) ونقل في الحاشية ذلك عن: مخطوط سلسلة النسب الصوفية، ورقة (٤٧ب) ومخطوط تاريخ شاه إسماعيل، ورقة (١٣أ) وأخبار الدول ص(٣٤٤) وتاريخ العراق بين احتلالين (٣/٣٢٨) ويتفق معهم كذلك شاهين مكاريوس، إلا أنه ذكر أنها أخت حسن وليست ابنته، رغم أن شاهين متحيز ضد الدولة العثمانية لصالح الصفويين، ينظر كتابه: تاريخ إيران، دار الآفاق العربية، القاهرة ١٤٢٤هـ ص(١٤٨)، وعلى هذا الرأي فيترجح أن تكون سنية؛ لأن حسن الطويل ينحدر من القبائل التركمانية التي كانت تحكم ديار بكر وما حولها، وهم على مذهب أهل السنة. بينما ذكر عباس إقبال أن أمه من أسرة الأمراء اليونان واسمها مارتا أو علمشاه خاتون أوبكي آغا ولم يتكلم عن دينها ولا علاقتها مع ابنها، ينظر: تاريخ إيران بعد الإسلام (٦٤٠) وقريب منه ما ذكره بركلمان في كتابه: الأتراك العثمانيون وحضارتهم (١٢٠).

(١٩) ينظر حاشية (١٦).

(٢٠) ينظر كتاب: أمير كبير لعلي أكبر هاشمي رفسنجاني (٢٤٨) عن مقال: نعم .. إنهم صفويون، سميرة رجب، منشور في الشبكة العالمية.

حَتَّىٰ إِنَّ عَقْلَاءَ مَذْهَبِهِمْ لَا يَرْضَوْنَ كَثِيرًا مِنْ طُغُوسِهِمْ، وَيَرَوْنَ أَنَّهَا تُسِيءُ لِمَذْهَبِهِمْ فِي هَذَا الْعَصْرِ.

وَنَحْمَدُ اللَّهَ تَعَالَى الَّذِي عَافَانَا مِمَّا ابْتَلَاهُمْ بِهِ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى مَا هَدَانَا إِلَيْهِ مِنَ الدِّينِ الْحَقِّ الَّذِي هُوَ الرَّحْمَةُ وَالْعَدْلُ، وَنَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ الثَّبَاتَ عَلَى الْحَقِّ إِلَى الْمَمَاتِ؛ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ.

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ ...



### الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَلَا عُذْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ، وَلَا أَمَنَ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِينَ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلِيُّ الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ النَّبِيُّ الْأَمِينُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ -عِبَادَ اللَّهِ- وَرَاقِبُوهُ، وَالزَّمُوا طَاعَتَهُ وَلَا تَعْصُوهُ ﴿وَمَنْ

يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥٢].

أَيُّهَا النَّاسُ: تَتَلَا حَقُّ الْإِثْلَاءَاتِ عَلَى أُمَّةِ الْإِسْلَامِ، وَتَتَوَالِي أَحْزَانُهَا، وَتَكْثُرُ مَصَائِبُهَا؛ فَمِنْ فَلَسْطِينَ إِلَى أَفْغَانِسْتَانٍ، وَمِنْ كَشْمِيرَ إِلَى الشَّيْشَانِ، وَمِنْ الْفِلِيبِينَ إِلَى الصُّومَالِ، وَمِنْ هُنَا وَهُنَاكَ إِلَى الْعِرَاقِ، وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْعِرَاقُ؟! تِلْكَ الْبِلَادُ الَّتِي دَخَلَتْ حَظِيرَةُ الْإِسْلَامِ مِنْ فَجْرِ الْإِسْلَامِ، وَكَانَتْ حَاضِرَةَ الْخِلَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ خَمْسَةَ قُرُونٍ وَزِيَادَةً.

تِلْكَ الْبِلَادُ الَّتِي خَرَجَتْ أَبَا حَنِيفَةَ النُّعْمَانَ، وَإِمَامَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَحْمَدَ

ابْنِ حَنْبَلٍ فِي كُوكَبِيَةِ مِنَ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ، وَالْقَادَةَ وَالْمُجَاهِدِينَ، قَدْ اخْتَلَهَا فِي هَذَا الْعَصْرِ عِبَادُ الْمَسِيحِ ﷺ، ثُمَّ سَلَّمُوهَا لِلْمُتَعَصِّبَةِ مِنْ عِبَادِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وَإِنَّهُ لَعَارٌ خُطَّ فِي تَارِيخِ تِلْكَ الْحِقْبَةِ يَلْحَقُ كُلُّ مُسْلِمٍ عَاصَرَ تِلْكَ الْجَرِيْمَةِ النَّكْرَاءِ؛ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَجَبَرَ اللَّهُ مُصَابَ الْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الدَّاهِيَةِ الْعَظِيمَةِ.

لَقَدْ كَلِمَتِ أُمَّةُ الْإِسْلَامِ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَكَانٍ، وَمَشَارِيطُ الْإِسْتِعْمَارِ الصَّهْيُونِيِّ تَعْمَلُ فِي تَمْزِيقِ الْأُمَّةِ، وَتَقْسِيمِ الدُّوَلِ، وَالصَّفَوِيِّونَ الْحَاقِدُونَ الطَّامِحُونَ يَعِيشُونَ فَسَادًا فِي بِلَادِ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، وَتَطْلُعَاتُهُمْ تَتَعَدَّاهَا إِلَى غَيْرِهَا، وَأَتْبَاعُهُمْ فِي الدُّوَلِ الْأُخْرَى الْمُجَاوِرَةِ لِلْعِرَاقِ يَسْتَعْجِلُونَ اسْتِيحَاةَ دَوْلِهِمْ كَمَا اسْتِيحَتْ مَدِينَةُ الْمَنْصُورِ وَالرَّشِيدِ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَابْنِ حَنْبَلٍ.

وَكُلَّمَا بَدَأَ أَمَلٌ فِي عَافِيَةِ الْأُمَّةِ أَصَابَتْهَا دَاهِيَةٌ ظَنَّ مَعَهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّهُ لَا عَافِيَةَ تُرَجَى، وَلَا نَصَرَ يُؤَمَّلُ، وَالْمُؤْمِنُ لَا يَنَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَثِقُ بِوَعْدِهِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ كُلَّمَا أَزْدَادَ الْبَلَاءُ اقْتَرَبَ الْفَرَجُ، وَإِذَا اشْتَدَّتِ الظُّلْمَةُ انْبَجَحَ الْفَجْرُ، وَالْعُسْرُ يُعْقِبُهُ الْيُسْرُ ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ٥٦ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿[الشَّارْحُ: ٥، ٦].

وَأَعْظَمُ مُصِيبَةٍ أَصَابَتْ بِهَا الْمُسْلِمُونَ فِي هَذَا الْعَصْرِ -بَعْدَ تَفْرِيطِهِمْ فِي دِينِهِمْ، وَكَثْرَةِ مَعَاصِيهِمْ- رُكُوبُهُمْ إِلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْوُثُوقُ بِهِمْ، وَجَعْلُ مَصِيرِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ، وَالِاغْتِرَارُ بِالشَّعَارَاتِ الْمُضَلَّلَةِ الَّتِي خَدَّرَتْ الْمُسْلِمِينَ، وَأَقْعَدَتْهُمْ عَنْ إِعْدَادِ الْعُدَّةِ لِتِلْكَ الْأَيَّامِ الْعَصِيبَةِ؛ كَالشَّعَارَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَحَوَارَاتِ الْأَدْيَانِ، وَتَقَارُبِ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَالْوُعُودِ الْكَاذِبَةِ، وَالْأَمَانِيِّ الْخَادِعَةِ بِانْتِهَاءِ غُصُورِ الْحُرُوبِ وَالِاغْتِدَاءَاتِ وَالتَّرَاعَاتِ الھَمَجِيَّةِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى السَّلَامِ الْعَالَمِيِّ، وَالْوِفَاقِ الْبَشَرِيِّ، وَحُقُوقِ الْجَوَارِ؛ حَتَّى غَلُّوا أَيْدِيَ الْمُسْلِمِينَ عَنِ

التَّصْنِيعِ وَالتَّسْلِيحِ وَالتَّجْنِيدِ، وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَسْبَابِ الْقُوَّةِ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَعْمَلُ فِيهِ الْإِنْجِيلِيُّونَ وَالصَّهَابِيُّونَ عَلَى تَحْقِيقِ نُبُوءَاتِهِمُ الْخُرَافِيَّةِ، وَيَسْعَى الصَّفَوِيُّونَ الْبَاطِنِيُّونَ لِإِعَادَةِ أُمَجَادِ الدَّوْلَةِ الْفَارَسِيَّةِ، وَامْتِلَاكِ الْقُنْبَلَةِ النَّوَوِيَّةِ.

وَمَا أَنْ طَابَتْ لَهُمْ كَعْكَةُ الْعِرَاقِ فَإِنَّ أَوَّلَ عَمَلٍ قَامُوا بِهِ إِحْرَاقُ سِجَلَاتِ الدَّوْلَةِ فِي مَخْطَطِ شَيْطَانِيٍّ رَهيبٍ؛ لِتَغْيِيرِ التَّرَكِيبَةِ السُّكَّانِيَّةِ، وَالْعَزْمِ عَلَى إِفْرَاقِ الْعِرَاقِ مِنَ السُّنَّةِ بِالْقَتْلِ وَالتَّهْجِيرِ؛ وَلِإِحْلَالِ الْبَاطِنِيَّةِ مَكَانَهُمْ، ثُمَّ عَمِلُوا بِهَذَا الْمَخْطَطِ لَمَّا تَمَكَّنُوا، وَأَخْيَا مَا فَعَلَهُ أَجْدَادُهُمُ الصَّفَوِيُّونَ مِنْ قَبْلِ بَأَهْلِ السُّنَّةِ فِي إِيرَانَ، وَيَعْدُونَ بِالْمَزِيدِ مِنَ الْمَذَابِحِ وَالتَّقْتِيلِ<sup>(٢١)</sup>.

وَقَدْ أَعْلَنَ الْمُتَنَفِّذُونَ مِنْهُمْ فِي الْعِرَاقِ عَنْ مَشْرُوعِهِمُ الْبِدْعِيِّ الْبُغْيِضِ، حِينَ ظَهَرَ كَثِيرٌ مِنْ شَيَاطِينِهِمْ عَلَى فَضَائِيَّةٍ مِنْ فَضَائِيَّاتِهِمْ يَقُولُ: إِنَّ الشَّيْعَةَ ظَلَمُوا أَرْبَعَةَ عَشَرَ قَرْنًا، وَأَنَّ لَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا حَقَّهُمْ<sup>(٢٢)</sup>. مُذَكِّرًا بِمَقُولَةِ حُجْمِنِيَّهِمُ الْهَالِكِ حِينَ

(٢١) وقد أصدرت منظمة العفو الدولية بيانها الصحفي رقم (١٠٤) في ٢٨ أبريل ٢٠٠٣، وذكرت فيه أن عددًا لا يحصى من الوثائق تعرضت للحرق والإتلاف، وفي تقرير لموقع الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) عن سكان العراق ذكر أن الكثير من العرب السنة خرجوا خارج العراق، وأن هناك عراقيين شيعة ممن طردهم صدام إلى إيران بتهمة التبعثة الإيرانية في الحرب العراقية الإيرانية قد عادوا.

وثمة تقارير تشير إلى أن هناك عشرات الآلاف من الإيرانيين قد دخلوا العراق خلال الشهور الأولى من عام ٢٠٠٤م، وتم تجنيسهم بالجنسية العراقية مما يزيد في ثقل الشيعة، ونقل التقرير عن خليل الديلمي في لقاء مع شبكة البصرة أن هناك حوالي مليونين ونصف إيراني دخلوا إلى العراق، وتم قيدهم في جداول الانتخابات على أنهم عراقيون، خاصة بعد حرق كافة أوراق السجل المدني العراقي، وذكر التقرير أن إحراق السجلات المدنية عقب دخول القوات الأمريكية للعراق جعل مسألة الإحصائيات غير ممكنة. اهـ.

(٢٢) القائل هو علي الدباغ الناطق باسم جواد المالكي من حزب الدعوة الإسلامي الشيعي. ينظر: عودة الصفويين (٥١-٥٢).

قَالَ: «السَّنَةُ حَكَمُوا أَرْبَعَةَ عَشَرَ قَرْنًا، وَأَنَّ لِلشَّيْعَةِ أَنْ يَحْكُمُوا الْعَالَمَ الْإِسْلَامِيَّ» (٢٣).

وَهَكَذَا يُغَيِّرُ التَّارِيخُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيُفَرِّضُ تَارِيخٌ جَدِيدٌ، يَخْطُهُ الصَّفَوِيُّونَ الْجُدُدُ بِدِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعِرَاقِ، كَمَا غَيَّرَ تَارِيخُ إِيرَانَ بِمَذَابِحِ الصَّفَوِيِّينَ الْقَدَمَاءِ، وَيَرْضَى بِذَلِكَ مَنْ يَرْضَى، وَيَأْبَاهُ مَنْ يَأْبَى! فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

وَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ مِمَّنْ يَدْعُونَ الثَّقَافَةَ وَالْمَعْرِفَةَ، وَيُصَدِّدُونَ فِي الْإِعْلَامِ وَالصَّحَافَةِ عَلَى أَنَّهُمْ مُفَكِّرُوا الْأُمَّةِ وَمُحَلِّلُوهَا، وَهُمْ لَا يَرَوْنَ أَبْعَدَ مِنْ أُنُوفِهِمْ. الْعَجَبُ مِنْهُمْ حِينَ كَانُوا يُخَدِّدُونَ الْأُمَّةَ، وَيَتَّهِمُونَ كُلَّ نَاصِحٍ وَمُحَذِّرٍ مِنَ الْخَطَرِ الْبَاطِنِيِّ بِأَنَّهُ عَدُوٌّ لِلْوَحْدَةِ الْوَطَنِيَّةِ، ثُمَّ إِذَا أَتْبَاعُ الْمَذَاهِبِ الْبَاطِنِيَّةِ يَصْفَعُونَهُمْ فِي لُبْنَانَ وَالْعِرَاقِ، وَيَسْتَأْسِدُونَ فِي الدُّوَلِ الْأُخْرَى مُحْتَمِينَ بِالدَّوْلَةِ الْفَارِسِيَّةِ الَّتِي بَلَغَ مِنْ تَعَصُّبِ حُكَّامِهَا لِلْفُرْسِ اشْتِرَاطُ دُسْتُورِهِمْ أَنَّ يَكُونَ حَاكِمُ جُمْهُورِيَّتِهِمْ فَارِسِيًّا (٢٤)، وَلَا يَكْفِي أَنْ يَكُونَ مُتَمَذِّبًا بِمَذَاهِبِهِمُ الْبَاطِنِيِّ. بَلْ إِنَّ كُلَّ الْمَرْجِعِيَّاتِ الْإِثْنِي عَشْرِيَّةِ فِي الْعَالَمِ لَا بُدَّ أَنْ تَخْضَعَ لِرَأْسِ فَارِسِيٍّ، أَوْ يَكُونَ مِنْ أَصُولِ فَارِسِيَّةٍ، وَمَا أَشَدَّ حُمُقَ مَنْ يُجَنِّدُونَ أَنْفُسَهُمْ لَهُمْ مِنْ غَيْرِ الْفُرْسِ، وَهُمْ يَرَوْنَ عَصِيَّتَهُمْ لِفَارِسِيَّتِهِمْ!!

(٢٣) المصدر السابق (٥٢).

(٢٤) في المادة (١١٥) من الدستور المتعلقة برئيس الجمهورية جاء في الفقرة الأولى منها ما يلي: أن يكون رئيس الجمهورية إيراني الأصل ويحمل الجنسية الإيرانية؛ أي: أن يكون من أبوين إيرانيين، وهذا يعني أن الفارسي فقط يحق له أن يصبح رئيسًا للجمهورية؛ حيث بات عرفًا أن الإيراني هو الفارسي، والدستور الإيراني يؤكد ذلك في مادته (١٥) عندما ينص على أن تكون اللغة والكتابة الرسمية والمشاركة هي الفارسية، وإلا لماذا توجب الفقرة المذكورة الأصل والجنسية دون أن تكتفي بالجنسية فقط.



وَلَمَّا أَسْقَطَ فِي أَيْدِي مَنْ يَدْعُونَ أَنَّهُمْ مُفَكَّرُونَ وَمُثَقَّنُونَ إِزَاءَ مَا يَرَوْنَهُ مِنْ طَائِفَةٍ بَغِيضَةٍ عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْفُرْسِ الْبَاطِنِيِّينَ وَأَتْبَاعِهِمْ، لَمْ يَجِدُوا مِشْجَبًا يُعَلِّقُونَ عَلَيْهِ فَشَلَّ تَحْلِيلَاتِهِمْ، وَخَطَلَ رَأْيِهِمْ، وَضَعَفَ عُقُولُهُمْ إِلَّا جَلَدَ الْعَرَبِ مِنْ جَدِيدٍ، وَادَّعَاءَ عَصَبِيَّتِهِمْ لِعُرُوبَتِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، وَالزَّعْمَ بِأَنَّ دَمَ كُلِّيبٍ لَا يَزَالُ سَاحِخًا<sup>(٢٥)</sup>، وَأَنَّ قَمِيصَ عُثْمَانَ ظَلَّ مَرْفُوعًا، فِي تَعَامٍ عَنِ

(٢٥) كتب تركي الحمد مقالاً في الشرق الأوسط بعنوان: وما زال دم كليب ساخناً، وذكر فيه أن وقائع إعدام صدام حسين يعكس واقعاً وتاريخاً مليئاً بالعنف والدم مبعثه مبدأ الثأر بين قبائل وعشائر وأحزاب العرب، منذ وجدوا حتى هذه اللحظة، مما يدعو إلى القول: إن ساعة الزمن واقفة عند لحظة لا تتجاوزها في التاريخ العربي، تتغير الأشكال والمضمون واحد. ثم عمم هذه الظاهرة في العراق على كل العرب وذكر حادثة جساس وكليب، ثم حادثة عمرو بن كلثوم مع عمرو بن هند، ثم حادثة الجمل وصفين؛ ليجعل كل ذلك في سياق واحد وهو دموية العرب ثم خلص إلى ما يريد تقريره بقوله: ما يجري في العراق، بل وما يجري في لبنان والسودان والجزائر والصومال وغيرها مما يحمله الرحم العربي، هو نتيجة ثقافة متحجرة تأبى أن تتغير، أو يؤبى عليها أن تتغير، فهي ذاتية الإنتاج بشكل غريب، محمية بحراس أشداء، حتى أن ديناً مثل الإسلام لم يستطع أن يروضها إلا لفترة وجيزة، ثم استوعبته هي، وتحولنا إلى طوائف ومذاهب وعصبيات وقبائل وعشائر وعادات وتقاليد، وقتل الجميع الجميع دفاعاً عن الإسلام، بينما هي السلطة والثروة والعصبية والجهل من يقف وراء كل ذلك، البعض يفعل ذلك عن وعي وعلم، والبعض عن جهل وعقل لا يعرف إلا التعصب سبيلاً. صحيفة الشرق الأوسط، الأحد ١٨/١٢/١٤٢٧ هـ عدد (١٠٢٦٧).

وكلامه ينطوي على مغالطات وخلط كثير، وبيان ذلك ما يلي:

١- اتهم العرب بأنهم متحجرون ودمويون، ولم يستثن من ذلك حتى عصر صدر الإسلام، وتخصيص ذلك بالعرب مغالطة مفضوحة، فكل حروب العرب من فجرهم إلى وقتنا لم يقتل فيها عشر ما قتل في الحرب العالمية الثانية التي كان أسياها وربانها وحطباها الغرب المعجب به، ناهيك عن مذابح لينين ثم ستالين، وقد كان الدكتور تركي يوماً على مذهبهما وداعية لهما قبل أن يكفر بهم بعد سقوط الشيوعية، ويتحول من أقصى اليسار إلى أقصى =

الواقع، ونزوير للحقائق، وتضليل للعامة.

وَأَيْنَ دَمٌ كَلْبٍ، وَقَمِيصُ عُثْمَانَ مِنْ دَوْلِ إِسْلَامِيَّةٍ سُنِّيَّةٍ قَامَتْ فِي الشَّرْقِ  
وَالْغَرْبِ، وَعَلَى مَدَى أَرْبَعَةِ عَشَرَ قُرْنًا، نَعِمَتْ فِيهَا بِسَلَامٍ كُلُّ الطَّوَائِفِ  
وَالْمَذَاهِبِ، بَلْ حَتَّى الْكُفَّارُ الْأَضْلِيُونَ مِنْ يَهُودٍ وَنَصَارَى وَغَيْرِهِمْ لَمْ يَجِدُوا  
ظُلْمًا وَلَا بَخْسًا، وَإِنْ وُجِدَ حَاكِمٌ ظَالِمٌ مُسْتَبِدٌّ طَالَ ظُلْمُهُ الْجَمِيعَ، وَلَمْ يُمَيِّزْ فِي  
ظُلْمِهِ عَلَى أَسَاسٍ مَذْهَبِيٍّ أَوْ عِرْقِيٍّ أَوْ دِينِيٍّ.

وَكَمْ فِي دَوْلِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي هَذَا الْعَصْرِ مِنْ طَوَائِفَ مُتَنَوِّعَةٍ، وَمَذَاهِبَ

= اليمين، وينضم إلى إمبريالية الليبراليين، ويكون جنديًا ملتزمًا في صفوفها، وأيضًا: كم هي مذابح هتلر وموسوليني وجارزباني وتشاوشيكو وغيرهم من الغربيين والشرقيين.

٢- أليس المسلمون هم الذين أوقفوا ظلم القياصرة والأكاسرة في الشام والعراق وبلاد فارس ثم في الأندلس، حتى احتّمى بهم اليهود من بطش النصارى، واحتّمى بهم الأرثوذكس من بطش الكاثوليك، ومن قرأ عن الحملة الصليبية الرابعة التي وطئ فيها الكاثوليك بيزنطة، واستباحوا البيزنطيين ونكلوا بهم، وأهانوا دينهم، ثم قرأ عن فتح محمد بن مراد العثماني للقسطنطينية وتأمينه لأهلها عرف الفرق بين المسلمين الذين يسخر بهم الحمد وبين معبودات الحمد من الأوثان الغربية، وقد شهد أكبر عالم اجتماعي للمسلمين بالعدل والرحمة في حروبهم وفتوحهم، وهو جوستاف لوبون.

٣- هل يجهل الحمد أن الذي يحكم العراق الآن هم الفرس، فلماذا يجعل الدموية نتائجًا عربيًا وهو يراه الآن بأيدي فارسية، وهم يقيمون هذه المذابح انتقامًا من العرب والمسلمين، وتعصبًا لفارسيّتهم وملك أكاسرتهم، وقد كان الحمد يشيد بهم المرة بعد المرة في كثير من مقالاته، ويرى أنهم مظلومون في دولهم الخليجية، والسؤال هنا: هل حكام الخليج فعلوا بالروافض والفرس ما فعلته إيران بأهل السنة وعرب الأحواز؟ وهل فعلوا ما يفعله الصفويون الآن في العراق من تقطيع بالمناشير وخرق الرؤوس بالدريالات، وحرق أهل السنة وهم أحياء، والإبادات الجماعية لهم؟!

لكنه الهيام بالغرب والفرس وكراهية الإسلام والمسلمين توصل إلى هذا الحد من العمى أو التعامي حتى يُجلد العرب السنة من كتاب المارينز الليبرالية، في الوقت الذي يُذبحون فيه على أيدي رعاة البقر وسدنة النار.

مُخْتَلَفَةٍ، وَأَقْلِيَّاتٍ مُتَبَايِنَةٍ؛ فَهَلْ فَعَلْتَ بِهِمْ ذُلُّهُمْ السُّنَّةُ مَا يَفْعَلُهُ الصَّفَوِيُّونَ  
الْجَدُّ بِأَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْعِرَاقِ؟ وَمَاذَا سَيَفْعَلُ الصَّفَوِيُّونَ بِعُمُومِ الْمُسْلِمِينَ لَوْ  
حَكَمُوا الْعَالَمَ الْإِسْلَامِيَّ كَمَا يَظْمَحُونَ وَيُؤْمَلُونَ؟!

أَخْزَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَخَذَلَهُمْ، وَرَدَّ كَيْدَهُمْ عَلَيْهِمْ، وَحَفِظَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ شَرِّهِمْ  
وَمَكْرِهِمْ.

وَلَعَلَّ فِي هَذِهِ النَّوَازِلِ الْعَظِيمَةِ، وَالْوَقَائِعِ الْمُتَسَارِعَةِ، عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَمْرِ مِنَ  
الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يَعْرِفُوا أَعْدَاءَهُمْ مِنْ أَصْدِقَائِهِمْ، وَيُمَيِّزُوا بَيْنَ النَّاصِحِينَ لَهُمْ مِنْ  
أَهْلِ الْخِيَانَةِ وَالْغِشِّ وَالتَّدْلِيسِ.

وَلَعَلَّ فِيهَا مَوْعِظَةٌ لِعُمُومِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يُضْلِحُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى،  
وَيَتُوبُوا مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَيَلْجَأُوا إِلَى رَبِّهِمْ؛ فَمَا أَحْوَجُهُمْ إِلَى عَوْنِ اللَّهِ تَعَالَى  
وَمَدَدِهِ، وَعَافِيَّتِهِ وَحِفْظِهِ، وَتَسْدِيدِهِ وَتَثْبِيْتِهِ، فِي وَفِّ وَقَعُوا فِيهِ بَيْنَ فَكْكِ  
الْمَسَارِيعِ الصَّهْيُونِيَّةِ الْإِنْجِيلِيَّةِ، وَالطُّمُوحَاتِ الصَّفَوِيَّةِ الْفَارِسِيَّةِ! ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ  
يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [النساء: ٨٤].

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى نَبِيِّكُمْ ...





## ٣٨٣- الدولة الصفوية (٢)

## اختطاف قضية فلسطين

١٤٢٩/٧/١ هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ يَبْتَلِي عِبَادَهُ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ،  
وَالْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ، وَالسُّنَّةِ وَالْبِدْعَةِ؛ لِيُظْهِرَ الصَّادِقَ مِنَ الْكَاذِبِ، وَيُمَيِّزَ الْحَيِّثَ  
مِنَ الطَّيِّبِ ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، نَحْمَدُهُ عَلَى  
هُدَاهُ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى عَطَايَاهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،  
لَا رَبَّ لَنَا سِوَاهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ.  
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالنُّورِ وَالْهُدَى، فَلَا طَرِيقَ  
يُوصِلُ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى وَجَنَّتِهِ إِلَّا طَرِيقُهُ؛ فَمَنْ سَارَ عَلَى هُدْيِهِ وَتَمَسَّكَ  
بِسُنَّتِهِ نَجَا، وَمَنْ حَادَ عَنْهَا هَلَكَ ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ  
فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢]، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ،  
وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ؛ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ؛ لِأَنَّهُمْ خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ  
بَعْدَ نَبِيِّهَا، لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، أَتْنَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ،  
وَتَرَضَى عَنْهُمْ فِي كِتَابٍ يُتْلَى إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَإِنْ رَغِمَتْ أُتُوفُ الْبَاطِنِيِّينَ  
وَالْمُنَافِقِينَ. وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ التَّابِعِينَ لِلصَّحَابَةِ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ -أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ- وَاطِيعُوهُ؛ فَإِنَّ النِّجَاةَ فِي  
التَّقْوَى ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِثَابَتِهِمْ لَا يَمْسُهُمْ الشُّوْءُ وَلَا هُمْ يُخْزَنُونَ﴾

[الزُّمَر: ٦١].

أَيُّهَا النَّاسُ: يُحِيطُ بِأَمَّةِ الْإِسْلَامِ فِي هَذَا الْعَصْرِ مِنَ الْمَخَاطِرِ وَالْكَوَارِثِ

الْمُتَوَقَّعَةَ مَا لَا دَافِعَ لَهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وَتُحَاصِرُ الْمُسْلِمِينَ فَتَنٌ عَظِيمَةٌ لَا عَاصِمَ مِنْهَا إِلَّا التَّمَسُّكُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالتَّزَامُ هَذِي سَلَفِ الْأُمَّةِ، وَمُدَافَعَةُ الْبَاطِلِ وَأَهْلِهِ بِكَافَّةِ السُّبُلِ الْمُتَاحَةِ.

لَقَدْ تَكَالَبَ الْأَعْدَاءُ عَلَى الْإِسْلَامِ لِمَحْوِهِ وَتَغْيِيرِهِ، وَاجْتَمَعُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ لِإِخْرَاجِهِمْ مِنْ دِينِهِمْ أَوْ إِبَادَتِهِمْ، وَاسْتِباحَةَ بُلْدَانِهِمْ، وَإِسْقَاطِ مَمَالِكِهِمْ، وَتَقْسِيمِ دَوْلِهِمْ، وَنَهْبِ ثَرَوَاتِهِمْ، وَالْقَضَاءِ عَلَى قُوَّتِهِمُ الْمَعْنَوِيَّةِ الْمُكْتَسَبَةِ مِنْ دِينِهِمْ، كَمَا قَضَوْا عَلَى قُوَّتِهِمُ السِّيَاسِيَّةِ وَالْعَسْكَرِيَّةِ وَالْاِقْتِصَادِيَّةِ، فَأَضْحَى الْمُسْلِمُونَ تَابِعِينَ لِلْأُمَمِ الْقَاهِرَةِ الْمُسْتَكْبِرَةِ، يَصُدُّونَ عَنْ رَأْيِهَا، وَلَا يَخْرُجُونَ عَنْ قَرَارَاتِهَا، مُنْذُ أَنْ وَطِئَ الْاِسْتِعْمَارُ الْحَدِيثُ أَرْضَهُمْ، وَاسْتَوْلَى عَلَى قُدْسِهِمْ فَسَلَّمَهَا لِلْيَهُودِ.

وَزَلَّتْ قَضِيَّةُ الْأَرْضِ الْمُبَارَكَةِ تَتَقَادَفُهَا الْأَيْدِي، وَتُخْرِعُ لَهَا الشُّعَارَاتِ، وَيَرْتَرِقُ بِهَا الْمُرْتَرِقَةُ، فَاسْقَطَتْ حُكُومَاتٌ بِسَبَبِهَا، وَقَامَتْ دَوْلٌ تَدَّعِي تَحْرِيرَهَا، وَارْتَفَعَتْ الشُّعَارَاتُ الْقَوْمِيَّةُ الْعِلْمَانِيَّةُ تَزْعُمُ أَنَّهَا تَقْدِيهَا بِدَمِهَا، وَلَكِنَّ زُعَمَاءَ الْقَوْمِيَّةِ سَحَقُوا الْقَضِيَّةَ فِي سَبِيلِ تَثْبِيَتِ زَعَامَتِهِمْ، وَتَقْوِيَةِ أَحْزَابِهِمْ.

وَكَانَ مِنْ أخطرِ مَنْ اسْتَعْلَوْا هَذِهِ الْقَضِيَّةَ لِتَمْرِيرِ مَذَاهِبِهِمُ الْبَاطِلَةَ، وَتَقْوِيَةِ نَفُوذِهِمْ، وَحَشْدِ الْجَمَاهِيرِ الْمُتَعَطِّشَةِ خَلْفَهُمْ: الْفِرْقُ الْبَاطِنِيَّةُ الْحَيَثَةُ الَّتِي مَا عَرِفَ لَهَا عَمَلٌ قَدِيمًا وَحَدِيثًا إِلَّا خِيَانَةُ الْمُسْلِمِينَ، وَطَعْنُهُمْ مِنْ ظُهُورِهِمْ، وَمُظَاهَرَةُ أَعْدَائِهِمْ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ الْمُتَاجَرَةُ بِقَضَايَاهُمْ.

وَلَمَّا قَامَتِ الثُّورَةُ الْخُمَيْنِيَّةُ الْبَاطِنِيَّةُ فِي بِلَادِ فَارِسَ، كَانَ الْمُسْلِمُونَ مُتَعَطِّشِينَ لِمَنْ يَرْفَعُ رَايَةَ الْإِسْلَامِ فِي تَحْرِيرِ فَلَسْطِينَ، بَعْدَ الْاِنْكِسَارَاتِ الْقَوْمِيَّةِ، فَاخْتَلَفَ الصَّفُورِيُّونَ الْخُمَيْنِيُّونَ قَضِيَّةَ فَلَسْطِينَ بِالشُّعَارَاتِ الْكَاذِبَةِ، وَالتَّضْرِيحَاتِ

المُخَادَعَةِ، وَكَانَ شِعَارُ الثَّوْرَةِ آنَ ذَاكَ: «الْيَوْمَ طَهْرَانُ وَغَدَا الْقُدْسُ»<sup>(١)</sup>.

وَلَكِنَّ هَذَا الشُّعَارَ كَانَ مَشْرُوطًا بِتَحْرِيرِ طَرِيقِ كَرْبِلَاءَ أَوَّلًا، فَكَانَتْ الْحَرْبُ الْعِرَاقِيَّةُ الْإِيرَانِيَّةُ الَّتِي عَجَزَ الْبَاطِنِيُّونَ بِهَا الْوُصُولَ إِلَى كَرْبِلَاءَ، وَكَانَتْ الشُّعَارَاتُ الثَّوْرِيَّةُ الرَّنَّانَةُ ضِدَّ الْعَرَبِ وَالْيَهُودِ وَالشَّيْطَانِ الْأَكْبَرِ تَصْدُرُ آنَ ذَاكَ مِنْ طَهْرَانٍ؛ لِتَأْخُذَ بِمَجَامِعِ الْقُلُوبِ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ الْمُحِبِّطِ الْعَاجِزِ؛ لِيُظْهَرَ أَثْنَاءَهَا فَضِيحَةُ (إِيرَانِ جَيْتِ)<sup>(٢)</sup> الَّتِي انْكَشَفَ فِيهَا أَنَّ أَسْلِحَةَ الشَّيْطَانِ الْأَكْبَرِ وَإِسْرَائِيلَ

(١) وهذا الشعار وأمثاله من الشعارات جعلت الأمة من مشرقها إلى مغربها إبان الثورة الخمينية تقف وراء هذا الدعي الأفاك، في غياب تام لأهل الحق عن قيادة الأمة.

(٢) هي فضيحة التعاون الأمريكي الإسرائيلي الإيراني ضد العراق ودول الخليج أيام حرب الخليج الأولى، ووقتها كانت إيران في حالة عداء شديد مع إسرائيل وأمريكا في العلن، ولكن في السر كانت إسرائيل وأمريكا تزودان إيران بالأسلحة ضد العراق ودول الخليج. فكانت الأسلحة وقطع الغيار تشحن من أمريكا عبر إسرائيل إلى طهران، وتبين أن الشيخ صادق طباطبائي كان حلقة الوسط بين إيران وإسرائيل من خلال علاقته المتميزة مع يوسف عازر الذي كانت له علاقة بأجهزة المخابرات الإسرائيلية والجيش الإسرائيلي.

وفي مقابلة مع جريدة (الهيرلد تريديون) الأمريكية في ٢٤-٨-١٩٨١م اعترف الرئيس الإيراني السابق أبو الحسن بني صدر أنه أحيط علمًا بوجود هذه العلاقة بين إيران وإسرائيل، وأنه لم يكن يستطيع أن يواجه التيار الديني هناك والذي كان متورطًا في التنسيق والتعاون الإيراني الإسرائيلي.

وفي ٣ حزيران ١٩٨٢ اعترف مناحيم بيغن بأن إسرائيل كانت تمد إيران بالأسلحة، وعلى شارون وزير الدفاع الإسرائيلي أسباب ذلك المد العسكري الإسرائيلي إلى إيران بأن من شأن ذلك إضعاف العراق.

ثم أفادت مجلة (ميدل إيست) البريطانية في عددها تشرين الثاني ١٩٨٢ أن مباحثات تجري بين إيران وإسرائيل بشأن عقد صفقة تباع فيها إيران النفط إلى إسرائيل، في مقابل إعطاء إسرائيل أسلحة إلى إيران بمبلغ مائة مليون دولار كانت قد صادرتها من الفلسطينيين بجنوب لبنان.

وذكرت المجلة السويدية (تي تي) في ١٨ آذار ١٩٨٤ ومجلة (الأوبديفر) في عددها =

كَانَتْ تَتَدَفَّقُ سِرًّا عَلَى طَهْرَانَ فِي حَرْبِهَا مَعَ الْعِرَاقِ، وَبَانَ أَنَّ الْهَدَفَ الْفَارِسِيَّ  
الْبَاطِنِيَّ لَيْسَ الْقُدْسَ، وَإِنَّمَا بَغْدَادُ وَالْخَلِيجُ الْعَرَبِيُّ، فَعَجَزُوا عَنْ تَحْقِيقِ مُرَادِهِمْ  
آنَ ذَاكَ؛ لِيَأْتِيَ الْمُسْتَعْمِرُ الصَّلِيبِيُّ الصَّهْيُونِيُّ بِجَحَافِلِهِ فَيَطَأَ بَغْدَادَ وَيُسَلِّمَهَا لِلْعَمَائِمِ  
الْبَاطِنِيَّةِ بِلا قِتَالٍ، وَيَعْهَدُ إِلَيْهَا بِمِهْمَةٍ إِبَادَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَتَهْجِيرِهِمْ، وَيَتِمُّ إِفْرَاقُ  
بَغْدَادَ مِنْ أَهْلِهَا بِالْقَتْلِ وَالْحَرْقِ وَالتَّعْذِيبِ وَالتَّهْجِيرِ؛ لِيَكُونَ خَالِصَةً لِلصَّفَوِيِّينَ،  
وَمِنْ اسْتَوْلَى عَلَى بَغْدَادَ مَلِكٌ كُلِّ الْعِرَاقِ، وَقَدْ مَلَكَهَا الصَّفَوِيُّونَ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا  
إِلَيْهِ رَاجِعُونَ!

وَلَا زَالَتِ الشُّعَارَاتُ الْمُعَادِيَّةُ لِلْيَهُودِ وَالشَّيْطَانِ الْأَكْبَرِ هِيَ الشُّعَارَاتُ،  
وَالْمُؤْتَمَرَاتُ بِتَحْرِيرِ الْقُدْسِ تَقَامُ دَوْرِيًّا فِي إِيْرَانِ.

ثُمَّ يَظْهَرُ شَيْطَانُ بَاطِنِيٍّ آخَرُ فِي لَبْنَانَ يُعْلِنُ النِّكَايَةَ بِالْيَهُودِ، وَيَعِدُّ بِتَحْرِيرِ  
فِلَسْطِينَ، وَلَكِنْ بَعْدَ أَنْ يُحَرَّرَ يَبْرُوتَ مِنْ عُمَلَاءِ الْيَهُودِ -يُرِيدُ بِذَلِكَ أَهْلَ السُّنَّةِ-  
وَيُشْعِلُ حَرْبًا مَعَ الصَّهَابِيَّةِ كَانَتْ خِلَالَهَا صَوَارِيخُ حِزْبِ الشَّيْطَانِ تُنْصَبُ عَلَى  
قُرَى أَهْلِ السُّنَّةِ وَيُؤْتِيهِمْ قَسْرًا لِيَتَدَكَّهَا طَائِرَاتُ الصَّهَابِيَّةِ فَتَتْرَكَهَا خَرَابًا<sup>(٣)</sup>.

وَأَثْنَاءَ الْحَرْبِ وَبَعْدَهَا وَإِلَى الْيَوْمِ تُنْقَلُ عَبْرَ الْإِذَاعَاتِ وَالْفَصَائِتِ الْخُطْبُ  
الرَّنَائِيَّةُ لِأَصْحَابِ الْعَمَائِمِ الْبِدْعِيَّةِ، وَيُشَادُّ بِالْبُطُولَاتِ الْبَاطِنِيَّةِ الْمُصْطَنَعَةِ الَّتِي  
يَتَحَدَّى فِيهَا حُكَّامُ طَهْرَانَ، وَأَمِينُ حِزْبِ الشَّيْطَانِ فِي لَبْنَانَ الصَّهَابِيَّةِ وَمَنْ وَرَاءَهُمْ

= بتاريخ ٧-٤-١٩٨٤ ذكرت عقد صفقة أسلحه إسرائيلية إلى إيران، قالت المجلة الأخيرة: إنها  
بلغت أربعة مليارات دولار. فهل كانت إسرائيل لترضى بشحن السلاح إلى إيران لو كانت  
إيران تشكل أذى خطر على الوجود اليهودي؟! وهل كانت أمريكا ستعطي السلاح إلى  
إيران لو أن إيران تمثل الخطر الإسلامي الحقيقي الذي تهابه أمريكا وروسيا وغيرهما؟!  
(٣) نشر ذلك في الموقع الإخباري (مفكرة الإسلام) على الشبكة العالمية، عن طريق مراسلين  
له في لبنان.



مِنْ دُولِ الْعَرَبِ الْكُبْرَى، وَيَتَأَثَّرُ جُمُھُورُ الْأُمَّةِ الثَّانِيَةِ بِتِلْكَ الْخُطْبِ الثَّوْرِيَّةِ الْحَمَاسِيَّةِ، وَالْأَفْعَالِ الْعُنْتَرِيَّةِ الَّتِي يُبْدِيهَا الْبَاطِنِيُّونَ فِي بَيْرُوتَ وَطَهْرَانَ تَجَاهَ قَضَايَاهُمْ فِي مُوَاجَهَةِ الصَّهَابِيَّةِ وَالصَّلَيبِيِّينَ، حَتَّى كَثُرَ الْقَوْلُ: إِنَّ تَحْرِيرَ فَلَسْطِينَ سَيَكُونُ عَلَى أَيْدِي أَهْلِ الْعَمَائِمِ الْبِدْعِيَّةِ فِي إِيرَانَ وَلِبْنَانَ، بَعْدَ الْيَأْسِ مِنَ الرِّعَامَاتِ الْعِلْمَانِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي دَخَلَتْ بَيْنَ الطَّاعَةِ الْعَرَبِيِّ، فَهَلْ حَقًّا سَيَنْصُرُ الْبَاطِنِيُّونَ قَضَايَا الْمُسْلِمِينَ؟ وَمَا مَكَانُهُ بَيْنَ الْمَقْدِسِ عِنْدَهُمْ؟

فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ عِنْدَ الْإِمَامِيَّةِ أَنَّ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى فِي السَّمَاءِ وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ؛ كَمَا جَاءَ فِي تَفْسِيرِ الصَّافِي لِلْكَاشَانِيِّ عِنْدَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١]، قَالَ: «ذَاكَ فِي السَّمَاءِ، إِلَيْهِ أُسْرِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ». وَجَاءَ مِثْلُهُ فِي تَفْسِيرِ الْقُمِّيِّ مَنْسُوبًا إِلَى الْبَاقِرِ<sup>(٤)</sup>.

وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى الَّذِي أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى قُدْسِيَّتِهِ لَا قِيَمَةَ لَهُ عِنْدَهُمْ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ كُلَّ فَضْلٍ جَاءَ فِيهِ فَإِنَّهُ مِنْ صُنْعِ بَنِي أُمَيَّةٍ؛ كَمَا أَسْنَدَ الْمَجْلِسِيُّ -وهو مِنْ كِبَارِ أَئِمَّتِهِمْ- إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْمَسَاجِدِ الَّتِي لَهَا الْفَضْلُ، فَقَالَ: «الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، وَمَسْجِدُ الرَّسُولِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، قُلْتُ: وَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى جُعِلْتُ فِدَاكَ؟ قَالَ: ذَاكَ فِي السَّمَاءِ، إِلَيْهِ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، فَقُلْتُ: إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ: إِنَّهُ بَيْنَ الْمَقْدِسِ، فَقَالَ: مَسْجِدُ الْكُوفَةِ أَفْضَلُ مِنْهُ»<sup>(٥)</sup>.

(٤) تفسير الصافي لمحسن الفيض الكاشاني (١/٦٦٩-٦٧٠).

قال عباس القمي: والمشهور على أن المسجد الأقصى هو بيت المقدس، ولكن يظهر من الأحاديث الكثيرة، أن المراد منه هو البيت المعمور الذي يقع في السماء الرابعة، وهو أبعد المساجد. منتهى الآمال في تاريخ النبي والآل (٧٠).

(٥) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي (٢٢/٩٠).

وَبِنَاءَ عَلَى هَذَا الْمُعْتَقَدِ الْخَبِيثِ حَرَّفُوا حَدِيثَ شَدِّ الرَّحَالِ إِلَى الْمَسَاجِدِ  
الثَّلَاثَةِ، فَجَعَلُوهُ هَكَذَا: «لَا تَشُدُّوا الرَّحَالَ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ  
الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ، وَمَسْجِدِ الْكُوفَةِ»<sup>(٦)</sup>.

ثُمَّ إِنَّهُمْ نَسَجُوا شَبَكَةً هَائِلَةً مِنَ الْأَكَاذِيبِ وَالتَّرَهَاتِ فِي فَضْلِ مَسْجِدِ الْكُوفَةِ  
جَعَلَتْهُ عِنْدَ أَتْبَاعِهِمْ أَعْظَمَ مِنَ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ؛ لِإِضْفَاءِ قُدْسِيَّةٍ عَلَى كَرِبَلَاءَ وَمَا  
حَوَّلَهَا<sup>(٧)</sup>.

(٦) الخصال، لأبي جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي الشهير بالصدوق (١٣٧) ووسائل  
الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة للحر العاملي محمد بن الحسن (٢٥٧/٥).

(٧) ومن ذلك أحاديث عندهم تجعلها أفضل من مكة، وأنها أفضل أرض في الجنة:  
١- ما افتروه على أبي جعفر قال: (خلق الله كربلاء قبل أن يخلق الكعبة بأربعة وعشرين  
ألف عام وقدها وبارك عليها، فما زالت قبل أن يخلق الله الخلق مقدسة مباركة ولا تزال  
كذلك. وفي رواية ثانية زيادة: حتى يجعلها الله أفضل أرض في الجنة، وأفضل منزل  
ومسكن يسكن الله فيه أوليائه في الجنة) تهذيب الأحكام لأبي جعفر محمد بن الحسن  
الطوسي (٧٢/٦)، وكامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه القمي (٤٥١-٤٥٠).

٢- ما افتروه على علي بن الحسين أنه قال: (اتخذ الله أرض كربلاء حرماً آمناً مباركاً قبل  
أن يخلق أرض الكعبة بأربعة وعشرين ألف عام، وأنها إذا بدل الله الأرضين رفعها الله  
كما هي برمتها نورانية صافية فجعلت في أفضل روض من رياض الجنة، وأفضل مسكن في  
الجنة لا يسكنها إلا النبيون والمرسلون. أو قال: أولو العزم من الرسل، وأنها لتزهر من  
رياض الجنة كما يزهر الكوكب الدرّي من بين الكواكب لأهل الأرض، يغشى نورها نور  
أبصار أهل الجنة جميعاً، وهي تنادي أنا أرض الله المقدسة، والطينة المباركة التي  
تضمنت سيد الشهداء وشباب أهل الجنة) وسائل الشيعة للحر العاملي (٤٠٣/١٠).

٣- ما افتروه على أبي عبد الله الصادق (أن أرض الكعبة قالت: من مثلي وقد بُني بيت الله  
على ظهري، يأتيني الناس من كل فج عميق، وجعلت حرم الله وأمنه؟ فأوحى الله إليها  
كفي وقري، ما فَضَّلُ ما فضلت به فيما أعطيت أرض كربلاء إلا بمنزلة الإبرة غمست في  
البحر، فحملت من ماء البحر، ولولا تربة كربلاء ما فضلتك، ولولا من ضمته كربلاء لما  
خلقتك، ولا خلقت الذي افتخرت به، فقري واستقري وكوني ذنباً متواضعاً ذليلاً مهيناً =

فَإِذَا كَانَ مُعْتَقَدُهُمْ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ، وَلَا قِيَمَةَ لِلْمَوْجُودِ فِي الْأَرْضِ، فَلَمَّاذَا إِذَنْ يَعْقِدُونَ الْمُؤْتَمَرَاتِ لِلْأَقْصَى، وَيَلُوكُونَ قَضِيَّةَ الْقُدْسِ بِأَلْسِنَتِهِمْ لَوْلَا مُتَاجِرَتُهُمْ بِهَا!!

وَأَمَّا مَنَزَلَةُ أَهْلِ فَلَسْطِينَ عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْبَاطِنِيِّينَ فَلَا قِيَمَةَ لَهُمْ بِدُونِ تَشْيِيعٍ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْيَهُودِ، كَمَا جَاءَ فِي مُقَابَلَةِ نَشْرَتِهَا صَحِيفَةُ (عَصْرُ إِيرَانِ) مَعَ آيَةِ اللَّهِ خَرَّازِي، وَهُوَ مِمَّنْ يُسَمَّوْنَ بِالْمُحَافِظِينَ قَالَ فِيهَا: «إِذَا أَرَدْنَا دَعَمَ الْفِلَسْطِينِيِّينَ يَجِبُ أَنْ نَكُونَ مُتَقَيِّنينَ أَنَّ فَلَسْطِينَ سَتَكُونُ سَائِرَةً عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَإِذَا لَمْ تَكُنْ عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الْبَيْتِ إِذَنْ مَا الْفَرْقُ بَيْنَ إِسْرَائِيلَ وَفِلَسْطِينَ؟»<sup>(٨)</sup>. وَقَبْلَهُ قَالَ الْخُمَيْنِيُّ أَنَهَالِكُ: «كُلُّ سِيَاسَتِنَا لَا قِيَمَةَ لَهَا إِذَا لَمْ يَكُنْ لَنَا يَدٌ فِي الْقَضِيَّةِ الْفِلَسْطِينِيَّةِ»<sup>(٩)</sup>.

وَالْعَجِيبُ -أَيُّهَا الْإِخْوَةُ- أَنَّ التَّشْيِيعَ فِي السَّنَوَاتِ الْأَخِيرَةِ انْتَشَرَ انْتِشَارًا كَبِيرًا فِي بِلَادِ الشَّامِ وَالْمَغْرِبِ، وَغَزَا مِصْرَ، وَدَخَلَ إِلَى فَلَسْطِينَ؛ إِذْ يُوجَدُ بِهَا ثَلَاثُ جَمْعِيَّاتٍ بَاطِنِيَّةٍ تَتَوَلَّى صَرْفَ الْفِلَسْطِينِيِّينَ عَنْ دِينِهِمْ إِلَى التَّشْيِيعِ، وَأَعْجَبُ مِنْ

= غير مستتكف ولا مستكبر لأرض كربلاء، وإلا مسختك وهويت بك في نار جهنم) وسائل الشيعة (٤٠٣/١٠).

٤- ما افتروه على أبي عبد الله الصادق قال: (شاطئ الوادي الأيمن الذي ذكره الله تعالى

في القرآن هو الفراء، والبقعة المباركة هي كربلاء) التهذيب للطوسي (٣٨/٦).

٥- ما افتروه على علي بن الحسين، في قوله: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾

قال: «خرجت من دمشق حتى أتت كربلاء، فوضعت في موضع قبر الحسين عليه السلام، ثم

رجعت من ليلتها) التهذيب للطوسي (٧٣/٦).

(٨) نشرت في يوم الأحد ٢ مارس ٢٠٠٨م، ينظر: فلسطين في المشروع الإيراني، صباح

الموسوي، صحيفة دنيا الوطن الفلسطينية، الإلكترونية ٢٩/٣/٢٠٠٨م.

(٩) المرتكزات الديموغرافية والاجتماعية والثقافية في المشروع الإيراني، د.غازي التوبة،

صحيفة نور سورية الإلكترونية.

ذَلِكَ وَجُودُ جَمْعِيَّاتٍ فِي عُمُقِ إِسْرَائِيلَ تَتَوَلَّى مُهِمَّةَ تَشْيِيعِ عَرَبِ ثَمَانِيَّةٍ وَأَرْبَعِينَ  
تَحْتَ سَمْعِ الصَّهَابِيَّةِ وَبَصَرِهِمُ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ إِيْرَانَ وَحِزْبَ الشَّيْطَانِ فِي لِبْنَانٍ  
أَعْدَى أَعْدَائِهِمْ<sup>(١٠)</sup>.

وَالسَّفَارَاتُ الْإِيْرَانِيَّةُ فِي كُلِّ بِلَادِ الْأَرْضِ جَامِعَاتٌ وَمَعَاهِدٌ لِنَشْرِ التَّشْيِيعِ،  
وَطَبِعَ الْكُتُبِ الْبِدْعِيَّةِ<sup>(١١)</sup>، وَلَا يَمَسُّهَا أَحَدٌ بِسُوءٍ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي تُحَاصِرُ فِيهِ  
الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَتُجَفَّفُ مَنَابِعُهَا فِي الدُّوَلِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ، وَتُقْفَلُ  
الْجَمْعِيَّاتُ الْخَيْرِيَّةُ، وَيُحَارَبُ الدُّعَاةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِدَعْوَى مُحَارَبَةِ الْإِرْهَابِ

(١٠) نشرت جريدة السياسة الكويتية تقريراً في جزئين عن التشيع داخل إسرائيل، ذكرت فيه أن بعض مراكز الإحصاء في إسرائيل قدرت أن عدد الشيعة الرسميين داخل إسرائيل -أي في عرب ٤٨- (٦٠٠ شيعي) يعلنون تشيعهم، هذا غير من يخفونه أو لا يظهرهم شعائهم. ونقلت عن بعض المصادر الإسرائيلية أن عدد الشيعة ربما يصل إلى عشرة آلاف. ووضع الباحث اليهودي بيرتس حاييم أورليد -وهو أستاذ في علم الديانات المقارن- تقريراً ذكر فيه أن تزايد الشيعة قد يخلق دولة أخرى شيعية داخل إسرائيل. ينظر: جريدة السياسة، عددي (١٣٦٩٦-١٣٦٩٧) السبت والأحد ٣ و٤/١٢/١٤٢٧هـ.

(١١) في إيطاليا مثلاً يصلي أعضاء من السفارة الإيرانية صلاة الجمعة في أحد مساجد السنة، ويصطادون المسلمين الإيطاليين -ولا سيما الجدد- ويدعونهم للغداء، ويعطونهم حقيبة فيها جملة كتب للتعرف بالإسلام على المذهب الشيعي مترجمة باللغة الإيطالية، وفي داخل السفارة نادي للمسلمين الجدد فيه أنشطة رياضية وترفيهية ودعوية، وتضم مكتبة مترجمة إلى الإيطالية فيها أمهات كتب الشيعة، في حين أن أهل السنة يعانون مع المسلمين الجدد لندرة الكتب السنية باللغة الإيطالية، وقد شكوا إلي عدد من مديري المراكز الإسلامية هذه المشكلة، وأن الإيرانيين يختطفون المسلمين الجدد من مساجد أهل السنة، بسبب أنه لا يوجد كتب لديهم باللغة الإيطالية، وأنهم اضطروا لطردهم أعضاء السفارة الإيرانية، ومنعهم من الصلاة معهم يوم الجمعة.

وهذا في بلد واحد وقفت عليه بنفسه فكيف إذن بسائر البلاد الأجنبية التي تندر الكتب السنية المترجمة بلغة أهلها، والله المستعان.

وَتَجْفِيفِ مَنَابِعِهِ، مَعَ الْعِلْمِ أَنَّ الْعَرَبَ يُدْرَجُ إِيْرَانَ وَفُرُوعَهَا ضِمْنَ قَائِمَةِ  
الْإِرْهَابِ، وَمِحْوَرِ الشَّرِّ، فَلِمَاذَا إِذْنٌ يَسْمَحُ لَهَا بِنَشْرِ التَّشْيِيعِ، وَلَا يَثْرُبُ عَلَيْهَا فِي  
ذَلِكَ؟! حَتَّى إِنَّ بَعْضَ الرِّعَامَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْعِلْمَانِيَّةِ رَصَدَتْ اسْتِخْبَارَاتِهَا قُوَّةَ  
التَّشْيِيعِ فِي بِلَادِهَا، وَأَحَسَّتْ بِخَطَرِ التَّغْلُغْلِ الْبَاطِنِيِّ فِي أَوْسَاطِ شَعْبِهَا، فَأَرَادَتْ  
تَحْجِيمَهُ وَتَقْلِيلَهُ وَالتَّحْذِيرَ مِنْهُ، فَكَانَ الْعَرَبُ بِالْمِرْصَادِ لِكُلِّ مُحَاوَلَةٍ جَادَّةٍ لِإِيقَافِ  
تَمَدُّدِ التَّشْيِيعِ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ<sup>(١٢)</sup>، وَمَنْ بَيَّنَّ حَقَائِقَ ذَلِكَ، أَوْ حَذَّرَ مِنْهُ أَتَاهُمْ  
بِالطَّائِفِيَّةِ، وَالتَّحْرِيزِ عَلَى الْفِتْنَةِ، وَمَعُونَةِ الْعَدُوِّ عَلَى الْإِخْوَةِ، فَمَا مَصْلَحَةُ  
الصَّهَابِيَّةِ وَالصَّلِيبِيِّينَ مِنْ نَشْرِ التَّشْيِيعِ عَلَى أَوْسَعِ نِطَاقٍ، مَعَ قَمْعِهِمْ لِدُعَاةِ السُّنَّةِ؟  
وَمَا نَوْعُ الْعَدَاءِ بَيْنَ الْأُمَّةِ الْفَارِسِيَّةِ الْبَاطِنِيَّةِ وَبَيْنَ الْأُمَّةِ الرُّومَانِيَّةِ الصَّهْيُونِيَّةِ  
الصَّلِيبِيَّةِ؟

إِنَّ مَنْ قَرَأَ عَنْ مَشْرُوعِ الْفَوْضَى الْخَلَائِقَةِ الَّذِي تُرِيدُ الْقُوَى الْإِسْتِعْمَارِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ  
تَعْمِيمَهُ عَلَى دَوْلِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ أَنْ نَجَحَ فِي الْعِرَاقِ، وَمُلَحَّصُهُ إِشْعَالُ الْفِتَنِ  
وَالْحُرُوبِ الطَّائِفِيَّةِ وَالْعِرْقِيَّةِ وَالْقَبَلِيَّةِ فِي الدَّوَلِ الْمُسْتَهْدَفَةِ، مَعَ عِلْمِهِ بِنِسْبَةِ الشَّيْعَةِ  
الْإِمَامِيَّةِ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ؛ أَدْرَكَ الْمَنَافِعَ الْعَظِيمَةَ لِلْقُوَى الْإِسْتِعْمَارِيَّةِ فِي نَشْرِ  
التَّشْيِيعِ وَتَجْفِيفِ مَنَابِعِ الدَّعْوَةِ السُّنِّيَّةِ وَمُحَارَبَةِ أَهْلِهَا؛ فَنِسْبَةُ الرَّافِضَةِ الْإِمَامِيَّةِ فِي  
الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ لَا تَصِلُ إِلَى عَشْرَةِ فِي الْمِئَةِ عَلَى أَكْثَرِ التَّقْدِيرَاتِ، فِي مُقَابِلِ  
أَكْثَرِ مَنْ يَسْعِينِ فِي الْمِئَةِ مِنَ السُّنَّةِ، وَهَذَا الْعَدَدُ الْقَلِيلُ لَا يَكْفِي لِتَعْمِيمِ مَشْرُوعِ  
الْفَوْضَى الْخَلَائِقَةِ، فَكَانَ لَا بُدَّ مِنْ زَرْعِ التَّشْيِيعِ فِي كُلِّ بَلَدٍ إِسْلَامِيٍّ خَالٍ مِنْهُ،  
وَتَقْوِيَةِ الْخَلَائِقِ الْبَاطِنِيَّةِ فِي الْبِلَادِ الَّتِي يُوجَدُ فِيهَا أَقْلِيَّاتٌ مِنْهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانَ لَهُمْ

(١٢) كانت مصر خالية من التشيع تماماً، فكونت فيها إيران بأموالها بوراً شيعية عن طريق الطرق  
الصوفية، ودعمتهم بالأموال، حتى رأينا وسمعنا من يشتم الصحابة عليهم السلام، ويقذف الصديقة  
عائشة عليها السلام من أرض الكنانة، ولا يواخذ بذلك.

شَوْكَةً وَقُوَّةً، وَكَثُرَتْ أَعْدَادُهُمْ سُلْطَوْا عَلَى دُولِهِمْ، وَتَنَاحَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَكَانَتْ الْفُؤُضَى الْخَلَاقَةُ الَّتِي يَقْطِفُ الْمُسْتَعْمِرُ الصَّهْيُونِيُّ الصَّلِيبِيُّ ثِمَارَهَا، وَالْحَوِثُونَ فِي الْيَمَنِ مِثَالٌ حَيٌّ عَلَى ذَلِكَ.

وَأَمَّا حَقِيقَةُ الْعَدَاءِ بَيْنَ الصَّهَائِنَةِ وَإِيرَانَ فَعَدَاءٌ حَقِيقِيٌّ، وَلَكِنَّهُ عَدَاءٌ مَصَالِحَ وَلَيْسَ عَدَاءٌ عَقَائِدَ، وَالِدَوْلَةُ الْبَاطِنِيَّةُ الْفَارِسِيَّةُ تَتَقَارَبُ كَثِيرًا فِي تَارِيخِهَا وَمَوَاقِفِهَا وَعَقَائِدِهَا مَعَ الصَّهَائِنَةِ وَالصَّلِيبِيِّينَ، وَهِيَ فِي سِيَاسَتِهَا الْخَارِجِيَّةِ نَفْعِيَّةٌ بُرْجُمَاتِيَّةٌ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْغَرِبِيَّةِ. وَالْغَرْبُ الْإِسْتِعْمَارِيُّ قَدْ رَسَمَ لِلدَّوْلَةِ الْفَارِسِيَّةِ حُدُودًا لَا تَتَجَاوَزُهَا، فَإِنْ تَجَاوَزَتْهَا ضَرِبَتْ ضَرْبَةً تَأْدِيبٍ لِإِرْجَاعِهَا إِلَى حُدُودِهَا، وَلَيْسَ لِلْقَضَاءِ عَلَيْهَا؛ لِأَنَّهُ لَا مَضْلَحَةَ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي ضَرْبِ الدَّوْلَةِ الْفَارِسِيَّةِ الْبَاطِنِيَّةِ ضَرْبَةً تُنْهِي وُجُودَهُمْ، أَوْ تُضْعِفُ كِيَانَهُمْ، أَوْ تُقَسِّمُ دَوْلَتَهُمْ، وَإِلَّا لَفَقَدَ مَشْرُوعُ الْفُؤُضَى الْخَلَاقَةُ أَهَمُّ رُكْنٍ فِيهِ.

يَبْدُ أَنَّ عَدَاوَةَ الْأُمْتِنِ الْفَارِسِيَّةِ الْبَاطِنِيَّةِ وَالرُّومَانِيَّةِ الصَّهْيُونِيَّةِ لِأُمَّةِ الْإِسْلَامِ الَّتِي يُمَثِّلُ حَقِيقَةً دِينَهَا وَمَنْهَجَهَا أَهْلُ السُّنَّةِ عَدَاوَةٌ حَقِيقِيَّةٌ عَقَائِدِيَّةٌ دَائِمَةٌ، مُنْذُ أَنَّ قَوَّضَ الْمُسْلِمُونَ دَوْلَتِي فَارِسَ وَالرُّومَ، وَهِيَ الَّتِي يَجِبُ الْقَضَاءُ عَلَيْهَا عَنْدَهُمْ، وَتَقْسِيمُ دَوْلِهَا، وَتَجْفِيفُ مَنَابِعِ دَعْوَتِهَا، وَمُحَاصَرَةُ انْتِشَارِهَا، وَمُلَاحَقَةُ دُعَاتِهَا بِدَعَاوَى الْإِرْهَابِ وَالتَّطَرُّفِ.

رَدَّ اللَّهُ تَعَالَى كَيْدَهُمْ إِلَى نُحُورِهِمْ، وَأَشْعَلَ الْفِتْنَةَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَحَمَى بِلَادَنَا وَبِلَادَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ مُؤَامَرَاتِهِمْ ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفَ بِأَسِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [النساء: ٨٤].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ...



## الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنِ اهْتَدَى بِهِدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .  
أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى وَأَطِيعُوهُ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْكُوهُ وَبَشِيرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدْ اسْتَطَاعَ الْبَاطِنِيُّونَ وَبَحَثُوا بِالْبَغِ أَنْ يُصَوِّرُوا لِجُمْهُورِ الْأُمَّةِ أَنَّ مَنْ عَارَضَ مَشْرُوعَاتِهِمُ التَّوْشِيعِيَّةَ، أَوْ فَضَحَ مَخْطَطَاتِهِمُ الْإِجْرَامِيَّةَ، أَوْ حَذَرَ مِنَ الْغُرُورِ بِهِمْ فَهُوَ مِنْ عَمَلَاءِ الصَّهَابِيَّةِ وَالصَّلَيبِيِّينَ؛ فَكَانَ مِنْ لَوَازِمِ نَفْيِ هَذِهِ التُّهْمِ أَنْ يَقِفَ الْمُسْلِمُ الْبَائِسُ خَلْفَ أَصْحَابِ الْعَمَائِمِ الْبِدْعِيَّةِ يَهْتِفُ لَهَا، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهَا إِنْ تَمَكَّنَتْ مِنْهُ غَدًا سَامَتْهُ سُوءُ الْعَذَابِ، كَمَا فَعَلَتْ بِأَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْعِرَاقِ.

وَالْحَقُّ الَّذِي لَا مَرِيَّةَ فِيهِ أَنَّ الْمَشَارِيعَ الْفَارِسِيَّةَ الْبَاطِنِيَّةَ فِي الشَّرْقِ الْإِسْلَامِيِّ لَيْسَتْ أَقَلَّ خَطَرًا مِنَ الْمَشَارِيعِ الصَّهْيُونِيَّةِ الصَّلَيبِيَّةِ، وَأَنَّ الْعَمَائِمَ الْبِدْعِيَّةَ لَنْ تَكُونَ أَرْحَمَ بِأَهْلِ الْإِسْلَامِ مِنَ الْقُبُعَاتِ الْيَهُودِيَّةِ أَوْ الْخُودَاتِ الصَّلَيبِيَّةِ، وَكُلُّهُمْ خَطَرٌ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَجَمِيعُهُمْ أَعْدَاءُ دَائِمُونَ لِلْمُسْلِمِينَ، وَمُحَاوَلَةُ التَّقَارُبِ مَعَهُمْ ضَرْبٌ مِنَ الْخَيَالِ وَالْأَحْلَامِ؛ إِذْ إِنَّ صَهَابِيَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ يَعِدُونَنَا بِمَسِيحِهِمْ لِيَقُودَهُمْ فِي قَتْلِنَا وَتَعْزِيزِنَا، وَبَاطِنِيَّةَ فَارِسَ يَهْدِدُونَنَا بِمَهْدِيَّهِمْ لِيَقْتُلَنَا وَيُعَذِّبَنَا.

إِنَّا لَسْنَا مِنْ دُعَاةِ الْحُرُوبِ الْقَوْضِيَّةِ؛ فَفِي الْمُسْلِمِينَ مَا يَكْفِيهِمْ مِنَ التَّمَرُّقِ وَالتَّفَرُّقِ، وَلَكِنَّ الْغَرْبَ يُرِيدُهَا لِتَحْقِيقِ مَشْرُوعَاتِهِ عِبْرَ الْقَوْضَى الْخَلَاقَةِ، وَأَدَاتِهِ الرَّئِيسَةَ فِي ذَلِكَ أَصْحَابُ الْعَمَائِمِ الْبِدْعِيَّةِ الَّذِينَ أَتَبَتُوا بِجِدَارَةٍ وَاسْتَحَقَّ أَنْ

عَدَاءُهُمْ لِأَهْلِ السُّنَّةِ أَشَدُّ مِنْ عَدَائِهِمْ لِأَيِّ مِلَّةٍ أُخْرَى، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَحُذُّوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ١٠٢]، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ<sup>(١٣)</sup>.

إِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ قَدْ حَكَمُوا الْعَالَمَ الْإِسْلَامِيَّ أَرْبَعَةَ عَشَرَ قَرْنًا، فَمَا أَبَادُوا الْبَاطِنِيِّينَ وَقَدْ كَانُوا قَادِرِينَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَمَّا حَكَمَ إِسْمَاعِيلُ الصَّفْوِيُّ بِلَادَ فَارِسَ شَيْعَ أَهْلَهَا بِالسَّيْفِ، وَقَتَلَ مِائَاتِ الْأُلُوفِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ فِيهَا<sup>(١٤)</sup>، وَفِي طَهْرَانَ يَنْعَمُ أَتْبَاعُ كُلِّ الْمِلَلِ بِإِظْهَارِ شَعَائِرِهِمْ، وَبِنَاءِ مَعَابِدِهِمْ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ فِيهَا لَا مَسْجِدَ لَهُمْ.

وَلَمَّا سُلِّمَتْ بَعْدَادُ لِلصَّفْوِيِّينَ نَكَلُوا بِأَهْلِ السُّنَّةِ فِيهَا، وَتَوَلَّتْ فِرْقُ الْمَوْتِ عَمَلِيَّاتِ إِبَادَتِهِمْ وَتَهْجِيرِهِمْ حَتَّى أَفْرَغُوهَا مِنْهُمْ.

وَفِي لَبْنَانَ لَنْ يَقَرَّ لِعَمَائِمِهِمْ قَرَارٌ، وَلَنْ يَهْدَأَ لَهُمْ بَالٌ حَتَّى يَسْتَوْلُوا عَلَيْهَا فَيُهْجَرُوا أَهْلَ السُّنَّةِ مِنْهَا؛ لِتَكُونَ خَالِصَةً لِأَهْلِ بِدْعَتِهِمْ، وَمَا التَّحَرُّشَاتُ الْآخِرَةُ بِأَحْيَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ إِلَّا بِدَايَاتٍ لِذَلِكَ، وَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ.

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَقْرَأُونَ التَّارِيخَ، وَلَا يَعْرِفُونَ عَقَائِدَ الْقَوْمِ فِينَا، وَلَا يَرَوْنَ الْوَاقِعَ كَمَا هُوَ، وَإِنَّمَا يَرَوْنَهُ كَمَا يَصُوغُهُ الْأَعْدَاءُ لَهُمْ، وَلَنْ يُصَدَّقَ أَحَدُهُمْ أَنَّ الْأُمَّةَ الْبَاطِنِيَّةَ لَا يَقِلُّ خَطَرُهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْأُمَمِينَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ حَتَّى يَخْرِقَ أَصْحَابُ الْعَمَائِمِ رَأْسَهُ، وَيَنْتَهِكُوا عِرْضَهُ، وَيُهْجَرُوهُ مِنْ بَلَدِهِ.

وَقَدْ ذَكَرَ الطَّاعِيَةُ الْمُحَنِّطُ شَارُونُ فِي مُذَكَّرَاتِهِ: أَنَّ إِسْرَائِيلَ عَاشَتْ خَمْسَ

(١٣) أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: البخاري في الأدب، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين (٦١٣٣)، ومسلم في الزهد والرقائق، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين (٢٩٩٨).

(١٤) ينظر الخطبة التي قبل هذه: الدولة الصفوية (١) خطبة رقم (٣٨٢) من هذا المجلد.



سَنَوَاتٍ مِّنَ السَّلَامِ فِي ظِلِّ حِمَايَةِ حِزْبِ اللَّهِ لِلْحُدُودِ الْجَنُوبِيَّةِ اللَّبْنَانِيَّةِ؛ حَيْثُ مَنَعَ الْحِزْبُ أَيَّ وُجُودٍ سُنِّيٍّ مُّقَاوِمٍ مِّنَ التَّفَاذِ إِلَى حُدُودِ الْجَلِيلِ الْأَعْلَى شِمَالِ إِسْرَائِيلَ، فَمَتَى يَبْعِي الْمَخْدُوعُونَ حَقِيقَةَ الْقَوْمِ؟!

وَصَدَقَ رَسُولُ الْهُدَى ﷺ حِينَ قَالَ: «إِنَّهَا سَتَأْتِي عَلَى النَّاسِ سِنُونَ خَدَاعَةٍ، يُصَدِّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذِّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ» قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: «السَّفِيهَةُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ» رَوَاهُ أَحْمَدُ (١٥).

وَقَدْ صَدَّقَ أَكْثَرُ النَّاسِ حُكَّامَ طَهْرَانَ، وَعَمَائِمَ الْبِدْعَةِ فِي لِبْنَانَ، وَعَمُّوا عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَكَذَّبُوا التَّارِيخَ وَالْوَقَاعَ، وَلَمْ يُصَدِّقُوا النَّاصِحِينَ مِنْ أَبْنَاءِ الْأُمَّةِ، وَلِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ.  
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ ...



(١٥) أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أحمد (٢/ ٢٩١)، وابن ماجه في الفتن، باب الصبر على البلاء (٤٠٣٦)، وحسنه الشيخ أحمد شاكر (٧٨٩٩)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٨٨٧).

وأخرجه بنحوه من حديث أنس رضي الله عنه: الطبراني في الأوسط (٣٢٥٨)، قال الحافظ ابن حجر في الفتح: أخرجه أحمد وأبو يعلى والبيزار وسنده جيد. فتح الباري (١٣/ ٨٤).



## علامات الساعة وأخبار القيامة

٣٨٤- الأشراف الصغرى للساعة (١) انتشار الفحش  
والفاحشة والتعري.

٣٨٥- الأشراف الصغرى للساعة (٢) كثرة القتل.

٣٨٦- الأشراف الصغرى للساعة (٣) الزلازل والخسف  
والقذف والمسح.

٣٨٧- الأشراف الصغرى للساعة (٤) كثرة المال  
وفشو التجارة.

٣٨٨- الأشراف الصغرى للساعة (٥) تقارب الزمان.

٣٨٩- جنة الخلد (١) الأسماء والأوصاف.

٣٩٠- جنة الخلد (٢) الدرجات والمنازل.

٣٩١- نار الآخرة (١) أسماءها وأوصافها.

٣٩٢- نار الآخرة (٢) أبوابها ودركاتها وخزنتها.

٣٩٣- نار الآخرة (٣) أشجارها وأوديتها وجبالها.



## ٣٨٤- الأَشْرَاطُ الصَّغْرَى لِلْسَّاعَةِ (١) اِنْتِشَارُ الْفَحْشِ وَالْفَاحِشَةِ وَالتَّعْرِي

١٤/١/١٤٢٥هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]،  
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧١﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَيُّهَا النَّاسُ: عِنْدَ اقْتِرَابِ الزَّمَانِ مِنْ نَهَائِهِ، وَذُنُوبِ السَّاعَةِ مِنْ قِيَامَتِهَا؛ تَتَوَعَّضُ الْفِتْنُ وَتَكْثُرُ، وَيَرْقُقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، حَتَّى تَحِيَّاءُ الْفِتْنَةُ الْعَظِيمَةُ فَيَخَافُهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَيَقَعُ فِيهَا مَنْ يَقَعُ، ثُمَّ تَحِيَّاءُ فِتْنَةٌ أَكْبَرُ مِنْهَا فَتَنْسِيهِمُ الْأُولَى، وَيَنْشَغِلُونَ بِالثَّانِيَةِ عَنْهَا، وَلَرَبَّمَا تَمَنَّوْا الْأُولَى مِنْ هَوْلِ الثَّانِيَةِ، وَهَكَذَا . . حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ تَعَالَى بِقِيَامِ السَّاعَةِ.

وَمِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ، وَأَعْلَامِ نُبُوءَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ: مَا أَخْبَرَ بِهِ ﷺ مِنَ الْفِتَنِ

الْعَظِيمَةِ، وَالْمَصَائِبِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي تَنْزِلُ بِأَهْلِ الْإِسْلَامِ؛ فَوَقَعَ ذَلِكَ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ الْمَعْصُومُ ﷺ.

وَمِنْ ذَلِكَ: خَبَرُهُ ﷺ عَنِ الْكَاسِيَّاتِ الْعَارِيَّاتِ، وَعَنْ كَثْرَةِ الْفُحْشِ وَالْفَاحِشَةِ، وَالْإِعْلَانِ بِهَا. قَالَ ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرُهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَّاتٌ عَارِيَّاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُحْتِ الْمَائِلَةِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه <sup>(١)</sup>، وَقَدْ سَمَى النَّبِيُّ ﷺ هَذَا الصَّنْفَ بِالْكَاسِيَّاتِ الْعَارِيَّاتِ؛ لِأَنَّهُنَّ يَلْبَسْنَ الثِّيَابَ، وَمَعَ هَذَا فَهُنَّ عَارِيَّاتٌ؛ فَيَبْأَهُنَّ لَا تَسْتُرُهُنَّ؛ لِرِفْقَتِهَا وَشَفَافِيَّتِهَا وَضِيقِهَا، وَكَثْرَةِ الْفَتَحَاتِ فِيهَا الَّتِي تُظْهِرُ كَثِيرًا مِنْ أَجْسَادِهِنَّ.

وَهَذَا اللَّبَاسُ الْمَوْصُوفُ فِي الْحَدِيثِ إِنَّمَا تَلْبَسُهُ الْمَرْأَةُ لِإِظْهَارِ زِينَتِهَا وَمَقَاتِنَتِهَا لِلرِّجَالِ، وَيَنْتُجُ عَنْهُ انْتِشَارُ الزُّنَا؛ لِأَنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا تَزَيَّنَتْ لِغَيْرِ حَلِيلِهَا طَمَعَ فِيهَا الرَّجَالُ حَتَّى يَنَالُوا مِنْهَا.

وَإِذَا كَثُرَ هَذَا اللَّبَاسُ فِي النِّسَاءِ اسْتَبْعَهُ كَثْرَةُ الزُّنَا فِي النَّاسِ. وَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَكْثَرِ مِنْ حَدِيثٍ أَنَّ مِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ: كَثْرَةُ الزُّنَا، وَشُيُوعُ الْفَاحِشَةِ، بَلْ وَاسْتِحْلَالُ ذَلِكَ، وَكَثْرَةُ الشَّرِّ، وَقَلَّةُ الْخَيْرِ، حَتَّى إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ إِلَّا عَلَى الْأَشْرَارِ؛ كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «وَبَقِيَ شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمْرِ، فَعَلَيْهِمْ نَقُومُ السَّاعَةِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ <sup>(٢)</sup>. وَمَعْنَى الْحَدِيثِ: أَنَّهُ يَكْثُرُ فِيهِمُ الزُّنَا وَالْفَوَاحِشُ،

(١) أخرجه أحمد (٣٥٥/٢)، ومسلم في اللباس والزينة، باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات (٢١٢٨)، وأبو يعلى (٦٦٩٠)، وابن حبان (٧٤٦١)، والبيهقي (٢٣٤/٢)، والطبراني في الأوسط (١٨١١).

(٢) أخرجه مسلم في الفتن وأشراف الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه (٢٩٣٧).

وَيُجَامِعُ الرِّجَالُ النِّسَاءَ بِحَضْرَةِ النَّاسِ كَمَا تَفْعَلُ الْحَمِيرُ<sup>(٣)</sup>.

وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ وَالتَّفَاحُشُ»<sup>(٤)</sup>.

لَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ نِسَاءٍ كَاسِيَاتٍ عَارِيَاتٍ، وَعَنْ كَثْرَةِ الزِّنَا وَالْجَهْرِ بِهِ، وَانْتِشَارِ الْفَاحِشَةِ، وَقَدْ وَقَعَ مَا أَخْبَرَ بِهِ ﷺ، وَالْعَجِيبُ -أَيُّهَا الْإِخْوَةُ- أَنَّ الْإِمَامَ النَّوَوِيَّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- لَمَّا عَلَّقَ عَلَى حَدِيثِ الْكَاسِيَاتِ الْعَارِيَاتِ أَخْبَرَ بِأَنَّهُ وَقَعَ ذَلِكَ فِي زَمَانِهِ، فَقَالَ: «هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ مُعْجَزَاتِ النَّبُوَّةِ؛ فَقَدْ وَقَعَ هَذَانِ الصَّنَفَانِ، وَهُمَا مَوْجُودَانِ»<sup>(٥)</sup>.

وَالنَّوَوِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- عَاشَ فِي الْمِئَةِ السَّابِعَةِ، أَيْ: قَبْلَ أَكْثَرِ مِنْ سَبْعَةِ قُرُونٍ، وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لَا يُوجَدُ إِعْلَامٌ، وَلَا صَحَافَةٌ، وَلَا مَجَلَّاتٌ، وَلَا مِذْيَاعٌ، وَلَا تِلْفَازٌ، وَلَا فَضَائِيَّاتٌ، وَلَا شَبَكَةٌ عَالَمِيَّةٌ، وَلَا كَامِيرَاتُ تَصْوِيرٍ، وَلَا دُورٌ لِلْأَرْيَاءِ، وَلَا مَسْرَحٌ لِلتَّعْرِیِ، وَلَا صِنَاعَةٌ لِلْأَفْلَامِ، وَلَا عَرْضٌ لِلْمَشَاهِدِ الْجَنَسِيَّةِ عَلَى مَلَائِينَ الْمُشَاهِدِينَ، وَعَبَّرَ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِمَّا نَعْلَمُهُ وَمِمَّا نَجْهَلُهُ، وَلَا يَزَالُ الشَّرُّ فِي اتِّسَاعٍ، وَالْفَاحِشَةُ فِي انْتِشَارٍ، فَمَاذَا سَيَقُولُ هَذَا الْإِمَامُ لَوْ رَأَى مَا يَحْدُثُ الْآنَ عَلَى الْأَرْضِ؟!

لَقَدْ انْتَشَرَتِ الْفَاحِشَةُ انْتِشَارًا مُخِيفًا فِي هَذَا الْعَصْرِ بِسَبَبِ النَّظَرَةِ الْمَادِّيَّةِ لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلِلْمَرْأَةِ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ؛ فَالْأَفْكَارُ الْعِلْمَانِيَّةُ الْمَادِّيَّةُ الَّتِي شِيدَتْ عَلَيْهَا حَضَارَةُ الْعَرَبِ، وَمِنْ ثَمَّ صَدَرَتْهَا لِلْعَالَمِ كُلِّهِ تَنْظَرٌ إِلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

(٣) ينظر: شرح النووي على مسلم (٩٣/١٨).

(٤) أخرجه في حديث طويل: أحمد (١٩٩/٢)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (٧٥/١)، وصححه الشيخ أحمد شاكر في شرحه على المسند (٦٥١٤).

(٥) شرح النووي على مسلم (١٥٦/١٤).

عَلَى أَنَّهَا مَتَاعٌ يَجِبُ أَنْ يَأْخُذَ النَّاسُ حُظُوظَهُمْ مِنْهَا، بَعِيدًا عَنْ أَيِّ قِيُودٍ أَوْ مُحَرَّمَاتٍ أَوْ مَمْنُوعَاتٍ، سَوَاءً كَانَتْ دِينِيَّةً أَمْ أَخْلَاقِيَّةً أَمْ عُرْفِيَّةً، فَكُلُّ شَيْءٍ مَقْدُورٌ عَلَيْهِ فَهُوَ مُبَاحٌ، وَغَيْرُ الْمُبَاحِ هُوَ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ، وَقَاعِدَتُهُمْ فِي ذَلِكَ هِيَ قَاعِدَةُ أَسْلَافِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجنائنة: ٢٤].

وَلَمَّا كَانَتِ الْمَرْأَةُ مَنَبَعَ اللَّذَّةِ، وَزِينَةَ الدُّنْيَا، وَلَا تَكْتَمِلُ سَعَادَةُ الرَّجُلِ إِلَّا بِهَا؛ فَإِنَّ النُّظْرَةَ الْمَادِّيَّةَ جَعَلَتْهَا فِي مُقَدِّمَةِ مَا يُعْتَنَى بِهِ فِي الْمَجَالِ الْمَادِّيِّ، فَحَطَمَتْ كُلَّ الْقِيُودِ الَّتِي فُطِرَ عَلَيْهَا الْبَشَرُ، وَتَنَاقَلُوهَا جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ، وَأَكَّدَتْهَا رِسَالَاتُ الْأَنْبِيَاءِ، مِنْ: وَجُوبِ السَّتْرِ وَالْعَفَافِ، وَتَحْرِيمِ التَّعَرِّيِ وَالزُّنَا، فَكَانَتِ الصَّنَاعَاتُ الْإِعْلَامِيَّةُ فِي أَغْلِبِهَا لِلتَّرْفِيهِ وَالْإِثَارَةِ، وَالتَّرْفِيهِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِنِسَاءٍ يَنْزِعْنَ لِبَاسَهُنَّ، وَيُبْدِينَ مَفَاتِنَهُنَّ.

وَلَوْ جُمِعَتْ كُلُّ الْبَرَامِجِ الْمُفِيدَةِ: الصَّحِيَّةِ، وَالْاِقْتِصَادِيَّةِ، وَالسِّيَاسِيَّةِ، وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَالثَّقَافِيَّةِ، وَالتَّعْلِيمِيَّةِ، فِي كُلِّ وَسَائِلِ إِعْلَامِ الْبَشَرِ مِنْ صَحَافَةٍ، وَإِذَاعَاتٍ، وَفَضَائِيَّاتٍ، وَمَوَاقِعَ عَلَى الشَّبَكَةِ الْعَالَمِيَّةِ، وَقُورِنَتْ بِالْبَرَامِجِ السَّاقِطَةِ الضَّارَّةِ الَّتِي تُسَمَّى بَرَامِجِ التَّرْفِيهِ وَالْإِثَارَةِ لَمَا حِثَّ الْحَالِفُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى أَنَّ الْمُفِيدَ النَّافِعَ الَّذِي يُنْمِي الْعُقُولَ، وَيَبْنِي الْأُمَمَ، لَا يَبْلُغُ أَمَامَ الْبَرَامِجِ الْمُدْمِرَةِ عَشْرَ الْعُشْرِ.

فَكَمْ يَنْتَجُونَ مِنْ أَفْلَامٍ وَمُسْلَسَلَاتٍ؟! وَلَا بُدَّ فِيهَا مِنْ مَشَاهِدٍ غَرَامِيَّةٍ، وَقَصَصٍ عَاطِفِيَّةٍ، وَشَهَوَاتٍ مُحَرَّمَةٍ، وَنِسَاءٍ كَاسِيَاتٍ عَارِيَّاتٍ!!

وَكَمْ يَعْزُضُونَ مِنْ أَغَانٍ مُصَوَّرَةٍ تَسْتَحْيِي بَغْيِي مِنْ بَغَايَا أَبِي جَهْلٍ أَنْ تَسَاهِدَهَا؟! وَكَمْ مِنْ مَجَلَّاتٍ فِيهَا صُورٌ لِنِسَاءٍ شَبِهَ عَرَايَا؟!



وَعَبَّرَ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِمَّا يَغْزُو الْبُيُوتَ عَبْرَ الْفَضَائِيَّاتِ، وَيُشَاهِدُهُ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ،  
وَالْمُزَاهِقُونَ وَالْمُزَاهِقَاتُ، بَلْ وَحَتَّى الْأَطْفَالُ، فَكَيْفَ سَيَكُونُ حَالُ الْأَجْيَالِ  
الْحَاضِرَةِ وَالْقَادِمَةِ؟! وَكَيْفَ سَتَكُونُ أَخْلَاقُهُمْ، وَغَيْرَتُهُمْ عَلَى مَحَارِمِهِمْ، وَعَلَى  
حُرْمَاتِ اللَّهِ تَعَالَى!؟

إِنَّهُ تَذْمِيرٌ عَظِيمٌ لِلْبَشَرِيَّةِ جَمْعَاءَ، وَلِلْمُسْلِمِينَ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ، وَكُلُّ ذَلِكَ  
فِي كِفَّةٍ، وَفِي الْكِفَّةِ الْأُخْرَى مَا يُعْرَضُ مِنْ صِنَاعَةِ الْجِنْسِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهِ  
وَشُدُودَاتِهِ وَغَرَائِبِهِ، مِنْ زِنَا وَسَحَاقٍ وَعَمَلٍ قَوْمٍ لُوطٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، يَصِلُ إِلَى  
الْمُزَاهِقِ وَالْمُزَاهِقَةِ فِي غُرْفَتَيْهِمَا بِأَيْسَرِ الطَّرِيقِ، وَأَقْلَلِ الْمُؤْنَةِ، عَنْ طَرِيقِ الْأَطْبَاقِ  
الْفَضَائِيَّةِ، أَوْ الشَّبَكَةِ الْعَالَمِيَّةِ، فَمَا أَعْظَمَ الشَّرَّ! وَمَا أَكْثَرَ طُرُقَهُ وَأَبْوَابَهُ!!

وَصَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ فَلَقَدْ رَأَيْنَا النِّسَاءَ الْكَاسِيَاتِ الْعَارِيَاتِ، الْمَائِلَاتِ  
الْمُمِيلَاتِ، وَلَقَدْ أَدْرَكْنَا الزَّمَانَ الَّذِي انْتَشَرَ فِيهِ الْفُحْشُ وَالتَّفَاحُشُ، وَظَهَرَ الزِّنَا،  
وَمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الزِّنَا، حَتَّى صَارَ يُنْقَلُ إِلَى كُلِّ أَرْجَاءِ الْأَرْضِ عَبْرَ الْقَنَوَاتِ  
وَالْمَوَاقِعِ الْإِبَاحِيَّةِ.

وَأِنْ سَلِمَتْ بَعْضُ بُيُوتِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْقَنَوَاتِ وَالْمَوَاقِعِ الْإِبَاحِيَّةِ بِسَبَبِ  
الرَّقَابَةِ الصَّارِمَةِ مِنَ الْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ، فَإِنَّهَا لَنْ تَسْلَمَ مِنْ مَشَاهِدِ النِّسَاءِ  
الْكَاسِيَاتِ الْعَارِيَاتِ الْمَائِلَاتِ الْمُمِيلَاتِ فِي أَفْلاَمِهِنَّ، وَمُسْلَسَلَاتِهِنَّ، وَأَعَانِيَهِنَّ  
الْمُصَوَّرَةِ، وَلَنْ تَسْلَمَ مِنْ صُحُفٍ وَمَجَلَّاتٍ فِيهَا مَا فِيهَا مِنْ صُورِهِنَّ، إِلَّا مَنْ  
رَحِمَ اللَّهُ تَعَالَى، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ!

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَحْفَظَنَا وَنِسَاءَنَا وَأَوْلَادَنَا وَبُيُوتَنَا وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ هَذَا  
الْبَلَاءِ الْعَظِيمِ، وَأَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ بِصَلَاحِ الْقُلُوبِ وَالْأَعْمَالِ،  
وَصَلَاحِ النِّيَّاتِ وَالذُّرِّيَّاتِ، وَأَنْ يُجَنِّبَنَا وَالْمُسْلِمِينَ الْفَوَاحِشَ مَا بَطَّنَ مِنْهَا وَمَا ظَهَرَ.

اللَّهُمَّ أَغْنِنَا بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَبِطَاعَتِكَ عَنْ مَعْصِيَتِكَ، وَبِقُضْلِكَ  
عَمَّنْ سِوَاكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالْعَفَاةَ  
وَالْغِنَى.

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ.



### الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، أَحْمَدُهُ  
وَأَشْكُرُهُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،  
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ  
وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ -عِبَادَ اللَّهِ- وَأَطِيعُوهُ؛ فَلَا عَاصِمَ مِنَ الْفِتَنِ الْمُتَلَاطِمَةِ،  
وَالْمِحَنِ الْمُتَلَاخِقَةِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى؛ فَاتَّقُوهُ حَقَّ التَّقْوَى، وَامْتَلُوا أَمْرَهُ، وَاجْتَنِبُوا  
نَهْيَهُ، وَالزُّمُوا شَرِيعَتَهُ وَلَوْ ضَلَّ عَنْهَا أَكْثَرُ النَّاسِ؛ فَإِنَّ النِّجَاةَ فِيهَا ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ  
ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ  
بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٥].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَئِنْ كَانَتِ النَّظَرَةُ الْمَادِيَّةُ عِنْدَ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ -وخاصَّةً  
الْعَرَبِيِّينَ مِنْهُمْ- هِيَ الَّتِي جَعَلَتِ التُّجَّارَ الرَّأْسِمَالِيِّينَ يَتَّجِرُونَ بِالْمَرْأَةِ -فِي  
لِبَاسِهَا، وَصَوْتِهَا، وَحَرَكَاتِهَا، وَغُرْبِهَا- هَذِهِ التُّجَّارَةُ الرَّدِيئَةُ الَّتِي وَصَلَتْ إِلَى مَا  
تَرَوْنَ مِنَ انْتِشَارِ الْفَوَاحِشِ وَالْمُوبِقَاتِ وَالشُّذُوذِ، وَبَلَّغَكُمْ ذَلِكَ بِالْمُشَاهَدَةِ أَوْ

السَّمَاع؛ فَمَا الَّذِي جَعَلَ مُلَّاكَ الْقَنَوَاتِ الْفَضَائِيَّةِ<sup>(٦)</sup>، وَصَنَّاعَ الْبَرَامِجِ الْإِعْلَامِيَّةِ مِنْ تُجَّارِ الْمُسْلِمِينَ؛ يَسِيرُونَ سِيرَةَ الْغُرَبِيِّينَ الْمَادِّيِّينَ فِي هَذَا الْمَجَالِ، مَعَ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ هَؤُلَاءِ التُّجَّارِ الْمُسْلِمِينَ يُصَلُّونَ، وَيَصُومُونَ، وَيَحُجُّونَ، وَيَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ؟! أَهُوَ الرِّبْحُ الْمَادِّيُّ فَحَسْبُ؟! وَهُمْ يَجِدُونَ الرِّبْحَ فِي مَجَالَاتٍ أُخْرَى لَيْسَ فِيهَا هَذِهِ الْمَوْبِقَاتُ!! أَمْ تُرَى أَنَّ أَكْثَرَهُمْ كَانَ أَضْلُ تِجَارَاتِهِمْ بِالْحَرَامِ، فَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِإِنْشَاءِ هَذِهِ الْقَنَوَاتِ وَالْبَرَامِجِ الْمُحَرَّمَةِ؛ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا إِلَى إِثْمِهِمْ، وَيَحْمِلُوا أَوْزَارَ غَيْرِهِمْ مِنْ هَذَا الْبَشَرِ الْكَثِيرِ الَّذِينَ فُتِنُوا بِقَنَوَاتِهِمْ وَبَرَامِجِهِمْ، فَيَكُونُ حِسَابُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَظِيمًا كَبِيرًا، ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ [النحل: ٢٥]، نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ، كَمَا نَسْأَلُهُ لَنَا وَلَهُمُ الْهُدَايَةَ وَالرَّشَادَ.

إِنَّ كَثِيرًا مِنْ هَؤُلَاءِ التُّجَّارِ الْمُسْلِمِينَ -هَدَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَصْلَحَهُمْ- قَدْ اسْتَنْسَخُوا بَرَامِجَ غَرِيبَةٍ بِكَامِلِ تَفَاصِيلِهَا وَمَشَاهِدِهَا، وَنَقَلُوهَا إِلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، فَفَتَنُوا بِهَا الشَّبَابَ وَالْفَتَيَاتِ، بَرَامِجَ يَحْضَرُونَ عَلَيْهَا الْأَمْوَالَ الْعَظِيمَةَ، وَهِيَ سَامِجَةٌ تَافِهَةٌ، فِيهَا اخْتِلَاطٌ وَمُيُوعَةٌ، وَكَسْرٌ لِحَيَاءِ الْفَتَيَاتِ وَالْفَتَيَانِ، وَدَعْوَةٌ لِلْفَاحِشَةِ وَالرَّذِيلَةِ، وَتَحْرِيطٌ عَلَى التَّمَرُّدِ عَلَى الدِّينِ وَالْقِيَمِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْأَعْرَافِ، وَرَفْضٌ لِنِظَامِ الْأُسْرَةِ الَّذِي جَاءَ بِهِ الْإِسْلَامُ مِنْ وَصَايَةِ الْأَبَاءِ عَلَى الْأَوْلَادِ، وَقَوَامَةِ الْأَزْوَاجِ عَلَى الرِّزْوَاجِ<sup>(٧)</sup>.

(٦) وذلك مثل مجموعة (إم بي سي)، ومجموعة (إي آر تي) وقناة (ال بي سي) ومجموعة الأوربت، وروتانا كليب، وغيرها، وملاكها مسلمون، وأكثرهم سعوديون.

(٧) انتشرت هذه الظاهرة في القنوات الفضائية، فصارت تستجلب برامج غريبة بكامل =

فَإِذَا كَانَ مُلَّاكُ الْبَرَامِجِ الْعَرَبِيَّةِ قَدْ اخْتَارُوا هَذِهِ الطَّرِيقَ ؛ لِأَنَّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى نَظَرَتِهِمُ الْمَادِّيَّةِ لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي تَغْيِيبِ كَامِلٍ لِلْآخِرَةِ، فَمَا الَّذِي يَجْعَلُ تُجَارَ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يَتَّقِلُونَ هَذِهِ الْبَرَامِجَ التَّافِهَةَ بِكُلِّ تَفَاصِيلِهَا وَانْجِرَافَاتِهَا إِلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ ؛ لِيُفْسِدُوا بِهَا نِسَاءَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَيُيَوِّتَهُمْ؟! أَهَوُ التَّقْلِيدُ الْأَعْمَى عَلَى غَيْرِ هُدًى!؟

وَإِذَا كَانَ الْمُشَاهِدُ الْعَرَبِيُّ الْمُسْكِينُ قَدْ أُلْغِيَ الْعَالَمُ الْغَيْبِيُّ الْأُخْرَوِيُّ مِنْ تَفْكِيرِهِ وَتَقَاتِيهِ، فَعَاشَ انْتِكَاسَةً نَفْسِيَّةً حَاطِرَةً، وَأَزَمَةً فِطْرِيَّةً حَادَّةً؛ لِأَنَّهُ فِي الْأَصْلِ مَقْطُورٌ عَلَى الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ، فَقَلْبَتْ فِطْرَتُهُ رَأْسًا عَلَى عَقَبٍ، فَلَا عَجَبَ أَنْ يَلْجَأَ إِلَى الْمُسْكَنَاتِ وَالْمُهْدِئَاتِ الْفَضَائِيَّةِ التَّرْفِيهِيَّةِ، فَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهَا لِمَلْءِ الْفَرَاغِ الَّذِي خَلَفَهُ انْكَارُ الْغَيْبِ، وَلَنْ يَمْتَلِئَ إِلَّا بِالْإِيمَانِ. إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَمَا الَّذِي دَهَى كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى اسْتَقْبَلُوا كَثِيرًا مِنَ الْبَرَامِجِ الْإِعْلَامِيَّةِ الْفَاسِدَةِ بِالتَّهْلِيلِ وَالتَّرْحَابِ، وَفَتَحُوا لَهَا يُيَوِّتَهُمْ، وَأَسْلَمُوا لَهَا أَوْلَادَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ، وَهِيَ تَتَوَلَّى تَذْمِيرَ دِينِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ، وَغَيْرَتِهِمْ عَلَى أَعْرَاضِهِمْ؟!!

بَلْ قَدْ يَجْلِسُ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ الَّذِي بِيَدِهِ الْعِصْمَةُ وَالْقَوَامَةُ أَمَامَ الشَّاشَةِ مَعَ زَوْجَتِهِ وَأَبْنَائِهِ وَبَنَاتِهِ، وَيَرَوْنَ جَمِيعًا مَا يَخْدِشُ الْحَيَاءَ، وَيُدْمِرُ الْأَخْلَاقَ، وَيَلْحَظُ تَغْيِيرَ زَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ بِسَبَبِ هَذِهِ الْبَرَامِجِ الْفَاسِدَةِ وَهُوَ قَرِيرُ الْعَيْنِ، يَضْحَكُ مِلءَ فِيهِ، وَيَنَامُ مِلءَ جَفْنِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا أَقَلَّ الْغَيْرَةَ!!

= تفاصيلها وعريها، وتطبقها في تلك القنوات العربية مثل برنامج (ستار أكاديمي)، وبرنامج (الزواج عبر الشاشة)، وبرنامج (الرئيس) الذي تبنته قناة (إم بي سي)، وتقرر إقامته في البحرين فسارت مظاهرات ضده، فقرروا نقله منها، وغيره من البرامج الخليعة التي يجمعون فيها فتیان وفتيات من أقطار مختلفة؛ ليعيشوا في منزل واحد مدة معينة يأكلون سوياً ويتراقصون، ويلعبون ... إلخ.

وَكَثِيرٌ مِّمَّا يُعْرَضُ مِنْ بَرَامِجَ سَاقِطَةٍ قَدْ رَضِيَهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِنِسَائِهِمْ  
وَأَبْنَائِهِمْ وَبَنَاتِهِمْ وَيُوتِيهِمْ، وَاللَّهُ لَا يَرْضَى بِهَا أَبُو جَهْلٍ وَأَبُو لَهَبٍ وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ  
لِأَنْفُسِهِمْ؛ فَضَلًّا عَنْ أَنْ يَرْضَوْهَا لِأَوْلَادِهِمْ وَنِسَائِهِمْ! فَهَلْ كَثُرَتْ هَذِهِ الْبَرَامِجُ  
الْمُفْسِدَةُ، وَتَوَعَّهَا فِي الْهُبُوطِ وَالْإِنْحِلَالِيَّةِ؟ قَدْ قَلَلْتُ إِحْسَاسَ النَّاسِ، وَأَمَاتَتْ  
غَيْرَتَهُمْ عَلَى أَغْرَاضِهِمْ؟! نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ.

لَقَدْ فَطَنَ كَثِيرٌ مِنْ عَقَلَاءِ الْعَرَبِ وَمُتَقَفِّيهِ لِمَا لِهَذِهِ الْبَرَامِجِ الْإِعْلَامِيَّةِ مِنْ تَذْمِيرٍ،  
وَوَضَعُوا فِيهَا الْأَبْحَاثَ وَالدِّرَاسَاتِ، وَحَذَرُوا النَّاسَ مِنْ شَرِّهَا وَإِثْمِهَا، وَأَنْقَلُ  
بَعْضَ كَلَامِهِمْ فِي هَذَا الْمَجَالِ، وَلَنْ أَنْقُلَ عَنْ مُتَقَفٍّ أَوْ عَالِمٍ مُسْلِمٍ؛ لِكَيْلَا  
يُقَالَ: هَذِهِ ثِقَافَةُ الْمُتَخَلِّفِينَ؛ أَوْ هَذَا فِكْرُ الْمُؤَامَرَةِ! فَمَا أَنْقُلُهُ هِيَ أَقْوَالُ بَاجِحِي  
وَمُتَقَفِّي صَنَاعِ الْحَضَارَةِ الْمُعَاصِرَةِ!

يَقُولُ أَحَدُهُمْ: «إِذَا كَانَ السَّجْنُ هُوَ جَامِعَةُ الْجَرِيمَةِ، فَإِنَّ التِّلْفِزِيُونَ هُوَ  
الْمَدْرَسَةُ الْإِعْدَادِيَّةُ لِانْحِرَافِ الْأَحْدَاثِ»<sup>(٨)</sup>.

وَيَقُولُ آخَرُ: «رُبَّمَا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَفْعَلَ أَيَّ شَيْءٍ ضِدَّ الْهَنْدَسَةِ الْوَرَاثِيَّةِ،  
وَالْقَنَابِلِ النِّيُوتَرُونِيَّةِ، وَلَكِنَّا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُولَ: لَا لِلتِّلْفِزِيُونَ، وَنَسْتَطِيعُ أَنْ نُلْقِيَ  
بِأَجْهَرَتِنَا فِي مَقْلَبِ الزَّبَالَةِ؛ حَيْثُ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ»<sup>(٩)</sup>.

وَيَقُولُ بَاحِثٌ عَرَبِيٌّ ثَالِثٌ: «إِنِّي أَطْمَئِنُّ الَّذِينَ يَسْتَعِدُّونَ لِلتَّحْلِي عَنْ تِلْكَ  
الْقَنَوَاتِ الْفَضَائِيَّةِ بِأَنَّهُمْ لَنْ يَخْسَرُوا شَيْئًا ذَا بَالٍ»<sup>(١٠)</sup>.

(٨) القائل هو الدكتور ستيفن بانا حبيب بجامعة كولومبيا، انظر: الإعلام الإذاعي والتلفزيون

(٢٣)، عن دراسات إعلامية، ماذا تعرف عن: العجل الفضائي؟ محمد بن أحمد إسماعيل،

أعدها للنشر: إسلام دعدوشة، مجلة البيان، عدد (١٤٣) ص (٧١).

(٩) ينظر: أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون (٣٤٦) عن مجلة البيان، عدد (١٤٣) ص (٧٨).

(١٠) القائل هو جيري ماندر، ينظر: أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون (١١-١٢) عن مجلة البيان،

عدد (١٤٣) ص (٧٩).

وَمَنْ الْعَجِيبُ أَنَّ مُسْلِمًا زَارَ أَسْتَاذًا جَامِعِيًّا نَصْرَانِيًّا، كَانَ صَدِيقًا لَهُ، فَلَمْ يَرِ فِي مَنْزِلِهِ أَيَّ تِلْفَازٍ وَلَا طَبَقٍ فَضَائِيٍّ، فَسَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ، فَقَالَ: «أَنَا مَجْنُونٌ حَتَّى آتَيْتُ إِلَى بَيْتِي بِمَنْ يُشَارِكُنِي فِي تَرْبِيَةِ أَبْنَائِي؟» (١١).

تِلْكَ هِيَ أَقْوَالُ الْبَاحِثِينَ الْغَرِيبِينَ فِي هَذَا الشَّانِ الْخَطِيرِ، وَإِنِّي عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْبُيُوتِ أَصْبَحَتْ أَسِيرَةً لِلشَّاشَاتِ وَالْأَطْبَاقِ الْفَضَائِيَّةِ، بِحَيْثُ لَا تَسْتَغْنِي عَنْهَا كَمَا لَا تَسْتَغْنِي عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، فَلَا أَقَلَّ مِنْ أَنْ يَقُومَ أَرْبَابُهَا بِعَمَلِيَّةٍ تَرْشِيدٍ لِمَا يُشَاهِدُهُ أَوْلَادُهُمْ، مَعَ تَرْبِيَّتِهِمْ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ، وَاجْتِنَابِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَزَرْعِ الرَّقَابَةِ الذَّائِتَةِ فِي نَفُوسِهِمْ، وَإِقْنَاعِهِمْ بِأَضْرَارِ هَذِهِ الْبَرَامِجِ الْمُفْسِدَةِ، إِلَى أَنْ يَتِمَّ الْإِسْتِغْنَاءُ عَنْ هَذِهِ الْأَطْبَاقِ الْمُدْمَرَةِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَإِلَّا ضَاعَتْ أَخْلَاقُ أَبْنَائِهِمْ وَبَنَاتِهِمْ، وَلَاتَ حِينَ مُنْدَم!

وَالْتَفَتِيهِ النَّافِعَةُ لَا يُمَكِّنُ رَفْضُهَا، لَكِنْ أَنْ تَتَحَوَّلَ إِلَى مَعَاوِلٍ لِلْهَدْمِ وَالتَّدمِيرِ بِسَبَبِ سُوءِ اسْتِخْدَامِهَا، فَهَذَا مَا لَا يَرْضَاهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَلَا يَرْضَاهُ الْمُؤْمِنُونَ، بَلْ وَلَا يَرْضَاهُ عُقَلَاءُ الْبَشَرِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ، وَاحْفَظُوا بُيُوتَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ وَنِسَاءَكُمْ مِنْ أَدَوَاتِ الشَّرِّ وَالتَّدمِيرِ؛ فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَعِدُّوا لِلسُّؤَالِ جَوَابًا، أَلَا كُتُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ، اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (١٢).

(١١) ذكر ذلك الكاتب مروان كجك في كتابه: الأسرة أمام الفيديو والتلفزيون (٢٧١-٢٧٢) عن مجلة البيان، عدد (١٤٣) ص(٧٩).

(١٢) تنبيه: بعد كتابتي هذه الخطبة بأيام وقفت على إنكار عدد من العلماء لهذه البرامج، حين سئلوا عنها:

أولاً: سئل الشيخ العلامة عبد العزيز الرَّاجِحِي، فقال السائل: فضيلة الشيخ عبد العزيز بن =

= عبد الله الراجحي حفظه الله ورعاه: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

بث إحدى القنوات الفضائية العربية برنامجاً بعنوان (ستار أكاديمي) وملخص فكرته: أنهم أنشأوا مدرسة لتعليم الرقص والغناء والموسيقى والتمثيل، ويأتون بمجموعة من البنات والشباب الذكور، ويعيشون في هذا المبنى سوياً، ويدرسون، ويأكلون ويشربون، وينامون في نفس المبنى، وتقوم القناة ببث كل ما يدور في هذا المبنى من حيث تعلمهم الرقص والغناء، وتفاصيل حياتهم ومزاحهم ولعبهم، واختلاطهم مع بعضهم البعض، وما يتم فيه من تقبيل وضم، وكل مقدمات الجماع، ويشاهد هذه الأمور الملايين من الناس عبر هذه القناة. ومما بث فيه على سبيل المثال: مشهد لأحد الشباب وهو يمارس مع إحدى الفتيات ما يكون بين الرجل وزوجته ما عدا الجماع، وهي لا تلبس إلا ما يستر سؤتها المغلظة، ومشهد آخر لإحدى الفتيات وهي تلبس ملابسها الداخلية في غرفة مخصصة لتغيير الملابس، ثم في نهاية الأسبوع تقوم القناة بعمل حفلة غنائية صاخبة، وفيها رقص وتمثيل، يقوم به هؤلاء الشباب والبنات مع بعض المغنيين والمغنيات، وبعد ذلك يرشح المشاهدون من أفضل شاب أو شابة من هؤلاء الطلبة، والذي لا يفوز بالتصويت يستبعد من هذه المدرسة، وللعلم يا فضيلة الشيخ بلغت الاتصالات والتصويت من السعودية وحدها أحد عشر مليون اتصال، وقد ظهر أثر هذا البرنامج على سلوك الطلاب والطالبات في المدارس والبيوت، وكثرت الشكاوى من المعلمين والمعلمات؛ حيث يظل الطلاب والطالبات الساعات الطوال يتابعون هذا البرنامج الذي يهيج الغرائز، ويقتل الفضيلة؛ فظهر فسادها على دينهم ودنياهم، والله المستعان. السؤال يا فضيلة الشيخ: ما حكم مشاهدة هذا البرنامج؟ وما نصيحتك لأولياء الأمور وأرباب الأسر الذين يدخلون مثل هذه القنوات إلى بيوتهم؟ وما دور الأئمة والخطباء والدعاة والموجهين والمُرَبِّين في تخفيف الشر الحاصل من مثل هذه البرامج؟ وما حكم تمويل هذه البرامج بالمال أو الدعاية التجارية فيها؟ أفيدونا أفادكم الله، ونفع بكم الإسلام والمسلمين.

فأجاب حفظه الله تعالى:

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. أما بعد: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، فإجابة لسؤالكم عما تبثه إحدى القنوات الفضائية العربية من البرنامج الذي بعنوان (ستار أكاديمي)، واشتماله على إنشاء مدرسة لتعليم الرقص والغناء والموسيقى والتمثيل، وإتيانهم بمجموعة من البنات =

= والشباب الذكور، ويعيشون في هذا المبنى سوياً، ويدرسون ويأكلون ويشربون وينامون في نفس المبنى، وأن القناة تقوم ببيت كل ما يدور في هذا المبنى من تفاصيل حياتهم ومزاحهم ولعبهم وتعلمهم الرقص والغناء، وما يتم من تقبيل وضَم ومقدمات الجماع، ويشاهد هذه الأمور الملايين من الناس عبر هذه القناة، وعليه نفيدكم أن مشاهدة هذا البرنامج مُحَرَّم لا يجوز؛ لأن فيه هدمًا للأخلاق الإسلامية، وقضاء على الحشمة والكرامة. وهؤلاء الذين يقومون على هذا البرنامج فساق قليلو الديانة والإيمان، وما يأخذونه من المال سُخِّت حرام، وكسَبٌ خبيث، وأكل للمال بالباطل، وهو زادهم إلى النار والعياذ بالله إن لم يتوبوا من هذه الأعمال الخبيثة، وهؤلاء لا يَتَوَرَّعون عن أكل الحرام والقضاء على أخلاق المسلمين وفضائلهم وحشمتهم قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩]، فهؤلاء تَشَبَّهُوا بِالْكَفَرَةِ؛ حَيْثُ إِنَّهُمْ يَحْرُصُونَ عَلَى كَسْبِ الْمَالِ وَلَا يُبَالُونَ مِنْ حَلَالٍ أَوْ مِنْ حَرَامٍ، فَإِنْ اسْتَحْلَوْا ذَلِكَ فَهُمْ كَفَارٌ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَحْلُوا ذَلِكَ فَهُمْ عَصَاةٌ فَسَقَةٌ. ولا شك أن القائمين على هذا البرنامج فَسَقَةٌ؛ حيث يقرون المنكر، ويكشفون عورات المسلمين، ويخرجون النساء شبه عاريات لفتنة الشباب وغيرهم، ونشر الرذيلة؛ ففي هذا البرنامج مصائب وبلايا عظيمة، ونصيحتي لأولياء الأمور وأرباب الأسر الذين يُدخلون مثل هذه القنوات إلى بيوتهم الَّتِي تَجَرَّ عليهم الدمار والهلاك أن يتوبوا إلى الله وأن يقلعوا عن ذلك، وَيُطَهِّرُوا بُيُوتَهُمْ مِنْ هَذِهِ الرَّذَائِلِ وَالْبَلَايَا، فكيف ترضى لأسرتك التعرُّض لمثل هذه الفتن وَهِيَ أمانة عندك ستسأل عنها يوم القيامة؛ فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا».

أما من يمول هذه البرامج بالمال أو بالدعاية التجارية فيها فإنه يجب مقاطعتهم؛ حتى يمتنعوا عن الباطل والحرام، قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢] وهؤلاء مسؤولون عن إضاعة هذا المال لنشر الرذيلة بين المسلمين.

وعلى الأئمة والخطباء والدعاة والموجهين والمربين أن يقوموا بدورهم في توعية الناس =



= وتحذيرهم مما يضر بدينهم ودنياهم، ومنها: مشاهدة هذا البرنامج وغيره من البرامج السيئة التي تَقْضِي عَلَى الْعَقَّةِ وَالْفَضِيلَةِ وَالْحَشَمَةِ وَالْكَرَامَةِ، وعليهم أَنْ يُذَكِّرُوا النَّاسَ بِاللَّهِ وَبِوُفُوفِهِمْ بَيْنَ يَدَيْهِ لِلْحِسَابِ، وَأَنَّ اللَّهَ يَحَاسِبُ الْإِنْسَانَ عَمَّا يَعْمَلُ بِجَوَارِحِهِ؛ عَيْنَهُ وَأُذُنَهُ وَفُؤَادَهُ وَيَدَهُ وَرِجْلَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

نسأل الله السلامة والعافية، ونسأل الله أَنْ يَكْفِي الْمُسْلِمِينَ شَرَّهُمْ وَأَنْ يَرُدَّهُمْ إِلَى الصَّوَابِ، وَأَنْ يَعِزَّنَا وَإِيَّاكُمْ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ.

كتبه: عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

١٤٢٥/١/٢٥

\*\*\*

ثانيًا: سئل الشيخ العلامة عبد الرحمن البراك، فقال السائل: كثر الكلام هذه الأيام عن ما يعرض في بعض وسائل الإعلام والقنوات الفضائية خاصة مثل برنامج (ستار أكاديمي) في قناة LBC وبرنامج (Big Brother) في قناة MBC وبرنامج (على الهواء سوا) في قناة ART وبرنامج (تحدي الخوف) في قناة MBC، وتقوم فكرة هذه البرامج على اجتماع الشباب بالشابات في معهد إعداد الفنانين - كما يسمونه- بغرض الدراسة، وعرض حياتهم اليومية كاملة ومباشرة على مدى أربع وعشرين ساعة على القنوات الفضائية، وما فيه من الاختلاط والأمور المنافية للعفة والحياء، مثل: الخلوة والتقبيل والضم، وأيضًا ما تقوم به قناة روتانا والتي من أعمالها إصدار (فيديو كليب) لمغنين ومغنيات مع عرض صور فاضحة للنساء على أشكال وهيئات مختلفة، الغرض منه تسويق بضاعتهم عن طريق إثارة الغرائز.

- ما حكم مشاهدة هذه البرامج وما شابهها؟
  - ما حكم توفير وسائل مشاهدة هذه الوسائل في المنزل أو الاستراحات أو غيرها؟ وما الخطر المترتب في الدنيا والآخرة على مَنْ وَقَرَّهَا وَشَاهَدَهَا؟
  - ما حكم الدعاية لمثل هذه البرامج والترويج لها في الصحف ووسائل الإعلام الأخرى؟
  - كلمة توجيهية للأمة الإسلامية وتحذير لها من مثل هذه الوسائل.
- = وهل يدخل في مسمى «الديوث» من وضع مثل هذه القنوات في المنزل؟

= فأجاب الشيخ حفظه الله تعالى:

الحمد لله .. إن من دواعي العجب والدهشة أن يُسأل عن حكم هذه البرامج وما تشتمل عليه من المنكرات وعن مشاهدتها والدعاية لها؛ فإنه لا يخفى على من عنده أدنى بصيرة وبقية من عقل ودين وفطرة سليمة قبح هذه البرامج وعظم ضررها؛ لأنها من أظهر المنكرات، ومن يستحلها فإنه معاند للشريعة أو مكذب لها، وهو إذن بهذا الاستحلال كافر. لذا أقول:

إن مشاهدة هذه البرامج المشتملة على ما ذكر، من أنواع المنكرات والدعاية لها، وتوفير وسائلها في البيوت والاستراحات والمقاهي وغيرها، وتوفير خطوط الاتصال للمشاهدين مع القنوات التي تبث هذه البرامج .. كل ذلك حرام؛ لأنه نشر للفساد في مجتمعات المسلمين، وإفساد لها، ونشر للزنا بين الشباب والشابات، ودعوة لهم إلى الفواحش. وكل ما ينفق في هذا السبيل أو يكتسب من المال، فهو من الإنفاق في الحرام، ومن الكسب الحرام.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْمُؤْمِنَاتُ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّبَاعِيْنَ غَيْرَ أُولَىٰ إِلَافَةٍ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْوَلَدِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١، ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

وبهذا يعلم أن المؤسسين لهذه القنوات والموولين لها والمعدّين لهذه البرامج والقائمين بها والمنفذين، كلّهم من المفسدين في الأرض، الجناة على الدين وكرامة الأمة وأعراضها، وعلى كل المشاركين في هذه القنوات والبرامج مثل آثام من أفسدوهم من =

= المشاهدين والمتصلين لإبداء الإعجاب والترشيح، كما قال ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ فَعَلِيهِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا». وليعلم الذين يقصدون جمع الأموال بهذه الطريقة أنهم متعرضون لعقوبة الله في الدنيا والآخرة، ولمحق ما جمعوا. فيجب على الجميع التوبة إلى الله قبل فوات الأوان، كما قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

كما يجب على ولاة أمر الأمة أن يكفوا الشر عنها ويسدوا منافذه، ويجب على ولاة أمر الأسر أن يأخذوا على أيديهم ويحموهم مما حرم الله عليهم .. فالكل مسئول عما ائتمنه الله عليه، كما قال ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» الحديث. (أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه).

لا يخفى أن تهئية الوسائل لهذه المشاهد في البيوت، ثم السكوت عن إنكار مشاهدتها ومتابعتها نوع من الرضا بالخنا، فليقت الله كل مسلم، وليحذر عقوبة الله، كما وصى الله بذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

نسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين، ويصلح ولاة أمرهم، ويرد كيد أعدائهم، إنه تعالى على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أملاه: عبد الرحمن بن ناصر البراك

١٤٢٥/١/٢٨ هـ

\*\*\*

ثم بعد ذلك بأيام أصدرت اللجنة الدائمة بياناً في ذلك، هذا نصه:  
هذا البيان صدر في تاريخ ١٤٢٥/٢/٨ هـ برقم ٢٢٨٩٥ من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

(بيان في التحذير من برنامج «ستار أكاديمي» وما شابهه من البرامج)

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد اطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على الاستفتاءات الواردة إليها من عدد من الغيورين عن البرنامج الذي تبته بعض القنوات الفضائية العربية المسمى «ستار أكاديمي»، وما شابهه من البرامج، وبعد دراسة الموضوع رأت اللجنة تحريم بث هذه البرامج ومشاهدتها وتمويلها، والمشاركة فيها والاتصال عليها للتصويت أو لإظهار =

= الإعجاب بها؛ وذلك لما اشتملت عليه تلك البرامج من استباحة للمحرمات المجتمع على تحريمها والمجاهرة بها؛ ففي الحديث قال ﷺ: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرَ وَالْحَرِيرَ وَالْحَمَرَ وَالْمَعَازِفَ»، رواه البخاري من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، أنه قال: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَاْفَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُضْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَيَقُولُ: عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتَرُهُ رَبُّهُ ثُمَّ يُضْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ» رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وأي مجاهرة بالمُحَرَّمَاتِ والفواحش تُفوق ما تَبَيَّنَ هذه البرامج التي اشتملت على جملة من المنكرات العظيمة، من أهمها:

أولاً: الاختلاط بين الجنسين من الذكور والإناث، وقد قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وفي الحديث عنه ﷺ: «لَا يَحِلُّونَ أَحَدُكُمْ بِأَمْرَةٍ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا»، رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح عن عمر بن الخطاب. فكيف بهذه البرامج التي تقوم فكرتها الرئيسة على خلط الجنسين من الذكور والإناث وإزالة الحواجز فيما بينهم، مع ما عليه الإناث من التبرج والفسفور وإظهار للمفاتن مما يسبب الشر والبلاء؟! وقد قال الله ﷻ: ﴿وَلَا يُبْدِيَنَّ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبَنَّ خُضْرُوهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِيَنَّ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِمُعَلِّيَّاتِهِنَّ﴾ ... [النور: ٣١].

ثانياً: الدعوة الصريحة للفاحشة ووسائلها، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

ثالثاً: الدعوة إلى إماتة الحياء وقتل الغيرة في قلوب المسلمين بإلْفٍ مشاهدة هذه المناظر المخزية التي تهيج الغرائز وتبعد عن الأخلاق والفضائل، ففي الحديث أنه ﷺ قال: «إِنْ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى إِذَا لَمْ تَسْجُحْ فَاضْنَعْ مَا شِئْتَ» رواه البخاري من حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه، وعنه ﷺ أنه قال: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وعنه ﷺ أيضاً: «أَتَعَجَّبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ، لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي» رواه البخاري من حديث المغيرة بن شعبه رضي الله عنه.

ولا يكفي في ذلك -أيها المسلم- أن تترك المشاركة في هذه البرامج والنظر إليها، بل يجب عليك النصح والتذكير لمن تعلم أنه يشارك فيها بأي وجه من الوجوه؛ لما في ذلك من التعاون على البر والتقوى، والتناهي عن الإثم والعدوان. كما تدعو اللجنة التجار الممولين لهذه البرامج أن يتقوا الله تعالى فيما من الله عليهم من نعمة الأموال؛

=

= فلا يستخدموها فيما يُدْمِر شباب الأمة، ويَهْدِمُ شعائر الدين، ويخدم أعداء الإسلام؛ فإن ذلك من كفران النعم، وهو سبب في زوالها.

ولا يخفى أن هذه البرامج وأمثالها هي من أسباب جلب المصائب والبلايا على الإسلام والمسلمين، يقول الله ﷻ: «وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ» [الشورى: ٣٠]. وفي الصحيحين من حديث زينب رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها فرعاً يقول: «لا إله إلا الله، وَبِئْسَ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدْ اقْتَرَبَ، فَتُحِ الْيَوْمَ مِنْ رَدَمٍ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذِهِ»، وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها، فقلت: يا رسول الله أنهلك وفيها الصالحون؟ قال: «نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ».

نسأل الله ﷻ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يعصمنا وسائر المسلمين مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وأن لا يؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، وأن يُرِنَّا الْحَقَّ حَقًّا ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أعضاء اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

الرئيس/ عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ

عضو/ صالح بن فوزان الفوزان عضو/ عبد الله بن عبد الرحمن الغديان

عضو/ عبد الله بن محمد المطلق

عضو/ عبد الله بن علي الركبان عضو/ أحمد بن علي المبارك



## ٣٨٥- الأشراف الصغرى للساعة (٢) كثرة القتل

١٢/٢/١٤٢٥هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]،  
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَيُّهَا النَّاسُ: لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ ﷻ خَلْقَ الْبَشَرِ، وَاسْتِخْلَافَهُمْ فِي الْأَرْضِ، أَخْبَرَ مَلَائِكَتَهُ بِذَلِكَ، فَظَنَّ الْمَلَائِكَةُ ﷺ أَنَّ هَذَا الْمَخْلُوقَ الْمُسْتَخْلَفَ سَيُفْسِدُ فِي الْأَرْضِ، وَسَيَكْثُرُ الْقَتْلُ، فَوَقَعَ الْأَمْرُ كَمَا ظَنَّ الْمَلَائِكَةُ ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]. وَالْمَلَائِكَةُ لَا يَعْلَمُونَ

الْعَيْبَ، وَلَكِنَّهُمْ عَرَفُوا أَنَّ هَذَا الْمَخْلُوقَ الْمُسْتَخْلَفَ سَيُفْسِدُ فِي الْأَرْضِ وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ؛ لِمَا رَأَوْا مِنْ طَبِيعَةِ خَلْقِهِ، وَكَوْنِهِ ذَا شَهْوَةٍ. وَاتَّبَاعَ الشَّهَوَاتِ لَا يَأْتِي إِلَّا بِالْفَسَادِ، فَوَقَعَ الْأَمْرُ كَمَا ظَنُّوا<sup>(١)</sup>.

(١) ذكر الطاهر ابن عاشور أن الملائكة ﷺ تفرَّسوا ذلك في بني آدم، وردَّ ما قاله بعض المفسرين من احتمال اطلاع الملائكة على اللوح المحفوظ، أو قياس فعلهم على فعل أمة تَقَدَّمَتْ وانقرضت، أو قياسهم على الوحوش المفترسة الموجودة في الأرض قبل خلق آدم ﷺ كما في سفر التكوين من التوراة. التحرير والتنوير (٤٠٣/١).

قلت: لعل الملائكة علموا ذلك من طبيعة البشر الشهوانية، وكون آدم خُلِقَ أجوف، كما عرف إبليس ذلك، ودليل ذلك ما رواه مسلم (٢٦١١)، وأحمد (١٥٢/٣) من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَمَّا صَوَّرَ اللَّهُ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ تَرَكَّهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَتْرُكُهُ، فَجَعَلَ إِبْلِيسَ بِطِيفٍ بِهِ يَنْظُرُ مَا هُوَ، فَلَمَّا رَأَاهُ أَجُوفَ عَرَفَ أَنَّهُ خَلَقَ خَلْقًا لَا يَتِمَالِكُ».

قال القرطبي في المفهم (٥٩٦/٦): «يَعْنِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا صَوَّرَ طِينَةَ آدَمَ وَشَكَّلَهَا بِشَكْلِهِ عَلَى مَا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ، فَلَمَّا رَأَاهُ إِبْلِيسُ طَافَ بِهَا، أَي: دَارَ حَوْلَهَا، وَجَعَلَ يَنْظُرُ فِي كَيْفِيَّتِهَا وَأَمْرِهَا، فَلَمَّا رَأَاهُ ذَاتَ جَوْفٍ وَقَعَ لَهُ أَنَّهَا مَفْتَقَرَةٌ إِلَى مَا يَسُدُّ جَوْفَهَا، وَأَنَّهَا لَا تَتِمَالِكُ عِنْدَ تَحْصِيلِ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ أَغْرَاضِهَا وَشَهَوَاتِهَا، فَكَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا وَقَعَ» اهـ. ولم أقف على من استدل بهذا الحديث من المفسرين على هذه المعنى الذي ذكرته. وقد يرد عليه أن الله تعالى أعلم ملائكته بذلك قبل تصوير آدم، وهذا الإيراد لا يسلم به؛ لأن الآية ليس فيها ما يدل على ذلك، وحديث أنس السالف ذكره أفاد أمرين مهمين:

الأول: أن آدم ﷺ لما صورته الله تعالى مكث مدة مجندلاً لم تنفخ فيه الروح، وفيها طاف به إبليس، ولا يُعلم مقدار هذه المدة.

الثاني: أن إبليس استدل على ضعف آدم بتجويفه الذي يحتاج معه إلى شهوات الطعام والشراب، فتسلط عليه من قبل شهوة الأكل من الشجرة التي نهاه الله تعالى عنها.

وإذا كان إبليس قد وصل إلى آدم وهو مجندل قبل نفخ الروح فيه، وطاف به، وهو أقل منزلة من الملائكة، فليس ثمة مانع أن يكون الملائكة رأوا آدم كذلك، وعرفوا أنه أجوف يحتاج إلى ملء جوفه بالشهوات، فلما أخبرهم الله تعالى بأنه سيجعل في الأرض خليفة وقع لهم أنه هذا المصور الذي لم ينفخ الله تعالى الروح فيه، واستدلوا بذلك على أن الفساد في الأرض وسفك الدماء سيقع منه أو من ذريته، والله تعالى أعلم.



وَأَوَّلُ دَمٍ سُفِكَ فِي الْأَرْضِ دَمُ ابْنِ آدَمَ الَّذِي قَتَلَهُ أَخُوهُ، فَبَاءَ بِإِثْمِهِ وَإِثْمٍ مَنْ قُتِلَ بَعْدَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ إِثْمِ الْقَاتِلِ شَيْءٌ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ فِي بَنِي آدَمَ.

وَإِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ مِنْ نَهَائِهِ تَسَارَعَتِ الْأَيَّامُ، وَتَوَالَتِ الْأَحْدَاثُ، وَعَظُمَتِ الْفِتَنُ، وَكَثُرَ الْقَتْلُ فِي النَّاسِ.

وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ ذَلِكَ، وَأَخْبَرَ عَنِ الْأَحْدَاثِ الَّتِي تَقَعُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، وَعَنِ الْفِتَنِ وَأَنْوَاعِهَا، وَبَيْنَ الْمَخْرَجِ مِنْهَا، وَأَمَرَ بِالْبُعْدِ عَنْهَا، يُحَذِّرُ أُمَّتَهُ ذَلِكَ، وَيُبَيِّنُ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ لِلْخُلُوصِ وَالنَّجَاةِ.

وَمِمَّا أَخْبَرَ عَنْهُ ﷺ: مَا يَقَعُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ مِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ، وَأَمَارَاتِ الْقِيَامَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ: كَثْرَةُ الْقَتْلِ فِي الْبَشَرِ، كَمَا رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ الْعَمَلُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ» قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: «الْقَتْلُ الْقَتْلُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْهَرْجُ»، قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْقَتْلُ، الْقَتْلُ»<sup>(٢)</sup>.

وَأَصْلُ الْهَرْجِ: الْكَثْرَةُ فِي الشَّيْءِ حَتَّى لَا يَتَمَيَّزَ<sup>(٣)</sup>، فَتَكُونُ الْكَثْرَةُ فِي الْقَتْلِ فَاحِشَةً لَا تَمَيَّزُ فِيهَا بَيْنَ الْمُقَاتِلِ وَغَيْرِ الْمُقَاتِلِ، وَبَيْنَ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْقَتْلَ وَمَنْ لَا يَسْتَحِقُّهُ، وَسُمِّيَ الْقَتْلُ بِالْهَرْجِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِسَبَبِ اخْتِلَاطِ الْأَمْرِ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ صَرَاخَةُ مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ يَوْمٌ لَا يَدْرِي

(٢) أخرجه البخاري في الفتن، باب ظهور الفتن (٧٠٦١)، ومسلم في الفتن وأشراف الساعة، باب إذا تواجها المسلمان بسيفيهما (٢٨٨٨).

(٣) ينظر: اللسان، مادة هرج (٣٨٩/٢)، والنهاية لابن الأثير (٢٥٦/٥).

الْقَاتِلُ فِيمَا قَتَلَ، وَلَا الْمَقْتُولُ فِيمَا قُتِلَ» فَقِيلَ: كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «الْهَرْجُ، الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ»<sup>(٤)</sup>.

وَالْقَتْلُ يَكُونُ بِالْحَقِّ كإِقَامَةِ الْحُدُودِ، وَحِمَايَةِ الثُّغُورِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَهَذَا لَيْسَ مُرَادًا مِنَ الْأَحَادِيثِ، أَوْ يَكُونُ بِالْبَاطِلِ كَالِاخْتِلَافِ الَّذِي يَنْشَأُ عَنِ الْأَهْوَاءِ، وَإِعْجَابِ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَيَكُونُ مُنْتَهَاهُ رَفْعَ السَّلَاحِ وَالِافْتِتَالِ، وَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ بِالْأَحَادِيثِ الَّتِي أَفَادَتْ أَنَّ هَذَا النَّوعَ مِنَ الْقَتْلِ يَكْثُرُ قُرْبَ السَّاعَةِ.

وَأَوَّلُ مَا وَقَعَ هَذَا فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ خِلَافَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثُمَّ مَقْتَلِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَاخْتَلَفَتِ الْأُمَّةُ وَانْشَقَّتْ إِلَى صَفَيْنِ يَفْتَتِلَانِ، ثُمَّ صَارَ الْقَتْلُ فِي أَرْيَادٍ، وَكُلُّ زَمَانٍ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى عَظُمَ الشَّرُّ، وَكَثُرَتِ الْفِتَنُ، وَاسْتُسْهِلَ أَمْرُ الْقَتْلِ، فَأَهْلُ الْأَهْوَاءِ وَالْخِلَافِ يَسْعَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي قَتْلِ صَاحِبِهِ دُونَ مَا حَرَجَ، فَيُؤَدِّي خِلَافَتَهُمْ وَخِصَامَتَهُمْ إِلَى قَتْلِ مَنْ لَا ذَنْبَ لَهُمْ، أَوْ يُشَارِكُهُمْ فِي قِتَالِهِمْ مَنْ لَا يَفْهَمُ قَضِيَّتَهُمْ؛ إِمَّا عَصِيَّةً أَوْ تَقْلِيدًا أَعْمَى عَلَى غَيْرِ هُدًى، وَمِنْ هُنَا قَالَ فِي الْحَدِيثِ: «لَا يَذِرِي الْقَاتِلُ فِيمَا قَتَلَ، وَلَا الْمَقْتُولُ فِيمَا قُتِلَ».

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّ الْأَهْوَاءَ تَغْلِبُ، وَالْهَرْجُ وَالْقَتْلُ يَكْثُرُ، وَيُسْتَسْهِلُ، حَتَّى لَا يُبَالَى بِهِ، فَيَكُونُ قَتْلُ الْمُسْلِمِ عِنْدَ قَاتِلِهِ كَقَتْلِ نَمْلَةٍ»<sup>(٥)</sup>.

إِنَّ فَارُوقَ هَذِهِ الْأُمَّةِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ بَابًا دُونَ الْفِتَنِ وَالْأَهْوَاءِ، وَبِقَتْلِهِ كُسِرَ الْبَابُ، فَدَخَلَ عَلَى الْأُمَّةِ شَرٌّ كَثِيرٌ، وَفِتْنٌ مُتَلَاحِقَةٌ مُتَلَاطِمَةٌ، وَهِيَ فِي أَرْيَادٍ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَحَدَّثْتُهُ أَنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا -أَيِ: الْفِتْنِ-

(٤) أخرجه مسلم في الفتن وأشرط الساعه، باب لا تقوم الساعه حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء (٢٩٠٨).

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٧/٢١٥).

بَابًا مُغْلَقًا يُوشِكُ أَنْ يُكْسَرَ، قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: «أَكْسَرًا لَا أَبَا لَكَ؟ فَلَوْ أَنَّهُ فُتِحَ لَعَلَّهُ كَانَ يُعَادُ»، قَالَ حُذَيْفَةُ: «لَا، بَلْ يُكْسَرُ»، وَحَدَّثَهُ «أَنَّ ذَلِكَ الْبَابَ رَجُلٌ يُقْتَلُ أَوْ يَمُوتُ»<sup>(٦)</sup>.

وَقَالَ رَجُلٌ لِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رضي الله عنه: «يَا أَبَا سُلَيْمَانَ اتَّقِ اللَّهَ، فَإِنَّ الْفِتْنَ قَدْ ظَهَرَتْ، قَالَ: أَمَّا وَابْنُ الْحَطَّابِ حَيٌّ فَلَا، إِنَّمَا تَكُونُ بَعْدَهُ، فَيَنْظُرُ الرَّجُلُ فَيَفْكَرُ هَلْ يَجِدُ مَكَانًا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ مِثْلُ مَا نَزَلَ بِمَكَانِهِ الَّذِي هُوَ بِهِ مِنَ الْفِتْنَةِ وَالشَّرِّ، فَلَا يَجِدُ، فَتِلْكَ الْأَيَّامُ الَّتِي ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أَيَّامُ الْهَرَجِ، فَتَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكَنَا وَإِيَّاكُمْ تِلْكَ الْأَيَّامُ» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ<sup>(٧)</sup>. وَكَثْرَةُ الْقَتْلِ تَنْشَأُ عَنِ الْإِخْتِلَافِ، وَالْأَهْوَاءِ سَبَبُ الْإِخْتِلَافِ، وَتَنْتَشِرُ الْأَهْوَاءُ إِذَا سَادَ الْجَهْلُ فِي النَّاسِ وَقَلَّ الْعِلْمُ، وَضَعُفَ الْعَمَلُ؛ وَجَاءَتْ هَذِهِ الْمَعَانِي فِي أَحَادِيثِ كَثْرَةِ الْهَرَجِ.

وَقَدْ عَلَّقَ ابْنُ بَطَّالٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- عَلَى الْحَدِيثِ، فَقَالَ: «وَقَدْ رَأَيْنَا هَذِهِ الْأَشْرَاطَ عِيَانًا وَأَدْرَكْنَاهَا، فَقَدْ نَقَصَ الْعِلْمُ، وَظَهَرَ الْجَهْلُ، وَأُلْقِيَ بِالشُّخِّ فِي الْقُلُوبِ، وَعَمَّتِ الْفِتْنُ، وَكَثُرَ الْقَتْلُ»<sup>(٨)</sup>، وَهُوَ ﷺ قَدْ عَاشَ فِي الْقَرْنِ الْخَامِسِ، ثُمَّ بَعْدَ ثَلَاثَةِ قُرُونٍ وَنِصْفٍ قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «وَالْوَاقِعُ أَنَّ الصِّفَاتِ الْمَذْكُورَةَ وَجَدَتْ مَبَادِيهَا مِنْ عَهْدِ الصَّحَابَةِ، ثُمَّ صَارَتْ تَكْثُرُ فِي بَعْضِ الْأَمَاكِينِ دُونَ بَعْضٍ، وَالَّذِي يَعْقُبُهُ قِيَامُ السَّاعَةِ اسْتِحْكَامُ ذَلِكَ . . . وَقَدْ

(٦) أخرجه أحمد (٣٨٦/٥)، ومسلم في الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، وأنه يارز بين المسجدين (١٤٤)، والبغوي في شرح السنة (٤٢١٨).

(٧) أخرجه أحمد (٩٠/٤)، والطبراني في الكبير (١١٦/٤) برقم (٣٨٤١)، وفي الأوسط (٨٤٧٩)، وحسنه الحافظ في الفتح (١٧/١٣).

(٨) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٣/١٠).

مَضَى مِنَ الْوَقْتِ الَّذِي قَالَ فِيهِ ابْنُ بَطَّالٍ مَا قَالَ نَحْنُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَالصَّفَاتُ الْمَذْكُورَةُ فِي اِزْدِيَادٍ فِي جَمِيعِ الْبِلَادِ، لَكِنْ يَقِلُّ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ، وَيَكْثُرُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ، وَكُلَّمَا مَضَتْ طَبَقَةٌ ظَهَرَ النَّقْصُ الْكَثِيرُ فِي الَّتِي تَلِيهَا»<sup>(٩)</sup>.

وَتَكَثَّرَ الْفِتْنُ، وَيَخْتَلِطُ الْأَمْرُ، وَيَفْشُو الْهَرَجُ، حَتَّى يُغْبَطَ أَهْلُ الْقُبُورِ، وَيَتَمَنَّى الْمُؤْمِنُ الْمَوْتَ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ عَالِمًا يُقْتَدَى بِهِ، وَرَأْسًا فِي النَّاسِ يُنْظَرُ إِلَيْهِ، كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ<sup>(١٠)</sup>.

وَأِنَّمَا يَقَعُ تَغْبُطُ أَهْلِ الْقُبُورِ وَتَمَنَّى الْمَوْتِ مِنْ قِبَلِ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ عِنْدَ انْتِشَارِ الْفِتَنِ؛ خَوْفًا مِنْ ذَهَابِ الدِّينِ بِغَلْبَةِ الْبَاطِلِ وَأَهْلِهِ، وَظُهُورِ الْمَعَاصِي وَالْمُنْكَرَاتِ، وَضَعْفِ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ<sup>(١١)</sup>.

وَأَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَاَصَرَ شَيْئًا مِنَ الْفِتَنِ، وَرَأَى كَثْرَةَ الْاِخْتِلَافِ وَالتَّفَرُّقِ، وَغَلْبَةَ الْجَهْلِ وَالْهَوَى الَّذِي اسْتَبَعَهُ كَثْرَةُ الْقَتْلِ، حَتَّى تَمَنَّى الْمَوْتَ عَلَى الْحَيَاةِ، فَقَدْ رَوَى الْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: «عُدْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ فَسَدَدْتُهُ إِلَى صَدْرِي، ثُمَّ قُلْتُ: اللَّهُمَّ اشْفِ أَبَا هُرَيْرَةَ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ لَا تُرْجِعْهَا»، ثُمَّ قَالَ: «إِنْ اسْتَطَعْتَ يَا أَبَا سَلَمَةَ أَنْ تَمُوتَ فَمُتْ»، فَقُلْتُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ إِنَّا لَنُحِبُّ الْحَيَاةَ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ، لَيَأْتِيَنَّ عَلَى الْعُلَمَاءِ زَمَانٌ الْمَوْتُ أَحَبُّ إِلَيْ أَحَدِهِمْ مِنَ الذَّهَبِ الْأَحْمَرِ، لَيَأْتِيَنَّ أَحَدُكُمْ قَبْرَ

(٩) فتح الباري (١٩/١٣).

(١٠) أخرجه البخاري في الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يغبط أهل القبور (٧١١٥)، واللفظ له، ومسلم في الفتن وأشراف الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء (١٥٧).

(١١) ذكر ذلك ابن بطال (٥٨/١٠)، ونقله عنه الحافظ في الفتح (٨١/١٣).

أَخِيهِ فَيَقُولُ: لَيْتَنِي مَكَانَهُ» قَالَ الْحَاكِمُ: صَحِيحٌ عَلَى شَرِّ الشَّيْخَيْنِ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ<sup>(١٢)</sup>.

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه: «يُوشِكُ أَنْ تَمُرَّ الْجِنَازَةُ فِي السُّوقِ عَلَى الْجَمَاعَةِ، فَيَرَاهَا الرَّجُلُ، فَيَهْزَأُ رَأْسَهُ، فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَ هَذَا، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الصَّامِتِ: يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ أَمْرِ عَظِيمٍ؟ قَالَ: أَجَلٌ»<sup>(١٣)</sup>.

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَحْفَظَنَا بِحِفْظِهِ، وَأَنْ يُجَنِّبَنَا الْفِتْنَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَأَنْ يُحْسِنَ خَوَاتِمَنَا، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].  
بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ.



### الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، أَحْمَدُهُ وَأَشْكُرُهُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ اهْتَدَى بِهِدَاهُمُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

(١٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤/٣٣٧)، والخطابي في العزلة (٧٨)، وأبو نعيم في الحلية (١/٣٨٤)، والداني في الفتن (١٧٩ و٢٣٢)، والحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم (٤/٥١٨)، وعزاه الحافظ في الإصابة لابن أبي الدنيا في المحضرين، وصححه (٧/٤٤٣).

(١٣) فتح الباري لابن حجر (١٣/٨١).

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَأَطِيعُوهُ، وَاحْذَرُوا غَضَبَهُ، فَلَا تَعْصُوهُ، فَإِنَّ النَّجَاةَ مِنَ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى بِتَقْوَاهُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: هَذِهِ الْفِتْنُ الَّتِي وَقَعَتْ مُنْذُ أَوَاخِرِ الْخِلَافَةِ الرَّاشِدَةِ وَإِلَى يَوْمِنَا هَذَا، قَدْ أَخْبَرَ عَنْهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَحَذَّرَ أُمَّتَهُ مِنْهَا، وَبَيَّنَ لَهُمْ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ فِي مُوَاجَهَتِهَا، رَوَى أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَشْرَفَ عَلَى أُطْمٍ مِنْ أَطَامِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟ إِنِّي لَأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلَالَ يُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ الْفَطْرِ» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ (١٤).

وَكَانَ مِنْ فِقْهِ الصَّحَابَةِ وَعِلْمِهِمْ، وَوَرَعِهِمْ وَتَقْوَاهُمْ أَنَّهُمْ تَمَسَّكُوا بِوَصَايَا النَّبِيِّ ﷺ فِي ذَلِكَ، وَجَانَبُوا الْفِتْنَ، وَاعْتَرَلُوا أَهْلَهَا، بَلْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ ضَحَّى بِنَفْسِهِ حَذَرًا مِنَ الْوُقُوعِ فِيهَا، أَوْ أَنْ يَكُونَ هُوَ سَبَبًا لَهَا. قَالَ أَيُّوبُ السَّخْتْيَانِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «إِنَّ أَوَّلَ مَنْ أَخَذَ بِهَذِهِ الْآيَةِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ﴿لَنْ يَسُطَ إِلَيْكَ يَدُكَ لِنَفْسِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ» لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ (١٥).

وَعُثْمَانُ رضي الله عنه مَا فَعَلَ ذَلِكَ إِلَّا امْتِثَالًا لِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَما قَالَ: «سَتَكُونُ فِتْنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفُهُ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْهَا مَلَجَأً، أَوْ مَعَاذًا، فَلْيَعُذْ بِهِ»، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه: أَفْرَأَيْتَ إِنْ دَخَلَ عَلَيَّ بَيْتِي فَبَسَطَ يَدُهُ إِلَيَّ لِيَقْتُلَنِي؟ قَالَ: «كُنْ كَابْنِ آدَمَ» (١٦).

(١٤) أخرجه البخاري في الفتن، باب قول النبي ﷺ: «وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ» (٧٠٦٠)، ومسلم في الفتن وأشراف الساعة، باب نزول الفتن كمواقع القطر (٢٨٨٥).

(١٥) تفسير ابن كثير (٧٠/٢).

(١٦) أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: البخاري في الفتن، باب تكون فتن القاعد فيها خير =

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه: رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِمَارًا وَأَرْدَفَنِي خَلْفَهُ، وَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَرَأَيْتَ إِنْ أَصَابَ النَّاسَ جُوعٌ شَدِيدٌ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُومَ مِنْ فِرَاشِكَ إِلَى مَسْجِدِكَ، كَيْفَ تَصْنَعُ؟» قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «تَعَفَّفْ».

= من القائم (٧٠٨١)، ومسلم في الفتن وأشرط الساعة، باب نزول الفتن كمواقع القطر (٢٨٨٦).

والحديث الثاني أخرجه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أحمد (١٨٥/١)، وأبو يعلى (٧٥٠)، والترمذي في الفتن، باب ما جاء تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، وحسنه (٢١٩٤)، وصححه الشيخ أحمد شاكر في شرحه على المسند (١٤٤٦-١٦٠٩). قال الحافظ في الفتح: «وفيه التحذير من الفتنة، والحث على اجتناب الدخول فيها، وأن شرها يكون بحسب التعلق بها، والمراد بالفتنة ما ينشأ عن الاختلاف في طلب الملك، حيث لا يعلم المحق من المبطل، قال الطبري: اختلف السلف، فحمل ذلك بعضهم على العموم، وهم من قعد عن الدخول في القتال بين المسلمين مطلقاً؛ كسعد، وابن عمر، ومحمد بن مسلمة، وأبي بكر في آخرين، وتمسكوا بالظواهر المذكورة وغيرها، ثم اختلف هؤلاء فقالت طائفة بلزوم البيوت، وقالت طائفة: بل بالتحول عن بلد الفتن أصلاً، ثم اختلفوا؛ فمنهم من قال: إذا هجم عليه شيء من ذلك يكف يده ولو قتل، ومنهم من قال: بل يدافع عن نفسه وعن ماله وعن أهله، وهو معذور إن قُتل أو قُتِل، وقال آخرون: إذا بغت طائفة على الإمام، فامتنعت من الواجب عليها، ونصبت الحرب، وجب قتالها، وكذلك لو تحاربت طائفتان وجب على كل قادر الأخذ على يد المخطئ، ونصر المصيب، وهذا قول الجمهور، وفَصَّلَ آخرون فقالوا: كل قتال وقع بين طائفتين من المسلمين حيث لا إمام للجماعة، فالقتال حينئذ ممنوع، وتنزل الأحاديث التي في هذا الباب وغيره على ذلك، وهو قول الأوزاعي. قال الطبري: والصواب أن يقال: إن الفتنة أصلها الابتلاء، وإنكار المنكر واجب على كل من قدر عليه، فمن أعان المحق أصاب، ومن أعان المخطئ أخطأ، وإن أشكل الأمر فهي الحالة التي ورد النهي عن القتال فيها. وذهب آخرون إلى أن الأحاديث وردت في حق أناس مخصوصين، وأن النهي مخصوص بمن خوطب بذلك، وقيل: إن أحاديث النهي مخصوصة بآخر الزمان؛ حيث يحصل التحقق أن المقاتلة إنما هي في طلب الملك، وقد وقع في حديث ابن مسعود الذي أشرت إليه: «قلت: يا رسول الله، ومتى ذلك؟ قال: أيام الهرج، قلت: متى؟ قال: حين لا يأمن الرجل جليسه» اهـ (٣٤-٣٥/١٣)

قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَرَأَيْتَ إِنْ أَصَابَ النَّاسَ مَوْتُ شَدِيدٌ حَتَّى يَكُونَ النَّبِيُّ بِالْعَبْدِ، كَيْفَ تَصْنَعُ؟» قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «أَصْبِرْ، يَا أَبَا ذَرٍّ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتَّى تَغْرُقَ حِجَارَةُ الزَّيْتِ -مَوْضِعٌ بِالْمَدِينَةِ- مِنَ الدِّمَاءِ، كَيْفَ تَصْنَعُ؟» قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «أَقْعُدْ فِي بَيْتِكَ، وَأَغْلِقْ عَلَيْكَ بَابَكَ». قَالَ: فَإِنْ لَمْ أَتْرُكْ؟ قَالَ: «فَأَتِ مَنْ أَنْتَ مِنْهُ، فَكُنْ فِيهِمْ» قَالَ: فَأَخَذُ سِلَاحِي؟ قَالَ: «إِذَنْ تُشَارِكُهُمْ فِيهِ، وَلَكِنْ إِنْ خَشِيتَ أَنْ يَرُوعَكَ شِعَاعُ السَّيْفِ، فَأَلْقِ ظَرْفَ رِدَائِكَ عَلَى وَجْهِكَ حَتَّى يَبُوءَ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ» رَوَاهُ أَحْمَدُ<sup>(١٧)</sup>.

تِلْكَ هِيَ وَصِيَّةُ الرَّسُولِ ﷺ لِمَنْ أَدْرَكَ زَمَنَ الْفِتَنِ، وَرَأَى كَثْرَةَ الْقَتْلِ فِي النَّاسِ، مَنْ أَخَذَ بِهَذِهِ الْوَصِيَّةِ كَانَ مِنَ النَّاجِينَ الْفَائِزِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ خَالَفَهَا أَصَابَهُ مِنَ الشَّرِّ وَالْفِتْنَةِ بِقَدْرِ مُخَالَفَتِهِ لِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ، وَاحْذَرُوا الْفِتْنَ، وَجَانِبُوا سُبُلَهَا وَأَهْلَهَا، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ..



(١٧) أخرجه أحمد (١٦٣/٥)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٧٢٩)، والطيالسي (٤٥٩)، وأبو داود في الفتن والملاحم، باب في النهي عن السعي في الفتنة (٤٢٦١)، وابن ماجه في الفتن، باب التَّبَيُّت في الفتنة (٣٩٥٨)، والبخاري في شرح السنة (٤٢٢٠)، وصححه ابن حبان (٥٩٦٠)، والحاكم، وقال: على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (١٦٩/٢).



### ٣٨٦- الأُشْرَاطُ الصغرى للساعة (٣) الزلازل والخسف والقذف والمسح

١٦/١/١٤٢٦هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]،

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧١﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ. أَيُّهَا النَّاسُ: مِنْ دَلَائِلِ إِيْمَانِ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ: إِيْمَانُهُ بِالْغَيْبِ، وَمِنْ الْبَرَاهِينِ عَلَى كُفْرِهِ: كُفْرُهُ بِالْغَيْبِ، أَوْ شَكُّهُ فِيهِ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ قَدْ أَخْبَرَ عَنْ غَيْبٍ مَضَى وَانْتَهَى؛ كَالْإِخْبَارِ عَنِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، وَالْقُرُونِ الْغَابِرَةِ، وَأَخْبَرَ ﷺ عَمَّا يَقَعُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ؛ حَتَّى إِنَّهُ ﷺ خَطَبَ فِي أَصْحَابِهِ يَوْمًا كَامِلًا مِنْ طُلُوعِ شَمْسِهِ إِلَى غُرُوبِهَا يُخْبِرُهُمْ بِمَا سَيَقَعُ، لَمْ يَقْطَعْ خُطْبَتَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَّا لِأَدَاءِ الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ: صَلَوَاتِ الظُّهْرِ

وَالْعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ، قَالَ الرَّاوي: «فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَأَعْلَمْنَا أَحْفَظْنَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ<sup>(١)</sup>.

وَرَوَى الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: «لَقَدْ خَطَبَنَا النَّبِيُّ ﷺ خُطْبَةً مَا تَرَكَ فِيهَا شَيْئًا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا ذَكَرَهُ، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ، إِنْ كُنْتُ لَأَرَى الشَّيْءَ قَدْ نَسِيْتُهُ، فَأَعْرِفُهُ كَمَا يَعْرِفُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ إِذَا غَابَ عَنْهُ فَرَأَهُ فَعَرَفَهُ»<sup>(٢)</sup>.

وَكُلُّ مَا صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَخْبَارِ الْمُسْتَقْبَلِ فَيَجِبُ الْإِيْمَانُ بِهِ، فَإِنْ أَدْرَكَ الْمُؤْمِنُ وَقُوعَ بَعْضِ مَا أَخْبَرَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ زَادَهُ ذَلِكَ إِيْمَانًا إِلَى إِيْمَانِهِ، وَإِنْ قَضَى قَبْلَ ذَلِكَ لَقِيَ اللَّهَ ﷻ وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِالْغَيْبِ.

وَمِنْ الْأَخْبَارِ الثَّابِتَةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: مَا أَخْبَرَ عَنْ وَقُوعِهِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ؛ مِنْ كَثْرَةِ الزَّلَازِلِ وَالصَّوَاعِقِ، وَحُدُوثِ الْحَسَفِ وَالْقَذْفِ وَالْمَسْخِ، وَسَبَبُ ذَلِكَ: ذُنُوبُ الْعِبَادِ، وَمُجَاهَرَّتُهُمْ بِهَا، وَتَعْطِيلُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ؛ فَإِنَّ النَّاسَ كُلَّمَا تَقَادَمَ عَهْدُ النُّبُوَّةِ أَزْدَادَ شَرُّهُمْ، وَقَلَّ خَيْرُهُمْ، وَلَا يَأْتِي عَلَيْهِمْ زَمَانٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرُّ مِنْهُ، كَمَا صَحَّ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه من حديث عمرو بن أخطب رضي الله عنه: مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة (٢٨٩٢)، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٢١٨٣)، والطبراني في الكبير (٢٨/١٧) برقم (٤٦)، وابن حبان (٦٦٣٨)، والحاكم (٥٣٣/٤).

(٢) أخرجه البخاري في القدر، باب ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨] (٦٢٣٠)، ومسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة (٢٨٩١) واللفظ للبخاري.

(٣) عن الزبير بن عدي قال: «أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما يلقون من الحجاج، فقال: اصبروا؛ فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم، سمعته من نبيكم ﷺ» أخرجه البخاري في الفتن، باب لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه (٦٦٥٧).

فَأَمَّا كَثْرَةُ الزَّلَازِلِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، فَجَاءَ فِيهَا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ<sup>(٤)</sup>.

وَالزَّلَازِلُ تَقَعُ بَيْنَ حِينٍ وَحِينٍ فِي بِلَادٍ مُتَفَرِّقَةٍ، وَأَجْزَاءٍ مِنَ الْأَرْضِ مُخْتَلِفَةٍ مُنْذُ قَدِيمِ الزَّمَانِ، كَمَا دُونَ ذَلِكَ فِي كُتُبِ التَّوَارِيخِ، لَكِنَّ الْمَقْصُودَ بِهَذَا الْحَدِيثِ وَأَمْثَالِهِ: شُمُولُ الزَّلَازِلِ وَدَوَامُهَا<sup>(٥)</sup>.

وَيَكُونُ ذَلِكَ قُرْبَ السَّاعَةِ، فَإِذَا كَثُرَتِ الزَّلَازِلُ وَانْتَشَرَتْ عُلِمَ أَنَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ، وَيَسْبِقُ ذَلِكَ مَوْتُ كَثِيرٍ فِي النَّاسِ؛ إِمَّا بِالْحُرُوبِ أَوْ الْأُوبَةِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ؛ كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ سَلَمَةَ بْنِ نُفَيْلٍ السَّكُونِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ مَوْتَانُ شَدِيدٌ، وَبَعْدَهُ سَنَوَاتُ الزَّلَازِلِ» رَوَاهُ أَحْمَدُ<sup>(٦)</sup>.

(٤) أخرجه البخاري في الاستسقاء، باب ما قيل في الزلازل والآيات (٩٨٩).

(٥) فتح الباري لابن حجر (٨٧/١٣).

(٦) أخرجه أحمد (١٠٤/٤)، وأبو يعلى (٦٨٦١)، والدارمي (٥٥)، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثنائي (٢٤٦١)، والطبراني في الكبير (٥١/٧) برقم (٦٣٥٦)، وصححه ابن حبان (٦٧٧٧) والحاكم وقال: على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبي: الخبر من غرائب الصحاح (٤٩٤/٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٠٦/٧): «ورجاله ثقات».

والموتان على وزن البطلان: هو الموت الكثير الوقوع، ينظر: النهاية (٣٧٠/٣)، واللسان (٩٣/٢).

وذكر الحافظ أنه بضم الميم وسكون الواو، ثم ذكر أنه بالضم لغة تميم، وغيرهم يفتحونها، ويقال للبليد: «مَوْتَانُ الْقَلْبِ» بفتح الميم والسكون، ثم نقل الحافظ عن ابن الجوزي قوله: «يغلط بعض المحدثين فيقول: مَوْتَانُ بفتح الميم والواو، وإنما ذاك اسم الأرض التي لم تحبى بالزرع والإصلاح»، ثم ذكر الحافظ أنه ورد في رواية ابن السكن: «ثم موتتان» بلفظ التثنية، قال: «وحينئذ فهو بفتح الميم» اهـ من الفتح (٢٧٨/٦).

وَجَاءَ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ أَنَّ تِلْكَ الزَّلَازِلَ الَّتِي أَخْبَرَتِ النُّصُوصُ أَنَّهَا تَقَعُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ تَكُونُ بَعْدَ فَتْحِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَحُكْمِهِ بِالْإِسْلَامِ؛ كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اعْدُدْ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ سِتًّا: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مَوْتَانِ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ» وَقُعَاصُ الْغَنَمِ هُوَ دَاءٌ يُفْنِيهَا <sup>(٧)</sup>.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَوَالَةَ رضي الله عنه قَالَ: وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى رَأْسِي، فَقَالَ: «يَا ابْنَ حَوَالَةَ، إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتْ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ، فَقَدْ دَنَتْ الزَّلَازِلُ وَالْبَلَايَا وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ إِلَى النَّاسِ مِنْ يَدِي هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ وَالذَّهَبِيُّ <sup>(٨)</sup>.

وَيَقْتَرِنُ مَعَ الزَّلَازِلِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ: كَثْرَةُ الصَّوَاعِقِ أَيْضًا؛ كَمَا رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تَكْثُرُ الصَّوَاعِقُ عِنْدَ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ، حَتَّى يَأْتِيَ الرَّجُلُ الْقَوْمَ فَيَقُولُ: مَنْ صُعِقَ تِلْكَمُ الْغَدَاةُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانٌ وَفُلَانٌ» <sup>(٩)</sup>.

(٧) أخرجه أحمد (٢٥/٦)، والبخاري في الجزية والموادعة، باب ما يحذر من الغدر (٣٠٠٥)، وابن منده في الإيمان (١٠٠٠)، والطبراني في مسند الشاميين (٧٨٨-٩٣٤)، والبيهقي (٢٢٣/٩)، واستدركه الحاكم مطولاً (٤٦٩/٤)، وقال: لم يخرجاه بهذه السياقة.

والقُعَاصُ -بضم القاف-: داء يأخذ الغنم لا يلبثها أن تموت، قاله أبو عبيد كما في الغريب لابن الجوزي (٢٥٦/٢)، وينظر: النهاية (٨٨/٤).

(٨) أخرجه أحمد (٢٨٨/٥)، وأبو داود في الجهاد، باب في الرجل يغزو يلتبس الأجر والغنيمة (٢٥٣٥)، وأبو يعلى (٦٨٦٧)، والبيهقي (١٦٩/٩)، والطبراني في مسند الشاميين (٢٠١٩)، والضياء المقدسي في المختارة (٢٣٨-٢٣٩)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (٤٧١/٤).

(٩) أخرجه أحمد (٦٣/٣)، والحاثر بن أبي أسامة كما في زوائد مسنده للهيثمي (٧٩٥)، =

وَأَمَّا الْخَسْفُ وَالْمَسْحُ وَالْقَذْفُ، فَهَذِهِ الثَّلَاثُ نَسَأُلُ اللَّهَ الْعَاقِبَةَ مِنْهَا، قَدْ جَاءَتْ الْأَخْبَارُ عَنْ وَقُوعِهَا مُجْتَمِعَةً فِي أَحَادِيثَ عِدَّةٍ، مِنْهَا: مَا رَوَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَكُونُ فِي آخِرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْحٌ وَقَذْفٌ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْهَلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِذَا ظَهَرَ الْخَبْتُ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ <sup>(١٠)</sup>.

وَرَوَى ابْنُ مَاجَهَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ مَسْحٌ وَخَسْفٌ وَقَذْفٌ» <sup>(١١)</sup>.

= وأبو الشيخ في العظمة (٧٨٧)، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، وقال الذهبي: عمارة ثقة لم يخرجوا له (٤٩١/٤)

قلت: عمارة هو ابن مهران المعولي أبو سعيد البصري، قال الحافظ: لا بأس به، التقريب (١٣٥)، وفي سنده محمد بن مصعب القرقيساني، صدوق كثير الغلط كما في التقريب (٣١٩)، وضعفه به الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٨).

(١٠) أخرجه الترمذي في الفتن، باب ما جاء في الخسف (٢١٨٥)، وأبو يعلى (٤٦٩٣)، وقال الترمذي: «هذا حديث غريب من حديث عائشة لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وعبد الله بن عمر تكلم فيه يحيى بن سعيد من قبل حفظه» اهـ.

وله شاهد من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند: ابن ماجه (٤٠٦١)، والحاكم وقال: إن كان أبو الزبير سمع من عبد الله بن عمر فإنه صحيح على شرط مسلم، وقال الذهبي: على شرط مسلم (٢٩٢/٤).

وجاء عن أبي سعيد وسهل بن سعد وأبي هريرة وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والحديث الذي يليه شاهد له، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨١٥٦).

(١١) أخرجه ابن ماجه في الفتن، باب الخسوف (٤٠٥٩)، وأعله البوصيري في مصباح الزجاجة بالانقطاع بين سيار أبي الحكم وطارق بن شهاب (١٩٨/٤)، وتعبه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٧٨٧) بقوله بعد ذكر إعلال البوصيري: «وليس بشيء؛ لأنه بناء على أن سيارًا هذا هو أبو الحكم، وليس به، نعم كان بشير بن سليمان الراوي عن سيار يقول فيه أحيانًا: سيار أبو الحكم، وهو وهم منه، كما قال أحمد وغيره، وهو في هذا الحديث لم يهتم كما ترى، ولو وهم لبين وهمه، فلا يُعَلُّ بالانقطاع كما هو ظاهر، ثم إن للحديث =

وَالْخَسْفُ هُوَ: سُوءُ الْأَرْضِ بِمَا عَلَيْهَا، يُقَالُ: خَسَفَ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ خَسْفًا؛ أَيُّ: غَابَ بِهِ فِيهَا، وَمِنْهُ مَا وَقَعَ لِقَارُونَ ﴿لَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١] (١٢).

وَالْقَذْفُ هُوَ: الرَّمْيُ مِنَ السَّمَاءِ، نَسَأُ اللَّهُ السَّلَامَةَ، كَمَا حَصَلَ لِقَوْمِ لُوطٍ وَجَيْشِ أَبْرَهَةَ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤]، ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٤-٥].

وَالْمَسْخُ هُوَ: تَغْيِيرُ الْهَيْئَةِ وَالصُّورَةِ إِلَى صُورَةٍ أُخْرَى (١٣)، كَمَا مُسِخَ عَصَاةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَصَى عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَةَ وَلِخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠].

وَكُلُّ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ الثَّلَاثَةِ: الْخَسْفُ، وَالْمَسْخُ، وَالْقَذْفُ؛ تَقَعُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ الْأَحَادِيثُ، نَسَأُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ لَا نُذَرِكَهَا.

وَجَاءَ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ أَنَّ هَذَا الْخَسْفَ يُصِيبُ قَبَائِلَ كَامِلَةً فَتَبْتَلِعُهُمْ

= شواهد كثيرة تشهد لصحته عن عائشة، وعمران بن حصين، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، وسهل بن سعد، وجابر بن عبد الله، وأبي هريرة، وسعيد بن راشد اهـ. ثم ساق الألباني -رحمه الله تعالى- هذه الشواهد، وضعفه السيوطي في الجامع الصغير (٣١٧٦)، لكن صححه الألباني بشواهد المذكورة في صحيح الجامع (٢٨٥٦).

(١٢) ينظر: لسان العرب (٢٧/٣) مادة «سوخ».

(١٣) قال في القاموس: مسخه كمنعه: حَوَّلَ صورته إلى أخرى أقبح (٣٣٢/١)، وقال المُنَاوِي في التوقيف على مهمات التعاريف (٦٥٥/١): «المسخ ضربان: مسخ خاص يحصل نادراً وهو مسخ الخلق، ومسخ يحصل في كل زمن وهو مسخ الخلق؛ وذلك أن يصير الإنسان متخلِّقاً بخلق ذميم من أخلاق الحيوان» وينظر: اللسان (٥٥/٣) مادة «مسخ».

وذهب بعض أهل التفسير إلى أن مسخ بني إسرائيل كان مسخاً لقلوبهم، لكن الصواب أنه مسخ حقيقي لصورهم، كما هو ظاهر الآية القرآنية، وهو قول جماهير أهل التفسير، فلا يُلْتَفَتُ إِلَى مَنْ أَوَّلَهُ، والله أعلم.

الْأَرْضُ؛ كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ صَحَّاحِ الْعَبْدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُخْسَفَ بِقَبَائِلَ، فَيُقَالُ: مَنْ بَقِيَ مِنْ بَنِي فُلَانٍ؟» قَالَ: فَعَرَفْتُ حِينَ قَالَ قَبَائِلَ، أَنَّهَا الْعَرَبُ؛ لِأَنَّ الْعَجَمَ تُنْسَبُ إِلَى قُرَاهَا. رَوَاهُ أَحْمَدُ <sup>(١٤)</sup>.  
وَذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ مِنْ عَلَامَاتِ قُرْبِ السَّاعَةِ: الْخُسْفُ بِجَيْشٍ قُرْبَ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِقَوْمٍ قَدْ خُسِفَ فِيهِمْ هَهُنَا قَرِيبًا فَقَدْ أَظَلَّتِ السَّاعَةُ» <sup>(١٥)</sup>.  
وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا الْجَيْشَ الَّذِي يُخْسَفُ بِهِ يَكُونُ قَاصِدًا مَكَّةَ عَقِبَ ظُهُورِ الْمَهْدِيِّ؛ كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَنْتَهِي الْبُعُوثُ عَنْ غَزْوِ بَيْتِ اللَّهِ ﷻ حَتَّى يُخْسَفَ بِجَيْشٍ مِنْهُمْ» رَوَاهُ النَّسَائِيُّ <sup>(١٦)</sup>.  
وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَغْزُو

(١٤) أخرجه أحمد (٤٨٣/٣-٣١/٥)، وابن أبي شيبة (٤٥٩/٧)، وأبو يعلى (٦٨٣٤)، والطبراني في الكبير (٧٣/٨) برقم (٧٤٠٤)، وأبو عمرو الداني في الفتن (٣٤٨)، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (١٦٥٢)، وابن قانع في معجم الصحابة (٩/٢)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (٤٩٢/٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٨): «ورجاله ثقات».

(١٥) أخرجه من حديث بُيُوتَةِ الْهَلَالِيَةِ امْرَأَةَ الْقَعْقَاعِ بْنِ أَبِي حَدَرْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أحمد (٣٧٩-٣٧٨/٦)، والطبراني في الكبير (٢٠٣/٢٤) برقم (٥٢٣-٥٢٢)، وقال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني، وفيه ابن إسحاق، وهو مدلس، وبقيّة رجال أحد إسنادي أحمد رجال الصحيح» مجمع الزوائد (٩/٨)، وحسنه السيوطي في الجامع الصغير (٧٠١)، ثم الألباني في صحيح الجامع (٦١٨).  
وأخرجه من حديث مليكة بنت عمرو الأنصارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٣٤٨٠).

(١٦) أخرجه النسائي في مناسك الحج، باب حرمة الحرم (٢٠٦/٥)، والفاكهي في أخبار مكة (٧٥٣)، وتمام الرازي في فوائده (٧٠١)، والحاكم وقال: صحيح غريب ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي (٤٧٦/٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٤٦٤)، وفي السلسلة الصحيحة (٢٤٣٢).

جَيْشُ الْكَعْبَةِ، فَإِذَا كَانُوا بَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ يُخَسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يُخَسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَأُهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «يُخَسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ، وَفِي لَفْظِ لِمُسْلِمٍ: «فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الطَّرِيقَ قَدْ يَجْمَعُ النَّاسَ، قَالَ: «نَعَمْ، فِيهِمُ الْمُسْتَبْصِرُ وَالْمَجْبُورُ وَابْنُ السَّبِيلِ، يَهْلِكُونَ مَهْلَكًا وَاحِدًا، وَيَصْدُرُونَ مَصَادِرَ شَتَّى، يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ»<sup>(١٧)</sup>.

نَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ مِنْ تَحَوُّلِ عَافِيَتِهِ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِهِ، وَمِنْ جَمِيعِ سَخَطِهِ، وَنَسْأَلُهُ تَعَالَى أَنْ يَحْفَظَنَا وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ، وَأَنْ لَا يُعَذِّبَنَا بِذُنُوبِنَا، وَلَا بِمَا فَعَلَ سَفَهَاؤُنَا، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ.

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ ...



## الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، أَحْمَدُهُ وَأَشْكُرُهُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ اهْتَدَى بِهِدَاهُمُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ..

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى وَأَطِيعُوهُ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

(١٧) أخرجه البخاري في البيوع، باب ما ذكر في الأسواق (٢٠١٢)، ومسلم في الفتن وأشراف

الساعة، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت (٢٨٨٤).



﴿١٤﴾ وَأَتَقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿[الأنفال: ٢٤، ٢٥].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: مَعْرِفَةُ أَحَادِيثِ الْفِتَنِ وَالْمَلَا حِمِ، وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، دُونَ التَّكْلِيفِ فِي تَنْزِيلِهَا عَلَى الْوَاقِعِ؛ يَزِيدُ إِيْمَانَ الْمُؤْمِنِ بِرَبِّهِ، وَيُثَبِّتُ قَلْبَهُ فِي أَحْوَالِ الْفِتَنِ، وَيَجْعَلُهُ عَلَى حَذَرٍ دَائِمٍ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي الطَّاعَةِ، أَوْ الْإِصْرَارِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، مَعَ تَعَلُّقِهِ الدَّائِمِ بِاللَّهِ ﷻ مَحَبَّةً وَرَجَاءً، وَخَشْيَةً وَخَوْفًا.

وَكثْرَةُ الزَّلَازِلِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، وَحُصُولُ الْخُسْفِ وَالْقَذْفِ وَالْمَسْحِ؛ إِنَّمَا هُوَ عَذَابٌ أَوْ ابْتِلَاءٌ لِبَعْضِ الْعِبَادِ، وَتَخْوِيفٌ لِبَقِيَّتِهِمْ، لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ.

وَالْوَعِيدُ بِهَذِهِ الْآيَاتِ الْكُونِيَّةِ الَّتِي يُخَوِّفُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا عِبَادَهُ إِنَّمَا يَكُونُ عِنْدَ الْمُجَاهَرَةِ بِالْمَعَاصِي، وَضَعْفُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَهَذَا هُوَ فَهْمُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِقَوْلِهِ ﷺ ذَلِكْ؛ أَلَا تَرَوْنَ -يَا عِبَادَ اللَّهِ- أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ زَلَزَلَتِ الْمَدِينَةُ فِي خِلَافَتِهِ قَالَ: «يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ: مَا أَسْرَعَ مَا أَحْدَثْتُمْ! وَاللَّهِ لَئِنْ عَادَتْ لَأَخْرَجَنَّ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ»<sup>(١٨)</sup>، فَخَشِيَ ﷺ أَنَّ تُصِيبَهُ الْعُقُوبَةُ مَعَهُمْ، كَمَا قِيلَ لِلرَّسُولِ ﷺ: أَنْهَلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبْثُ، وَبَيَّعْتُ اللَّهُ الصَّالِحِينَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ»<sup>(١٩)</sup>.

بَلْ جَاءَتْ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ الصَّرِيحَةُ بِأَنَّ الْخُسْفَ وَالْقَذْفَ وَالْمَسْحَ إِنَّمَا يَقَعُ بِسَبَبِ التَّلَبُّسِ بِالْبِدْعِ، وَالْإِصْرَارِ عَلَى الْمَعَاصِي، وَلَا سِيَّمَا كِبَائِرَ الذُّنُوبِ. أَمَّا الْبِدْعُ فَجَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي مَسْخٌ وَقَذْفٌ وَهُوَ

(١٨) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (١٧٣١) وابن المنذر في الأوسط (٢٨٥٢).

(١٩) ينظر: عمدة القاري للعيني (٥٧/٧).

في الرُّنْدِيقَةِ وَالْقَدَرَةِ» رَوَاهُ أَحْمَدُ<sup>(٢٠)</sup>.

وَكَمْ فِي الْأُمَّةِ مِنْ زَنَادِقَةٍ يَرْفُضُونَ شَرِيعَةَ اللَّهِ ﷻ، وَيَسْعَوْنَ فِي فَسَادِ النَّاسِ فِي أَدْيَانِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ، وَيُجَاهِرُونَ بِذَلِكَ أَشَدَّ الْمَجَاهِرَةِ.  
وَكَمْ فِي النَّاسِ مِمَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ، أَوْ يَعْتَزُّ عَلَيْهِ، أَوْ يَحْتَجُّ بِهِ عَلَى كُفْرِهِ وَمَعْصِيَتِهِ؟!

وَأَمَّا كِبَائِرُ الذُّنُوبِ فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ»، قَالَ رَجُلٌ: مَتَى ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِذَا ظَهَرَتِ الْقَيْنَاتُ وَالْمَعَارِيفُ، وَشُرِبَتِ الْخُمُورُ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ<sup>(٢١)</sup>.

وَقَالَ ﷺ: «يَشْرَبُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ يُسْمُونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا، يُضْرَبُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ بِالْمَعَارِيفِ وَالْقَيْنَاتِ، يَخْسِفُ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ، وَيَجْعَلُ مِنْهُمْ الْفِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ» رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ<sup>(٢٢)</sup>.

(٢٠) أخرجه من حديث عبد الله بن عمر ؓ: أحمد (١٣٦/٢)، واللالكائي في السنة (١١٣٥)، وقال الهيثمي في الزوائد: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح» (٢٠٣/٧)، وصححه الشيخ أحمد شاكر (٦٢٠٨).

(٢١) أخرجه من حديث عمران بن حصين ؓ: الترمذي في الفتن، باب ما جاء في علامة حلول المسخ والخسف، وقال الترمذي: وقد روي هذا الحديث عن الأعمش عن عبد الرحمن بن سابط عن النبي ﷺ مرسلًا، وهذا حديث غريب (٢٢١٢)، والدليمي كما في مسند الفردوس (٨٧٢٥)، وحسنه السيوطي في الجامع الصغير (٥٩٦٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٢٧٣)، وفي السلسلة الصحيحة (٢٢٠٣).  
وأخرجه من حديث سهل بن سعد ؓ: عبد بن حميد (٤٥٢).

(٢٢) أخرجه مختصرًا أحمد (٤٣٢/٥)، وأبو داود في الأشربة، باب في الدَّاذِي (٣٦٨٨).  
وأخرجه بتمامه: ابن ماجه في الفتن، باب العقوبات (٤٢٠)، والبيهقي (٢٩٥/٨)، وصححه ابن حبان واللفظ له (٦٧٥٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٤٥٤)، وفي الصحيحة (٩٠-٩١) من حديث أبي مالك الأشعري ؓ.

وَفِي هَذَا الْعَصْرِ انْتَشَرَتِ الْخُمُورُ فِي أَرْجَاءِ الْأَرْضِ، وَسُمِّيتْ بِأَسْمَاءٍ شَتَّى، وَأُيِّحَتْ فِي أَكْثَرِ دُولِ الْإِسْلَامِ، مِمَّا يُنْذَرُ بِأَشَدِّ الْعَذَابِ.

وَأَمَّا الْمَعَارِزُ وَالْقَيْنَاتُ؛ فَإِنَّهَا تَصِلُ إِلَى كُلِّ الْيُوبِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي، بَلْ إِنَّ قَنَوَاتٍ فَضَائِيَّةً تَعْمَلُ طِيلَةَ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ عَلَى بَثِّ صُورِ الْقَيْنَاتِ الْمُغْنِيَاتِ، وَهُنَّ فِي غَايَةِ التَّحَلُّعِ وَالْإِبْتِدَالِ؛ لِتَحْرِيكِ الشَّهَوَاتِ، وَإِفْسَادِ النَّاسِ.

وَكُلُّ ذَلِكَ مُؤَذِّنٌ بِالْخَسْفِ وَالْقَذْفِ وَالْمَسْخِ، إِلَّا أَنْ يَرْحَمَ اللَّهُ تَعَالَى الْعِبَادَ، وَيَعْفُو عَنْهُمْ، وَتَقْوَى شَعِيرَةُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتُسَدَّى النَّصِيحَةُ لِأَهْلِ هَذِهِ الْقَنَوَاتِ الْمُفْسِدَةِ، وَمَنْ يَقُومُ عَلَيْهَا، وَمَنْ يُمَوِّلُهَا، وَمَنْ يَدْعُمُهَا بِالدَّعَايَةِ فِيهَا مِنْ تُجَّارِ الْمُسْلِمِينَ، وَكُلُّ أُولَئِكَ شُرَكَاءُ فِي هَذَا الْجُرْمِ الْعَظِيمِ، وَالْإِثْمِ الْكَبِيرِ . . وَمَا يَقَعُ فِي الْأَرْضِ مِنْ زَلَزِلٍ وَخَسْفٍ وَعَقُوبَاتٍ فَهُمْ مِنْ أَسْبَابِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى غَيُورٌ، وَغَيْرُهُ أَنْ تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُهُ، وَهَؤُلَاءِ - هَدَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى - لَمْ يَنْتَهِكُوهَا فَحَسَبُ، بَلْ جَاهَرُوا بِانْتِهَاجِهَا، وَنَشَرُوهَا فِي النَّاسِ، وَزَيَّنُوا لَهُمُ السُّوءَ وَالْفَوَاحِشَ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ مِنْ أَمْوَالٍ، نَسَأَلُ اللَّهَ تَعَالَى لَنَا وَلَهُمُ الْهَدَايَةَ.

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى نَبِيِّكُمْ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ رَبُّكُمْ . . .





## ٣٨٧- الأشراف الصغرى للساعة (٤)

## كثرة المال وفشو التجارة

١٤٢٧/٢/٢٤ هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]،  
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ. أَيُّهَا النَّاسُ: فَارَقَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ يَوْمَ فَارَقَهَا وَقَدْ عَلَّمَهُمْ كُلَّ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ، فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا يَنْفَعُهُمْ لِيُبَادِرُوا إِلَيْهِ، وَبِمَا يَضُرُّهُمْ لِيَحْذَرُوا مِنْهُ، وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا يَكُونُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ مِنَ الْأُمُورِ الْعِظَامِ، وَالْحَوَادِثِ الْكِبَارِ؛ وَفِي هَذَا يَقُولُ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه: «لَقَدْ تَرَكْنَا مُحَمَّدًا ﷺ وَمَا يُحَرِّكُ طَائِرٌ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا أَذَكَّرَنَا مِنْهُ عِلْمًا» رَوَاهُ أَحْمَدُ<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (١٥٣/٥)، والطبراني في الكبير (١٥٥/٢) رقم (١٦٤٧)، وفي إسناده =

وَمِمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ وَقْعِهِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: كَثْرَةُ الْمَالِ فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَفُسْهُوُ التَّجَارَةِ، وَمَا يَنْتُجُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ تَقَارُبِ الْأَسْوَاقِ، وَالتَّطَاوُلِ فِي الْبُنْيَانِ، وَالتَّفَاخُرِ بِالْأَمْوَالِ؛ وَلِذَلِكَ أَمَرَ ﷺ بِالصَّدَقَةِ، مَا دَامَ الْمُتَصَدِّقُ يَجِدُ حَاجَةً فِي النَّاسِ، قَبْلَ أَنْ تُسَدَّ حَاجَتُهُمْ فَلَا يَجِدُ الْمُتَصَدِّقُ لَهَا مَوْضِعًا؛ رَوَى حَارِثَةُ بْنُ وَهَبٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «تَصَدَّقُوا؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يَمْشِي الرَّجُلُ بِصَدَقَتِهِ فَلَا يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا، يَقُولُ الرَّجُلُ: لَوْ جِئْتُ بِهَا بِالْأَمْسِ لَقَبِلْتُهَا، فَأَمَّا الْيَوْمَ فَلَا حَاجَةَ لِي بِهَا» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ<sup>(٢)</sup>.

وَسَبَبُ ذَلِكَ: فَيْضُ الْمَالِ فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَهَذَا يَقَعُ قُرْبَ السَّاعَةِ، كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ، فَيَفِيضَ حَتَّى يَهْمَ رَبَّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لَا أَرَبَ لِي» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ<sup>(٣)</sup>.

وَأُمَّةُ الْعَرَبِ كَانَتْ فِي جَاهِلِيَّتِهَا لَا تَعْرِفُ الْأَمْوَالَ الطَّائِلَةَ، وَلَا الْحَيَاةَ الْفَارِهَةَ، وَلَا الْمُدْنَ الْعَامِرَةَ؛ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاةٌ بَسِيطَةٌ فِيهَا خُسُونَةٌ وَشِدَّةٌ، وَلَمَّا قَدِمَ رَبِيعِيُّ بْنُ عَامِرٍ ﷺ عَلَى رُسْتَمٍ يُفَاوِضُهُ، وَأَعْجَبَ رُسْتَمٌ بِكَلَامِهِ، وَانْتَفَدَهُ قَوْمُهُ عَلَى إِعْجَابِهِ بِهِ، وَقَالُوا: أَمَا تَرَى إِلَى ثِيَابِهِ؟ قَالَ رُسْتَمٌ: وَيَحْكُمُ! لَا تَنْظُرُوا إِلَى الثِّيَابِ، وَلَكِنْ انظُرُوا إِلَى الرَّأْيِ وَالْكَلامِ وَالسَّيَرَةِ؛ إِنَّ الْعَرَبَ تَسْتَخِفُّ

= أحمد مجاهيل لكن له شواهد، وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد للطبراني في الكبير، وقال: ورجال الطبراني رجال الصحيح، غير محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ وهو ثقة، وفي إسناد أحمد من لم يسم (٢٦٤/٨)، ورجح الدارقطني في العلل إرساله (١١٤٨).  
(٢) أخرجه البخاري في الزكاة، باب الصدقة قبل الرد (١٣٤٥)، والنسائي في الزكاة، باب الشفاعة في الصدقة (٧٧/٥)، وأبو يعلى (١٤٧٥).

(٣) أخرجه البخاري في الزكاة، باب الصدقة قبل الرد (١٣٤٦)، ومسلم في الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل ألا يوجد من يقبلها (١٥٧١).

بِالْبَّاسِ وَالْمَأْكَلِ، وَتَصُونُ الْأَحْسَابَ، لَيْسُوا مِثْلَكُمْ!

فَلَمَّا جَاءَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِسْلَامِ بَشَّرَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّةَ الْعَرَبِ بِاتِّسَاعِ الْمُلْكِ، وَكَثْرَةِ الْمَالِ، وَالْإِسْتِيلَاءِ عَلَى مُلْكِ مُلُوكِ الْأَرْضِ آنَ ذَاكَ؛ كَمَا رَوَى ثَوْبَانُ رضي الله عنه فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنْ أُمْتِي سَبِلْتُ مُلْكُهَا مَا زَوَى لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ <sup>(٤)</sup>.

قَالَ النَّوَوِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «وَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ مُعْجَزَاتٌ ظَاهِرَةٌ، وَقَدْ وَقَعَتْ كُلُّهَا بِحَمْدِ اللَّهِ كَمَا أَخْبَرَ بِهَا رضي الله عنه، وَالْمُرَادُ بِالْكَنْزَيْنِ: الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ، وَهُمَا كُنَّا كِسْرَى وَفَيْصَرَ مَلِكِي الْعِرَاقِ وَالشَّامِ».

وَمِنْ نَتَائِجِ هَذَا الْمُلْكِ الْعَظِيمِ وَالْأَمْوَالِ الْمُتَكَاثِرَةِ: حُصُولُ الْأَمْنِ وَالظَّمَأْنِيَّةِ؛ إِذْ إِنَّ الْجُوعَ وَالْخَوْفَ قَرِينَانِ، كَمَا أَنَّ الشُّبُعَ وَالْأَمْنَ صِنَوَانُ، وَالنَّاسُ يَعْدُو بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ بِسَبَبِ الْمَالِ فِي الْعَالِيَةِ؛ وَلِذَا بَشَّرَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ بِالْأَمْنِ مَعَ الْمَالِ؛ كَمَا رَوَى عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ رضي الله عنه فَقَالَ: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَهُ رَجُلَانِ؛ أَحَدُهُمَا يَشْكُو الْعَيْلَةَ، وَالْآخَرُ يَشْكُو قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا قَطْعُ السَّبِيلِ فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكَ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى تَخْرُجَ الْعِيرُ إِلَى مَكَّةَ بِغَيْرِ خَفِيرٍ، وَأَمَّا الْعَيْلَةُ؛ فَإِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى يَطُوفَ أَحَدُكُمْ بِصَدَقَتِهِ لَا يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا مِنْهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ قَالَ عَدِيُّ رضي الله عنه: «بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا قَطْعَ السَّبِيلِ،

(٤) أخرج مسلم في الفتن وأشراف الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم من بعض (٢٨٨٦)، وأبو داود في الفتن والملاحم، باب الفتن ودلائلها (٤٢٥٢)، والترمذي في الفتن، باب ما جاء في سؤال النبي ﷺ ثلاثاً في أمته (٢١٧٦)، وابن ماجه في الفتن، باب ما يكون من الفتن (٣٩٥٢)، وأحمد (٢٧٨/٥).

فَقَالَ: يَا عَدِيّ، هَلْ رَأَيْتَ الْحِيرَةَ؟ قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ أُنبِئْتُ عَنْهَا، قَالَ: فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ - أَيِ: الْمَرْأَةَ فِي الْهُودَجِ - تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ. قَالَ عَدِيّ: قُلْتُ - فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي -: فَأَيْنَ دُعَارُ طَيِّبِ الَّذِينَ قَدْ سَعَرُوا الْبِلَادَ؟ وَكَانُوا قُطَاعَ طَرِيقٍ. وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى، قَالَ عَدِيّ: قُلْتُ: كِسْرَى بَنُ هُرْمُزٍ؟! قَالَ ﷺ: كِسْرَى بَنُ هُرْمُزٍ. وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ فِضَّةٍ، يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ... قَالَ عَدِيّ ﷺ: فَرَأَيْتَ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَكُنْتُ فِيمَنْ افْتَسَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بَنُ هُرْمُزٍ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ لَتَرَوْنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ<sup>(٥)</sup>.

وَقَدْ دَلَّتْ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ عَلَى أَحْوَالٍ ثَلَاثَةٍ تَكُونُ فِي هَذِهِ الْأَمَّةِ<sup>(٦)</sup>:

أَوَّلُهَا: كَثْرَةُ الْمَالِ فَقْطُ، وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ فِي زَمَنِ الصَّحَابَةِ ﷺ وَلَدَا حَاطَبُهُمْ ﷺ فَقَالَ: «يَكْثُرُ الْمَالُ فِيكُمْ».

ثُمَّ يَفِضُ الْمَالُ مِنْ كَثْرَتِهِ؛ بِحَيْثُ يَحْصُلُ اسْتِعْنَاءٌ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ عَنْ أَخْذِ مَالٍ غَيْرِهِ، وَهِيَ الْحَالُ الثَّانِيَّةُ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي آخِرِ عَصْرِ الصَّحَابَةِ ﷺ وَأَوَّلِ عَصْرِ مَنْ بَعْدَهُمْ، وَتَبْلُغُ الْكِفَايَةُ وَالْقَنَاعَةُ فِي النَّاسِ أَنْ يَهْتَمَّ صَاحِبُ الصَّدَقَةِ؛ لِعَدَمِ وُجُودِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ؛ وَذَلِكَ يَنْطَبِقُ عَلَى مَا وَقَعَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - كَمَا رَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنْ عُمَرَ بْنِ أُسَيْدٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - قَالَ: «إِنَّمَا وَلِي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ثَلَاثِينَ شَهْرًا، أَلَا وَاللَّهِ مَا مَاتَ حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلَ يَأْتِينَا

(٥) أخرجه البخاري في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٣٤٠٠).

(٦) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١٣/٨٧-٨٨).



بِالْمَالِ الْعَظِيمِ، فَيَقُولُ: اجْعَلُوا هَذَا حَيْثُ تَرَوْنَ فِي الْفُقَرَاءِ؛ فَمَا يَبْرَحُ حَتَّى يَرْجِعَ بِمَالِهِ يَتَذَكَّرُ مَنْ يَضَعُهُ فِيهِ فَلَا يَجِدُهُ، قَدْ أَغْنَى عُمَرُ النَّاسَ»<sup>(٧)</sup>.

وَالْحَالَةُ الثَّالِثَةُ: تَقَعُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ بَعْدَ نُزُولِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ إِذْ يَفِيضُ الْمَالُ، وَيَسْتَعْنِي النَّاسُ، فَلَا يَجِدُ الْمُتَصَدِّقُ مَنْ يَتَصَدَّقُ عَلَيْهِ، فَيَعْرِضُ صَدَقَتَهُ عَلَى مَنْ لَا يَسْتَحِقُّهَا، فَيَأْبَى أَخْذَهَا، وَيَقُولُ: لَا حَاجَةَ لِي فِي مَالِكَ!

فَهَذِهِ الْمَرَاكِحُ الثَّلَاثُ وَقَعَ مِنْهَا اثْنَانِ، وَبَقِيَ الثَّالِثَةُ، تَقَعُ فِي عَهْدِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَتَتَحَلَّلُ هَذِهِ الْمَرَاكِحُ الثَّلَاثُ طَمَعٌ يَقَعُ فِي النَّاسِ، وَجَشَعٌ يَسْتَبِدُّ بِهِمْ، وَشَحٌّ يَمْلَأُ قُلُوبَهُمْ؛ فَلَا يَشْبَعُ غَنِيِّهُمْ، وَلَا يَرْضَى مَسْتُورُهُمْ، وَلَا يَصْبِرُ فَقِيرُهُمْ، وَيَطْلُبُ النَّاسُ الْمَزِيدَ عَلَى كِفَايَتِهِمْ، وَيَجْتَهِدُونَ فِي الْكَسْبِ وَالْإِذْخَارِ بِكُلِّ الطَّرِيقِ، حَتَّى مَنْ أُعْطِيَ مِنْهُمْ عَطَاءً جَزْلاً لَا يَقْنَعُ بِمَا أُعْطِيَ بِسَبَبِ طَمَعِهِ، وَقَدْ عَدَّ النَّبِيُّ ﷺ سِتًّا مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، وَذَكَرَ مِنْهَا: «اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِثَّةَ دِينَارٍ، فَيَظِلُّ سَاخِطًا» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ<sup>(٨)</sup>.

وَاتَّسَاعُ الدُّنْيَا لِلنَّاسِ، وَكَثْرَةُ الْمَالِ فِي أَيْدِيهِمْ؛ يَصِلُ بِهِمْ إِلَى السَّرَفِ وَالتَّبَاهِيِ وَالْمُفَاخَرَةِ، وَكُلُّ ذَلِكَ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ وَقْعِهِ فِي أُمَّتِهِ؛ فَأَخْبَرَ عَنِ التَّطَاوُلِ فِي الْبُنْيَانِ؛ كَمَا رَوَى الْبُخَارِيُّ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ ﷺ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ

(٧) أخرجه البيهقي في الدلائل (٤٩٣/٦)، ويعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ (٣٣٤/١)، وابن عساكر في تاريخه (١٩٥/٤٥)، والمزي في تهذيب الكمال (٤٤٤/٢١)، وراوي الأثر هو عمر بن أسيد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب رحمه الله تعالى.

(٨) أخرجه من حديث عوف بن مالك الأشجعي عليه السلام: البخاري في الجزية والموادعة، باب ما يحذر من الغدر (٣٠٠٥)، وابن ماجه في الفتن، باب أشراف الساعة (٤٠٤٢)، وأحمد (٢٧/٦).

أَشْرَاطُهَا: إِذَا وَلَدَتِ الْأُمَّةُ رَبَّهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رِعَاةُ الْإِبِلِ الْبُهِمُ فِي الْبُنْيَانِ». وَفِي رِوَايَةٍ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ قَالَ ﷺ: «وَرَأَيْتَ أَصْحَابَ الشَّاءِ تَطَاوَلُوا بِالْبُنْيَانِ، وَرَأَيْتَ الْحُفَاةَ الْجِيَاعَ الْعَالَةَ كَانُوا رُؤُوسَ النَّاسِ، فَذَلِكَ مِنْ مَعَالِمِ السَّاعَةِ وَأَشْرَاطُهَا، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ أَصْحَابُ الشَّاءِ وَالْحُفَاةُ الْجِيَاعُ الْعَالَةُ؟ قَالَ: الْعَرَبُ»<sup>(٩)</sup>.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «الْمَقْصُودُ: الْإِخْبَارُ عَنْ تَبَدُّلِ الْحَالِ بِأَنْ يَسْتَوْلِيَ أَهْلُ الْبَادِيَةِ عَلَى الْأَمْرِ، وَيَتَمَلَّكُوا الْبِلَادَ بِالْقَهْرِ؛ فَتَكْثُرَ أَمْوَالُهُمْ، وَتَنْصَرِفَ هِمَمُهُمْ إِلَى تَشْيِيدِ الْبُنْيَانِ وَالتَّفَاخُرِ بِهِ، وَقَدْ شَاهَدْنَا ذَلِكَ فِي هَذِهِ الْأَزْمَانِ!»<sup>(١٠)</sup>.

وَالْقُرْطُبِيُّ يَحْكِي عَنْ زَمَانِهِ، وَقَدْ مَاتَ فِي الْمِئَةِ السَّابِعَةِ؛ فَكَيْفَ لَوْ رَأَى كَثْرَةَ الْأَمْوَالِ فِي هَذَا الْعَصْرِ، وَتَفَاخَرَ النَّاسِ بِالْبُنْيَانِ، حَتَّى إِنَّ الْعَرَبَ فَاقُوا فِي التَّفَاخُرِ بِهِ سَائِرَ الْأُمَمِ؟!

وَالْتَطَاوُلُ فِي الْبُنْيَانِ لَهُ صُورٌ كَثِيرَةٌ: مِنْ تَشْيِيدِ الْأَبْرَاجِ الْعَالِيَةِ -وَمَا أَكْثَرَهَا فِي هَذَا الْعَصْرِ!- إِلَى التَّنَافُسِ فِي اتِّسَاعِ الدُّورِ وَالْقُصُورِ، وَتَنْوِيعِ أَثَاثِهَا وَمَتَاعِهَا، إِلَى تَعْدُدِ الْمَسَاكِينِ وَالْبُيُوتِ لِلْوَاحِدِ مِنَ النَّاسِ وَكَثْرَتِهَا؛ فَبُيُوتٌ فِي الْمُدُنِ، وَأُخْرَى فِي الْقُرَى، وَثَالِثَةٌ فِي الْمَزَارِعِ، وَرَابِعَةٌ فِي مَكَّةَ، وَخَامِسَةٌ فِي الْبِلَادِ الَّتِي يَصْطَافُ فِيهَا، فِي سِلْسِلَةٍ لَا تَنْتَهِي مِنَ التَّوَسُّعِ وَالتَّطَاوُلِ فِي الْبُنْيَانِ الَّذِي يَكُونُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ.

(٩) أخرجه من حديث أبي هريرة ﷺ: البخاري في الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة ... (٥٠)، ومسلم في الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (٩).

والرواية الثانية لأحمد من حديث ابن عباس ؓ (٣١٩/١).

(١٠) المفهم (١/٦٤)، وعنه ابن حجر في الفتح (١/١٢٣).

بَلْ إِنَّ التَّطَاوُلَ فِي الْبُنْيَانِ يَتَعَدَّى الْمَسَاكِينَ إِلَى الْمَسَاجِدِ؛ فَيَتَبَاهَى النَّاسُ  
بِبِنَائِهَا وَزَخْرَفَتِهَا وَتَزْوِيقِهَا، حَتَّى مَنْ يُقْصِرُ فِي الصَّلَاةِ مِنْ أَثَرِيائِهِمْ يَفْعَلُ ذَلِكَ  
لِلْمُبَاهَاةِ!

وَلَرُبَّمَا بُنِيَ بُيُوتُ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَمْوَالٍ مُحَرَّمَةٍ! كَمَا يَفْعَلُهُ أَهْلُ الرِّبَا وَالْغِشِّ،  
وَالْاِخْتِكَارِ وَالْغِنَاءِ، وَالتَّمْثِيلِ وَالرَّقْصِ؛ فَبَعْضُهُمْ يَبْنِي مَسَاجِدَ مِنْ كَسْبِهِ  
الْحَيِّثُ؛ نَسَأُ اللَّهَ تَعَالَى الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ، وَذَلِكَ مِنْ عِلَامَاتِ السَّاعَةِ؛ كَمَا  
رَوَى أَنَسُ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَبَاهَى النَّاسُ فِي  
الْمَسَاجِدِ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَفِي رِوَايَةٍ لِلنَّسَائِيِّ قَالَ صلى الله عليه وسلم: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ  
يَتَبَاهَى النَّاسُ فِي الْمَسَاجِدِ»<sup>(١١)</sup>. وَقَالَ أَنَسُ رضي الله عنه: «يَتَبَاهَوْنَ بِهَا، ثُمَّ  
لَا يَعْمُرُونَهَا إِلَّا قَلِيلًا»<sup>(١٢)</sup>، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: «لَتَزْخَرِفَنَّهَا كَمَا زَخَرَفَتْ  
الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى»<sup>(١٣)</sup>.

وَلَمَّا أَمَرَ عُمَرُ رضي الله عنه بِتَجْدِيدِ مَسْجِدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لِلْبَنَاءِ: «أَكِنَّ النَّاسَ مِنَ  
الْمَطَرِ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُحْمَرَ أَوْ تُصَفَّرَ، فَتَفْتِنَ النَّاسَ»<sup>(١٤)</sup>.

- (١١) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب في بناء المساجد (٤٤٩)، والنسائي في المساجد، باب  
المباهاة في المساجد (٢٥٥/١)، وابن ماجه في المساجد والجماعات، باب تشييد  
المساجد (٧٣٩)، وأحمد (١٣٤/٣)، وأبو يعلى (٢٧٩٨)، والدارمي (١٤٠٨)،  
وصححه ابن خزيمة (١٣٢٢)، وابن حبان (١٦١٣)، والضياء في المختارة (٢٢٣٥).
- (١٢) أخرجه البخاري معلقاً مجزوماً به في الصلاة، باب التعاون في بناء المسجد (١٧١/١)،  
ووصله أبو يعلى (٢٨١٧)، وابن خزيمة (١٣٢١).
- (١٣) أخرجه البخاري معلقاً مجزوماً به في الصلاة، باب التعاون في بناء المسجد (١٧١/١)،  
ووصله موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنه: أبو داود في الصلاة، باب في بناء المساجد (٤٤٨)،  
وابن أبي شيبة (٢٧٤/١)، وأبو يعلى (٢٤٥٤)، وصححه ابن حبان (١٦١٥).
- (١٤) أخرجه البخاري معلقاً مجزوماً به (١٧١/١).

قَالَ ابْنُ بَطَّال -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- : «هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ السُّنَّةَ فِي بُنْيَانِ الْمَسْجِدِ الْقَصْدُ، وَتَرْكُ الْغُلُوِّ فِي تَحْسِينِهِ؛ فَقَدْ كَانَ عُمَرُ مَعَ كَثْرَةِ الْفُتُوحِ فِي أَيَّامِهِ، وَسَعَةِ الْمَالِ عِنْدَهُ، لَمْ يُغَيِّرِ الْمَسْجِدَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا احتَاجَ إِلَى تَجْدِيدِهِ؛ لِأَنَّ جَرِيدَ النَّخْلِ كَانَ قَدْ نَحَرَ فِي أَيَّامِهِ، ثُمَّ كَانَ عُثْمَانُ وَالْمَالُ فِي زَمَانِهِ أَكْثَرَ، فَحَسَنَهُ بِمَا لَا يَفْتَضِي الزَّخْرَفَةَ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أَنْكَرَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ عَلَيْهِ، وَأَوَّلُ مَنْ زَخَّرَفَ الْمَسَاجِدَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَذَلِكَ فِي أَوَاخِرِ عَصْرِ الصَّحَابَةِ، وَسَكَتَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ عَنْ إِنْكَارِ ذَلِكَ؛ خَوْفًا مِنَ الْفِتْنَةِ، وَرَخَّصَ فِي ذَلِكَ بَعْضُهُمْ» اهـ<sup>(١٥)</sup>.

وَيَسْتَبْعُ كَثْرَةُ الْأَمْوَالِ فِي أَيْدِي النَّاسِ: اتِّسَاعُ التِّجَارَةِ وَتَنَوُّعُهَا، وَكَثْرَةُ الْأَسْوَاقِ وَتَقَارُبُهَا، مَعَ تَعَدُّدِ الْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ الدُّنْيَوِيَّةِ الَّتِي تَكُونُ فِي خِدْمَةِ الْمَالِ وَتَنْمِيَّتِهِ؛ وَلِذَا جَاءَ الرِّبْطُ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَ كَثْرَةِ الْمَالِ وَبَيْنَ كَثْرَةِ الْقَلَمِ فِي النَّاسِ؛ كِنَايَةً عَنِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ؛ كَمَا رَوَى الطَّيَالِيسِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ تَغْلِبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يَكْثُرَ التُّجَّارُ، وَيُظْهَرَ الْقَلَمُ»<sup>(١٦)</sup>.

وَيُحَدِّثُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- عَنْ وَقْتٍ أَدْرَكَهُ كَانَتْ التِّجَارَةُ فِيهِ قَلِيلَةً كَمَا كَانَتْ الْكِتَابَةُ قَلِيلَةً، فَيَقُولُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «لَقَدْ أَتَى عَلَيْنَا زَمَانٌ وَإِنَّمَا يُقَالُ: تَاجِرُ بَنِي فُلَانٍ، وَكَاتِبُ بَنِي فُلَانٍ، مَا يَكُونُ فِي الْحَيِّ إِلَّا التَّاجِرُ الْوَاحِدُ وَالْكَاتِبُ الْوَاحِدُ»، قَالَ الْحَسَنُ: «وَاللَّهِ، إِنْ كَانَ الرَّجُلُ يَأْتِي

(١٥) فتح الباري لابن حجر (١/ ٥٤٠).

(١٦) أخرجه الطيالسي (١١٧١)، والنسائي في الكبرى (٦٠٤٨)، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (١٦٦٤).

الْحَيِّ الْعَظِيمَ فَمَا يَجِدُ بِهِ كَاتِبًا» رَوَاهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ<sup>(١٧)</sup>.

وَقَدْ أَدْرَكَ كِبَارُ السَّنِّ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ قَبْلَ اتِّسَاعِ الدُّنْيَا، وَكَثْرَةِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي لَا تُحْصَى.

وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ تَقَارُبَ الزَّمَانِ، وَتَقَارُبَ الْأَسْوَاقِ، وَكُلُّ ذَلِكَ وَقَعَ فِي هَذَا الزَّمَنِ؛ إِذِ الْمَسَافَاتُ تَقَارَبَتْ مَعَ سُرْعَةِ الْمَوَاصِلَاتِ، وَتَقَارُبَ الزَّمَانِ مَعَ تَطَوُّرِ الْاتِّصَالَاتِ، وَالْأَسْوَاقُ تَقَارَبَتْ حِسًّا وَمَعْنَى؛ فَفِي أَكْثَرِ الْمُدُنِ تَكَثُرُ الْأَسْوَاقُ وَتَتَقَارَبُ، وَهِيَ فِي ازْدِيَادٍ وَاتِّسَاعٍ مَا دَامَ النَّاسُ يَشْتَرُونَ وَيَسْتَهْلِكُونَ، وَسَبَبُ ذَلِكَ كَثْرَةُ الْأَمْوَالِ فِي أَيْدِيهِمْ.

وَمَعَ تَقَارُبِ الزَّمَنِ، وَسُرْعَةِ الْاتِّصَالِ أَضْحَى التُّجَّارُ يَتَبَادَلُونَ التَّجَارَةَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَهُمْ فِي بُيُوتِهِمْ أَوْ مَكَاتِبِهِمْ مَعَ تَبَاعُدٍ مَا بَيْنَهُمْ مِنَ الْمَسَافَاتِ، وَاخْتِلَافِ الْبُلْدَانِ.

وَتَبْلُغُ التَّجَارَةُ فِي فُسُوحِهَا مَبْلَغًا يَتَفَحَّمُهَا النِّسَاءُ مَعَ الرِّجَالِ، فَيَضْرِبْنَ فِي الْأَرْضِ، وَيُسَافِرْنَ بِلَا مَحَرَمٍ، وَيُزَاحِمْنَ الرِّجَالَ، مَعَ أَنَّ إِدَارَةَ التَّجَارَةِ فِي الْأَصْلِ هِيَ مِنْ خَصَائِصِ الرِّجَالِ؛ لِأَنَّهُمُ الضَّارِبُونَ فِي الْأَرْضِ، السَّاعُونَ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ بِالرِّزْقِ؛ رَوَى ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ تَسْلِيمَ الْخَاصَّةِ، وَفُشُوَ التَّجَارَةِ، حَتَّى تُعَيِّنَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا عَلَى التَّجَارَةِ» رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ<sup>(١٨)</sup>.

وَكَانَ مِنْ أَسْبَابِ مُشَارَكَةِ الْمَرْأَةِ فِي التَّجَارَةِ، وَإِدَارَتِهَا لَهَا: خُرُوجُهَا مِنْ

(١٧) التمهيد لابن عبد البر (١٧/٢٩٧)، والآداب الشرعية لابن مفلح (٢/١٥٤).

(١٨) أخرجه أحمد (١/٤٠٧)، والبخاري في الأدب المفرد (١٠٤٩)، والطحاوي في شرح المشكل (٤/٢٦٣)، وصححه الحاكم (٤/١١٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ورجال

أحمد والبخاري رجال الصحيح (٧/٣٢٩).

الْمَنْزِلِ لِلدِّرَاسَةِ ثُمَّ لِلْعَمَلِ، وَاتَّسَاعِ الْمَالِ فِي يَدِهَا؛ فَصَارَتْ نِذًا لِلرَّجُلِ فِي ذَلِكَ، وَوَقَعَ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ تِلْكَ الْأَشْرَاطِ وَالْعَلَامَاتِ الَّتِي تَذُلُّ عَلَى قُرْبِ السَّاعَةِ، وَدُنُو الْقِيَامَةِ؛ نَسَأَلُ اللَّهَ تَعَالَى الْوَفَاءَ عَلَى الْإِيمَانِ وَالسُّنَّةِ، وَأَنْ يَغْفِرَ لَنَا الْخَطِيئَةَ وَالزَّلَّةَ؛ إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

وَأَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ ...



### الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ، وَلَا أَمْنٌ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلِيُّ الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ النَّبِيُّ الْأَمِينُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ -عِبَادَ اللَّهِ- وَرَاقِبُوهُ، وَالْزُمُوا طَاعَتَهُ وَلَا تَعْصُوهُ؛ ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥٢].

أَيُّهَا النَّاسُ: لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَمَّا سَيَعْبُدُهُ مِنْ كَثَرَةِ الْمَالِ فِي النَّاسِ، خَافَ عَلَيْهِمُ الْفِتْنَةُ بِالدُّنْيَا وَالتَّقْصِيرَ فِي حَقِّ الْآخِرَةِ، وَحَذَّرَهُمْ مِنْ زِينَتِهَا وَزَهْرَتِهَا، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهَا إِلَى زَوَالٍ، وَحَثَّهُمْ عَلَى التَّنَافُسِ فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي تُقَرِّبُهُمْ مِنَ الْآخِرَةِ؛ نُصْحًا لَهُمْ، وَشَفَقَةً عَلَيْهِمْ، وَرَحْمَةً بِهِمْ؛ يَرْوِي عَنْهُ بَنُ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي

وَاللَّهُ لَا نَظْرُ إِلَى حَوْصِي الْآنَ، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ، وَإِنِّي  
وَاللَّهُ مَا أَخَافُ بَعْدِي أَنْ تُشْرِكُوا، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا» رَوَاهُ  
الْبُخَارِيُّ<sup>(١٩)</sup>.

وَلَمَّا قَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ رضي الله عنه عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِجَزِيَةِ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ، سَمِعَتِ الْأَنْصَارُ  
بِقُدُومِهِ، فَوَافَقَتْ صَلَاةَ الصُّبْحِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَلَمَّا انْصَرَفَ تَعَرَّضُوا لَهُ،  
فَتَبَسَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حِينَ رَأَاهُمْ، وَقَالَ: «أَطْنُكُمْ سَمِعْتُمْ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَأَنَّهُ  
جَاءَ بِشَيْءٍ؟» قَالُوا: أَجَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَأَبَشِّرُوا وَأَمْلُوا مَا يَسْرُكُمْ،  
فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسِطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا  
بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؛ فَنَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُلْهِيَكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُمْ،  
وَفِي رِوَايَةٍ: «وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ<sup>(٢٠)</sup>.

وَمَنْ رَأَى حَالَ النَّاسِ فِي هَذَا الزَّمَنِ مَعَ الْأَمْوَالِ وَتَنَمِيمَتِهَا، وَأَعْمَالِهِمْ فِيهَا،  
وَقَارَنَهُ بِضَعْفِ سَعِيهِمْ لِلْآخِرَةِ، وَتَقْصِيرِهِمْ فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ أَيْقَنَ أَنَّ كَثِيرًا  
مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ أَخْلَوْا بِوَصَايَا نَبِيِّهِمْ صلى الله عليه وسلم، وَأَنَّ مَا خَافَهُ عَلَيْهِمْ وَقَعُوا فِيهِ؛ بِسَبَبِ  
الْغَفْلَةِ عَنِ الْآخِرَةِ، وَحُبِّ الشَّهَوَاتِ الْعَاجِلَةِ، مَعَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ كَفَلَ لَهُمْ  
أَرْزَاقَهُمْ بِبَذْلِ الْأَسْبَابِ الْمُعْتَادَةِ بِلَا مُبَالَعَةٍ فِي الْأَخْذِ بِهَا، وَلَا خَوْفٍ مِنَ الْفَقْرِ،  
وَمَهْمَا عَمِلُوا وَخَافُوا وَخَطَّطُوا فَلَنْ يَنَالُوا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُمْ، وَقَدْ حَصَّهُمُ  
الشَّارِعُ الْحَكِيمُ عَلَى الْعَمَلِ لِأَخْرَافِهِمْ؛ رَوَى الْحَاكِمُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ  
رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَيْسَ مِنْ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى الْجَنَّةِ إِلَّا قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَلَا عَمَلٍ  
يُقَرِّبُ إِلَى النَّارِ إِلَّا قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، لَا يَسْتَبِطُنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ رِزْقَهُ؛ إِنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام

(١٩) أخرجه البخاري في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٣٤٠١).

(٢٠) أخرجه من حديث عمرو بن عوف رضي الله عنه: البخاري في الرقاق، باب ما يحذر من زهرة

الدنيا والتنافس فيها (٦٠٦١)، ومسلم في فاتحة كتاب الزهد والرقائق (٢٩٦١).

أَلْقَى فِي رُوعِي: أَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَكْمِلَ رِزْقَهُ، فَاتَّقُوا  
اللَّهَ أَيُّهَا النَّاسُ، وَأَجْمِلُوا فِي الظَّلَبِ، فَإِنْ اسْتَبْطَأَ أَحَدٌ مِنْكُمْ رِزْقَهُ، فَلَا يَطْلُبْهُ  
بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُنَالُ فَضْلُهُ بِمَعْصِيَةٍ»<sup>(٢١)</sup>.  
وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ...



(٢١) أخرجه ابن أبي شيبة (٧٩/٧)، وهناد في الزهد (٤٩٤)، والحاكم (٥/٢)، وابن مردويه  
في أماليه (٢٥)، والبغوي في شرح السنة (٤١١)، وقال الألباني في صحيح الترغيب  
والترهيب: صحيح لغيره (١٧٠٠).

وأخرجه بنحوه من حديث جابر رضي الله عنه: ابن ماجه في التجارات، باب الاقتصاد في طلب  
المعيشة (٢١٤٤)، وابن الجارود (٥٥٦)، والطبراني في الأوسط (٣١٠٩)، والبيهقي  
(٢٦٤/٥)، والحاكم وصححه (٣٦١/٤)، قال البوصيري: «هذا إسناد ضعيف، الوليد  
بن مسلم وابن جريج وأبو الزبير كل منهم كان يدلس، وقد رواه بالعنعنة، لكن لم ينفرد  
ابن ماجه بإخراجه من هذا الوجه، فقد رواه ابن حبان في صحيحه عن عبد الله بن محمد  
بن سلم ثنا حرملة بن يحيى ثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال  
عن محمد بن المنكدر عن جابر بإسناده ومثله، رواه أيضًا عن محمد بن إسحاق بن إبراهيم  
مولي ثقيف عن الوليد بن شجاع عن ابن وهب فذكر نحوه، وله شاهد من حديث حذيفة  
رواه البزار في مسنده» اه مصباح الزجاجة (٨/٣).



## ٣٨٨- الأشراف الصغرى للساعة (٥)

## تقارب الزمان

٥١٤٢٨/٨/٢٥

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ خَلَقَ الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ، وَيُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ؛  
لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ؛ ﴿وَجَعَلْنَا أَلِيلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَحَوَّنَا أَلِيلَ وَجَعَلْنَا  
آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ  
فَضْلُهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: ١٢]، نَحْمَدُهُ حَمْدَ الشَّاكِرِينَ، وَنَسْتَغْفِرُهُ اسْتِغْفَارَ  
الْمُذْنِبِينَ، وَنَسْأَلُهُ مِنْ فَضْلِهِ الْعَظِيمِ؛ فَمَا مِنْ خَيْرٍ إِلَّا وَهُوَ مَانِحُهُ، وَلَا مِنْ بَلَاءٍ  
إِلَّا وَهُوَ كَاشِفُهُ؛ ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ  
فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧]. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،  
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ أَرْحَمُ النَّاسِ بِالنَّاسِ، وَأَنْصَحُهُمْ لِلْأُمَّةِ، لَا  
خَيْرَ إِلَّا دَلْنَا عَلَيْهِ، وَلَا شَرَّ إِلَّا حَذَرْنَا مِنْهُ؛ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ  
عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]  
صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم، وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ  
وَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾  
[التوبة: ١٠٠]، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَأَوْصِي نَفْسِي وَإِيَّاكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ﷻ فَهِيَ وَصِيَّةُ اللَّهِ تَعَالَى لَنَا وَلِمَنْ  
قَبْلَنَا؛ ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا  
فَإِنَّ اللَّهَ مِمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النساء: ١٣١].  
أَيُّهَا النَّاسُ: جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى الدُّنْيَا دَارَ عَمَلٍ وَابْتِلَاءٍ، وَجَعَلَ الْآخِرَةَ دَارَ

الْجَزَاءِ وَالْقَرَارِ، وَمَهْمَا طَالَ عُمُرُ الْإِنْسَانِ فِي الدُّنْيَا؛ فَإِنَّهُ مُفَارِقُهَا بِالْمَوْتِ، وَلَنْ يَجِدَ فِي أُخْرَاهُ إِلَّا مَا عَمِلَ فِي دُنْيَاهُ، ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا بِأَسْرَهَا؛ بِسَمَائِهَا وَأَرْضِهَا، وَشَمْسِهَا وَقَمَرِهَا وَأَنْجُمِهَا زَائِلَةٌ لَا مَحَالَهَ؛ ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَعَلَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الرؤم: ٦٧]، ﴿إِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۖ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۖ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۖ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُ ۚ كَلَّا لَا وَرَرَ ۚ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۚ يُنْفِئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ يَمًا قَدَمًا وَآخَرَ﴾ [القيامة: ٧-١٣].

وَالدُّنْيَا تَنْتَهِي، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَتَوَقَّفُ بِقِيَامِ السَّاعَةِ؛ ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]. وَالْمُؤْمِنُونَ يَخْشَوْنَ السَّاعَةَ، وَيَخَافُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِإِيْمَانِهِمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ، وَيَعْمَلُونَ صَالِحًا فِي الدُّنْيَا لِذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ، مَعَ وَجَلِهِمْ أَلَّا يُقْبَلَ مِنْهُمْ.

وَأَمَّا أَهْلُ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ، فَيَسْخَرُونَ مِنْ ذَلِكَ، وَيَسْتَعْجِلُونَ قِيَامَ السَّاعَةِ؛ لِكُفْرِهِمْ بِاللَّهِ تَعَالَى وَتَكْذِيبِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُتَّقِينَ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٩]، وَفِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿وَمَا يُذْرِكُ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ۖ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ [الشورى: ١٧، ١٨].

وَالْمُكَذِّبُونَ بِالسَّاعَةِ يُؤْبَخُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى شَكِّهِمْ فِي قِيَامِهَا، وَإِنْكَارِهِمْ الْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ؛ ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُتَّقِينَ﴾ [البجائية: ٣٢].

وَالسَّاعَةُ آتِيَةٌ وَإِنْ اسْتَبْعَدَهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، وَقَرِيبَةٌ وَإِنْ اسْتَبَطُّوْا زَمَنَهَا؛ ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النحل: ٧٧].

وَلِلَّسَّاعَةِ أَمَارَاتٌ تَقَعُ بَيْنَ يَدَيْهَا، وَعَلَامَاتٌ تَدُلُّ عَلَى قُرْبِهَا، وَمِنْ عَلَامَاتِهَا مَا وَقَعَ وَانْتَهَى، وَمِنْهَا مَا وَقَعَ وَلَا يَزَالُ يَقَعُ وَهُوَ فِي ازْدِيَادٍ، وَمِنْهَا مَا لَمْ يَقَعْ وَهُوَ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ؛ ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [مُحَمَّد: ١٨]. وَمِنْ فَوَائِدِ الْعِلْمِ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ تَحْذِيرُ النَّاسِ وَتَذَكِيرُهُمْ؛ لِئَلَّا يَنْعَمِسُوا فِي مَلَذَّاتِ الدُّنْيَا، وَيَنْسُوا مَا يَسْتَقْبِلُهُمْ مِنْ أَمْرِ السَّاعَةِ وَالْحِسَابِ، وَهُوَ أَعْظَمُ وَأَشَدُّ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَسْتَعِدُّوا لَهُ بِمَا يُنْجِيهِمْ؛ ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦].

كَمَا أَنَّ إِخْبَارَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ أُمُورٍ لَمْ تَقَعْ زَمَنَ بَعَثَتِهِ، ثُمَّ وَقَعَتْ بَعْدَ ذَلِكَ وَشَاهَدَهَا النَّاسُ، لَمِنْ دَلَائِلِ نُبُوَّتِهِ ﷺ وَالْعِلْمِ بِإِخْبَارِهِ بِهَا، ثُمَّ رُؤْيِيهَا عِيَانًا لِمَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا إِلَى إِيْمَانِهِمْ، وَيَقِينًا إِلَى يَقِينِهِمْ، وَثَبَاتًا عَلَى دِينِهِمْ، وَصَبْرًا عَلَى مَا يُصِيبُهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ؛ لِعِلْمِهِمْ أَنَّ لِذَلِكَ نَهَايَةً، وَأَنَّ الْحِسَابَ وَالْجَزَاءَ سَيَكُونُ عِنْدَ حَكَمٍ عَدْلٍ، لَا يَظْلِمُ أَحَدًا.

أَبُيْهَا الْإِخْوَةُ: وَمِمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْهُ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَعَلَامَاتِهَا: تَقَارُبُ الزَّمَانِ، وَسُرْعَةُ مُرُورِ الْأَيَّامِ، وَقِلَّةُ الْبَرَكَةِ فِي الْأَوْقَاتِ وَالْأَعْمَارِ؛ رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُفْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ...» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في الاستسقاء، باب ما قيل في الزلازل والآيات (٩٨٩)، ومسلم في العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن (١٥٧).

وَتَقَارُبُ الزَّمَانِ الَّذِي أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، قَدْ قِيلَ فِي مَعْنَاهُ: إِنَّهُ تَقَارُبُ مَا بَيْنَ الْمُدُنِ وَالْأَقَالِيمِ وَالْدُّوَلِ، وَسُرْعَةُ الْوُصُولِ إِلَيْهَا بِمَا يَسَّرَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْبَشَرِ مِنْ صُنْعِ السِّيَّارَاتِ وَالطَّائِرَاتِ وَنَحْوِهَا، وَقَدْ كَانَ النَّاسُ قَبْلَهَا يَقْسِمُونَ أَسْفَارَهُمْ عَلَى مَرَاحِلَ وَأَيَّامٍ، وَيَمْكُثُونَ فِي الْأَسْفَارِ الْبَعِيدَةِ أَشْهُرًا وَأَعْوَامًا، وَكَانَتِ الْقَوَافِلُ تَسِيرُ مِنَ الْأَنْدَلُسِ وَإِفْرِيقِيَّةَ، وَأَقَاصِي آسِيَةَ، إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ لِلْحَجِّ، فَتَمْكُثُ أَشْهُرًا، وَرُبَّمَا أَعْوَامًا قَبْلَ بُلُوغِ مَكَّةَ، وَلَا تَبْلُغُهَا إِلَّا وَقَدْ مَاتَ كَثِيرٌ مِنْ أَفْرَادِهَا فِي الطَّرِيقِ مِنْ مَشَقَّتِهِ وَمَخَاطِرِهِ، حَتَّى إِنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ يَبْلُغُونَ مَكَّةَ لَا يَعُودُونَ إِلَى دِيَارِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ مَرَّةً أُخْرَى؛ لِمَا رَأَوْا مِنَ الْأَهْوَالِ فِي رِحْلَةِ وَصُولِهِمْ إِلَيْهَا، وَمَنْ كَتَبُوا عَنْ رِحْلَتِهِمْ إِلَى الْحَجِّ ذَكَرُوا عَجَائِبَ فِي ذَلِكَ. أَمَّا الْآنَ، فَيَفِئِدُ الْحُجَّاجُ إِلَى مَكَّةَ مِنْ أَقَاصِي الْأَرْضِ، فَلَا يَمْكُثُونَ فِي الْجَوِّ إِلَّا سَاعَاتٍ مَعْدُودَةً، وَإِذَا هُمْ فِي الْبَيْتِ الْحَرَامِ، فَهَذَا مِنْ تَقَارُبِ الْبُلْدَانِ، وَهُوَ مِنْ مَعَانِي تَقَارُبِ الزَّمَانِ.

وَكَانَ النَّاسُ إِذَا غَابَ غَائِبُهُمْ فِي رِحْلَةِ حَجٍّ أَوْ تِجَارَةٍ أَوْ طَلَبِ عِلْمٍ، لَا يَصِلُهُمْ خَبَرُهُ إِلَّا بَعْدَ أَشْهُرٍ أَوْ سَنَوَاتٍ بِكِتَابٍ يَبْعَثُهُ إِلَيْهِمْ، أَوْ مَنْ رَأَاهُ يُخْبِرُهُ عَنْهُ، وَلَا وَسَائِلَ لِلِاتِّصَالِ غَيْرُ ذَلِكَ؛ حَتَّى عَقَدَ الْفُقَهَاءُ أَبْوَابًا فِي الْفَقْهِ لِلْغَائِبِ وَأَحْكَامِهِ إِذَا انْقَطَعَتْ عَنْ أَهْلِهِ أَخْبَارُهُ.

أَمَّا الْآنَ، فَيَتَّصِلُ بِهِمْ، وَيَتَّصِلُونَ بِهِ مَتَى مَا أَرَادُوا، فَيَسْمَعُونَ صَوْتَهُ، وَيَعْرِفُونَ أَحْوَالَهُ، وَإِنْ شَاءُوا رَأَوْهُ عَيْنَانَا وَهُوَ يُكَلِّمُهُمْ، وَمَا عَادَ لِلْبَرِيدِ وَالرَّسَائِلِ قِيَمَةٌ تَذْكُرُ أَمَامَ هَذَا الْفَتْحِ الْعَظِيمِ فِي وَسَائِلِ الْإِتِّصَالِ، حَتَّى إِنَّ الْأَجْهَرَةَ الْحَدِيثَةَ تَظْهَرُ صُورَةُ الْمُتَّصِلِ، وَتَدُلُّ عَلَى مَكَانِهِ، وَهَذَا أَيْضًا مِنْ تَقَارُبِ الزَّمَنِ، فَوَقَعَ عَلَى مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ.

وَمِنْ مَعَانِي تَقَارُبِ الزَّمَانِ: سُرْعَةُ الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ، فَمَا تُشْرِقُ شَمْسُ يَوْمٍ إِلَّا وَتَغْرُبُ، وَلَا يَهْلُ شَهْرٌ إِلَّا وَيَذْبُرُ، وَلَا تَبْدِئُ سَنَةٌ إِلَّا وَتَنْقُضِي سَرِيعًا، قَدْ نَزَعَتِ الْبَرَكَةُ مِنَ الْأَوْقَاتِ وَالْأَرْزَاقِ وَالْأَعْمَارِ.

لَقَدْ أَدْرَكَ النَّاسُ أَزِمَةً قَرِيبَةً، كَانُوا يُنْجِزُونَ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ أَعْمَالًا كَثِيرَةً، يَعْجِزُونَ الْيَوْمَ عَنْ إِنْجَازِهَا فِي أُسْبُوعٍ كَامِلٍ، وَكَانَتْ أَرْزَاقُ النَّاسِ قَلِيلَةً جِدًّا، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ تَكْفِيهِمْ، وَيَتَصَدَّقُونَ مِنْهَا وَيَدْخِرُونَ، فَلَمَّا اتَّسَعَتْ أَرْزَاقُهُمْ، وَتَهَيَّأَتْ لَهُمْ سُبُلُ الْمَوَاصِلَاتِ وَالْإِتِّصَالَاتِ، وَتَتَابَعَتِ النِّعَمُ عَلَيْهِمْ، نَزَعَتْ الْبَرَكَةُ مِنْ أَوْقَاتِهِمْ وَأَرْزَاقِهِمْ.

وَمَنْ نَظَرَ إِلَى الْعِلْمِ الَّذِي خَلَفَهُ أَسْلَافُنَا، عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ بَارَكَ فِي أَوْقَاتِهِمْ وَأَعْمَارِهِمْ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ كَانَ مَا كَتَبُوا مِنْ صَفَحَاتٍ يَزِيدُ عَلَى أَيَّامِ حَيَاتِهِمْ مِنْذُ وَلَادَتِهِمْ إِلَى وَقَاتِهِمْ.

وَمَعَ ذَلِكَ، فَإِنَّ شُرَاحَ هَذَا الْحَدِيثِ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ أَخْبَرُوا أَنَّ تَقَارُبَ الزَّمَانِ، وَقَلَّةَ الْبَرَكَةِ فِي الْأَوْقَاتِ وَالْأَعْمَارِ قَدْ وَقَعَ فِي أَزْمَانِهِمْ، وَكَأَنَّ ذَلِكَ يَتَسَعُّ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، وَكُلَّمَا تَقَدَّمَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ اشْتَدَّتْ قِلَّةُ الْبَرَكَةِ؛ حَتَّى يَكُونُوا أَقَلَّ بَرَكَةٍ مِمَّنْ كَانُوا قَبْلَهُمْ؛ وَسَبَبُ ذَلِكَ كَثْرَةُ الْمَعَاصِي وَالْإِعْلَانُ بِهَا.

وَهَذَا الْمَعْنَى فِي تَفْسِيرِ تَقَارُبِ الزَّمَانِ بِقِلَّةِ الْبَرَكَةِ فِيهِ، قَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ؛ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، فَتَكُونَ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَيَكُونَ الشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَتَكُونُ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، وَيَكُونُ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ، وَتَكُونُ السَّاعَةُ كَاخْتِرَاقِ السَّعْفَةِ أَوْ الْخُوصَةِ» رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ (٢).

(٢) أخرجه أحمد (٥٣٧/٢)، وأبو يعلى (٦٦٨٠)، والطحاوي في شرح المشكل (٦٨٤٢)،

وصححه ابن حبان (٦٨٤٢)، والألباني في تعليقه على ابن حبان (٦٨٠٣).

قَالَ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ الْأَنْدَلُسِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِتَقَارُبِ الزَّمَانِ قِصْرَهُ عَلَى مَا وَقَعَ فِي حَدِيثٍ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَكُونَ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ » ، وَعَلَى هَذَا ، فَالْقِصَرُ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ حِسِّيًّا ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَوِيًّا :

أَمَّا الْحِسِّيُّ ، فَلَمْ يَظْهَرْ بَعْدُ وَلَعَلَّهُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَكُونُ قُرْبَ قِيَامِ السَّاعَةِ ، وَأَمَّا الْمَعْنَوِيُّ ، فَلَهُ مَدَّةٌ مُنْذُ ظَهَرَ يَعْرِفُ ذَلِكَ أَهْلُ الْعِلْمِ الدِّينِيِّ وَمَنْ لَهُ فِطْنَةٌ مِنْ أَهْلِ السَّبَبِ الدُّنْيَوِيِّ ، فَإِنَّهُمْ يَجِدُونَ أَنْفُسَهُمْ لَا يَقْدِرُ أَحَدُهُمْ أَنْ يَبْلُغَ مِنَ الْعَمَلِ قَدْرَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَهُ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَيَشْكُونَ ذَلِكَ وَلَا يَذَرُونَ الْعِلَّةَ فِيهِ ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ بِسَبَبٍ مَا وَقَعَ مِنْ ضَعْفِ الْإِيمَانِ لظُهُورِ الْأُمُورِ الْمُخَالِفَةِ لِلشَّرْعِ مِنْ عِدَّةٍ أَوْجُهُ ، وَأَشَدُّ ذَلِكَ الْأَقْوَاتُ ؛ ففِيهَا مِنَ الْحَرَامِ الْمُحْضِ وَمِنَ الشُّبُهَةِ مَا لَا يَخْفَى ؛ حَتَّى إِنْ كَثُرَ مِنَ النَّاسِ لَا يَتَوَقَّفُ فِي شَيْءٍ ، وَمَهُمَا قَدَرَ عَلَى تَحْصِيلِ شَيْءٍ هَجَمَ عَلَيْهِ وَلَا يُبَالِي ، وَالْوَاقِعُ أَنَّ الْبَرَكَاتِ فِي الزَّمَانِ وَفِي الرِّزْقِ وَفِي النَّبْتِ ، إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ طَرِيقِ قُوَّةِ الْإِيمَانِ وَاتِّبَاعِ الْأَمْرِ وَاجْتِنَابِ النَّهْيِ ، وَالشَّاهِدُ لِذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْفُرُجِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ٩٦] .

انْتَهَى مُلَخَّصًا مِنْ كَلَامِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى (٣) .

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُبَارِكَ لَنَا فِي أَوْقَاتِنَا وَأَعْمَارِنَا وَأَعْمَالِنَا وَأَرْزَاقِنَا ، وَأَنْ يَجْعَلَ لَنَا وَالْمُسْلِمِينَ مُبَارَكِينَ أَيْنَمَا كُنَّا ؛ إِنَّهُ سَمِيعٌ مُّجِيبٌ .

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ .



## الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ هَدَى مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ لِلْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ، وَجَادَ عَلَيْهِمْ بِأَنْوَاعِ الْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ، وَشَرَعَ لَهُمُ الصِّيَامَ وَالْقِيَامَ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَكُمْ تَنَفُّونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم، وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَاتَّبَاعِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - وَأَحْسِنُوا اسْتِثْبَالَ شَهْرِكُمْ بِالتَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ، وَالِاجْتِهَادِ فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ؛ فَإِنَّكُمْ مُرْتَهِنُونَ فِي قُبُورِكُمْ وَآخِرَتِكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ؛ ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (٩٦) وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى﴾ [النجم: ٣٩-٤١]، وَفِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ مِمَّا نُشَاهِدُهُ وَنُحِشُّهُ قِلَّةَ الْبَرَكَةِ فِي الْأَوْقَاتِ وَالْأَعْمَارِ، رَغَمَ قُرْبِ الْمَسَافَاتِ، وَكَثْرَةِ وَسَائِلِ الْإِتِّصَالِ وَالْمَوَاصِلَاتِ، وَهَذَا مُصَدِّقٌ لِلْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ فِي تَقَارُبِ الزَّمَانِ.

إِنَّ النَّاسَ فِي زَمَنِنَا هَذَا مَشْغُولُونَ دَائِمًا، وَلَا يُتَنَجَّوْنَ شَيْئًا، وَيَلْهَثُونَ بِاسْتِمْرَارٍ، وَلَا يُنْجِزُونَ إِلَّا الْقَلِيلَ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَوَصَلَ أَهْلُ الْقُبُورِ قُبُورَهُمْ، وَقَدْ كَانَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا أَمَالٌ وَطُمُوحَاتٌ، وَأَعْمَالٌ وَمَشْرُوعَاتٌ حَالٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا الْمَوْتُ، فَفَارَقُوا الدُّنْيَا وَلَمْ تَنْتَهُ مَشَاغِلُهُمْ وَأَمَالُهُمْ.

وَفِي زَمَنِ ثَوْرَةِ الْمَوَاصِلَاتِ وَالِإِتِّصَالَاتِ الَّتِي قَرَّبَتْ الْبُعِيدَ، وَاخْتَصَرَتْ الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ؛ فَإِنَّ الْأَرْحَامَ تُقَطَّعُ، وَيَتَهَاجِرُ الْجِيرَانُ، وَيَمُكُثُ الْقَرِيبُ عَنِ

قَرِيبِهِ - وَهُوَ فِي مَدِينَتِهِ - زَمَنًا طَوِيلًا يَتَعَدَّى أَشْهُرًا، وَرُبَّمَا يَتَجَاوَزُ السَّنَةَ، وَقَدْ يَمْرُضُ وَلَا يَعْلَمُ عَنْهُ شَيْئًا، وَكُلُّ مِنْهُمَا مَشْغُولٌ عَنِ الْآخِرِ، وَلَا نَتَائِجَ تُذَكِّرُ مِنْ وَرَاءِ هَذِهِ الْأَشْغَالِ.

وَبِمَا أَنَّ الزَّمَانَ يَتَقَارَبُ، وَيَزْدَادُ تَقَارُبُهُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ؛ حَتَّى تَمُضِيَ الشُّهُورُ وَالْأَعْوَامُ، وَلَا يُحَسِّنُ النَّاسُ بِهَا، وَمَشَاغِلُ النَّاسِ وَطُمُوحَاتُهُمْ تَتَجَاوَزُ أَعْمَارَهُمْ بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ . . . بِمَا أَنَّ الْأَمْرَ كَذَلِكَ فَإِنَّ الْعَاقِلَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَرْتَبُّ أَعْمَالَهُ؛ فَيَقْدِّمُ الْأَهَمَّ مِنْهَا عَلَى الْمُهْمِّ، وَالْفَاضِلَ عَلَى الْمَفْضُولِ، وَمَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى، فَإِذَا مَا تَعَارَضَ عَمَلُ الدُّنْيَا مَعَ عَمَلِ الْآخِرَةِ، قُدِّمَ عَمَلُ الْآخِرَةِ؛ لِأَنَّهَا خَيْرٌ وَأَبْقَى.

وَإِذَا تَزَاحَمَتِ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ عَلَيْهِ، قُدِّمَ الْفَرَائِضُ عَلَى النَّوَافِلِ، وَالْوَاجِبَاتُ عَلَى الْمَنْدُوبَاتِ، وَقُدِّمَ مَا كَانَ نَفْعُهُ مُتَعَدِّيًا عَلَى مَا كَانَ نَفْعُهُ قَاصِرًا، وَإِذَا مَا أَدْرَكَ أَزْمَنَةً فَاضِلَةً، كَالْجُمُعَةِ وَرَمَضَانَ، وَعَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ، خَصَّهَا بِمَزِيدِ عِنَايَةٍ وَاهْتِمَامٍ؛ لِفَضِيلَةِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فِيهَا، وَأَهْلُ التِّجَارَةِ يَخُصُّونَ مَوَاسِمَهُمْ بِمَزِيدِ عِنَايَةٍ وَاهْتِمَامٍ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ طُلَّابُ الدُّنْيَا أَكْثَرَ حَصَافَةً وَاهْتِيَالًا لِلْفُرَصِ مِنْ طُلَّابِ الْآخِرَةِ.

إِنَّ أَعْمَارَنَا -وَإِنْ طَالَتْ- فَلَنْ تَسْتَوْعِبَ آمَالَنَا وَطُمُوحَاتِنَا وَمَشْرُوعَاتِنَا الَّتِي تَزْدَادُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ مَعَ نَقْصِ أَعْمَارِنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ يَمُضِي عَلَيْنَا، وَمِنْ الْخَسَارَةِ الْعَظِيمَةِ أَنْ يَمُضِيَ عُمْرُ أَحَدِنَا وَقَدْ فُرِّقَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ، وَشُتَّتْ شَمْلُهُ، وَقَسَا قَلْبُهُ، وَهُوَ لَا يَزَالُ يَعِدُ نَفْسَهُ بِأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ كَثِيرَةٍ، وَلَكِنَّهَا تَظَلُّ حَيَسَةً أَمَانِيَةٍ وَوُعُودِهِ، وَلَا تَحْطَى بِشَيْءٍ مِنْ وَقْتِهِ وَعُمْرِهِ، حَتَّى يُوسَدَ فِي قَبْرِهِ.

إِنَّكُمْ -يَا عِبَادَ اللَّهِ- تَسْتَقْبِلُونَ مَوْسِمًا مِنْ مَوَاسِمِ الْآخِرَةِ، وَسَيَحْطَى مَنْ أَدْرَكَهُ



مِنْكُمْ بِعِطِيَّةٍ مِنْ عَطَايَا رَبِّكُمْ ﷺ فَحَرَامٌ عَلَيْهِ، ثُمَّ حَرَامٌ أَنْ يُقَرِّطَ فِيهِ، وَلَا يُؤْلِيَهُ عِنَايَتَهُ وَاهْتِمَامَهُ؛ مَوْسِمٌ مَنْ أَدْرَكَهُ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَهُوَ مُحْرُومٌ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ شَهْرُ رَمَضَانَ، ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ» صَحَّحَهُ ابْنُ حَبَّانَ<sup>(٤)</sup>.

وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي، فَقَالَ: مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ» صَحَّحَهُ ابْنُ حَبَّانَ<sup>(٥)</sup>.

وَقَدْ عَوَّدَنَا شَيَاطِينُ الْإِنْسِ فِيمَا مَضَى مِنْ رَمَضَانَاتٍ بِإِفْسَادِ صِيَامِ الصَّائِمِينَ، وَقِيَامِ الْقَائِمِينَ، وَإِذْهَابِ وَقَارِ رَمَضَانَ بِمَا يَعْرِضُونَهُ فِي فَضَائِلَاتِهِمْ؛ مِنْ إِثْمٍ وَقِمَارٍ، وَفُجُورٍ وَسُخْرِيَةٍ بِالنَّاسِ، وَاسْتَهْزَاءٍ بِدِينِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَفْضِ لِشَرِيعَتِهِ، وَتَعَدُّ عَلَى حُدُودِهِ، وَتَمَرُّدٍ عَلَى أَحْكَامِهِ، وَقَبْلَ أَشْهُرٍ مِنْ رَمَضَانَ وَهُمْ يَسْتَبِقُونَ لِحِجْرِ الصَّائِمِينَ وَالْقَائِمِينَ إِلَى فَضَائِلَاتِهِمْ الْأَثِمَةِ، بِمَا يَعْرِضُونَهُ مِنْ دَعَايَاتٍ لِبَرَامِجِهِمُ الْفَاجِرَةِ.

فَيَا لَحَسَارَةٍ مَنْ تَبِعَهُمْ فِي ضَلَالِهِمْ، وَوَافَقَهُمْ فِي إِفْكِهِمْ، وَقَضَى رَمَضَانَ مُتَنَفِّلاً بَيْنَ بَرَامِجِهِمْ، وَشَهِدَ مَشَاهِدَ الزُّورِ مَعَهُمْ! وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ لَمْ يَدْعُ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدْعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»<sup>(٦)</sup>.

(٤) أخرجه من حديث أبي هريرة ؓ: الترمذي في الدعوات، باب قول رسول الله ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ» وقال: حسن غريب (٣٥٤٥)، وأحمد (٢/٢٥٤)، وصححه ابن حبان (٩٠٨).

(٥) أخرجه من حديث أبي هريرة ؓ: البخاري في الأدب المفرد برقم (٦٤٦)، والبيهقي (٣١٦٩)، وصححه ابن خزيمة (١٨٨٨)، وابن حبان (٩٠٧).

وأخرجه من حديث مالك بن الحويرث ؓ: ابن حبان (٤٠٩).

(٦) أخرجه من حديث أبي هريرة ؓ: البخاري في الصوم، باب من لم يدع قول الزور، والعمل به في الصوم (١٩٠٣).

وَاللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنَّ كَثِيرًا مِمَّا يُبَشِّرُونَ بِهِ الْمُسْلِمِينَ فِي فَضَائِلِهِمْ  
لَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْجَهْلِ، وَأَكْبَرِ الزُّورِ، وَإِنَّ مِنْ أَقَلِّ دَرَجَاتِ انْكَارِ هَذَا الْجَهْلِ  
وَالزُّورِ مُجَانِبَةً مَجَالِسِهِ، وَحِفْظَ الْبُيُوتِ وَالْأَسْرِ مِنْ شَرِّهِ وَبَلَائِهِ؛ حِفْظًا لِصِيَامِهِمْ  
مِمَّا يَخْرِقُهُ، وَلِقْلُوبِهِمْ مِمَّا يُفْسِدُهَا، وَشُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى إِذْرَاكِ رَمَضَانَ.

اللَّهُمَّ سَلِّمْنا إِلَى رَمَضَانَ، وَسَلِّمْهُ لَنَا، وَسَلِّمْهُ مِنَّا مُتَقَبَّلًا، وَوَفَّقْنَا فِيهِ لِلْعَمَلِ  
بِمَا يُرْضِيكَ، آمِينَ، آمِينَ، آمِينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ...



## ٣٨٩- جنة الخلد (١)

## الأسماء والأوصاف

٥/١١/١٤٢٥هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]،  
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَيُّهَا النَّاسُ: إِذَا أَذِنَ اللَّهُ تَعَالَى بِنُزُولِ الْغَيْثِ، فَارْتَوَتْ الْأَرْضُ بِالْمَاءِ، فَأَنْبَتَتْ عُشْبَهَا، وَاکْتَسَتْ بِخُضْرَتِهَا، وَطَابَ رِيحُهَا؛ فَإِنَّ كُلَّ حَيٍّ لَا يَمْلُ النَّظَرَ إِلَيْهَا، وَالْإِسْتِمْتَاعَ بِهَا.

وَإِذَا قُدِّرَ لِلْعَبْدِ أَنْ يَرَى بِلَادًا قَدْ اخْضَرَّتْ أَرْضُهَا، وَجَرَتْ أَنْهَارُهَا، وَأَزْهَرَتْ أَشْجَارُهَا، وَأَيْتَعَتْ ثِمَارُهَا، وَطَابَ هَوَاؤُهَا؛ فَإِنَّهُ يَأْنَسُ فِيهَا، وَيَتَمَنَّى عَدَمَ مُفَارَقَتِهَا.

وَإِذَا دَخَلَ الْإِنْسَانُ بُسْتَانًا كَثُرَتْ أَشْجَارُهُ، وَتَوَفَّرَ مَأْوُهُ، وَرُتِبَ بُنْيَانُهُ، وَدَنَتْ ثِمَارُهُ؛ فَإِنَّهُ يُطِيلُ الْمُكْثَ فِيهِ، وَيُقَلِّبُ بَصَرَهُ فِي نَوَاحِيهِ.

وَإِذَا حَضَرَ إِنْسَانٌ شُرُوقَ الشَّمْسِ فِي غَايَةِ كَثِيفَةٍ، وَرَأَى أَشْجَعَتَهَا تَتَخَلَّلُ أَشْجَارَهَا، أَوْ حَضَرَ غُرُوبَ الشَّمْسِ فِي بَحْرِ أَوْ بُحِيرَةٍ، وَأَبْصَرَ قُرْصَهَا يَسْقُطُ فِيهَا؛ فَلَنْ يَجِدَ مَنْظَرًا أَجْمَلَ مِنْهُ، وَلَنْ يَغْتَرَّ عَلَى صُورَةٍ تُقَرِّبُ صُورَتَهُ.

وَإِذَا دَخَلَ قَصْرًا مُنِيفًا قَدْ أَحَاطَتْ بِهِ حَدَائِقُ عَنَاءٍ، يَخْتَلِطُ فِيهَا خَرِيرُ الْمَاءِ بِخَفِيفِ الْأَشْجَارِ، وَبِدَاخِلِهِ مِنَ التَّحْفِ وَالنَّوَادِرِ، وَالْأَثَاثِ وَالْمَتَاعِ، وَالزَّيْنَةِ وَالزَّخَارِفِ مَا لَا يُوصَفُ؛ فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى مَلِكُهُ وَسُكْنَاهُ.

كُلُّ مَا سَبَقَ ذِكْرُهُ نَرَى شَيْئًا يَسِيرًا مِنْهُ فِي الدُّنْيَا، وَمَا خَفِيَ عَلَيْنَا مِنْ بَسَاتِينِ الْأَرْضِ وَبِحَارِهَا، وَأَنْهَارِهَا وَقُصُورِهَا، وَمَا فِيهَا؛ أَكْثَرُ مِمَّا نَعْلَمُهُ، وَمَا لَمْ نَرَهُ مِنْهَا أَكْثَرُ مِمَّا رَأَيْنَاهُ! هَذَا عَدَا مَا فِيهَا مِنَ الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ، وَالْمَلَابِسِ وَالْمَرَاكِبِ، وَأَنْوَاعِ الزَّيْنَةِ وَالْمَتَاعِ، مِمَّا لَا يُوصَفُ مِنْ كَثْرَتِهِ وَتَنَوُّعِهِ.

وَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ وَعَدَ الْمُتَّقِينَ جَنَّةَ عَرْضِهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ.

كُلُّ مَا فِي الدُّنْيَا مِمَّا رَأَيْنَاهُ وَمَا لَمْ نَرَهُ، وَمَا سَمِعْنَاهُ وَمَا لَمْ نَسْمَعْ، وَمَا وَصَفَ لَنَا وَمَا لَمْ يُوصَفْ لَنَا، مَوْضِعُ سَوَاطِينِ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْهُ<sup>(١)</sup>، وَخِمَارٌ قَصِيرٌ عَلَى رَأْسِ الْحُورِ الْعِينِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَلَوْ أَطْلَعْتَ وَاحِدَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ عَلَى الْأَرْضِ لَمَلَأَتْهَا رِيحًا وَجَمَالًا<sup>(٢)</sup>، ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ

كَانَ قَافِيًا﴾ [مريم: ٦٣].

(١) كما في حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها» أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب صفة الجنة وأنها مخلوقة (٣٠٧٨).

(٢) كما في حديث أنس -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «لروحة في سبيل الله أو غدوة =

اسْتَحَقَّتْ اسْمَ الْجَنَّةِ حَتَّى صَارَ عَلَمًا عَلَيْهَا؛ لِأَنَّهَا مَكْسُوءَةٌ بِالْخَضِرَةِ، مَسْتَوْرَةٌ  
بِالشَّجَارِ، وَلَا يَسْتَحِقُّ اسْمَ الْجَنَّةِ إِلَّا بُسْتَانٌ كَثُرَتْ أَشْجَارُهُ، وَتَنَوَّعَتْ ثِمَارُهُ،  
وَجَرَى مَآؤُهُ<sup>(٣)</sup>.

وَأَعْظَمُ جَنَّةٍ فِي الْأَرْضِ لَيْسَتْ تُسَاوِي عُودًا بِالنُّسْبَةِ لَجَنَّةِ الْخُلْدِ: ﴿قُلْ أَذَلِكَ  
خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ وَمَصِيرًا ۝﴾ هُمُ فِيهَا مَا  
يَشَاءُونَ خَلِيدِينَ كَانَتْ عَلَى رَيْكَ وَعَدًا مَسْئُولًا ﴿[الفرقان: ١٥، ١٦].

فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ مَا لَا يُوصَفُ كَثْرَةً وَتَنَوُّعًا وَلَذَّةً؛ وَلِذَلِكَ أُضِيفَ النَّعِيمُ إِلَيْهَا  
فَقِيلَ: جَنَّاتُ النَّعِيمِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾،  
وَسَأَلَهَا إِبْرَاهِيمُ ۖ رَبُّهُ ۖ فَقَالَ: ﴿وَجَعَلْنِي مِنْ رِوَّةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿الشعراء: ٨٥﴾.  
يَأْوِي إِلَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ، فَيَتَّبِعُونَ مِنْهَا مَنَزِلًا، وَتَكُونُ لَهُمْ مَقَامًا وَنَزْلًا: ﴿وَأَمَّا  
مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿[التازعات: ٤٠، ٤١]،  
﴿خَلِيدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٧٦].

هِيَ دَارُ الْخُلْدِ، وَجَنَّةُ الْخُلْدِ؛ لِأَنَّ أَهْلَهَا لَا يَظْعَنُونَ عَنْهَا، وَلَا يَزْتَحِلُونَ إِلَى  
غَيْرِهَا أَبَدًا<sup>(٤)</sup>: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَبِالْجَنَّةِ خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ  
إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُورٍ ﴿هود: ١٠٨﴾، أَي: غَيْرَ مَقْطُوعٍ، بَلْ هُوَ دَائِمٌ  
مُسْتَمِرٌّ مُسْتَقَرٌّ ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرِجِينَ ﴿[الحجر: ٤٨].

= خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد -يعني: سوطه- خير  
من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما  
بينهما، ولملأته ريحًا، ولنضيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها» أخرجه البخاري في  
الجهاد والسير، باب الحور العين وصفتهن (٢٦٤٣).

(٣) ينظر: حادي الأرواح (١٣٨).

(٤) ينظر: حادي الأرواح (١٤١).

وَمَا فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ وَالْمَتَاعِ مِمَّا يَتَنَعَّمُ بِهِ أَهْلُهَا دَائِمٌ غَيْرُ مُنْقَطِعٍ، كَامِلٌ غَيْرُ  
مَنْقُوصٍ ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُمُهَا﴾  
[الرعد: ٣٥]، ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهْمٍ كَثِيرٍ وَشَرَابٍ ﴿٥٦﴾﴾ ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ  
الطَّرَفِ أَنْزَابٌ ﴿٥٧﴾﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٨﴾﴾ إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَكُمْ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٩﴾﴾ نَسْأَلُ  
اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَنَا وَوَالِدِينَا وَالْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ مِنْ أَهْلِهَا.

يَفْرَحُ أَهْلُهَا بِخُلُودِهِمْ فِيهَا، وَيَلْهَجُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ قَائِلِينَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي  
أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٦٠﴾﴾ الَّذِي أَهْلَنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا  
يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٦١﴾﴾ [فاطر: ٣٤، ٣٥].

هِيَ الدَّارُ الْآخِرَةُ، فَلَا دَارَ بَعْدَهَا، وَلَا عَمَلَ لِمَنْ دَخَلَهَا إِلَّا التَّمَتُّعُ بِالنَّعِيمِ  
الْمُقِيمِ الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي  
الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [القصص: ٨٣].

يَحْيُونَ فِيهَا حَيَاةً خَالِدَةً فَلَا يَمُوتُونَ، وَلَا يَمْرَضُونَ، وَلَا يَهْرُمُونَ، وَيَنْعَمُونَ  
فَلَا يَبْأَسُونَ: ﴿وَلِلَّهِ الدَّارُ الْآخِرَةُ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [المنكوت: ٦٤].  
وَلَمَّا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يُخَيِّرَ زَوْجَاتِهِ أُمَهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بَيْنَ الدُّنْيَا  
وَمَتَاعِهَا وَزِينَتِهَا وَبَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ بَدَأَ ﷺ بِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ لَهَا: «إِنِّي  
ذَاكِرٌ لَكَ أَمْرًا فَلَا عَلَيْكَ أَنْ لَا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكَ، ثُمَّ خَيَّرَهَا بَيْنَ الدُّنْيَا  
وَالْآخِرَةِ، فَقَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فِي أَيِّ هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ؟! فَإِنِّي أُرِيدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ  
الْآخِرَةَ، قَالَتْ: ثُمَّ فَعَلَ أَزْوَاجُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِثْلَ مَا فَعَلْتُ» رَوَاهُ الشَّيْخَانُ<sup>(٥)</sup>.  
هِيَ دَارُ السَّلَامِ الَّتِي دَعَا إِلَيْهَا الرَّحْمَنُ: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ

(٥) أخرجه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: البخاري في التفسير، باب ﴿وَلَمَّا كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٩] (٤٥٠٨)، ومسلم  
في الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية (١٤٧٥).

يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿[يونس: ٢٥]، فَمَنْ اسْتَجَابَ لِدَعْوَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاتَّبَعَ رُسُلَهُ، وَسَلَكَ صِرَاطَهُ الْمُسْتَقِيمَ؛ فَهُوَ الْمُسْتَحَقُّ لَهَا: ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ لَّهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿[الأنعام: ١٢٦، ١٢٧].

وَهَلْ دَارٌ تَسْتَحِقُّ اسْمَ السَّلَامِ غَيْرُهَا، وَهِيَ دَارُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْ أَسْمَائِهِ جَلَّ جَلَالُهُ: السَّلَامُ؟! ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ ﴿[الحشر: ٢٣]، فَهِيَ دَارُ السَّلَامِ؛ لِأَنَّهَا دَارُ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَدْ سَلَّمَهَا اللَّهُ ﷻ مِنْ كُلِّ الْأَفَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ؛ وَلِذَلِكَ فَإِنَّ خَزَنَتَهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ يُبَشِّرُونَ أَهْلَهَا بِأَنَّهُمْ سَالِمُونَ، وَيَسْتَقْبِلُونَهُمْ بِالسَّلَامِ: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهَا وَقُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمْ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٤﴾ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

وَهِيَ كَذَلِكَ سَالِمَةٌ مِنَ اللَّغْوِ وَالتَّائِيهِ، وَمِنْ كُلِّ كَلَامٍ قَبِيحٍ، وَيَسَلِّمُ أَهْلُهَا مِنْ سَمَاعٍ مَا لَا يَسُرُّهُمْ: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة: ٢٦].

يُحْيِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالسَّلَامِ؛ لِأَنَّ السَّلَامَةَ قَدْ كُتِبَتْ لَهُمْ: ﴿يَحْيِيهِمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣].

وَيُكْفِيهِمْ سَلَامًا بُشِّرَى رَبِّهِمْ لَهُمْ بِالسَّلَامِ: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَلَاحَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ سَلِّمْ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَجِيمٍ ﴿[يس: ٥٧، ٥٨]﴾<sup>(٦)</sup>.

وَهِيَ دَارٌ حَسَنَةٌ، قَدْ زَيَّنَهَا الرَّحْمَنُ جَلَّ جَلَالُهُ، وَجَعَلَهَا مَوْئِلًا لِعِبَادِهِ، وَمُسْتَقَرًّا لِأَحْبَابِهِ؛ فَاسْتَحَقَّتْ أَنْ تُسَمَّى بِالْحُسْنَى ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾

[يونس: ٢٦]، وَقَدْ جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مَا يُفِيدُ أَنَّ: الْحُسْنَى الْجَنَّةُ، وَالزِّيَادَةُ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ الرَّحْمَنِ<sup>(٧)</sup>.

مَنْ دَخَلَهَا فَهُوَ آمِنٌ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ، وَلَا يَنَالُهُ أَيُّ سُوءٍ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدخان: ٥٢]، فَأَهْلُهَا آمِنُونَ مِنَ الْخُرُوجِ مِنْهَا، آمِنُونَ مِنْ نَقْصِ النَّعِيمِ فِيهَا، آمِنُونَ مِنْ أَيِّ كَدَرٍ أَوْ تَنْغِيصٍ، آمِنُونَ مِنَ الْمَوْتِ: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّهَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٥٦]، ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٥﴾ أَذْخَلُوهُمْ بِسَلَامٍ ءَامِينَ ﴿٥٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٥-٤٨].

وَقَدْ وُصِفَ إِذْخَالُهُمْ لِلْجَنَّةِ بِالْإِكْرَامِ؛ لِأَنَّهُ كَذَلِكَ؛ بَلْ هُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْإِكْرَامِ: ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]، قَالَ السَّمْعَانِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «فَالْمَدْخَلُ -بِفَتْحِ الْمِيمِ-: الْجَنَّةُ، وَالْمَدْخَلُ -بِضَمِّهَا-: الْإِذْخَالُ، يَعْنِي إِذْخَالًا كَرِيمًا»<sup>(٨)</sup>؛ وَذَلِكَ إِرْضَاءٌ لَهُمْ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ فِي الدُّنْيَا؛ كَمَا قَالَ

(٧) جاء في صحيح مسلم (٢٩٧)، من حديث صهيب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ، ثم تلا هذه الآية ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُتَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]». وجاء عن الصحابة رضي الله عنهم أقوال كثيرة متواترة تفيد هذا المعنى، وهي وإن كانت موقوفة فلها حكم الرفع؛ لأنها إخبار عن غيب لا يعلم إلا بالوحي، وقد ذكر الحفاظ هذه الآثار في الرد على منكري الرؤية من المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة، ينظر: السنة لعبد الله بن أحمد (٥١-٥٢)، والرد على الجهمية للدارمي (٣٠٣-٣٠٤)، والشرعية للآجري (٢٥٧)، والسنة لابن أبي عاصم (٤٧٣)، والرؤية للدارقطني (٥٦-٢١٠-٢١٣-٢٢٤)، والسنة لللكاني (٧٧٨-٧٧٩-٧٨٣-٧٨٤-٧٨٥-٧٨٧).

(٨) تفسير السمعاني (١/٤٢١).



سُبْحَانَهُ: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِلَى اللَّهِ لَهُوْ خَيْرُ الرِّزْقِينَ ﴿٥٨﴾ لِيَدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [الحج: ٥٨، ٥٩] (٩).

نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ، وَفَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَعَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ أَنْ يَجْعَلَنَا وَوَالِدَيْنَا وَأَحِبَّاءَنَا وَإِخْوَانَنَا الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِهَا، وَأَنْ يَجْعَلَهَا لَنَا مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طُبِّئَتْ قَادُحُوهَا خَلَدِينَ ﴿٧٤﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٣، ٧٤].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ...



## الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، نَحْمَدُهُ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَنَسْتَغْفِرُهُ لِنَيْلِ غُفْرَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً أَرْجُو بِهَا النِّجَاةَ يَوْمَ لِقَائِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَصَفِيُّهُ وَخَلِيلُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ -عِبَادَ اللَّهِ- وَنَافِسُوا فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَسَابِقُوا إِلَى الْمَغْفِرَةِ وَالْجَنَّةِ؛ فَإِنَّ الْجَنَّةَ أُعِدَّتْ لِأَهْلِ التَّقْوَى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

هِيَ دَارُهُمْ وَمَجْلِسُهُمْ، وَمَكَانُ إِقَامَتِهِمْ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٣٥﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠، ٣١].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: الْجَنَّةُ اسْمٌ شَامِلٌ لِجَمِيعِ مَا حَوَتْهُ مِنَ الْبَسَاتِينِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْقُصُورِ<sup>(١٠)</sup>، وَهِيَ جَنَّاتٌ كَثِيرَةٌ جِدًّا، لَا يَعْلَمُ عَدَدَهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى!! دَلِيلُ ذَلِكَ: مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ أُمَّ الرَّبِيعِ بِنْتَ الْبَرَاءِ وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بِنِ سُرَاقَةَ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ: أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ، وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَذْرِ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ -أَي: لَا يُعْرِفُ رَامِيهِ- فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبَرْتُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ. قَالَ ﷺ: يَا أُمَّ حَارِثَةَ: إِنَّهَا جَنَّاتٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكَ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى»، وَفِي رِوَايَةٍ: «إِنَّهَا جَنَّاتٌ كَثِيرَةٌ فِي جَنَّةٍ»<sup>(١١)</sup>.

لِكُلِّ وَاحِدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ جَنَّاتَانِ، وَالْمُؤْمِنُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مِنَ السَّابِقِينَ الْمُقَرَّبِينَ فَلَهُ جَنَّاتَانِ عَالِيَتَانِ: ﴿وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرَّحْمَن: ٤٦]، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، فَلَهُ جَنَّاتَانِ دُونَ الْأُولَيَيْنِ: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ﴾ [الرَّحْمَن: ٦٢]، قَالَ الْعُلَمَاءُ: «وَأِنَّمَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُ جَنَّتَيْنِ؛ لِأَنَّهُ امْتَثَلَ

(١٠) ينظر: حادي الأرواح (١٤٨).

(١١) أخرجه البخاري في الجهاد والسير، باب من أتاها سهم غرب فقتله (٢٦٥٤)، والترمذي في التفسير، باب ومن سورة المؤمنون (٣١٧٤)، وأحمد (٢٦٠/٣)، واللفظ للبخاري، والرواية الثانية لأحمد (٢٨٣/٣).

أَوَامِرَ اللَّهِ تَعَالَى، وَاجْتَنَبَ نَوَاهِيَهُ؛ فَجَنَّةٌ جَزَاءُ أَدَاءِ الْأَوَامِرِ، وَجَنَّةٌ جَزَاءُ اجْتِنَابِ  
الْمَحَارِمِ» (١٢).

وَجَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «جَتَّانِ مِنْ فِضَّةٍ آتَيْتُهُمَا وَمَا  
فِيهِمَا، وَجَتَّانِ مِنْ ذَهَبٍ آتَيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى  
رَبِّهِمْ إِلَّا رِذَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ» (١٣).

إِنَّ الْإِنْسَانَ فِي الدُّنْيَا لَيَدْهَشُ حِينَ يَرَى ذَهَبًا أَوْ فِضَّةً، وَالنَّاسُ يُخْزَنُونَ هَذَيْنِ  
الْمَعْدِنَيْنِ فِي أَمْنٍ مَكَانٍ عِنْدَهُمْ، وَأَقْوَى حِرْزٍ لَدَيْهِمْ، وَهَذَانِ الْمَعْدِنَانِ جَرَتْ  
حُرُوبٌ عَظِيمَةٌ فِي التَّارِيخِ الْبَشَرِيِّ عَلَيْهِمَا!! وَفِي آخِرِ الزَّمَانِ: «يُحَسِرُ الْفُرَاتُ  
عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَإِذَا سَمِعَ بِهِ النَّاسُ سَارُوا إِلَيْهِ، فَيَقُولُ مَنْ عِنْدَهُ: لَيْسَ تَرَكْنَا  
النَّاسَ يَأْخُذُونَ مِنْهُ لَيَذْهَبَنَّ بِهِ كُلُّهُ، فَيَقْتُلُونَ عَلَيْهِ، فَيَقْتُلُ مِنْ كُلِّ مِئَةٍ تِسْعَةً  
وَتِسْعُونَ» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ (١٤).

فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ ثَمَنِيَّةٌ شَيْءٍ قَلِيلٍ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ، يَسْتَبِقُ النَّاسُ عَلَيْهِمَا،  
وَيَبْذُلُونَ نَفْسَهُمْ مِنْ أَجْلِهِمَا، فَمَا الظَّنُّ بِجَنَّةٍ مِنْ ذَهَبٍ، كُلُّ مَا فِيهَا مِنْ ذَهَبٍ،  
وَجَنَّةٍ أُخْرَى مِنْ فِضَّةٍ، وَكُلُّ مَا فِيهَا مِنْ فِضَّةٍ؟! وَلَيْسَ ذَهَبُ الدُّنْيَا أَوْ فِضَّتُهَا،

(١٢) ينظر: حادي الأرواح (١٤٩-١٥١).

(١٣) أخرجه من حديث أبي موسى الأشعري ؓ: البخاري في التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٦٢] (٤٥٩٧)، ومسلم في الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ﷻ (١٨٠)، واللفظ لمسلم، ولفظ البخاري مثله، إلا أنه قال: «رداء الكبير».

(١٤) أخرجه من حديث أبي هريرة ؓ: البخاري في الفتن، باب خروج النار (٦٨٠٢)، ومسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب (٢٨٩٤).

وأخرجه مسلم من حديث أبي كعب ؓ واللفظ له (٢٨٩٥).

اللَّذِينَ يَشُوبُهُمَا مَا يَشُوبُهُمَا مِنْ كَدَرِ الْمَعَادِينَ، وَغَشِّ الصَّاعَةِ، وَلَكِنَّهُمَا ذَهَبُ الْجَنَّةِ وَفَضَّتُهَا.

فَمَنْ ابْتَغَى ذَلِكَ، وَأَرَادَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ؛ فَعَلَيْهِ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَاكْتِسَابِ الْحَسَنَاتِ، وَالْبُعْدِ عَنِ الْمَحْرَمَاتِ.

يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ إِذَا رَأَى مِنْظَرًا أَعْجَبَهُ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا أَنْ يَتَذَكَّرَ مَنَازِلَ الْجَنَّةِ. لِيَتَذَكَّرَ بَسَاتِينَهَا وَأَشْجَارَهَا وَأَنْهَارَهَا. لِيَتَذَكَّرَ قُصُورَهَا وَأَنْثَاهَا وَحُورَهَا. لِيَتَذَكَّرَ طَيِّبَ طَعَامِهَا وَشَرَابِهَا وَرِيحِهَا. لِيَتَذَكَّرَ أَنَّ فِيهَا قُصُورًا مُشِيدَةً مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ؛ فَلَيْتَهُ مِنْ ذَهَبٍ وَلَيْتَهُ مِنْ فِضَّةٍ.

فَإِذَا شَرِبَ مَاءَ عَذْبَا، أَوْ رَأَى نَهْرًا يَجْرِي، أَوْ سَيَّلاً يَتَدَفَّقُ، أَوْ سَمَاءً تُمَطِّرُ؛ فَلْيَتَذَكَّرَ أَنَّ فِي الْجَنَّةِ أَنْهَارًا مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ، وَأَنَّ فِيهَا قُصُورًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ.

وَكُلُّ نَعِيمٍ يَتَنَعَّمُهُ الْإِنْسَانُ فِي الدُّنْيَا فَفِي الْجَنَّةِ مَا هُوَ أَطْيَبُ مِنْهُ وَأَبْقَى وَأَكْمَلُ لَذَّةً وَنَعِيمًا؛ فَأَعِدُّوا لَهَا -عِبَادَ اللَّهِ- عُدَّتَهَا، وَاعْمَلُوا بِعَمَلِ أَهْلِهَا، وَسَارِعُوا إِلَيْهَا، وَسَابِقُوا النَّاسَ عَلَيْهَا، وَنَافِسُوهُمْ فِي أَعْلَى دَرَجَاتِهَا بِالْإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى الْفَرَائِضِ، وَالْإِكْتِسَابِ مِنَ النِّوَافِلِ؛ فَإِنَّ الْفَوْزَ وَالسَّعَادَةَ فِي ذَلِكَ، وَلَا فَوْزَ يَغْدِلُهُ، وَلَا سَعَادَةَ مِثْلُهُ؛ فَمَنْ غُلِبَ عَلَيْهَا فَهُوَ الْمَغْلُوبُ، وَمَنْ حُرِمَهَا فَهُوَ الْمَحْرُومُ.

نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ فَضْلِهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ نُغْلَبَ عَلَيْهَا، أَوْ نُحْجَبَ عَنْهَا، أَوْ نُحْرَمَ نَعِيمَهَا.

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى نَبِيِّكُمْ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ رَبُّكُمْ ...

## ٣٩٠- جنة الخلد (٢)

## الدرجات والمنازل

١٧/٥/١٤٢٦هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ؛ جَعَلَ الدُّنْيَا دَارَ ابْتِلَاءٍ وَامْتِحَانٍ، وَجَعَلَ الْآخِرَةَ دَارَ الْجَزَاءِ وَالْقَرَارِ، أَحْمَدُهُ حَمْدًا يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ ابْتَلَى عِبَادَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فَجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ: فَرِيقًا فِي الْجَنَّةِ، وَفَرِيقًا فِي السَّعِيرِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَاحِبُ اللَّوَاءِ الْمَعْقُودِ، وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، وَالْحَوْضِ الْمَوْرُودِ، مَنْ سَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى لَهُ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ؛ عَرَفُوا قَدْرَ الدُّنْيَا فَمَا حَفَلُوا بِهَا، وَعَلِمُوا قَدْرَ الْجَنَّةِ فَسَعَوْا لَهَا، وَعَمِلُوا بِعَمَلِ أَهْلِهَا، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَأَوْصِيكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى؛ فَإِنَّهَا نِعَمُ الْبِضَاعَةِ لِلدَّارِ الْآخِرَةِ، وَجَزَاؤُهَا الْجَنَّةُ ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّخَفُوا رَبَّهُمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَنَّتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨].

أَيُّهَا النَّاسُ: إِذَا ذُكِرَتِ الْجَنَّةُ تَحَرَّكَتْ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ؛ طَمَعًا فِيهَا، وَشَوْقًا إِلَيْهَا، وَلَهَجَتْ أَلْسِنَتُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى؛ اسْتِعْظَامًا لَوْصِفِهَا، وَدُعَاءً بِبُلُوغِهَا، لَا يَرَوْنَ نَعِيمًا فِي الدُّنْيَا -مَهْمَا بَلَغَ- يُدَانِي نَعِيمَ الْجَنَّةِ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يُشَابِهَهُ أَوْ يُمَاتِلَهُ.

قَدْ عَلِمُوا أَنَّهَا جَزَاءُ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ فَأَمَّنُوا، وَاجْتَهَدُوا فِيَمَا يُقَرِّبُهُمْ مِنْهَا، وَلَمْ يَتَكَلَّفُوا عَلَى عَمَلِهِمْ؛ لِعِلْمِهِمْ أَنَّ أَعْمَالَهُمْ مَهْمَا كَانَتْ لَا تَفِي نِعْمَةً

وَاحِدَةً مِنْ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى الْغَزِيرَةَ عَلَيْهِمْ، يَلْهَجُونَ بِسُؤَالِ رَبِّهِمْ قَائِلِينَ: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاثِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٣، ١٩٤].

وَالْحَدِيثُ عَنِ الْجَنَّةِ حَدِيثٌ طَوِيلٌ لَا يَنْتَهِي؛ لِأَنَّهَا دَارُ الرَّحْمَنِ، وَخَزَائِنُ الرَّحْمَنِ لَا تَنْفَدُ، وَعَطَايَاهُ لَا تَنْقُطُ: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَنِي الْجَنَّةِ خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُورٍ﴾ [هود: ١٠٨].

مَا بَلَغَهَا أَهْلُهَا إِلَّا بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَحْمَتِهِ، وَإِحْسَانِهِ وَمِثَّتِهِ، نَجَّاهُمْ رَبُّهُمْ الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ، وَتَابَعَ عَلَيْهِمُ النِّعْمَةَ تِلْوُ النِّعْمَةِ؛ فَأَنْعَمَ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقَبْضَتَيْنِ فَكَانُوا فِي قَبْضَةِ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، وَكَانَ غَيْرُهُمْ فِي قَبْضَةِ أَصْحَابِ الشِّمَالِ، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمْ مَرَّةً أُخْرَى لَمَّا تَخَلَّقُوا فِي أَرْحَامِ أُمَّهَاتِهِمْ فَكُتِبُوا فِي السُّعْدَاءِ وَكُتِبَ غَيْرُهُمْ فِي الْأَشْقِيَاءِ، ثُمَّ لَمَّا مَاتُوا كُتِبُوا فِي دِيْوَانِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: «اُكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيْنِ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ؛ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى»<sup>(١)</sup>.

ثُمَّ يَنْعَمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَخْذِ كُتُبِهِمُ الَّتِي هِيَ صُكُوكُ الْجَنَّةِ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ بِمِيزَانِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيَّةً ﴿٢١﴾ إِنِّي طَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حَسَابِيَّةً ﴿٢٢﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢٣﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٤﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٥﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا

(١) قطعة من حديث البراء بن عازب الطويل، أخرجه أبو داود في السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر (٤٧٥٣)، وأحمد (٤/ ٢٨٧)، وهناد في الزهد (٣٣٩)، والطبري في تهذيب الآثار (٧٢١)، وابن منده في الإيمان (١٠٦٤)، قال المنذري في الترغيب: حديث حسن رواه محتج بهم في الصحيح (٤/ ١٩٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٦٧٦).

أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْفَالِغَةِ ﴿[الحاقة: ١٩-٢٤]، جَعَلَنَا اللَّهُ وَوَالِدَيْنَا وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِهَا بِرَحْمَتِهِ وَإِحْسَانِهِ، آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ: وَالْجَنَّةُ دَرَجَاتٌ وَمَنَازِلُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، بِحَسَبِ إِيْمَانِهِمْ وَأَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ: ﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا لَهُ جَهَنَّمُ وَنَسِ الْأَمِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٢، ١٦٣]، وَفِي آيَةٍ أُخْرَى ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ [الأنعام: ١٣٢]، وَفِي آيَةٍ ثَالِثَةٍ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤].

دَرَجَاتٌ وَمَنَازِلُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، يَرَى الْأَدْنَى مِنْهُمْ مَنْزِلَةً الْأَعْلَى فَوْقَهُ -وَمَا فِيهِمْ دَنِيٌّ- كَمَا يَرْفَعُ أَحَدُنَا رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ لِيَرَى قَمَرَهَا وَأَنْجُمَهَا؛ رَوَى الشَّيْحَانِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبُ الدَّرِّيُّ الْغَائِبُ فِي الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ؛ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ. قَالَ: بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ» (٢).

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ الْغُرَفَ فِي الْجَنَّةِ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبُ فِي السَّمَاءِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (٣).

وَدَرَجَاتُهَا لَا يَعْلَمُ عِدَّتَهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْهَا

(٢) أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٣٠٨٣)، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب تراثي أهل الجنة الغرف كما يرى الكوكب في السماء (٢٨٣١).

(٣) أخرجه البخاري في الرقاق، باب صفة الجنة والنار (٦١٨٨)، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب تراثي أهل الجنة الغرف كما يرى الكوكب في السماء (٢٨٣٠).

مِائَةً دَرَجَةٍ يَخْتَصُّونَ بِهَا: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۖ﴾ (٩٥) دَرَجَتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٩٥، ٩٦]، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةً دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ<sup>(٤)</sup>، وَجَاءَ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ: «أَنَّ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ مَسِيرَةُ مِائَةِ عَامٍ»<sup>(٥)</sup>.

وَلَمَّا اسْتَشْهِدَ حَارِثَةُ بْنُ سُرَاقَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي غَزْوَةٍ بَدْرٍ أَنْتَ أُمُّهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةٍ! فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبْرْتُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ، قَالَ: «يَا أُمَّ حَارِثَةٍ؛ إِنَّهَا جَنَّانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكَ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ<sup>(٦)</sup>.

وَالْفِرْدَوْسُ الَّذِي هُوَ أَعْلَى مَنَازِلِ الْجَنَّةِ وَدَرَجَاتِهَا جَاءَ ذِكْرُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ جُمْلَةً مِنْ أَوْصَافِ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَعْقَبَهَا بِقَوْلِهِ ﷺ: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١]، قَالَ قَتَادَةُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «الْفِرْدَوْسُ رُبُوءُ الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُهَا وَأَفْضَلُهَا»<sup>(٧)</sup>.

(٤) أخرجه البخاري في التوحيد، باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧] (٦٩٨٧).

(٥) أخرجه من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أحمد (٣١٦/٥).

(٦) أخرجه البخاري في الجهاد والسير، باب من أتاه سهم غرب فقتله (٢٦٥٤).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٦/١٦).

وجاء مرفوعاً من حديث الحسن عن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند: الطبراني في الكبير (٢١٣/٧) رقم

(٦٨٨٦)، ولا يصح مرفوعاً.



وَأَعْلَى مَنَازِلِ الْفِرْدَوْسِ: مَنْزِلَةُ الْوَسِيلَةِ لَا يَنَالُهَا إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ مِنَ الْبَشَرِ؛ كَمَا رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ؛ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ<sup>(٨)</sup>.

إِنَّ أَعْلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةُ سَيِّدٍ وَلَدِ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَهُوَ أَفْضَلُ الرُّسُلِ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وَفِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا جَاوَزَ مُوسَى قَالَ مُوسَى ﷺ: «رَبِّ لَمْ أَظُنَّ أَنْ تَرْفَعْ عَلَيَّ أَحَدًا»<sup>(٩)</sup>، ثُمَّ عَلَا النَّبِيُّ ﷺ فَوْقَ ذَلِكَ بِمَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ حَتَّى جَاوَزَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى؛ فَكَانَ ﷺ أَحَقَّ الْخَلْقِ بِمَنْزِلَةِ الْوَسِيلَةِ الَّتِي هِيَ أَعْلَى الْمَنَازِلِ فِي الْجَنَّةِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «وُسِّمِيَتْ دَرَجَةُ النَّبِيِّ ﷺ الْوَسِيلَةَ؛ لِأَنَّهَا أَقْرَبُ الدَّرَجَاتِ إِلَى عَرْشِ الرَّحْمَنِ، وَهِيَ أَقْرَبُ الدَّرَجَاتِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَأَصْلُ اسْتِثْقَاكِ لَفْظِ (الْوَسِيلَةِ) مِنَ الْقُرْبِ . . . وَمَعْنَى الْوَسِيلَةِ مِنَ الْوَصْلَةِ؛ وَلِهَذَا كَانَتْ أَفْضَلَ الْجَنَّةِ وَأَشْرَفَهَا وَأَعْظَمَهَا نُورًا . . . قَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: أَتَذَرُونِ لِمَ حُسِّنَتِ الْجَنَّةُ؟ لِأَنَّ عَرْشَ رَبِّ الْعَالَمِينَ

(٨) أخرجه مسلم في الصلاة، باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل له الوسيلة (٣٨٤).

(٩) ذكره ابن القيم في حادي الأرواح (١٠٥)، وذكره ابن حجر بلفظ مقارب له فقال: وفي رواية شريك عن أنس «لم أظن أحدا يرفع علي» فتح الباري (٧/ ٢١١). ولم أقف عليه في شيء من الكتب المسندة.

سَقَفُهَا... (١٠)، وَلَمَّا كَانَ الرَّسُولُ ﷺ أَعْظَمَ الْخَلْقِ عُبودِيَّةً لِرَبِّهِ، وَأَعْلَمَهُمْ بِهِ، وَأَشَدَّهُمْ لَهُ خَشْيَةً، وَأَعْظَمَهُمْ لَهُ مَحَبَّةً؛ كَانَتْ مَنْزِلَتُهُ أَقْرَبَ الْمَنَازِلِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَهِيَ أَعْلَى دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ أَنْ يَسْأَلُوهَا لَهُ؛ لِيَنَالُوا بِهَذَا الدُّعَاءِ زُلْفَى مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَزِيَادَةَ الْإِيمَانِ، وَأَيْضًا فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدَّرَهَا لَهُ بِأَسْبَابٍ مِنْهَا: دُعَاءُ أُمَّتِهِ لَهُ بِهَا بِمَا نَالُوهُ عَلَى يَدِهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْهُدَى صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ» (١١) اهـ.

وَمَنْ أَحَبَّ النَّبِيَّ ﷺ، وَاتَّبَعَ هَدْيَهُ، وَلَزِمَ سُنَّتَهُ، وَأَطَاعَ أَمْرَهُ، وَاجْتَنَبَ نَهْيَهُ؛ حُسِرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَهُ، وَلَا يُحْجَبُ عَنْهُ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَتْ مَنْزِلَةُ النَّبِيِّ ﷺ أَعْلَى مِنْ مَنْزِلَتِهِ؛ كَمَا رَوَى الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ إِنَّكَ لَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، وَإِنَّكَ لَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي وَمَالِي، وَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ وَلَدِي، وَإِنِّي لَأَكُونُ فِي الْبَيْتِ فَأَذْكُرُكَ فَمَا أَضْبِرُ حَتَّى آتِيكَ فَأَنْظُرَ إِلَيْكَ، وَإِذَا ذَكَرْتُ مَوْتِي وَمَوْتَكَ عَرَفْتُ أَنَّكَ إِذَا دَخَلْتَ الْجَنَّةَ رُفِعْتَ مَعَ النَّبِيِّينَ، وَإِنِّي إِذَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ خَشِيتُ أَنْ لَا أَرَكَ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا حَتَّى نَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩] (١٢).

(١٠) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٢٠)، والخطيب في تاريخه (٣١٢/٩).

(١١) حادي الأرواح (٥٧).

(١٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٧٧)، والصغير (٥٢)، وأبو نعيم في الحلية (٢٤٠/٤). قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الصغير والأوسط، ورجاله رجال الصحيح غير عبدالله بن عمران العابدي وهو ثقة (٧/٧) وقال ابن حجر: رجاله موثقون. العجاب في بيان الأسباب (٩١٤/٢)، وقال السيوطي في الدر المنثور: أخرج الطبراني وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية والضياء المقدسي في صفة الجنة وحسنه عن عائشة ... فذكره (٥٨٨/٢).

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ وَجَزِيلِ عَطَائِهِ وَإِحْسَانِهِ أَنْ يُبَلِّغَنَا مَنَازِلَهُمْ،  
وَيَرْفَعَنَا إِلَى دَرَجَاتِهِمْ، وَيَحْشُرَنَا مَعَهُمْ، وَوَالِدَيْنَا وَوَالِدِيهِمْ؛ إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.



### الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ  
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ  
وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنِ اهْتَدَى بِهِدَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.  
أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى وَأَطِيعُوهُ؛ فَإِنَّ ثَوَابَ ذَلِكَ الْجَنَّةِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ  
تَعَالَى لِأَهْلِ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا  
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: أَعْلَى النَّاسِ مَنْزِلَةً فِي الْجَنَّةِ الرُّسُلُ وَالنَّبِيُّونَ، ثُمَّ الصَّادِقُونَ،  
وَمِنَ الصَّادِقِينَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، جَاءَ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:  
﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣].

ثُمَّ بَعْدَ الصَّادِقِينَ الشُّهَدَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ. وَمَنْ رَافَقَهُمْ؛ فَنِعْمَ الرَّفِيقُ فِي  
الْجَنَّةِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مَنْزِلَتُهُ كَمَنَازِلِهِمْ: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ  
اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (٦٦) ذَلِكَ  
الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٩، ٧٠].

وَأَمَّا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فَهَلْ تَرَوْنَ -يَا عِبَادَ اللَّهِ- مَنْ مَلَكَ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا،  
وَحَكَمَ الْأَرْضَ كُلَّهَا؛ فَإِنَّ مُلْكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً أَعْظَمُ مِنْ مُلْكِهِ، وَصَدَقَ

اللَّهُ الْعَظِيمُ الْعَلِيمُ إِذْ يَقُولُ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ نَمَّ رَأَيْتَ نِعَمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠].

رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيَحِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلَأَى، فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ: فَيَأْتِيهَا فَيَحِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلَأَى، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ؛ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهَا أَوْ إِنَّ لَكَ عَشْرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي أَوْ أَتَضْحَكُ بِي وَأَنْتَ الْمَلِكُ. قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، قَالَ: فَكَانَ يُقَالُ: ذَاكَ أَذْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ (١٣).

وَرَوَى الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ: مَا أَذْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخْدَانَهُمْ؟! فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مَلِكٍ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ، غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٌ، قَالَ: وَمُصَدَّقُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﷻ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ

(١٣) أخرجه البخاري في الرقاق، باب صفة الجنة والنار (٦٢٠٢)، ومسلم في الإيمان، باب

مَنْ قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴿١٤﴾ .. الْآيَةَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٤).

وَيَبَيِّنُ أَعْلَى مَنَزَلَةٍ فِي الْجَنَّةِ وَأَذْنَاهَا مَنَازِلُ مُتَفَاوِتَةٌ أَعْظَمُ مِنْ تَفَاوُتِ أَهْلِ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١].

أَلَا فَسَمِّرُوا - عِبَادَ اللَّهِ - عَنْ سَوَاعِدِ الْجِدِّ فِي تَحْصِيلِ أَعْلَى دَرَجَاتِهَا، وَلَا يَغْلِبَنَّكُمْ عَلَيْهَا أَقْوَامٌ هُمْ أَقَلُّ مِنْكُمْ فِي دَرَجَاتِ الدُّنْيَا، بَلِ اغْلِبُوهُمْ عَلَيْهَا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مِنْ صَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَذِكْرِ، وَصَدَقَاتٍ، وَأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٍ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَبِرٍّ لِلْوَالِدَيْنِ، وَصَلَةٍ لِلْأَرْحَامِ، وَنَفْعٍ لِلنَّاسِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، مَعَ اجْتِنَابِ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمُوبِقَاتِ؛ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بَلَغَ الْمَنَازِلَ الْعَالِيَةَ فِي الْجَنَّةِ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَحْمَتِهِ.

وَإِذَا كَانَتْ الدُّنْيَا تُنَالُ بِالْجِدِّ وَالْعَمَلِ، كَمَا تُنَالُ بِالْحَسَبِ وَالنَّسَبِ، وَتُنَاحُ فُرْصُهَا لِبَعْضِ النَّاسِ دُونَ بَعْضٍ، وَهِيَ عَلَى كُلِّ حَالٍ غَيْرُ مَضْمُونَةٍ؛ فَقَدْ يَحُوزُهَا الْمَرْءُ وَلَا يَتِمَّتْ بِهَا لِمَرَضٍ أَوْ عِلَّةٍ، وَهُوَ زَائِلٌ عَنْهَا لَا مَحَالَةَ ... إِذَا كَانَ هَذَا حَالِ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا؛ فَإِنَّ مَنَازِلَ الْجَنَّةِ مُتَاحَةٌ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ، وَهِيَ الدَّارُ الْمَضْمُونَةُ فِي بَقَائِهَا، وَلَذَّةٌ مَنْ بَلَغَهَا بِهَا لَذَّةٌ لَا تَعْدِلُهَا كُلُّ لَذَاتِ الدُّنْيَا، وَلَا يُوصَلُ إِلَيْهَا إِلَّا بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَلَا يَنْفَعُ فِيهَا حَسَبٌ وَلَا نَسَبٌ؛ عَدْلًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بَيْنَ عِبَادِهِ، وَمَا نَفَعَ امْرَأَتِي نُوحَ وَلُوطَ أَنْ زَوَّجَهُمَا نِيبَانَ، وَلَا أَوْصَلَتْ أَبَا طَالِبٍ الْجَنَّةَ عُمُومَتُهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا أَنْجَى ابْنَ نُوحٍ ﷺ أَنْ أَبَاهُ كَانَ نِيبًا.

وَكُلُّ عَامِلٍ يَجِدُ مَا عَمِلَ؛ فَاسْتَوْدِعُوا الْخَيْرَ صَحَائِفَ أَعْمَالِكُمْ تَجِدُوهُ عَدَاً

مُحَضَّرًا: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠].  
وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى نَبِيِّكُمْ.



## ٣٩١- نار الآخرة (١)

### أسمائها وأوصافها

١٤٢٥/٦/٦ هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]،  
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَيُّهَا النَّاسُ: خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى بَنِي آدَمَ لِعِبَادَتِهِ، وَكَلَّفَهُمْ بِحُكْمَتِهِ، وَحَمَلَهُمْ أَمَانَةً عَجَزَ عَنْ حَمْلِهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ ﴿وَأَشْفَقْنَا مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُمْ كَانُوا ظَالِمًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، فَمَنْ أَدَّى هَذِهِ الْأَمَانَةَ الْعَظِيمَةَ كَانَ فِي النَّعِيمِ الْخَالِدِ أَبَدًا، وَمَنْ ضَيَّعَهَا كَانَ لَهُ الْعَذَابُ الْخَالِدُ أَبَدًا.

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْ هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٨، ٣٩]، ﴿فَمَنْ

ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا يَسْمُومُهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿[الأنعام: ٤٨، ٤٩]﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ ﴿٤٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿[الرؤم: ١٤-١٦]﴾.

وَشِدَّةُ الْحَرِّ فِي الدُّنْيَا تُذَكِّرُ الْعَبْدَ بِشِدَّةِ الْحَرِّ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، فَإِنْ أَصَابَتْهُ أَشِعَّةُ الشَّمْسِ فِي يَوْمٍ قَائِظٍ، تَذَكَّرَ أَنَّ هَذِهِ الشَّمْسُ سَتَكُونُ مِنْهُ عَلَى مِقْدَارِ مِيلٍ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ.

وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَشْنَعُ، وَأَكْثَرُ هَوْلًا وَأَفْظَعُ، وَأَشَدُّ خَوْفًا وَأَفْجَعُ: نَارُ جَهَنَّمَ أَعَادَنَا اللَّهُ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْهَا بِعَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ، جَاءَ وَصْفُهَا بِمَا يُخَوِّفُ الْعِبَادَ مِنْهَا، وَيُحَفِّزُهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ؛ اتِّقَاءَ لَهَا، وَبُعْدًا عَنْهَا وَعَمَّا يُقَرِّبُ إِلَيْهَا، ﴿فَأَنْتَقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].

وَالنَّارُ يَعْرِفُهَا كُلُّ إِنْسَانٍ، بَلِ الْأَطْفَالُ الَّذِينَ لَمْ تَكْتَمِلْ عُقُولُهُمْ يَفْزَعُونَ مِنْهَا، وَيَخَافُونَ لَهَا، وَالْمَجَانِينُ الَّذِينَ سَلِبَتْ عُقُولُهُمْ يَحْسُونَهَا، وَيَعْرِفُونَ حَرَارَتَهَا فَلَا يَقْرَبُونَهَا، وَالْحَيَوَانَاتُ الَّتِي لَا عُقُولَ لَهَا تَفِرُّ مِنْهَا عِنْدَ اشْتِعَالِهَا!!

فَإِذَا كَانَ كُلُّ حَيٍّ فِي الدُّنْيَا يَهْرُبُ مِنْ نَارِهَا؛ فَمَا بَالُ أَكْثَرِ بَنِي آدَمَ مِمَّنْ أَعْطَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عُقُولًا يَعْقِلُونَ بِهَا النَّارَ، وَأَبْصَارًا يُشَاهِدُونَ لَهَا وَشِدَّةَ حَرِّهَا؛ يَعْمَلُونَ أَعْمَالًا تُورِدُهُمْ نَارَ الْآخِرَةِ؟! وَمَا نَارُ الدُّنْيَا إِلَّا جُزْءٌ يَسِيرٌ مِنْهَا، حَتَّى اخْتَصَّتْ نَارُ الْآخِرَةِ -أَعَادَنَا اللَّهُ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْهَا- بِأَسْمَاءٍ مَا سُمِّيَتْ بِهَا نَارُ الدُّنْيَا، وَوُصِفَتْ بِأَوْصَافٍ لَمْ تُوصَفْ بِهَا النَّارُ الَّتِي نُشَاهِدُهَا وَنَحْسُهَا.

فَنَارُ الْآخِرَةِ بَعِيدٌ قَعْرُهَا، شَدِيدَةٌ ظِلْمَتُهَا؛ وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ جَهَنَّمَ، مِنَ الْجَهْمَةِ،



وَهِيَ أَوَّلُ مَاخِيرِ اللَّيْلِ؛ لِاشْتِدَادِ ظُلُمَتِهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ <sup>(١)</sup>.  
 ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ [فاطر: ٣٦]، ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّاغِينَ مَنَابًا﴾ [النبا: ٢١، ٢٢]، وقال النبي ﷺ: «إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ؛ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ <sup>(٢)</sup>.

وَشِدَّةُ ظُلُمَتِهَا ثَابِتَةٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَتَرُونَهَا حَمَرَاءَ كَنَارِكُمْ هَذِهِ؟ لَهَايَ أَسْوَدُ مِنَ الْقَارِ» وَالْقَارُ: الزُّفْتُ. رَوَاهُ مَالِكٌ <sup>(٣)</sup>.

وَأَمَّا شِدَّةُ انْحِدَارِهَا، وَبُعْدُ قَعْرِهَا، فَجَاءَ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿فَأَمْتُهُ هَاوِيَةٌ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿٢﴾ نَارُ حَامِيَةٍ﴾ [القارة: ٩-١١]. وَثَبَّتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ رُوحَ الْكَافِرِ إِذَا قُبِضَتْ يَذْهَبُ بِهَا إِلَى أُمِّهِ الْهَآوِيَةِ <sup>(٤)</sup>، أَيِ: مُسْتَقَرِّهِ

(١) قال في اللسان (١١١/١٢) مادة: (جهم): «الْجَهْمَةُ وَالْجُهْمَةُ أَوَّلُ مَاخِيرِ اللَّيْلِ، وَقِيلَ: هِيَ بَقِيَّةُ سَوَادٍ مِنْ آخِرِهِ»، وقال أيضًا (١١٢/١٢) في مادة: (جهنم): «الْجَهَنَّمُ: الْقَعْرُ الْبَعِيدُ، وَبَثْرُ جَهَنَّمَ بَعِيدَةُ الْقَعْرِ، وَبِهِ سَمِيَتْ جَهَنَّمَ لِبَعْدِ قَعْرِهَا ..»، ثم نقل عن الأزهرى قولان لعلماء اللغة في أصلها:

الأول: قول يونس بن حبيب وأكثر النحويين أنها أعجمية لا تُجْرَى لِلتَّعْرِيفِ وَالْعُجْمَةِ.  
 الثاني: قول آخَرِينَ: جَهَنَّمَ عَرَبِيٌّ، سُمِّيَتْ نَارُ الْآخِرَةِ بِهَا؛ لِبُعْدِ قَعْرِهَا، وَإِنَّمَا لَمْ تُجْرَ لِثِقَلِ التَّعْرِيفِ وَثِقَلِ التَّأْنِيثِ اهـ من اللسان.

(٢) أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة، باب الإبراد بالظهر في شدة الحر (٥١٢)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر (٦١٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجاء عن ابن عمر وأبي ذر وأبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ (٩٩٤/٢)، وذكر ابن عبد البر في الاستذكار: «أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ مَوْقُوفٌ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَمَعْنَاهُ مَرْفُوعٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يَدْرِكُ مِثْلَهُ بِالرَّأْيِ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا تَوْقِيفًا» اهـ.

(٤) ثبت ذلك في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، في قصة احتضار المؤمن واحتضار الكافر، وفيه: «فَيَقُولُونَ: دَعُوهُ؛ فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمٍّ فِي الدُّنْيَا، فَإِذَا قَالَ: أَمَا أَنَا كَمْ؟ =

الهاوية، والهاوية كُلُّ مَهْوَاةٍ لَا يُدْرِكُ قَعْرَهَا<sup>(٥)</sup>.

وَرَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ سَمِعَ وَجِبَةً فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرَهَا»<sup>(٦)</sup>.

وَكُونُهَا -أَجَارَنَا اللَّهُ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْهَا- فِي مَهْوَاةٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَزِيدُ مِنْ حَرِّهَا، وَمَعَ شِدَّةِ حَرِّهَا فَهِيَ نَارٌ تُوقَدُ عَلَى نَارٍ؛ لِيَتَضَاعَفَ حَرُّهَا، وَيَزْدَادَ عَذَابُ أَهْلِهَا ﴿نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ﴾ ﴿١﴾ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْنَدَةِ ﴿٢﴾ [الهمزة: ٦، ٧]. وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ بِالْجَحِيمِ؛ لِأَنَّ مَكَانَهَا شَدِيدُ الْحَرَارَةِ؛ وَلِأَنَّهَا نَارٌ تُوقَدُ عَلَى نَارٍ<sup>(٧)</sup> ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ

= قالوا: ذهب به إلى أمه الهاوية...» أخرجه النسائي في الجنائز، باب ما يلقي به المؤمن من الكرامة عند خروج نفسه (٨/٤)، وصححه ابن حبان (٣٠١٤)، والحاكم (٥٠٤/١). وجاء أيضًا عن أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند: ابن المبارك في الزهد (٤٤٣)، والطبراني في الكبير (١٢٩/٤-١٣٠) برقم (٣٨٨٧-٣٨٨٩) وإسناده ضعيف.

(٥) قال الجوهري كما في مختار الصحاح (٢٩٣/١) «هاوية: اسم من أسماء النار وهي معرفة بغير ألف ولام، قال الله تعالى: ﴿فَأَمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ أي: مستقره النار» اهـ. وفي اللسان (٣٧٥/١٥) مادة (هوى): «فأمة هاوية، أي: مَسْكَنُهُ جَهَنَّمَ ومستقره النار، ونقل عن الفراء قول بعضهم: هذا دعاء عليه، كما تقول: هوت أمه، فهي هاوية، أي: تأكله، وقال بعضهم: أمه هاوية: صارت هاوية، مأواه، كما تؤوي المرأة ابنها، فجعلها إذ لا مأوى له غيرها أمًا له، وقيل: المعنى: أم رأسه تهوي في النار ... والهاوية: كل مهواة لا يُدْرِكُ قَعْرَهَا» اهـ.

(٦) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين (٢٨٤٤)، وأحمد (٣٧١/٢)، وأبو يعلى (٦١٧٩)، وابن حبان (٧٤٦٩).

(٧) قال في العين (٨٧/٣): «الجحيم: النار الشديدة التأجج والالتهاب».

وقال في اللسان (٨٤/١٢): «وكل نار عظيمة في مهواة فهي جحيم، من قوله تعالى: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَنَا بُيُوتًا فَالْقَوْهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ [الصفات: ٩٧]، ونقل عن ابن سيده: الجحيم النار =

إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿الدُّخَانُ: ٤٧﴾، وَجَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي شَأْنِ رَمْضَانَ أَنَّهُ تُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ <sup>(٨)</sup>.

وَلِبُعْدِ قَعْرِهَا، وَشِدَّةِ حَرِّهَا؛ فَإِنَّهَا تُؤْذِي أَهْلَهَا إِذَاءً شَدِيدًا، وَيُحْسِنُونَ أَلَمَهَا وَشِدَّتَهَا، قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: سُمِّيَتِ النَّارُ سَقْرًا؛ لِأَنَّهَا تُذِيبُ الْأَجْسَامَ وَالْأَرْوَاحَ، ﴿يَوْمَ يُسْجَنُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ﴾ [القمر: ٤٨] <sup>(٩)</sup>.

وَفِي سُورَةِ أُخْرَى ﴿سَاطِئِهِ سَقَرٌ ۖ وَمَا أَذْرَكَ مَا سَقَرٌ ۖ لَا بُقْيَ وَلَا نَذْرٌ ۖ لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ ۖ عَلَيْنَا سَعَةٌ عَشْرٌ﴾ [المذثر: ٢٦-٣٠].

وَهِيَ كَذَلِكَ شَدِيدَةُ الْاشْتِعَالِ وَالِاتِّقَادِ وَالِارْتِفَاعِ؛ وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ بِالسَّعِيرِ <sup>(١٠)</sup> ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [الفرقان: ١١]، ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ ۖ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥]، ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ﴾ [التكوير: ١٢].

وَمِنْ شِدَّةِ لَهَبِهَا أَنَّهَا تَلْظِي، ﴿فَأَنْذَرْتُكَ نَارًا تَلْظَى ۖ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾

= الشديدة التاجج، كما أجبوا نار إبراهيم النبي على نبينا وعليه الصلاة والسلام، فهي تجحم جحومًا، أي: توقد توقدًا اهـ.

وقال ابن الأثير في النهاية (١/ ٢٤١): «وأصله ما اشتد لهبه من النيران» اهـ.

(٨) كما في حديث أبي هريرة ؓ عند: أحمد (٢/ ٢٣٠)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (١/ ٧٣)، والنسائي في الصيام، باب ذكر الاختلاف على معمر فيه (٤/ ١٢٩)، وعبد بن حميد (١٤٢٩).

(٩) وسقر غير منصرف؛ لأنه معرفة وأعجمي، وقيل: بل هو عربي، من: سقرته الشمس، أي: أذاخته وأصابه منها ساقور، ومن قال: إنه عربي قال: منعه الإجراء؛ لأنه معرفة مؤنث، ودليل ذلك قول الله تعالى: ﴿لَا بُقْيَ وَلَا نَذْرٌ﴾ [المذثر: ٢٨] ينظر: اللسان (٤/ ٣٧٢).

(١٠) السَّعِيرُ هِي: النار، وقيل: لَهَبُهَا، وَالسَّعَارُ وَالشُّعْرُ: حَرُّهَا، وَالْمِسْعَرُ وَالْمِسْعَارُ: مَا سُعِرَتْ بِهِ، وَسَعَرْتُ النَّارَ؛ أَي: هَيَّجْتُهَا وَأَلْهَبْتُهَا، ينظر: اللسان (٤/ ٣٦٥)، ومختار الصحاح (١/ ١٢٦) مادة (سعر).

[الليل: ١٤، ١٥]؛ أي: تَتَوَهَّجُ وَتَتَوَقَّدُ وَتَلْتَهَبُ، ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَطَى ۝﴾ نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى ۝ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ۝ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ۝ [المعارج: ١٥-١٨].  
وَاللَّظَى: اللَّهَبُ الْخَالِصُ، يَنْزِعُ الْأَعْضَاءَ وَجِلْدَةَ الرَّأْسِ مِنْ شِدَّةِ تَلْظِيهِ،  
نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ مِنْهَا<sup>(١١)</sup>.

وَمِنْ أَوْصَافِهَا: أَنَّ بَعْضَهَا يَحْطِمُ بَعْضًا، وَيَأْكُلُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَهِيَ كَذَلِكَ تَحْطِمُ مَنْ كَانَ فِيهَا ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَطْمَةُ ۝ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝﴾ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْعَدَةِ ۝ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ۝ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝ [الهمزة: ٥-٩]، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ<sup>(١٢)</sup>.

وَمِنْ شِدَّةِ حَرِّهَا وَلَهَبِهَا، وَعَظِيمِ مَا فِيهَا؛ اشْتَكَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: «رَبِّ أَكَلْ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ: نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ، وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ، فَهُوَ أَشَدُّ مَا تَحْدُونُ مِنَ الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَحْدُونُ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ<sup>(١٣)</sup>.

وَنَارُ الْآخِرَةِ -أَعَادَنَا اللَّهُ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْهَا- تُسَعَّرُ فِي كُلِّ يَوْمٍ؛ كَمَا دَلَّ عَلَى

(١١) فِي اللِّسَانِ: (٢٤٨/١٥): «أَنَّ اللَّظَى: النَّارُ، وَقِيلَ: اللَّهَبُ الْخَالِصُ، وَهُوَ غَيْرُ مَصْرُوفٍ لِلْعَلَمِيَّةِ وَالتَّانِيثِ، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا أَشَدُّ النَّارِ، وَالتَّيْظَاءُ النَّارُ: التَّيْهَابُهَا، وَتَلْظِيهَا: تَلْهَبُهَا» اهـ.

وَالشَّوَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى﴾ [المعارج: ١٦] هِيَ: الْبِدَانُ وَالرَّجْلَانِ، وَقِيلَ: الْبِدَانُ وَالرَّجْلَانِ وَالرَّأْسُ مِنَ الْآدَمِيِّينَ وَكُلِّ مَا لَيْسَ مُقْتَلًا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الشَّوَى: جَمَاعَةُ الْأَطْرَافِ، يَنْظُرُ: اللِّسَانُ (٤٤٨/١٤) مَادَّةُ (شوا).

(١٢) أَخْرَجَهُ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي قِصَّةِ صَلَاتِهِ ﷺ يَوْمَ خَسَفَتِ الشَّمْسُ: الْبُخَارِيُّ فِي أَبْوَابِ الْعَمَلِ فِي الصَّلَاةِ، بَابُ إِذَا انْفَلَتَ الدَّابَّةُ فِي الصَّلَاةِ (١١٥٤)، وَمُسْلِمٌ فِي الْكُسُوفِ، بَابُ صَلَاةِ الْكُسُوفِ (٩٠١).

(١٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ، بَابُ الْإِبْرَادِ بِالظَّهْرِ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ (٥١٢)، وَمُسْلِمٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ الْإِبْرَادِ بِالظَّهْرِ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ (٦١٧).

ذَلِكَ حَدِيثُ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَتَّى تَرْتَفِعَ؛ فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ؛ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مُحْضُورَةٌ حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرُّمَحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ؛ فَإِنَّ حِينَئِذٍ تُسَجَّرُ جَهَنَّمُ...» رَوَاهُ مُسْلِمٌ<sup>(١٤)</sup>، وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ فَأَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَمِيلَ الشَّمْسُ، فَإِنَّهَا حِينَئِذٍ تُسَعَّرُ جَهَنَّمُ، وَشِدَّةُ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ»<sup>(١٥)</sup>.

وَأَعْمَالُ بَنِي آدَمَ السَّيِّئَةُ مِنَ الشُّرْكِ وَالْكُفْرِ، وَإِثْيَانِ الْكَبَائِرِ، وَمُقَارَفَةِ الْمَعَاصِي؛ سَبَبٌ لِتَسْعِيرِهَا؛ كَمَا نُقِلَ عَنْ قَتَادَةَ قَوْلُهُ: «يُسَعَّرُهَا غَضَبُ اللَّهِ وَخَطَايَا بَنِي آدَمَ»<sup>(١٦)</sup>.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «وَهَذَا يَقْتَضِي أَنْ تَسْعِيرَ جَهَنَّمَ حَيْثُ سُعِّرَتْ إِنَّمَا سُعِّرَتْ بِخَطَايَا بَنِي آدَمَ الَّتِي تَقْتَضِي غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، فَتَزْدَادُ جَهَنَّمُ حِينَئِذٍ تَلْهَبًا وَتَسْعَرًا، وَهَذَا كَمَا أَنَّ بِنَاءَ دُورِ الْجَنَّةِ وَعَرْسَ الْأَشْجَارِ يَحْصُلُ بِأَعْمَالِ بَنِي آدَمَ الصَّالِحَةِ مِنَ الذِّكْرِ وَغَيْرِهِ... فَكَذَلِكَ جَهَنَّمُ تُسَعَّرُ وَتَزْدَادُ آلَاتُ الْعَذَابِ فِيهَا بِكَثْرَةِ ذُنُوبِ بَنِي آدَمَ وَخَطَايَاهُمْ، وَغَضَبِ الرَّبِّ تَعَالَى عَلَيْهِمْ»<sup>(١٧)</sup>.  
نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، وَمِنْ أَهْلِهَا، وَمِنْ أَيْ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَيْهَا، وَنَسْأَلُ اللَّهَ

(١٤) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين، باب إسلام عمرو بن عبسة (٨٣٢)، وأحمد (٤/١١١)، والبيهقي (٢/٤٥٤)، والطبراني في الأحاديث الطوال (١١).

(١٥) أخرجه أبو يعلى (٦٥٨١)، والبيهقي (٣/٣٠٢)، وصححه ابن خزيمة (١٢٧٥)، وابن حبان (١٥٥٠).

(١٦) تفسير ابن كثير (٤/٤٧٩)، والتخويف من النار لابن رجب (٧٦)، وعزاه لابن أبي حاتم.  
(١٧) التخويف من النار (٧٦).

تَعَالَى أَنْ يُجِيرَنَا وَوَالِدَيْنَا وَالْمُسْلِمِينَ مِنْهَا، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ ذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمُوعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٦٦﴾ وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٦٧﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٦٨﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٦٩﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٧٠﴾ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُوزٍ﴾ [هود: ١٠٣-١٠٨].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ...



## الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَلَا عُذْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ،  
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلِيُّ الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا  
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ النَّبِيُّ الْأَمِينُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ  
والتَّابِعِينَ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ، وَاسْتَنَّا بِسُنَّتِهِمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ -عِبَادَ اللَّهِ- ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ  
نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

أَيُّهَا النَّاسُ: لَوْ جُمِعَتْ نَارُ الدُّنْيَا كُلُّهَا، وَكُلُّ مَا يُمْكِنُ أَنْ يُوقِدَهَا، وَوُضِعَ  
فِيهَا؛ لَمَا كَانَتْ إِلَّا جُزْءًا يَسِيرًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ -أَعَاذَنَا اللَّهُ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْهَا-  
يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ  
اللَّهِ، إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً، قَالَ: «فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهُنَّ مِثْلُ

حَرَّهَا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَفِي لَفْظٍ آخَرَ لِغَيْرِ الشَّيْخَيْنِ: «نَارُكُمْ هَذِهِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَضُرِبَتْ بِالْبَحْرِ مَرَّتَيْنِ، وَلَوْ لَا ذَلِكَ مَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهَا مَنَفْعَةً لِأَحَدٍ»<sup>(١٨)</sup>. قَالَ شُرَاحُ الْحَدِيثِ: «لَوْ جُمِعَ كُلُّ مَا فِي الْوُجُودِ مِنَ النَّارِ الَّتِي يُوقَدُهَا بَنُو آدَمَ لَكَانَتْ جُزْءًا مِنْ أَجْزَاءِ جَهَنَّمَ الْمَذْكُورَةِ، وَبَيَّانُهُ: أَنَّهُ لَوْ جُمِعَ حَطْبُ الدُّنْيَا فَأُوقِدَ كُلُّهُ حَتَّى صَارَ نَارًا، لَكَانَ الْجُزْءُ الْوَاحِدُ مِنْ أَجْزَاءِ نَارِ جَهَنَّمَ الَّذِي هُوَ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا أَشَدَّ مِنْ حَرِّ الدُّنْيَا، كَمَا بَيَّنَّهُ آخِرُ الْحَدِيثِ»<sup>(١٩)</sup>.

وَهَذَا الْوَصْفُ لَهَا وَلِحَرِّهَا وَعَذَابِهَا يَسْتَوْجِبُ خَوْفَ الْعِبَادِ مِنْهَا، وَالْعَمَلِ الدَّوُوبَ لِتَوْقِيفِهَا، وَمُجَانَبَةَ كُلِّ طَرِيقٍ يُوَصِّلُ إِلَيْهَا.

وَقَدْ رَأَى النَّبِيُّ ﷺ النَّارَ يَوْمَ كَسَفَتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ: «فَلَمْ أَرْ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْطَعَ مِنْهَا» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ<sup>(٢٠)</sup>، وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى بِهِمْ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ قَالَ: «... وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُمْ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»، قَالُوا: وَمَا رَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ»<sup>(٢١)</sup>.

(١٨) أَخْرَجَهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْبُخَارِيُّ فِي بَدْءِ الْخَلْقِ، بَابُ صِفَةِ النَّارِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ (٣٠٩٢)، وَمُسْلِمٌ فِي الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، بَابُ شِدَّةِ حَرِّ نَارِ جَهَنَّمَ وَبَعْدَ قَعْرِهَا وَمَا تَأْخُذُ مِنَ الْمَعَذِبِينَ (٢٨٤٣)، وَاللَّفْظُ الْآخَرُ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢/٢٤٤)، وَابِيهَقِي فِي الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ (٥٠٠)، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَانَ (٧٤٦٣).

(١٩) الْمَفْهُومُ لَمَّا أَشْكَلَ مِنْ تَلْخِصِ كِتَابِ مُسْلِمَ (٧/١٨٧).

(٢٠) أَخْرَجَهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الْبُخَارِيُّ فِي الْكُسُوفِ، بَابُ صَلَاةِ الْكُسُوفِ جَمَاعَةً (١٠٠٤)، وَمَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ (١/١٨٦).

(٢١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣/١٠٢-١٥٤)، وَمُسْلِمٌ فِي الصَّلَاةِ، فِي بَابِ تَحْرِيمِ سَبْقِ الْإِمَامِ بِرُكُوعٍ أَوْ سُجُودٍ وَنَحْوِهِمَا (٤٢٦)، وَالنَّسَائِيُّ فِي السُّهُوِّ، بَابُ النَّهْيِ عَنْ مِبَادَرَةِ الْإِمَامِ بِالْإِنْصِرَافِ مِنَ الصَّلَاةِ (٣/٨٣).

إِنَّ الْحَرَّ الَّذِي يَجِدُّهُ النَّاسُ فِي شِدَّةِ الصَّيْفِ، مَعَ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ وَسَائِلِ  
الْإِسْتِظْلَالِ وَالتَّبْرِيدِ، وَمَا يَجِدُونَهُ فِي الشِّتَاءِ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ، مَعَ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ  
وَسَائِلِ التَّدْفِيقَةِ؛ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مُذَكِّرًا لِلْمُؤْمِنِ بِحَرِّ النَّارِ وَزَمَهْرِيرِهَا؛ فَيَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ  
تَعَالَى مِنْهَا؛ وَيَسْأَلُهُ الْوِقَايَةَ مِنْ عَذَابِهَا، فِتْلِكَ هِيَ صِفَةُ أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿الَّذِينَ  
يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيمَا وُقِعُوا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَبَتَّكَرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا  
خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ  
وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿[آل عمران: ١٩١، ١٩٢].

وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ: «لَا يَلْجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، حَتَّى يَعُودَ  
الْلَبَنُ فِي الضَّرْعِ» رَوَاهُ النَّسَائِيُّ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ (٢٢).

وَالْبُكَاءُ خَوْفًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ هُوَ الْبُكَاءُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ بُكَاءٌ مِنْ  
خَشْيَةِ عِقَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسَخَطِهِ، وَالنَّارُ هِيَ عَذَابُ اللَّهِ، يُعَذَّبُ بِهَا مَنْ شَاءَ مِنْ  
عِبَادِهِ (٢٣).

أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ، وَخُذُوا بِأَسْبَابِ النِّجَاةِ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، ﴿وَتَكَرَّزُوا  
فِيهِ خَيْرَ الزَّادِ الْفَقْوَى وَاتَّقُونِ يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧].  
وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى نَبِيِّكُمْ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ رَبُّكُمْ ..

(٢٢) أخرجه من حديث أبي هريرة ؓ: الترمذي في فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل  
الغبار في سبيل الله، وقال: حسن صحيح (١٦٣٣)، والنسائي في الجهاد، باب فضل من  
عمل في سبيل الله على قدمه (١٢/٦)، وأحمد (٥٠٥/٢)، والطيالسي (٢٤٤٣)،  
وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (٢٨٨/٤).

(٢٣) التخويف من النار، لابن رجب (٤١).



## ٣٩٢- نار الآخرة (٢) أبوابها ودركاتها وخرزنتها

٨/٢/١٤٢٦هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ؛ خَلَقَ الْخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ، وَكَلَّفَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ بِحِكْمَتِهِ، أَحْمَدُهُ  
وَأَشْكُرُهُ، وَأَسْتَعِينُ بِهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛  
جَعَلَ الدُّنْيَا دَارَ عَمَلٍ وَابْتِلَاءٍ، وَجَعَلَ الْآخِرَةَ دَارَ جَزَاءٍ وَقَرَارٍ ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ  
الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾  
[الْعَنْكَبُوتُ: ٦٤]. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ أَرْسَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى حِينِ  
فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، فَفَتَحَ بِهِ أَعْيُنًا عُمَيَّا، وَأَذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم  
وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، أَذْرَكُوا ضَعَةَ الدُّنْيَا فَمَا شُغِلُوا بِهَا، وَعَرَفُوا  
مِقْدَارَ الْآخِرَةِ فَفَرَّغُوا نَفُوسَهُمْ لَهَا، وَمَعَ شِدَّةِ إِيْمَانِهِمْ وَكَثْرَةِ عَمَلِهِمْ، خَافُوا  
عَذَابَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَمْ يَأْمَنُوا مَكْرَهُ.

فَهَذَا عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه يَقْرَأُ سُورَةَ الطُّورِ إِلَى أَنْ بَلَغَ قَوْلَهُ: ﴿إِنَّ عَذَابَ  
رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ [الطُّور: ٧]، فَبَكَى وَاشْتَدَّ بُكَاءُهُ حَتَّى مَرَضَ وَعَادُوهُ<sup>(١)</sup>، وَكَانَ فِي

(١) قال الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا أبي حدثنا موسى بن داود عن صالح المري عن  
جعفر بن زيد العبدي قال: خرج عمر يعس المدينة ذات ليلة، فمر بدار رجل من المسلمين  
فوافقه قائماً يصلي، فوقف يستمع قراءته فقرأ (والطور)، حتى بلغ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾  
﴿مَا لَكُمْ مِنْ دَافِعٍ﴾ قال: قسم ورب الكعبة حق فنزل عن حمارة، واستند إلى حائط فمكث  
ملياً، ثم رجع إلى منزله فمكث شهراً يعود الناس لا يدرون ما مرضه رضي الله عنه. تفسير ابن كثير  
(٢٤١/٤).

وَجْهَهُ ﷺ خَطَّانِ أَسْوَدَانِ مِنَ الْبُكَاءِ<sup>(٢)</sup>.

وَهَذَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ﷺ كَانَ إِذَا وَقَفَ عَلَى الْقَبْرِ يَبْكِي حَتَّى تُبَلَّ لِحْيَتُهُ، وَقَالَ: لَوْ أَنَّنِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ لَا أَذْري إِلَى أَيَّتَهُمَا يُؤْمَرُ بِي، لَا خِشْتُ أَنْ أَكُونَ رَمَادًا قَبْلَ أَنْ أَعْلَمَ إِلَى أَيَّتَهُمَا أَصِيرُ<sup>(٣)</sup>. وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - فَإِنَّهُ لَا نَجَاةَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ﷻ إِلَّا بِتَقْوَاهُ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠ - ١٣٢].

أَيُّهَا النَّاسُ: الْحَدِيثُ عَنِ النَّارِ وَأَوْصَافِهَا، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ لِمَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ حَدِيثٌ يُفْزِعُ الْقُلُوبَ الْحَيَّةَ، وَيُحَرِّكُ النُّفُوسَ الْمُؤْمِنَةَ، وَيُحَفِّزُ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَاجْتِنَابِ السَّيِّئَاتِ؛ انْقَاءً لَهَا وَلِمَا يُقَرَّبُ مِنْهَا.

وَكُلُّ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَهُوَ يَعْجِي مَا يَقْرَأُ لَا بُدَّ أَنْ يَضْطَرِبَ قَلْبُهُ، وَيَخَافَ عِنْدَ ذِكْرِ النَّارِ وَمَا جَاءَ فِيهَا مِنْ أَوْصَافٍ وَأَهْوَالٍ، وَالْحَدِيثُ عَنْهَا لَا تَكْفِي فِيهِ السَّاعَةُ وَالسَّاعَتَانِ، وَلَا تَفِيهِ حَقُّهُ الْمَوْعِظَةُ وَالْمَوْعِظَتَانِ، كَيْفَ وَهُوَ حَدِيثٌ عَنْ دَارٍ

(٢) أخرجه عن عبد الله بن عيسى: أحمد في فضائل الصحابة (٣١٨)، والفاكهي في أخبار مكة (١٥٨٥)، وابن أبي عاصم في الزهد (١٢١)، وأبو نعيم في الحلية (٥١/١).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في المتمين (٧٢)، وابن أبي عاصم في الزهد (١٢٩)، وأبو نعيم في الحلية (٦٠/١).

وجاء أيضًا عن ابن مسعود ﷺ مثله عند ابن أبي شيبة (١٠٥/٧)، والطبراني في الكبير (١٠٢/٩) رقم (٨٥٣٥)، وأبو نعيم في الحلية (١٣٣/١).

وعن مطرف بن عبد الله - رحمه الله تعالى - عند: ابن أبي الدنيا في المتمين (١٤٠)، وابن أبي عاصم في الزهد (٢٤١).

أَعَدَّهَا اللَّهُ تَعَالَى لِلْأَشْقِيَاءِ مِنْ خَلْقِهِ، أَعْدَاءِ كُتُبِهِ وَرُسُلِهِ؟! وَحَسْبُنَا طَرَفٌ مِنْهُ يُوقِظُ الْقُلُوبَ النَّائِمَةَ، وَيُنَبِّهُ النُّفُوسَ الْغَافِلَةَ، وَهُوَ تَذَكُّرٌ لِمَنْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، فَلَنْ يَتَّعِظَ وَلَوْ عُرِضَتْ لَهُ أَحْوَالُ الْمُعَذِّبِينَ أَمَامَ نَاطِرِيهِ!! نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ حَالِهِ وَمَالِهِ. مَثَلُهُ فِي ذَلِكَ فِرْعَوْنُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو جَهْلٍ حِينَ سَمِعَ أَنَّ عَدَدَ خَزَنَةِ جَهَنَّمَ تِسْعَةَ عَشَرَ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [الْمُدَّثِّر: ٣٠] قَالَ لِقُرَيْشٍ: ثَكَلْتُكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ! أَسْمَعُ ابْنَ أَبِي كَبْشَةَ يُخْبِرُ أَنَّ خَزَنَةَ جَهَنَّمَ تِسْعَةَ عَشَرَ وَأَنْتُمْ الدُّهُمُ -أَي: الشُّجْعَانُ- أَفَيَعْبِزُ كُلُّ عَشْرَةٍ مِنْكُمْ أَنْ يَبْطِشُوا بِوَاحِدٍ مِنْ خَزَنَةِ جَهَنَّمَ؟ قَالَ أَبُو الْأَشَدِّ أَسِيدُ بَنِي كَلْدَةَ الْجُمَحِيِّ: أَنَا أَكْفَيْكُمْ مِنْهُمْ سَبْعَةَ عَشَرَ؛ عَشْرَةً عَلَى ظَهْرِي، وَسَبْعَةً عَلَى بَطْنِي، فَافْكُونِي أَنْتُمْ اثْنَيْنِ (٤).

وَرَوِي أَنَّهُ قَالَ: أَنَا أَمْشِي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ فَأَذْفَعُ عَشْرَةً بِمَنْكِبِي الْأَيْمَنِ، وَتِسْعَةً بِمَنْكِبِي الْأَيْسَرِ فِي النَّارِ، وَنَمْضِي فَنَدْخُلُ الْجَنَّةَ (٥). فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَحْبَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَتَهُ﴾ [الْمُدَّثِّر: ٣١] لَا رِجَالًا أَدَمِيينَ؛ فَمَنْ ذَا يَغْلِبُ الْمَلَائِكَةَ ﴿وَمَا جَعَلْنَا عَدَتَهُمْ﴾ [الْمُدَّثِّر: ٣١] أَيْ: قَلَّتَهُمْ ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الْمُدَّثِّر: ٣١] أَيْ: ضَلَالَةً لَهُمْ حَتَّى قَالُوا مَا قَالُوا ﴿لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [الْمُدَّثِّر: ٣١]؛ لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ أَنَّهُمْ تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿وَزَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [الْمُدَّثِّر: ٣١] يَعْنِي: مَنْ آمَنَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَزِدُّادُونَ تَصَدِيقًا بِمُحَمَّدٍ ﷺ

(٤) أخرجه عن ابن عباس رضى الله عنهما: الطبري في تفسيره (١٥٩/٢٩)، وعزاه الثعلبي (٧٤/١٠)، والبغوي (٤١٧/٤) لقتادة والضحاك. وذكر السيوطي في الدر المنثور آثارًا عدة بنحوه (٣٣٣/٨).

(٥) تفسير البغوي (٤١٧/٤) ونحوه في بحر العلوم (٤٩٤/٣)، وزاد المسير (٤٠٨/٨).

إِذَا وَجَدُوا مَا قَالَهُ مُوَافِقًا لِمَا فِي كُتُبِهِمْ<sup>(٦)</sup>.

وَالْفِتْنَةُ إِنَّمَا كَانَتْ بِذِكْرِ عَدَدِ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ اغْتَرَّ الْكُفَّارُ بِقِلَّتِهِمْ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ يُمَكِّنُهُمْ مُدَافَعَتُهُمْ وَمُمَانَعَتُهُمْ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَا يُمَكِّنُ الْبَشَرَ كُلَّهُمْ مُقَاوَمَتُهُ<sup>(٧)</sup>.

وَلَمَّا قَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَمَّا لِمُحَمَّدٍ أَعْوَانٌ إِلَّا تِسْعَةُ عَشَرَ؟ كَانَ الْجَوَابُ عَلَيْهِ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]<sup>(٨)</sup>، وَهُوَ جَوَابٌ لِكُلِّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ، وَسَاخِرٍ عَنِيدٍ، وَمَا أَكْثَرَهُمْ فِي الْعُصُورِ الْمُتَأَخِّرَةِ!

وَحَزَنَةُ جَهَنَّمَ هُمُ الرِّبَانِيَّةُ الَّذِينَ تَحَدَّى جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهِمْ أَبَا جَهْلٍ حِينَ فَآخَرَ بِكَثْرَةِ أَعْوَانِهِ وَقَوَّتِهِمْ؛ وَذَلِكَ عِنْدَمَا مَرَّ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَ: أَلَمْ أَنْنَهَكَ عَنْ أَنْ تُصَلِّيَ يَا مُحَمَّدٌ؟! لَقَدْ عَلِمْتُ مَا بِهَا أَحَدٌ أَكْثَرَ نَادِيًا مِنِّي، فَاَنْتَهَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ ⑦ سَدَعُ الرِّبَانِيَّةِ ﴿[لعلق: ١٧ - ١٨]، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «وَاللَّهِ لَوْ دَعَا نَادِيَهُ لَأَخَذَتْهُ زَبَانِيَّةُ الْعَذَابِ» رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ<sup>(٩)</sup>.

(٦) تفسير البغوي (٤/٤١٧).

(٧) التخويف من النار لابن رجب (١٦٠).

(٨) تفسير البغوي (٤/٤١٧).

(٩) أخرجه أحمد (١/٢٥٦)، وابن أبي شيبة (٧/٣٣١)، والترمذي في التفسير، باب ومن سورة ﴿أَفَرَأَى بِآسِرِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ وقال: حديث حسن غريب صحيح (٣٣٤٩)، والنسائي في الكبرى (١١٦٨٤)، والطبراني في الكبير (١١/٣٤٢) رقم (١١٩٥٠) والأوسط (٨٣٩٨)، والطبري في تفسيره (٣٠/٢٥٦)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (٢/٥٣٠).

وجاء من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحوه عند: مسلم في صفة القيامة والجنة والنار باب قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَ طَافٍ﴾ ① أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْتَى ② (٢٧٩٧)، وأحمد (٢/٣٧٠)، وأبو يعلى

وَالزَّبَانِيَةُ هُمُ الْمَلَائِكَةُ الْغَلَاطُ الشَّدَادُ؛ سُمُّوا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ يَدْفَعُونَ أَهْلَ النَّارِ إِلَيْهَا بِشِدَّةٍ، قَالَ قَتَادَةُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «هُمُ الشَّرْطُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ»<sup>(١٠)</sup>، وَالْعَرَبُ تُطْلَقُ هَذَا الْإِسْمَ عَلَى مَنْ اشْتَدَّ بَطْشُهُ، وَهُمْ يَبْطِشُونَ بِأَهْلِ النَّارِ أَشَدَّ الْبَطْشِ.

وَقَدْ جَاءَ وَصْفُ شِدَّتِهِمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةُ غَلَاطٍ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التَّحْرِيم: ٦].

وَمَالِكٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ كَبِيرُهُمْ، وَهُوَ خَازِنُ النَّارِ، وَقَدْ رَأَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي رُؤْيَاهُ الْمَشْهُورَةِ مِنْ حَدِيثِ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَفِيهِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَإِذَا رَجُلٌ قَرِيبٌ مِنَ الشَّجَرَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ نَارٌ يُوقِدُهَا ... فَلَمَّا سَأَلَ عَنْهُ جَبْرِيلُ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ قَالَ: وَالَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكُ خَازِنُ النَّارِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ<sup>(١١)</sup>.

وَجَاءَ فِي بَعْضِ رَوَايَاتِ حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِهِ، فَلَمْ يَرَهُ يَضْحَكُ، فَسَأَلَ جَبْرِيلَ: «مَا لِي لَمْ آتِ عَلَى أَهْلِ سَمَاءٍ إِلَّا رَحَبُوا بِي وَضَحِكُوا إِلَيَّ، غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ وَرَحَّبَ بِي وَلَمْ يَضْحَكْ إِلَيَّ؟ قَالَ: ذَاكَ

= والزبانية: الذين يزينون الناس؛ أي: يدفعونهم ... وسمى بذلك بعض الملائكة؛ لدفعهم أهل النار إليها، .... ثم نقل عن الفراء قوله: وهم يعملون بالأيدي والأرجل فهم أقوى، وعن الزجاج: الزبانية الغلاط الشداد، واحدهم زبئية، وهم هؤلاء الملائكة الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةُ غَلَاطٍ شِدَادٌ﴾، ثم نقل عن الأخفش قوله: قال بعضهم: واحد زبانية: زباني، وقال بعضهم: زابن، وقال بعضهم: زبئية .. ثم قال: والعرب لا تكاد تعرف هذا وتجعله من الجمع الذي لا واحد له مثل: أبابيل. اهـ من اللسان (١٩٤/١٣) مادة (زين).

(١٠) ينظر: تحفة الأحوذى (١٩٦/٩).

(١١) أخرجه البخاري في الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين (١٣٢٠)، والنسائي في الكبرى (٧٦٥٨)، وابن أبي شيبة (١٧٧/٦)، وأحمد (٨/٥)، وابن حبان (٦٥٥).

مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ لَمْ يَضَحْكْ مُنْذُ خُلِقَ، وَلَوْ ضَحِكَ لِأَحَدٍ لَضَحِكَ إِلَيْكَ» (١٢).

وَمَعَ تَغْذِيهِمْ أَجْسَادَ أَهْلِ النَّارِ فَإِنَّهُمْ يُنْزِلُونَ بِهِمْ أَلْوَانًا مِنَ الْعَذَابِ الْمَعْنَوِيِّ،  
فَيَقْرَعُونَهُمْ وَيُؤْيِخُونَهُمْ وَيَذْكُرُونَهُمْ سُخْرِيَتَهُمْ بِالَّذِينَ وَأَهْلِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، يَفْعَلُونَ  
ذَلِكَ بِهِمْ حِينَمَا يَسُوقُونَهُمْ إِلَى النَّارِ (١٣): ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا  
حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ  
آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ  
﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئْتَسَ مَوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٧١، ٧٢].

وَيَفْعَلُونَهُ بِهِمْ حِينَ يُلْقَوْنَهُمْ فِي النَّارِ وَهُمْ يَكُونُ وَيَضْطَرُّحُونَ: ﴿كَلَّمَ أَلْفِي فِيهَا  
فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ  
إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾  
فَاعْرِفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِّقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [المُلك: ٨-١١].

وَيَفْعَلُونَهُ بِهِمْ حِينَمَا يَطْلُبُونَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الشَّفَاعَةَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَنْ  
يُخَفَّفَ عَنْهُمْ الْعَذَابَ وَلَوْ يَوْمًا وَاحِدًا: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا  
رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَأْتِكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ  
قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاتُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: ٤٩، ٥٠].

وَيُخْصَوْنَ مَالِكًا ﷺ بِالنِّدَاءِ يَطْلُبُونَ شَفَاعَتَهُ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ؛ لِيُمِيتَهُمْ وَيُرِيحَهُمْ  
مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ وَالشَّقَاءِ وَالنَّكَالِ؛ إِنَّهُمْ يَطْلُبُونَ الْمَوْتَ وَلَا يَجِدُونَهُ:

(١٢) أخرجه من حديث أنس بن مالك ﷺ: ابن أبي حاتم فيما ذكره ابن كثير في تفسيره

(٣/٧-٨)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور للنسائي وابن مردويه (٥/١٨٥-١٨٨)،

وعزاه الحافظ في الفتح لابن أبي حاتم وابن عائد (٧/٢١٧).

(١٣) ينظر: اليوم الآخرة في القرآن العظيم والسنة المطهرة، للشيخ عبد المحسن بن زين  
المطيري (٤٣٥-٤٣٦).

﴿وَنَادُوا بِمَلِكٍ لِّيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ﴾ [الرؤف: ٧٧] يَا لِحَسْرَتِهِمْ  
وَبُؤْسِهِمْ حِينَ يُخْبِرُهُمْ أَنَّهُمْ مَا كَانُوا فِي النَّارِ أَبَدًا!!  
وَلَمْ يُجِبْهُمْ مَالِكٌ فَوَزَّ سُؤَالَهُمْ شَفَاعَتُهُ؛ بَلْ مَكَثَ أَلْفَ سَنَةٍ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: ﴿إِنَّكُمْ  
مَكِيدُونَ﴾ قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه (١٤).

نَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ مِنَ النَّارِ وَمِنْ أَهْلِهَا، وَنَسْأَلُهُ تَعَالَى أَنْ يُجَنِّبَنَا عَمَلَ أَهْلِهَا،  
وَأَنْ يَسْتَعْمِلَنَا فِي طَاعَتِهِ ﴿رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا﴾ (١٥)  
إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفُرْقَان: ٦٥، ٦٦].

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿وَمَا آذَرَكَ مَا سَقَرُ﴾ (١٦) لَا بُقَى وَلَا نَذْرُ ﴿لَوَاحَةٌ  
لِّلْبَشَرِ﴾ (١٧) عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشَرَ ﴿٢٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً  
لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَفِيقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيَّانَا وَلَا يَرْثَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ  
وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ  
وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾ [المُذْتَر: ٢٧-٣١].  
بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ.



## الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا يَلِيقُ بِجَلَالِ رَبَّنَا وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ؛ أَحْمَدُهُ حَمْدًا كَثِيرًا،

(١٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/٦٤٥)، وابن أبي حاتم (١٠/٣٢٨٦)، وينظر: تفسير  
ابن كثير (٤/١٣٦).

وقال الأعمش -رحمه الله تعالى-: «نبئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك إياهم ألف  
عام» أخرجه الترمذي في صفة جهنم، باب ما جاء في صفة طعام أهل النار (٢٥٨٦).

وَأَشْكُرُهُ شُكْرًا مَزِيدًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوهُ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَفُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التَّحْرِيم: ٦].

أَيُّهَا النَّاسُ: لِلنَّارِ أَبْوَابٌ جَاءَ ذِكْرُهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَلَنْ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [النَّجْم: ٤٣، ٤٤]، فَكُلُّ مُعَذَّبٍ مِنْهُمْ يَنَالُ مَا يَسْتَحِقُّ مِنَ الْعَذَابِ.

إِذَا سِيقُوا إِلَيْهَا وَقُذِّفُوا فِيهَا غُلِّقَتْ أَبْوَابُهَا عَلَيْهِمْ، فَيَزِدُّادُ عَذَابُهُمْ عَذَابًا، وَلَا يَرْجُونَ نَجَاةً وَلَا خَلَاصًا ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ﴾ [البَلَد: ١٩، ٢٠]. ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ ﴿وَمَا أَدرَكَكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾ ﴿نَارُ اللَّهِ الْمَوْفُودَةُ﴾ ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْآفَاقَةِ﴾ ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾ ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ [الْهُمَزَة: ٤-٩].

يُحِيطُ بِأَهْلِهَا بِنَاءٌ عَظِيمٌ لَا يَسْتَطِيعُ أَهْلُهَا تَجَاوُزَهُ أَوْ تَخْطِيَهُ ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الْكَهْف: ٢٩] (١٥).

(١٥) قال الشنقيطي - رحمه الله تعالى -: «... السرادق واحد السرادقات التي تمتد فوق صحن الدار، وكل بيت من كرسف فهو سرادق، والكرسف القطن ... ثم قال: ويطلق أيضًا في اللغة على الحجرة التي حول الفسطاط. وأما المراد بالسرادق في الآية الكريمة ففيه للعلماء أقوال مرجعها إلى شيء واحد، وهو إحداق النار بهم من كل جانب ... إلى أن قال: فمعنى الآية الكريمة أن النار محيطة بهم من كل جانب ..» اهـ. من أضواء البيان (٣/ ٢٦٨-٢٦٩).



تَكُونُ دَرَكَاتُهُمْ فِيهَا بِحَسَبِ كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ فِي الدُّنْيَا؛ فَالْمُنَافِقُونَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي الْمَرْجُلُ، مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدَّ مِنْهُ عَذَابًا، وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ<sup>(١٦)</sup>.

وَبَيْنَ هَذَيْنِ الدَّرَكَيْنِ دَرَكَاتٌ وَمَنَازِلٌ مُتَفَاوِتَةٌ لِأَهْلِهَا نَسَأَلُ اللَّهَ النَّجَاةَ مِنْهَا، يَكُونُ عَذَابُ بَعْضِهِمْ أَشَدَّ مِنْ بَعْضٍ؛ فَمَنْ كَفَرَ وَصَدَّ عَنِ الْإِيمَانِ وَجَارَبَ الْمُؤْمِنِينَ، فَهُوَ أَشَدُّ عَذَابًا مِمَّنْ كَفَرَ وَلَمْ يَصُدَّ النَّاسَ عَنْ دِينِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨].

وَفِرْعَوْنُ وَجُنْدُهُ أَشَدُّ عَذَابًا مِنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ، إِلَّا مَنْ كَانَ مِنْهُمْ اسْتِكْبَارًا وَصَدَّ عَنِ الْحَقِّ وَأَذِيَّةً لِلْمُؤْمِنِينَ، ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

وَالْكُفَّارُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَوَعَّدَهُمُ اللَّهُ بِأَشَدِّ الْعَذَابِ؛ لِأَنَّهُمْ عَرَفُوا الْحَقَّ

(١٦) أخرجه من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه: البخاري في الرقاق، باب صفة الجنة والنار (٦١٩٤) ومسلم في الإيمان، باب أهون أهل النار عذاباً (٢١٣) واللفظ له، ولفظ البخاري: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ عَلَى أَحْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي الْمَرْجُلُ وَالْقَمَقْمُ». وجاء نحوه عن أبي سعيد وابن عباس رضي الله عنهما. قال ابن حجر -رحمه الله تعالى-: «(وَالْمَرْجُلُ) بكسر الميم وفتح الجيم: الإناء الذي يَغْلِي فِيهِ الْمَاءُ وَغَيْرُهُ، (وَالْقَمَقْمُ) بضم القافين وسكون الميم الأولى: معروف، وهو الذي يسخن فيه الماء. قال ابن الأثير: كذا وقع كما يغلي المرجل بالقمقم، وفيه نظر. ووقع في نسخة: «كما يغلي المرجل والقمقم». وهذا أوضح إن ساعدته الرواية. انتهى. ويحتمل أن تكون الباء بمعنى مع، وقيل: القمقم هو البسر، كانوا يغلونه على النار استعجالاً لنضجه فإن ثبت هذا زال الإشكال» فتح الباري (٤/١٩٧).

فَكْتَمُوهُ وَأَنْكِرُوهُ وَحَارِبُوهُ، وَأَمَّنُوا بِمَا أَشْتَهَوْا مِنْ كُتُبِهِمْ وَكَفَرُوا بِبَعْضِهَا، فَقَالَ  
اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ وَفِيمَنْ فَعَلَ فِعْلَهُمْ: ﴿أَفْتَوْمُنُونِ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ  
فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى  
أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].

وَعَذَابُ أَبِي طَالِبٍ لَيْسَ كَعَذَابِ أَبِي لَهَبٍ؛ لِأَنَّ أَبَا لَهَبٍ كَانَ يُؤْذِي  
النَّبِيَّ ﷺ، وَأَبَا طَالِبٍ كَانَ يَحْمِيهِ وَيَدْفَعُ عَنْهُ أَدَى الْمُشْرِكِينَ، قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ  
عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَفَعَتْ أَبَا طَالِبٍ بَشْيٌ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ  
وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، لَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ  
الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ<sup>(١٧)</sup>.

(١٧) أخرجه البخاري في الأدب، باب كنية المشرك (٥٨٥٥)، ومسلم في الإيمان، باب شفاعة  
النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه (٢٠٩).

وهذا الحديث وما جاء في معناه من إثبات أن أبا طالب قد مات على الشرك، وأنه من أهل  
النار إلا أن العذاب يخفف عنه بشفاعة النبي عليه الصلاة والسلام .. فيه رد على من ادعى  
إسلامه من الروافض والصوفية والعصرانيين، متمسكين في ذلك ببعض الروايات الواهية،  
معرضين عن الأحاديث الصحيحة التي اتفق شيخا أهل الحديث البخاري ومسلم على  
صحتها، وخرجها في صحيحهما اللذين هما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى.

وقد دحض الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى- هذه الدعوى في ترجمته لأبي طالب في  
القسم الرابع من الإصابة، وهو القسم الذي خصه بمن ذكر في الصحابة على سبيل الوهم  
والغلط، وليس من الصحابة، ومنهم أبو طالب، فقال رحمه الله تعالى: وذكر جمع من  
الرافضة أنه مات مسلماً، وتمسكوا بما نسب إليه من قوله

ودعوتني وعلمت أنك صادق ولقد صدقت فكنت قبل أمينا

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا

قال ابن عساكر في صدر ترجمته: قيل: إنه أسلم، ولا يصح إسلامه ..

ولقد وقفت على تصنيف لبعض الشيعة أثبت فيه إسلام أبي طالب، منها:

١- ما أخرجه من طريق يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، عن العباس بن =

= عبد الله بن سعيد بن عباس، عن بعض أهله، عن ابن عباس، قال: لما أتى رسول الله ﷺ أبا طالب في مرضه قال له: «يا عمّ، قل: لا إله إلا الله، كلمة أستحلّ بها لك الشفاعة يوم القيامة» قال: يا ابن أخي، والله لولا أن تكون سبة علي وعلى أهلي من بعدي يرون أنني قُلْتُها جزعًا عند الموت لقلتها، لا أقولها إلا لأسرك بها. فلما ثقل أبو طالب رؤي يحرك شفّتيه، فأصغى إليه العباس فسمع قوله، فرفع رأسه عنه، فقال: قد قال والله الكلمة التي سأله عنها.

٢- ومن طريق إسحاق بن عيسى الهاشمي، عن أبيه: سمعت المهاجر مولى بني نفيل يقول: سمعت أبا رافع يقول: سمعت أبا طالب يقول: سمعت ابن أخي محمد بن عبد الله يقول: «إنّ ربّه بعثه بصلّة الأرحام، وأنّ يعبد الله وحده، لا يعبد معه غيره»، ومحمد الصدوق الأمين.

٣- ومن طريق ابن المبارك، عن صفوان بن عمرو، عن أبي عامر الهوزني أنّ رسول الله ﷺ خرج معارضًا جنازة أبي طالب، وهو يقول: «وصلتك رحم».

٤- ومن طريق عبد الله بن ضميرة، عن أبيه، عن علي أنه لما أسلم قال له أبو طالب: الزم ابن عمك.

٥- ومن طريق أبي عبيدة معمر بن المثنى، عن رؤية بن العجاج، عن أبيه، عن عمران بن حصين أن أبا طالب قال لجعفر بن أبي طالب لما أسلم: قبل جناح ابن عمك، فصرى جعفر مع النبي ﷺ.

٦- ومن طريق محمد بن زكريّا الغلابي، عن العباس بن بكار، عن أبي بكر الهذلي، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: جاء أبو بكر بأبي قحافة، وهو شيخ قد عمي، فقال رسول الله ﷺ: ألا تركت الشيخ حتى آتية. قال: أردت أن يأجره الله، والذي بعثك بالحق لأنّا كنت أشد فرحًا بإسلام أبي طالب مني بإسلام أبي، ألتمس بذلك قرّة عينك.

وأسانيد هذه الأحاديث واهية، وليس المراد بقوله في الحديث الأخير إثبات إسلام أبي طالب، فقد أخرج عمر بن شبة في كتاب مكة، وأبو يعلى، وأبو بشر سمويه في فوائده، كلهم من طريق محمد بن سلمة، عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن أنس في قصة إسلام أبي قحافة، قال: فلما مدّ يده يبايعه بكى أبو بكر، فقال النبي ﷺ: «ما يكيك؟» قال: لأن تكون يد عمك مكان يده ويسلم ويقرّ الله عينك أحبّ إليّ من أن =

= يكون. وسنده صحيح. وأخرجه الحاكم من هذا الوجه، وقال: صحيح على شرط الشيخين، وعلى تقدير ثبوتها فقد عارضها ما هو أصح منها.

أما الأول: ففي الصحيحين من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب، عن أبيه: أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي ﷺ، وعنده أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية، فقال: «يا عمّ، قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله». فقال له أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب، فلم يزالا به حتى قال آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، فقال النبي ﷺ: «لأستغفرنّ لك ما لم أنه عنك». فنزلت: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣] الآية. ونزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦] فهذا هو الصحيح برد الرواية التي ذكرها ابن إسحاق؛ إذ لو كان قال كلمة التوحيد ما نهى الله تعالى نبيه عن الاستغفار له. وهذا الجواب أولى من قول من أجاب بأن العباس ما أدّى هذه الشهادة وهو مسلم، وإنما ذكرها قبل أن يسلم، فلا يعتد بها، وقد أجاب الرافضي المذكور عن قوله: وهو على ملة عبد المطلب، بأن عبد المطلب مات على الإسلام، واستدل بأثر مقطوع عن جعفر الصادق، وسأذكره بعد، ولا حجة فيه، لانقطاعه وضعف رجاله.

وأما الثاني: وفيه شهادة أبي طالب بتصديق النبي ﷺ، فالجواب عنه وعما ورد من شعر أبي طالب في ذلك أنه نظير ما حكى الله تعالى عن كفار قريش: ﴿وَحَمَلُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، فكان كفرهم عنادًا، ومنشؤه من الأنفة والكبر، وإلى ذلك أشار أبو طالب بقوله: لولا أن تعيّرنني قريش.

وأما الثالث: وهو أثر الهوزنيّ فهو مرسل، ومع ذلك فليس في قوله: «وصلتك رحم» ما يدلّ على إسلامه، بل فيه ما يدلّ على عدمه، وهو معارضته لجنازته، ولو كان أسلم لمشى معه وصلى عليه.

وقد ورد ما هو أصحّ منه، وهو ما أخرجه أبو داود والتّسائيّ، وصححه ابن خزيمة من طريق ناجية بن كعب، عن علي، قال: لما مات أبو طالب أتيت النبي ﷺ فقلت: إن عمك الضال قد مات. فقال لي: «أذهب فواره، ولا تحدّثني شيئًا حتّى تأتيني». ففعلت ثم جئت فدعا لي بدعوات.

وقد أخرجه الرافضيّ المذكور من وجه آخر عن ناجية بن كعب، عن علي بدون قوله: الضال. وأما الرابع والخامس: وهو أمر أبي طالب ولديه باتباعه فتركه ذلك هو من جملة العناد، =

= وهو أيضًا من حسن نصرته له وذهبه عنه ومعاداته قومه بسببه.

وأما قول أبي بكر: فمراده: لأننا كنت أشدّ فرحًا بإسلام أبي طالب مني بإسلام أبي، أي لو أسلم. ويبين ذلك:

ما أخرجه أبو قرة موسى بن طارق، عن موسى بن عبيدة، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، قال: جاء أبو بكر بأبي قحافة يقوده يوم فتح مكة، فقال رسول الله ﷺ: «ألا تركت الشيخ حتى نأتيه؟» قال أبو بكر: أردت أن يأجره الله، والذي بعثك بالحق لأننا كنت أشدّ فرحًا بإسلام أبي طالب لو كان أسلم مني بأبي.

وذكر ابن إسحاق أنّ عمر لما عارض العباس في أبي سفيان لما أقبل به ليلة الفتح، فقال له العباس: لو كان من بني عدي ما أحببت أن يقتل. فقال عمر: إنا بإسلامك إذا أسلمت أفرح مني بإسلام الخطاب، يعني: لو كان أسلم.

ثم ذكر الرافضي من طريق راشد الحماني، قال: سئل أبو عبد الله -يعني: جعفر بن محمد الصادق- من أهل الجنة؟ فقال: الأنبياء في الجنة، والصالحون في الجنة، والأسباط في الجنة، وأجل العالمين مجددًا محمد ﷺ، يقدم آدم فمن بعده من آباءه، وهذه الأصناف يحدثون به، ويحشر عبد المطلب به نور الأنبياء، وجمال الملوك، ويحشر أبو طالب في زمرة، فإذا ساروا بحضرة الحساب وتبوأ أهل الجنة منازلهم، ودحر أهل النار ارتفع شهاب عظيم لا يشك من رآه أنه غيم من النار، فيحضر كل من عرف ربّه من جميع الملل، ولم يعرف نبيه، ومن حشر أمة وحده، والشيخ الفاني، والطفل، فيقال لهم: إن الجبار تبارك وتعالى يأمركم أن تدخلوا هذه النار، فكل من اقتحمها خلص إلى أعلى الجنان، ومن كع عنها غشيتها. أخرجه عن أبي بشر أحمد بن إبراهيم بن يعلى بن أسد، عن أبي صالح الحمادي، عن أبيه، عن جده: سمعت راشدًا الحماني ... فذكره.

وهذه سلسلة شيعية غلاة في رفضهم، والحديث الأخير ورد من عدة طرق في حق الشيخ الهرم ومن مات في الفترة، ومن ولد أكمه أعمى أصم، ومن ولد مجنونًا، أو طرأ عليه الجنون قبل أن يبلغ، ونحو ذلك، وأن كلاً منهم يدلي بحجة ويقول: لو عقلت أو ذكرت لآمنت، فترفع لهم نار، ويقال لهم: ادخلوها، فمن دخلها كانت عليه بردًا وسلامًا، ومن امتنع أدخلها كرها.

هذا معنى ما ورد من ذلك، وقد جمعت طرقه في جزء مفرد، ونحن نرجو أن يدخل عبد المطلب وآل بيته في جملة من يدخلها طائعا فينجو، لكن ورد في أبي طالب ما يدفع =

ذلك، وهو ما تقدم من آية براءة، وما ورد في الصحيح عن العباس بن عبد المطلب أنه قال للنبي ﷺ: ما أغنيت عن عمك أبي طالب! فإنه كان يحوطك ويغضب لك، فقال: «هو في ضحضاح من النار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل».

فهذا شأن من مات على الكفر، فلو كان مات على التوحيد لنجا من النار أصلاً. والأحاديث الصحيحة، والأخبار المتكاثرة طافحة بذلك، وقد فخر المنصور على محمد بن عبد الله بن الحسن لما خرج بالمدينة وكتبه المكاتبات المشهورة، ومنها في كتاب المنصور: وقد بعث النبي ﷺ وله أربعة أعمام، فأمن به اثنان أحدهما أبي، وكفر به اثنان أحدهما أبوك.

ومن شعر عبد الله بن المعتز يخاطب الفاطميين:

وأنتم بنو بنته دوننا ونحن بنو عمه المسلم

وأخرج الرافضي أيضاً في تصنيفه قصة وفاة أبي طالب من طريق علي بن محمد بن مقيم: سمعت أبي يقول: سمعت جدي يقول: سمعت علي بن أبي طالب يقول: تبع أبو طالب عبد المطلب في كل أحواله حتى خرج من الدنيا وهو على ملته، وأوصاني أن أدفنه في قبره، فأخبرت رسول الله ﷺ فقال: اذهب فواره. وأتيته لما أنزل به فغسلته وكفنته، وحملته إلى الحجون فنشئت عن قبر عبد المطلب، فوجدته متوجهاً إلى القبلة فدفتته معه.

قال مقيم: ما عبد علي ولا أحد من آبائه إلا الله إلى أن ماتوا. أخرجه عن أبي بشر المتقدم ذكره عن أبي بردة السلمي، عن الحسن بن ما شاء الله، عن أبيه، عن علي بن محمد بن مقيم. وهذه سلسلة شيعية من الغلاة في الرّفص، فلا يُفْرَح به، وقد عارضه ما هو أصح منه مما تقدم فهو المعتمد.

ثم استدل الرافضي بقول الله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، قال: وقد عزّره أبو طالب بما اشتهر وعلم، ونابذ قريشاً وعاداهم بسببه مما لا يدفعه أحد من نقلة الأخبار، فيكون من المفلحين. انتهى.

وهذا مبلغهم من العلم، وإنا نسلم أنه نصره وبالغ في ذلك، لكنه لم يتبع النور الذي أنزل معه، وهو الكتاب العزيز الداعي إلى التوحيد، ولا يحصل الفلاح إلا بحصول ما رتب عليه من الصفات كلها.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ: إِنَّ الْخَلْقَ لَنْ يُطِيقُوا عَذَابَ الْخَالِقِ مَهْمَا كَانَتْ قَلَّتْهُ، وَالْوَاحِدُ مِنْ بَنِي آدَمَ لَا يُطِيقُ حَمْلَ جَمْرَةٍ صَغِيرَةٍ مِنْ جَمْرِ الدُّنْيَا، فَكَيْفَ لَهُ بِنَارِ الْآخِرَةِ! أَجَارَنَا اللَّهُ وَوَالِدِينَا وَالْمُسْلِمِينَ مِنْهَا.

وَالنَّجَاةُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى تَكُونُ بِفِعْلِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، تَكُونُ بِالمَحَافَظَةِ عَلَى الْفَرَائِضِ وَاتِّبَاعِهَا بِالتَّوَافُلِ، وَالبُعْدِ عَنْ كُلِّ عَمَلٍ جَعَلَهُ اللَّهُ سَبِيًّا لِدُخُولِ النَّارِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ وَاحْشَوْا عَذَابَهُ؛ فَإِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ.  
وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى نَبِيِّكُمْ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ رَبُّكُمْ.



= ثم استدرك ابن حجر على الرافضي بعض ما فاتته من روايات إسلام أبي طالب، وبين أنها روايات واهية لا تقوم بها حجة، ولا تدفع الروايات الصحيحة التي تدل على أن أبا طالب مات على الشرك. اه انتهى بطوله من الإصابة (٧/ ١٩٨-٢٠٣).





### ٣٩٣- نار الآخرة (٣)

#### أشجارها وأوديتها وجبالها

١٤٢٦/٧/٢٨ هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ؛ خَلَقَ الْخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ، وَكَلَّفَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ بِحِكْمَتِهِ، وَقَضَى فِيهِمْ بِرَحْمَتِهِ وَعَدْلِهِ، أَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَعْطَى، وَأَشْكُرُهُ عَلَى مَا أَوْلَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ دَلَّتْ دَلَالُهُ فِي خَلْقِهِ عَلَى عَظَمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَبَرَهَنْتْ آيَاتُهُ عَلَى رَبُوبِيَّتِهِ وَالْوَهِيَّتِ؛ فَلَا مَعْبُودَ بِحَقِّ سِوَاهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ مَا عَرَفَ اللَّهُ تَعَالَى بَشَرٌ كَمَعْرِفَتِهِ، وَلَا خَشِيَهُ كَخَشْيَتِهِ، كَانَ يَقُومُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ يُنَاجِي رَبَّهُ؛ مَحَبَّةً لَهُ، وَشَوْقًا إِلَيْهِ، وَرَجَاءً لِرَحْمَتِهِ، وَخَوْفًا مِنْ عَذَابِهِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَاتَّبَاعِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَأَوْصِيكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى، فَاتَّقُوهُ حَقَّ التَّقْوَى؛ فَإِنَّ ثَوَابَهُ جَزِيلٌ، وَإِنَّ عَذَابَهُ شَدِيدٌ، ثَوَابُهُ جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، وَعَذَابُهُ نَارٌ تَلْظَى، ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ ١٥ الَّذِي كَذَبَ وَتَوَلَّى ﴿[الْبَلَل: ١٥، ١٦].

أَيُّهَا النَّاسُ: وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ بِالْعَقْلِ وَالتَّفَكِيرِ أَنْ يَنْظُرَ فِي خَلْقِهِ وَوُجُودِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْحِكْمَةِ الَّتِي أَرَادَهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ يَتَفَكَّرَ فِي مَالِهِ وَمَصِيرِهِ، وَيَأْخُذَ الْعِبْرَةَ مِمَّا يَجْرِي أَمَامَهُ، فَهُوَ يَرَى فِيهَا أَنَّ النَّاسَ يُعَادِرُونَ الدُّنْيَا إِلَى دَارٍ أُخْرَى، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ مَهْمَا عَلَا قَدْرُهُ، وَعَظُمَتْ مَنْزِلَتُهُ لَا بُدَّ أَنْ يَمُوتَ، وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ مُخْلَدًا فِي الدُّنْيَا لَكَانَتِ الرُّسُلُ أَوْلَى

النَّاسِ بِالْخُلُودِ فِيهَا ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِلْبَشَرِ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾<sup>(٦٤)</sup>  
كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴿[الْأَنْبِيَاءُ: ٣٤، ٣٥].

وَالْمَوْتُ وَإِنْ كَانَ مَخُوفًا عِنْدَ الْبَشَرِ، فَإِنَّهُ هَيِّنٌ إِذَا كَانَ مَا بَعْدَهُ هَيِّنًا، وَعَسِيرٌ  
إِنْ كَانَ مَا بَعْدَهُ عَسِيرًا.

إِنَّ الَّذِي بَعْدَ الْمَوْتِ حِسَابٌ وَجَزَاءٌ عَلَى مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَعْمَالٍ؛ فَمَنْ  
عَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ، وَمَنْ عَمِلَ سَيِّئًا فَعَلَيْهِ.

إِنْ بَعْدَ الْمَوْتِ نَعِيمًا أَوْ عَذَابًا، سَعَادَةٌ أَوْ شَقَاءٌ، جَنَّةٌ أَوْ نَارًا، وَإِذَا أَحَسَّ  
النَّاسُ حَرَارَةَ الشَّمْسِ فِي الدُّنْيَا فَوَاجِبٌ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَذَكَّرُوا حَرَارَةَ النَّارِ فِي  
الْآخِرَةِ. تِلْكَمُ النَّارُ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى جَزَاءً لِلْكَافِرِينَ عَلَى كُفْرِهِمْ،  
وَلِلْمُشْرِكِينَ عَلَى شِرْكِهِمْ، وَلِلْمُنَافِقِينَ عَلَى نِفَاقِهِمْ، يُعَذَّبُونَ فِيهَا أَبَدًا؛ فَلَا رَاحَةَ  
وَلَا تَخْفِيفَ وَلَا مَوْتَ ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾<sup>(٦٥)</sup> لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ  
مُبْسُوُونَ<sup>(٦٥)</sup> وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ<sup>(٦٦)</sup> وَنَادَوْا بِمَمْلِكٍ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ  
إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ<sup>(٦٧)</sup> لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَادِحُونَ ﴿[الرَّحُوفُ: ٧٤-٧٨].  
وَفِي الْآيَةِ الْآخَرَى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ  
عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [الْمَائِدَةُ: ٣٧].

وَذَكَرُ النَّارِ نَغَصَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ عَيْشَهُمْ؛ خَوْفًا مِنْهَا وَمِمَّا فِيهَا، وَفَرَقًا مِنْ أَنْ  
يَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا، أَعَاذَنَا اللَّهُ وَوَالِدِينَا وَالْمُسْلِمِينَ مِنْهَا.

وَالْحَدِيثُ عَنْهَا يَطُولُ؛ فَهِيَ دَارُ أَكْثَرِ الْمُكَلَّفِينَ، وَفِيهَا مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ مَا  
لَا يُحِيطُ بِهِ الْوَصْفُ، وَلَا يُطِيقُهُ الْحَضَرُ. فَفِيهَا أَشْجَارٌ مِنَ النَّارِ، وَأَوْدِيَةٌ مِنَ النَّارِ،  
وَجِبَالٌ مِنَ النَّارِ.

أَمَّا أَشْجَارُهَا فَأَشْجَارٌ مِنَ النَّارِ، وَثَمَارُهَا نَارٌ، وَظِلُّهَا نَارٌ، أَشْهَرُهَا ذِكْرًا شَجَرَةُ

الزُّقُومِ الَّتِي جَاءَ ذِكْرُهَا فِي الْقُرْآنِ، وَهِيَ الشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ، وَقَدْ كَانَ ذِكْرُهَا فِتْنَةً لِأَبِي جَهْلٍ وَمَنْ وَافَقَهُ مِنْ أَيْمَةِ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا أُسْرِيَ بِهِ، وَرَأَى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ؛ حَدَّثَ النَّاسَ بِمَا رَأَى، وَأَخْبَرَهُمْ عَنْ شَجَرَةِ الزُّقُومِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ مُسْتَهْزِئًا: «يُخَوِّفُنَا مُحَمَّدٌ بِشَجَرَةِ الزُّقُومِ، هَاتُوا ثَمَرًا وَزُبْدًا فَتَزَقُّمُوا» رَوَاهُ أَحْمَدُ<sup>(١)</sup>.

وَفِي الْقُرْآنِ ذَكَرَ اللَّهُ ﷻ مَا أَعَدَّ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ، ثُمَّ قَارَنَ ذَلِكَ بِمَا أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ؛ لِيَتَعَظَّ قُرَاءُ الْقُرْآنِ بِذَلِكَ، وَيُقَارِنُوا بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ، وَيَعْرِفُوا الْبُؤْسَ الْكَبِيرَ بَيْنَ الْحَالَيْنِ: حَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَحَالِ أَهْلِ النَّارِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ فِي ذِكْرِ ذَلِكَ: ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ ۚ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ۚ﴾<sup>(٢)</sup> إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿١٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئُوسُ الشَّيْطَانِ ﴿١٥﴾ [الصَّافَّات: ٦٢-٦٥].

لَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ ذِكْرَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ كَانَ فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ، وَمَوْطِنَ تَكْذِيبٍ وَإِنْكَارٍ؛ ذَلِكَ أَنَّ النَّارَ فِي الدُّنْيَا تَأْكُلُ الشَّجَرَ، فَكَذَّبُوا أَنْ يَكُونَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ شَجَرٌ، قَالَ فَتَادَةُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «ذُكِرَتْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ فَاغْتِنَبَهَا أَهْلُ الضَّلَالَةِ وَقَالُوا: صَاحِبُكُمْ يُنَبِّئُكُمْ أَنَّ فِي النَّارِ شَجَرَةً، وَالنَّارُ تَأْكُلُ الشَّجَرَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ أَيُّ: غُذِّيتْ مِنَ النَّارِ وَمِنْهَا خُلِقَتْ»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه من حديث ابن عباس ؓ: النسائي في الكبرى (١١٤٨٤)، وأحمد (٣٧٤/١)، وأبو يعلى (٢٧٢٠)، والحاثر بن أبي أسامة كما في زوائد مسنده للهيثمي (٢٤)، والضياء في المختارة (٣١٥)، وصححه ابن كثير (١٦/٣) والشيخ أحمد شاكر في شرح المسند (٣٥٤٦).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٨١/٢)، والطبري في تفسيره (١١٤/١٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٢١٦/١٠).

وَفِي سُورَةٍ أُخْرَى أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ ثَمَرَهَا يَغْلِي فِي بُطُونِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ طَعَامًا غَيْرَهَا ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الرَّقْمِ ﴿٤٢﴾ طَعَامُ الْآثِمِ ﴿٤٣﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ [الدخان: ٤٣-٤٥].

يَأْكُلُونَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْخَبِيثَةِ الَّتِي تَغْلِي نَارًا حَتَّى تَمْتَلِئَ بُطُونُهُمْ بِهَا، فَيَكُونُ لَهُمْ مَعَ عَذَابِهِمْ لِظَاهِرِ أَبْدَانِهِمْ عَذَابٌ آخَرُ فِي أَجْوَافِهِمْ وَبُطُونِهِمْ؛ نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ حَالِهِمْ، وَنَسْأَلُهُ النَّجَاةَ مِنْ مَالِهِمْ ﴿فَأَنَّهُمْ لَاكُلُونَ مِنْهَا فَمَالُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٤٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [الصافات: ٦٦، ٦٧]، وَفِي سُورَةِ الْوَاقِعَةِ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْتَا الْمَضَالُونَ ﴿٥١﴾ لَاكُلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ رَّقْمٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهَلِيمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا نَزَّلْنَاهُ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الواقعة: ٥١-٥٦].

وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الرَّقْمِ قُطِرَتْ فِي دَارِ الدُّنْيَا لَأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَاشَهُمْ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ طَعَامُهُ؟!»، وَفِي رِوَايَةٍ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الرَّقْمِ قُطِرَتْ فِي بَحَارِ الْأَرْضِ لَفَسَدَتْ» صَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ<sup>(٣)</sup>.

وَفِي النَّارِ أَوْدِيَةٌ مِنْ نَارٍ يُعَذَّبُونَ فِيهَا؛ مِنْ أَشْهَرِهَا ذِكْرًا فِي الْقُرْآنِ وَادِي وَيْلٍ، وَقَدْ تَوَعَّدَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ الْمُكَذِّبِينَ وَالسَّاهِينَ عَنْ صَلَاتِهِمْ، وَكُلَّ أَفَّاكٍ أَثِمٍ، وَكُلَّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ، وَقَدْ جَاءَ عَنْ عَدَدٍ مِنَ السَّلَفِ أَنَّ وَيْلًا وَادٍ فِي جَهَنَّمَ<sup>(٤)</sup>.

(٣) أخرجه من حديث ابن عباس ؓ: الترمذي في صفة جهنم: باب ما جاء في صفة شراب أهل النار، وقال: حسن صحيح (٢٥٨٥)، وابن ماجه في الزهد: باب صفة النار، (٤٣٢٥)، والطيالسي (٢٦٤٣)، وأحمد (٣٠٠/١-٣٠١)، والنسائي في الكبرى (١١٠٠٤) وصححه ابن حبان (٧٤٧٠) والحاكم، وقال: على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي (٢/٢٩٤ و٤٥١).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (١/٣٧٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/١٥٣)، وتفسير البغوي (١/٨٨) =

وَمِنْ أَوْدِيَّتِهَا الْمَذْكُورَةِ فِي الْقُرْآنِ: وَادِي الْغَيِّ الَّذِي تَوَعَّدَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ الْمُضْطَّيِّعِينَ لِلصَّلَاةِ، الْمُتَّبِعِينَ الشَّهَوَاتِ ﴿٥٩﴾ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا [مَرْيَم: ٥٩].

وَقَدْ جَاءَ عَنْ عَدَدٍ مِنَ السَّلَفِ أَنَّ الْغَيَّ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ بَعِيدُ الْقَعْرِ مُتَتِنُ الرِّيحِ<sup>(٥)</sup>، وَهِيَ أَوْدِيَّةٌ سَحِيقَةٌ يُقَذَفُ فِيهَا أَهْلُ النَّارِ قَذْفًا.

وَفِي النَّارِ جِبَالٌ مِنْ نَارٍ جَاءَ لَهَا ذِكْرٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَدْ تَوَعَّدَ ﷺ بِبَعْضِهَا الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةَ لَمَّا كَذَّبَ النَّبِيَّ ﷺ، وَادَّعَى أَنَّ الْقُرْآنَ مِنْ قَوْلِ الْبَشَرِ، وَأَنَّهُ سِحْرٌ يُؤْتَرُ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ مُتَوَعَّدًا إِيَّاهُ: ﴿سَأَرْهَقُهُمْ صَعُودًا﴾ [الْمُدَّثِّرُ: ١٧] جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي سَعِيدٍ ؓ أَنَّهُ جَبَلٌ فِي النَّارِ مِنْ نَارٍ يُكَافَأُ أَهْلُهَا بِصُعُودِهِ<sup>(٦)</sup>؛ نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْهُ وَمِنْهُمْ.

وَنَارُ جَهَنَّمَ نَارٌ سَحِيقَةٌ عَمِيقَةٌ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ قَالَ: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ سَمِعَ وَجِبَةً فَقَالَ: تَذَرُونَ مَا هَذَا؟ قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ<sup>(٧)</sup>.

وَهِيَ تَتَسَّعُ لِخَلْقٍ كَثِيرٍ لَا يَعْلَمُ عَذَّتَهُمْ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وَيَكْفِي دَلِيلًا عَلَى ذَلِكَ: أَنَّ

= وجاء مرفوعاً من حديث أبي سعيد الخدري ؓ عند: أحمد (٥٧/٣)، وابن المبارك في الزهد (٣٣٤) وهو ضعيف لأنه من رواية دراج عن أبي الهيثم.

(٥) ينظر: تفسير الطبري (٢١٨/١٨)، وتفسير البغوي (٢٤٠/٥)، وتفسير ابن عطية (٢٣/٤).

(٦) ينظر: تفسير الطبري (١٥٥/٢٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣٣٨٣/١٠)، وتفسير البغوي (٤/٤١٥)، وتفسير ابن كثير (٤/٤٤٣). وقد جاء فيه أحاديث مرفوعة لكنها لا تصح.

(٧) أخرجه مسلم في صفة القيامة والجنة والنار، باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعدنين (٢٨٤٤).

الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مَعَ ضَخَامَةٍ حَاجِمِهِمَا يُلْقِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيهَا فَلَا يَمْلَأْنَهَا؛ كَمَا جَاءَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُكْوَرَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَفِي رِوَايَةٍ: «مُكْوَرَانِ فِي النَّارِ»<sup>(٨)</sup>.

وَأَكْثَرُ الْمُكَلَّفِينَ فِي النَّارِ، فَوَاحِدٌ مِنْ أَلْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَبَقِيَّتُهُمْ فِي النَّارِ؛ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُ؛ كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «يَقُولُ اللَّهُ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا آدَمُ. يَقُولُ: لَيْتَكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ دُرَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ. قَالَ: يَا رَبِّ وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ - أَرَاهُ قَالَ: - تِسْعِمَائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ، فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الْحَامِلُ حَمْلَهَا وَيَشِيبُ الْوَلِيدُ ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَى وَمَا هُمْ بِسُكَرَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢] فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى تَغْيَرَتْ وُجُوهُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ تِسْعِمَائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ، وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ، ثُمَّ أَنْتُمْ فِي النَّاسِ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ. فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ. فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ. فَكَبَّرْنَا» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ<sup>(٩)</sup>.

وَلَا تَمْتَلِئُ النَّارُ مَهْمَا أُلْقِيَ فِيهَا؛ كَمَا فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ

(٨) أخرج الرواية الأولى: البخاري في بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر بحسبان (٣٠٢٨). وأخرج الثانية: ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (١٠١)، والطحاوي في المشكل (١٧٠/١)، ومسدد كما في إتحاف الخيرة المهرة (١٣٥٧).

(٩) أخرجه البخاري في الرقاق، باب قوله ﷻ: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١] (٦١٦٥)، ومسلم في الإيمان، باب قوله: يقول الله لأدم: أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين (٢٢٢).

أَمْتَلَاتِ وَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴿٣﴾ [ق: ٣]. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَقُولُ: قَطْ قَطْ، بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ، وَلَا يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا، فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ<sup>(١٠)</sup> وَفِيهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ. وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلْنِي إِلَّا ضِعْفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ! قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحِمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءٍ مِنْ عِبَادِي. وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي. وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا؛ فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِي حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ. فَهَنَالِكَ تَمْتَلِي وَتُزَوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلَا يَظْلُمُ اللَّهُ ﷻ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا»<sup>(١١)</sup>.

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ، وَأَنْ يُجَنِّبَنَا مَا يُسْخِطُهُ، وَأَنْ يُعِيدَنَا مِنَ النَّارِ بِرَحْمَتِهِ، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.  
أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.



(١٠) أخرجه البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٦٩٤٩)، ومسلم في الجنة وصفتها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٢٨٤٨).

(١١) أخرجه البخاري في التفسير، باب قوله: ﴿وَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [سورة ق: ٣٠] (٤٥٦٩)، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٢٨٤٦).

## الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا أَمَرَ، أَحْمَدُهُ وَأَشْكُرُهُ فَقَدْ تَأَذَّنَ بِالزِّيَادَةِ لِمَنْ شَكَرَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ إِرْغَامًا لِمَنْ جَحَدَهُ وَكَفَرَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَيْرُ الْبَشَرِ، الشَّافِعُ الْمُسْتَفْعُ فِي الْمَحْشَرِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَاقْتَفَى الْأَثَرَ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى وَأَطِيعُوهُ، ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿[آل عمران: ١٣١-١٣٢]، ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ عَاقِلٍ يُحِسُّ حَرَّ الدُّنْيَا، وَيُبْصِرُ نَارَهَا، وَيَرَى أَثَارَهَا، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُطِيقُ شَيْئًا يَسِيرًا مِنْ حَرِّهَا أَوْ جَمْرِهَا، وَاجِبٌ عَلَيْهِ أَلَّا يَنْسَى نَارَ الْآخِرَةِ، وَأَنْ يَقَرَّ مِنْهَا أَشَدَّ مِنْ فِرَارِهِ مِنْ نَارِ الدُّنْيَا؛ فَمَا نَارُ الدُّنْيَا إِلَّا جُزْءٌ يَسِيرٌ مِنْ نَارِ الْآخِرَةِ؛ كَمَا رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءًا مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ. قَالُوا: وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: فَإِنَّهَا فَضِلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةِ وَسْتِينَ جُزْءًا، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ<sup>(١٢)</sup>.

وَمَنْ خَسِرَ فِي الْآخِرَةِ فَلَا أَمَلَ فِي رَبْحِهِ أَبَدًا، بَلْ هُوَ فِي خُسْرَانٍ أَبَدِيٍّ، وَعَذَابٍ دَائِمٍ، فَوَيْلٌ لَهُ! وَوَيْلٌ لَهُ!

(١٢) أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة (٣٠٩٢)، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم (٢٨٤٣).



يَصِيحُ فِي النَّارِ مَعَ الصَّائِحِينَ ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٧]، فَيَجَابُونَ: ﴿أَخْسَوْا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رضي الله عنه: «إِنَّ أَهْلَ جَهَنَّمَ يَدْعُونَ مَالِكًا فَلَا يُجِيبُهُمْ أَرْبَعِينَ عَامًا ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ: ﴿إِنَّكُمْ مَكْنُوتُونَ﴾. قَالَ: هَانَتْ دَعْوَتُهُمْ وَاللَّهُ عَلَى مَالِكٍ وَرَبِّ مَالِكٍ، ثُمَّ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ فَيَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ ﴿١٦١﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ قَالَ: فَيَسْكُتُ عَنْهُمْ قَدَرُ الدُّنْيَا مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ: ﴿أَخْسَوْا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ﴾ قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا نَبَسَ الْقَوْمُ بَعْدَهَا بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، وَمَا هُوَ إِلَّا الزَّفِيرُ وَالشَّهيقُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ. قَالَ: فَشُبِّهَتْ أَصْوَاتُهُمْ بِأَصْوَاتِ الْحَمِيرِ، أَوَّلُهَا زَفِيرٌ وَآخِرُهَا شَهيقٌ» (١٣).

وَتَكُونُ طَامَتُهُمُ الْكُبْرَى حِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ الْعَذَابَ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ، وَلَا نَجَاةَ لَهُمْ مِنْهُ وَلَوْ بِالْمَوْتِ الَّذِي كَانُوا يَكْرَهُونَهُ فِي الدُّنْيَا!

رَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحٌ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَسْرِثُونَ وَيَنْظُرُونَ، وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ. قَالَ: وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ، هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ: فَيَسْرِثُونَ وَيَنْظُرُونَ، وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ. قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيَذْبَحُ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ. قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَأَنْذَرُهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا رَوَاهُ الشَّيْخَانِ، وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ (١٤).

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٥٠٩/٨).

(١٤) أخرجه البخاري في الرقاق، باب صفة الجنة والنار (٦٥٤٨)، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء (٢٨٥٠).

فَحَذَارٍ -عِبَادَ اللَّهِ- مِنَ الْعُقْلَةِ فِي الدُّنْيَا، وَالْإِغْتِرَارِ بِهَا؛ فَإِنَّمَا أُرْدَى أَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ غَفْلَتُهُمْ وَغُرُورُهُمْ، وَتَزَوَّدُوا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مَا يَكُونُ سَبَبًا فِي النِّجَاةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاسْتَجِيرُوا بِاللَّهِ تَعَالَى مِنَ النَّارِ، وَاسْتَعِيدُوا بِهِ سُبْحَانَهُ مِنْ عَذَابِهَا، فَلَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْأَلُ رَبَّهُ ﷻ الْوِقَايَةَ مِنْهَا، وَيَكْثُرُ مِنْ ذَلِكَ؛ كَمَا رَوَى أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: عَنْ قَتَادَةَ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- أَنَّهُ سَأَلَ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: أَيُّ دَعْوَةٍ كَانَ يَدْعُو بِهَا النَّبِيُّ ﷺ أَكْثَرَ؟ قَالَ: كَانَ أَكْثَرُ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ». قَالَ قَتَادَةُ: وَكَانَ أَنَسٌ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ بِدَعْوَةٍ دَعَا بِهَا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ بِدَعَاءٍ دَعَا بِهَا فِيهِ <sup>(١٥)</sup>.  
أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ...



(١٥) أخرجه البخاري في الدعوات، باب قول النبي ﷺ: «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً» (٦٠٢٦)، ومسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الدعاء باللهم آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار (٢٦٩٠).

## الفهرس

- ٥ ..... السير والأعلام
- ٧ ..... ٣٤٧- خلق آدم ﷺ ووفاته
- ٢١ ..... ٣٤٨- في قصة موسى وفرعون
- ٢٩ ..... ٣٤٩- التكليم ﷺ (١) الولادة والنشأة والهجرة
- ٤١ ..... ٣٥٠- التكليم ﷺ (٢) التكليم والرسالة
- ٥٣ ..... ٣٥١- من صفات الرسول ﷺ
- ٦٥ ..... ٣٥٢- رحيل النبي ﷺ (١) من ابتداء مرضه إلى وفاته
- ٧٩ ..... ٣٥٣- رحيل النبي ﷺ (٢) الوفاة والدفن والحزن
- ٩٣ ..... ٣٥٤- رحيل النبي ﷺ (٣) وصاياه للأمة قبل موته
- ١٠٥ ..... ٣٥٥- توقير السلف للنبي ﷺ (١) من أخبار الصحابة
- ١١٩ ..... ٣٥٦- توقير السلف للنبي ﷺ (٢) من أخبار التابعين والعلماء
- ١٣١ ..... ٣٥٧- عبد الرحمن بن عوف
- ١٤٥ ..... ٣٥٨- حكيم بن حزام
- ١٥٧ ..... ٣٥٩- مقتل الشيخ أحمد ياسين
- ١٦٩ ..... ٣٦٠- مقتل حاكم العراق
- ١٨٥ ..... الفكر والثقافة
- ١٨٧ ..... ٣٦١- تبديل ألفاظ الشريعة (١) تزوير المصطلحات
- ٢٠٥ ..... ٣٦٢- تبديل ألفاظ الشريعة (٢) مصطلح الآخر
- ٢١٥ ..... ٣٦٣- تبديل ألفاظ الشريعة (٣) التعايش السلمي
- ٢٢٥ ..... ٣٦٤- القلم الطيب والقلم الخيث
- ٢٤١ ..... ٣٦٥- الحرب على اللغة العربية
- ٢٥٥ ..... ٣٦٦- تفضيل الرجال على النساء
- ٢٧٥ ..... ٣٦٧- تحرير المرأة
- ٢٨٥ ..... ٣٦٨- مؤتمر المرأة في بكين
- ٢٩٥ ..... ٣٦٩- منتدى المرأة والألفية

- ٣٧٠- نقض دعوى حرية الرأي ..... ٣٠٧
- ٣٧١- الحرب الدينية والحرب القومية ..... ٣١٩
- القضايا الإسلامية ..... ٣٢٩
- ٣٧٢- الاعتداء على المسجد الأقصى ..... ٣٣١
- ٣٧٣- طبيعة الصراع على بيت المقدس ..... ٣٤٣
- ٣٧٤- كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله ..... ٣٦٣
- ٣٧٥- ولتعلن علوًا كبيرًا ..... ٣٧٣
- ٣٧٦- بين التجمع اليهودي والتفرق العربي ..... ٣٨٥
- ٣٧٧- علاقة النصارى بالمسلمين ..... ٣٩٧
- ٣٧٨- حقوق الأسرى في الإسلام ..... ٤٠٩
- ٣٧٩- مأساة البوسنة (١) ..... ٤٢١
- ٣٨٠- مأساة البوسنة (٢) ..... ٤٣١
- ٣٨١- الشرق الإسلامي بين المشروع الروماني والطمع الفارسي ..... ٤٤١
- ٣٨٢- الدولة الصفوية (١) نشأتها، عقيدتها، جرائمها ..... ٤٧٩
- ٣٨٣- الدولة الصفوية (٢) اختطاف قضية فلسطين ..... ٤٩٧
- علامات الساعة وأخبار القيامة ..... ٥١١
- ٣٨٤- الأشرار الصغرى للساعة (١) انتشار الفحش والفاحشة والتعري ..... ٥١٣
- ٣٨٥- الأشرار الصغرى للساعة (٢) كثرة القتل ..... ٥٣١
- ٣٨٦- الأشرار الصغرى للساعة (٣) الزلازل والخسف والقذف والمسح ..... ٥٤١
- ٣٨٧- الأشرار الصغرى للساعة (٤) كثرة المال وفشو التجارة ..... ٥٥٣
- ٣٨٨- الأشرار الصغرى للساعة (٥) تقارب الزمان ..... ٥٦٥
- ٣٨٩- جنة الخلد (١) الأسماء والأوصاف ..... ٥٧٥
- ٣٩٠- جنة الخلد (٢) الدرجات والمنازل ..... ٥٨٥
- ٣٩١- نار الآخرة (١) أسماؤها وأوصافها ..... ٥٩٥
- ٣٩٢- نار الآخرة (٢) أبوابها ودركاتها وخزنتها ..... ٦٠٥
- ٣٩٣- نار الآخرة (٣) أشجارها وأوديتها وجبالها ..... ٦٢١